المشروع القومي للترجمة

المولوية بعد جلال الدين الرومي



تأليف : لوران عبد الباقى جلبنارلى

ترجمة : عبدالله أحمـد إبراهيم

508

المشروع القومى للترجمة

المولوية بعد جلال الدين الرومى

تأليـــف : عبد الباقى جلبنارلى
ترجمــة : عبد الله أحمد إبراهيم

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : د . جابر عصفور

- العدد : ٥٠٨
- المولوية بعد جلال الدين الرومى
- عبد الباقى جلبنارلى
- عبد الله أحمد إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لكتاب :

MEVLIÂNIÂ'DAN

SONRA

MEVLEVÎLIK

ABDÜLAKI GÖLPINARLI

INKILÂP ve AKA

KITABEVLERI

Ankara Caddesi No. 95-istanbul

Gözdén Geçirilmis

ikinci Baski

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

القسم الثانى - المولوية

القسم الثالث - آداب المولوية ومبادئها

القسم الرابع - الأدب المولوى والموسيقى المولوية

مقدمة المترجم

لا جرم أن القرن الثالث عشر الميلادى الذى نشأ فيه مولانا جلال الدين الرومى كان أسوأ عصر من عصور سلاجقة الأناضول وأشدها تدهوراً واضمحلالاً . وانتهى عصر المشاحنات والحروب إبان الحقبة التى اعتلى فيها عز الدين كيكاوس الأول عرش البلاد ، وحل محل غياث الدين الأول الذى لقى حتفه فى أتون الحروب التى استحرت فى تلك الحقبة من الزمان ، ثم كان عصر علاء الدين كيكباد الذى كانت سنوات حكمه بمثابة أزهى حقبة لتلك الإمبراطورية المتحطمة التى تفسّخت وتقوض بنيانها بفعل الغزو المغولى .

وقد اضطلع علاء الدين بتعمير قلعتى سيواس وقونية وأصلحهما بعد الخراب الذى أصابهما ، ثم أسرع بإرسال جيش عرمرم إلى جهة الموصل من أجل حماية الخليفة العباسى من جحافل المغول الذين هموا بالزحف على هذه البلاد ، ثم خاض حربا شعواء مع جلال الدين خوارزمشاه الذى أتعب المغول وقضّ مضجعهم ، وهكذا بذل علاء الدين قصارى جهده باضطلاعه بكل هذه الأشياء التى أشعرت الناس بالراحة والطمأنينة وراحة البال .

وكانت هذه الحقبة الزمنية بداية انتهاج سبيل سياسة خاطئة استخدمتها إمبراطورية السلاجقة بشأن الخوارزميين ، مما عجّل بالتمهيد لانهيار هذه الإمبراطورية واستئصال شأفتها .

وفى عام ١٢٤٢م زحف جيش مغولى مكون من ثلاثين ألف جندى نحو منطقة أرضروم تحت قيادة القائد « بايجو » الذى أعمل السيف والقتل فى الخلائق أجمعين .

وكان القرن الثالث عشر الميلادى بمثابة العصر الذى اتحدت فيه الديانات والمذاهب مؤتلفة متلاحمة فى منطقة الأناضول . وحدث نزاع بين هذه المذاهب والديانات نجم عنه التيار الصوفى الذى حقق للناس العثور على ضالتهم المنشودة فى خضم هذه الأحداث ؛ فتنفسوا الصعداء بفضل هذا التصوف المقترن بفكر حر متقدم ، وأصبح هذا التيار الصوفى بمثابة ينبوع كبير للسلوك والعزاء لذلك الإنسان عن طريق التسامح الذى كفله التصوف بغير حدود . لقد وجد الناس فى التصوف طمأنينة وسكينة مستلهمة من تجلى الحق - سبحانه وتعالى - بعد أن شاهدت نفوسهم ويئست أرواحهم من تلك الأحداث الجسام والخطوب التى حطمت قيود الزمان والمكان .

تطور التيار الصوفى واطرد نموه فى الأناضول إبان القرن الثالث عشر الميلادى . فالسلاجقة اضطلعوا من ناحيتهم بإظهار تسامح بشأن الديانات والمذاهب ، ونبذوا التعصب وراء ظهورهم وآثروا العفو والصفح عن كل ما يتصل بالشئون الدينية والتيارات المذهبية التى ما طفقت تشيع فى كل أرجاء الأناضول وتحيط به من كل جانب ، كما كان الغزو المغولى وما نجم عنه من اضطراب وقلق وغصة ولغوب سببا مباشرا فى تطور التيار الصوفى ، كما كان هذا الغزو العاتى سببا قويا فى هجر ثلة من الشعراء والشيوخ والعلماء من ذوى النفوذ القوى إلى منطقة الأناضول فرارا من جحافل المغول ، ونذكر منهم على سبيل المثال : فخر الدين عراقى (٦٨٨ هـ = ١٢٨٩ م) ونجم الدين دايه (٦٥٤ هـ = ١٢٥٣ م) وأوحد الدين كرامانى (٦٣٥ هـ = ١٢٣٧ م) وغيرهم . وما لبثت الأفكار والطرق الصوفية التى غذت المنتسبين إلى هؤلاء الشيوخ أن انتشرت فى كل أرجاء الأاضول ، ثم التف الناس حول الشيخ صدر الدين قونيوى (٦٧٣ هـ = ١٢٧٤ م) ربيب الصوفى المشهور محى الدين بن عربى (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م) ، وشارح كتابه المسمى الفصوص ، وبعد وفاته انتشرت الطريقة الأكبرية فى إقليم الشام مقترنة فى الوقت نفسه بظهور الطريقة الأحمدية الرفاعية بثعابينها وعقاربها واللعب بالنار وغرس

السفافيد[*] فى أجسادهم وغيرها من العادات الغريبة العجيبة التى كانوا يمارسونها على أعين الناس ، مما جعل هذه الطريقة من أشهر الطرق الرئيسية انتشارا وذيوع صيت فى الأناضول .

وكانت نزعة الناس ناحية التصوف وشدة ميلهم إليه سببا قويا جعل الوزراء والسلاطين وأكابر القوم ووجهاءهم يميلون بدورهم نحو هذا التيار الجارف . وقد قام عز الدين كيكاوس الأول إبان عصر الخليفة الناصر لدين الله بإرسال الشيخ مجد الدين إسحاق إلى بغداد حيث طلب إلى الخليفة سروال الفتوة ؛ فأسرع الخليفة وأرسل إليه العمامة السوداء وسروال الفتوة ومعهما البراءة أو الوثيقة الرسمية الدالة على ذلك . كان المذهب الشافعى والحنفى - وهما من المذاهب السنية - على درجة واحدة من المساواة فى كل أقاليم الأناضول ، ولم يكن مذهب المعتزلة ذا أهمية كبيرة .

وكان هذا القرن - الثامن عشر الميلادى - عصر التسامح لأولئك العلماء والمشتغلين بالقلعة اليونانية والأطباء المسلمين والنصارى والمعابد والكنائس والمساجد الموجودة فى المدن على حد سواء .

ظهرت الطريقة المولوية فى خضم هذه الأحداث داعية إلى التسامح مستمسكة بطريق التصوف الإيجابى الذى يستثير الهمم ويستنهض العزائم لمقاومة الأعداء ، ولم تركن هذه الطريقة ومريدوها إلى التصوف السلبى المثبط للهمم وفتور الحمية ، بل شاركت فى كل شئون الحياة فأثرت فيها وتأثرت بها وخاضت غمار الحروب وتقدمت الصفوف غير ناكصة على عقبها أو مرتدة على أدبارها ، فأثرت إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة غير عابئة بزخرف الدنيا وزينتها ، لم تأبه المولوية بالتطلع إلى المناصب أو استشراف الدرجات والمنازل الدنيوية ؛ مما بوأها مكانة عالية فى المجتمع التركى خاصة والإسلامى عامة .

وقد حرص العالم التركى عبد الباقى جلبنارى - وهو مولوى النزعة والطريقة - على أن يعرض بين دفتى كتابه صورة مفصلة جامعة مانعة لكل أحوال هذه الطريقة منذ تأسيسها بعد موت جلال الدين الرومى حتى أفول نجمها وخمود شهرتها ، وقد

(*) جميع سفود ، وهو عود من حديد أو غيره ينظم فيه اللحم للشواء . (المراجعة اللغوية)

استقصى المؤلف المعلومات والوثائق التى تؤرخ للمولوية ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة تتصل بها إلا وحرص على جمعها وتبويبها فى دقة وأناة ودأب ، ثم ما يلبث أن يعرض مادته العلمية باسطا إياها فى نظام دقيق ، ولقد تيسرت للمؤلف السبل التى مكنته من تأليف هذا الكتاب القيم ، فهو يملك زمام اللغة الفارسية التى تخصص فيها وكان يدرسها فى الجامعات التركية فأسلمت له قيادها واطلع من خلالها على صكوك الوقف والنصوص الفارسية فى مظانها ومصادرها ، حتى إنه نقل المثنوى برمته من الفارسية إلى التركية فى ستة أجزاء .

انتسب المؤلف إلى الطريقة المولوية فى عمر مبكرة وهو لم يزل صبيا ، فاطلع على أسرارها وخبر طقوسها ونواميسها وما خفى من شئونها وأحوالها ، فرصد كل دخائل الطريقة وسبر أغوارها ، وأخذ يحلل الظروف والملابسات التى كانت سببا فى نشأتها حتى بلغت أوج مجدها ، انتهاء بما آلت إليه أحوالها من تصدع وانهيار ، جعلها أثرا بعد عين وتاريخا مسطورا بين ثنايا المخطوطات والوقفيات ودواوين شعرائها الذين سجلوا فكرة هذه الطريقة ونزعتها ومنهجها فى التصوف .

لا جرم أن هذا الكتاب وثيقة دامغة شاهدة على حقبة زمنية امتدت على مدار أحقاب طويلة شهدت كثيرا من الأحداث التى كانت لها عظيم الأثر فى كل ما جرى بمنطقة الأناضول خاصة وآسيا الوسطى على العموم . إنه سجل تاريخى لا يستغنى عنه كل قارئ متخصص فى شئون الترك وحضارتهم . إنه كتاب عظيم النفع جم الفائدة جديد فى بابه ، ولا نغلو إذا قلنا إن العالم التركى عبد الباقى جلبنارلى كان أول من مهد السبيل للبحث فى هذه الموضوعات الشائكة الشائقة ، فهو ابن تجدتها وأبو عُذرتها ، فغفر الله له وجزاه الجزاء على حسن صنيعه . وأحمد الله جل علاه أن أمدنى بمدد ممن عنده ووفقنى إلى نقل هذه السفر الضخم إلى اللغة العربية راجيا منه سبحانه أن يكون فى ميزان حسناتى وينفع به طلاب العالم . إنه نعم المولى ونعم المجيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣

لكل دين أو مذهب أو طريقة مؤسس يضع لبنته ويقعد قواعده ، وهذا المؤسس هو الذى يُظهر هذا الدين أو ذاك المذهب ويخمر عجينته الأولى ، ثم ما تلبث أن تتسع رقعة هذا الدين والطريقة وتنتشر مساحتها ، وكلما امتدت دائرة انتشارها فإنها سرعان ما تصطبغ بألوان وشيات متباينة ، وكلما اتسعت منطلقة رحبة الآفاق فإنها إما أن تقوى ويشتد أزرها ويستوى عودها وإما أن تواتيها ظروف مجهولة تصيب جوهرها بالنصب وروحها بالعنت واللغوب : وعليه فإن هذه الظروف تدرس مليًا واضعين إياها نصب أعيننا ، ثم ينظر الناقد أول ما ينظر إلى مصادرها الأساسية ، وبعد ذلك إما أن يمدحها وإما أن يقدحها ، وإما أن ينشغل بها ويهتم بشئونها ، وإما أن تكون له علاقة بالجمعيات التى تنأى بها بعيدًا عن أصلها ، وما يلبث حينئذ أن يبث فى تضاعيفها نبض الروح والحياة داخل نطاق الزمان والمكان ، وإذا ما صرفت الهمة إلى التاريخ فإنه تسهل حينئذ مهمة من يتصدى للنقد وتتحد أطر هذه المهمة ويتسنى للناقد آنذاك أن يتناول هذه الدراسة بحسب معتقده ورأيه ، فينطق ويستنطق ويسرع إلى تقديم الحقيقة وتجلية موضوعه الذى يدرسه إما متقدمًا إلى الأمام وإما ناكصًا على عقبيه . ناهيك عن أنه يستطيع كتابة هذا الموضوع ويعكس سيناريو هذا المجتمع على شاشة دور الخيالة البيضاء ، وتستفيد الموسيقى والشعر ويُدخلهما فى بوتقة الشرح والتحليل ، بيد أن ما يروى من حقائق وما يحتفى به من عقيدة يقينية هو فى حقيقة أمره جماليات مقرونة بالخير والأريحية والصلاح ، إنها أحداث شاذة غريبة غير مألوفة وثمة أرجاس وأدناس مقترنة بالقبح والشناعة ، وثمة كذابون أفاكون ينقلون هذه الأراجيف إلى الآخرين وسرعان ما تتناولها الأيدى بعد حقبة من الزمان

وتصبح موضوعاً مأتيا به فى مضمار العلم والمعرفة ، ثم نتساءل بعد ذلك : كيف شد هذا الموضوع انتباه القارئ ، وكيف انتقل إلى اللغة وكيف أحييت قيمه وكيف اكتسب الأداء الشاعرى وأصبح معبراً عن الحقيقة ؟

أيها القارئ : إننى أقدم بين يديك المولوية بعد مولانا جلال الدين الرومى ، هكذا أصابه سوء الحظ وشؤم الطالع ، وامتد نذير الشؤم هذا من محيط المقبرة التى شيدت لمولانا جلال الدين والتى تحمل اسمه ، وامتد كذلك من صفة التجلة والتوقير اللتين نمتا وترعرعتا حتى انتشرتا فى الوطن والدنيا على حد سواء . لقد صنع منزلته فى التاريخ ، وتجلت آثاره التى لا تمحى فى الأفكار والأخلاد ، وبث فى نفوس الخلائق نبض الروح والحياة ، وذاع صيته حتى طبق آفاق القرى بالمدن كلها إبان عصره وبات الشغل الشاغل للزمرة المثقفة المستنيرة ، أما فى مضمار السياسة فكانت له أكثر من حملة واضحة المعالم وفق رؤيته الشخصية الذاتية ، كان يمثل أحيانا نقطة الارتداد والنكوص بصفة متفردة قائمة برأسها ، بيد أنه كان يثب فى مرات كثيرة إلى الأمام كالحصان الجامح ، وعندما انفصم عن الشعب أصبح ملكًا لزمرة منهم ، وتغلغل بقوته الدافعة فى نفوس هذه الزمرة ، ومن ثم تآكلت بنيته الذاتية ، ثم دنت خطوة خطوة إلى العدم والفناء ، وقد رأى هذا بعينه وأدرك كنهه ومغزاه ، ثم اقتبس من بيئته بحسب الأعراف والعادات السائدة فى ذلك الإبان وظل ثاوياً فى ذات نفسه بأعرافه وتقاليده وآدابه وسمته وصفاته ووفائه ووحدة عشقه وحالاته ، ومن ثم أصبح سراً مجهولاً ملغزاً غير معلوم .

كان المولوية يعتبرون أنفسهم رجال الله (صوفية الله) لأنهم كانوا يدركون كنه الوجود المطلق للذات الإلهية ، ومن ثم فإنهم فى مملكة السلطنة يوصدون الأبواب فى مواجهة الدنيا بغية إدراج هذه الفكرة ويصيحون ثملى بنشوة السلطنة المعنوية ، وأحيانا يكون هذا السكر متمثلاً بالنزعات الداخلية والمجاهدات الجوانية ، ثم تظهر هذه المجاهدات وتبرز وتتطور ثم يتسنى لها بعد ذلك أن تتخلص من الأفكار الدخيلة المشوشة . إن العالِمِين فى الشرق ليعلمون علم اليقين أنهم لا يحفلون كثيراً بدراسة

المجتمع ولا يولونها أهمية على الإطلاق ؛ فهم إما مستغرقون فى دراسة الأشخاص دراسة ذاتية زاخرة بالأساطير والمعتقدات الميتافيزيقية ، وإما يشغلون أنفسهم بألفاظ وكلمات محرومة من أصول العلم والمعرفة ، ملأى بأداء شاعرى وإنشائى . وقد بات من قبيل الميسور إماطة اللثام والكشف عن الحياة المادية والفكرية لمولانا جلال الدين الرومى على حد سواء ، وذلك عن طريق حمية البحث وغيرة التمحيص والتدقيق بمثابرة جادة ودراسة لا تعرف إلى الخوف سبيلاً ، ويرجع هذا فى المقام الأول لوجود كثير من المصادر القريبة من عصره . وكلما تصدينا لدراسة حياته دراسة نقدية تاريخية فإنها ما تلبث أن تتجلى أمام ناظرينا متلألئة وهاجة ، كما أن هذه الدراسة تجلى الأحداث والوقائع الكائنة فى حياته وتُبين عن هويته الفكرية عن طريق آثاره العلمية التى خلفها . غير أن المولوية لم يكونوا على هذه الشاكلة .

وها هو ذا ثاقب دده – وهو من المتأخرين الممثلين للرعيل الأول للمولوية – قد ظل ثاويا خلف ستار صفيق ملغز عن طريق كتاباته الإنسانية وعقيدته الدينية الخالصة . وهو يرى ألا زمان ولا مكان ولا قرون ، وأنها جميعا لتذوب منصهرة فى غضون برهة من الزمان ، وأن المسافات تتسع لأفق المكان . ولما كانت المولوية بعد رحيل مولانا لم تتأسس فى حينها على مناسكه التى استنها ، فإن الرسائل التى دبجت بشأن الطريقة ترجع إلى عصور جد متأخرة ، يبقى أن هذه الرسائل قد ظلت رازحة تحت تأثير هؤلاء الكتاب وأفكارهم أكثر من اضطلاعها بتقديم الهوية الأصيلة للطريقة المولوية ، كما أنهم عملوا كذلك على تثبيت وتأكيد الصفات الشخصية لهذه المؤسسات وكتابها ، بيد أن طريقة مولانا قد ظلت بالفعل بمعزل تام عن أفكار مؤسسيها ، حتى إن المولوية وأحباب مولانا قد فصموا هذا الصنيع عن مولانا وكأنهم كبحوا زمام أنفسهم ، كما أن شراح المثنوى كانت لهم مصادر رئيسية مكتوبة بشأن آثاره الأخرى ، وعليه فإنهم لم يشعروا بمسيس الحاجة إلى قراءة مقالات (شمس تبريزى) ، كما أنهم لم يفكروا مليا فى شخصية مولانا الإنسانية الحقيقية والتى أضفت على التصوف شكلاً متميزاً وقالبًا خاصا باعتباره رجلا مصلحا فى

مضماري الدين والتصوف ، وعلى هذا فإنهم اضطلعوا بشرح فكر مولانا معتمدين في ذلك على ابن عربي الذي كان بمثابة ممثل لطريقة معارضة متناقضة لطريقة شمس الدين تبريزي الصديق الحميم لمولانا جلال الدين الرومي .

وفي لجة هذه الظروف جميعها أصبحت الكتابة في تاريخ المولوية أمراً صعبًا عسيراً . فإذا صدقنا بما قاله ثاقب دده في هذا السبيل وعولنا عليه فإننا سوف لا نستطيع الاضطلاع بشيء سوى تكرار ما سبق قوله في هذا الصدد . وإن أخوف ما يخيفيا في هذه السبيل هو التفوه بالكذب الصراح ، وهذا غض للبصر عن التاريخ واستخفاف به ، ولسوف نكون ساعتئذ وكأننا لم نستطع رؤية الحقيقة ، ولم يتسن لنا تقديم البغية المطلوبة . وإذا تعذر علينا العثور على (شهيد الدين كلش أسرار) فقد كان ثمة تأثير لشموس مولانا في نفوس الخلائق ، وكان هؤلاء يمثلون المولوية خير تمثيل ، ومن ثم ذاع صيتهم وانتشر حتى بلغ تخوم القرى ، بيد أننا لا نعلم بوجود قرى مولوية في منطقة الأناضول وعليه فسوف لا يتسنى لنا إماطة اللثام عن أهم خليقة تتصف بها هذه الطريقة ، وإذا كنا لم نعثر عليها في قونية مع مرور الزمان وكر الأعوام وعجزنا كذلك عن تمحيص وفحص مكتبة المتحف ، مما تمخض عنه أننا لم نحط علمًا بكثيرٍ من الرسائل . وإذا كانت هنالك طائفة من الوثائق المهمة موجودة لدى (رسوخي بيقرا) نفسه ، ويوجد كذلك كثير من المستندات التي جمعت من أجل هذه المهمة من أرشيف رئاسة مجلس الوزراء ، فإن هذه وتلك لم يتسن لها أن تقدم معلومات ضافية شافية في هذا السبيل ، ومن ثم لم يتيسر فهم وإدراك كثير من الحقائق . وإذا كنا لم نبحث عن تاريخ صغير لمدة بضعة أسابيع فإننا لم نستطع الكشف عن شدة الحساسية وسرعة الغضب والنزق ولسوف تكون كثير من النقاط سطحية غير جوهرية في هذا السبيل .

وفي خاتمة المطاف فعندما نفتح أعيننا على الدنيا في برهة من الزمان ، ولم نمزج آداب وأركان هذه الطريقة في هذه البوتقة فلسوف يصيبها البلى والفناء ، ولسوف تتعذر كتابتها من مجالات المعالم الرئيسية البارزة التي لا وجود لها ألبتة ، وحينئذ فإن تاريخ المولوية لن يضيع فحسب بل سيكون عرضة للنسيان . وقد صهرنا

هذا التقدير سالف الذكر فى هذه البوتقة ، بيد أننا نتنفس الصعداء بمجرد أن ولدنا ، فلقد تفتحت أعيننا على وجوه المولوية وألقينا مسامعنا إلى أنغامها ونواميسها وطقوسها وشعائرها ، فآمنا وأذعنا وأقتنعنا ، وشاهدنا واستغرقنا وأحسسنا ، وأدركتنا سورة الحُميا وبكينا وأبكينا . وفى خاتمة المطاف أزال الزمان غشاوة السديم التى رانت على أعيننا ، ثم ألقى بنا فى مضمار التفكير . ووجدنا أنه من الممكن أن نجد سبيلاً لنقد عقائدنا بالفعل ، وتحليل مشاعرنا بالحقيقة الواقعة . ولهذا السبب فقد تمخضت دراستنا فى هذه الكتابات عن نتائج محايدة غير منحازة . وحُمادى القول فى هذا أن ثمة قسماً من هذا الكتاب يعتمد على التاريخ ، وآخر يعتمد على مشاهداتنا وما رأيناه رأى العين . ومن الممكن أن يرد بعض التكرار فى موضوع واحد لم يدرس ولم يتمحص بالقدر الكافى ، وقد استعنا بتقديم المناقب وإيراد رواية الوقائع والأحداث والنوادر بغية تجلية بعض الخصائص والخلال . وفى رأينا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ، فقد وردت فى بعض الأحيان عبارات لم تزل فى حال من اليبوسة والجفاف . ومن ثم فإن وجه المعرفة والعلم المتجهم العبوس كان يبدو للقارئ على شاكلة جبة رسمية مسودة ، وليس ثمة حاجة إلى التفوه بهذا ونحسب أن عذرنا مقبول . ورغم كل هذا فقد أفرغنا وسعنا وبذلنا طوقنا فى استخدام أُسلوب جذّاب يشد الانتباه غير ممض للقارئ أو معنت له ولا أعلم أحالفنا التوفيق والنجاح فى هذا السبيل أم لا ؟

لسوف يرى القارئ أننا اتخذنا لأنفسنا شعاراً فحواه : عدم الانفصام عن الحياة ألبتة وعدم الانحياز والإحجام عن الأحكام الجازمة القاطعة ، وتمحيص المعلومات التى نقدمها وتدعيمها بالوثائق والحجج الدامغة وتقديم الوقائع والأحداث بأسبابها التى جلبتها وأحدثتها وتجلية النتائج التى تمخضت عنها ، كما أمطنا اللثام عن تطور الطريقة المولوية وتأسيسها وتفسخها وتقوض أركانها وأواصر علاقاتها ، والفروق الجوهرية التى أبرزتها وميزتها بسبب مشاعر ومفاهيم أولئك الذين اقتدوا طريقها واتبعوا سبيلها . كما استقصينا وتعقبنا كل ذلك على مر التاريخ ؛ فلم يكن كتابنا هذا ترجمة ذاتية فحسب ، بل كان من ناحية أخرى حشداً متراكباً من الوثائق والأسانيد .

ونحن نقدم كذلك الصفحات التى خلت منذ تأسست هذه الطريقة مدعومة بالتاريخ ، ونقدم هذا التاريخ بكلمة واحدة كذلك إلى أهل التصوف والتاريخ وإلى الشغوفين المولعين ، مستعينين فى ذلك بالوثائق التى اقتبسناها من التاريخ . ونحن مدينون بالفضل والعرفان إبان تدبيجنا لهذا الكتاب إلى كل من مد لنا يد العون ولا سيما إلى دار نشر (انقلاب) التى اضطلعت بطبع هذا الكتاب باذلة تضحية كبرى فى هذا السبيل .

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نفدت فى غضون فترة وجيزة الطبعة الأولى من هذا الكتاب التى طبعت سنة ١٩٥٣ واحتفظ هذا الكتاب الوحيد بميزاته وخصائصه .

ولما هممنا بإعداد الطبعة الثانية منه اضطلعنا بإضافة طائفة من الإضافات أثناء تصحيح بعض الهنات والأخطاء الطفيفة التى غفلنا عن ذكرها فى الطبعة الأولى . وقد أضفنا إلى البحث المعنون بعنوان (نماذج من الأدب المولوى) بعض الأشعار المولوية التى لم تنشر قط حتى الوقت الراهن والتى ظلت مطوية مطمورة فى صحائف المخطوطات . وها نحن أولاء نقدم بعد ثلاثين عامًا الطبعة الثانية من كتاب (المولوية بعد مولانا) والتى تحيى الهوية التاريخية للطريقة المولوية .

ونزجى تكرار شكرنا ثانية إلى مكتبة (انقلاب وآقا) التى اضطلعت بطبع هذا الأثر النفيس بنفس التضحية والفداء .

توطئة

لا جرم أن السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الميلادى كانت بمثابة نكبة شديدة الوطأة فى منطقة الأناضول ، فقد تفسخت الحضارة السلجوقية وتقوضت أركانها ، وهوى سمط الاتحاد المركزى وانفرط عقده ، وانقض العمران وبات خرابا يبابا ، ودكت معالم الوجود الذى أقيم بنيانه على مر الأحقاب والدهور ، حدث كل هذا فى غضون هذه الأعوام . إنها بنية واهنة العزيمة خائرة القوى صارت عباديد أباديد مترديّة فى اضمحلال . إنه جسد واهن فى سقم وإعياء ، يموج فى هجرة وترحال . هذا وقد أوجزنا القول فى كتابنا الموسوم باسم (مولانا جلال الدين) حيث عرضنا فيه لوصف الحالة الفكرية والسياسية لتلك الحقبة من الزمان ، ولقد جاء هذا الوصف كاملا غير منقوص فى هذا الكتاب الملمح إليه آنفا ، ولسوف يكتمل بصدور كتاب آخر .

وعندما هممنا بتدبيج كتابنا الثانى وجدنا أنفسنا مضطرين اضطراراً إلى الإسهاب فى شرح هذا القرن بعينه وتجليته وإماطة اللثام عنه ، ثم الارتداد أخيراً نحو الماضى الغابر بغية استبانة الوقائع وتجلية الأحداث لسنوات البأس والشدة عندما أدركت المنية مولانا جلال الدين الرومى واعتلى غياث الدين كيخسرو الثالث سرير العرش ، وكان نائب السلطنة آنذاك (أمين الدين ميكائيل) الذى كان خراسانى النجر والأرومة ، وكان مولانا يخاطبه (ابن البلد ورفيق الوطن) ، وأنت الأمير « تاج الدين معتز » كما حببه مولانا فى نفوس الخلائق ، وقد كان هذا الأمير شديد الولوع للأريجية وحب الخيرات والحسنات . وكان كل من مجد الدين أتابكاك وجلال الدين محمود مستوفيلك وشرف الدين بن خاطر بيليربيك يحتفظون جميعًا بوظائفهم التى تقلدوها ، وكان الوزير آنذاك هو (صاحب آقا فخر الدين) ، ثم خلفه كذلك (معين الدين بروانه) . وكانت المملكة تنعم فى تلك الآونة بقدر من السكينة

والهدوء النسبى ويعتقد أن الناس كانوا ينعمون كذلك ببعض الطمأنينة والدعة وراحة البال .

فى سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧ ميلادية) شرع كل من معين الدين بروانه وصاحبه فخر الدين فى الخروج إلى رحلة قاصدين خطبة خاتون ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع إلى الحاكم الأيلخانى آباقا وإحضارها إليه ، وهذا يعنى أن ابنة السلطان المسلمة ستكون عروسا للحاكم المغولى عابد الأوثان ، وشاعت الشوائع بين الخلائق ، وشب نزاع وجدل شديد فى المملكة بين المتعصبين والمناوئين ، وكان نزاعا محتدما مترقبا بين عشية وضحاها .

من أجل هذا فقد ظلت أعين الذاهبين ثاوية خلف الصفوف ، وكانوا يذهبون فى تؤدة وأناة ، إذ إن عدم جلب العروس المطلوبة سوف يكلفهم أرواحهم ، ومن ثم فإنهم عانوا عناء شديداً فى شق طريقهم مجرجرين أقدامهم وكأنهم مذنبون آثمون .

ولقد كان هؤلاء الأمراء محقين فى ترددهم . وفى الحق فإن واحدا من رجالات تاج الدين معتز ويدعى « شمس الدين كبجه لى » قد ترك أشغال الحكومة ووظائفها وانخرط فى طريق التصوف وأقنع كذلك « بيلريكى خاطر أوغلو » بسلوك هذا الطريق ، وعقد هذا الأمير العزم على محو الكفر واستئصال شأفته بغية إحياء الإسلام والنهوض به ، ثم اضطلع من ناحية أُخرى بإرسال أخيه « زين الدين » إلى الشام من أجل طلب العون والمساعدة من حاكم مصر الملك بيبرس (ت ٦٧٦هـ = ١٢٧٧ م) ، والذى كان عدوا لدودا للمغول .

وقبل أيام قلائل من هذه الواقعة كان زين الدين فى معية جلال الدين خوارزمشاه الذى ولى وجهه شطر الأناضول وخلف « بيجاور بهادر » حاكمًا على منطقة خوارزم بعد أن أوقع بجيشها هزيمة نكراء ، ثم أردف قائلاً : لأذهبن إلى هنالك ولآخذن الجزية السنوية من ديار بكر ، ثم انطلق بمعية جنده واتجه من هنالك موليا وجهه شطر بلاد الشام . وكان هناك ثلاثة أمراء وفى معيتهم طائفة من الأبطال قد اتبعوا سبيل خاطر أغلوا واقتدوا به . واستمد قوته وبأسه من هؤلاء ، وتيقن خاطر

أوغلو من المساعدة التى ستأتيه من الشام ومن ثم أخذ جنده فى معيته واحتمى بأطراف منطقة « نياده » ثم شن غارة على طائفة من جند المغول بلغ عددهم مائتين وأعمل فيهم السيف والتنكيل ، وبعد قليل دخل الأناضول بجند من الشام يقدر بستة آلاف .

وجاء السفراء ليخبروا عن حملة الملك الظاهر بيبرس ، وما لبث خاطر أوغلو أن بعث الأمراء إلى كل حدب وصوب بغية جمع المال والطعام والشراب وسائر الضرورات الأخرى لإطعام وإشباع هذا الجيش الذى جرد حملته لتخليص الإسلام من الكفر .

ولما أدرك كل من « بروانة صاحب وآتا فخر الدين » أن الأمر جلل والخطب عظيم توجها من فورهما إلى المغول وقصا عليهم ما آلت إليه الأحوال وعندما هم « خاطر أوغلو » بإرسال رسائل الفتوحات إلى كل مكان دون أن يستحوذ فى يده على شىء قط ، قام المغول بشن حملة وانسحب جند الشام مولين الأدبار إلى وطنهم . وأمسكوا شمس الدين كنجة بى وقتلوه .

أما خاطر أوغلو فقد لاذ بقلعة لولوفا Lolova الكائنة بين منطقتى أدنة ونيادة ، بيد أن محافظ القلعة خشى من المغول وسلم القلعة إليهم ، وعلم إبان المحاكمة بأسماء سائر المشاركين فى هذه الحركة ، ثم قتل خاطر أوغلو ، وأخذت أموالهم على سبيل السلب والغنيمة .

ثم اشتعلت الثورة فى نفوس الخلائق فى سبيل الدين وذيادا عن حوزته باسم الشرف والعزة والكرامة ، ومن ثم فقد أعلنوا التمرد وشق عصا الطاعة . ثم بدأ أهل قره مان الناصرون والمشايعون لخاطر أوغلوا فأصروا على منع المال وحجب الضريبة التى يؤدونها للمغول . وسحب قائد الجيش « ختنلى بدر الدين » على الفور الجند المرسلين إلى المناطق العليا ، وقبلوا بدفع مائة ألف دينار إلى الخزانة ، وطلب قائد الجيش ما هو أكثر من هذا بيد أن الجيش لا طاقة له بأكثر من هذا ، بيد أن القره مانين المتبرمين من أرواحهم شنوا هجمة شرسة على المغول وأوقعوا بهم

الهزيمة ، واستولوا على أمتعة الجيش ومؤنه وعتاده ، وفى ذلك الإبان اتحد أتراك المناطق العليا مع القره مانيين ونهبوا قافلة للإفرنج ، أما أمير السواحل « خواجه يونس » الذى ذهب إلى المناطق العليا فإنه لم يرض بدوره عن حالة التفسخ والانهيار ، فما كان منه إلا أن طلب من القره ما نيين مزيدا من المال والعتاد مثلما فعل بدر الدين ، وبناء عليه فإن القره مانيين الذين دخلوا الحرب وفى معيتهم أمراء المناطق العليا قد أوقعوا الهزيمة بخواجة يونس واستولوا على معدات وأمتعة الجيش بأسرها .

وفى ربيع سنة ٦٧٦ هـ = ١٢٧٨ م دخل الملك الظافر بيبرس الأناضول بجيش عرمرم جرار وأوقع بجيش المغول هزيمة نكراء . واتجه معين الدين صوب قيصرى ، ثم ولى هارباً من هنالك إلى طوقات . ومكث بيبرس عشرة أيام فى قيصرى ، ولكن الموقف كان خطيراً ولا سبيل إلى العثور على المؤن والعتاد . ثم أقبل معين الدين فى معية الأمراء الآخرين ولم يعتبروا هذه الغارة شيئا عابرا مؤقتا ما يلبث أن يزول ، وتعايشوا مع المغول وعاشروهم ، ووجدوا منفعتهم ، وجاءوا من الأناضول حتى لا يسقطوا فى يد الغربة ، ومن ثم لم يعودوا تابعين للسلطان بيبرس ، بيد أن الأخير انكفأ راجعا إلى وطنه وهو يقرع سن الندم على مجيئه هاهنا .

وإذا كان « آباقة » قد جاء فى ذلك الإبان بغية التنكيل بأهل الشام فإنه مكث حينا فى أرزينجان ثم انفلت راجعًا منها ، بيد أنه لم يحط علما بمجيء بيبرس ، ثم حضر فى معية معين الدين بروانة وقتله فى منطقة « آلادغ » ولكن هذه الأحداث الأخيرة قد خلفت تأثيرا عميقا فى نفوس وجهاء القوم وكبرائهم ، ومن ثم فإن مجد الدين أتابك قد أصابه المرض عند قفوله عائداً ماراً بآباقا ، وقضى نحبه فى سيواس .

أما تاج الدين معتز فقد توجه تلقاء أرزينجان فى معية آباقا ، وهنالك قدم الأموال التى طلبها كل من آباقا وأمراء المغول ، وبذل جهده لتلبية الضرورات العاجلة للجند المحاربين ، ثم وافته المنية عقب ذلك . فى تلك الآونة ماتت زمرة كبيرة من علماء الدولة من ذوى التجلة والتوقير ، ومن هؤلاء : قاضى عسكر حسام الدين وبعض العلماء الذين هاجروا من أوطانهم وتخلوا عن مناصبهم لاذوا لاجئين بدولة الشام . فى أثناء ذلك العام نفسه فإن مولانا – كما شرحنا أنفا – قد اضطهد عصيان

وتمرد جمرى Cimni الذى كان قد روع وفزع منطقة وسط الأناضول ، وكان هنالك من يدعى « قيزيل حامد » وهو من جُباة الضرائب الذى أعمل التحريق والتدمير فى منطقة آق سراى .

حينئذ خرج الناس كلهم أجمعون من التجار وأرباب الحرف والبدالين وانثالوا جماعات حتى يتسنى لهم الوقوف فى وجه جحافل الجيش المغولى ، وقتل جلال الدين نفسه فى حومة هذه الحرب المستعرة ، ونجم عن هذا أن المغول أعملوا السيف فى فريق من الخلائق غير المذنبين وأسروا فريقا آخر ، وسلبت الأموال الزائدة عن حاجة قيزيل حامد فى هذه المدينة . وفى سنة ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م جلس غياث الدين مسعود وولده عز الدين كيكاوس على عرش منطقة قيرمة « وولى وجهه صوب أرزينجان وأعلن الطاعة لأباقا ، ثم ذهب إلى مدينة قونية وأصبح سلطانا عليها . وبعد وفاة أباقا عام ١٢٨٨ م حل سلطان آخر محله .

واتفق كل من غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان الرابع مع غياب الدين مسعود على تقسيم الدولة إلى قسمين اثنين حيث استمرت السلطنة على هذا النحو ، بيد أن غياث الدين كيخسرو لم يكن راضيا عن هذا التقسيم ، ومن ثم بدأ مسعود اعتلاء سرير السلطنة منفردا قائما برأسه . ومن ناحية أخرى ذهب نائب السلطنة معتز أو غلو مجير الدين محمد إلى منطقة سلطانية واكتسب المحبة والصداقة باسم مسعود ، ثم قتل غياث كيخسرو وفى عام ٦٩٢ هـ = ١٢٨٣ م جاء أمراء المغول إلى أرزينجان وقضوا الشتاء فيها .

وكما لم يطلب صاحب آتا فخر الدين مساعدة الأمراء الآخرين لنفسه فإنه قد اضطر إلى أن يظل وحيدا من أجل إطعام هؤلاء جميعا ، حتى أصبح صفر اليدين خاوى الوفاض ، ولم يبق لديه مثقال حبة من ملك أو مال جمعه مدة خمسين عاما ، وأنتم أيها الأمراء لماذا صنعتم هذه الفرمانات ؟ وماذا كنتم تعنون بها ؟ لقد جاءت جميعها باسمه ، وقالوا : فليقاس هو ألم الجند ثم أضافوا قائلين : من يأكل وحيدا يتقيأ وحيدا .

وفى عام ٦٨٥ هـ = ١٢٨٦ م جاء الأمير « كيجاتو » إلى سيواس ، ثم وصل من هنالك إلى مدينة منطقة آق سراى عن طريق قيصرى . وفى تلك السنة عم الشتاء القارس وأحاط بالبلاد من كل جانب ومن ثم فإن طائفة من المدينين[١] قد جمعوا متاعهم وتوزعوا أشتاتا متفرقين فى الوديان وشعاب الجبال ، ثم ووقع كيجاتو ثانية فى حرب مع صاحب فخر الدين لتغذية الجيش ، بيد أن المغول لم يكونوا فى هذه المرة ظالمين ، وبدأوا عمليات البيع والشراء مع البقية الباقية فى المدينة . ولما سمع أهل قيصرى ذلك انكفئوا إلى المدينة راجعين ، وغدا عملهم بعد ذلك هو البيع والشراء .

وفى العام عينه جاء مجير الدين محمد إلى سلطانية وعمل وزيرا لفخر الدين قزوينى ، وبهذه الطريقة تخلص من صاحب فخر الدين الذى لم يطق تحمله كثيرا . ومن المعلوم أن أراضى فخر الدين وضياعه كانت على مقربة من آق شهر ، فهاجر مرتحلا إلى قرية « نادر » Nedir حتى وافته المنية فيها سنة ٦٨٧ هـ = ١٢٥٨ م .

ولما توجب أن يكون فخر الدين هذا متبوعا فإنه لم يعين من قبل السلطان مسعود ، وعليه فقد كان الوزير الجديد فخر الدين قزوينى معينا من قبل المغول ، وكم كان هذا الوزير جاهلا إلى حد بعيد ، وكم كان كذلك متعسفا ظلوما ومن ثم فإنه مضى قدمًا فى طلب المال وتحصيل الضرائب وقال لأحد شعراء هذا العصر : أنا فخر الدين قد أتيت وأصبحت وزيرا مقدسا بعد صاحب فخر الدين ولقد تذكرت هذه الحكمة فى هذا الاحتفال عندما أصبحت وزيرا وتقول هذه الحكمة « الخلف يترحم على السلف ، واستكتب الشاعر قطعة أخرى[٢] .

كان كل من السلطان مسعود ووزرائه ألعوبة فى يد المغول ، ولكنهم لم يتلاعبوا بالشعب ، وقد فسدت العلاقة آنذاك بين الوزير القزوينى ونائبه مجير الدين ، وأوجد المغول وزارة مشتركة مثلما أوجدوا سلطنة مشتركة ، فاختص القزوينى بالقسم الممتد من قيصرى حتى الولايات الواقعة فى الأطراف العليا ، واختص مجير الدين كذلك بالجزء الممتد من ولاية دانشمنديه حتى ولايات سيواس وطوقات والجزء الممتد من قسطمونى حتى سواحل سينوب .

أما الضرائب التى كانوا يجبونها من هنا وهنالك فلسوف يقدمونها إلى المغول الذين سوف يساءلون أمامهم . وندرك مليا أن هذا كان سببا فى عدم القدرة على جمع الضرائب وجبايتها فى هذا التقسيم سالف الذكر وجدير بالذكر أن حكم هذين الوزيرين قد استمر فى تلك الولايات عامين اثنين . هذا وقد نعم الجزء الذى يخص مجير الدين بنصيب من الهدوء النسبى ، أما القزوينى فحيثما وطئت قدمه موضعا فإنه يحل مع قدومه الظلم والهلاك .

وفى خاتمة المطاف استدعى كلا الحاكمين ومثلا أمام المغول ، ثم أرسل بهما بعد المحاكمة إلى منطقة «آلاذغ» حيث قتل القزوينى ونجى مجير الدين وذلك فى عام ٦٨٩ هـ = ١٢٩٠ م . وفى غضون حين من الزمان تمرد أركون وشق عصا الطاعة ضد السلطان أحمد إبان عام ٦٨١ هـ = ١٢٠١٢ م ، وحينئذ مات « صاحب الديوان » الذى كان يحمى منطقة الأناضول ، وهذا يعنى أن وزير المغول علاء الدين جوينى قد لقى حتفه فى عام ٦٨٢ هـ = ١٢٨٣ م ، ثم مالبث « سعد الدين دوله » الذى اشتهر بالتعسف والجور والظلم أن ترقى إلى رتبة صاحب الديوان فى سنة ٦٩٠هـ - ١٢٩١ م وقتل كذلك فى نفس العام ، كما مات أركون كذلك وخلفه « قايكوتى » حيث أصبح سلطانا .

وفى عام ٦٩٢ هـ = ١٢٩٢ تحرك « قايكوت » صوب الأناضول ، وفى ذلك الإبان كان ركن الدين قيلج أرسلان بن غياث الدين كيخسرو الثالث وأخو السلطان مسعود ذا رغبة عارمة فى أن يحط جاثما فوق إحدى المداخن الخربة المتحطمة ، وتوجه تلقاء قسطمونى حيث خدعته العشائر الموجودة هنالك وشقت عليه عصا الطاعة ، وحينئذ أمر كيجوتو كلا من السلطانين مسعود ومجير الدين بأن يعملا سويا على سحق هذا التمرد والقضاء عليه قضاء مبرما ، وأرسل فى معيتهم جيشا مغوليا ليشارك فى هذا الهجوم ، بيد أن الدائرة دارت على المغول فى أول الأمر ، ووقع السلطان مسعود ومن فى معيته من الأمراء فى الأسر ، ولكن طائفة أخرى من جند المغول قد تعقبتهم وجاءت فى إثرهم وأنقذت السلطان والأمراء من الأسر وأوقعت بالمتمردين العصاة هزيمة منكرة .

وفي سنة ٦٩٥ هـ = ١٢٩٥ م توفي كيجوتو وحل محله عصر « بايدون » حيث فرق الأناضول وشتت شمله ، وكانت كل الوظائف في يد المغول يعينون فيها من يشاءون . ومن جهة أخرى فقد أرسل سفراء المغول رغبة فى طلب المال ، بيد أن الأمراء كانوا ذوى حمية وغيرة فاستحوذوا على خزينة الدخل وجعلوها تحت أيديهم ، وتمخض عن هذا أن هدمت المساجد وانمحقت المشاعر الدينية للخلائق . وفي العام نفسه كانت نزعة الإسلام القوية للسلطان غازان محمود تبعث الأمل البهيج فى نفوس الخلائق ، وفي هذه المرة تمرد أحد الأمراء المغول ويدعى « تاكاجار » أما المدعو « عرب نويان بن سماقان نويان » فتوجه إلى طوقات التى كانت عاصمة دانشمنديه ، ورغم أن « فومودان بالطو » تغلب عليه وقتله إلا أنه هو نفسه شرع فى عدم معرفة هذه العاصمة ، واستدعاه مع السفراء إلى سلطانيه ومنعه من الذهاب إلى السلطان مسعود ..

وفي عام ٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م أرسل غازان خان جيشا جرارا واستأصل شأفة هذا العصيان وأحضر السلطان مسعوداً كذلك إلى همدان واحتجزه مقبوضا عليه منها ثم عين المغول محمد بك بن معين الدين بروانه واليا على الأناضول ، ومنحوا الرتب والوظائف الأخرى لمن يريدون ، بيد أن كل هؤلاء المعينين كانوا يجبون الضرائب بشق الأنفس من الخلائق ويأمرون بإرسالها ، ولهذا السبب كان الناس فى حالة من التعب والمشقة والضيق ممحوقين مضمحلين ، وكان لزاما على السلطان مسعود المكوث فى الأناضول بغية الإقامة والثواء فى همدان ، وفي ذلك الإبان عُرف علاء الدين كيكباد بن فرامارز بن عز الدين كيكاوس سلطانا على البلاد من عام ٦٩٨ هـ = ١٢٩٨ م ومالبث أمير جوبان قائد جيش المغول فى تلك الحقبة أن جرد حملة عسكرية كبرى بسبب التمرد الذى شب من جديد ، ومن ثم فإنه توجه تلقاء الأناضول ، أما علاء الدين فكان وجلا من القضاة المتمردين فشق طريقه قاصدا سلطانية ، وقابل فى الطريق غازان محمود خان الذى كان متوجها لشن حرب على بلاد الشام ، بيد أن غازان محمود خان ظن أن علاء الدين قادم بغية مساعدته ومظاهرته فغشيه الحبور والسرور ، وعليه فقد منحه الأراضى الممتدة من أرضروم حتى آنطاليا ، ومن تخوم دياربكر حتى سواحل سينوب ، وزوجه فتاة من نسل

حاكم المغول ، وازداد تدلل علاء الدين من هذا التلطف والكرم ، وعندما توجه صوب دياربكر بدأ من فوره فى سلب ونهب القرى والمدن التى جابهته فى الطريق ثم ذهب إلى أنطاليا وأراد الاستحواذ عليها ، بيد أن التوفيق خذله ولم يحالفه ، وجعل يضيق الخناق على الأثرياء المترفين فى كل موضع تطؤه قدماه إبان قفوله عائدا ناكصا على عقبيه ، ثم استعمل معهم صنوف العنت والتعذيب بغية استحراج أموالهم كرها ، حتى أنه أوسع أثرياء النصارى ضربا فى أحد الميادين لمناهضته ومعارضته الحكام المسلمين ، ولم يكتف بذلك بل هم بتحريقه فما كان من هذا المسكين إلا أن بذل كل ماله وأنقذ روحه من التهلكة .

وفى مدينة سيواس وفى اليوم السابع والعشرين من رمضان كان يعمد إلى ترقيص الخيل والمبارزة بالعصى حتى وقت العصر ، كما كان يأكل الطعام ويشرب فى وقت العصر على أعين الناس أجمعين .

وقد أدرك الأمراء أنه لا طاقة لهم بفعل شىء ضد هذا الحاكم اللعبة المتدلل فشكوه إلى « أبو شقة » الوالى العام لمنطقة الأناضول فاستدعاه ونقله إلى سهل « بياتلو » حيث أكره الناس على بذل أموالهم ، فضلاً عن الآلات المصنوعة من الذهب المصمت والتى تكفى خمسة آلاف من الحيوانات ، ويأتى ضمن هذه الأموال المغتصبة بذلك ما يعرف بالمذيلة (٢) أو الكفل ، وإذا كان الحيوان واحدا فله عقد ذهبى زنة ألف ومائتى مثقالٍ ، ثم أرسل علاء الدين إلى سلطانية ، وحوكم هنالك وكان على وشك القتل إلا أن زوجه تشفعت له فأنقذ من الموت وجلد فى ميدان عام ، وألقى السلطان المجلود الروع فى نفوس الناس . وكان الأمراء يريدون جمع المال من الأمة حتى يملأوا عين المغول ويشبعوا أهل الجشع والطمع الذين لا يملأ أعينهم إلا التراب وبينما هم يجبون الضرائب شح المطر وأجدبت البلاد ولم يبق ما يؤكل من عشب أو كلأ فى منطقة قونية وما يجاورها وهناك تمرد وعصيان وقتال ونزاع ومصادرة أموال وضرائب باهظة ، وموت وهلاك وكان عاقبة هذا القحط والجدب أن أصبح الناس فى حال من العدم والهلاك ، حتى بلغ الحال بأهل آق سراى أن أكلوا لحوم الموتى وامتلأت الآبار بعظامهم ، وسفكت دماء الخلائق أجمعين بسبب وباء القحط ، أما

جريرة ظلم رجالات الحكم فقد أهلكت السلطنة العظيمة وقوضت أركانها ، وقد نظم بيت من الشعر يشير فى الأعم والأغلب إلى المقتول من جراء المخمصة المهلكة التى أصابت الخلائق (٤) .

وفى سنة ٧٠٣ هـ = ١٣٠٣ م أصبح غيات الدين مسعود سلطانا ، وأدركت المنية غازان محمد خان فى العام الذى تلاه ، واعتلى سرير العرش بعده أولجاى تو محمد خدابنده لقد تفسخت السلطة الموطدة وتقوض بنيانها ، بيد أن شوكة الإيلخانيين القوية قد دالت ، وبات من العسير إدخال الأناضول فى دائرة إدارة منظمة شديدة الأسر ، ولم تنفد بعد غارات العصاة المتمردين المتعاقبة في إثر بعضها البعض ، أما أرينجين نويان فلم يغادر ظلما لم يفعل مثله قبل فى الأناضول ، حيث قدم إليها بجيش مغولى ، وكان هناك شخص يدعى إلياس قد لاذ بإحدى نزل الضيافة بمنطقة « عالية » الكائنة فى طريق آق سراى .

ومن ثم فإن أرينجين نويان قد هدم هذا النزل بسبب تمرد إلياس وشقه عصا الطاعة ، وبعد آثما كل من يضطلع بإعادة تعمير هذا النزل ، وكان من عادة أرينحين إعمال السيف فى رقاب أهل آق سراى جميعا .

وأقدم على ضرب الشيخ جمال الدين خواجة خاموش الذى بلغ عمره مائة عام ، وجرد أتباعه ومريديه من كل ما جمعوه من ثروة ومتاع . وفر أرينحين نويان هربا من القره ماينين ، وأنقذ من الهلاك فى إحدى نزل الضياقة بمنطقة عالية والتجأ لأندا بقلعة « أيوب حصار » منقذا روحه من التهلكة ، ولكن من يدعى « ممرشن » قد أمسك به وقتله .

ونهبت أمواله وممتلكاته ، واضطر أحد رجالاته ممن أوغلوا فى التعذيب والاضطهاد إلى الإفضاء بسر ثروته وماله . أما أهل الأناضول الذين لا قبل لهم بالعثور على عشب يأكلونه فقد وجدوا أن هذا الأمير صاحب الخيرات قد إستطاع حمل أمواله فوق بغلين اثنين ، وتحدث هذا الأمير مع سلطان ولد ، وكان أفلاكى يرى أن هذا الأمير الظلوم مسلم ، وقد عمد إلى سلب مدينة نيكسارى برمتها ، وإذا

منطقة الأناضول ، بيد أنه تشاجر مدة من الزمان مع ارينحين نويان الذى لم يكن يعرف النفوذ أو السلطة ، ولكن تيمور طاش قد استأصل شأفته وقضى عليه ، وبدأ يحكم بالعدل المطلق فى الأناضول ، بيد أن هذه العدالة قد اصطبغت بالتعصب الشديد والغلظة والفظاظة ، ومنعت الخمر وأصبح ذكر اسمها جريرة كبرى ، وأمر اليهود والنصارى بارتداء ثياب ذات لون مختلف تميزهم عن المسلمين ، ويروى أن السلاجقة المنتسبين إلى سلالة الحاكم هم الذين استأصلوا شأفة هذا الإنسان العادل وقضوا عليه وفى سنة ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م فتح هذا الأمير المتعصب مدينة قونية ولما بدأ فى عدم الإنصات إلى الحكم المركزى تحرك الأمير جوبان سنة ٧٢٢ هـ = ١٣٢٢ م مرة ثانية وتوجه تلقاء الأناضول ، ثم عاد إلى العاصمة في معية ولده تيمور طاش وهو مطاطئ الرأس منفذ للأمر . وعفا الإيلخانيون عن تيمور طاش وأرسل مرة ثانية إلى الأناضول وعند مجيئه الثانى بدأت الأمور فى الأناضول تدار كلية باسمه حتى إن اسم تيمور طاش كان يذكر فى الخطب المنبرية ، وضربت العملة باسمه واعتبر نفسه المهدى المنتظر ، كما تدخل تيمور طاش فى العلاقة بين المصريين من ناحية وأعدائهم الروحيين من سائر المغول والإيلخانيين من ناحية أخرى ، وكان هو وأبوه منتسبين إلى سلالة الإيلخانيين ، وقد قتل هؤلاء الإيلخانيون الأمير جوبان ، وعليه فقد ترك الأناضول فى معية واحد من سلالة « نويانلر » ويدعى علاء الدين ارتان ، ثم لاذ بمصر لاجئا إليها وقتل فيها ، وقد انفرط عقد الإيلخانيين وفت فى عضدهم إبان زمن سلطنة أبى سعيد بها درخان ، وبدأت طائفة من الأفراد فى إدارة دفة الحكم فى دولتهم بأسمائهم ، ولهذا السبب اتجهت الدولة نحو التقوض والانهيار ، وما لبث الجيش الذى أنفذوه إلى الأناضول أن فقد قوته ووهنت عزائمه تماما .

وهكذا ظهرت فى الأناضول إمارات صغيرة وكبيرة مستقرة موطدة الأركان محررة من الغزو المغولى ، ومن بين الإمارات إمارتا برونة أوغوللر وصاحب أنا أغوللر اللتان ظهرتا فى إحدى المدن ، وبدوا وكأنهما يحكمان على شاكلة الأمراء الإقطاعيين أصحاب الحكم المستبد المطلق كما وجدت ولايات أخرى حاكمة فى هذه المنطقة أمثال : أزمير أوغوللر ، آيدين أو غللر سرخون أوغللر ، منتشن أوغوللر ، تكه أوغوللر ، أشرف أوغوللر ، حامدا وغوللر ، كرميان أوغوللر وأمراء لادك ، جاندار أوغوللر ،

ذو القادر أوغوللر ، رمضان أوغللر ، قره سى أوغوللر ، قره سى أوغللر ، كما اضطلعت أهم ولاية من هؤلاء جميعا بالاستحواذ على مكان السلاجقة ، وهذه الولاية هى عثمان أوغوللر التى جعلت تناضل وتكافح حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

كما ظهرت كذلك إمارة قره مان أوغلو التى حازت أهمية كبرى وبلغت شأوا عظيما من الناحية التاريخية ، وثمة ولايات أخرى سلف ذكرها وانتشرت وذاع صيتها إبان انتشار وذيوع صيت المولوية ، ومنها - باستثناء قره مان أوغوللر - إمارات آيدين أوغوللر ، صاحب أوغوللر ، أشرف أوغوللر ، كرميان أوغللر ، وإمارات لاديك ومنتش أوغوللر ، وكانت هذه الإمارات جميعا تتقاتل مع بعضها البعض تارة ، أو تدخل فى حروب مع عثمان أوغللر تارة أخرى ، حتى أصبح من بينهم من يبيعون المدن إلى العثمانيين . كما حدث تزاوج ومصاهرة بينهم وبين العثمانيين ، بيد أن العثمانيين فى نهاية الأمر قد استأصلوا شأفتهم وقضوا عليهم جميعًا واحدة تلو أخرى .

وبعد أن أوجزنا هذا التاريخ ، يتسنى لنا البدء فى سرد وشرح تأسيس الطريقة المولوية وانتشارها وذيوع صيتها ، هكذا كانت الدولة ، وهذا ما آل إليه شأن الشعب ، فثمة جمهرة غفيرة محرومة من الترف المادى وبُحبوحة العيش فآثروا النشوة والانجذاب الروحى فى لجة عالم معنوى ينعم بالدعة وطمأنينة البال .

كانت هنالك ظروف مواتية لانتشار التصوف ، كما أن البيئة ولا جرم لم تكن غريبة عن هذا التيار الصوفى ، وقد وجدت القلندرية فى الأناضول قبيل ظهور مولانا جلال الدين الرومى وعرفت فى سائر أرجاء الأناضول ، وكانت خواجة مبارك حيدرى يحب مولانا حبا جما ويجلى عشقه هذا ولا يداجيه .

وقد كان هذا الشخص فيما بعد خليفة لقطب الدين حيدرى مؤسس الطريقة (ت ٦١٨ هـ = ١٢٢١ م) - وكان يعيش فى قونية(٥).

وكان ثمة بقية باقية من البابية التى اضطلعت بالتنكيل بثورة العصيان الشعبى التى ثبت آنذاك ومن بين أولئك الذين اتبعوا سبيل أكابر المتصوفة الذين نشئوا فى ذلك الإبان بابًا صلتوق الذى توفى قبل عام ١٣٠٠ م ، والشاعر التركى العظيم

يونس أمـره ١٣٢٠ ، والشـيخ بـابا طابدوق ، وباراق بابا (توفـى ١٣٠٧ م) والذى كان خليفة لصارى صـالتـوق . وثمة زمرة أخرى تسمت بأسـمـاء صـالتوق وباراق ممن اجـتـمـعوا والتـفـوا حـول هـؤلاء المشـايخ ذوى السـطوة والنـفـوذ [٦] . وأعـقـب هؤلاء جـمـيـعًـا : بابا بكتـاش (ت ٦٦٩ هـ = ١٢٧١م) ، والذى يعد بمثـابة الممـثل لسائر الطرق الشيعية الباطنية التى أسست باسمه فيما بعد - وقد التف حوله خلق كثير [٧] .

وقد عرف دراويش الشيخ أحمد الرفاعى فى الأناضول فى ذلك الإبان ، كما وفد إلى قونية كذلك سيدى تاج الدين الرفاعى إبان عصر مولانا ، وكان لهؤلاء الدراويش ألعاب بالنار والثعابين يشاهدها أهل قونية .

حتى أن زوج مولانا كانت تريد رؤية هؤلاء الدراويش ، بيد أن مولانا كان لايأذن لهافى الذهاب ويرى أن ألعاب هؤلاء ضرب من العبث [٨] .

وكان لأرباب الفتوة انتشار عظيم الشأن فى شتى أرجاء الأناضول . وفضلا عـمـا كـان مـوجـوداً فى قـونيـة ، فـقـد وجـدت كـذلك تكيـة الكازرونى التى اضطلع بتشييدها السلطان محمد بن علاء الدين بك من نسل قره مان أوغوللر ، وكان هذا فى عام ٨٢١ هـ = ١٤١٨ م ، وقد ولد الكازرونى بمقاطعة كازرون بشيراز سنة ١٣٠٥م وأسس طريقة سنية مغالية تعتمد على المذهب الحنبلى .

ووجدت كذلك تكايا كثيرة تحمل أسماء هؤلاء المنتسبين إلى طريقة أبى إسحاق إبراهيم بن شهريار الكازرونى [٩] .

وكانت هناك أيضا الطريقة التى أسسها الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى (ت ١٢٤٠ م) والتى كانت بمثـابة أكبر منافس قـوى للمـولوية بين هـذه الطرق كلهـا وكان ربيبـة المحدث الصـوفى صـدر الدين قـونوى (ت ١٢٧٤ م) ممثـلا للطريقـة الأكبرية ، ومن أتباع هذه الطريقة الأمراء معين الدين بروانة وخاطر أوغلو مجد الدين أتابك ، وجلال الدين مستوفى . وتقول الوثائق التى فى حوزتنا إن ثمة زمرة كبيرة من

العلماء كانوا موجودين آنذاك حيث يجتمعون ويتدارسون علم الحديث على يد الشيخ صدر الدين ، وكان لهؤلاء العلماء سطوة نافذة فى ذلك الإبان[١٠] .

ولكن محيى الدين بن عربى كان مكافحا مناضلا ضد الوقائع والأحداث التى حدثت فى مستقبل الأيام ، وكان أشد قربا من حادثة ظهور المهدى المنتظر التى ظهرت سنة ٦١٣ هـ = ١٢١٦م ، كما كان يشاهد الأشياء التى لايراها الناس بأعينهم فى سنة ٦٦٦ هـ = ٢٦٨ م ، وظل يقول حتى سنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤م بنزول عيسى عليه السلام[١١] .

وبصفة خاصة ما ذكره صدر الله فى وصيته من هجرات أتباعه وحواريه إلى بلاد الشام[١٢] ، أما مريدوه فقد تفرقوا وتوزعوا ، وعلى هذا النحو كانت الأناضول كذلك مع محيى الدين وحيدة متفردة عن صدر الدين الذى خلف أسماء وكتبا صعبة عسيرة الفهم ، وإن الذين اضطلعوا اعتبارا من هذه اللحظة بتدوين المثنوى والديوان الأكبر لم يتناولوا أولئك الذين يزعمون تملك التصوف فحسب ، ولقد كان مولانا شغوفا بالشعر ، محبوبا من كل شخص .

ومن ثم فإنه بدأ يقرأ ويدرس وأصبح مرشحا منتخبا دائما للتجديد عن طريق الشروح التى اضطلع بها أشخاص من أرباب الإدراك والفطنة والرأى السديد ، هذا وقد ظلت الطريقة الكازرونية مستترة عندما وفدت إلى الأناضول مع الغزو المغولى .

ولم يكن مركزها الأناضول ، وكانت تناقض الجامعة السلجوقية بمبادئها الصارمة الشديدة ، ومن ثم فإنه لم يتسن لها الاستحواذ على البيئة المحيطة بها . أما مولانا فقد كان شاعرا ألمعيا أريبا وصاحب فكر ينزع نحو العشق والتسامح الإنسانى والعطف على الفلسفة المارقة عن الدين . كانت المولوية طريقة فتية شابة نشأت فى مضمار لم يعرف المنافسة قط ثم ما لبثت أن بدأت فى الانتشار والذيوع برجال أمثال منظمها ومنشئها سلطان ولد والو أشرف جلى ورجال آخرين متصفين بالغيرة والحماس وسورة الحميا ، ثم ظهرت الطريقة الأحمدية ثم أعقبتها طريقة وُسمت باسم الرفاعية واتصفت بالذيوع والانتشار فى الأناضول ، ثم ما لبثت أن قوى عودها واشتد أزرها على يد أرباب الفتوة حتى باتت ذراع الفتوة وساعدها القوى . وهكذا

فلم يـكن للمـولوية من منافس إبان تأسـيسـهـا وانتـشـارها سـوى طوائف الشـيـعـة الباطـنية ، بيد أن هذه الطوائف مـا لبثت هى الأخرى أن صـارت بمنـأى عن التوحد ولم الشمل وتنظيم الصـفوف . وفى تلك الحقبة عينها انبثقت المولوية مع هذه الطوائف ومن نفس المصدر والمنبع أى من الخراسانية .

وثمـة فرق جلى بين كلتا الطريقتين من ناحية المعرفة الصـوفية والروحية ، وليس ثمة فرق يذكر بينهما من ناحية الخلال والسجايا الخلقية ، ولزام علينا ألا ننسى فى هذا السبيل ما رأيناه بجلاء تام من السمات والخصائص الباطنية لدى كثير من أكابر المولوية بداءة من « أولو عارف جلبى » (١٢) .

وإذا ما عرضنا لأحوال أهل الفتوة ألفيناهم قد ائتلفوا والتحموا فى نسيج واحد مع المولوية بدءاً من عصر مولانا وذلك رغم المعارضات التى كانت تحدث بين المولوية بين الفينة والأخرى .

كما كان يوجد كثير من الأخيان من خلفاء المولوية ، وهاهو ذا الشيخ مبارك حيـدرى كـان مـخلصـا صـادق الود لمولانا كمـا كـان جلبى حسـام الدين يعمل فى بسـتانه ، وكـان أفلاكى قد هوى فى لجة عـشق هذه الزمـرة حتى أنه كـان يعمل فى تنسيق البسـاتين . وكـان حيران أميرجى خليفة باراق بابا مرتبطا ارتباطا وثيق العرى بمولانا ، كما كان أولو عارف جلبى لا يحب الطرق الصـوفية ويـزدريها دائما ، إلا أنه التـقى بمولانا فى سلطانية ، وتوطدت أواصـر المحبـة والود بينهمـا ، أمـا حـيران أميريجى فقد توجه تلقاء قونية بغية زيارة قبر مـولانا بعد موته ، والتقـى أولـو عـارف جلبـى بمـولانا ثانية إبان قدومه إلـى سلطانية .

وهكذا نرى أنه على الرغم من أن العقـيدة الدينيـة ترتبط مع بعضـهـا البـعض ارتبـاطا وثيق العرى حتى من ناحية المراسم والطقوس والشعائر إلا أنها تظل شيعا وطوائف مـتـفـرقـة ، ولـم يتـسن لهـا أن تكون كـائنا حـيـا ذا لحُـمـة وسُـدى ، ولكن الخراسانيين قد تركوا الميدان مفتوحا على مصراعيه لانتشار المولوية وإذاعة صيتها ، كانت أفعال مولانا إنسانية شـعبية ، وهو ذو شخصية مصلحة ملآى بالنشوة وسورة

الحميا حتى إن أشعاره لم تزل حية لم تبل جدتها ، فهى ثاوية فى الذكر ماثلة فى الأخلاد . ناهيك عن أن كل شخص من المتصوفة الأولين قد نال منه الرضا والقبول ، ومنهم كذلك أولئك الأبطال الذين تحدروا من نسله فرأوه والتفوا حوله .

وقد اضطر الأمراء إبان هذه الحقبة المتردية إلى النزوع نحو قناعات التصوف بغية تلهية أنفسهم وتسليتها ، وحولوا دفة مستقبلهم صوب همة هؤلاء المتصوفة كما اضطروا كذلك إلى الارتباط بالشعب الذى قبل وارتضى بدوره هؤلاء الأولياء المتصوفة . أما الشيوخ فى هذه البيئة المضطربة القلقة فقد اضطلعوا بدور ذى شقين اثنين :

أولهما – أنهم باتوا ذوى نفوذ مؤثر فى نفوس الأمراء ، ثانيهما – أنهم نجحوا فى وضع أساس سلطة نافذة فى نفوس الشعب فضلا عن تأثيرهم الجلى فى الأمراء أنفسهم . وهكذا كان للمتصوفة سطوة نافذة فى الشعب ، كما رزح الأمراء أنفسهم تحت وطأة هذه السيطرة القوية ، وكان إصلاح مولانا إنسانيا حقا فى مجالس السماع إبان تلك الحقبة من الزمان أو كان هذا الإصلاح يطوى بين طياته إبهام التصوف الذى يكتنفه اللبس والغموض ، كما أن أسباط مولانا كانوا شعبيين ممثلين للأرستقراطية خير تمثيل مندمجين مرتكزين فى المولوية لايبغون عنها حولا .

الهوامش

(١) المدينى هو ساكن المدينة ، ويسمى بالتركية Sehirli (المترجم) .

(٢) من بعهد فخر الدين صاحب مكر : بعد ازوايا شد ملكرا فرخنده تر فخرى قزوينى جو صاحب شويدين أيين ورسم : ابن مست ياد من آمدل فونج همكفتم يسر كنده تر (من نشريات المجمع التاريخى بآق سراى – انقرة ١٩٤٤ ، ص ١٥٣ .

(٣) المذيلة أو الكفل هى : جلد يوضع تحت ذيل الفرس ، أو سير تشد به الرجل (مترجم) .

(٤) أى وباء قحط دوران خون خلقى بودهدر : والرؤيا لى جورى ديوان مال ملكى بودهبا .

(٥) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٢٤٠ : ٢٤١ .

(٦) انظر : ما ورد بشأن صلتوق وباراق بابا وصالتوقلر وباراقليلر : عبد الباقى كلبنارلى : يونس أمرة : حياته : إستانبول – مطبعة إقبال سنة ١٩٣٦ م : ص ٤٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤

(٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : من صـ ٥ ٢٣/٢٣٨

(٨) المصدر السابق : الطبعة الثانية : صـ ٢٢٧

(٩) وهذا هو نص نقوش التكية بنصها « أمر السلطان الأعظم والخاقان المعظم صاحب الخيرات والحسنات السلطان محمد ابن الأمير السعيد الشهيد المرحوم المغفور له علاء الدين بك أيد الله مملكته وتقبل خيراته بعمارة هذه الزاوية المطهرة ، المنسوب إلى قطب المشايخ والسالكين شيخ أبى إسحاق إبراهيم شهريار الكارونى تغمده بغفرانه فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثمانمائة من الهجرة ، محمد بك الذى سلف ذكره على النقوش سنة ٧٩٤ هـ – ١٣٩١ م كان قد تقاتل مع عثمانلى أوغلر فى منطقة أقجة بمقاطعة كرميان وهزم فى هذه الحرب ، وهو ابن علاء الدين الذى قتل على يد تيمور طاش باشا وأنجبه من نفيسة سلطان ابنة السلطان مراد الأول ويفهم من هذه النقوش بجلاء تام أنه كان أميراً على إمارة قره مان سنة ٨٢١ هـ – ١٤١٨ م . أما أبو إسحاق كازرونى فخلفه بعد موت خليفته الإمام خطيب أبى القاسم عبد الكريم بن على بن سعد الدين أوغلو سنة ١٠٥٠ ، خلفه من بعده أخوه خطيب أبو سعد الدين إمام أبو بكر محمد بن عبد الكريم (ت ٥٠٢ هـ – ١١٠٨) الذى كتب منقبة مخطوطة بالعربية وأورد فيها « القرشى أفيرنج بن جمال الدين أمير شيخ ابن با يزيد ، وقد كتبها خليفته المرشد وسماها رسالة المناقب « فردوس المرشدية فى أسرار الصمدية » وهى مخطوطة ثانية محفوظة فى متحف قونية تحت رقم ٨١٦ . انظر نفحات الأنس للامعى ، إستانبول ١٢٨٩ ، وص ٢٩٧ – ٢٩٨ بغية التعرف على السيرة الذاتية لأبى إسحق .

(١٠) نشرت هذه الوثيقة المهمة فى رسائل مولانا ص ١٨ ، ١٧ .

(١١) هذه الرسالة فى حق المهدى : إستانبول – آيا صوفيا K, d, e ، وتحتوى على رسائل ابن سينا رقم ٢٨ ، ٩ وهى الرسالة الأخيرة من مجلة (لو) وتحمل اسم رسالة فى أمر المهدى للشيخ صدر الدين القونيوى ، وتتضمن هذه المجلة الأوراق من ص A ١٦٨ B ، ١٨ وقد قورنت بنسخة أخرى مسجلة تحت رقم B ٨١ ، B ٨٧ لسنة ٨٩٧ هـ – ١٢٩٧ م . شوهدت صفحات المجلة أثناء التجليد ، والصفحة الأولى ١٨٧ A . D .

(١٢) مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية . ص ٢٣٣ ، وملاحظة ٨٤ فى الصحيفة عينها .

(١٣) نفس المصدر : ص ٥٧ – ٦٤ – ١٣٦ – ١٤٣ .

المصادر الأساسية لتاريخ المولوية

١- رسالة ، سبهسالر فى مناقب خداوندكار ومناقب العارفين :

لقد بحثنا هذين الكتابين وناقشناهما فى كتابنا « مولانا جلال الدين » (ص ٣١ - ٣٢) ، وهذان الكتابان هما أول مصدر فى التعريف بعصر انتشار المولوية ، وقد كتب الكتاب الثاني بأمر من أولو عارف جليي .

ورغم أن المعلومات الواردة فيه شديدة الاقتضاب إلا أننا وجدنا فيه أوثق المعلومات وأقواها فيما يخص الخلفاء الأولين للمولوية . وقد كتب هذا السفر بالفارسية ، واضطلع البروفسور « تحسين يازيجى » بشرحه بإيضاحات كاشفة ، ثم نشرته الجمعية التاريخية التركية فى جزأين اثنين ، وترجمه إلى التركية بعد حين سيدنا ناصر عبد الباقى (ت ١٢٣٦ هـ = ١٨٢١م) مشفوعا ببعض الإضافات ، وكان هذا الشيخ شيخًا للتكية المولوية فى « ينى قابى » ويقول المترجم فى صدر ترجمته : إنه أقدم على هذه الترجمة بأمر من عمه » سعيد أحمد دده » (ت ١٢٢٨ هـ = ١٨١٣م) .

وعندما أنجز المترجم ما بين خمسة إلى ستة أجزاء اضطلع الموسيقى « مصاحب أحمد أغا » (ت ١٢٠٨ هـ = ١٧٩٤م) بإعلان السلطان سليم الثالث حتى تكون الترجمة صادرة باسمه ، وبناء عليه أمر السلطان بإنهاءالترجمة والفراغ منها على وجه السرعة ، وعليه فقد أنهى المترجم الترجمة فى يوم الجمعة الموافق السابع عشر من شهر جمادى الأولى لسنة (١٢١٢ هـ = ١٧٩٧م) .

وهذه الترجمة مدرجة بين ثنايا كتب حافظ باشا بمكتبة السليمانية بإستانبول ورقمها ١١٢٦ ، وبعد انقضاء أجل الشيخ الأول لتكية المولوية فى « ينى قابى »

سنة ١٠٢٦ هـ = ١٦١٧م اضطلع من بعده « آق شهرلى كمال أحمد دده » بترجمة هذا الكتاب بعينه إلى التركية ترجمة مختصرة منظومة ، وهذه النسخة مدونة تحت رقم ٢٨ فى القسم الملحق بإضافات خالد أفندى بمكتبه السليمانية ، ثم اضطلع مؤلف مجهول باختصار الكتاب نفسه وترجمته إلى التركية . أما اسم الكتاب فهو « مناقب العارفين ومراتب الكاشفين » .

(بروفسور هيليموث ريتر Helmuth Ritter مولانا جلال الدين الرومى ومن حوله ، مجلة التركيات ، جـ ٧ - ٨ ، إستانبول ١٩٤٢ ، ص ٢٨٠) أما رسالة « سبهسالار » فقد اضطلع بترجمتها إلى التركية » أحمد عونى قونوق » (ت ١٩٣٨) وسماها « مناقب حضرت مولانا جلال الدين الرومى » ثم طبعت فى إستانبول سنة ١٣٣١ هـ ، ثم اضطلع منحت بهارى جامى بالترجمة الثانية ، ثم طبعت هذه الترجمة سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م بمطبعه سلانيك بإستانبول .

وفى عام ٩٤٧ هـ = ١٥٤٠ م اضطلع عبد الوهاب بن جلال الدين محمد الهمدانى بإعادة كتاب « مناقب العارفين » مرة أخرى مختصرة بالفارسية وسماها « ثواقب المناقب » وعبد الوهاب هذا هو أحد أبناء الشيخ النقشبندى فى همدان ، هاجر إلى مصر ومكث حينا من الزمن فى تكية المولوية بالقاهرة ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة فى السنوات الأخيرة من عمره وتوفى بها سنة ١٥٤٧هـ ثم اضطلع الصوفى سامى خليل (ت ٩٥٤ هـ = ١٥٤٣م) بترجمة ثواقب المناقب إلى التركية مشفوعة ببعض التعديلات وقدمها إلى السلطان سليمان القانونى ، وثمة نسخة منها مسجلة تحت رقم ٥٠ بالقسم الملحق بحالت أفندى .

ويقول الدرويش محمود فى صدر مقدمته « إنه عندما قدم إلى إستانبول التقى بشارح المثنوى شمعى بعد عام واحد (ت ١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م) ، وقال له إنه مشغول بالترجمة فأخبر شمعى بدوره السلطان مراد ت ١٠٠٤ هـ = ٥٩٥م بهذا الأمر حيث أمر بإتمام الترجمة بواسطة « زيرك آغا » وبناء عليه توجه تلقاء قونية سنة ٩٩٨ هـ = ١٥٩٠م وعلم أنه أتم الترجمة . وثمة نسخ كثيرة مخطوطة من هذه

الترجمة وهى محفوظة فى قسم التركيات بمدينة إستانبول تحت رقم ٢٦٢١ ، وهنالك تلخيص لكتاب الثواقب مدرج فى مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٢٠٥٣ .

وقد اضطلع خادم ضريح مولانا فى قونية ويدعى (لقمانى دده) سنة ٩١٠هـ = ١٥٠٤م بترجمة رسالة سبهسالار ومناقب العارفين نظما إلى التركية مشفوعة ببعض التعديلات والإضافات . وقد جعل لقمانى دده مناقب العارفين فى ترجمته أساسا عول عليه أكثر من سبهسالار . وثمة نسخة قديمة من هذه الترجمة مسجلة تحت رقم ٢٤٤٠ ومدرجة بين ثنايا المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول وإن ما كتبناه حتى ها هنا يعد أساسا ومصدرا لسائر الآثار كلها ، وهى مناقب أفلاكى مقرونة برسالة سبهالار .

٢ - سفينة نفيسة المولوية :

هى سفر من أجزاء ثلاثة دبجه « ثاقب مصطفى دده » (ت ١١٤٨ هـ = ١٧٣٥م) عندما كان شيخ التكية الأرجونية المولوية التى أسست باسم جلال الدين أرجون جلبى فى مدينة كوتاهية ، وقد اختص الجزء الأول بترجمة السيرة الذاتية لأولئك الصوفية الذين كانوا شيوخًا فى تكية مولانا بقونية منذ انتهاء مناقب العارفين حتى عصر المؤلف ، ويعرض هذا الجزء لمؤسسى تكايا المولوية فى كل من قره حصار وكوتاهية ، بيد أنه يبدأ من الناحية الأساسية فى شرح السيرة الذاتية لهؤلاء المتصوفة المنتسبين إلى مولانا جلال الدين الرومى وانفرد الجزء الثانى بسرد الشيوخ الذين تقلدوا منصب المشيخة فى مختلف التكايا ، أما الجزء الثالث فاختص بأولئك الصوفية الدراويش المعروفين بالشهرة العريضة وذيوع الصيت بين ظهرانى المولوية .

اتبع ثاقب دده سبيل كتب الطبقات واختط خطتهم ، وكتب فى الأقسام الأخيرة من الجزئين الأول والثانى ترجمة ذاتية لنساء المولوية ، ومتن الكتاب من القطع الكبير ، وعدد صفحاته خمس وأربعون وستمائة صفحة ، وطبع بالمطبعة الوهابية بمصر فى سنة ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦م . وهذا الكاتب مكتظ برمته بالاصطلاحات ، بيد

أنه من الناحية التاريخية حافل زاخر بكثير من الأخطاء الكبيرة كما ستشير إلى ذلك في مواضع متباينة من كتابنا . ومن المتعذر التماس الفائدة من هذا السفر دون الاستعانة بطرائق النقد التاريخي الصارمة . ومن المحتمل أن يكون ثاقب دده قد صدق كل الروايات التي سمعها ومن ثم عول عليها ، ومن المحتمل كذلك أنه لم يناقش كثيراً من الأخطاء دون العلم بها ، وهذا تزييف للتاريخ وتشويه لصورته . ومن أسف ومن المستحيل كذلك أن نظل في غناء عن هذا الكشف لأنه المصدر الوحيد الذي بين أيدينا .

٣ - تذكرة شعراء المولوية :

هي تذكرة « أسرار محمد دده » (ت ١٢١١ هـ = ٩٦/ ١٧٩٧ م) وتخص شعراء المولوية وهي أشعار اختارها وجمعها الشاعر المشهور غالب أسعد دده (ت ١٤١٢ هـ = ١٧٩٩ م) والذي كان شيخاً للطريقة المولوية في « غلطة » ، ومرشداً للشيخ أسرار محمد دده ، وقد جاء هذا الكتاب على هذا الشكل مقروناً بترجمة ذاتية لهؤلاء الشعراء ، وهذا ما يذكره أسرار في صدر هذا الكتاب وهو يأمر شيخه بكتابة السيرة الذاتية لأولئك الشيوخ والدراويش وخلفائهم الذين جاءوا بعد سفينة الشيخ ثاقب دده ، ويقول إنه قد وجد الفرصة مواتية لتقديم ترجمة للشيخ « غريبي أبو بكر جلبي » بيد أن الأجل لم يطل به ، حيث توفي أسرار دده في السنة التي أتم فيها تذكرة شعراء المولوية .

ومن العسير الاستفادة من هذه التذكرة إذا لم نستمسك بالنقد التاريخي وتتبع سبيله ، فالمؤلف قد جعل مصدره كتاب السفينة ، كما أنه لم يدر بخلده نقد هذا الكتاب وتقنيده ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإننا نراه بغيرته وحميته المولوية يظهر لنا الصوفي « روحي » وهو حروفي الطريقة ومن فرسان الانكشارية على أنه درويش مولوي يطوف من بلدة إلى أخرى (انظر مقالة لنا بدائرة المعارف الشهرية - جـ ٤ - عدد ٤٧ ، فارسي ١٩٤٨ ، ص ١٣٧٠ - ١٣٧٣) .

كما يجعل من الصوفي عرشي الحروفي البكتاشي مولويا ، وقد اضطلع شخص يدعى « عالي أنور » باختصار تذكرة أسرار دده ، وأعاد كتابتها من جديد باسم « سماع خانة أدب » ، كما طبعت في مطبعة العالم بإستانبول ١٨٩١ - ١٨٩٢ م .

٤ - شرح حقائق أذكار مولانا :

كتب هذا الأثر « سيد محمد فاضل باشا بن أبو سنة سرايلي مصطفى نور الدين نقشبندي « سنة ١٢٨٣ هـ - ١٨٦٦ م ، وطبع في نفس العام بمطبعة بو سنة لي محرم أفندي . وهذا الكتاب كما يفهم من اسمه غير مقصور على شرح أوراد وأذكار مولانا المرتبة بعد قرنين من وفاته ، كما يعرض كذلك لسلسلة مولانا ويسرد أسماء الدراويش الذين تبوءوا منصب المشيخة في تكية مولانا وهو يفصل القول في شيوخ تكية المولوية في كل من غلطة واللاذقية ، ويسوق الحديث عن تكايا المولوية الموجودة في دولة عثمان أوغوللر .

ورغم أن الكثرة الكاثرة من هذه التفاصيل جاءت على شكل قائمة منفصلة قائمة برأسها إلا أنها في مجملها عرض لمعلومات تكاد تصطبغ بصبغة المصدر الذي يعول عليه في تاريخ المولوية . وتوفي محمد فاضل باشا سنة ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م ، وعدد صفحات كتابه سبع وأربعون وأربعمائة صحيفة ، ويتضمن معلومات عن ذات نفسه .

٥ - تكية مولوية « يني قابي » :

كتب هذا الأثر المرحوم محمد ضيا (ت ١٩٢٧ م) المدير السابق المختص بنظارة المعارف والذي ارتبط كثيراً بالمولوية وعقد لها احتفالا تذكاريا ، وألف هذا الأثر في عام ١٠٠٥ هـ - ١٥٩٧ م خارج باب أسوار استتانبول باسم « يني قابي » ويحمل اسم كمال أحمد دده المتوفي بعد عام ١٠٢٦ هـ = ١٦١٧م ، ويتضمن هذا الأثر ترجمة للسيرة الذاتية لشيوخ تكية المولوية وتاريخ إنشائها وتعميرها .

٦ - حديقة الجوامع :

هو سفر وضعه إسماعيل أوغلو حافظ حسين آيوان سراباى ، وهو كتاب يختص بعرض سيرة ذاتية لمساجد إستانبول ومنشئيها ، وخاصة ما أنشئ منها عام ١٨٣٧م ، وقد اضطلع عالى ساطع (ت ١٨٤٢ م) بإضافة لواحق إلى بعض مواضع الكتاب وطبعت النسخة التى طبعها عالى ساطع سنة ١٢٨١ هـ = ١٨٦٤ م بالمطبعة الأميرية باستانبول فى جزأين اثنين ، ويتضمن هذا الكتاب الذى وضعه آيون سراباى المتوفى سنة ١٧٨٦ م معلومات تتصل بشيوخ تكايا المولوية الكائنة بمدينة إستانبول ، ومن ثم فإن لهذا الكتاب صلة وثيقة العرى بتاريخ المولوية ، وقد اضطلع مترجم عاصم (ت ١٢٣٤ هـ = ١٨١٩ م) بتصحيح تنقيح النسخة الأصلية من الكتاب ، وهو مسجل تحت رقم ٨٦٨ بمكتبة جامعة إستانبول .

٧ - تكايا المولوية فى إستانبول :

هما كتابان اضطلع بوضعهما نورى أبو السعود أوغلو الكاتب الخصوصى السابق للمشيخة ويتضمن الكتاب الأول تفصيلا عن تكايا المولوية فى كل من مدينتى قابى ويهارية ، ويتضمن الثانى سيرة ذاتية للأشخاص المعروفين والمنتسبين إلى تكايا المولوية فى « كولهِ قلبى » وغلطة ، وقد تمم كتاب ضيابك القسم الأول من الكتاب الأول لهذا الكتاب ، وهكذا ترى أن المصادر التى جاءت بعد كتاب أفلاكى « مناقب العارفين » لا تقارن به بأى شكل من الأشكال من الناحية التاريخية ، ولكن ماذا عسانا أن نصنع ؟

(فهذه المصادر توجد بمنأى عن أيدينا ومن ثم فإننا اضطررنا إلى تكميل وتتميم هذه المصادر بالتواريخ والمعلومات الموجودة فى الدوريات والمجلات وكذلك ما تسنى لنا من سجلات الأرشيف) .

وليس بين أيدينا أية معلومات قط تتصل بتأسيس الطريقة ومنهجها وطرائق تنظيمها ، ولكن بأى صورة تأسست أركان وآداب الطريقة معتمدة على التجارب والمشاهدة والرؤية المعاينة فى هذا التأسيس ؟ ومن ثم يستوجب الكد والمعاناة بغية إثبات هذا بالأدلة والبراهين عن طريق بعض المستندات والكتب التى أحصيناها آنفا ، والسبب فى هذا أن كل الأسماء المشاهدة فى ثبت مصادرنا وكذلك جميع الرسائل والكتب المتعلقة بمراسم وأصول وقواعد الطريقة المولوية قد دونت جميعها بعد تأسيس الطريقة بوقت كاف ، وفى نفس الوقت فإننا نجد فى هذه الرسائل عبارات تنبئ عن مشارب هؤلاء الكتاب ومذاهبهم الشخصية واقتناعهم الذاتى أكثر من اهتمامهم بالدعامات الأساسية للطريقة ذاتها .

القسم الأول

الممثلون الأولون

الفصل الأول

الممثلون الأولون لمولانا وانتشار المولوية

بعد مولانا - المشاهدون لمولانا عند جلبى حسام الدين - خليفة جلبى حسام الدين - المقبرة واجتماعات المحبين لمولانا حول أطرافها - عقيدة جلبى حسام الدين ونفوذه والعشق الذى نما تجاهه - وفاة جلبى حسام الدين .

بعد مولانا :

لقد قُبرت قونية فى صمت رهيب عميق الأغوار ، حتى أنه ليسمع نشيجها وتردد أنفاسها ، ثم ما لبثت التنهيدات أن تضاءلت رويداً رويداً ، وكأن نبض السكوت يخفق ،وكأن هذه الأشياء قد دفنت بداخله ، ماذا أصاب هذه العوالم وماذا دهاك أيتها الدنا ، يا لها من قدرة خالقة !! كانت قونية تفكر مليًا ، كما كانت الدنيا تفكر كذلك فى قونية . هذا هو سطح الغبراء ، تارة يفور كالجدول الجارى ، وتارة يُرى وكأنه بحيرة راكدة ساكنة أو يصبح نهراً مسدود المسالك حينا ، أو يكون بحراً دون شاطئ أو حافة ، حتى أنه يغلى من قرارة نفسه فى أهدأ الأوقات وأكثرها سكونًا ، ويلثم الشاطئ كذلك فى أشد لحظاته ثورة وجيشانا .

وثمة ريح واحدة ، إنها تهب عاصفة ، وكلما هبت لاتنبئ الأفنان عن الوصال ، والأرض منفطرة متصدعة تفتح صدرها للرحمة ، وورودها متفتحة تُجرى الحديث على

لسان البلابل ، وكلما داعبت الريح الأشجار ولاطفتها انبعثت منها آلاف الأنغام ، وإذا ما مست الريح المحاصيل فإنها تضرب الأرض وتتثنى مولية وجهها صوب السماوات ، وينجم عن هذا نموذج لأجمل وأبدع الرقصات ، وثمة لهيب واحد ، بيد أنه ينضج بلظاه كل نيئ غير ناضج ، وقد يصير بحركته نيئا ، واللهب يحيط الأرض بالحرارة ، ويستحيل ماء يفتح باطن التراب ، ثم يتصاعد بخارا في كبد السماء ويكون مطراً يهطل فوق الغبراء ، إنه زمن الحياة ، يلف ويدور دون توقف أو سكون .

أكان مولانا كذلك ولا جرم ؟ أو أنك تراه على هذه الشاكلة ، ومن الممكن أن تظهر أنت كذلك وتبرزه ، بيد أن سائلا يسأل سؤالا ، ويقع في لجة الشك والارتياب ، إنه حينئذ لم يقرأ بعد كتابنا المرسوم باسم « مولانا جلال الدين » ، فقد كتبنا هذا الكتاب ، بيد أن مولانا قد تكلم ، وهو في هذا الكتاب كان شارحًا بنفسه ذات نفسه ، فقد ظل منفردا وحيدا مع هذا الكتاب ، أما القراء فإنهم يظلون كذلك في معينه متفردين قائمين بأنفسهم ، يستمعون من مولانا إلى مولانا ، قالت جماعة ذات يوم للشيخ جلبي حسام الدين إنه يشرح ويفسر كلمات مولانا في صورة رائعة الجمال ، حينئذ قال جلبي حسام الدين متبسمًا : إن ألفاظ مولانا تشبه المرآة وكل شخص يرى شيئًا واحداً في هذه المرآة وما يراه هو ذات نفسه . وثمة آلاف مؤلفة من الأنهار تصب في البحر ، بيد أنها جميعا لا يتأتى لها أن تكون بحراً نعم لو شرحنا مولانا فلسوف نتردى في لجة الخطأ بعينه ، ولكن أيكون هذا حقًا ؟ فالزاهد يرى الزهد متمثلاً فيه والمتصوف يرى التصوف ثاويا فيه ، وبلهاء الكرامة يتحدثون عن كرامته ، والمفتونون بالشعر يتحدثون عن أشعاره ، بيد أننا قد تركنا له الكلمة ، فتولى هو بنفسه شرح ذاته بكلماته والإبانة عن هوية فكره ، وفصلت ألفاظه القول عن حياته ، ولهذا السبب فإننا نتفوه بآرائنا نحن ، بل نتحدث عن الحقيقة ، إنه رجل عظيم متفوه بما يأتيه من أعلى عليين ، ولم يدع الرفعة والسموق والكبرياء ، فهو يعلم أنه ابن لكل ما هو موجود كائن على وجه البسيطة ، وهو يحب و جه الغبراء ويجري فوق سطحها ، ويهب فوق ترابها ، ويسخن سطح الأرض ثم هو يمتزج مختلطا بوجهها .

فمولانا إنسان وهو ابن إنسان ، ومولانا إنسان يدرك كنه الأديان جميعا ، بيد أنه يتسنم ذروة تعلو فوق الأديان ، فقد كان يسجد للإنسان ، وكان مؤسسا ومقعدا لدين العشق والإنسانية ، كما كان يبشر بالأحدية والاتحاد والحقيقة الذاتية ، ومن ثم فإنه احتضن الشعب وعانقه ، وكان كتابه المقدس المثنوى بمثابة حانوت لهذه الأحدية وذلك الاتحاد[١] .

كان يرى الدنيا وجودا وكينونة دائمة [٢] « ماذا لو أصبح الإنسان على شاكلة الدر ، فإن البحر يقطع عنه كأس الخمر ، هل فتح مختلف البشر أفواههم للدنيا ، إنها تصبح لقمة سائغة لهم ، فما الدنيا إلا لقمة ، بيد أنها ليست للذباب ، إنها لقمة الإنسان ، فهو قد ولد من الدنيا وهو ابنها [٣] « يمثل هذه الكلمات لم ينفصم مولانا عن الدنيا ، بل كان مفكرا عظيما أبدى ارتباطا وثيق العرى بالحياة وكان يرى أن الموت شيء طبيعي ، حتى أنه فى رأيه ليس إلا تساقط سنة واحدة مهتزة متساقطة ، ومن ثم فإن الدنيا والحياة لم تضعفا ولم يصبهما البلى والدثور ، ومن ثم فإنها تتغير وتتبدل من زمن إلى آخر ، ولهذا السبب فإن السن الساقط لن يحل محلها أخرى جديدة تظهر بدلا منها[٤] .

ومن هذه النظرة كان مولانا رجلا يؤمن يقينا بالأبدية الكائنة فى هذا العالم ، وكان يقول : إن تراب المقبرة مثل جرعة الخمر .

وإن روحى داخل بدنى تثبت فوق كبد السماوات ، لأننى نور مجسم ، ولست سلطانًا ، ولأنزلن من فوق سرير العرش ولأركبن التابوت وتكون الأبدية هى خط وكتابة امرى وفرحانى [٥] .

المشاهدون لمولانا عند جلبى حسام الدين :

كان مولانا مبكيا للشعب ، مهيجا لسورة حمياه ، مثيرا لدهشته ، ساحرا للبه ، ثم ما لبث فى النهاية أن صار غصة مقبورة فى لجة صمت رهيب جليل مهيب .

وما إن تبوأ منزلة فى الأفئدة حتى ثار جدل حول مسألة من سيخلفه من أتباعه المحيطين به ولم تجد قضية مشيخة الطريقة إبان زمن مولانا سبيلا إلى إثارتها أو الجهر بها . فقد كان رجلا مصلحا ، واضطلع بتأسيس ضرب من العشق والإنسانية والاتحاد ، ولم يكن رجلا مفتونا بنفسه ، ولم يك كذلك مجذوبا مولها مستغرقا فى لجة الأطياف والخيالات الصوفية الغيبية وانتقل من الفردانية وانتشر فى نفوس الخلائق والكائنات ، مقتاتا بالجذب ، وأحبه أولئك الذين أعجبهم الطريق الذى طوره بالرقص والموسيقى وغدوا له من العاشقين ، وقدموا له وجودهم وكينونتهم ، ومن ثم فإنهم وجدوا فيه إنسانيتهم وذوات أنفسهم ، وقد أوصى سالكى الطريق بشمس الدين ثم صلاح الدين من بعده ثم حسام الدين فى عقبه ، أما سالكو سبيل العشق والإنسانية فقد اتبعوا سبيل أولئك النفر الذين اصطفاهم مولانا واجتباهم ، واضطلع هؤلاء جميعا بحماية وصيانة هذه الزمرة المجتمعة من العاشقين .

وكان العاشقون بدورهم يرون مولانا متمثلا فى هؤلاء الخلفاء ، فمن ياترى سيمثل الوجود المعنوى عندما يضطلع بتقويض الوجود المادى لمولانا ؟ أهو حسام الدين ؟ أم ولده سلطان ولد ؟

تفيد رواية أفلاكى أن مولانا قال لسائليه عن هذه المسألة إبان مرضه الأخير أيكون جلبى حسامنا هو الخليفة ، وتكرر السؤال مرات ثلاثًا ، وكررت الإجابة كذلك ثلاثا (١٨٨) أما الذين اتبعوا هذا القول فإنهم وجدوه أكثر صوابا ، ومن ثم فإنهم لم يغيروا فيه شيئا قط ، ولتضرب الصفح عن أولئك الذين اقتدوا بحسام الدين واتبعوا سبيله إبان عصر مولانا ، كما كانت توجد طائفة أخرى تبغى اتباع واقتداء سلطان ولد (بهسالر : ص ١٩٨ – ١٩٩) بيد أن سلطان ولد كان كان مقتديًا بوالده فى هذا الشأن ، وكان غلاما مطيعا لم يخرج على قولة أبيه مقدار ذرة واحدة ، كما أنه اتبع شمسا واقتدى به بناء على وصية أبيه إبان حياته .

ثم اتبع كذلك كلا من حسام الدين ومن بعده صلاح الدين ، ولم يكن من الميسور التظاهر بدعوى الكبر والعظمة إبان حياة حسام الدين ، ويشرح سلطان ولد هذه الواقعة فى كتابه « ابتدانامه » على هذا النحو فيقول (قال حسام الدين : إنك

أنت الرجل المتبع والمقتدى به بعد أبيك ، وسيئول مقامه إليك ، إذ ليس ثمة من هو أعرف منك أو أعلم منك بأثر الطريق فقلت كلا إن أبى لم يمت ، إنه حى ، والميت الهالك هو جسده ووجوده ، لأن هذا الجسد قد نشأ من أجزاء وجذاذات ، ثم ما لبث أن قدم وبلى ، ثم أصابه الضعف والوهن ثم ألقى به .

أما الروح فإنها ثاوية باقية بجوار ربها ، تنعم بسقيا خمر الوصال) ومعنى هذا أن المصطفى عليه السلام قد ثقبت لؤلؤته ، ألم يقل المؤمنون إنه لم يمت ؟ وكنتم خلفاء فى زمانه ولم يتغير شىء وأنت كذلك خليفتنا فى الصدارة وفى النهاية وأنت المقتدى ، وأنت الشيخ فى الدارين .

لقد كان رجلا ثاقب الفكر ذا يقانة وزكانة ، وأصبو كثيرا بغية قبولى هذا المقام ثم قال : إن هذا المقام لا يليق بأحد سواك ، بيد أنى لم أكن مرائيًا مداهنا ، ورجوته متضرعا متوسلا بالقلب واللسان وأنا أتحرق وأتلظى ، وفى النهاية تعطف وتلطف وقبل قولى ، وتيسر ما كنت أتعشم وأروم " (ص ١٢٢ - ١٢٣) .

وإذا كان « سبهسالار » يروى هذا الكلام حول المقبرة بعد مولانا (ص ١٩٧- ١٩٨) فإنه قد ورد فى كتاب « ابتدنامة " كذلك أن الناس ظلوا أربعين يوما باكين متوجعين متألمين ، ولم يتناقص عددهم أمام القبر ، بيد أن كل شخص قد آب إلى عائلته وبيئه بعد أربعين يوما ، ولم تزل الحكاية ما ثلة فى أذهانهم وأخلادهم ، بعد ذلك يشرح واقعة حسام الدين التى سلف ذكرها ، ويفهم من هذا أن التكليف قد تم بعد وفاة مولانا بأربعين يوما على أقل تقدير .

خليفة جلبى حسام الدين :

سوف لا نكرر القول هاهنا عن السيرة الذاتية لجلبى حسام الدين لأننا سبق أن كتبناها آنفا بل سنجتزىء فقط وسنقول ما لم يسبق لنا قوله هنالك[٦] . إن أعظم

وأهم وأثبت إيان عصر مولانا هو استكتاب لجلبي المثنوي لمولانا ، وهكذا حقق هذا الشيخ العظيم بأسرها واحدا من أهم الآثار الأدبية الشرقية الإسلامية كان جلبي من العاشقين المحبين لمولانا منذ أيام شمس الدين ، وكان للأخير كذلك حدب وعطف وحلو عظيم نحو جلبي حسام الدين .

حتى إن الذين كانوا يريدون رؤيته صاروا يلجئون إلى جلبي ويتواجدون في مجلس شمس الدين وكان جلبي ولا جرم عاشقا لشمس الدين ، وإذا أراد أحد المريدين رؤية شمس فعليه أن يقدم عشرة أو عشرين ألف درهم ، وإذ ما قدم المال المطلوب فإنه يتكلم إلى شمس أو إلى مولانا ، و قد قرب هذا الرجل إلى جانب شمس الدين وأنفق كل ما يملكه على مولانا(٧) وبعد إصلاح وتعمير حائط البستان المتهم أصبح في مسيس الحاجة إلى العون والمساعدة (٨) ، ولم يستطع مساعدة ابنه الذي كان مشغولا بصهره وبتحصيل المال ، فاستعان بواسطة مولانا(٩) . ويتوجب عدم الإعطاء بسبب الضعف الذي شعر به حسام الدين تجاه المال ، وبات من المتعذر وقوع أمثال كل من حسام ومولانا في طمع هذا الشخص الميت المدين .

وقال شمس : نناقش الموضوع في يوم كذا ، وافتتن لب أمين الدين ، وخرج من الحضرة في حال من النشوة والسكر ، وأهدى عشرة آلاف درهم إلى أصدقاء مولانا ، وأعطى شمس الدين كل هذا المال إلى حسام الدين .

ثم قال : وزع هذه الأموال على أصحاب الحاجات بحسب حاجاتهم ودرجاتهم ، وأعط أولاد مولانا وصلاح الدين ، واخف الباقية حتى تنفقها على الأصدقاء .

وتجمع المصادر على أن جلبي كان شخصا زاهداً فوق العادة على غير المألوف ، هذا وتروي سبهسالار ما يأتي :

« إن السلطان ركن الدين قد صحب قليج أرسلان معين الدين وكانا يريدان الاستماع إلى وعظ مولانا بعد صلاة يوم من أيام الجمعة ، وحل أناس في هذا اللقاء ،

وقبل مولانا والناس يشعرون بسعادة ما يقدم من وعظ بعد هجره سنين عددا ، وامتلأ المسجد ، بيد أن مولانا لم يكن في وسط المسجد ، وأخذ الناس يتناقشون ويتحادثون فى كل شىء ، ويبحثون فى كل جدب وصوب ، وفى النهاية وجده أحدهم فى الحانة ، ونهض جلبى حسام الدين من فوره وهم بالخروج ، ولما دنا من الحانة عصب عينه وقال أخبرونى عندما أدنو من مولانا ولأفتحن عينى فقط أمام جماله أو يفتح عينيه عندما هم بدخول الحانة ، والتمس عفو وصفح المفكر العظيم ، وأحضروا مولانا من الحانة إلى المسجد ، وبعد الصلاة صعد جلال الدين المنبر ثم تنهد وتأوه وقرأ هذين البيتين :

يالها من ليلة حسنة المقام ، حيث بلغنا وصال المحبوب .. وكوكب المشترى طالع فى محلتنا والمشمس فى أحضاننا كلما قدم إلى قدحا ضل عقلى وتاه فكرى .. وعندما يكون المسلمون فى هذه الحال أيكون الرجل عاقلا[١٠] ؟ ومن يدرى كيف كان مولانا يقرأ هذين البيتين ، فقد شرع الناس فى البكاء ، وانتُزعت الآهات والصرخات من أفئدتهم ، وسلب لب كل شخص وصار فى وجد واهتياج ، وبعد مدة يرى أن حدة سورة حميا الخلائق قد سكنت وهدأت ، ثم نزل مولانا من فوق المنبر ومضى إلى حال سبيله . هكذا يكون وعظ العاشق الولهان (ص ١٣١ - ١٣٣).

المتبعون لمولانا وقبره ، واجتماعهم حوله :

يعد بناء قبر مولانا جلال الدين أهم الأحداث فى أيام جلبى حسام الدين . فقد عين مولانا الموضع الذى سوف يتوجه إليه أصدقاؤه ، وأسس العاشقون كعبته وبين البؤرة لأولئك المجتمعين حول مولانا وبدأت الأوقاف توقف عليه بمجرد الشروع فى تأسيسه وفى النهاية عين واحد من أصدقاء مولانا إماما على هذه المقبرة ، وخصص للمقبرة كذلك المؤذنون والحفظة وقراء المثنوى والخدام ، وقراء الألحان بصوت عذب جميل ، والمنشدون[١١] والشعراء الشعبيون .

وكانت حسام الدين يشتغل بقراءة المتنوى وتلاوة القرآن كل يوم جمعة بعد الصلاة ، ويرتب كذلك وقد اقتدى به فى ذلك واتبع سبيله بضع مئين من العلماء والعارفين ، وثمة واحد من بين قراء المثنوى حكى عنهم أفلاكى ، كما أنه يروى عن كثير من الوقائع والأحداث كما ذكر سلطان ولد شخصا يدعى سراج الدين أورد ذكره فى « ابتدانامه » .

وثمة واحد آخر يدعى « سعد الدين » وهو من رواة أفلاكى . وقد كان كل من لاله وضياء الدين شيوخا فى تكاياهم ، وكان حسام الدين موجودا فى مملكة أصدقاء مولانا ، وكان كلما قدم إلى المقبرة جلب معه الماء من المدينة كيلا يتوضأ من ماء الوقف ثم يتوضأ بما جلبه من الماء ويشربه بعد ذلك .

وتفيد رواية أفلاكى أن وقف المقبرة كان كثيرا فى ذلك الإبان ، ومن ثم فقد اختص كل شخص بحصة موقوفة عليه ، ويضيف كذلك أن مايتعيش به الأصدقاء كان جميلا ونفيساً . ويحيطنا أفلاكى علما أن جلبى حسام الدين كان يضطلع بتوزيع مال الوقف الذى يتحصل من عام إلى آخر مع النذور والهدايا التى تأتى فى أوقات غير محددة على كل كره خانون KERREHATUM زوجة مولانا وابنتها مليكة خاتون وسلطان ولد ، كما كان يوزع نصيبا آخر على الأصدقاء وأصحاب الحاجات وخدمة المقبرة بحسب اختلاف درجاتهم ، كما كان ينظم ويرتب مأدب الضيافة بعد مجالس السماع ، ويقوم على خدمة الغادين والرائحين على السواء، وندرك [١٢] من هذه الكلمات أنه كان بين رجال مولانا من يوصون بمال جد قليل لمن يضطلعون بمهمة إصدار الفتوى فى المدارس الدينية ، وكذلك إعاشة كل صاحب عمل يدوى أو صاحب وظيفة يكابد مشقة الاضطلاع بها .

كما ظهرت كذلك زمرة ممن تعيش على وقف المقبرة ، ونشأ مع تأسيس المقبرة تلك الأوقاف التى كانت سببا فى ظهور تلك الزمرة .

عقيدة جلبى حسام ونفوذه ، والاحترام المرعى تجاهه :

بعد كان جلبى حسام الدين رجلا ذا عقيدة خالصة بمولانا جلال الدين ، وقد أثرت هذه العقيدة فيما دون نطاق شعوره حتى دقائق حياته .

يقوم حسام الدين : قلت لمولانا وأنا أرى الأصدقاء يقرءون المثنوى « إن فى يديك سيفا وهراوات[١٣] غليظة ، وملائكة موجودين يستأصلون شأفة إيمان ودين أولئك الذين لا يلقون السمع إلى المثنوى موقنين به مذعنين له » فأكد مولانا هذا وأقره ، ثم روى هذه الواقعة بأبيات من الشعر وردت فى المثنوى يقول فيها « إننى أرى الآن عدو هذا الكلام ماثلا أمام ناظرى بجلاء ، وقد هوى فى نار جهنم منكس الرأس .

أقسم بنور الحق إنك قد رأيت حاله ، وأظهر الله لك الجزاء الذى ناله من جراء فعلته (أفلاكى ١٨٧ - ١٨٨ -) ، ترجمتنا للمثنوى ، وزاره المعارف ، الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية : ١ - ج ٤ - ٤٤ A - ص ٤ - ٣٤ - ٣٥) . وذات ليلة رأى حسام الدين فى منامه أن النبى عليه السلام كان يقرأ المثنوى ويمدح هذا الكتاب ويطريه أمام الصحابة ، كما رأى النبى فى معية مولانا وهو يمدحه ويثنى عليه ، ثم قص حسام الدين الرؤيا على مسامع مولانا . وكان هذا الحب العميق سببا جعل سلطان ولد يبدى تجلة وتوفيرا غير عادى لحسام الدين .

وها هو ذا يشرح هذا بقوله : ذهبت ذات يوم إلى بستان جلبى حسام الدين ، وكان يتحدث عن الحديقة والبستان ، بيد أننى كنت أحصى الألفاظ التى تتصل بالمعلومات والأسرار الحقيقية لكل هذه الألفاظ ، وكان حسام الدين يستمع لكل هذا ثم غشيته غاشية من النشوة والحبور ، وجعل يفكر مليا حتى أصابه الذهول والانشداه ، فذكر حينئذ تلك الأبيات الواردة فى مثنوى أبى والتى يقول فيها : مهما قال العاشق من قول فى ديار العشق ، فإن رائحة هذا العشق تحس من فمه ، وإذا ما خرجت ألفاظ من فم الفقيه تتحدث من العدم والفناء فإن رائحة هذا الفناء تنبعث من هذه الكلمات :

وإذا أثيرت مناقشة تخص الكفر فإن رائحة الدين توجد فى هذه المناقشة فإذا تفوه بألفاظ تدور حول الشك فإنها تشرح اليقين (١٤) . قالوا ذات يوم لسطان ولد : لماذا لم تحل محل أبيك ؟ فرد قائلا : إن أبى لم يختر خليفة بنفسه إبان حياته ، ثم قال أبى هذه الكلمات « أيها السلطان حسام الدين أنا الحبيب وأنت المحبوب ، ولقد بذلت جهدى لأكون غمد علم من أجل سيفك » (١٥) ويقول أيضا « أيا نور الإله وصاحب الفضيلة حسام الدين ، اعلم أنك طبيب الأفئدة دون النظر إلى وريد ، أو الاستماع إلى نبض ، أو الاستعانة بالعلوم التى تخص النجوم كان يقول مثل هذه الكلمات ويمدح جلبى حسام الدين بإسهاب وتفضيل وشمول واتساع . ولقد ثارت اعتراضات على طريقة مولانا إبان زمن جلبى حسام الدين ، وذهبت طائفة من أكبر القوم وأساطين العلماء فى هيئة مؤتلفة مُحكمة إلى محكمة القاضى سراج الدين ، وأصروا على أن عزف الرباب والسماع كليهما ضرب من ضروب الحرام ، وأرادوا منعهما وتحريمهما بقوة وإصرار ، ولم يكن مولانا بين هذه الزمرة الشاكية ، ولسوف يكون من اليسير القضاء على هذه المادة لمن لا يتبع الشريعة .

وقال القاضى سراج الدين : هكذا يقول أئمة الدين وعلماء المسلمين ، بيد أننا يتوجب علينا أن نسأل عازفى الرباب وأرباب السماع ، ثم لننظر فى الأمر فيما سيقوله هؤلاء ، ذم استدعى من فورة حسام الدين وقال له : هذه هى أقوال هؤلاء ، فماذا أنت قائل ؟ فرد حسام جلبى : هذا هو جلدى أترى أعينكم عصا موسى جذاذة خشب أم حية ؟ ولما رأى العلماء لا يجيبون قال ربنا إنها جذاذة من خشب وألقيت فى ركن .

بيد أنها أظهرت لنا المصطفى عليه السلام ، وأماطت اللثام عن سره ، وأن مولانا جلال الدين الموجود هو موسى الزمان ، وقد اختار جذاذة الخشب هذه بأمر من الله ونظر إليه بعين الرعاية والعناية ، وقطعت جذاذة الخشب ، والحية فى يده حتى بلعت والتهمت أخيلة الطاعنين فى الخيال ؟ وإن السير دون خوف أو قيد تجاه هذه الحية وادعاء الجسارة أمامها ليس بالشىء المقدس .

وأنتم تنظرون كذلك وترون أنها تبلع في نفس واحد أخيلتكم وأحكامكم التى توافق العقل ، وهى لا تعطى أمانا لأى شخص ، وتعجل بهلاككم جميعا . وإن منظر وهيئة مولانا هو هراوة ، بيد أنها حية فى عالم الحقيقة والواقع . ثم قرأ البيت الذى يقول : لا تمش يا موسى فوق الأفعى الطاهرة فظاهرها عصا وباطنها أفعى[١٦] . ثم أضاف إن نظرة مولانا كانت إكسيراً ، فكيف إذا جعل الإكسيّر النحاس ذهبًا ؟ إن هذه النظرة تمحو حرمة القيثارة وتجعلها حلالا ، وتصير مقبولة عند أصحاب الكفاءة والمقدرة .

وقد أدرك العلماء أنهم ليسوا على قدم المساواة مع هذه الطائفة ، ولاقبل لهم بالظفر أو النجاح ومن ثم فإنهم تخلو عن إصرارهم .

موت جلبى حسام الدين :

توفى جلبى حسام الدين يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان لسنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة ، وهاهو ذا أفلاكى يورد التفصيلات التى تخص وفاته فيقول :

ذهب جلبى ذات يوم إلى بستان يسمى حمام بمنطقة مرام ، وفى هذا اليوم اجتمع كل عشاق مولانا فى البستان ، وماهى إلا لحظات حتى جاء واحد من قونية أثناء جلسة المسامرة والسماع وأخبرهم بسقوط الراية الكائنة فوق قبة المقبرة .

وخلف هذا الخبر تأثيرا بالغ السوء فى نفس جلبى حسام الدين وجعل يضرب يديه بركبته بضع مرات ، ثم شرع فى النحيب والبكاء ، مما أبكى تأثره الأصدقاء ، وقد مرت حينئذ سنوات على رحيل مولانا ، ويقول : احسب أنت ، مرت عشر سنوات ، وهم يقولون لقد وطئنا العام الحادى عشر ، ثم تغيرت وتبدلت حال جلبى تغيرا تاما ، واقشعر جلده وهو يقول : احملونى إلى منزلى ، إنها كأس المنية ، لقد أزفت ساعة الرحيل ، فحملوه إلى داره وبعد أن مكث فى فراشه مريضًا لبضعة أيام أدركته المنية فى مثل هذا اليوم الذى جاء فيه إلى الدنيا ، ثم وورى الثرى فى الجهة الأمامية لمولانا . ويوجد الآن صندوق مطلى بالغُبيراء ومشيد بالآجر فوق المقبرة داخل

المدفن ، وثمة لوحة مرمرية مثبتة بالغبيراء [١٧] فى الطرف الأمامى للصندوق ، وقد نقشت عليها نقوش عربية بخط الثلث ، وها هى ترجمتها التركية : « توجد ها هنا مقبرة من اتبعه الشيخ والعارفون ، إنه إمام اليقين ، ومفتاح خزائن العرش ، وأمين كنوز وجه البسيطة ، وجُنيد الزمان ، وبايزيد العصر ، وصاحب الفضائل ، إنه حسام الدين حسن بن محمد المشهور بحسن أوغلو نور الله – رضى الله عنه – وهو منسوب إلى الشيخ القائل : إن أصلى أروميالى ، ورقدت كرديا ، ونهضت عربيا ، أسعد الله روحه . وقد رحل عن الدنيا فى يوم الأربعاء الموافق الثانى عشر من شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمائة » . هذا وقد اقتبست هذه النعوت السبعة الموجودة فى هذا النقش من الكلمات التى دبجها مولانا فى حق جلبى حسام الدين فى ديباجة المثنوى ، وعلى كل حال فقد اضطلع ولد بترتيبها وتنسيقها[١٨] .

الهوامش

(١) وكان ما وكانت وحدث است : – هرجه غير واحد أمدويوتست (ترجمتنا ج ٦ ، ١٢٢ ، ١٥٢٨ ط).

(٢) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

(٣) كر كوهر ست مرديود بحر ضفاينة : ديناجو لقمة شورش جون دهسان كشآن .

(٤) دندان توجو شود سوست برجاشن ديكرى وست ميدان كه همجونون أست برمردجان سبوردن (ديوار أكبر) .

(٥) جون من امرايحو ردخاك لا حد جون جرعه : يرسر جهد جان كه مجسم نورم نه بيم أون شاه كه ارتخت تلبوت روم حال دينه ابداشورقمى متشوم (ديوان أكبر انظر القسم الأول من كتاب مولانا : القسم السادس (الطبعة الثانية ص ١٢٣ – ١٢٧) .

(٦) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية ، ص ١١٢ – ١١٣

(٧) انظر مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١١٤ – ١١٥

(٨) رسائل مولانا جلال الدين : مطبعة اوزلق – ط ١٥ ، ص ٢٠ ، ٢١ .

(٩) المصدر السابق : ص ١٢٤ – ١٢٥

(١٠) أى خو شاب كرو صال يار مارادوش يود . ° . مشترى در طالع خورشيد آخوش يود

هو قدح كزمى بمن دادى بيكفتى خوش دار . ° . أى مسلمان داران جالت حى جان خوش يود

(١١) شياد : هو كما يظن البعض درويش صوفى يطوف من مدينة إلى أخرى ، ولا يأتى بمعنى الماكر المحتال وتأتى هذه الكلمة بالمعنى الثانى ، بيد أنها كما ورد فى المثنوى وديوان حافظ وشرح كلستان لسرية (٩٩٨ – ١٥٦ – ١٥٦١ م) ترد بمعنى « قصة خوان » أى قارىء القصة ، ويعنى بهم أولئك الذين ينقلون الحكايات التى تصطبغ بصبغة ملحمية معتمدة على الدين . وقد ورد عند أفلاكى فى وصف أبنية دار أوغلو حسام الدين أنه شياد ولا نظير له ، وشاعر صديق كان يقرأ الغزليات « شياء نادر وبار شاعر بود ، غزلها خوانده » ، والمعنى المراد هاهنا بكلمة « شياء كويند كاه » يبين هذا ويذكرنا بقراء الألحان ، والمعنى المقصود فى الكلمة هو قراءة شىء بصوت عال ، وهو الذى يمدح أحدا ما مترنما بالغزل والألحان ، ولا ريب أنه يعنى كذلك ذلك الذى يعزف على آلة موسيقية أثناء إنشاده ، ويعد الدكتور نافذاوزلق NAFIZUZLUK هو أول من بين معنى ومغزى هذه الكلمة فى مقالة ذات قيمة عظيمة (أبحاث حول معنى « شياد » – جامعة انقرة – مجلة كلية اللغة والتاريخ والجغرافية – جـ ٧ – عدد ٤ – ديسمبر سـ ١٩٤٩ ، ص ٥٨٧ – ٥٩٢) .

(١٢) انظر : مولانا جلال الدين – الطبعة الثانية : ص ٢١٧ – ٢١٨ .

(١٣) جمع هراوة ، وهى العصا الغليضة ، وتسمى فى التركية Sopa (المترجم) .

(١٤) ترجمتنا للمثنوى ج ١ ، سنة ١٩٤٢ ، ص ٢٨٧ ، b ، ٢٨٨٠ – ٢٨٨٢ .

(١٥) أى شه حسام الدين حسن بيكُوى باجانان كه من : جانى اكيلاف معرفت ميكونم (الديوان) .

(١٦) أى ضياء الحق نو الفضل حسام الدين تو . ' . عارف طب دلى بى رك وتبض مجستانى (الديوان).

ظاهرى جون عصـا وباطـنى ازدهـا . ' . جون نل موسى مروير ازدهاى قاهرى (الديوان) .

(١٧) الغبيراء: هى رماد الجبل ، وتسمى فى التركية آليحى AliCi (المترجم).

(١٨) ترجمتنا للمثنوى . ج ١ ، الديباجة ، س – ك .

الفصل الثانى

عصر سلــطان ولد

سلطان ولد بعد حسام الدين – بكتمور أوغلو شيخ كريم الدين – سلطان ولد في مـقـام والده – خـلائق وصـفـات سلطان ولد – النجلة التى تجلت لسلطان ولد – وفاته – أبناؤه وخلفاؤه – آثاره .

سلطان ولد بعد حسام الدين :

يعد سلطان ولد مؤسس الطريقة لكثير من المولوية ، وقد ولد فى يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من ربيع الآخر لسنة ثلاث وعشرين وستمائة من الهجرة ، الموافق الرابع والعشرين من شهر أبريل لسنة ست وعشرين ومائتين وألف من الميلاد ، وكان مولده فى مدينة «لارنده » ، وأمه هى جوهر خاتون ابنة شرف الدين سمرقندى[١] .

كان مولانا يحب سلطان ولد حبا جما ، وكان ينام فى حجر مولانا عندما كان طفلا صغيرا ، فإذا ما أراد الرضاعة أرضعه مولانا ثديه لتسليته وتلهيته (أفلاكى) كنا نراه فى معية مولانا فى كل مكان عندما شب عن الطوق قليلا . ولما بلغ أشده واستوى كان الجاهلون بأمره يحسبونه أخا لمولانا ، وقد سماه مولانا باسم أبيه ، ودائما ماكان يقول له « أنك أشد شبها بى من ناحية الخلقة والجبلة » ويفهم من هذا

أن سلطان ولد كـان على أسـال كبـيـر من أبيـه ، ومن المحـتـمل أن تكون ظنون من يحسبونه أخـا لأبيه نـاجما من هذا التشـابه والتمـاثل . وقد سـمـا مولانـا بولده فى الدرجة العليا بعشـقـه له وحدبه وعطفه إبان عصره وعرف أكابر القوم والوجهاء . وذات ليلة كتب على جدار مدرسته هذه الجملة « إن بهاء ديننا مجدود ميمون الحظ ، ولد جـمـيلا ويموت جـمـيـلا » . وذات يوم قـال بهـاء الدين : إن مرادك من هذا هو أن ظهورك كان قبل مـجيئى أنا فى العالم لأن هذه الألفـاظ جميعا هى قولى ، أما أنت ففعلتى وصنيعى . كان سلطان ولد يقتدى بأبيه ويتبع سبيله فى كل صـغيرة وكبيرة من شئون الحياة ، ولم يخرج قط عن طوع أبيه وامتثال أمره ، كما كـان يبدى كل مظاهر التجلة والتوقير لكل ما يحبه أبوه ، فنهج نهجه واتبع طريقته واستن بسنته وقد اقـتدى سلطان ولد بادئ ذى بدء بالشـيخ شـمس بنـاء على وصـية أبيـه . وارتبـط به ارتباطا وثيق العرى كمـا فعل أبوه ، ومن ثم فإنه كان فى معية الشيخ شـمس وجـاء معه راجلا حتى بلغا معا مدينة قونية ، ثـم قال له فى مـقابل تكليفه بركوب الحصان « إن هـذا أمـر مـتـعـذر ، فليـمـتط كل من السـلطـان والعـبـد صـهـوة الجـواد »[٢] وبعد استـشـهـاد شـمس ، عـاد سـلطـان ولد فامـتـثل كـلام أبيه وأصـبح تابعـا للشيخ صلاح الدين [٣] .

هذا وقد نسى سلطان ولد كل مـا ألم به من معرفة وعلم أمـام هذا الشيخ الأمى ، وبات تابعـا له مـقـتديا به بكل مـا أوتى من ود وحـمـيـة وصـدق وإخـلاص[٤] . ثم اتبع سبيل الشيخ جلبى حسام الدين بعد أن قضى الشيخ صلاح الدين نحبه ، واستمرت مـعرفته بالشيخ جلبى حسـام الدين بعد أن مات أبوه جـلال الدين الرومى ، ولم ير فى نفس هـذا الشـيخ قـط أى أثر للرفـعـة وسـمـوق الـشـأن ، ومن ثـم اشـتـد حـزنه عليـه عقب وفاته ، وها هـو ذا سلطان ولد يفصل القول فيما آلت إليه حاله بعد رحيل الشيخ جلبى حسام الدين فيقول :

« لقد كنا جميعـا فى كنف هذا السلطان ورعايته ، نحظى بطمـأنينة وأمن ، فى مأمن من الإثم والجريرة وحيل الشيطان وأحابيله . وذات يوم أصابه المرض على حين

غفلة منذ ما يربو على عشرة أعوام ، ثم لحق بالرفيق الأعلى . وظل سلطان ولد طفلا يتيما منفردا وحيدا ، وغشيته غاشية من البكاء والأنين ، وأصابه الوهن والخور من شدة الخوف والوجل ، ولاذ بالوادى كالطفل متخذا لنفسه فيه مستقرا ومقاما ، ولم يكن ثمة رجل عطوف شفوق ، ومن ثم فإنه مكث وكأنه طفل غرير فى حال من الانذهال والانشداه ، وتصوحت آماله وأصابه اليأس والقنوط ، ثم قال : لقد وجدتنى فى لجة الهموم وغياهب الظلمات ، تارة يرطم رأسه بالأحجار من شده ألمه حزنا وأسفا على فراق المحبوب وتارة ينخرط فى بكاء شديد ، فماذا عساى أن أكون بهذه الغصة وذلك الحداد ؟ وماذا سيكون قصيرى ومآلى فى تلك البرهة ، من الزمان لقد ارتحل مرشدى ودليلى فكيف سأسلك سبيلى ؟ وكيف سأخلص رأسى من وساوس الشيطان إذا لم أجد وجوده وكينونته ؟ فإلى من أولى وجهى ؟ وبمن احتمى وألتصق ، فما حيلتى ودوائى ؟ إننى أصبح مستصرخا فما هو خلاصى وتدبيرى » . « ص ١٢٣ » .

ثم قلت وأنا آتاوه بسائر العذابات وغصص الآلام : لقد ارتحلت أيتها الروح الطاهرة التقية ووسد جسدك الثرى ، ونمت تحت هذا التراب بيد أن روحك طاهرة نقية .

ولا مرية أن جوهرك وكنهك يثويان فى هذا المضمار إن روحك ترانى وترى كل شخص من حولى ، ألم تجد لى عندك اللطف والحدث والرعاية ؟ ألم أقصص عنك القصص والحكايات ؟ ألم أكن ترجمانا فى حضرتك ومعيتك ؟ ألم أكن عبدا فى طاعتك من أجل خدمة أهل طريقتك ؟ ألم أبلغ أخبارك للسابقين واللاحقين والأولين والآخرين على السواء ؟ أوجدت لى هذا فى الوعود العظيمة ؟ لقد خلصك من كينونتك ووجودك ؟ وأخرجت يوسفك من غياهب الجب ، وقلت إنى سأكون سلطانا وسيدا حتى لو صرت عبدا أسيرا » .

يمثل هذه الكلمات التى وردت فى ص ١٢٣- ١٢٤ من كتاب « ابتدانامه » يتبين لنا عدم اطمئنان سلطان ولد وهو يجلى هذا الشعور بنفسه فى الكتاب سالف الذكر

ثم يرى بعد ذلك جلبى حسام الدين فى منامه ويقول له : نحن موجودون أبد الآبدين ودهر الداهرين ، ولسنا شيئا خفيا مستورا ، ومن ثم فنحن ماثلون فى هذا الميدان ، ويجدنا ويعرفنا كذلك من يطوف ويجول فى معبد الوثنيين ، ونحن نتزمل ونتدثر بلباس البشر ، ونحن نور الله فالسلطان يمتطى صهوة مائة من الجياد المتباينة ، بيد أنه لا يغير نفسه ولا يبدلها ، فهو من هو من جديد ولأجلك فلسوف أراك من بدن آخر كى تدلنى على الطريق إليك من جديد ، ثم يقف ليقدم دروسا جيدة من العشق حتى تتم وتكمل طريق الحق سبحانه وتعالى .

وفى خاتمة المطاف ستكون وكأنك قد نجوت وأنقذت من الدنيا كمن تخلص من حبالة منصوبة ثم يجوز الطريق وكأنه يبلغ الذات الإلهية ، أنت تبلغها لا محالة ، فابحث عن الولى فقد بلغت الحقيقة واعلم أننى أنا الولى فى تلك الحقائق ، واتبع سبيله وانظرمليا إلى بلوغ مرادك ومقصدك ، ثم يقول ما فحواه : لقد رأيت هذا الشخص بعد الرؤيا المنامية ، ومن ثم فقد صار عاشقا للأسرار الخفية المستورة ، فانظر إلى مليا ، فأنا قاع عميق الغور ، وأنا ضيف فى جسد من طين ، بيد أننى صرت لك صديقا من جديد ، وأتيت كى أخلصك من مقام العداوة والشنآن ، ولا تناقش الحلق بشأنى وهكذا فلتكن أنت وحدك صاحبا لهذا الكنز الخفى المستتر ، لأن الكنز لا يليق بالحيوان ثم قال : هكذا يستطيع الإنسان فقط أن يأكل هذا الطعم (ص ١٢٧) .

بكتمور أوغلو شيخ كريم الدين :

على حين كنا نرى سلطان ولد يقص عن الرؤيا التى رآها فى كتابه « ابتدانامه » فإننا نراه كذلك يشرح كنه وماهية مفهوم القطب الصوفى عند المتصوفة ؛ فيقول : يوجد رجل خفى مستور فى هذا العالم وكأنه يشبه فيما يشبه الشىء الخفى المستور فى معدن ذهبى وفضى ، منظره ترابى وجوهره ذهبى خالص نفيس وجسمه شاحب لين رخو ، وهو كيس فطن ألمعى ، وكينونته هى نور السماوات والأرضين ،

فانظر واشهد إذا أردت أن تزف التهنئة ، يا له من شكل حسن جميل ، وهو صاحب بديع على غير مثال ، ولاندله بين الأكابر والوجهاء ، إنه روح يشبه بدن العالم بأسره وهو جذاذة ذهبية وفضيلة للعالم كله بقضه وقضيضه ، هكذا يكون المعدن ، وكلامه حلو جميل ، وقد قصه على فى المنام الشيخ حسام الدين ، لا جرم أنه هو بعينه كما شرحه وقصه ، بيد أنه يشبه الوجه الوضاء ، ولا سبيل إلى شرح ذلك بلغة أو بيان .

ولقد أصبحت أمام بابه عبداً ذليلاً ، فأنا فؤاد خرجت وظهرت من الإنسانية ، وبدأ يطير كالملك إلى طبقات السماوات السبع ، وفى خاتمة المطاف عبرت من كينونتى ، وهكذا قطعت هذا البحر وأنا أبحث عن شاطىء لدى ونهضت من فورى لأبحث وأنقب عن شيخ وأستاذ آخر من هذا الشاطىء لأنه ليس ثمة رجل يشبهه فى هذا العالم « (ص ١٣٩ - ١٤٠) ، ثم يردف سلطان ولد قائلا فى كتابه « ابتدانامه » حيث يتحدث ثانية عن هذا الرجل الخفى المستتر وذلك الرجل الوحيد ما فحواه « وعلى حين كان هذا الشيخ وحيدا ، فإن حسام الدين كان دائما يقف ليقرظه ويطريه بين ظهرانى الخلائق أجمعين ، ويحكى عن أطواره وأحواله ، ويتحدث عن منزلته وقدره ، ويخبر عن دنوه من حضرة الذات الإلهية ، وهكذا كان رجلا صديقا ، وبعد أن ينعته حسام الدين بالكرم والبذل والعطاء ويشهد على ذلك ، فإنه يتوجب حينئذ ألا يتردى أى شخص قط فى هاوية الشك والمراء أو البهر والانشداه لأنه جلى محك عيار هذا الذهب النفيس .

وإذا كان حسام الدين لم يسق الأدلة والبراهين فى شهادته فإن عذره فى هذا يرجع إلى أنه كان فى مضمار الحديث عن رجل عزيز القدر رفيع المنزلة ، وأن آثاره لتقف ماثلة شاهدة فى وجهه ومحياه ، ويدرك من هذا كذلك أن جوهر الأشخاص الأحرار ماثل ثاو فيه وأن صورته وجبلته ونحيزته لدليل شاهد على وصال قلبه بالذات العلية » (ص ٣٢٧ - ٣٢٨) .

ثم يصرح حسام الدين باسم هذا الرجل إبان تفصيل القول عن رحيله عن الدنيا ، ويقول فى هذا ما فحواه : « إنه بكتمور أوغلو شيخ كريم ، ذو جبلة حسنة

وخلق قويم ، إنه رجل من المصطفين الأخيار ، رجل من البدن فقط ، وليس ثمة سلطان واحد يعدله فى كرمه وجوده ، إنه يشبه درة يتيمة فى هذا العالم ، وقد اشتغل هذا الأمير النجيب بالهداية والإرشاد سبع سنين عقب رحيل الشيخ حسام الدين ، ثم تبوأ مقام السلطنة التى كانت يرومها ويصبو إليها ، ووجد بغيته هذه فى العطاء والإحسان ، وغدا فى حال من الوجد يرى فيها الحقيقة رؤيته لذات نفسه ، لقد انتابنا عويل وصراخ من جراء موته وطفر الدمع الهتون من أعيننا ، وضربنا رءوسنا وصدورنا وغدونا بهذه المناحة والحداد مضمحلين فى كدر وأحزان ، ولكن ماذا عسانا أن نصنع ؟ لقد تصوح أملنا وخاب رجاؤنا ، وحل علينا قضاء وقدر . ولزم على كل شخص أن يتوب توبة نصوحا بغية انقطاع هذا الألم الشديد بذلك الدواء الناجع ، لقد غدونا بدونه كطائر موثوق الجناح ، بيد أنه يتوجب علينا ألا نقنط من رحمة الله ، فإنه لا مناص من وجود واحد آخر يلطف بنا ويفتح جناحنا الموثق .

إن الرجال يرحلون عن الدنيا بيد أن الميدان ليس بشاغر ، وكلما أشرقت الشمس ووقفت فيه السماء فإنه يوجد لا محالة خليفة لرب العالمين » (ص ٣٣٠ وما بعدها) ويفهم من هذا الكلام بجلاء أتم أن سلطان ولد قد ظل عقب رحيل حسام الدين سبع سنين تحت كنف التربية المعنوية والأخلاقية لبكتمور أوغلو شيخ كريم الدين ، بيد أن هذا الغلام « سلطان ولد » قد أفرغ وسعه وبذل جهده ليكون على أسال من أبيه فى كل خليقة ونحيزة ، وكان يرتبط ارتباطا وثيق العرى بالشيخ كريم الدين ، كما ارتبط من قبل بوالده وبالشيوخ شمس الدين وصلاح الدين وحسام الدين على التوالى ، ولم يكن هذا كله لأن مولانا لم يبلغ بعد درجة نضج وكمال هؤلاء الشيوخ الثلاثة ، بل إن سلطان ولد قد اتخذ هؤلاء الشيوخ من طريق العشق مرآة يُجلى فى صقالها ذات نفسه ، ومن ثم فإنه أوصى هؤلاء الشيوخ بالشعب لأنه رأى ذات نفسه فى هؤلاء الشيوخ ، واختار ألا يكون فى حالة من المجاهدة والعناء فى الالتفاف حولهم . ويدرك من كلام سلطان ولد أنه بعد رحيل جلبى حسام الدين لم ير فى ذات نفسه أنه لم يبلغ بعد درجة كافية من النضج والكمال الروحى ، ولأجل هذا فإنه اتبع سبيل الشيخ كريم الدين مستمسكا بالفكر الصوفى بكل ما تحمله من معنى .

هذا ولا نملك فى حوزتنا قط معلومات بشأن الشيخ كريم الدين ، وتحيطنا الكتابة المنقوشة على شاهد قبره أنه أحد المنتسبين إلى مولانا جلال الدين الرومى ، كما ندرك مليا من كلام سلطان ولد أنه كان من المحببين إلى الشيخ جلبى حسام الدين . حقا أكان هذا الرجل رجل علم مثله فى ذلك مثل شمس وحسام الدين ؟ أم أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب كالشيخ صلاح الدين ؟ لقد كان بكتمور أوغلو كريم الدين فى ذلك الإبان وليا من المصطفين الأخيار . وكان ذا قلب صوفى خالص ، بذل روحه ونفسه فداء فى سبيل الحق سبحانه وتعالى ، يحبه كل شخص إذ كان صادق الود للناس أجمعين ، ويتمم شغل كل واحد من أصحابه ، إنه رجل ذو همة عالية وسورة حميا ، يسمو قدره وتعلو منزلته كالجنيد[٥] ومعروف .

ومن يدرك كنه أسراره ليعلم علم اليقين أنه من هؤلاء الأحرار ، إنه خلى وصديقى ، وهو اليوم فى هذه الدنيا ذكرى حسام الدين أنا . هل ولى وجهه شطره ليجد علاجا ناجعا لذلك المتألم لموت حسام الدين ؟ لم تكن بغيتى وغايتى الحديث عن عيسى وموسى وعمران .

ولم يكن هدفى أن أشرح شيئا يخص المنصور وأدهم وذا النون وأحمد البلخى ، بل كان هو وحده بغيتى ومرادى ، وهو مقصدى إذا تذكرت أى مسافر أو عابر سبيل .

أو إذا تحدثت عن واحد من المصطفين الأخيار وليس ثمة شخص آخر سواه»[٦] .

ومن أسف أننا لم نستطع العثور على المعلومات التى نتقفاها إبان بحثنا فى هذه الأقوال (ابتدانامه : ص ٣٢٥ – ٣٢٦) ومن ثم فإن بكتمور أوغلو يظل من هؤلاء الرجال الذين يكتنفهم اللبس والغموض .

وقد وردت رباعية على لسان سلطان ولد أوردها فى ديوانه يقول فيها ما فحواه : أنت عندى بكتمور أوغلو بين الخلائق أجمعين ، وأنت زاخر عامر بالرأى والعلم والمعرفة ، وأنت درة يتيمة فى جسد منقطع النظير ، وتشبه فيما تشبه عرق اللؤلؤ[٧] وأم اللآلىء .

أيكون هذا موضعك وعرق لؤلؤك ؟

وأنت بحر اللؤلؤ منذ بضع مئين من السنين[٨] . وهذه المعلومات لا تدل على أنه كان شخصا من المتقدمين السابقين ، والأمر خلاف ذلك ، فقد كان رجلا عاديا فى نظر الناس بيد أننا نظن أنه رجل زاخر بفيوض العرفان بحسب ما ارتآه سلطان ولد .

ولقد توفى الشيخ كريم الدين فى أوائل أكتوبر أو ديسمبر لسنة ٦٩١ هـ = ١٢٩٢ م ، وقد ووری الثری فی الجهة اليسرى من الناحية الخلفية لمقبرة أولو عارف جلبى ، وقبره متدثر بصندوق من الآجر ، وقد دهنت الطبقة العليا من الصندوق بمادتى الدبق والغبيرا[٩] .

وقد نقشت على اللوحة المرمرية الكائنة فى الجهة العليا للصندوق أربعة أسطر بخط الثلث مكتوبة باللغة العربية ، وهاك ترجمتها بالتركية : يثوى ها هنا العاشق الصادق ، وصاحب المنزلة السامقة الرفيعة الذى منحه العارفون المخلصون المحبون ، إنه قبر رفيع المقام للشيخ كريم الدين الذى ينتسب إلى مولانا جلال الدين ، رحمه الله رحمة واسعة ، وقد رحل فى شهر ذى الحجة لسنة ستمائة وتسعين من الهجرة .

سلطان ولد فى مقام أبيه : كان سلطان ولد فى حقبة هداية وإرشاد كريم الدين التى دامت سبع سنين فهل وصاه أبوه باتباع سبيله مثل سائر عشاق مولانا ؟ كلا ، ونحن نعلم هذا على سبيل الجزم واليقين وها هو ذا سلطان ولد يروى هذه الواقعة بنفسه فى « ابتدانامه » بعد وفاة جلبى حسام الدين ويقول فى هذه الرواية ما فحواه : لقد كان الشعب بشيبه وشبابه قد خرج عن بكرة أبيه وأخذوا يتضرعون ويتوسلون قائلين : يا ولد إنك أنت الشخص الذى يحل فى مقام أبيه ، وماذاك إلا أنه كان يحبك حبا جما ، وأنت قد أعطيت هذا المقام للشيخ حسام الدين لأنه كان صديقا حميما ومختارا ومصطفى لأبيك ، وعندما رحل حسام الدين لم يعد لك عذر مقبول أو تعلة تتعلل بها ، وإن الله ليقدر هذا الأمر حق قدره .. » .

وجعل يستطرد فى الكلام ويطيل فيه ، ثم قال : لقد قبلت تكليفكم فى نهاية الأمر، ويذكر فى الكتاب أنه عندما انتقل إلى مقام أبيه وتبوأ منزلته حتى

صار له كثرة كاثرة من المريدين ، سرعان ما أرسل بالخلفاء إلى المدن الكائنة في الأماكن القاصية وغصت الأناضول بالخلفاء ، ومعلوم كذلك أنه كتب شجرة النسب إلى هؤلاء أجمعين (١٠)

وثمه شيء يدرك مليا من هذه الأخبار كلها ألا وهو : أن سلطان ولد قد بدأ في تمثيل مقام أبيه بعد رحيل جلبي حسام الدين حيث كانت الطريقة الموجودة إبان عصر مولانا نواة صغيرة ومن ثم فإنه اضطلع بتأسيس الطريقة المولوية وتقعيد أصولها باسم أبيه ، وهي الطريقة التي لم تكن قد أسست في ذلك الحين ، ثم بدأ كذلك في إرسال الخلفاء إلى كل صوب وحدب بغية نشر الطريقة واتساع رقعتها وهذا يعني أنه منح المولوية نبض الروح والحياة وبثهما في تضاعيفها . لقد كان سلطان ولد شخصا صادقا مخلصا ودودا ، أحس في ذات نفسه أنه لم يبلغ بعد درجة النضج والكمال .

أو أنه قد شعر بضرورة اتباع سبيل أبيه وانتهاج نهجه وعليه فإنه اتبع سبيل الشيخ كريم الدين تحت تأثير هذين السببين الملمح إليهما ، بيد أن نهاية شمس قد أجبرته على أن يهم بحركة أكثر يقظة وانتباها ، أو بعبارة أدق فإن وجوده عند مولانا سيرتج رجة عنيفة ، ولسوف يمحي تدبيره ويعجز حوله وجبلته إلى الدرجة التي يعجز فيها العشق والجذب الصوفي فيهجر كل موضع للتفكير وقد أحس في قرارة نفسه بأنه لم يشعر أي شخص بعدم وجود الشيخ كريم الدين ، وهكذا فإن هذا الرجل المستتر الملغز قد ارتحل وانتقل إلى عالم الخفاء والغموض .

خصائص سلطان ولد وخلائقه : لم تكن الولاية والعلم سوى شيئين اثنين ورثهما سلطان ولد عن أبيه (الديوان F: uzluk basimi ٤٩٩ ، بيت رقم ١٠٤٤٣) ولقد كان الصدق والإخلاص كلاهما أهم نحيزة بارزة في حياة سلطان ولد برمتها ، كان ذا احترام وتجلة سرمديين تجاه والده ودرس سلطانه وحصله في الشام وحلب ، بيد أن علمه هذا لم يخلع عليه في أي وقت قط أي ضرب من ضروب الأنانية والأثرة ، ومن ثم فإنه اقتدى بأبيه واتبع سبيله كما اقتدى كذلك بكل من الشيوخ : شمس الدين وصلاح الدين ويكتمور أولغو كريم الدين ، كما تغشاه غاشية من السعادة إذا تذكر

أباه في كل شأن وآن ، أو كلما رويت خواطره وذكراه ، ويقول في كتابه « ابتدانامه » ما فحواه « فليهنأ محتفيا بالأسرار الإلهية وعلى الرغم من أن كلا من شمس الدين والشيخ صلاح الدين وجلبي حسام الدين كانوا جميعا خلفاء لمولانا إلا أنهم لم يتبوءوا شهرتهم لكونهم أرباب علوم وولاية وكبرياء وعظمة ، بل وجدوا الشهرة وتسنموا ذروتها بشرح سلطان ولد وتفسيره .

ولقد كانت ولاياتهم وسموق رفعتهم وعظمتهم شيئا مستترا خفيا ، ثم انبثقت مشرقة كالشمس الوضاءة . ويقول في قسم آخر من الكتاب : إن والد سلطان ولد كان ذا شهرة عظيمة ، ولم يكن سرا ملغزا كالشيخ شمس الدين ، وبات كل شخص مريدا له بالروح والفؤاد . أما في زمن سلطان ولد فقد كثر المريدون وازدادوا ، ولم يظهر هؤلاء في الوجود عن طريق تقليد أبيه واتباع سبيله فحسب ، بل عن طريق سلطان ولد الذي انتخبوه واصطفوه ورأوه رأى العين ولكن كيف السبيل إلى فهم وإدراك كنه هؤلاء الأعاظم من الرجال .

لقد شرح سلطان ولد أحوال هؤلاء المريدين لكل شخص بالروح وحبة الفؤاد ، وسمع بهم كل شخص من الشيبة والشباب على حد سواء ، وانصرم الزمان ، وشرح سلطان ولد طرائق عبادتهم وسبيل قناعاتهم وتفردهم وعزلتهم ، ومرت السنون ، وأماط اللثام عن صحبة الأرواح وجلى أحوالهم المستترة الخفية . فهو تارة يناقش ويبحث في ضروب الصدق والإخلاص المنبثقة عن كراماتهم وتارة أخرى يكشف عن وصالهم ومنادمتهم ومسامراتهم ومراتبهم في الحضرة الإلهية ، ثم يبين كيف كانت سبل هدايتهم وإرشادهم ، وما هي ضروب العطف والإحسان التي كانوا يضطلعون بها وما انفك سلطان ولد ينبئ عن هذه النعوت والخلال . وخلاصة القول في هذا أن سلطان ولد كان يجلي أحوال كل منهم واحدا تلو الآخر ، ويخلص الناس من الريب والشكوك ، ومن ثم فقد صار عبدامن جديد ، وأحيي عندما كان ميتا ، وهذا سر خفي لم يدرك كنهه أشخاص كثيرون في ذلك الإبان ، ومما لامراء فيه أنه غدا في حال من الوضوح والجلاء .

لا جرم أنه على حين كان سلطان يقدم أصدق المعلومات وأصوبها فيما يتصل بأبيه بين ثنايا كتابه « ابتدانامه » ثم يضطلع بعد ذلك ببحث ومناقشة هذه المعلومات ، ثم نرى بعد ذلك أن « سبهسالر » يبدأ فى تدبيج تاريخ المولوية فى رسالته قبيل ظهور مناقب العارفين ، وفى الوقت نفسه فإن هذين الكتابين بمثابة مصدرين أمينين موثوق بهما . أما الخليقة الثانية التى اتصف بها سلطان ولد فقد اعتنق أيدولوجية مولانا واتبع سبيلها ، بيد أنه لم يكن على أسأل من أبيه فى إبداعه وفكره واهتياجه العاطفى وسورة حمياه ، ومن ثم فإنه كانه فى مقابل هذا مكيثا[11] رابط الجأش منطقى التفكير .

ولما كان هذا الرجل يدقق النظر مليا فى ضرورات العصر وموجباته على الخصوص ، فإنه والحال كذلك قد شرع من فوره يتخلى عن هذه الأيدلوجية ويفرغها من مضمونها ، وينساق بحمية وهمة إلى تأسيس طريقة مولوية متمايزة منفصمة عن سائر الطرق الصوفية الأخرى تنهج سبيل مولانا وتسير على دربه لا جرم كان مولانا رفيع الشأن عظيم القدر ، حتى أنه كان ممثلا للإصلاح الدينى المخيف ، ولكن أى فائدة ترجى من هذه الحملة المستعرة ، ولم يكن عجولا فى اقتباس كل قوته وعزيمته من المجتمع ، ورغم أن هذه الحملة كانت تحمل بين ثناياها خصائص العصر وسماته إلا أنها لم تنحصر فى أشخاص بعينهم ، بل تأثرت كذلك بإحساس وشعور وذكاء وعلم مولانا وبالأحداث والملمات التى مر بها ، وكان لمولانا كذلك تأثير جلى بين يتمثل فى عشقه الأبدى الذى لا تحده حدود ، إنه عشق متأصل جوهرى عميق الغور منتشر بين ظهرانى الأحياء أجمعين ، وكان هذا بمثابة التأثير الثانى والذى يأتى فى الصدارة إذا قيس بالتأثير الأول ، ويتوجب علينا أن نسجل هذا التأثير فى هذا السبيل .

لقد أولى مولانا الحرية الدينية أهمية قصوى ، وقد تردت المدرسة الأرثوذكسية فى مواجهة هذه الحرية هاوية فى لجة العجز والقصور .

وكان يتفيأ فى ذلك الإبان الأهداف والغايات الفكرية المعتدلة المؤسسة ذات القدرة والكفاءة ، وإذا لم يأت فى زمن السلطنة السلجوقية من ينهض لسحق ومحق

هذه الأفكار ، فإنها دونت فى قائمة الأدلة والبراهين التى تزخر بها كتب المناقب والكرامات منذ أمد بعيد .

ويرجع هذا ولا جرم فى أنه كان مصلحا لم يتسن له أن يجد بيئة يركن إليها ويعتمد عليها ، ومن ثم فإنه لم يكمل الاستعداد الاجتماعى والاقتصادى . كان مولانا مثاليا مبشرا (بالاتحاد) ، ولم يظهر فى هذا السبيل شخصية أريجية قادرة على التنظيم تشعر بهذه الحاجة الضرورية فى المجتمع .

لقد كان مولانا مصلحا اضطلع بمقدرة عجيبة فى تلك الحقبة من الزمان تجاوزت كل حد وفاقت كل سبيل ، ولهذا السبب فإنه لم يتهيأ له السيرورة والانتشار ، بيد أن رجاله قد اضطلعوا بفهمه وإدراك كنهه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولقد كان سلطان ولد رجلا باذلا جهده فى سبيل إدخال الأيدلوجية فى هذه الطريقة ، وأفرغ وسعه كذلك لتعظيم هذا الإصلاح بين الخلائق أجمعين ، وقد بدأ بالفعل سيل الإصلاح والتنظيم بيد أنه لم يتمه ، وكانت ثمة عوامل كثيرة موجودة فى حقبة هذا التكوين سوف تصهر هذه الأيدلوجية وربما انحرفت عن أساسها وتنكبت طريقها .

ولقد سبق أن تحدثنا آنفًا عن أن المقبرة كانت فى زمن جلبى حسام الدين ، بيد أن علم الدين قيصرى قد شيدها بتأثير من سلطان ولد[١٢] فاكتمل بناؤها وأصبحت مركزًا مرموقا وسر سلطان ولد لهذا سرورا عظيما ، ونظم ترجيع بندذى أبياتًا ثلاثة وغزلية ذات أحد عشر بيتا يقرظ فيها علم الدين قيصرى ويطريه إطراء حسنا لقاء تشييده للمقبرة وتعمير وإصلاح المدرسة على وجه الخصوص [١٢] وفضلا عن هاتين المدحتين فقد نظم سلطان ولد موشحة تتكون من تسعة وعشرين بيتا تظهر اسم الممدوح فى الحروف الأولى فى المصاريع الأولى لأبياتها (الديوان uzikuk basimi F N ، ص ١٢٥ – ١٢٦) . وثمة غزليتان أخريان يذكر اسم الممدوح فيهما بكل تجلة وتوقير (ص ٤١٧ – ٤١٨ – ٤٤٥ – ٤٤٦) . أما قيصرى الممدوح بعشرين بيتًا من الشعر فقد ورد ذكره فى شعر نظمه أبو المعالى شرف الدين أمير ساطع المولوى الذى اضطلع بكتابة ديوان مولانا باهتمام كبير .

كمـا تحـدث عن هذا الرجل كذلك كل من : أبين دار أوغلوا حسـام الدين[١٤] ، وجورجوخاتون زوجة معين الدين بروانة ، والقاضى قيصرى ، وأمير يدعى حمزة ، كما نو ه كذلك بذكر شخص يذكر شخصًا يدعى شاهين وآهى أمير حاجى وشخص آخر يسمى حسام أفصح .

وهو لا ينفك عن تقريظ هؤلاء وإطرائهم ، فلهؤلاء جميعا حقوق عندنا ، ثم يدعو لهم قائلا : لطفك يا إلهى ورعايتك لهؤلاء لقاء ما فعلوه من خير وأريجية وصلاح (الديوان : ص ٤٥٢ - ٤٥٣) . وقد دبج سلطان ولد غزلية من تسعة عشر بيتا ومكونة من ثمانية بنود بمناسبة مقتل علم الدين قيصرى وفى شهر شوال من سنة ٦١٣ هـ - ١٢٨٤ م .

وإن هذه الغزلية مع المرثيتين السالفتين لتؤكد شعوره العميق والأسف على فراقه (ص ٣٧٦ - ٣٨٠) . وقد اضطلع سلطان ولد كذلك بتدبيج أمدوحة قرظ فيها معين الدين بروانة وأباه مهذب الدين (٢٠١ - ٢٠٢) . كا يتضمن الديوان كذلك رباعيتين فى مدح معين الدين (٥٩٣ ، رباعية : ٢٧٠ ، ص ٥٩٩ ، رباعية ٣٩٠) . ويحتوى الديوان كذلك على قطعة مكونة من واحد وعشرين بيتا فى مدح الوزير فخر الدين صاحب أتا .

وقصيدة أخرى مكونة من ستين بيتا فى ولده صاحب أعظم تاج الدين حسين لأنه أنقــذه مـن ديـن حـاق بـه (ص : ١٨٢ - ١٨٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧١) ويظـهـر اسم شرف الدين بن خاطر الدين فى الحروف الأولى للمصاريع الأولى من العشرين بيتا الأولى ، كما توجد قصيدة مكونة من خمسة وثلاثين بيتا فى مدح وإطراء خاطر أوغلو (ص ١٤٥ ، ١٤٧) ، وتوجد كذلك أمدوحة سلجوق خاتون ابنة ركن الدين قليج أرسلان الرابع وأمها فاطمة خاتون (ص : ٢٥٣) ، ناهيك عن مدحة أخرى فيمن يسمى كومج خاتون زوجة ركن الدين قليج أرسلان (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) ويظهر اسم أكمل الدين نهجوانى فى المصاريع الأولى من الأبيات الثانية والعشرين الأولى ، وثمة قصيدة فى شكل موشح من واحد وأربعين بيتا فى مدح أكرم الدين طبيب (ص : ٢٣٠ - ٢٣٢) كما توجد كذلك موشحة يظهر فيها اسم جمال الدين (ص ٢٢٧)

وأمدوحة أخرى فى مدح آهى الدين (ص ٢٧) وفى البند الأول ذكر لآهى قيصر وآهى جوبان ، وفى البند الثانى ذكر لمحمد شاه وفى الثالث مدح لأهى يوسف ، وهو يشيد أحيانا بذكر أهى سعد الدين الآنف ذكره ، كما يوجد ترجيع دبجه بمناسبة موت آهى محمد سيد آفرين (ص ١٥٠ – ١٥١) ، وثمه خطاب منظوم يوصى فيه بالمجيء لزيارة قونية وزيارة آهى أحمد زكى الدين الذى لم يولِ وجهه شطر بايبورت Bayburt (ص : ٣٧١) .

وثمة غزلية مكتوبة إلى أبيه عالى بمناسبة مولد طفله الذى سماه شمس الدين محمد فى سنة ٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م (ص ٤٠٩ – ٤١٠) .

ونعتقد إلى أى حد كان سلطان ولد رجل دنيا يظهر حدبه وحبه لها . وقد قلنا آنفًا أن ثمة أمدوحة من بين هذه الأماديح دبجها من أجل إنقاذه من دين حاق به ، وأخرى فى بدر الدين جوهر طاش من أجل الوقف الذى أوقفه على المقبرة ، كما توجد مدحة أخرى باسم المدعو نجيب الذى اضطلع بفتح إحدى قرى آرسلان ، ثم كتب واحدة أخرى بمناسبة وفاته (ص ٢٢٦) ولم يقف سلطان ولد على ذكر هؤلاء فحسب ، بل دبج أمدوحة فيمن لهم علاقة وطيدة بمولانا ، كما أنه لم يضيع الفرصة قط فى الاهتمام بسرد الوقائع والأحداث .

وعلى سبيل المثال فإنه دبج ترجيع بند من عشرين بيتا فى أحد أبناء سلطان ركن الدين قليج أرسلان (ص ٤٦٦ – ٤٦٨) وكان حاكم الأبلخاينين قد أصبح حاكما سلجوقيا بموافقة السلطان أحمد ، وذهب فى يوم الثلاثاء الموافق للخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٠ هـ (١٢ ، ج ٨ – ١٢٨١) .

وقد دبج سلطان ولد قصيدة فى مدح غياث الدين مسعود الذى كان تابعا نكد الحظ للمغول وكتب أخرى فى مدح أمير آهور نجم الدين(١٥) ، وقد أنشد بهذه المناسبة أمدوحة أخرى من خمسة عشر بيتا يقول رديفها جون شاه ما مسعود شود : جوتكة باد شاهمز مسعود أولدى (الديوان : ص ٢٤٧ – ٢٤٨) ، كما أنشد قصيدة ثانية من خمسة عشر بيتا (ص ١٤٤) ، وغزلية ثالثة من أحد عشر بيتا (ص ٤١١) ، كما نظم فى هذا السلطان نفسه قصيدة أخرى مكونة من تسعة وثلاثين بيتا ، وهو

يخبر عن رغبتين اثنتين فى هذا السبيل : هذا وقد ذكر اسم السلطان مسعود فى كتاب المعارف لسلطان ولد حيث يقول : لقد قلت للسلطان مسعود فى هذا الكتاب المنثور ما فحواه ول وجهك شطر أولياء الله ، بارك الله سرك العزيز ، وليرع التربة الطاهرة لمولانا ، واصنع المعروف واعمل الصالحات ، وأتقن ما تعمله واجعله فى موضعه ، ولاتتوان فى بذل كل ما تملكه فى سبيل جمع الجنود وخدمة المغول ورعايتهم والتضحية بكل مرتخص وغال فى هذه السبيل واصنع كل ما أوتيت من قوة لأنك تملك بين يديك كل أسباب الزمن فى هذه المرة .

وبعد ذلك يكون لك ردءاً وظهيراً وسبباً فى النجاة والخلاص . ومن المحتمل أن تكون ثمة علاقة بين هذه الكلمات وبين الرغبتين اللتين ألمعنا إليهما آنفا . وعلى كل حال فإن السلطان مسعوداً قد قبل رغبات سلطان ولد وأوقف على المقبرة وقفا يؤمن لها إيرادا ثابتا[1] أما السلطان مسعود الذى وصاه سلطان ولد بألا يغضب المغول أو يثير حفيظتهم ، فقد كان مسكينا لأنه قد فر هاربا من السلطنة قبل ذلك إلى القرم ثم انتقل إلى منطقة سينوب حتى يظل مستحوذا على السلطنة ثم ذهب إلى أرزينجان ، وعلم أنه امتثل لطاعة آباقه خان ، ثم أصبح سلطانا من قبل المغول أما سلطان ولد فيقول : إن عصر المشاحنات والمنازعات قد انقضى أجله مع هذا السلطان الألعوبة ، وانتهى الظلم والجور والاعتساف ، وظهر العدل والكرم والسخاء ، وإن نهاية هذا العمل قد بلغ حالة عظمى من التقريظ والإطراء لقد أحببت هذه الدنيا من جديد ، وبات الناس الصالحون والفاسدون عبيدا على السواء ، وأصبح مسعود سلطانا علينا بكل حظ وإقبال وتهنئة وحفاوة وتبريك .. وأخرج الله الترك الذين أحرقوا الدنيا من الغيران[١٧] والجبال والغابات وساقهم إلى الإذعان والامتثال إلى الطاعة ، ولهذا السبب كان السلطان مسعود بمثابة حكم الأمن والطمأنينة والراحة والسكون ، وامحى أثر الأحزان وابتهج العالم وذاق حلاوة الروح والاسترواح لأن السلطان مسعوداً غدا لنا سلطانا » ولم ينفك سلطان ولد يمدح السلطان ويقرظه بمثل هذه الكلمات (ص ١٢٤٧ ، ٥٠٦٩ وما بعدها) .

حقا هل كتب سلطان ولد ما كتب راغبا فى الدنيا أم راغبا عنها ؟ أم أن هذا ما كان يتمناه ويبتغيه ؟ بيد أن قوله « الأتراك الذين أحرقوا الدنيا » يعنى ولا ريب أنه

يمدح المغول ويطريهم ومن ثم فإنه يمدح الوالى العام للمغول « سماكر نويان » بمقطوعة يثنى فيها على زوجته وابنته وولده نويان ، وهى قصيدة من ثلاثة عشر بيتا ، رديفها « لا تتسنا يا أميرنا » .

لا جرم أن سلطان ولد كان على علاقة حسنة مع أمراء المغول ويقدرهم حق قدرهم ، ونورد فى هذا الصدد واقعة رواها منشد المثنوى « سعد الدين » لتبرهن وتدلل على ما نقول « ذات يوم قدم الأمير أرينجين نويان لزيارة سلطان ولد ، وبينما هما يتحدثان إذا به يقول : شعراؤنا الشعبيون إن آلهة الدنا أربعون ، أفى هذا الاعتقاد حكمة أو حقيقة واقعة .

ويقول سلطان ولد : إن هؤلاء يعلمون كذلك أن ثمة إلها واحدا غير هؤلاء التسعة والثلاثين ، والآخرون جميعا ما هم إلا تابعون منقادون لحكمه ، وهم جميعا يجنون الألوهية منه ، أما أنا فلا أبتغى إلا إلها واحدا من هؤلاء الأربعين ، ويتوجب أن تكون له عاشقا .

وقد جاء الأنبياء أجمعون بغية شرح هذا والتذكير به ، وحثوا الناس على اتباع سبيله وعبادته ، ولأضربن مثالا فأقول : إن رجالاتك يمتثلون لأوامرك ، ويعلمون بأنك الإله ، وأنت كذلك تابع منقاد للخان ، بيد أن هذا الخان يتبع سبيل الخان الكبير ، وهكذا يتبع كل شخص كبيره ، وهكذا يكون الوصل والبلوغ إلى عيادة السلطان الأعظم ، فالقدرة جميعا فى الخاقان ، وإن قدرته لتشبه هذا تماما بتمام ، فالقوة متمثلة فى الله القادر العظيم .

والصوفية مع الأنبياء يشبهون المقربين من الخاقان ، ويدعون الناس إليه «وقد استحسن الأمير المغولى هذا الكلام ، ويقول : لقد استفهمت هذا السؤال مرات كثيرة من العلماء والحكماء ، بيد أن أحدا منهم لم يستطع الإجابة الواضحة الجلية ويذكر أنه تضجر من هذه الآلهة وأصبح مسلما . وفى هذه الرواية مبالغة ، فلربما استحسن الأمير المغولى الجواب وأعجب مليا بالإسلام ، بيد أنه لم يصبح مسلما ، ولكن هذه المنقبة تحمل بين طياتها قيمة أخرى ، وتؤكد زيارة أمراء المغول

السلطان ولد . ويدون أفلاكى أن كلا من آبيشقه نويان وكاجازان خان (ت ٧٠٤ هـ = ١٣٠٤م) . قد اضطلعا بزيارة سلطان ولد ، وكان أبيشقه هذا يقرأ القرآن ، وعندما يسمع عمن يلقون فى النار يصرخ ويصيح وينذهل ويندهش ، ويسأل عن سبب هذا الصياح والصراخ ، وكان سلطان ولد يقول : إذا كان الخاقان الأعظم سيتلطف بكم فإنكم ستسرون باتباعكم له وستبشرون بهذا السفير وهكذا فإن الصوفية مع الأنبياء كانوا سفراء الله ، ومن ثم فإنهم يبشرون برضا الله ودعواته وألطافه ولهذا السبب فإن الأناسى ينشدون من لذة السكر ويلقون فى النار ، ويشكرون الحق سبحانه وتعالى أما هذا الصراخ فإنه يتأتى من ذاتية الإنسان فى الدارين ، كما يتأتى كذلك من الحزن والتهنئة ، وإن نيران العاشقين لتبلغ أقصى درجاتها من الفرح والنشوة وتصدر كذلك من التهنئة ، ثم أفاض بعد ذلك فى توضيح هذا الأمر ، وسر أبيشقه وتصدق بألف دينار . هكذا نرى أن سلطان ولد كان رجل دنيا أما الانفعال العاطفى وسورة الحميا والعاشق فإنها جميعا تأتى عنده فى مرتبة متأخرة وإن كل الانطباعات التى اقتبسناها من وقائع الحياة وأحداثها فى كل آثاره لتبين لنا أنه شخص مكيث رزين رابط الجأش ، منطقى ، قوى ذو شكيمة ، يفكر مليا فى كل شىء يصنعه ويعن له ، وإذا لم يكن كذلك فلن يتأتى له أن يكون منظمًا للطريقة ، ولما تسنى له أن يكون مؤسسا للطريقة المولوية وثمة خليقة أخرى يمكن أن تشير إليها فى شخصية سلطان ولد ألا وهى أنه كان صاحب عقلية صوفية ، وكانت الرؤى والكرامات تؤثر دائما فى حياته الفكرية ، وثمة عنصر صوفى متمثل فى شخصية مولانا ، بيد أنه كان ملغزًا يكتنفه اللبس والغموض ، كما كانت الواقعية ذات سطوة مهيمنة على الدوام فى شخصية مولانا أما وحدة الوجود عنده وتقديسه للإنسان والإنسانية فكانت فى العادة تتصف بالشكل المادى الخالص .

أما سلطان ولد فقد انضوى تحت عباءة صوفية متمثلة فى فكر وأفعال مولانا ، بيد أنها مبهمة غير جلية كما أنه قد بذ أباه فى هذه الخلائق ، وكان أكثر شبهًا بجده من أبيه ، وإن هذا التمايز والاختلاف ليؤكد لنا أن الإنسان يكون على آسال من أبيه ، بيد أنه فى الوقت نفسه ابن لمجتمعه وعصره المنسوب إليهما . لقد كان سلطان ولد

رجلاً نهازاً للفرص متزلفًا مداهنًا ، منطقى التفكير مكينًا رزينًا رابط الجأش ، نشطا فعالا مستفيدا أيما استفادة من نفوذ وتأثير مولانا ، ومن ثم فإنه كان من الناحية الفكرية مرتبطًا ارتباطًا وثيق العرى بالمعتقدات الصوفية ومن المحقق الثابت أن ثمة تناقضا وتضاداً بين الحياة المادية وبين الحياة الفكرية والخلقية ، وفى الحق فإنه لم يستطع أن يبث روح الطمأنينة فى ذات نفسه ، ومن ثم فقد كان لديه رغبة جامحة فى أن يكون ذا قدرة غريبة عجيبة غير مألوفة عن طريق تأثير التصوف . ومن خلائقه كذلك أنه لم يكن يساوى شيئًا قط فى شخصية مولانا وقد كان مرتبطًا بالطقوس والشعائر والنواميس وهذه الخليقة كان متقدمة سابقة على عقليته الصوفية ومما لا مراء فيه أن الشدائد التى يمر بها صاحب هذه العقلية من قبيل التجربة والابتلاء ، وعليه فصاحبها يكابد كثيراً بغية الوصول إلى درجات النضج والكمال من طريق المناسك المتباينة ، ولهذا السبب فإنه سيرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمراسم والشعائر والطقوس .

ولما بلغ سلطان ولد العشرين إبان حياة أبيه أراد أن يدخل الخلوة كسائر الدراويش الآخرين ورغم أن مولانا كان يقول بوجوب الروحية لبعض الأشخاص إلا أنه لم يكن مناصرا للخلوة والرياضة على اعتبار أنها شيء أساسى (ترجمتنا المثنوى جـ ١ ، صـ ٢٣ ، جزء ٢ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، صـ ٢٨٦ ، ١٥ ، ٢٨٧ ، صـ ٣٠٥، ٣٠٦ ، صـ ٣٤٣ ، ٤٥٩) ويقول فى ذلك ماترجمته (لا رياضة عندنا بل لدينا شيء واحد هو اللطف والعطاء ، والهبة والإحسان والحب كله إنها الصداقة برمتها ، إنه الحضور والتألف والتناسق والتناغم (١٨) .

وبناء على هذه الرغبة فإن بهاء الدين كان يقول لسلطان ولد ، إنه ليس ثمة خلوة أو صومعة للتصوف عند المحمديين بل هما موجودان فى شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ، وثمة أشياء ملفقة ومبتدعة فى ديننا بعد هؤلاء وإذا كان بهاء الدين يقول : إنه ليس ثمة حاجة ملحة لأصدقائنا وأولادنا للخلوة . فإن سلطان ولد كان يصر عليها ، ويقول : لزام على أن أدخل الخلوة أربعين يومًا فى أقل تقدير ونفذ رغبته التى رامها ، كان سلطان ولد لايمتلك عشقًا عميقًا من أهل

الأناضول وذلك بالقياس إلى مولانا الذى يعانق الدنيا بأسرها (١٩) وهذا ، أمر جد طبيعى فى رأينا ، فقد هجر وطنه ومحلته فى عصر صغير ، يحمل بين جوانحه خواطر مبهمة إلى هؤلاء وهؤلاء ، كما وفد مولانا إلى الأناضول كذلك عندما كانت تموج بالفتن والاضطراب من جراء تأثير الغزو المغولى وكانت الناس مع هذه الحالة المضطربة قد باتوا يكنون له حب الإنسانية المتأصل عميق الأغوار ويتوقون إليه في قرارة أنفسهم ، وأدى هذا بطبيعة الحال إلى إظهار الترفع والألفة والكبرياء .

أما سلطان ولد فقد ولد فى الأناضول ، وعرف محبيه فيها وفقدهم كذلك فيها ، واستقر به المقام فى أحد أركان الدنيا الثابتة الموحدة ، وقد تجلى عشق الوطن فى نفس سلطان ولد إبان عصر مولانا حضر سلطان ولد ذات يوم مجلس سماع فى بستان " مرام » وكان مولانا ينشد أنذاك رباعية فى ترجيع بند تتكون من سبعة بنود ويقول فى مفتتحها « أقبل يا سلطان السلاطين » . وغشيت سلطان ولد فى ذلك اليوم غاشية من البشر والسرور ، وأمعن النظر مليا جهة قونية ، وعادة ما يُرى بياض الرحمة يتنزل تحت الجليد .

نعم لقد كان مولانا يقول : إن قونية عظيمة التقديس ، ولقد وهبت لك هذه المدينة بشهادة الأصدقاء وكلما وجَد ترابنا وعظام مولانا سلطان العلماء . وأصبح أولادنا وأخلافنا ثاوين فى هذه المدينة فإنه لا سبيل حينئذ إلى الزوال والفناء هاهنا كما أن خيول الغرباء لا قبل لها يسحق هذا المكان ، ولا تصيبه سيوف العدو بضرر أو أذى ولا بسفك دم هاهنا ولا سبيل إلى أن ينقض هذا المكان أو يخلى مما فيه .

ونجد عند مولانا أماديح تخص مدينة قونية ، بيد أنه ثمة أشعار لدى سلطان ولد يمدح فيها قونية أو غيرها من سائر المدن الأخرى ، بيد أن سلطان ولد هذا قد دبج ضربين من الشعر يمتدح فيهما قونية على النحو الآتى :

« يا أهل قونية اعلموا أنكم ولدتم من روح هذه المدينة ، أليست هذه المدينة هى عش طائر العنقاء ، فلا تتشبهوا بطيور هذا الزمان وطيروا كالعنقاء فى عالم الخلق

وبين أظهر الخلائق ، ولئن اجتمعت المدائن كلها لتسنمتم الذروة العليا فوق المدن أجمعين ، فماذا تكون هذه المدينة ؟ إن كل محلة ثاوية فى هذه المدينة ، وإنها من ناحية القوة بمثابة قيمة عظمى لبضع مئين من الأكوان . وكل واحد فيكم هو ذهب خالص مصفى . وماذا يكون الذهب ؟ فأنتم ألوف مؤلفة من الكنوز والمعادن » (الديوان : ص ٤٣٨ - غزلية ٧١١) .

ويقول فى غزلية أخرى املئوا قونية بالجنود ، فأنتم عرش دولة الأناضول ، وكل مدينة هى بمثابة أمير عظيم ، أما أنت يا قونية فسلطان المدن أجمعين ، وكل قلعة هى نجم متوهج لألاء ، وإنك تشبهين قمرا يسمو فوق النجوم . ألم يصطفك لتكونى سلطانًا علينا ، فأنت مكة المكرمة ، وأنت كعبة الله ، وقد توهجت وتلألأت أول الأمر بوجود الشيخ جلال الدين الرومى ، والآن فأنت آمنة مطمئنة فى كنف قبره . أيا قونية إنك أنت الجنة والحورية ، أياقونية ! أنت السعادة والإقبال وأنت المنصب الرفيع ، وأنت الغطاء والرداء والقفطان والنطاق والقلنسوة ، وأنت سقيانا وشرابنا ، وأنت محلة الوصال ، وأنت الطريق ومدينة النشوة والسكر والمتاع ، وأنت أصل كل تأوه وبكاء ، وكم أنت يا مصر صغيرة أمام هذه المدينة ، وتشبهين كناسة التبن تماما بتمام ، ويوجد تحت جليد قونية ضياء يشبه النور الذى يثوى فى سواد العين ، لقد خلقك الله شاهدا ودليلا على جمال خلقتك وجبلتك وحسنك ولطافتك . فامكث ياسلطان ولد مستريحا قرير العين فى قونية وادفع عن نفسك التشتت والوهن والابتئاس (ص : ٤٦٢ ، غزلية ٧٥٥) . وفى ديوانه أمدوحة فى كل من آق سراى وكوتاهية ويقول لأهل آق سراى : « إن كل واحد منكم عالم لمئات من الناس ، وأنت من ناحية البدن مشتقة من الأرضين ، ومن ناحية الروح آتية من السماء ، وأنت تثوين فوق التراب ، بيد أنك تتدفقين منثالة كالأنهار فى البساتين والحدائق الغناء . إن البدن تراب ، وسيكون فى النهاية لا محالة ترابا . أما أنت فتكونين برمتك روحا دون أن تكونى ستر تراب . أنتم تقتلون لصوص وقطاع الطرق من أهل آق سراى وتجرجرون رءوسهم فوق التراب أنت تحكين وتقولين كم من الأنفس قد ذهبت فى لجة الصراخ والعويل من جراء ظلم الجنود ، ثم يقول : إنك قد رأيت وجه سلطان ولد ، وهذا

يعنــى أنك تثـوين فـى لجـة الأمـن والطمـانينـة أشـهـرا وسنينا » (ص ٤٣٦ –٤٣٧) (غزلية ٧٠٧) .

ويقول فى حق كوتاهية : لا يتسنى لمدينة كائنة ما كانت أن تكون مثل كوتاهية ياله من حظ ميمون لأهلها فكل ناحية فى هذه المدينة هى شمعة من مائة شمعة ، وليس ثمة ظلمات تثوى وراء هذا النور ، فى كل ركن حديقة ومرج ، وفى كل جهة جدول ماء ونهر ، وثمة قلعة جميلة شديدة الأسر والقوة ، إنها قلعة لم ير أحد مثلها فى الدنيا ، لقد أضاء جمال هذه المدينة سلطان ولد ، وهو يمدحها بوضوح وجلاء فى لجة الدنيا بأسرها ٠ ص ٥٥٠ ، غزلية ٨١٠) .

التوقير الذى تجلّى لسلطان ولد :

لقد قلنا فيما سلف إن سلطانٍ ولد قد عرفه عشاق مولانا بداءة من عصر مولانا وأحبوه حبا جما ، وعرف جيدا كيفية الاستفادة من تأثير أبيه ونفوذه عن طريق الأفعال التى تتسم بالحكمة والتدبير وبعد النظر فى ذلك العصر الذى كان فيه ، يروى فخر الدين ديودست فيقول : « شيد معين الدين پروانة مدرسة فى قيصرى ، وعين فيها العالم الكبير قطب الدين شيرازى ودعا الناس قاطبة لحضور افتتاح المدرسة ، كما دعا معين الدين سلطان ولد عن طريق علم الدين قيصرى ، وبعد أن قدم قطب الدين درس الافتتاح قال لسلطان ولد : الآن جاء دورك ، وبدأ السماع ، وتوسل من كانوا بالمجلس راجين من پروانهَ التوسط بغية أن يقدم سلطان ولد عظة ، وحينئذ قال سلطان ولد : إن علماء الظاهر لن يفهموا قولى ، بيد أنه لم يستطع تحمل إصرار الحاضرين أو التذرع بالعلل والذرائع ، ثم اضطر فى نهاية الأمر إلى الصعود إلى المنبر ، وطوى قلنسوته التى فوق رأسه ونحاها جانبا ، وبعد أن قرأ القرآن الكريم جعل يدعو دعاء بليغا ، ثم استهل حديثة قائلاً : ياشيخى وإمامى وقبلتى وقوتى وسندى وعكازى وحمامتى الذى كان بمثابة الروح فى كيانى ، وتدبير حاجتى فى يومى وفى غدى لا جرم أنك سلطان المتصوفة فى عليين ، وأنت سر الإله بين

ثنايا الحقائق ، وأنت الذات التى ألوذ بها وأستعين بها ، هذا ما قاله سلطان ولد فى جلال الله والدين . ولما بلغ قوله هذا الحد ما انفك المتنكرون لمولانا والناظرون إلى وجه سلطان ولد أن بدءوا فى العويل والصياح ، ومزق الشيخ براونة ثيابه وقال له وهو يقبل يده : يكفى أنك ابن مولانا وتكوينه حتى لو أنك لم تنبس ببنت شفة ألبتة .

وخلعت طائفة ممن كانوا بالمجلس الكرامة على سلطان ولد ، ورأوا أن هذا كان سببا فى خلع قلنسوته وإذكاء سورة الحميا فى نفوس جموع الحاضرين . كان آهى أحمد ينشد الألحان بصوت شجي جميل فى جنازة أحد الصوفية العاشقين ، وأراد أحد المشيعين منعه قائلا بحرمة فعلته ، ومالبث أن جاء سلطان ولد وقبل يد أهى أحمد مجيزا هذا الصنيع لهذا الرجل العظيم قائلا بوجوب أن يكون ثمة واحد أكبر منه حتى يمنعه من فعلته ، ولسوف يظل هذا الشأن بين العاشقين حتى قيام الساعة ، ثم قال له : لماذاألقيت بنفسك إلى سيف المتصوفة العاشقين حينئذ اضطر آهى أحمد إلى السكوت ، وعندما سمع الشيخ صدر الدين بهذه الواقعة قال : هذا صواب ، ثم قال لأحدهم هل هو بايزيد العظيم ؟ ثم سألوا قائلين : أهو الجنيد ؟ ثم قال : فليجب واحد من هذين العظيمين ، وإن هذا ليشبهه لجأ أهل قونية إلى سلطان ولد عندما اشتدت وطأة المطر الوبيل فى قونية ، فخرج من بيته حافى القدمين وهو يجهش بالبكاء ، وقدم إلى المقبرة وكشف رأسه وتضرع بالدعاء ، وإن هذه الأشياء كلها لتبين مدى نفوذ وتأثير هؤلاء الأقطاب فى نفوس الخلائق أجمعين .

وفاته أولاده وخلفاؤه :

توفى سلطان ولد ليلة الجمعة العاشر من رجب لسنة ٧١٢ هـ عن ستة وثمانين عاما (١٣١٢ م) ، ووورى الثرى فى الجهة اليمنى لوالده ، ونعلم أنه لم يكن فوق قبره صندوق منفصل يميزه ، بيد أنه يوجد اليوم صندوق من المرمر ذو رأسين منصوب فوق كليهما [٢٠] : تزوج سلطان ولد بفاطمة خاتون ابنة قويومجى شيخ

صلاح الدين[٢١] ، وبعد وفاتها تزوج بكل من نُصرت خاتون وسنبل خاتون ، وأنجب من الأولى أمير شمس الدين عابد ومن الثانية صلاح الدين زاهد وحسام الدين واجد ، وتوجد رواية أدنى إلى التواتر تروج بين المولوية وتتعلق بما قدمته مطهرة خاتون إلى كرمياتلى سليمان شاه .

ويدون أفلاكى أن مطهرة خاتون قد أنجبت ولدين يسميان خضر باشا وبرهان الدين إلياس ، كما أنجبت شرف خاتون كذلك ولدين هما : أحمد باشا وأمير شاه ، بيد أننا لاعلم لنا بزوجها ، لم يتزوج مولانا سوى زوجة واحدة ، وكان يعارض استخدام العبيد والإماء[٣] ، وكانت كلتا زوجتى أبن مولانا من الجوارى ويفيد كتاب (موضوعات العلوم والجواهر المضىء) أنه لم يتسن له التسرّى بواحدة من المحظيات والجوارى ألبتة ، حتى إنه كان يريد إعتاق إحداهن ليتزوج بأخرى ، بيد أن الفتاة لم ترض من قبيل التبجيل والتوقير أن تكون جارية لسلطان ولد الذى يقول مبتسما : إنه يرى أن هذه اللذة ناجمة عن الوهم والخيال .

وإن الإحساس يسمو فوق الملذات والشهوات[٢٣] ، وقد توفى صلاح الدين زاهد جلبى سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ - ١٣٣٤ م) ، وانقرضت سلالته .

أما شيوخ المولوية وهم : أولو عارف وأمير عابد وحسام الدين واجد فإنهم قد تعاقبوا مقام الطريقة الشلبية فى إثر بعضهم البعض ، كما كانوا يمثلون المولوية خير تمثيل . وكان لسلطان ولد عبد معتوق يدعى عبد الله أوغلو عثمان والذى اضطلع فى سنة ٧٢٣ هـ ١٢٣٣ م بتدبيج نسخة المثنوى التى اتخذناها أساسا عولنا عليه فى ترجمتنا[٢٤] .

وعثمان أوغلو هذا هو كاتب الديوان الكبير المحفوظ فى مكتبة متحف قونية والمدون تحت رقم ٦٦ وهو فى جزأين اثنين ، ويمكن الاعتقاد بأن هذا الشخص هو ابن الشيخ حسن[٢٥] ، وقد اضطلع هذا الشخص بكتابة ديوان سلطان ولد (ص ٦١٦ F: uzluk basimi) .

اضطلع سلطان ولد بإرسال طائفة من الخلفاء إلى كثير من بقاع وأصقاع الأناضول ، ونحن نعرف زمرة ليست بقليلة من هؤلاء الخلفاء ، ومن بينهم الشيخ

سليمان تركماني . وقد ورد في مدح هذا الشيخ تقريظ فحواه « هو الشيخ الأعظم قدوة الأصفياء والمتقين ، زبدة الأولياء والسالكين ، سلطان المشايخ والأوتاد وقطب دوائر الأقطاب والزهاد ، ومرشد العالم إلى سبيل الرشاد ، ظهر الواصلين وفخر الوالهين » وهذا يعنى أنه « شيخ وقطب عظيم ، طاهر الذيل نقى السريرة ، يستحى من الله ، وهو رجل اقتدى به واتبع سبيله أشخاص كثيرون ، وهو جوهر وكنه حقيقة المرتحلين مع المتصوفة ، وسلطان المتصوفة ، وهو مع المشايخ عمود الدنيا وركنها المكين وقطب دائرة الزاهدين والأقطاب ومحورها ، وهو مرشد الطريق المستقيم للعالم ، وهو زاد وذخيرة الواصلين إلى الحقيقة وهو الذى امتدحه السابقون (جواد تاريم : قير شهر ، قرش سنه ١٩٣٨ م ، ص ٨٣) . وقد أسس في شهر المحرم سنة ٦٩٧ هـ = ١٢٩٧ م زاوية مولوية في الجهة الشرقية لمدينة قير شهر ، وذلك إبان حياة سلطان ولد ، ويوجد بجوارها قرية تحفها عشرون مزرعة مجاورة لناحية حاجى بكتاش ، وقد أوقف على تعمير هذه الزاوية مديراً يتعهد شئونها ويقوم بتقسيم المال الفائض على الشيوخ وإشباع بطون نزل الضيافة بها ولما كان هذا الشيخ من أرباب العبادة والخلق الكريم ، عارفا باصطلاحات المولوية وأعرافها فقد جعل من بين شروط هذا الوقف أن يتضمن كذلك تخصيص ملابس لهؤلاء الشيوخ والنزلاء ، ونعلم كذلك أن صكوك هذه الوقفية تذكر كذلك الشيخ سليمان المولوى المنتسب إلى مولانا ، وثمة شخص آخر يسمى شمس الدين وهو ابن الشيخ حسين (وقفية : قير شهر المطبوعة سنة ١٩٣٨ ، بالحروف القديمة ، ص ٨٣ – ٨٥) .

ومما يؤسف له أنه لا توجد فقط سوى خلاصة لهذه الوقفية في طبعة سنة ١٩٤٨ ، ص ٣٦ – ٣٧) ويخبرنا الكاتب المبجل رائف يلكنجى أن الإمام البغوى (ت ١١١١٢ م) قال في كتاب المصابيح سنة (٧١٠ هـ = ١٣١٠ م) إن ذلك الشيخ هو « عاليه بن موسى الولدى القر شهرى من الخدام المعروف الشيخ سليمان ولدى قدس الله سره العزيز » استانبول : فاتح DE – ١١٨٨) .

ولقد علمنا بوجود هذا الشيخ سواء أكان هو الشيخ سليمان ٧١٠ هـ = ١٣١٠ م ، والذى كان موجوداً قبيل وفاة سلطان ولد بعامين اثنين ، أم أن اسمه قير شهرلى عالى أحد المنتسبين إلى سلطان ولد فى هذه التكية ، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص قد حل محل الشيخ سليمان [٣٦] .

أما مناقب العارفين فتنسبه إلى سلطان ولد كلية ، وذلك فى القسم الخاص بالخلفاء والذى ورد ذكره فى مناقب العارفين ، بيد أن سبهسالر يقول : إن كلا من الخليفتين أماسيه لى علاء الدين وجلى حسام الدين يتنسبان إلى سلطان ولد . ويبين أفلاكى أن هذا الشخص هو خليفة جلى حسام الدين ، ويخبرنا سبهسالر ثانية أن سلطان ولد قد أرسله ليكون خليفة له فى منطقة أزربينجان (ترجمة : محمد بهارى ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩) .

ونحن نعلم أن هذا الشخص هو ابن المدعو جلال الدين محمد منجم الذى اضطلع بكتابة مقالات شمس تبريزى باسم شخص يدعى جوهر شاد[٣٧] .

مؤلفات سلطان ولد :

(١) الديوان :

يتضمن ديوان سلطان ولد طائفة من الأشعار جاءت على شكل القصيدة والغزل والترجيع والقطعة والرباعيات ، وقد كتبت هذه الأشعار فى تسعة وعشرين وزنا ، وثمة منظومات على حدة ، وقد رتب الديوان بحسب الحروف الهجائية كما هو الشأن فى ديوان مولانا .

وهكذا ظهر الديوان الأصلى مؤلفا من ديوان صغير يضم بين دفتيه تسعا وعشرين قصيدة ويبلغ مجموع القصائد والغزليات والترجيع والأبيات الكائنة فى المقطوعات ١١٨٠٩ بيتا ، فإذا ما أضيف إليها أبيات الرباعيات فإن مجموعها يبلغ ١٢٧١٩ بيتا (F: zuzluk basimi) ويقول سلطان ولد فى ديباجة « ابتدانامه »

إن الديوان هو أول أعماله (ص ٣ : الأسطر الأخيرة) . بيد أن هذه الكلمة تفيد أن ثمة كلمة أخرى قد تفوه بها فى هذا الصدد بغية إظهار اقتدائه بأبيه واتباع سبيله ، وذلك أن ديوان أى شاعر لا ينتهى قبيل وفاته .

فالشاعر يقول الشعر على الدوام . وقد انتهت الكتب التى دبجت على طرز المثنوى ، بيد أنه بعد ذلك كلما غشيته ثورة الانفعال وأصابته سورة الحميا مستلهما التعبير بالقديم ، فإنه حينئذ يفوه بالأشعار ويواظب على تدبيج الغزلية والقصيدة حيث يرى أن هذا شيء حتمي واجب مع ذات نفسه بصفة مباشرة . وهكذا يكبر الديوان ويعظم بصورة جيدة ، وإن تدبيج كتاب على شاكلة المثنوى ليثبت ويؤكد بقاء الإخوان فى استغناء عن قراءة الكتب التى تخص الآخرين[٢٨] .

يقول سلطان ولد فى ديباجة ابتدانامه متبعًا هذا السبيل « لقد أنشأ مولانا دواوين على أوزان متباينة الألوان والشيات[٢٩] ، كما نظم الرباعيات ، وأنا اقتديت به واتبعت سبيله ورتبت ديوانا ، وفى خاتمة المطاف قال الأصدقاء : إنك قد أنشأت ديوانا واتبعت سبيل مولانا ، بيد أنه يتوجب عليك اتباعك إياه فى طريقة المثنوى وطلبوا إلى تدبيج كتاب على شاكلة المثنوى ، ومن ثم فقد دبجت هذا الكتاب بغية التشبه به » .

ثم يقول إن هذه الكلمة هى تتمة الديوان ت، بيد أن تاريخ تدبيج ابتدانامه من عام ٦٩١ هـ = ١٢٩١ م) حتى عام الوفاة سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) وهذا يعنى أنه لم يتفوه بأية قصيدة أو غزلية أو رباعية مدة ثلاثة عشر عامًا .

وهو فى هذا يعبر عن وجود أشعار كثيرة حتى هذه الحقبة من الزمان وتشكل ديوانا شعريا ، وقد قلنا آنفا إنه بذ حمية وتقليد أبيه ومضى قدما بصورة مباشرة فى هذا السبيل .

وإن كثيرًا من الغزليات الواردة فى الديوان هى نظائر لغزليات مولانا ، ولهذا السبب فقد ظهرت نشريات ودوريات لتثبيت هذه النظائر وتوكيدها ، وخلعت عليها أسماءها وعلى سبيل المثال : فقد رأينا فى مكتبة جامعة إستانبول ما يسمى « كتاب

مناظرة مولانا بسلطان ولد »وهى دورية مقيدة تحت رقم ١٢٠٥ وموجودة بين ثنايا المخطوطات الفارسية[٣٠] .

كما وجدت نظائر أخرى مكتوبة عام ٧٣٤ هـ = (١٣٣٣ - ١٣٣٤ م) وهى موجودة فى دورية النظائر ومكتوبة حتى فى حياة سلطان ولد ومحفوظة فى إحدى المكتبات الخاصة F: uzluk ، وأحطنا خُبرا يوجود دورية أخرى مدونة ضمن كتاب برتو باشا بالمكتبة القومية فى استانبول (الديوان - المقدمة ، ص ١ - ٤٢) .

(٢) ابتدانامه :

هذا الكتاب هو المثنوى الأول لسلطان ولد ، وتفيد النسخة المدونة تحت رقم ١٣٨٠ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة إستانبول أنه يحتوى على ٩٤٣٥ بيتا من الشعر ، و ١٦٣ عنوانا كبيراً[٣١] ، وذلك فضلا عن الديباجة الموجودة فيه ، وقد سماه سلطان ولد فى الديباجة باسم « مثنوى ولد » « طبعة جلال همابى : ص ٢ » وإذا كانت بغيته من هذا الكتاب هو التنويه بذكر مولانا وسرد حكايات المتصوفة السابقين فى المثنوى ، فإنه مع هذا يشرح حاله ، ويسرد فى هذه الحكايات كذلك أحوال نُدمائه ورفقائه من المتصوفة والمريدين أمثال : برهان الدين وشمس الدين وصلاح الدين وجلى حسام الدين ، ولكنه يقول إنه لم يتسن له ذكر بعض هؤلاء الأشخاص .

ثم يردف قائلا « لقد شرحت أحوال هؤلاء الأولياء وبينتها بجلاء فى كتابى ، وذكرت طرفا من سيرهم الذاتية ومايكتنفها من ملابسات إبان عصر مولانا ، وذكر كذلك كيف أنه يتوجب على المريد لبس الخرقة وقص الشعر والتزامه بسائر الأشياء التى تخص الطريقة وتتصل بها ، كما يلزمه كذلك المضى قدما فى طريق الشيخ والاستمساك بالخلائق والسجايا الإلهية متبعا سبيلها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويضيف قول أبيه له : إنك على أسال منى وأكثر شبها بى من ناحية الخلقة والجبلة ومن ثم فإنه اصطفانى أنا من بين إخوتى والمريدين والعلماء أجمعين ، وعليه فقد

أفرغت وسعى وبذلت جهدى فى التشبه به واتباع سبيله متمثلا فى ذلك قوله : من شابه أباه فما ظلم .

أما مولانا نفسه فقد قال أشعارا على أوان متباينة ، كما نظم الرباعيات وأنشا الدواوين الشعرية ، وأنشأت أنا كذلك ديوانا ، ثم قال أحد الأصدقاء بعد ذلك : رتب ديوانك مقتديا بأبيك ، ولزام عليك أن تتبع سبيل المثنوى وتنتهج نهجه فى هذا المضمار .

وانهمكت فى العمل وجعلته شغلى الشاغل بغية التشبه به ، ويقول « وعليه فإننى شرعت فى تأليف هذا الكتاب فى اليوم الأول من شهر ربيع الأول لسنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) ثم يقول فى خاتمة الكتاب ما فحواه « صديقى ، لقد بُدىء تأليف هذا الكتاب فى اليوم الأول من شهر ربيع الأول لسنة ٦٩٠ هـ فلا تقل أنت إنه طويل مسهب أيها الرجل الممدوح ، لقد انتهى الكتاب فى الرابع من جمادى الآخرة » (ص ٤٠٣) ، ويفهم من هذا الكتاب أنه قد كتب فى ثلاثة أشهر على وزن : فاعلاتن مفاعلين وفرغ من كتابته فى أربعة أيام ، بيد أنه يوجد هاهنا شىء يشد النظر ويسترعى الانتباه .

لقد بحث سلطان ولد فى كتابه كما نوهنا آنفا مسألة وفاة الشيخ بكتمور أوغلو ، ولقد ورد فى النقوش الموجودة على المقبرة المدفون فيها الشيخ كريم الدين أن تاريخ وفاته هو ذو الحجة لسنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ ، ومن ثم فإنه توجد فسحة من الزمان مقدارها ستة أشهر على وجه التقريب بين شهر جمادى الآخرة وهو تاريخ انتهاء الكتاب وبين شهر ذى الحجة وهو الشهر الأخير من السنة ، وعلى هذا فكيف يتسنى البحث عن وفاة رجل لم يزل على قيد الحياة قبل ستة أشهر من هذا التاريخ ؟ ومن ثم فلا سبيل أمامنا فى حل هذه المسألة سوى طريقين اثنين لا ثالث لهما : الأول - أن الشيخ كريم الدين قد توفى عقب الفراغ من تأليف هذا الكتاب ، ومن ثم فقد أضاف سلطان ولد ما يراه مناسبا إلى مواضع الكتاب ، وكتب بعد ذلك فضلاً عن وفاة الرجل ، وأقساما أخرى تخص هذه الشخصية وتشير إليها ، بيد أن سلطان ولد لم يتطرق إلى تواريخ الخاتمة والبداية الموجودة فى آخر الكتاب ، ولا إلى تاريخ

البداية الوارد فى الديباجة ، وعليه فإنه رغم انتهاء الكتاب فى شهر جمادى الآخرة فإن هذه الأقسام قد أضيفت إليه بعد حين . الثانى - لقد توفى الشيخ كريم الدين قبيل انتهاء الكتاب ، بيد أن شاهد القبر قد شيد بعد ذلك ، وليس تاريخ الوفاة هو المدون عليه ، ومن ثم فقد دون التاريخ المعمول فوق شاهد القبر ، ونحن نرى أن الاحتمال الأول أشد قوة ورجحانا . وها هو ذا المثنوى الأول سلطان ، ولد الذى يسميه مثنوى ولدى « ويقول فى مطلعه مافحواه : أبدأ باسم الله الذى خلق عالم الوجود والفناء ابتداء ميكنم ينام خدا : موجد عالم فتاويقا ويفهم من هذا علة تسمية مثنويه الأول باسم « ابتدانامه » وقد دون سلطان ولد فى هذا الكتاب أصدق الأحداث والوقائع التي تتصل بمولانا على الخصوص ، وكذلك ما يتعلق بأولئك الذين لهم وشائج صلة بمولانا .

وإن تقديم أصدق المعلومات بشأن هؤلاء ذو أهمية قصوى فى هذا السبيل ، كما أنها تعد ولا ريب أول مصدر أساسى فيما يتصل بحياة مولانا وتاريخ المولوية على حد سواء وقد اضطلع المدعو « جلال همايى » يطبع كتاب « ابتدانامه » فى سنة ١٢١٥ هـ = ١٩٣٦ م كما اضطلعت مكتبة إقبال بطهران بطباعته باسم « مثنوى ولدى بابحر خفيف معروف باولدنامه » وقد أضاف جلال همايى إلى هذا الكتاب كل ما يتصل بحياة سلطان ولد وآثاره ، كا زوده كذلك ببحوث تهتم اهتماما بالغًا بمولانا جلال الدين الرومى وولده ، كما تضمن الكتاب مقدمة ثرية تختص بفلسفة سلطان ولد وأفكاره ، وتعرض كذلك للخصائص اللغوية والحكم والأمثال المتعلقة بألفاظ هذه الحقبة من الزمان والتى تختص باللغة الفارسية الواردة فى الكتاب وكذلك النسخ الرئيسية المطبوعة منه ، كما اضطلع جلال همايونى كذلك بترتيب فهرس يخص الأحداث والوقائع التاريخية فضلا عن الفهرس الذى يعتمد على العناوين الواردة بين غضون الكتاب .

وتحتوى هذه الطبعة القيمة على فوارق متميزة بالقياس إلى النسخ الأخرى ، فقد اهتمت هذه النسخة باستخراج الأبيات التركية الموجودة فى « ابتدانامه » ومن ثم فإنها أصدق النسخ المطبوعة طرًا ، أما النسخة الموجودة فى مكتبة المجلس فإنها

لم تختبر النص الصحيح الكامل بسبب عدم اتخاذها للنسخة الأصلية ، وكذلك عدم وجود فهرس في النسخة المطبوعة ومع كل هذا فإن جلال همايي يستحق كل شكر وعرفان لهمته العظيمة وجهده الكبير .

(٣) رباب نامه :

هو المثنوى الثانى لسلطان ولد ، ومدون تحت رقم ١٣٧٥ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة استانبول ، وكتب فى أواخر المحرم لسنة ٧٤٦ هـ = ١٣٤٥ م ، يعنى بعد وفاة المؤلف بنحو ثلاثين عاما على وجه التقريب . ولما كان هذا المخطوط ذا أهمية قصوى فإنه يتضمن ٨٠٩١ بيتا من الشعر و ١٠٧ عنوانا ، فضلا عن ديباجته .

يقول سلطان ولد : إنه بعد كتابة مثنوية الأول كان لدى أصدقائه رغبة عارمة بغية تدبيج هذا المثنوى على نفس وزن مثنوى مولانا ليكون أكثر إلفا واعتياداً . أما الرباب فهى آلة عزف تنسب إلى مولانا ولما كانت هذه الآلة تحتوى على أشياء كثيرة غريبة كالجلد والشعر والحديد والخشب فإنها ليست ذات صوت واحد كالناى ، ومن ثم فإنه يقول إنه بدأ ديباجة المثنوى الثانى بالرباب لاشتماله على أصوات كثيرة شتى .

وقد ورد فى مفتتح هذا المثنوى بيت من الشعر يقول معناه « ألق السمع مليا إلى بضع سنين من الحكم المعبرة التي تخص العشق وتنبعث من تأوه ونحيب الرباب الباكية » .

بشنويد ازناله وبنكر رباب : مكتنها عشق لبدر صدكونا باب .

يذكر هذا المثنوى باسم « رباب نامة » لاستهلاله بهذا البيت سالف الذكر وقد ورد فى ديباجة الكتاب ما يأتى « الديوان التركى لسلطان ولد » كما ورد فى خاتمة الكتاب » لقد انتهى هذا الكتاب بفضل الله وإحسانه فى سنة سبعمائة من الهجرة ، والمعنى فلا بقيت شمس تحت غيم السحاب .

وقد تم الكتاب فى شهر ذى الحجة ، وبدأ فى اليوم الأول من شهر شعبان ، ولزام على أن أتمه وكفى ، فالله يعلم أيها أكثر صدقا وصوابا ، ويا صوفى الطريق لقد كتبت هذا المثنوى فى السنة المذكورة وفى غضون خمسة أشهر :

شود تمام ازداد داداراين فى كتاب ∴ درسنة سبعة مائى بى ذولباب .

ورمه ذى احلجة شودهم ابن تمام ∴ تارنما تدير خورما تى تممام

عاره شعيان شود أغاز كتاب ∴ بس كنم والله أعلم بالصواب

درسنه فذكور اندربنج ماه ∴ شود تمام اين مثنوى أى مردراه

(جمع هذه الأبيات : ولد جلبى ، وصححها كليسلى رفعت استانبول (١٣٤١ هـ - ص ٩٤)

أما فى نسخة الجامعة فإن بداية الأبيات توجد فى النهاية ، وهى تحتوى على البيتين اللذين يكتبهما بعد الأبيات الثلاثة ، هذا ولا توجد فى رباب نامه أية معلومات على الإطلاق تتصل بحياة مولانا .

(٤) انتهانامه (رساله النهاية)

هو المثنوى الثالث والأخير لسلطان ولد ، ومدون تحت رقم ١٠٠٩ ضمن المخطوطات الفارسية لجامعة إستانبول ، واضطلع بكتابته شخص يدعى « غازان قر المولدى » بمدينة حلب ، وذلك فى شهر ذى القعدة لسنة ١٠٢٠ هـ = ١٦١١ م ، وتحتوى هذه النسخة على ٨٣١٣ بيتا ومائة وعشرين بحثا ، فضلا عن الديباجة التى تصدرتها ، ويقول فى ديباجة هذا الكتاب الأخير « إنه كتبه على وزن مثنوى مولانا ، وكتب سلطان ولد فى المثنوى الأول عن أحوال كل من مولانا وشمس وصلاح الدين وحسام الدين ، وجاء الكتاب الثانى على وزن المثنوى ، أما المثنوى الثالث فيتحدث فيه عن الرباب فى مستهله ، ونجد بين ثناياه النصائح والإرشادات ، أما الكتاب الرابع

الذى بين أيدينا فإنه يذكر فيه سالكى سبيل الحقيقة بعدم اتباع سبيل النفس والشيطان والحرص على عصيانهما ثم يسوق النصائح للتأكيد على ما يقول (٢ - ١٠) .

ويقول فى هذا ما فحواه « أبدأ ثانية باسم الله لأسوق الحكم الزاخرة بالأسرار القليلة منقطعة النظير .

ميكم يانام حق أغزيار : انكتهابى نادريز آزياز .

وعليه فإنه يبدأ هذا الكتاب الأخير بمثل هذه الأبيات ، بيد أنه خِلْو من أية معلومات تتصل بمولانا أو المحيطين به .

(٥) كتاب المعارف :

هو كتاب منثور مسهب يتكون من جزء جاء فى ستة وخمسين فصلا قصيرا ، أما لغته فهى لغة حديث متقنة بارعة جلية ، تشبه تلك اللغة الموجودة فى مقالات شمس وسيد برهان الدين ، كما تشبه كذلك كتاب المعارف لسلطان العلماء وكتاب « فيه ما فيه » لمولانا جلال الدين الرومى . ولا أثر فى ألفاظه لفكرة الفن المتكلفة المصطنعة ، أما بحوثه فإنها عذبة جميلة رقراقة ذات نكهة حلوة ومذاق لذيذ ، وهى متسقة مطردة ذات نظام بديع ، وإذا ما استطرد فى الحديث فكأنه يفتح الأحاديث متعاقبة فى إثر بعضها البعض عند رجالات العلم .

وكتاب سلطان ولد هذا يشبه كتاب المعارف لجده سلطان العلماء ، وكتاب فيه ما فيه لأبيه جلال الدين الرومى وبعبارة أكثر صدقا فإنه كتب كتابه لأنه وجد كتب هؤلاء متفردة قائمة برأسها ، ومن ثم فإنه سمى كتابه باسم كتاب جده (المعارف) [٣٢] .

وليس ثمة فرق يذكر بين الأفكار الواردة فى كتاب المعارف وبين مثيلاتها فى كتب المثنوى ، حتى أنه يذكر الأبحاث بعينها فى مواضع كثيرة من كتابه ، ويوجد فى

الكتاب كذلك صلات ووشائج تتصل اتصالا وثيقا بخلائق وسجايا سلطان ولد ، وتلمس كذلك بعض الوقائع والأحداث التاريخية .

وعلى سبيل المثال فإنه يقول فى أحد فصول الكتاب : لقد رأيت فى منامى أننى موجود فى مدرسة مولانا وردهة هذه المدرسة غاصة عن آخرها بالأصدقاء والأخلاء ، فقلت لهم بصوت جمهورى : إن الحياة التى تقدم الإحسان إلى الناس ما هى إلا فيض وخير عميم ، بيد أن هذا الفيض يؤثر فى كل شخص تأثيرا مغايرا فقد جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم نور وفيض ، وجاء كذلك إلى أبى جهل نور وفيض .

أما محمد فكان فى حالة متفردة وحيدة منقطعة النظير ، وأما أبو جهل فكان فى حالة غريبة عن الحقيقة ، ومحمد قد سبق إلى حالة ترى الحقيقة وتعاينها ، أما أبو جهل فقد عمي عنها ، وهكذا يكون فصل الربيع ، إما أن يتلألأ كل موضع بنفس الشكل واللون ، وإما أن ينمو الشوك فى موضع ما ، وثمة فاكهة فى مكان ما ، فبعض الفاكهة مر وبعضها حلو لذيذ « جامعة استانبول - المخطوطات الفارسية (١٨ ، ١٧ ، ٦٧) .

وفى الفصل الثامن عشر من الكتاب يحكي الكلمات التى قالها للسلطان مسعود ، ويذكر بهذه المناسبة ضرورة الإحاطة بالأسباب فى الدنيا ومعانقتها (٣٢ ، ٨ ، وما بعدها) . ويقول فى فصل آخر : إنه يثير فى الذاكرة فظاظة وشراسة عائلة نويان المغولية وما اتصف به سلاطين المغول من عظموت وجبروت ، وقد استقر فى الأفئدة الثياب التى يرتديها نويان كانت فى الحقيقة ثياب رجل مسكين عديم الحيلة ، حتى أن الناس لم يجدوا أية قيمة قط بين ظهرانى المغول فأكرموه ووقروه ، فهل رأى هذا الشكل وذاك اللبس الخاص ، ومن ثم فقد تحمل غطرستهم ووقاحتهم وسوء أدبهم » وهو بهذه الألفاظ يبين ترويع وترهيب المغول الذى كان سائدا فى عصره [٣٣] وفى الفصل عينه يسوق سلطان ولد بعض المعلومات التى تخص حال مولانا عقب رحيل شمس [٣٤] ثم ما يلبث أن يسوق شواهد شعرية فى مواضع متباينة من كتابه ، وهى مقتبسة من كل من الشاعرين سنائى وعطار ، وكذلك مولانا جلال الدين الرومى على الخصوص .

وكتاب المعارف هو أثر يضم بين دفتيه إحدى وخمسين ورقة كبيرة وقد اضطلع المدعو مليحة طارق آخيا بترجمته إلى التركية ، ثم اضطلعت وزارة المعارف بعد ذلك بنشر الأثر العلمي في تسعة عشر كتابا ضمن سلسلة الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية .

وإذا غضضنا الطرف عن المعلومات التي تخص الوقائع والأحداث وتتصل بالذوات والأشخاص فإننا واجدون أنه لا سبيل إلى التماس فائدة ترجى من هذه الترجمة رغم احتوائها على فهرس عام (أنقرة ١٩٤٩) .

ولم يطبع من مؤلفات سلطان ولد أي شيء على الإطلاق سوى ديوانه ومثنوية ابتدانامه ، كما لم تترجم آثار أخرى إلى التركية سوف كتاب المعارف . ويحيطنا كاتب جلبي علمًا بأن سلطان ولد قد اضطلع بنظم « الفقه النافع » شعرًا ، وقد وضع هذا الكتاب أحد علماء الحنفية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م ويدعى « ناصر الدين أبو قاسم محمد بن يوسف الحسيني المدني قندى ، كما ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية نظمًا (كشف الظنون : طبع وكالة المعارف : إستانبول سنة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م – جـ ٢ ، ص ١٢٢) .

كما شوهد هذا التسجيل كذلك في F :uzluuk كما تم بحثه كذلك في مقدمة ديوان سلطان ولد (صـ : ٣٩) . وثمة ملاحظة في شأن هذا الكتاب في طبعة وكالة المعارف تفيد بأن هذا الأثر لم يكتب في أسماء المؤلفين لصاحبه إسماعيل باشا وهذا يعني أن هذه المسألة في مسيس الحاجة إلى البحث والدراسة ، ونعتقد أنه لا وجود لهذا الكتاب في مصادر المولوية وهو من الكتب الملفقة المزيفة مثل : عشق نامه وتراش نامه ورسالة الاعتقاد وغيرها(٣٥) .

الهوامش

(١) ديوان سلطان ولد طبعة أوزلق Uzluk ، المقدمة ، ص F. N ، ويقول إنه اقتبس هذا من السجل الموجود في الديوان الذى كتبه هدية خاتون زوج نظام الدين واخت فاطمة خاتون زوج سلطان ولد . ويظهرفى المقدمة أن التاريخ الميلادى المقابل للهجرى هو ٢٨ ابريل ، بيد أن فائق رشيد أونات ترجم التواريخ الهجرية إلى تاريخ ميلادى على النحو الآتى : يوم الجمعة الرابع والعشرون من ابريل (معارف ٧ - ١٩٤٣ ، ص ٤٢) ونلحق بهذا أن هذا التاريخ لا يطابق ما ورد فى السجل الوارد بكتاب سيهسلر والذى يقول إنه عمر حتى بلغ ستا وتسعين سنة (ترجمه مدحت بهارى ، ص ٢٠٢) .

(٢) انظر : مولانا جلال الدين – الطبعة الثانية : ص ٧٩

(٣) نفس المصدر . ص ١٠٥

(٤) نفس المصدر : ص ١٠٧ – ١٠٨

(٥) أصله من تخواند ، ولد فى بغداد ،وتمه طرق صوفية كثيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بسلسلة نسبه ، ولهذا السبب فإنه سمي سيد الطائفة وتعنى دولة الصوفية ، وتوفى بين عامى ٩٠٩ و ٩١٠ هـ ، أو بين عامى ٩١٠ و ٩١١ هـ . (انظر : ترجمات النفحات : ص ١٣١ – ١٣٥) . أما معروف الكرخي فهو من مشاهير الصوفية : وانتشرت الطرق الصوفية المعروفة باسم « الذهبية » وذاعمت فى إيران ، وتمتد سلسلة نسبها إلى معروف الكرخي ، وتوفى سنة ٨١٥ هـ .

(٦) موسى وعيسى نبيان معروفان ، أما عمران فهو والد موسى ، والمتصور هو : حسين بن منصور الحلاج الذى شنق فى بغداد سنة ٩٢٢ هـ بسبب عقيدته وكلامه المناهض للشريعة ، أما أدهم فهو ذلك الصوفى المشهور إبراهيم بن أدهم البلخى المستوفى فى الشام بين عامى ٧٧٧ – ٧٧٨ هـ . وذو النون هو صوفى ينتسب إلى الطريقة الملامتية ، وتوفى فى مصر سنة ٨٥٩ هـ ، وأحمد البلخى المتوفى سنة ٨٥٤ هـ ، وهو صوفى من أرباب الفتوة والطريقة الملاميه . (انظر : كتاب النفحات وكتب الطبقات الخاصة بالصوفية) .

(٧) عرق اللؤلؤ : أم اللآلىء : مادة صلبة ناعمة قزحية اللون تشكل بطانة بعض الأصداف (المترجم) .

(٨) كرنزدكسان كريم بك بكتمورى : نزديك من ازدانشن بنيشن كويدرى بك دريتيم تور درين جسم صدف : جاى دور صدف كه صد بهار درى (رباعيه رقم ٤٥ ، ص ٦١٦ : F N : uziluk Basimir) .

(٩) الدبق هو الجير ، والغبيراء هى : رماد الجبل (المترجم) .

(١٠) تأتى هذه الكلمة بمعنى شجرة ، وهو اسم يطلق على الشهادة أو الإجازة الرأسية المكتوبة لسلسلة الطريقة التى تنحدر من شيخ إلى آخر حتى تنتهى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويطلق عليها فى الأزمنة المتأخرة اسم الشهادة أو إجازت نامة . وتطلق كلمة شجرة على الوثيقة التى تثبت نسب الأسياد من جد إلى جد حتى تصل إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

(١١) المكيث : هو الرزين الذى لا يعجل فى أمره ، ويعرف فى التركية باسم Temkinfi (المترجم) .

(١٢) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١١٤ ، ١٣٠ .

(١٣) ديوان سلطان ولد F N : uzluk basimi . ص ١٠ ، ٩ ، ٨٧، ٨٦ . تربه وهم مدرسه عمارات ذكرم ١ كوفية وارة شيخ زهى يار ومريوى بس آورا (ص ١٠ ، بيت ١٢٧) تربت معمور شو دفير تومحشور شد ١ سال تو ميمون بادماهى توفر صدة باد (ص ٨٦ ، بيت ١٧١٧) .

(١٤) مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٣٠ .

(١٥) الطبعة الأولى من كتابنا المرسوم باسم « مولانا جلال الدين » وقد كتبنا تاريخ اعتلاء غيات الدين مسعود العرش سنة ٨٨٢ هـ - ١٢٨٣ م معتمدين فى ذلك على كتاب « الدول الإسلامية (ص ٥ أسفل سطر : ٣) . وقد صححنا فى الطبعة الثانية ما صرح به سلطان ولد من ذكر اليوم والشهر والسنة الذى ورد فى البيت الثانى من هذه القصيدة (: ٥) .

(١٦) إذا كان شهاب الدين أوزلق يقول : أن تعمير السلطان مسعود للمقبرة يعتمد على هذه الكلمات الواردة فى المعارف فإنه من المتعذر لدينا أن نفهم شيئًا من هذه العبارة (مقبرة مولانا ، احدى نشريات دار الشعب بقونية سنة ١٩٤٦ ، ص ٥٤) .

(١٧) جمع غار ، ويعرف فى التركية باسم Magara (المترجم) .

(١٨) رياضت نيست بين ماهمه لطف است وتجايش ١ همة مهرست ودلدارى همة آسياست وآسايش (الديوان) ويدون سلطان ولد الصراع الأول من هذا البيت فى مقدمة رباب نامه (جامعة استانبول ، فارسى ١٣٧٥٠ - A ١٠٦) .

(١٩) مولانا جلال الدين الطبعة الثانية : ص ٢٠١ اقرأ بداءة من السطر التاسع عشر .

(٢٠) انظر : مولانا جلال الدين الطبعة الثانية : ص ١٣٤ ويكتب سبهسالار أنه عاش ستة وتسعين عامًا (ترجمة مدحت بهارى ص ٢٠٢) .

(٢١) انظر : مولانا : جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ١٠٩ - ١١٠.

(٢٢) انظر : مولانا : جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٦

(٢٣) طاشكبرى زاده - ترجمة كمال الدين محمد - استانبول - مطبعة أقدام سنة ١٣١٢ هـ - ص ٧٤٧ - ٧٤٨ - ١٠ - ط .

(٢٤) انظر : ترجمة المثنوى : الصورة الفوتوغرافية فى نهاية الجزء الأول انظر كذلك : مولانا جلال الدين ط ٢ ، ص ٢٦٦ ، والملاحظة رقم ٣٥ الموجودة فى نفس الصحيفة .

(٢٥) انظر : محمد يوسف : المرشد المختصر لمتحف الآثار القديمة لقونية سنة ١٩٨٠ ، ص : ٧٣ .

(٢٦) يوضح جاويد تاريم تاريخ وفاة الشيخ سليمان بعام ٦٩٢ هـ - ١٢٩٣ م ، وذلك فى اللوحة المثبتة فوق الصندوق الكائن على قبره ، وهو محق فى تشككه فى هذا التاريخ ، حيث ورد فى الوقفية جملة تقول « وريجل الله حلت بركاته علينا » وهى جملة تفيد أنه لم يزل على قيد الحياة .

أما رائف بلكنجى فإنه يعتمد على كتاب « منطق الطير » لكلشهرى والذى يذكر اسم سليمان هذا ، ويزعم كلشيهرى أن هذا الشخص هو الشيخ سليمان ، ويتوجب علينا إسداء الشكر له بسبب الوثيقة التى قدمها لنا ، ولزام علينا القول : إننا إذا تجاوزنا صراحة بعدم ورود ذكره قط فى واحد من هذه الأبيات التى

قرأناها ، وحتى أنه لم ترد إشارة واحدة قط تدل على هذا فإن هذا الادعاء خاطيء ولا أصل له ، وهو يشبه ادعاءعاشق باشا بشأن يونس أمره (انظر : عبد الباقى كلبنارلى : عاشق باشا شامع يونس وباطنية يونس - استنابول - مطبعة كنعان ١٩٤١ م) . ومن المتعذر عدم البحث فى الهدهد وسليمان ومنطق الطير ، وإذا وجد أن اسم سليمان قد ورد في أحد مخالص كلشهرى من موضع إلى آخر فإنه لابقاء لمثل هذه المسألة ، كما أن البروفسور ritter قد قبل هو الآخر برأى كلشهرى ونعتقد أن قد وقع بدوره فى خطء جسيم ، وإذا قبل هذا فإنه يكون قد تردى فُى هاوية الغفلة والنسيان .

(٢٧) انظر : مولانا جلال الدين - ط ٢ ، ص ٣٠ .

(٢٨) المصدر السابق : ص : ١١٧ - ١١٨ .

(٢٩) الأشعار فى الديوان الكبير مرتبة بحسب الحروف الهجائية وقالها فى كل ضروب النظم ، وهى تجميع للدواوين الصغيرة : انظر : مولانا : ط ٢ ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨

(٣٠) وقد ورد فى هذه الدورية غزلية لمولانا يقول فى مطلعها « بارك أبوك سر الإله » ونظم سلطان ولد نظيرة مشابهة لها ويقول فى مطلعها « فليبارك ولدك سر الإله » وثمة غزلية أخرى وتحمل عنوان « الولده قدس الله سره » حيث جاء ت عند سلطان ولد بنفس الألفاظ ، كم ورد على هذه الشاكله نظائر سلطان ولد ، وهى نصف الغزليات وتتجاوز ٢٥٠ غزلية وردت فى هذه الدورية .

(٣١) وقد ورد فى صدر كل بحث وفى سائر الكتب الأخرى أن ثمة منظومات ومثنويات لسلطان ولد جاءت مشابهة كما هو موجود فى المثنوى ، وتفيد خلاصة هذا البحث بوجود قسم منفرد قائم برأسه مدبيج بنثر شديد الوضوح والجلاء ، وكتب هذه النثريات بمداد أحمر وبهذه المناسبة فإن هذه المقطوعات النثرية هى بمثابة أقسام للكتاب ، ويرد معنى « قيرمزى » فى الفارسية باسم « سُرخ » .

(٣٢) لا جرم أن الصوفية يطلقون اصطلاح « المعارف الإلهية » على المعارف التى تخص معتقداتهم الدينية وعلى هذا فإن كلمة « معارف يمكن اعتبارها اسم جنس عام أكثر من كونها اسما خاصا .

(٣٣) عظمت وصلابت سلاطين ونويانان مغول در خاطره جونان ينشته است ودرد لها باى شان أثر كرده كله اكرجه حقايقات ميدانتدكه ودرويش استويفوا ودرميان مغولا قدرى نداد بامجرد أين صورت وابن لباس اورا تعظيم ميكند (A ٣٣ : A) .

(٣٤) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص ٨٥ - ٨٧

(٣٥) نفس المصدر : ص ٢٦٩ - ٢٧٠

الفصل الثالث

السمة الفكرية لسلطان ولد

أسلوبه وشعره – هل يوجد فكر متأصل عند سلطان ولد ؟ – الشيء الذي صنعه سلطان ولد .

أسلوب وشعره :

اجتهد سلطان ولد وصرف جل همته في اتباع سبيل مولانا وتقليد أدائه وأسلوبه ، بيد أنه لم يكن ناقلا للشكل والألفاظ بعينها الواردة في آثار مولانا الشعرية والنثرية على السواء ، ومن ثم فإنه قدم هذا الشكل من جديد بنفس الأداء . كما أن قريحته الصوفية قد اضطلعت بدور كبير في هذا التقليد ، وكانت أفكار مولانا واقعية حقيقية موسومة بميسم الوضوح والجلاء ، أما عند سلطان ولد فإنها ملغزة يكتنفها إلغاز صوفي غامض ولم يدرك سلطان ولد كنه الانفعال العاطفي وسورة الحميا لدى مولانا ولم يعرف حدها ، ومن ثم فإنه من المتعذر العثور على مثل هذا الضرب الحر من التفكير الذي يتأتى في هذا السبيل .

وهذان مثالان بسيطان يمكن أن يقدما لنا فكرا يعتد به في هذا السبيل : يقول مولانا في المثنوي (استمع كيف يبث الناي شكواه ، وكيف يشرح لواعج الفراق والهجران) .

فهو يبدأ بهذا القول ويقدم كلامه إلى الناي في الحال ، ثم يجمع ويؤلف بينه وبين صرخته ونواحه وصرخة الناي وأنته وهذه الرغبة العارمة والشوق الجامح ، وهذا

الاحتراق مفعم ملآن بالدماء ، إنها عشق وحكاية الطريق التى لا تتقادم ولا تبلى ولا ترقد ولا تهدأ ، إنها مثيرة للمشاعر مهيجة للأحاسيس تُلحق إلى الروح أرواحا .

هكذا يبدأ مولانا حديثه مخاطبا المستمع على الدوام وعلى حين غفلة ، بيد أن المخاطبين هم الإنسانية ، ومن ثم فإنه يعجل بالولوج إلى أول حكاية إبان حديثه . إن سلطان ولد يبدأ مثنوياته باسم الله ، حتى إنه يقول إلى رسالة الرباب « ألقى السمع إلى بضع مئين من حكم العشق المنبعثة من نواح القيثارة » ثم يقول عقب هذا الاستهلال بيتاً من الشعر يقول فيه : « ياإلهى أنا دائما أنوح وأبكى ، يا إلهى يا إلهى » .

ثم يشرح النعوت والصفات الإلهية بإسهاب وتفصيل فى مثنوين آخرين له ، ويتحدث أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو عادة ما يتبع سبيل أسلوب الكتاب الكلاسيكى المخطوط حيث يبدأ الحديث ذاكرًا اسم الله والنبى محمداً صلى الله عليه وسلم . لم يكن مولانا يقحم نفسه فى بحث المسائل الصوفية والأخلاقية بصورة مباشرة ، إنه يبدأ فى القص والحكى ، وعن طريق هذه العلاقة يتدخل فى الحديث متبعًا سبيل رحلة الحكاية متعقبًا حركتها ، ثم ينتقل من القصة إلى الحس والشعور ، بيد أن هذا البحث يذكر بحكاية أخرى ، ثم تفضى هذه الحكاية بدورها إلى فتح سبيل آخر ، ومن ثم يكون هذا البحث سببًا يتجم عنه حكاية أخرى ، وهكذا يمتد الحديث ويمضى فى سبيله قدما ، وتارة يكون الموضوع مطرداً متسقًا ذا تتابع وانتظام وعندما يتضايق المرء فإنه ما يلبث أن يغير شجون الحديث على حين غفلة .

إن ذاكرة مولانا إما أن تكون ذات شعور إنسانى وحينئذ فإنه يبث فى تضاعيف الكلمة نبض الروح والحياة ، وإما أن يقتبس الكلمة من أحد الأشخاص الموجودين فى الحكاية وتكون ذاته هى هذا الشخص بعينه ، والألفاظ هى دمع العين وهى النار والدم . أما سلطان ولد فلا حكاية عنده ، حتى إذا وجدها فإنه ما يلبث أن يدرجها فى بحث صوفى أخلاقى خالص ، ثم يستمر فى البحث فيها بقوة واقتدار .

وهو يورد بين ثنايا حديثه حكاية الخضر وسيدنا موسى المعروفة ويظل يلوكها فى فيه كالعلك ، وهى ليست حكاية شعبية جلية ذات حكمة معبرة ، ومهما يَكُ من شىء فإنه يستهل حديثه بغية شرح وتجلية مبدأ صوفى ، ثم ما يلبث حينئذ أن يتعقب

ويتبع سبيل أسلوب أبيه وسرعان ما يزج بنفسه فى أبحاث ومناقشات أخرى حتى يتسنى له التشبه بأبيه فى هذا السبيل ، ولكن مقدمة وخاتمة هذه الأبحاث والمناقشات تبين هذا بوضوح وجلاء ، ولا يتسنى لنا أن نجد فى هذه الأبحاث والمناقشات سلسلة متعاقبة بعضها فى إثر بعض ، فالبداية سرعان ما تتنبىء عن الخاتمة . وهذا يعنى أن سلطان ولد لا قبل له بالانفصام عن التسلسل المنطقى فى مؤلفاته .

أما عند مولانا فنجد المتناقضات والتسلسل والبدايات والخواتيم ، وهو لا يتبع سبيل منطقنا ألبتة فالمنطق عنده تابع منقاد للشعور الإنسانى . ومولانا يسير ويُسيّر ، ويشد ويجذب ، يُبهر ويذهل ، يهز المشاعر ويأخذنا على حين غفلة . بيد أن سلطان ولد يحكى ويشرح ويقول ما سوف يشرحه منذ البداية ، فيوضحه ويجليه ويعلمه ، ومولانا شعبيّ برمته فى طريقة القص والحكى والفكر والأسلوب ، فهو يخاطب الشعب ، يكتب بطريقة شعبية ومن أجل الشعب .

أما سلطان ولد فيعتمد على العلم والمعرفة ، ويتحدث بالمعلومات أكثر من حديثه عن الشعب يغلم ولا يعلن ، أحدهما يعطى كل شيء للشعب وهو فنان الشعب والآخر فنان يعتقد أنه منفصم عن الشعب . لقد اقتدى سلطان ولد بأبيه واتبع سبيله فى الأداء والتعبير والموضوع ، وقد تجلى هذا فى سائر أعماله سواء أكانت فى ديوانه أم فى مثنوياته أو فى كتاب المعارف المنثور ، كما أنه اقتبس من أبيه ، واصطنع التكرار كما فعل أبوه واستخدم ألفاظه بعينها بيد أننا يتعذر أن نجد عند سلطان ولد الانفعال العاطفى وسورة الحميا والعشق الموجودين لدى مولانا ، ولنضرب بضعة أمثلة لتوضيح هذه المسألة وتجلية جوانبها ، يقول مولانا : « ذق لذة الروح فى معية الجماعة مصطبغة بنفس اللون ، وتعال إلى الحانة ، واشهد متجرعى الكئوس حتى الثمالة ، واكرع كأس العشق ولا تنظر إلى الفضيحة والعار ، ولأجل هذا لا تخجل إلى هذا الحد ، ودع هذا ، وأغمض عينيك عن هذين الرأسين وانتبه إلى هذه العين الخفية المستورة »[1] .

هذا ويستخدم سلطان ولد الألفاظ عينها على نفس الوزن وذلك فى غزلية يقول فيها « ياخلى وحبيبى ، ما دمنا على آسال منه وقد أصبحت مولهًا بعشق الإلهى

مجنونا ، فاصطبغ بنفس اللون مع الجماعة ودع عنك هذا »(٢) ويقول مولانا : « هل شهر الصيام ، ووصل لواء السلطان فكف يدك عن الطعام ، فقد حل وقت طعام الحبيب »(٣) ويقول سلطان ولد في المناسبة عينها « حل شهر الصيام ، ووصل لواء السلطان ؛ فلتعم عين الشيطان قد حل حينئذ عشاق الحبيب »(٤) . ويستهل مولانا إحدى غزلياته بقوله : « أيها العازف تفوه بأسرارنا ، وقص حكاياتنا مع المحبوب مبهج الفؤاد»(٥) .

ويقول سلطان ولد في البيت الأول من إحدى غزلياته : « ياعازف الفؤاد تفوه بأسرار سلطاننا ، ولنر في هذه الليلة عالم اللامكانية بعينه »(٦) ولنكتب هاهنا إحدى غزليات سلطان ولد التي جاءت نظيرة لإحدى غزليات مولانا دون الإكثار من إيراد الأمثلة في هذا السبيل . يقول مولانا : « لقد تحررت من هذه الصورة ، وما هي إلا هواء ، فحياة هذا العالم كرب وبلاء وموته كذلك ، فلأكن حيا أو ميتا فلا محلة لي ولا وطن بغير فضل الله وإحسانه .

أيها السلطان السرمدي ، لقد تخلصت من البيت والغزل وقتلتني : مفتعلن - مفتعلن مفتعلن ، فأين هي تلك القافية التي تتأتى دون مغالطة أو فكر خاطئ ؟ لقد حملها السيل ، وهي عبارة عن قشرة خارج عقول الشعراء ، وأنت أيها الصمت كلمتي الماثلة في كياني ، وأنت جميلي وأنت ستر سري الذي لا ند له ولا نظير ، وسكوني لا قيمة له ، إنه خائف وجل ، فأي شيء يرجو فهذا هو أدنى شيء من الإحسان .

من أي شيء يخشى الصامت ، فالخراج لا يُجتبى من القرية المحطمة وأنا كذلك ثمل سكران ، منهدم خرب تباب ، وفي قولي بحث معقوف صادق مستقيم أي شيء يكون من أهل الكلام ومن السكوت الذي يشبه السكر ؟ من يدري بحال الدمع ، إنه يابس جاف فأنا مرآة ، ولست رجلا متحدثا . إن سمائي في لون الأرض وفوق الأرض ، ولكنها لألاءة وهاجة يلمع بريقها من الأرض ومن السماء ، وأنا لا أداري عنك خرقتي ولا روحي .

هل جاء شيء من صاحبي وحبيبي ، فأنت نصفه وأنا النصف الآخر»(٧) .

ويقول سلطان ولد : « إن سلطاني موجود في العالمين ، وهبت السلطنة إلى ذلك المسكين ودفعت عنه الضر والبلاء ، ومحوت عن البدن غياهب الظلمات .

وأصبحت نورا من فرعى حتى أخمص قدمي ، وجعلت العمر الفانى بفضل الإحسان أن أبدا سرمديا وإكسير الأزل ماثل فى تضاعيفى ، وله تأثير جد عجيب ، وبنظرة إلى الأحباب استحال النحاس ذهبا ، وجعلت الجهل معرفة وعلما ، وبات غضبه حلما وجعلت حثالته صافية دون شائبة ، وعالجت ألمه برمته ، فلأقولن الشعر من هذا الفن من أجلى ، ولدى فن آخر يختلف عن سائر فنون الشعراء .

فالشعر يشبه سحابة سوداء ، وأنا قمر أركض فى إثر هذا الغمام ، فاحذر ولا تقل إن القمر منير فى هذه السحابة السوداء ، فإذا ما أردت رؤياى فانزع سحابة الأنانية والغرور واخلع من البدن ما يشبه تلك السحابة ، ولأضربن لك ضوء القمر ، ووضع الكلمات على هذا الوزن هو شيء سهل ميسور ، فانظر مليا إلى ذات نفسك بمقياس هذا الترتيب »(٨) .

وإذا ما قرأت أى شعر من أشعار ديوان سلطان ولد ، ألفيت فيه أداء مولانا واستعاراته وكذلك الوزن والرديف اللذَيْن استعملهما ، حتى إن الفكر هو فكر مولانا ، وتتجلى هذه الحقيقة بعينها فى مثنوياته ، بيد أننا مضطرون إلى القول بأن ثمة شيئا فى مولانا لا وجود له عند سلطان ولد يمثل هذا الإتقان والبراعة والكمال .

وهذا الشيء هو : الانفعال العاطفى وسورة الحميا والتدفق السيال والسلاسة ورشاقة الأداء والجاذبية والسحر والافتتان .

ورغم كل هذا فإننا نجد بين ثنايا ديوان سلطان ولد مثنوياته وكتابيه ابتدانامه ومعارفنامه على الخصوص ما يجلى عصره ويلقى الضوء عليه ، ناهيك عن وجود أشياء كثيرة تتصل بحياة مولانا وتصرف اهتمامها إليه . وعلى سبيل المثال : فهو يشرح فى ديوانه كيف يملأ أهل قونية الميادين وكأنهم أطفال فى يوم عيد ، وكيف أن قسما منهم يأخذون موائد الطعام إلى حيث النزهة والفرجة ، ويتجه قسم آخر إلى جبانات الموتى فيرتدون أفخر الثياب ، ويعقدون مجلس السماع ليوقظوا أنفسهم من سباتها ، أما الدراويش الذين يتخلفون عن حضور مجلس السماع فإنهم ولا ريب محرومون من الفيوضات الإلهية (ص : ٩٤ – ٩٥ غزل : ١٢١) . ثم يقول بعد ذلك : إن الناس يملئون الميادين بعد شهر رمضان ويتشيطنون ، ويشكون من

انقطاعهم عن مجلسه (ص ١٠٧ ، غزل ١٠٨) ويقول لأحد الحجاج : إن الحج صحيح ، ولكن هجرك لشيخك وتخليك عنه والذهاب إلى الكعبة خطأ جسيم . فالتيمم شرط عند عدم وجود الماء ، فإذا وجد الماء بطل التيمم .

ثم يسوق النصح قائلا : عندما تحج فأنت تنال الثواب ، والثواب جميل ، بيد أن رضا الشيخ أسمى منزلة (ص ١٣٠- ١٣١ - غزلية : ٢٢٣) . إن من يعرف الشيطان هو أعمى بغير نور ، ومن يعجب بنفسه فهو مغرور خسيس وضيع ، إنه خنزير وكلب ، تافه حقير يظل فى الشبهة والريب ولقد دفعت به من جانبى فذهب بعيدا ، لا يحبه أى شخص ، وهم يهجونه هجاء مقذعا (ص : ٣٣٨ - غزلية ٥٥٥) .

ويتضمن ديوانه كذلك أشعارا تتحدث عن ذهاب وإياب وشهادة شمس ، كما كتب أشعارا تدور حول وفاة كل من الشيخين حسام الدين وصلاح الدين ، وهذه الغزلية التى سنسوقها بعد قليل تظهر فى شكل جميل طبيعة شخصيته المصلحة ، كما أنها تخبر بجلاء أتم عن مدى ما كان يضيق به ذرعا من العراك والنزاع اللذين كانا سائدين إبان عصره .

يقول الله فى القرآن : « إنما المؤمنون إخوة » ويتوجب عليك أيها الأمير حينئذ أن تصلح بين هؤلاء وتوفق بينهم ، فالقتال هو من عمل الشيطان ، والسلام من عمل الملك ومن ثم فإنه يتوجب اختيار الصلح بغية تطهير الروح وتسكين روعها ، فهذا الصلح يوفق بين الأرواح الطاهرة .

وكلما توحدت القطرات أصبحت نهراً وأنا بطل شجاع ، وبعد ذلك هل توحدت القطرات وانقطع الهجران ، وتصبح آمنة كذلك من خوف العدو ورهبته ، وإذا لم تتوحد الدنيا من ذرات التراب ومن العدم فكيف يصير موطن الصغار مع هؤلاء الكبار ؟ فانظر مليًا وانتبه فإن هذا الجمال وذلك الاتحاد موجود فى مئات الموجودات ، وكائن كذلك فى العباءة والبساط والحصير والقماش الحريرى .

وكلما اتحد التراب ونشأ على هذا النحو فإنه سرعان ما تتمخض أشياء من توحد الأرواح وائتلافها»(٩) وفى غزلية أخرى يوصى بعدم القتال وضرورة التصالح

مع كل شخص ، ثم يسوق النصح فى هذه الغزلية فيقول : « ألق السمع إلى نصيحة سلطان ولد واقبلها .

إن خوض غمار الحرب مدعاة للحقد والبغضاء والغطرسة والكبرياء ، وينهى الغزلية قائلا : وانظر بلطف كذلك إلى وجه الأعداء (ص ٣٣٨ – غزلية ٢٠٠ – ٢٠١)، ويقول سلطان ولد : « إن روح العطار وفؤاد سنائى هما عيناه ، بيد أننا القبلة لكل من العطار وسنائى (١٠) .

ويُذكِّر كذلك بفرط ولوعه وشدة ميله إلى كل من سنائى والعطار .

وقد فهمنا من مثنويات سلطان ولد مدى انشغاله بهذين الشاعرين . بيد أنه انشغل بمولانا أكثر من كل شخص ، ومن ثم فإنه اقتدى به واتبع سبيله رويدا رويدا ، وثمة أخطاء فنية كثيرة فى شعر سلطان ولد بيد أن هناك فرقا جوهريا بين شعر الشاعر وشعر العاشق ، وفى هذا الصدد يقول : إن شعر الشاعر هو نهاية الوجود .

أما شعر العاشق فإنه يتأتى من السكر والثمل ، وشعر الشاعر يتوهج بالكذب ويتلألأ به ، أما شعر العاشق فإنه يومض ويلمع بالصدق » ، وهكذا يفرق سلطان ولد بين هذين الضربين من الشعر » ابتدنامه . (ص : ٥٣ – ٥٥) ، ويرى كذلك أن ثمة فارقا جوهريا مميزا بين أشعار طائفة من الشعراء أمثال : أنورى وظاهر فارابى ونظامى وبين أشعار ثلة أخرى مثل العطار وسنائى ويذكر كذلك أنه يوجد بين ظهرانى المتصوفة والزهاد والدراويش من يميلون إلى دواوين سنائى والعطار وآثار مولانا (ص ٢١٣ – ٢١٤) .

ونريد فى خاتمة هذا البحث الإجابة عن هذا التساؤل : هل دبج سلطان ولد الشعر من أجل أبيه الذى دبج الشعر ، أم هو مرتب لديوان الشعر لأن أباه صاحب ديوان ، أم أنه منشئ لمثنوى من ثلاثة أجزاء لأن أباه صاحب مثنوى من ستة أجزاء؟(١١) .

إن الكثرة الكاثرة من شعره الوارد فى ديوانه ما هى إلا نظائر لشعر أبيه أم أنه ناقل للأفكار والمجازات التى استخدمها أبوه ، وهو مدبج لأشعار بالرومية لأن أباه له كذلك أشعار بالرومية[١٢] ، أيكون سلطان ولد بعد كل هذا شاعرا شريطة عدم مقارنته بأبيه ؟ ولنجب دون تردد قائلين : إنه شاعر ، بيد أن ثمة سؤالا يدور فى الخلد هو : هب أن أباه لم يدبج الشعر ، هل كان سلطان ولد سيدبجه هو الآخر ؟ وإذا لم يكن سلطان ولد هو المعبر عن مجازات مولانا وهو الممثل الأول والأخير وآخر أستاذ للشعر الإنسانى الذى لم ولن يأتى فى عقبه واحد مثله فى الأدبين الشرقى والإسلامى على السواء ، أيمكن بعد هذا أن توجد مجازات تنتزع من الحياة وتكون نابضة بالروح والحياة ؟

ولنجب عن هذا السؤال كذلك دون تردد قائلين : لو لم يكن مولانا لما تسنى لسلطان ولد أن تكون له كينونة معنوية مثل كينونته المادية .

يقول جلال همايى فى شأن الخصائص اللغوية لكتاب « ابتدانامه » : « ثمة قيمتان أدبيتان فى هذا الكتاب : إحداهما – متمخضة عن النثر المكتوب فى صدر كل جزء منه ، فإذا ما جمعت هذه المقطوعات النثرية فإنه ينشأ منها كتاب فصيح بالفارسية يضم التاريخ والتصوف ، ثانيهما – يرجع إلى النظم إذ تمخض عن العجلة فى النظم أن جاء فاترا واهيا على غير اتساق وانتظام ، بيد أن هذا الأثر يموج بنبض الروح والحياة ، ويخص قدم الفارسية وفصاحتها وبيانها ، ويشتمل الكتاب سواء فى نثره أو شعره على طائفة من الحكم والأمثال مدبجة بألفاظ صحيحة صائبة ولا ريب من كنوز أدب اللغة الفارسية » .

لا جرم أن هذا الأثر ذو قيمة أدبية عظيمة من الناحية اللغوية ، بيد أن العناوين المنثورة قد اتبعت سبيل التقليد للعناوين الموجودة فى مثنوى مولانا ، كما أن جلال همايى راجع ولا ريب إلى العناوين الموجودة فى المثنوى قبل أن يطالع العناوين الواردة فى كتاب سلطان ولد ، ويقول سلطان ولد : إنه اقتفى أثر أبيه واتبع سبيله فى هذا المضمار ، ثم يردف قائلاً : « وخلاصة القول : إن الألفاظ التى تفوهت بها شديدة الوضوح والجلاء ، كما أننى لم أتفوه بكلام ملغز مبهم مستغلق على الأفهام » .

هل يوجد عند سلطان ولد فكر بديع أصيل ؟

لقد تعقب سلطان ولد أثر أبيه فى كل صغيرة وكبيرة ولا سيما تلك الموضوعات التى اضطلع بها أبوه فى نظمه ، كما قدم لنا سلطان ولد الموضوعات بعينها على نفس الضرب والشاكلة ، وجاءت هذه الأفكار كذلك مظروفا لهذه الموضوعات ذات النهج المنفرد القائم برأسه ، ومن ثم فقد سيقت هذه الموضوعات إلينا فى حالة من الذبول والوهن وفقدان الروح والحياة .

يتحدث سلطان ولد عن الخضر وموسى كما فعل مولانا (ابتدانامه : ص ٢٣ -٢٧) ، وهو كذلك يخاطب بكتمور أوغلو قائلاً : أنت بغيتى ومرامى من بين هؤلاء أجمعين ، وهو خطاب يشبه فيما يشبه خطاب مولانا فى المثنوى إلى جلبى حسام الدين (ص ٣٢٦) ، كما أنه ينشئ موضوعًا يتحدث فيه عن محمود وأيازى (ص ٢٩ - ٣٦) ، كا يروى قصص الأنبياء ، ويحكى أجزاء منها حتى إنه يقدح زناد فكره مثل شمس ومولانا ، وفى هذا يقول : إن دينك وصلاتك وعبادتك هى جميعا ذات معنى تحيط به الخصائص والصفات ، ولا جرم أن الصلاة تتأتى من هذا النور ، أما الأنبياء فإنهم قد جابوا الصلاة فى أشكال وضروب متباينة ، وكل واحد منهم قد علم صلاة مختلفة ، وإن من يدرك كنه هذا لا ينخدع فى منظر الصلاة وهيئتها ، فهو يقبل الصلاة إذا كانت فيها روح لأن الرجل الظمآن يريد جرة بغية شرب الماء وإذا لم يكن فى الجرة ماء فما الفائدة من عمله ؟ وكما أن الأنبياء يضطلعون بشرح ضروب متباينة من الصلاة للناس ويعلمونهم إياها ، فكذلك يصنع المتصوفة ، إذ إن صلاتهم الحقيقية هى السماع حيث يخبرون كل من فى الأكوان عن طريق النثر والنظم فى ضرب العرفان والسماع ، وإن من يعرف الطعام ويقتات به فإنه لا يرتكب إثما ، ولا ينخدع بالطعام الموجود فى القصاع ، وهو يعلم أنه إذا تغيرت القصعة فإن الطعام هو هو الطعام » (ص ٨٨٠) . لقد تمسك كفر الحلاج بما هو أسمى من التوحيد ، ويرى أن كل ما صنعه رجل الله هو شىء حسن صادق ، وإن صحبة الشيخ هى أسمى وأعلى من سائر العبادات (ص ٨٩) وأن معرفة الصوفية عنده لهى أشد

قوة من معرفة الله ، لأن كل واحد يخفي ذات نفسه بصفات متباينة متنوعة (ص ٩٠ وما بعدها) .

ولكن هذه المناقشات موجودة فى المثنوى ، وعلى سبيل المثال فإن حكاية موسى والخضر الموجودة فى ابتدانامه موجودة كذلك فى المثنوى (ص : ٢٣ : ترجمة المثنوى - ج ٣ ، ص ١٨٦ وما بعدها) ، وكذلك مسألة تحطيم وتكسير آيازى للمجوهرات التى قدمها السلطان محمود موجودة كذلك فى المثنوى (ص ٢٩ - ترجمة المثنوى ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ وما بعدها) .

كل هذه الحكايات والموضوعات موجودة ومبحوثة فى المثنوى ، ولقد اقتبسنا هذه النماذج من أجل تقديم هذا الفكر إلى القارئ ، وكل هذه الأبحاث موجودة فى المثنوى سواء منها ما ورد فى ابتدانامه أو ما هو موجود فى المثنويين الآخرين ، وخلاصة القول إن كل قول وبحث مقتبس ولا ريب من المثنوى على الخصوص . أو مقتبس من مقالات شمس . لقد اقتدى سلطان ولد بمولانا واتبع سبيله فى المثنويات الثلاثة ، كما اقتبس أبياتا من سنائي والشعراء الآخرين ، ومن ديوان مولانا مثنويه على وجه الخصوص . وبعد هذه الإيضاحات يتبين لنا أن ما جلاه سلطان ولد جاء مقابلا لآثار مولانا التى سيقت فى شكل متباين تماما ، والتى جاءت كذلك برؤية إنسانية متقدمة وكأنها نظام صوفى مصبوب فى قالب وعلى هذا فنحن سنظل مضطرين إلى شرح أحد مصاريع مولانا كما فعل جلال همايي « أى فرق كبير بين حسن هذا وحسن ذاك » « ولد نامه : المقدمة : ص ٢٤ . ترجمة المثنوى ج ٤ ، ص ١١٠ ، ١٢٦٨ » .

شعره بالتركية :

إذا كان لمولانا بعض الملمحات التى تضمنت بين ثناياها كلمات وأبياتا تركية وروسية ، فإن لسلطان ولد كذلك أشعارا مكتوبة فى ضرب الملمح ، وهى ذات أمشاج مختلطات من الألفاظ التركية والرومية[١٣] ، ويتخلل بعض هذه الأشعار أحيانا بيت أو بيتان أو مصراع أو مصراعان أو جزء من مصراع ، أو كلمة أو كلمتان باللغة

التركية [١٤] . ولما كان سلطان ولد فى الأناضول وتعلم التركية الأوغوزية الغربية فإن له عشرة أبيات من الشعر التركى مبثوثة فى ديوانه وذلك فضلا عما ألمحنا إليه آنفا [١٥] ، كما أن له ستة عشر بيتا من الشعر فقط ينهى البيت الأخير فيها بجملة فارسية ويمكن اعتبار هذه الأشعار تركية من هذه الزاوية (ص ١٣ – ١٤) .

هذا وتوجد أبيات رومية وتركية كثيرة فى كتابيه : ابتدانامه وانتهانامه ، ولسلطان ولد ما يدنو من مائة بيت تركى فى ابتدانامه ويقول فى هذا السياق ما فحواه : ما دام الأمر كذلك فأنت محروم من هذا الاصطلاح ، فاترك الكلمة التركية الرومية وتفوه بالفارسية والعربية فأنت فى كليهما وكأنك على حصان يطير فى مشيته ويثب متخطرا على عجل .

كزر ازكتف تركى ورومى ∴ جون ازآن اصطلاح محرومى

ايك ازبارس ازتازى ∴ جوكة درهرد وخوش هم تارى

وهو يقول هذا فى عودته ثانية إلى الفارسية (ص ٣٩٤) .

ولا نستطيع أن نرى سببا آخر سوى تقليده لأبيه واتباع سبيله فى التفوه بالشعر التركى والرومى ، ورغم أن سلطان ولد كان معاصرا للشاعر الكبير يونس أمره إلا أن أشعار سلطان ولد لم تدن قط من وزن الهجا ، حتى إننا لا نستطيع الاقتراب من مقارنة أشعاره ببعض أشعار يونس أمره التى تأتى أحيانا متدفقة سيالة متوهجة لألاءة ، وتأتى فى أحيان أخرى آسنة ثائرة ، وأحيانا غائمة قاتمة ، وتارة تكون منطلقة على سجيتها رحبة الآفاق متسعة الآماد .

الشيء الذى اضطلع به سلطان ولد :

لقد بينا فى مناسبات متباينة أن سلطان ولد كان مرتبطا بأبيه ارتباطا وثيق العرى ، ومن ثم فإنه بهذا الارتباط الوثيق قد انشغل بتنظيم وتنسيق صفوف أولئك الذين التفوا حول أبيه وأحبوه حبا جما ، وكان بنحيزته المداهنة المتزلفة ذا تأثير قوى

في أمراء عصره وأمراء المغول وأرباب الوجاهة وسراة القوم ممن يجلون مولانا ويقدرونه حق قدره ، وكان تاج الدين معتز موجودا إبان عصر مولانا ، ومن ثم فقد أذعن خاضعا له بناء على رغبة سلطان ولد واضطلع بتشييد بضعة حجرات بإزاء المدرسة (١٦) .

يقول أفلاكي : لقد ورد في بضع روايات أن تاج الدين معتز شيد قاعة اجتماعات ملحقة بالمدرسة (مسألة ٣٦) ، حتى إن مولانا كان يتسامر مع الأخلاء والأصحاب ويستمع إلى الرباب في هذه القاعة ، وفي تلك الآونة قدم شيخ الشيوخ موصوللو شرف الدين في معين طائفة من الأمراء وأخبر بمجيء بروانه ، فما كان من الشيخ مركه لي خواجه مجد الدين إلا أن دلف إلى الداخل على عجل . ونعتقد أن قاعة الاجتماعات هذه هي حجرة الدرس والمطالعة الموجودة في المدارس حتى العصور المتأخرة .

بيد أن أفلاكي يذكر أن هذه القاعة كانت تستخدم نزل ضيافة في إبان عصر أولو عارف جلبي والصوفية الذين جاء وا بعد شمس (٢٣٢) . وخلاصة القول : إن المدرسة التي كان يقيم فيها مولانا كانت تحمل اسم « تكة نويس » أي كاتب التكية . يقول مولانا : « إن تشييد تربة فوق المقبرة وتأسيس قبة فوقها معناه أن أصحابها غير مقبولين ، فانظر ودقق البصر ، فالمرء إبان حياته يتزمل بالأطلس ، وإن عقل الشخص يفكر في زيادة هذا الحرير وذاك الأطلس ، فهل هو مصيب في رأيه ؟ (المثنوي – جـ ٣ ، صـ ١٣ – ١٣٣ – ١٤٤) .

وورد عند أفلاكي ما فحواه : فليشيد الأصدقاء تربتنا عالية ، ومن يأت للزيارة يُتقبل دعاؤه عندما يرى القبلة . (١٠٢) ويقول في موضع آخر : لقد أصلحوا تربتنا وعمروها سبع مرات ، وفي النهاية ظهر أمير تركي فشيدها من حجر ذهبي وآخر فضي (١٠٢ ، ١٠٣) . وكان يوجد في هذا المركز قراء القرآن والمصلون ، ومعلمو المثنوي ، وكذلك القائمون على خدمة منشدي الغزل ومرتلي الألحان في مجالس السماع ، وتفيد إحدى روايات أفلاكي أن شخصا يدعى تبريزلي شيخ كمال الدين خادم كان من المكلفين بالإشراف على القائمين على خدمة المقبرة (١٠٧) .

كما سبق ذكر اسم سراج الدين مثنوى فى كتاب ابتدانامه (ص ٣٩٧) ، وكان يعلم المثنوى فى المقبرة (١٨٥ - ١٨٦) وهو أستاذ أفلاكى (٧١) . ثم خلفه من بعده الشيخ آما يسلى علاء الدين الذى كان شريكا له فى الدرس (٢٢١ - ٢٢٢) وكان فيها كذلك المذكور بهاء الدين مهرى الملقب بكاتب الأسرار لكونه أحد كتاب أشعار مولانا (١١٤) . وأصبح إماما للمقبرة (١١١) . وكان من الميسور إعاشة هذا المركز وإطعام هذه الطبقة المستهلكة عن طريق أوقاف الأغنياء .

وقد أوقفت أوقاف غنية على هذه المقبرة منذ عصور مبكرة ، وكان يتوجب أن يكون اعتماد سلطان ولد فى المقام على الطبقة الغنية ونعنى بهم أولئك السلاجقة والمنتسبون إليهم ، وكذلك المغول والأمراء الذين انتشروا فى عصر النزاعات والاضمحلال بغية تأمين هذه الأوقاف وتكثيرها وإنمائها والقدرة على تكرار الإنفاق عليها .

ولأجل هذا فقد كان لزاما عليه الاهتمام بخير وشر هؤلاء على السواء ، ولم يهمل سلطان ولد هذا لأمر الذى اضطلع به . كان تنظيم أيدلوجية مولانا وحدة متكاملة تعتمد فى المقام الأول على عناصر الوجد والسماع والجذب والعشق والرقص والموسيقى ، كما كانت أفكاره الإنسانية ذات إطار قابل لأن يتضمن بين ثناياه وحدة مناسك جلية ظاهرة المعالم بارزة القسمات .

وقد بدأ سلطان ولد هذا العمل بعقلية صوفية خالصة ، ولسوف نجد مع مرور الزمان الأساس الذى وضعه عن طريق الإضافات والتعديلات ، ولسوف تدفع أسباب متباينة هذه الأيدلوجية إلى أشكال مختلفة إبان السير فى هذا المضمار ، وفى نهاية المطاف سوف تأخذ هذه العقيدة والشعيرة شكلاً جازمًا قاطعا لا سبيل إلى تغييره أو تبديله ألبتة ، كان سلطان ولد معتمداً على القدرة والكفاءة بغية انتشار الطريقة وذيوع صيتها ، ومن ثم فقد نشأ خلفاء ذوو كفاءة واقتدار ، وأرسل بهم إلى كل حدب وصوب .

وخلاصة القول إنه لم يعتمد إلا على الشعب ، فكان محتضنا له معانقا إياه كما كان هو كذلك محتضناً معانقًا من الشعب ، كان يأخذ نصيباً من المال لقاء ما يضطلع

به من عمل ، بيد أنه مات مدينا ، وكان لا يجد فى أكثر الأحيان ما يأكله فى بيته ، ويرد إحسان السلطان ويوصى بعدم الأكل من مال الوقف الموجود فى كل ناحية وأن يأكل كل شخص من عمل يده ويبذل جهده وكان صاحب فكر حر طليق يخلو كلية من مراسم صومعة التعبد والرياضات الروحية .

هكذا أسس سلطان ولد طريقة إنسانية شعبية تحمل اسم مولانا جلال الدين ، ومع هذا فإنه يتوجب علينا القول : إن انتقال أفكار مولانا إلى هذا المستقبل فى حقبة زمنية ممعنة فى الفوضى والاضطراب وكذلك تأكيد مناقبه وإثباتها وعدم ضياع آثاره أو فقدانها كل هذا وذاك قد تأتى ولا ريب من مصادر أساسية ، ومن ثم فنحن مدينون اليوم لمولانا ولهذه الطريقة التى أدركنا أسرارها وسبرنا أغوارها .

الهوامش

(١) نفس المصدر : ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) هم زبك جماعت شوتا لذات جان بينى ١ دركوى خرابات درد كشان بينى

وركش قدح سودا جيل تانشوة روسوا ١ بريندو جشم سرتاجشم شهان بينى (الديوان) .

(٣) أى أن كله جومايى در عشق خداشيدات هم رنك جماعات شوجلل تاكه شيوه رسوا(الديوان ص ٨٩ غزل ١١٥) .

(٤) آمد شهر صيام صانجق سلطان ١ دست بيدار ازطعام مائدة جان رسيد (الديوان) .

(٥) آمد شهر صيام صانجق سلطان سيد ١ يشكر انوارجان كورشيطان رسيد (ص ٥٣ - غزل ٦٧)

(٦) مطربة أسرار ما ريازكو ١ قصة هاى جان فزاركو (الديوان) .

(٧) أى مطرب دل ميكو أسرارشه مارا ١ تاجرخ زنا ايمشب بينم مه بيجاوه (غزل ١٣) .

(٨) رستم ازين نقش هو ازنده بلامرده بلا ١ أزنده مرده وطنم ينسب يجوز فضل خدا (الديوان) .

(٩) شه منم شه منم دردوسرا ١ ملك بى بخشم بكداد فع كتم رتج وبلا (ص ٤ - ٥ غزلية (١) .

(١٠) مؤمنا نرا خواند اخوان در كلام خودخدا ١ بس بيابد صلح ثان دادن بهم أى كتخدا (ص ١٧٦ - ١٧٧ غزل ٢٩٤) .

(١١) عطار روح بود سنائى دو جشم دل اما قبل سنائى وعطار آمدم (ص ٢٧٧ ، ٥٧٠٠٠ : b) . وإن نسبة هذا البيت إلى مولانا خطأ عظيم .

(١٢) من المحتمل أن يكون سلطان ولد قد نظم مثنويه فى أجزاء ثلاثة لأن أباه دبج مثنويه فى ستة أجزاء ، ومن ثم فإنه أراد أن ينشىء مثنوية ثلاثة أجزاء تقليدا لأبيه فى هذا السبيل ، بيد أن القدر لم يمهله ، ويتسنى لنا أن نصدر حكما جازما إذا ما علمنا تاريخ تدبيج انتهاناماه .

(١٣) الديوان : ص ٢٥٩ - ٢٦٠ غزلية ٤٣٥ - ٤٣٦ ، ص ٣٠٥ غزلية ٥٠٤ ، ص ٥٣٦ غزلية ٨٨٥ .

(١٤) الديوان : شعر ١٩٨ ، ص ١١٧ ، شعر ٢٤٩ ، ٣٨٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، شعر ٤٤١ ص ٢٦٣ شعر ٢٢٠ ، ص ٥٥٦ ، وفى هذا الشعر جاءت الملمحات بالتركية والفارسية والرومية ، ص ٤٨ ، ٧٦٨ وفى هذا الشعر بيت بالتركية وبيت بالرومية ومصراع بالعربية .

(١٥) شعر ٥٥ ، ص ٤٤ حيث يوجد مصراع وجزء من مصراع بالتركية ، شعر ١٠٩ ، ص ٨٥ كلمة قانى تركية ، وكلمة seNi تظهر أنها تركية فى هذا الشعر ، وتوجد كذلك كلمة سنيه B 1696 ، الفهرس ص ٩٤ ، شعر ٥٠٧ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، ورديف تركى : شعر ٥٠٨ ، ص ٣٠٧

(١٦) شعر : ١٠٥ . ص ٨١ ، شعر ١٩٧ ، ص ١١٦ ، شعر ٣٩٩ ، ص ٢٣٨ ، شعر ٥١٢ ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ شعر ٥٧٧ ، ص ٣٥١ ، شعر ٥٨٩ ص ٣٥٩ شعر ٨٢٩ ، ص ٥٠٥ شعر ٨٣٩ ، ص ٥١٢ ، شعر ص ٥٢٣ ، شعر ص ٩٢٥ ، ص ٥٥٨

(١٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : صـ ٢٢١ – ٢٢٢ .

الفصل الرابع

أولو عارف جلبى

مولده ، طفولته وشبابه – العقائد وثيقة الصلة بأولو عارف جلبى – خلافة أولو عارف جلبى وسياحاته – أولو عارف جلبى والأمراء – شخصيته – نظرة على الطرق الأخرى – وقائع وأحداث قلب أولو عارف جلبى – خلفاؤه – وفاته – الشعر عند أولو عارف جلبى – الشيء الذى اضطلع به .

مولده ، طفولته وشبابه :

ولد أولو عارف جلبى فى يوم الثلاثاء الموافق للثامن من شهر ذى القعدة سنة ٦٧٠ هجرية (٧ يونيو ١٢٧٢ م) . أمه هى فاطمة هانم ابنة قويومجى شيخ صلاح الدين . ولما كان أطفال فاطمة هانم قبل أولو عارف جلبى لا يعيشون ، فإن كلا أبويه قد بدءا يحنوان على هذا الولد الذكر حنوا عظيما ، وسر مولانا لمولده سروراً عظيما ، وكان صيارفة قونية الذين لايرون الذهب يغيرون النقود وينفقونها على جهاز عرائس السيدات المطهرات ذوات الشرف والسؤدد ، كما نثر على رأس فاطمة قبضة من ذهب موروثة من الأب ومجلوبة من بلخ ثم يلفها حول قميص الطفل ، كما كان يثبت كذلك حفنة من الذهب على القميص .

وكان مولانا يضع الطفل أولو عارف جلبى داخل كمه ، وسماه باسم صلاح الدين وخلع عليه لقب (محمد جلال الدين فريدون) وكان يقول : « فلتتنادوا هذا الطفل

قائلين : أولو عارف ، وتنادونى « يا أبى خداوندكار » ، وكان لا يتفوه باسمى ، ولقد لقبته بلقبى على سبيل الهدية المعنوية الخلقية[1] ، ثم أنشد هذه الغزلية : « فليكن فريدون كالهالة الوضاءة ، ولتكن مفعما بالسكر حلو المذاق مثل مصر ، ولتتصرفن عن ميدان الخط الميمون ، ولتضربن كل زائغ منحرف ولتمتطين صهوة جواد السعادة الأدهم . إنه يولد من برج السعادة كالقمر المنير ، لأن فريدون هذا هو العشق برمته ، وهو بحذافيره الطهر والنقاء .

واقطع عنق دهاقين الأحزان بسيف الوقار والعزة والرفعة والسموق ، واحمد الله تعالى ، فقد زاد قدرك فى قصر السعادة ، وولد فى يوم الثلاثاء لسنة ٦٧٠ هـ ، فى الثامن من شهر ذى القعدة بعد انقضاء ساعتين على وقت الظهيرة ، وهو من سلالة خسرولر ، وبات معشوقا مثل شرين .

وينحدر نسلك من ناحية أمك من سلطان عظيم وكذلك الشأن من ناحية أبيك . لقد جاء من الجنة وكان يشبه الحور العين ، ولما بلغ أشده واستوى رأى شعرى وأعجب به أيما إعجاب وتمنيت لو تعيش آلافا من الأعوام . ولتؤمن يا فريدون من روحك على هذا الدعاء » .

كان مولانا يحب أولو عارف جلبى حبًا جما ، وذات يوم ذهب قارئ المثنوى سراج الدين إلى مدرسة مولانا وفى معيته جلبى حسام الدين ، وفتح باب الحديقة أثناء حديثهم مع مولانا ، وقد أركبوا جلبى عارف عربة صغيرة وكانوا يجرونها ، فنهض مولانا من فوره وحمل العربة فوق كتفه وبدأ فى الجر قائلا : يمكن أن أكون أنا ثور أولو عارف ، ثم نهض جلبى حسام الدين كذلك وأمسك بطرف العربة ، وهكذا طوفوا بفناء المدرسة بضع مرات ، وضحك عارف وغشيته نشوة فرح وسرور ، وقال مولانا : هذا هو ميراث المحمديين فقد قال عليه السلام « فليكن طفلا من عنده طفل » ، وكان عليه السلام يحمل الحسن والحسين على كتفه كالجمل ويطوف بهما يمينا ويسارا وهو يقول : آه آه ، حتى إنه عندما يراه أحد يقول له : ما أجمل مركبك ، فيقول عليه السلام : ما أجمل الراكبين .

وذات يوم قال مولانا لسلطان ولد : يا بهاء الدين - إنني أرى نور سبعة أولياء في هذا الطفل وهي أنوار كل من : بهاء الدين ولد ، وسيد برهان الدين ، وشمس صلاح الدين ، وجلبي حسام الدين ، ونوري ، ونورك وكان سلطان ولد يقول : إن أبي كان يردد في شأن أولو عارف جلبي قوله : إن عارفا هذا هو ولدي ، إنه ولد الحال ، وبحر الفكر والرأي ، ولا جرم أنه بلغ أقصى درجات العلم والمعرفة وأصبح سلطان العارفين [١] ، يروى ما نقوله ، إنه يتحرك دائما بكل كمال وإتقان .

وكان جلبي حسام الدين كذلك ذا حدب وعطف شديدين عليه ، يحمله على عاتقه وينزهه ويقبل يده ويعطيه الحلوى والسكر ، وكان سلطان ولد يقول : لو أعطاني إياه لأوصيت به له ، ففيه نور سبعة أولياء ، ويكون في النهاية للأقطاب إماما[٢] (٢٢٩) .

كان سلطان ولد يحب ولده حبا جما ، ويناديه عند مولده بالقمر الجديد ، وينظر إلى وجهه ويقبل عينيه ، وكان ينشد له مطلع غزلية لمولانا يقول فيها « لا تتوار ، فوجهك لنا جد مبارك ميمون ، ومشاهدتك مباركة للأرواح كلها[٣] .

كما كان يقول له : « يا شيخ الأرواح » .

ولما بلغ أشده واستوى عوده بات يشبه مولانا كثيرا في مشيته وحركاته كانت شرف خاتون ابنة سلطان ولد موجودة في مجلس ضم كلا من أختها مطهرة خاتون وأمها وطائفة أخرى من النساء ، وحينئذ قال أبوها : لقد رأيت شيخي شمس الدين وعزيزي سيد برهان الدين والشيخ صلاح الدين وخليفة الله حسام الدين ، وكثيراً من الشيوخ حيث أظهروا بشأني شفقة وحنوا عظيما ، ولكن سبحان الله فعارف هذا هو على شكل طائر ، وإن طيرانه مرتفع في أعلى عليين ، هل رأيته ؟ لقد أصبحت في حال متباينة تماما وإن هذا عندي لقسم عظيم ، وهي اسمي الأعظم[٤] .

وكانت أمه الكبرى كرة خاتون وعمته مليكة هانم يحنوان عليه حنوا كبيرا .

تزوج أولو عارف إبان حياة أبيه ، وبنى بدولت خاتون ابنة أمير قيصر تبريزى ، وأنجب منها ولدين وبنتا واحدة . ويقول أفلاكى : إن سلطان ولد سمى الذكرين : بهاء الدين أمير عالم ومظفر الدين أمير عادل .

ومن المحتمل أن يكون اسم البنت مليكة وقد ولدت عقب وفاة أبيها . كان أولو عارف يتحدث دائما عن مولانا ، ويتفوه بكلامه ، وينقل مناقبه وكراماته . وذات يوم قال سلطان ولد لعارف نفسه من أين رأيت مولانا ؟ تفوه بكلامى أنا ، قال جلبى نعم ، فما هو حد رؤية مولانا ؟ بيد أن هذا موجود ومولانا قد رآنى ، ومنح عينى القدرة لرؤيته . ويروى أفلاكى أن العلاقة بين سلطان ولد وأولو عارف جلبى قد شابها فساد ذات مرة أثناء شبابه ، حيث قال له سلطان ولد : اذهب إلى الشيخ بكى Bekl وهو من أكابر متصوفة قونية ومن عظماء الأخيان ، واصنع ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأحضر عارفا من المقبرة ولأولمن لكم وليمة ، واسترضى الشيخ بكى Bekir عارفا وأحضره إلى سلطان ولد ، ثم بدأ أولو عارف جلبى يعزف القيثارة ويتغنى الألحان فى تلك الليلة وقضى الحاضرون الوقت فى نشوة وسرور وبشر وحبور .

المعتقدات الدينية التى فى حق أولو عارف جلبى :

بدأت المناقب تتشكل فى حق أولو عارف جلبى منذ طفولته المبكرة حيث كان مولودا فى عالم يموج بهبوب رياح تصوف سلطان ولد ، ويذكر فى الوقت نفسه بمولانا ، ويروى أن مولانا رفع غطاء مهد عارف وهو فى عمر سبعة أشهر ، وقال له يا عارف الله – الله – الله ، فقال له عارف – الله – الله ، مما أصاب السامعين بالوجد والهيام واعتبروا هذا تلقيا للذكر والخلافة ، وقالت أمه فاطمة هانم لقد اضمحللت وخارت قواى بعد وفاة مولانا ، ولم أستطع إرضاع عارف أياما ثلاثة ورأيت مولانا فى المنام فقال لى : لماذا تبكين ؟ إن كان البكاء من أجلى فأنا لم أرحل إلى أى مكان فابحثى عنى فى مهد عارف فأنا ثاو فيه ، واستيقظت وذهبت إلى مهد عارف وفتح عينيه أثناء رضاعه ونظر إلى فرأيت نور جلال الدين فى ناظريه وانخرطت

فى البكاء والعويل وغشيتنى نشوة وجد وانجذاب . لقد ازدادت قدرة العقيدة الصوفية تحت نطاق الوعى والشعور ، وانتشرت فى كل حدب وصوب .

ولما بلغ عارف جلبى الخامسة من عمره غلل رأس ثور بحبل ، وأخذ يجرجره ، وعندما سأل نفر عن سبب هذا ما لبث أن قتل بعد بضعة أيام ، ثم أحضر ترابا بذيل ثوبه وشيد مقبرة ، فقال أحدهم ما هذا القبر ؟ ثم مات هذا الرجل فى الحقيقة بعد حين من الزمان ولما كان بين الثامنة عشرة والثالثة عشرة من عمره ذهب ذات يوم إلى مدرسة مولانا ووثب من فرجة المحراب ووقف إلى صلاة جنازة ، ولما سأله سلطان ولد قال : إننى أصلى صلاة شيخى حسام الدين ، فمرض جلبى حسام الدين فى هذا اليوم فى حديقته ومات بعد تسعة أيام .

وثمة شىء يشد النظر ويسترعى اليوم الانتباه فى هذه المناقب جميعا ألا وهو : أن ألعاب عارف جلبى متعددة متباينة أحدها : جرجرة رأسه على الأرض ، وتشييد المقبرة ، وإقامة صلاة الجنازة ، وهذه الألعاب تقدم لنا المعالم البارزة لشخصيته التى نضجت واستوت قبل أوانها .

ومما هو جدير بالتسجيل فى هذا المقام أنه ظهر ورم فى رقبته وهو ابن سبعة شهور ، وبعد ذلك شق الورم وأنقذ المريض . وبعد أن مر بقبر مولانا مرض مرة أخرى فى أماسية ومرة أخرى فى قونية . واستمر المرض بضعة شهور .

وإذا كانت أمه تفكر فى أطفالها الذين ماتوا فإننا نكون حينئذ قد حللنا بادئ ذى بدء كيف ظهرت التطورات على هذه البنية العليلة فى لجة هذا الجو الصوفى .

خلافة أولو عارف جلبى ورحلاته :

بدأ أولو عارف يمثل الطريقة المولوية عندما وافت المنية أباه ، وقد أمضى حقبة مهمة من عمره فى السياحة والترحال ، ومن الأماكن الرئيسية التى يمم وجهه إليها : لا رنده ، بش شهر ، آق سراى ، آقشهر ، قره حصارى ، نياده Nlade ، سيواس ،

طوقات ، بيركى ، دكيزلى ، منتشه آليا ، آنطاكية ، بايبورت ، أرضروم ، العراق ، تبريز ، مربد ، سلطانية . كما رأيناه كذلك يطوف بسائر مدن الأناضول ، وامتدت رحلته حتى العراق وتبريز كما ولى وجهه مرتين شطر مدينة سلطانية التى كانت عاصمة الإيلخانيين .

هذا ورغم أن أفلاكى طوف فى معية أولو عارف جلبى فى جزء مهم من هذه الرحلات فإنه مع الأسف لم يقدم ترتيبا زمنيا كاملا لهذه الرحلات ، ولا نعلم على وجه اليقين طريق جولته أو التواريخ التى شد رحاله فيها إلى هذه المدن ، وكم مرة ولى وجهه شطر هذه البقاع والأصقاع . ولكننا نعلم أنه ولى وجهه شطر مدينة سيواس إبان حياة أبيه سلطان ولد ، ولما قفل عائدا من إحدى مجالس السماع فى مدينة سيواس صادف فى طريقه رجلا ذا أظافر مستقذرة طويلة ، ، وعينين زرقاوين متلألئتين ، وشعر ثائر وهيئة زرية ، وكان يجلس على قارعة الطريق ، ويكوم الفواكه حوله يأكل بعضها ويلقى البعض الآخر إلى الناس ، ثم ما يلبث أن يقف وهو يهذى بسفاسف القول وتوافه الكلام ، حينئذ سأل جلبى قائلا : من يكون هذا الرجل ؟ فقالوا :

إنه قطب العالم وسر العدم وشيخ أرضروم ، وإن أهل سيواس ليعتقدون فى هذا الرجل اعتقادا عظيما . حينئذ هم أولو عارف جلبى بالسير نحو هذا الرجل ولطمه ثلاث لطمات فى وجهه ، ثم ناداه قائلا : هلم انهض واجمع ما تناثر من حانوتك . ولما رأى الناس هذا المنظر ثارت حفائظهم ونصبوا سوق العراك والنزال ، وأشهر المتصوفة سيوفهم وأحاطوا بأولو عارف جلبى من كل جانب ، وكان يوجد فى سيواس فى ذلك الإبان من يدعى « عرب تويان ولى ابن شماكر نويان » وكان يحب أولو عارف جلبى حبا جما ، فأسرع من فوره وجمع جنده وحشد طائفة من صوفية قونية وقيصرى بغية التدخل لإنقاذ حياة أولو عارف جلبى ، وحينئذ تدخل رجل حكيم عاقل يدعى « آهى محمد ديوانه » وقال للناس : إن هذا الشخص هو حفيد مولانا سلطان العالمين ، وقطب الصوفية والزاهدين ، وإن خواجة أرضرومى هو من صوفية الروم كما تعتقدون وتوقنون ، ثم قال أولو عارف جلبى لهذا الشخص : اجمع ما تناثر من حانوتك وكان ثانى هؤلاء كذلك رجلا عظيما ، وكانت هذه نهاية الرحلة .

ولننظر ماذا ستكون النهاية ؟ وبناء عليه فقد سكنت ثورة الخلائق وهدأت نفوسهم ، أما أولو عارف جلبى فقد توجه إلى طوقات وهو مضطرب الحال مشتت الخاطر والمال ، ثم مات خواجه أرضروم بعد هذه الواقعة بسبعة أيام ، ولما آب أولو عارف جلبى مرة ثانية إلى سيواس أصبح كثير من المعتقدين بالشيخ أرضرومى مريدين للشيخ أولو عارف جلبى ، ولما عاد إلى قونية كان سلطان ولد قد سمع بهذه الواقعة فقال لولده أولو عارف : لو كنت ضربت هذا الأحمق الحقير بأى يد فأظهرها ولأقبلنها .

كان ذهابه إلى أرضروم وتبريز إبان عصر سلطان ولد وأثناء اعتلاء كازان خان سرير العرش وذلك فى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) أو بعد هذا التاريخ بقليل ، وكان أفلاكي موجودا كذلك في هذه الرحلة حيث حطا رحالهما على جدول ماء ، وحينئذ وفدت زمرة محتشدة من الناس وضربوا الخيام فى هذا المكان ، وكان رئيس هؤلاء القوم يدعى « حافيلا ووزاوغلو تومن بك » ويعمل رئيسا لصائدى الطيور عند الملك ، وكل بائعى الطيور تابعون له ، ويوجد بإزائه كثير من مشترى الطيور ، وعلى ذراعه صقر أبيض ، وقدم هذا الرجل لزيارة أولو عارف جلبى وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث بعد الطعام ، أخذ أولو عارف جلبى الصقر من يد تومان بك وخلع القلنسوة التى تغطى عينى الطائر ثم طيره ، وضاع الطائر إبان عودته طائرا ، حينئذ مزق قلاووز أوغلو ثيابه قائلا : ماذا عسى أن أقول للملك ، فقد عانيت كثيرا بغية الاستحواذ عليه حيث أحضروه من مقاطعات عبر البحار ، وأرسلت إليه خبرا فبدأ فى الصراخ قائلا : لقد كان أملي ومرادى متمثلين فيه ، ثم قال جلبى : هل تريد ، فلتأت ولتكرر فقال قلاووز أوغلو نعم أريد ، إذا فلتأت وحيدا وأنا فداء لك بكل ما أملك ، ثم نهض أولو عارف جلبى خالعا قلنسوته وصاح ثلاث مرات قائلا : لا تتأخر عن تبجيل مولانا وتوقيره وسمع الصائد صوته أثناء الحديث ، وشوهد الطائر الأليف فى الهواء ، وأقبل وهو يتشقلب فى حركات بهلوانية ، ثم وضعه فوق القلنسوة التى فى يد أولو عارف جلبى ، ثم أمسك جلبى الطائر وقدمه إلى أمير زادة ثم ألبسه القلنسوة على رأسه .

وعلى حين كان قلاووظ أوغلو يعتقد أن ممسك الطائر سوف لايتأخر ، ولكنه لما رأى هذه الحال تحير واندهش وأهدى جلبى ثلاثة أحصنة وألفى دينار ، وذهب فى

معيته حتى مدينة تبريز ، وأحضر الطائر للملك فغادر المكان ، وأنعم الملك على قلاووظ أوغلو بثلاثين جوادا وستين ألف قطعة ذهبية فأرسلها قلاووظ أوغلو جميعًا إلى جلبى ، ثم أخذ بعد ذلك يرسل الهدايا من عام إلى آخر حتى أخريات عمره .

وسمع كازان خان عن هذه الواقعة من تومن بك ، وطلب رؤية جلبى وأرسل رجلاً لاستدعائه ، ولما لم يكن جلبى مكتفيا بتضرعنا وتوسلنا له من بعيد فإن « التميرمش خانون » قد أعدت مجلس سماع واستدعت جلبى لحضوره ، وجاء جلبى إلى خيمتها وبدأ السماع وتلا القرآن وأنشد الغزليات ، وبدأ جلبى إبان السماع يقرأ رباعية سلطان ولد التى يقول فيها ما فحواه « لقد أظهرت التواضع ، ولكنى سامق الذرا ، رفيع المقام ، وأنا صاح مفيق عندما أكون ثملا سكرانا ، فانظر يا حبيبى إلينا بنظرة أفضل من هذه ، ولن يتسنى لك أن تكون ترابا ما دمت فى حال من الفتور والبرود » (الديوان ص ٦٠٩ ، رباعية ٢٩٨) .

وكان كازان خان يشاهد جلبى من بعيد فاستحسنه وأعجب به أيما إعجاب ، ولا جرم أنه كان أحد المعتقدين بمولانا دون أن ينعم برؤيته ، وكان يستفسر عن أحوال مولانا من كل من : قطب الدين شيرازى (ت ٧١٦ هـ = ١٣١٦ م) وهمام تبريزى[6] (ت ٧٨٢ هـ = ١٣٨٠ م) ، وحاجى رشيد الدين (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) ، وباراق[7] باب ، كما كان يفسر أبيات مولانا إلى هؤلاء أجمعين . وكان مجد الدين آتابك المولوى يقرأ غزلية مولانا التى يقول فيها : « هل قدم هذان العالمان وملأ طاس الخمر من جرة المحبوب ، وتأخرت عن شغل عالم الغيب الخفى المستور ، وأنت لم تعرف الله وتخاف من التتار .

ومع هذا فقد أظهرت راية الإيمان من ديار التتار بضع مرات »[8] ، أما كازان خان فقد طرز هذه الغزلية ووشاها بالذهب على ثيابه ، وكان يلبسها فى أيام المراسم والاحتفالات ، ويقوم مادحا إياها : إن مولانا قال هذه الغزلية من أجلى ، وقد بات التتار إبان عصرى مسلمين . أما مجد الدين فقد جعل « فرامرزا أوغلوا علاء الدين

كيكباد » حاكما سلجوقيا مستفيدا من هذا الحب ، وصار هو نفسه أتابكا ، ومد يد العون والإحسان إلى كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبي .

ويدون أفلاكي الرحلة الثانية ، ويذكر بهذه المناسبة رحلة تبريز وما رند اللتين حدثنا إبان صبوة وشباب أولو عارف جلبي وصحة وعافية سلطان ولد ، ويسجل كذلك أن من كانوا في معيته في هذه الرحلة كل من : محمد سكورجي ، كيجاتو ، جاجا أوغلو بولاد بك .

وطائفة أخرى من المقربين من كازان خان ، وقد توفي كيجاتو سنة ٦٩٤هـ = ١٢٩٥ م ، وتوفي غازان محمد خان سنة ٧٠٤ هـ = ١٣٠٤م . وقد تشاجر أولو عارف جلبي في هذه الرحلة مع واحد من أهل ميرند الذين يوقرون الشيخ المدعو إسحاق وجلده ، وتدخل أهل المدينة في القتال ، وأشهر رجال كل من محمد سكورجي وبولادبك سيوفهم ، ودخلوا في حومة القتال واستنقذوا جلبي عنوة ، وبعد أيام ثلاثة كانت وفاة الشيخ إسحاق وسقوطه على الأرض إبان غشية الوجد الصوفي في أثناء السماع في سطح تكيته ، وتحير الناس ، ولما عاد أهل ميرند من تبريز استقبلوا الشيخ أولو عارف جلبي بتجلة واحترام عظيمين ، وبات كثير منهم من المريدين له .

ثم مكث حقبة طويلة من الزمن في آرضروم إبان هذه السياحة ، وكانت باشا زوج كتجاتو تحب الشيخ أولو عارف جلبي حبا جما ، ولا تتركه إلا لماما .

أما سلطان ولد فكان يبعث إليه برسالة إثر أخرى تحثه على العودة والإياب . ولما قدم أولو عارف جلبي إلى مدينة بايبورده ماتت باشا خاتون ، وأسف جلبي أسفا شديدا لفراقها ، ولم يذق طعاما قط مدة ثلاثة أيام ، وبكى بكاء مرا ، ثم أخذ ينشد هذه الأبيات من المثنوي : « أواه أواه ، يا أسفي ، يا أسفي ، هكذا توارى القمر تحت الغمام » « جـ ١ ، ص ١٦٩ ، ميت ١٧٢٣ » « لابقاء للملك إلى الأبد ، فاعلم يا قلب هذه الرؤيا » « جـ ٥ ، ص ٣٢٥ ، بيت ٣٩٢٧ » « فاستحوذ على الشرف بأسره ، وافتح الغرب كله ، وكنت صاحب السلطنة في كل حدب وصوب وما دامت هذه السلطنة غير

باقية ، وهب أنك كنت لهذه السلطنة براقا وهاجا ، فلقد توهج ثم انطفأ »« جـ ٥ ، ص ، بيت ٣٩٢٦ » .

وثمة واقعة أخرى يرويها آهى أمير وهو من الذين كانوا فى معية أولو عارف جلبى إبان رحلته إلى أرضروم ، يقول : مضت سبعة أيام على وفاة باشا خاتون ، ووضعوا التابوت فوق لوح خشبى ، فاحتضن جلبى التابوت وعانقه ، وجعل يتلو رباعيات يقول فيها ما فحواه : « تمحى كل التروس فى مواجهة سيف الأجل ، وإن هذه الأبهة وذاك الذهب والفضة حقيرة تافهة لا طائل من ورائها ، وانتبهت إلى خير الزمان وشره ، فكل شئ صادر من العدم ، ويبقى شئ واحد فقط إنه الخير والأريحية والصلاح » .

ويقول أيضا : السلطان والوزير كلاهما شخص واحد فى يد الأجل وأمره المحتوم يسير تجاه كليهما ، ولا علاج ألبتة لأمله ، وأين ذلك السلطان الذى افترس والتهم مملكة كرمان وقضى عليها قضاء ميرما ؟ إن الدود يأكله اليوم » .

كما أنشد هذه الرباعية فى ذكرى الأربعين لخاتون هانم « لا تظنين نشوة أو سرورا ، فما العمر إلا كدر وأحزان ، فكل ذرة تراب قد عجنت فى طينها كيكباد وجم ، وإن نهاية العمر قد استمرت طويلا بسبب بلوغ الآمال وتحقيق الأهداف .

ولكنها جميعًا ما هى إلا محض رؤيا وخيال وخداع وبرهة من زمان[٩] ، وقد تناهى إلى سمع سلطان ولد أولجاى تو محمد خدا بند الذى حل محل الحاكم المغولى كازان خان قد قبل مذهب الشيعة الباطنية ويريد استخراج أجساد كل من أبى بكر وعمر من جوار النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأراد سلطان ولد أن يبعث أولو عارف جلبى إلى سلطانية حتى يتمكن من منع أولجاى تو محمد خدابند ويحول دون تحقيق فعلته ، بيد أن هذه الرحلة قد أجلت بسبب موت سلطان ولد ، ولكن أولو عارف جلبى انطلق إلى هذه الرحلة فى معية أصدقائه بعد عامين اثنين من موت أبيه (٧١٥ هـ = ١٣١٥ م) .

ولما قدم إلى مدينة بايبوريه مكث فى تكية آهى أمير بايبورتى وقضى فيها شهر رمضان ، ولما وصل مدينة أخلاط فى اليوم الأول من شهر ذى القعدة سمع بموت

أولجاى تو حيث وافته المنية سنة ٧١٦ هـ = ١٣١٦ م ، وهذا يعنى أن رحلة جلبى استمرت عاما كاملا حتى مدينة أخلاط .

ولما بلغ سلطانية خرج فى استقباله الشيخ حيران أميرجى خليفة الشيخ باراق فى معية كوكبة من الشيوخ والعلماء ، وعندما رأى جلبى الناس والأمراء وقد غشيتهم حال من الحزن والحداد بدأ من فوره فى السماع فى معية أصدقائه ، ثم قال للمعارضين : إذا كان سلطانكم قد مات فنحن باقون . وندرك من هذه الرحلة التى رواها أفلاكى أنه كان أحد الذين ذهبوا فيها مع أولو عارف جلبى (٢١٦ ، ٢١٧) .

وفي سنة ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م ، نرى جلبى يولى وجهه مرة ثانية شطر زاوية الشيخ سهرابى المولوى بمدينة سلطانية ، ويفهم من هذا أن هذه السفرة قد استمرت طويلا . (٢٢٥ ، ٢٢٦) ونعتقد أن رحلات جلبى التى جاءت بعد ذلك ترجع إلى أيام خلافته .

ويدون أفلاكى أن جلبى قد يمم وجهه شطر سيواس ثلاث مرات (٢١٦ ، ٢١٧) . وقد التقى جلبى فى آماسيه بعلاء الدين الأماسيوى خليفة جلبى حسام الدين (٢٢٠ ، ٢٢١) .

ونعلم كذلك أنه أمضى مدة طويلة فى مدينة قره حصار (٢٢٣) ، كما عقد مجلس سماع للنسوة الموجودات فى مدينة طوقات (٢٢٤) . وعلى كل حال فقد مر إبان ذهابه إلى سلطانية بكل من العراق وتبريز (٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، A ٢٣٥) .

أولو عارف جلبى والأمراء :

كانت علاقة جلبى حسنة طيبة مع الأمراء المحليين مثلما كانت مع الأمراء المغول ، وكان جلبى ذا نحيزة جسورة تتصف بعدم الاكتراث واللامبالاة ، وتمثلت هذه

الخليقة في القوة والمقدرة اللتين ورثهما عن أبيه وجده ، كما كان الأمراء يرون فيه قدرة فائقة ونفوذًا عريضا .

وكان منتش مسعود بك أحد هؤلاء الأمراء (توفى بعد عام ١٣٢٠ م) ، الذين يحبون جلبى حبا جما ، ويعقد مجلس السماع عند قدومه ، وكان يوجد هنالك واحد من هؤلاء الشيوخ الذين يظهرون تجلة واحتراما للسكان المحليين ، وكانوا يستدعونه ، وأمسك جلبى بهذا الشيخ أثناء السماع وخرجا سويا ، ثم جعلا ينشدان أثناء عودتهما رباعية تقول فحواها : « أيخطو العاشقون خطوات نحو الفناء ، وهم قد استنقذوا أنفسهم من وجود المحبوب ومن سائر الموجودات ، وقد محوا الحياة الزائفة التى لا محالة لها ، وعبروا واثبين إلى حيث العشق[١٠] .

وقد التقى جلبى مع كرميان يكى عليشير أوغلو يعقوب (كان على قيد الحياة قبل عام ١٣٢٠ م) ، وكان هذا الأمير جاهلا وعلى حين كان ينشغل بأسراره ويمن معه من الرجال أثناء قراءة القرآن وإنشاد الغزل إذا به يلمس جلبى فنهض من فوره رافعًا عقيرته بالصياح مما تسبب فى خروجه للترحال .

وفى الطريق سلق عليشير أوغلو بألسنة حداد ، وحينئذ هبت ريح عاصف صرصر عاتية على حين غفلة ، فما كان من عليشير أوغلو ورجاله إلا أن ضربوا خيمة على سهل علم الدين بازاى ، فهدمت الخيام واقتلعت الجياد من أوتادها وفرت هاربة مستنفرة ، وظن عليشير أوغلو أن هذه العاصفة قد هبت بسبب حدة جلبى وغلظته ، ثم أرسل صهره أيدين أوغلو وقائد جيشه سعد الدين فابز لطلب الصفح والمغفرة وطلب القلنسوة التى على رأس جلبى لتكون دليلا على العفو والصفح ، حينئذ صفح جلبى عن جريرة يعقوب بك وأرسل القلنسوة ، كما بعث يعقوب بك قماشًا إلى جلبى وشمله بعطفه وإحسانه هو ومن معه من المقربين منه .

ولما قدم جلبى إلى كوتاهية جاء يعقوب فى معية ابنته وصار من المريدين وكان لجلبى علاقة وطيدة وثيقة العرى مع عائلة أيدين أوغلو ، كما كان سلطان ولد يكن له حبا جما ، كانت إمارة أيدين أوغلو سنة ١٣٠٧ هـ ، ومات فى سنة ١٣٣٤ م ، وكان سلطان ولد يناديه قائلاً : يا سلطان الغزاة وسلطان الغازين » كما كان يطربه

ويثنى عليه من بين أمراء المغول والترك ، وكان يقول إنه تعلم منه الكرم والسخاء والشموخ والكبرياء ، وأطلق عليه لقب « مديرنا ورئيسنا » .

ولما قدم أولو عارف جلبى إلى مدينة « بيركى » لم يأخذ آيدين أوغلو مبارز الدين محمد إلى حيث هنالك وكان عليشير أوغلو أحد رؤساء كرميان . وذات ليلة زار جلبى وأراد مساعدته ، وقال له جلبى : خذ هذه الهراوة واسحق بها رأس من يجابهك ويقف ضدك ، ثم بشره بأن الله سوف يمنحه هذه المقاطعات وغيرها من الأمم والبلدان ، فقبل محمد الهراوة ووضعها فوق رأسه ، ثم قال : سوف أضرب بها سنام رأسى أولا ثم رأس الأعداء بعد ذلك ، وكان لولديه أزمير بك وأومور بك (ت ١٣٤٧ م) علاقة وثيقة العرى بكل من مولانا وأولو عارف جلبى .

وكان لأولو عارف جلبى علاقة بأسرة « أشرف أوغللر » الذين دام حكمهم مدة وجيزة فى مدينة بيشهر ، وكان أشرف أوغلو محمد بك (الذى كان حيا قبل عام ١٣٢٠ م) يستضيف أولو عارف جلبى فى مدينة بيشهر ويكرم وفادته ، وصار ولده سليمان شاه (المتوفى قبل عام ١٣٢٧) مريدا لأولو عارف جلبى . وقد كان جلبى مناصرا للمغول إبان حكم القره ماينين على قونية كما كان القره مانيون يقولون له « نحن جيران لكم ، نحب مولانا كذلك ، فلماذا إذا لا تريدنا وتريد المغول ، وتنحاز إلى جانبهم ، فقال جلبى : نحن كذلك دراويش ، ننظر إلى مطلب الله ومراده فيمن يريد ، وننحاز إلى من يريد أن يعطى الله له الدولة ، وإن الله لا يريدكم الآن بل يريدهم ، فلقد أخذ الدولة من السلاجقة وأعطاها لسلالة جنكيز .

كان جلبى يرى قدرة المغول وتفوقهم ، ويدرك شدة بأسهم ، ويعلم أن الأمراء المحليين سوف لا يستطيعون أن يظهروا عليهم . ورغم انحياز جلبى للمغول ومناصرتهم فإنه كان ذا نفوذ كبير فى نفوس سلالة القره ما ينين ، وهذا ندركه بجلاء من خلال هذه الواقعة :

أهدى إلى تكية مولانا حوض مرمرى أبيض من كوتاهية ، وأثناء سفر جلبى أخذ الحوض رجل يدعى جلال كوجك من المنتسبين إلى أسرة القره ما نيين ، وأحضره إلى

لارنده قره مان ووضعه فى قصرها ، ولما جاء جلبى ، ولم ير الحوض فى مكانه تضايق ضيقا شديداً ، فما كان منه إلا أن بعث برسالة إلى قره مان بك أمير بدر الدين إبراهيم « كانت إمارته سنة ١٣١٥ ، وتوفى عام ١٣٣٢ م » أعلمه فيها بما حصل ، ولما قرأ إبراهيم بك الرسالة عزل جلال كوجك من وظيفته ، ثم حمل الحوض على عربة وأرسله مع الهدايا وسأله العفو والمغفرة ، ولما سمع جلبى عارف بمجيء الحوض استقبله مع متعهدى المقبرة ثم خلع فرجة المقبرة وألقاها فوق الحوض ، ثم أحضره ووضعه فى مكانه ، حتى إن هذا الحجر لم يتجل لنظرنا ولم يستطع فهم كلامنا ، إنه منسوب إلى هنالك ولم يطق تحمل الفراق ، ولو أننا أحضرناه مرة ثانية إلى مكانه ، فهل نترك محبينا بالروح والفؤاد ، ثم أنشد رباعية مولانا التى يقول فحواها : « أيها المحبوب إن الشمس والقمر والنجوم عبيد لك ، يا باب الكرم والعزة والرفعة والنور المنثور ، وأنت لن تجد بابا آخر سوى بابه ، فلتأتين إليه فقد أغلقت كل الأبواب ، أما بابك فإنه مفتوح [(١١)] (٢٢٨) .

وكان جلبى ذا علاقة طيبة حميمة مع كل من أسرة صاحب آتا أوغوللر والوجهاء والأكابر المنتسبين إليهم (٢٢٣) .

شخصيته :

لم يكن أولو عارف جلبى من الناحية الشخصية على آسال من أبيه سلطان ولد أو جده جلال الدين ، بل كان يذكرنا كثيراً بجده الأعلى سلطان العلماء وبالشيخ شمس الدين تبريزى ، وكان كذلك من الصوفية العارفين بالتصوف والقائلين بتجلة الشعب وعظمته وكبريائه وفضلا عن هذا فقد كان عنيدا متوتر الأعصاب نزقا غضوبا ضيق الصبر قليل الاحتمال وقلنا من قبل إنه ضرب حاجى أرضرومى فى سيواس ، وتشاجر مع الشيخ اسحق فى « مرند » وغضب على عليشير أوغلو وغادر مجلسه ، ولنسجل فى هذا السياق بعض الوقائع الأخرى : كان يوجد فى قونية واحد من أكابر الصوفية والأخيان ، وهو رجل ترِب[(١٢)] لأولو عارف جلبى واسمه آهى مصطفى وكان

طاغية يغلو فى طغيانه ، مسموع الكلمة ذا أمر نافذ ، وقد أسدى إليه سلطان ولد النصح غير مرة ، بيد أنه كان يقول : إن ثقافتكم وعلمكم شىء آخر ، وهذه الأشياء هى شىء جد مختلف ، وأنا أعلم هذا جيداً ، فلا تخلط بين هذا وذاك وحينئذ دعوا سلطان ولد إلى مجلس السماع ، وعندما يكون سلطان ولد ورجاله مشغولين فى مجلس السماع فإنه يتوجب عدم دعوة مولوية أكثر من هذا إلى هذه الوليمة ، ولما سمع أولو عارف جلبى هذا الكلام خرج ذات يوم فى معية صحبه وقصد مجلس السماع و اتبعه الناس فى أثره ، ثم ولى وجهه مباشرة صوب زاوية آهى مصطفى ، وأحكم فى أول الأمر غلق مزراب عين الماء ، ثم أخذ بعد ذلك يصب زيت القنديل الذى كان مشتعلا ، وتجمد الصوفية من شدة الهلع والفزع ثم اختفى آهى مصطفى وهو يشاهد ما يفعله أولو عارف جلبى .

ثم بدأ جلبى يكرر السماع وقال : لم يعد للمولوية شغل بعد ذلك فى هذا البيت ، وجعل يقرأ رباعية لأبيه ، ثم خرج موليا وجهه شطر المدرسة وهو يردد السماع .

ولم يخجل جلبى قط من هذا الكلام ، وتحدث بحدة وحكمة معبرة ، فهو يثق بنفسه ويوقن بها كثيراً . وقد التقى جلبى بشخص يدعى قيرشهرلى علاء الدين الذى ينحدر نسله من علاء الدين بن مولانا وقال هذا الشخص : إننى من سلالة مولانا أيضا فلم لا يجلنى ولا يوقرنى إنه لم يعطف على ألبتة ، والولد لا يتحمل وزر أبيه ، وحينئذ قال جلبى : إنه لا علاقة لك ألبتة بمولانا على أى وجه من الوجوه ، ما أنت إلا عضو مبتور من هذه السلالة ، وإنهم قد قطعوا غصنك من هذه الشجرة ، وقد نزلت فى شأنك هذه الآية الكريمة « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح »(١٣) .

وحينئذ تصدى له علاء الدين قائلا : من تكون أنت حتى تتفوه بهذه الألفاظ التى تخص والمعرفة فى حضرتى ؟

إنك ترى نفسك أعلى منزلة منى ، وأجابه جلبى بقوله : أنا سيف مولانا ، فقال علاء الدين : أنت لست بسيف ما أنت إلا أسد عاثر الجد مقطوع الرجاء ، ثم قال له

جلبى دون قلق أو ارتباك : كلا ، بل أنا أسد فأنا الأسد الثالث ، ومولانا هو الأسد الأول ، وسلطان ولد هو الأسد الثانى .

كان أولو عارف جلبى ولوعا بالخمر يشربها على الدوام ، يقول أفلاكى فى هذا « سقى الله قبرك بالرحمات ، وأسعد روحك فى مستقرها ، إنه جلبى عارف سلطان العارفين وهو واحد من أهل الحال ومن المتصوفة الكاملين ومن أكابر الزاهدين .

لقد اصطفيت من بين السكارى لتنزع قيود أصحاب العقول(١٤) » ، ونعلم كذلك أن دنيزلى كان يشرب الخمر فى معية أمير طواس شجاع الدين إلياس بك ، وقد نهض من فوره وجعل يتضرع بالرجاء والدعاء بغية سقوط المطر فى المدينة عينها ، بيد أن المطر لم يسقط أفعاله المناهضة للشريعة .

ويحكى بولاد بك بن جاجا أوغلو نور الدين بك أن أسرة صاحب آتا أوغوللر كانت تكرع الخمر مع الأمراء ويجلسون معهم فى قلعة قره حصار .

ويقول أمير نجم الدين محافظ قلعة « جاوالا » : إن أولو عارف جلبى كان يعقد مجالس الشراب مع القساوسة فى أحد الأديرة وذلك فى العشر الأوائل من شهر عيد الأضحى ، وكان يقول فى ذلك : إننى أرفع عقيرتى بالصياح وأفكر مليا وأقول إنه لصنيع سخيف أحمق مناف للعقل ، ثم ينشد هذه الرباعية « لا تتصد لعمل شخص يعمل فى سبيل الله ، ولا تفتح عينيك بغية رؤية عيوب الناس ، فالله يعلم سر كل قوم . فانظر إلى ذات نفسك ، ولا تنهض إلى الثرثرة والهذر من القول »(١٥) ثم ألقى القدح الملآى فى يده على الأرض ، وأخذت القدح تلف وتدور حتى وقفت أمامه ولم ينسكب ما بداخله من خمر .

ثم قال : وبناء على هذا لو انسكبت وتحطمت فلأجل خاطر نجم الدين عزيز ، ويتوجب علينا أن نعى هذا جيداً ، ولقد عرفنا هذه الأيام العزيزة . ولقد خلقنا الله العظيم من أجل هذه الأيام العزيزة ومن أجل وجود هؤلاء الأشخاص الأعزاء ، ولولا هؤلاء لما بقى توهج الدنيا ووميضها ، ولا بقيت الدار الآخرة . ولا كانت قيمة المسجد ولا كانت الكعبة .

. ويحكي أفلاكي على وجه الخصوص فيقول : ذات يوم آخر كان دنيزلي يترك أطفاله للذهاب إلى المدرسة ثم يبدأ في اليوم نفسه في معاقرة الخمر مع أصدقائه وعددهم عشرون شخصاً .

وكان برهان الدين إلياس باشا سبط سلطان ولد يشارك في سقاية الخمر ويشربها حتى منتصف الليل ، كما يزعج أفلاكي ويضايقه حتى يجد الخمر (٢٣٦) . ولكن عجبًا . لماذا أدمن أولو عارف جلبي الخمر ؟ كان أولو عارف جلبي ينشد هذه الأبيات التي تقول « أنا سكير ، خائن غدار ، أتجرع الخمر عيانا جهارا ، ولن أهجرها حتى لو ذهب عقلي وسلب لبي ، هكذا تكون رائحتي ، وليكن ما يكون » (الديوان : ص ٦٣ ، غزل : ٨١ ، بيت ١٢٥٣) .

ويقول في غزلية أخرى : « إن الخمر لي حلال ، لأنني من نور جلال ، وأنا ولد مفعم باللطف والرقة والدلال في طرق الله (ص ٧٤ – غزل : ٩٥ – بيت ١٤٦٨) . ويقول أيضا : « أرأيت شيخًا مثلي ولوعا بشرب الخمر عيانا بيانا في كل المدن ويجانب كل شاب وعجوز ؟ فسلم عليها ، وتناول القدح في كل قول وحديث ، فلقد أسكرتها وتخلصت من قيد الفضة والقماش » (ص ١٥٦ – غزل ٢٥٣ – بيت ٣١٨٨ – ٣١٨٩) ، ومثل قوله « متى سأتحرر وأتخلص من يد رمضان ، وأستمتع بطيب الأنعم والملذات ، ولسوف آكل الكباب ، وسأضع القدح ملأى بالخمر أمام ناظري ، ولسوف أقف وأشرب مع السكارى في حانة الخمر » (ص ٥٩٩ ، رباعية ٣٢٣) .

هل كان سلطان ولد كاتب مثل هذه الرباعيات يشرب الخمر ؟

يقول سلطان ولد « كل شيء طيب حسن جميل ، ولا كانت الحقارة والدونية دليلا على هؤلاء الأشخاص ، ولا سقطت الخمر في يد هؤلاء الذين يقولون يمنعها ، وإن شرب الخمر وعزف الرباب والحب الجميل والسماع هي جميعا حلال للأشخاص المصطفين الأخيار وهي محرمة على هؤلاء الأشخاص الأرذلين »[16] وهل كان مولانا يشرب كذلك؟ فلربما كانت كل هذه الألفاظ تحمل معنى المجاز .

إنه من المتعذر علينا التفوه بشيء حازم قاطع فى هذا السبيل ، وهب أن هؤلاء يشربون ، فإنهم لم يشربوها عيانا بيانا كما فعل أولو عارف جلبى . لقد كانت هناك طائفة من اللائمين على جلبى بسبب فعاله المتناقضة وحركاته التى تتسم باللامبالاة وعدم الاكتراث ، ويأتى فى صدارة هؤلاء اللائمين أماسيه لى علاء الدين خليفة جلبى حسام الدين ، بيد أن سبهسالار يمدح أولو عارف جلبى يمثل هذه الكلمات « إنه كامل متقن من ناحية الكلام والحال ، وهذا ما يمدحه به المحققون المحصون » أما أفلاكى فيقول عنه « إنه سلطان الخلفاء » ولما ذهب جلبى إلى آماسيه وسمع كلام علاء الدين دخل الخلوة ومكث بها خمسة عشر يوما دون طعام أو شراب ، وكانت أمه فى معيته إبان هذه الرحلة ، ولما علمت أن بنية ابنها أصبحت واهنة ضعيفة أخذت تتضرع وتتوسل هى ومن معها من الأصدقاء ولكن دون جدوى ، إنهم يحسبون أن طعامنا هو الخمر والكباب فقط ، ولا يعلمون أننا سكارى بخمر أخرى مختلفة .

وفى اليوم السادس عشر اجتمع كبراء القوم ووجهاؤهم وحلوا ضيوفا على فناء الزاوية، وبدأ السماع وأخذ علاء الدين فى تحريض الناس وحثهم على السماع ، واشتدت سورة حُميا السماع وخرج جلبى على حين غفلة وصرخ صرخة ثم بدأ السماع ، وأخذ ينشد رباعية تقول فحواها : « أيها القادمون إلى القمر فى سماء السعادة والإقبال ، إن السلطان موجود فى خشبة شطرنج الملامة ، وإن من يدركون سر هذا الكلام يضلون بجانب الناس ، بيد أنهم فى الطريق المستقيم »(١٧) . وبعد مدة تفوه بهذه الرباعية التى تقول « إن الراكضين فى أثر الشيطنة فى هذا السبيل ، لا فرق بينهم وبين الشيطان فى نظر الرجال المطهرين ، وإذا ما ذهبت مستقيمًا فى هذه السبيل التى رسمها العاشقون فإنهم يكتبون فى صحيفتك سر آيتك »(١٨) ثم ألقى بنفسه على حين غفلة من النافذة فى منطقة يشيل ابرماق ، ودب الضجيج والصخب بين الخلائق ، وما لبثوا أن ألقوا بأنفسهم من ورائه ، ثم سرعان ما خرجوا بصعوبة وهم يتضرعون ويتوسلون .

وأدرك علاء الدين بنفسه سبب ما فعله هؤلاء ، وتضايق كثيراً ، ولما خرج جلبى من النهر طلب قربة خمر حيث ظل لا يأكل ولا يشرب بضعة أيام .

وكانت فى حالة من عدم السكينة والاسترواح ومن ثم فإنه شرب قربة من الخمر على حين غرة ، وبدأ السماع ، وأخذ ينشد غزلية مولانا التى يقول فيها « لقد أحرقنا العشق والصبوة والجنون ، وابتلعنا موجات الدماء فى كل وقت وحين ، نحن نشرب جهنم ، ونحن نظراء السكارى الذين مزقوا قبة السماء ، وماذا يفعل الشمع المسكين فى كبد السماء وماذا عسى أن يكون لو علق القنديل فى هذين الاتجاهين المعكوسين ؟ فلأطوين وأقيدن أيدى لص الأحزان ، فلقد سرق عقل بضع مئين من المساكين ، ولأسكبن الخمر المنسوبة إلى السلطان الطاهر المبرأ ، ولأتومن عالم العلوم ، وذلك العقل الذى يحيك الحيل والدسائس ، إن حيلته تجاوزت كل حد ، ولأسكرن التزوير ، ولأضربنه ضربًا مبرحًا [١٩] كما كان ينشد هذه الرباعية » لا آكل شيئًا آخر سوى ألم المحبوب كلما كان صحيحًا معافى ولن أتحدث عن الشرف والفضيلة ، فلم أتألم بهذا الألم ، إن علمى وسؤددى وشرفى هو قدح الخمر .

بيد أننى لن أشربه إلا من يد السلطان [٢٠] » . وعندما كان طور مطاى أوغلو فى أماسية كان جلبى محمد بك واليا عليها ، وعقد مجلس سماع بغية تسوية النزاع الذى كان بينه وبين علاء الدين ، ودعا علاء الدين وقرأ القرآن ، وأنشدت الغزليات ، ثم سأل علاء الدين عن معنى هذه الغزليات ، فقال جلبى : لو سألت عن حالى ومقامى فإنك لم تفهم حينئذ ، ولو تدخلت فى الحديث بحسب مقياس حالك لأصبحت ساعتئذ وقد ترديت فى أسفل سافلين .

ما هذا الخداع والتضليل يا علاء الدين ، أنت تقرأ مثنوينا ، وليس لك خطوة متقدمة فى إدراك سره وفهم كنهه ، ولا تحيط خُبرًا بمقصدك ومرامك ، ولعلك لم تقرأه . وإذا كان جلبى صاحب قناعات قد تجاوزت كل حد ، فإن علاء الدين كان تابعًا منقادًا لتلك القيود التى فهمها وأدرك كنهها ، يقول سراج الدين قارىء المثنوى : كان علاء الدين يضطلع بخدمة جلبى حسام الدين ، وكان يستمع إلى المثنوى كلما واتته الفرصة ، كما كان يقرؤه فى معيتى ، وأراد الذهاب إلى وطنه بعد حين من الزمان ، فقال له جلبى حسام الدين : لم يحن الوقت بعد ، فامكث مع الأصدقاء بضع سنين ، بيد أنه لم يستمع إلى قوله .

وبناء عليه حرر له شهادة بذلك وألبسه سترته ومنحه الخلافة وأرسله إلى أماسية ولما بلغها قال وآسفى لقد اصفر عنب هذا الرجل ، بيد أنه غير حلو المذاق ، وانسحب من الشمس سريعا وفر هاربا إلى الظل ، فأنا خائف وجل ، وصارت ذات يوم هدفا لسخط ونقمة هذا الرجل القوى .

وكان أولو عارف جلبى قد قفز إلى الماء ذات مرة وهو فى العراق ، وأخاف الناس أجمعين .

وتفيد رواية سلطان الخلفاء « آق شهرلى موسى » أن « آق شهر حاكمى خواص كريم الدين » كان تابعا لأشرف أوغلو ، ولم يكن يستحسن أحوال جلبى ، حتى إنه قد أعد العدة ذات يوم طالبا الذهاب من آق شهر إلى جلبى ، وتمنى أن يكون ذهابه فى معية المفيقين والسكارى على حد سواء ، وسمع جلبى هذا الكلام ، وعندما صادف قمر الدين ذات يوم قال : إن الأصدقاء كانوا يريدون إبعادنا وطردنا من هذه المدينة ولو أبعدونا فإننا سنأتى ثانية ، بيد أن طردنا وإبعادنا لن يجعلهم يستطيعون المجىء إلى عالم الوجود وسيصيبهم البلى والفناء والاندثار .

وثمة واحد من كبراء القوم ووجهائهم ممن كانوا يدينون على الدوام أفعال السكر وعدم الاكتراث التى يمارسها أولو عارف جلبى ، ويرى فيها كل شىء مباحًا . وذات يوم قابل جلبى فى جماعة من الناس ، ثم قال جلبى : ثمة درويش بين ثنايا الحديث ، ويمدد رجليه دائما فى الشوارع وفى مفترق الطرق ، وينام راقدا فى سكينة واسترواح .

ثم قال أحد العارفين : عندما نقول إنك على شاكلة الدراويش ، فماذا عسى أن يصنع الدراويش ؟ لقد سحبت يدى من الأشياء العابثة ، وأقلعت عن غرور الدنيا وطلب نفائسها ، ثم مكث راقدا متمددا فى سكينة وراحة .

ولما ذهب أولو عارف جلبى إلى سلطانية نادى سائس الخيل بسبب مسألة ما ، وشرع فى شتمه وسبه ، بيد أن شهاب الدين مقبولى وهو من رفقاء الطريق وأحد علماء تبريز كان يقول : أصحيح أن هذه الحركات المتسمة بالجنون صادرة من هذا

الرجل ؟ إنه لم يأت للنزاع والقتال مع سفهاء الروم ، حينئذ زلت قدم جواده وهوى على الأرض وهو يدلى بهذا الرأى ، وما لبث أن أظهر تجلة واحتراما عظيمين لعارف جلبى ، كما أهدى نجم الدين دابه (ت ١٣٣٥ م) تفسيره المسمى ربيع الحقائق إلى أولو عارف جلبى ، وأعطاه جلبى بدوره إلى قسطمونيلى مولانا علاء الدين ثم انتشر هذا التفسير وذاع صيته على هذا النحو فى أرجاء الأناضول .

(٣٣٤ - ٢٣٥) [٢١] . ولما ذهب مولانا كمال الدين للمرة الثانية إلى «دينزلى» منح مولانا محيى الدين الخلافة إلى تاج الدين قارىء المثنوى ، ولكن رواية أفلاكى تقول : إن سلطان الخلفاء القاضى نجم الدين قد أخذ الخلافة من سلطان ولد أو من جلبى حسام الدين ، وكان مخالفا لجلبى تمام الاختلاف ، حتى أن هذه المخالفة لم تكن لجلبى فحسب ، ولكنها اتجهت إلى الخليفة في مدينة « نيادة » ، وهو رجل أمى يسمى ناصح الدين ، وكان لهذا الرجل كلب مما جعل ثلة من الناس ينكرون ما يفعله هذا الرجل وكلبه الذى يبول على ثيابهم وأمتعتهم وما يقدمونه له من طعام ، ثم أعطى ناصح الدين هذا الكلب إلى أولو عارف جلبى .

وقائع وأحداث فؤاد أولو عارف (وقائع العشق والغرام) :

مر جلبى ببعض أحداث العشق إبان حياة السكر والانجذاب المائجة بالحركة والاضطراب وكان عدم ذهابه إلى قونية كثيراً وذلك من قبل باشا خاتون زوج أولجاى تو محمد خدابند فى أرضروم ، ولما أنبئ بموتها وهو فى مدينة بايبورت أسف لموتها أسفًا شديداً وبكى بكاءا مرا ، وقرأ أبياتا من المثنوى ، وارتحل من فوره وأحاط بتابوتها عند وصوله إلى أرضروم فى اليوم السابع من وفاتها ، ثم أنشد الرباعيات فى ذكرى الأربعين ، وإن مظاهر العشق و عباراته التى جرت بين أولو عافر جلبى وباشا خاتون غير مقنعة برمتها .

وكانت عين الحياة ابنة جورجو خاتون - والتى وصفها أفلاكى بأنها ملكة الدنيا ومليكتها - شغوفة شديدة الافتتان بأولو عارف جلبى ، وكانت تدعوه إلى قصرها الكائن فى أرضروم وتسأل عنه سلطان ولد إبان حياته ، وتستفسر عن أحواله من كل الموجودين فى ضريح مولانا وكذلك من سائر الأصدقاء فى المدرسة الواحد تلو الآخر ، كما كان صلاح الدين أديب المصاحب لأولو عارف يجيب عن أسئلة عين الحياة ، وذات مرة أمعنت عين الحياة النظر إلى جلبى وقالت : أريد الاستماع إلى هذا الشاب الفتى ، إنه يفيض رقة وجمالا ، ولكن لماذا لايتحدث ، ولكن العارفين يقولون هذا الكلام فى الخلوة ، وأتمنى أن يحين الوقت ، ثم قال إنها سوف تسمعنى ، ويدون أفلاكى بأسى على هذا الكلام إن عين الحياة قد حرقها العشق وحطم فؤادها .

وعليه فقد ظلت ما بقى من عمرها مولهة بعشق أولو عارف جلبى . وإبان إقامته فى قونية كانت هنالك امرأة فائقة الجمال تسمى « آقريا قيرى » ووقعت فى عشق جلبى ، وتحرقت وتحطمت بغية بلوغ وصاله ، وعزف القيثارة ، وأحرقت قلوب العاشقين وأذابت حشاشة أفئدتهم ، وضحت ببستانها وحديقتها وبكل ما تملك فى سبيل أولو عارف جلبى .

وشاعت الشوائع وانتشر القيل والقال بسبب لقاء جلبى بها وحديثه معها وذات يوم صدرت فعلة من « أقريا قيرى » وتألم جلبى بسببها ، فنزع طرف عمامته ومضى إلى حال سبيله ، وأخذت هى تتضرع وتتوسل إليه ولكن دون جدوى ، ثم قالت : ماذا عساى أن أصنع الآن ، فأجابها جلبى : إن موتك واجب حتمى ، ولكن أكان هذا بسبب ذهاب جلبى إلى هنالك والعافية التى رآها ؟ أم أنه أراد أن يضع حداً للقيل والشائعات التى شاعت فى كل مكان ؟ إننا لا نستطيع الجزم بشىء قاطع فى هذا السبيل ، بيد أن هذه العاشقة المسكينة قد قتلها عبيدها فى ذلك الإبان ، واحترق فؤاد جلبى لما آل إليه مصيرها ، وأنشد هذه الرباعية « لقد هوت فى براثن للحزن والمناحة ، فى قميص مخيط منسوج بيد الصبر على عجلة وذهب بالأمس وأخذ حياء نارها ، وفى النار ألف لون ولون ، ولم يترك هذا الجميل أثرا للحرارة واليوم صارت بيد الموت ترابا تطيرها الرياح وتذروها »[٢٢] .

وظل جلبى مغاضبا يتميز غيظا قرابة أربعين يوما ، ثم شرع ينشد هاتين الرباعيتين من أجلها : « لا تجلسن بالغفلة فهذا الزمان عزيز غال ، وكل نفس أخذته ، وهو روح عزيز غالية ، والعمر الآتى لابد سيذهب ويرحل ، فانظرى لا تضيعيه فإنه ضيف سام رفيع الشأن ويقول : « العالم فى معبدها مكان ضيق المجال - والدنيا قلب ونموذج للتغير من حال إلى حال . ولا سبيل إلى وجود إنسان فى هذه الدنيا منتبهاً يقظان - وما الدنيا إلا محض رؤيا وضرب خيال»[٢٣] .

نظرته إلى الطرق الصوفية الأخرى :

كان أولو عارف جلبى يعلم علم اليقين أن طريقة مولانا هى بعينها الطريقة الملامتية ، وأن المولوية انبثقت فى الوجود على أساس نشأة الشطار ، ثم انفصلت عن الباب العالى وهى فى معية أهل الفتوة وكانت ذات علاقة حميمة بالشيخ المعروف « باراق بابابير » والطائفة المنتسبة إليه .

وكان كل من الشيخ باراق بابا دركاهى شيخى وحيران أميرجى خليفة بترنق بابا ضمن المستقبلين له إبان ذهابه إلى سلطانية . ومع هذا فإن « حيران أميرجى » قدم بعد ذلك إلى قونية وزار قبره ، وقال جلبى فى مجلس السماع المعقود عند المقبرة إنه سيعانق حيران أميرجى العام القادم ، وأتمنى أن نعقد السماع سويا فى هذا اليوم ، وخلع قلنسوته البيضاء وألبسها على رأس « حيران أميرجى » ، وفى الحق فإنهما التقيا فى العام التالى ومكثا معا يوما كاملا وهما فى مجلس السماع سويا ، وثمة خلفاء من الأخيان ، وكان لأولو عارف جلبى علاقة ود ومحبة مع أهى أحمد شاه وهو من أكابر المدينة فى تبريز ، وقد احتضنه وعانقه فى مجلس السماع وكانا يشهدان السماع سويا وألبسه قلنسوته .

ولكن أولو عارف جلبى لم ينظر بعينه قط إلى سائر الطرق الصوفية الأخرى ، واجتمع الصوفية ذات يوم فى آق شهر فى اجتماع كبير مهيب حافل بالرسميات

والتشريفات والشعائر والطقوس ، ودعوا جلبى إلى هذا الاجتماع ويقول أفلاكى إن سلطان الخلفاء سأل آق شهرلى آهى موسى قائلا : أى مظهر هذا لتلك الطائفة من الدراويش ، فماذا يكون حال هؤلاء ؟ وأجاب جلبى : إنهم قوم يتبعون المراسم والاحتفالات ويقتنعون بالمظهر والهيئة ، ولا خبر يذكر عن هذا السر ، إنها طائفة لا تعلم شيئا عن الله وعن الحقيقة ، ولا عن قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم »(٢٤) .

وثمة كثير من العارفين يعرفون الله ويدركون كنهه ويدعونه ، أو كما يقول جدى « إن الفن هو أنك قد وصلت إلى القرب من الله ، أتحسبن أنك لم تنفصم عن الفنان ، كلا ألم تره حقا ؟ وثمة مئات الأعمال ومئات الكرامات في قرب ووصال الذين يصلون إلى أولياء الله ، وعلى سبيل المثال : فقد استحال الحديد شمعا في يد داود عليه السلام ، وهب أن الشمع فى يديكَ وأن الحديد ينكسر ، فكل شخص متساو فى الخلق ومنح الرزق ووصال الله ، وتوجد هذه الصفات فى كل شخص ولكن هؤلاء الأكابر هم أصحاب قرب وإلهام لعشق الله .

وإن أبى فى مقام القرب والوصال مختلف تمام الاختلاف ، فالشمس تضرب الجبل والذهب .

بيد أن ثمة وجه شبه بين الشمس والذهب ، ولا خبر يذكر قط عن سبك ولعنك لكل هذا والغصن اليابس قريب من الشمس وكذلك الطرى الندى ، ولكن أتتوارى الشمس عن كليهما ألبتة ، ولكن أين هو قرب الغصن الطرى الندى ؟ إنه يتمثل فى جمع والتقاط الفواكه الناضجة اليانعة وأنت تأكل هذه الفواكه الناضجة ، ولكن انظر إلى هذا .

واقتراب الغصن اليابس من الشمس لا يمنحه سوى اليبوسة والجفاف (ترجمة المثنوى - ج ٢ ، ص : ٦٤ ، ٧٠١ - ٧٠٩) .

فهؤلاء لا يحيطون خُبرا عن الاتحاد والوحدانية ، وقد ظلوا ظماءً ، بيد أنهم يبدون اقتناعهم بالماء كما أن مريديهم يعقدون فى هؤلاء ويظلون جميعا محرومين من قرب المتصوفة الحقيقيين وأحوالهم .

كان فى مدينة طوقات صوفى ذو شأن عظيم ، وينكر على أصدقاء مولانا سجود بعضهم لبعض ، ويدين صنيعهم هذا ، فقال جلبى لهذا الدرويش عندما قابله ذات يوم : إن سجودك لنا ليس بصحيح ولو فعلته حقا لكان هو الكفر بعينه ، ولكنك ترانا أناسا مثلك ، فنظرتك هذه نظرة شيطان ، ورأيك كذلك رأى شيطان ، ولما كنت حمارا فإنك لا تحيط خُبرا بالنور الكائن فى باطن الشيخ .

أما عدم سجود بعضنا لبعض فإنه الكفر بعينه ، لأن الإعراض عن الله وتقليد مذهب الشيطان ما هو إلا من صنيع العميان ، وإن أصدقاءنا يتبعون أمر قوله تعالى « اسجدوا لآدم » من الأزل حتى أبد الآبدين(٢٥) . إن هذه السجدة فى حق هؤلاء هى مئات الألوف من ضروب اللطف والإحسان .

وذات يوم كان أولو عارف جلبى فى آماسية فقدم لزيارته سيدى أحمد كوجك رفاعى وفى معيته طائفة من الأحمدية الرفاعية ، فتجاذبوا أطراف الحديث مدة من الزمان ، وبعد ذلك اندفعت من الرفاعية على مجلس السماع طائفة أخرى يعزفون على صوت شرب النارجيلة .

وعندما قال سيد أحمد : التمس لهم العذر فإن دراويشنا يصنعون السماع بصوت النارجيلة ، قال جلبى : نعم إن هذا شىء حسن جميل ، إنهم يصنعون السماع لكن بصوت النارجيلة الفارغة ، ويصنعونه لنا بالنارجيلة الممتلئة وثمة بون شاسع بين كلا السماعين .

وعندما كان جلبى فى طوقات عينت ابنته معين الدين بروانة شخصا يدعى شيخ بهاء الدين ليكون شيخًا على التكية التى تخصها (٢٦) ، فكان جلبى يعامل بهاء الدين هذا معاملة سيئة . وكان عارف جلبى يقول فى إحدى رباعياته « نحن أهل تضرع ورجاء ، ولسنا بأهل صلاة فدع الصلاة واجعل التضرع والرجاء فى المقام الأول ، وانظر إلى التضرع والرجاء ثم أمعن النظر وانتبه وافتح عينيك الباطنة ، ويوجد بضع مئين من القدس والحجاز ثاوية فى أرواحنا وأفئدتنا (رباعيات أولو عارف جلبى : ص ١١٣ ، رباعية ٤٨) .

ولما كــان أولـو عـارف جلـبى من أهـل البـاطـن فإنه يقـول فـى رباعـيـة أخـرى ما فحواه : « ما في أفئدتنا سوى الخمر ، وفي باطننا كثير من اللهفة والشوق إليها ، ولا شيء يمحو الكلمة الناقصة أو الزائدة فى فمنا ، أيا ساقى العشق قدم خمرنا . فلربما محت آلامنا وقضت عليها قضاء مبرما » (ص ١٠٩ ، رباعية ٥٩) .

ثم يبين أحد أسباب ولوعه بالخمر وشغفه بها فيقول : « أى خبر يمكن أن يكون عن علم رجل لم يخط خطوة واحدة خارج إطار العظمة والكبرياء والأثرة وحب الذات ؟ والطائر الذى يطير ويمزق أحبولته فى سبيل الفؤاد ويتسنى له أن يخطف حبة علم ويأكلها « ص ١٠٥ ، رباعية : ٧٤) وهو فى هذه الرباعية يبين فضل العلم الذى يهب الوجود للإنسان ، كما يبرز كيف بقدر الشيوخ والعلماء الممدوحين بهذه المعرفة المتباينة .

خلفاؤه :

ورد فى مناقب العارفين أن لأولو عارف جلبى خلفاء هم : آهى أحمد باييو الشيخ اميريك آب كرمى(٢٧) ، أهى موسى آق شهربى ومن خلفائه فى مدينة نيادة كل من : نصيح الدين صباغ آهى محمد بك ولدى قلمى ، ومولانا كمال الدين ، ومولانا محيى الدين ، وتاج الدين قارئ المثنوى . ويقول أفلاكى : إن من بين هؤلاء الخلفاء كذلك : أهى محمد بك قلمى ، والذى أطلق عليه لقب الرجل الذى أطراه الخلفاء وقرظوه ، وأهى أحمد الملقب بسلطان الخلفاء ، كما منح الخلافة لكل من : مولانا كمال الدين ، مولانا محيى الدين ، تاج الدين قارئ المثنوى ، والشيخ دنيزلى ، كما أرسل الشيخ آهى محمد بكى إلى مدينة لارنده التى تعرف باسم قره مان ، وعندما أرسله إلى هنالك قال له : ستكون زعيما على هؤلاء القوم ، فاذهب واضطلع بهذه المهمة المنوطة بك ، وليكن شغلك هو العشق والسماع (٢٤٢) . ويفهم من هذا القول أن ثمة زاوية أسسها قلم أوغلو ويرقد فى مقبرتها كل من : مؤمنة خاتون أم مولانا ، وكذلك زوجته الأولى جوهر خاتون ، وأخوه الأكبر علاء الدين وثمة خليفة امرأة تدعى

« قونية لى عارفة خوشلقا » ، وهى من عشاق مولانا ومحبيه وكانت خليفة فى مدينة طوقات ، وانتسب إليها سائر أكابر القوم ووجهائهم ممن يقطنون طوقات وما حولها وندرك من كلام أفلاكى أن ثمة تكية مولوية أسست فى مدينة سلطانية وتولى المشيخة فيها شخص يدعى سهرابى مولوى .

ويفهم مما أورده أفلاكى صاحب مناقب العارفين أنه هو نفسه كان أحد خلفاء الشيخ أولو عارف جلبى وكان يخاطبه بالشيخ أفلاكى .

وفاته :

هكذا كان مشهد وفاة أولو عارف جلبى الذى انقضت حياته وانتهت بفعال العاطفى وسورة الحُميا ، لقد كان أفلاكى يحبه حبا جما ، وها هو ذا يشرح فى صورة شديدة الجمال نابضة بالروح والحياة ، ولربما غاص قلمه فى فؤاده ، وسطر بدم قلبه هذه الصحائف ، ونحن إذ نخصص هذا القسم بغية تجلية شخصية أولو عارف جلبى وعقيدته وسورة حمياه ، فإننا نضطلع بتلخيصه باذلين الجهد فى عدم إفساد الأصل أو تشويه صورته . لقد ارتحل أولو عارف جلبى فى سفرته الأخيرة من مدينة لارندة إلى مدينة أنقرة وقال ذات يوم إبان مكثه فيه : لقد رأيت رؤيا مساء البارحة فحواها : أن مولانا كان فى حديقة جميلة غناء ، ثم نظر إلى وقال : يا عارف ماذا تصنع ها هنا ؟ لقد انتهت مدة الإقامة ، ولسوف نشد رحالنا ونجمع متاعنا إلى عنان السماوات ، ولسوف نكرع قدح الجلال .

ثم أردف يقول : « لقد حان الوقت فلنتجرد من كل شىء ولندع كل شىء ، ولنكونن روحا برمتنا » (ترجمة المثنوى – جـ ٦ ، ص ٥١ – ٦١٣) ويقول فى موضع آخر » عجل بذهاب صورة البدن ، فلست عبارة من هذه الصورة ، وكلما وقفت فإن الصورة لا تكون ناقصة » (جـ ٣ ، ص ٣٧٩ ، ٣٩٣٤) .

ثم ولى أولو عارف جلبى وجهه شطر قونية فى اليوم الثانى من إخباره لهذه الرؤيا ، ثم مرض إبان وصوله إليها وخرج من البيت وقت السحر فى الجمعة الأخيرة من شهر ذى القعدة لسنة ٧١٩ هـ ، وأقبل ووقف على باب المقبرة ، وانتظر حتى

أشرق يوم جديد وارتفعت الشمس مقدار رمحين ثم أنشد هذا البيت : « إن الشمس تجرى وتقف وكأنها كرة ذهبية ، لا جرم من يحمل صولجانها ومحجنها[٢٩] » [٢٨] .

ثم نظر إلى الشمس وقال : « إن المتصوفة العارفين هم شمس الشموس ، وإن الشمس لتنير بنورهم »[٣٠] .

ثم قال : وبعد مدة سئمت وضجرت من عالم الدنو والانحطاط ، فإلى متى سوف أظل ثاويًا تحت الشمس بين غبار ودخان ؟ لقد حان وقت وطء ارتفاع السماوات والشروق فوق الشمس ، ثم أنشد هذه الغزلية لمولانا والتى تقول : « إن صوت العشق ينبعث فى كل نفس من اليمين إلى الشمال ، ونحن ذاهبون إلى القبة الزرقاء فى كبد السماء فمن ذا الذى سيشاهد ويتفرج ؟ لقد كنا فى السماء ، وكنا أصدقاء وأخلاء للملائكة .

إن مدينتنا برمتها هنالك ، فلنذهب إلى حيث هنالك ثانية ، لقد سمونا من السماء ونحن من الملائكة فى أعلى عليين . فلماذا لا يتوجب علينا أن نعبر كليهما ؟ ونُزل ضيافتنا هو عالم العظموت والملكوت . فأين الجوهر شديد الصفاء والنقاء ، وأين العالم المخلوق من التراب ؟

لقد دنونا إلى أسفل ، ولكن أين هذا وذاك ؟ ولقد تنكبت حملنا ، وأخلاؤناهم خط ندى غض فلا تُحبطن عملنا ، والمصطفى الذى مدح الدنيا هو قائد قافلتنا[٣١] ولما خرج جلبى رآه المجتمعون ، وعندما سمعوا هذه الكلمات بدءوا من فورهم فى العويل والصراخ .

ثم قال لا حيلة ألبتة ، ولا مناص إلا الموت ، فلقد كنت أريد التطواف على الدوام فى هذا العالم وأرى مواضع جديدة فيه ، بيد أن جسمى سكن عن الحركة ، وخارت قواى ، ولم يبق فى الدنيا أحد قط يشاركنى آلامى وعذاباتى ، وإن مولانا هو رفيق آلامى ، وكذلك أبى فلأرحلن إلى الدار الآخرة ولألحقن بهم ، ثم شهق شهقة عالية وانقلب راجعا إلى داره وهو يمشى فى عجب وتيه ، وما لبث أن انخرط فى نوبة من

البكاء والحزن رويداً رويداً . ذهب أولو عارف جلبى بعد ذلك إلى المقبرة وهو فى حالة سقم وإعياء فى الجمعة الأولى من شهر ذى الحجة ، وبدأ السماع وهو فى لجة الوجد والهيام ، وأخذ ينشد هذه الرباعية : « إن الذهاب إلى جوار المحبوب يبدل من حال إلى حال ، ويتوجب التخلص من الوجود والفرار منه ، وليس من الصواب الذهاب بغطرسة ووقاحة إلى المحبوب الجميل الذى يشبه القمر ، بل يلزم الذهاب إليه بوجه شاحب شديد الاصفرار وعينين مغرورقتين بالدموع » (رباعيات أولو عارف جلبى ، ص : ١٢١ ، رباعية ١٦) وحينئذ رقد طولا على الأرض بإزاء المقبرة وكأنه مدفون فى الأرض ثم نهض بعد مدة وقال : إن تراب الإنسان قد اقتبس من الأرض التى دفن فيها ، فادفنونى ها هنا .

وفى يوم السبت التالى اشتدت عليه علة المرض ووطأته ، ثم ما لبث أن وقعت مصادفة جد غريبة فى ليلة الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة .

إذ حدث زلزال عظيم فى مدينةقونية مثلما حدث قبل موت مولانا ، وتصدعت مداخن منازل كثيرة ، وتقوضت الجدران ، واستمر هذا الزلزال ثلاثة أيام بفواصل متقطعة خفيفة ، أما الشخص المجنوب الذى حل فيه أحمد[٣١] فإنه لم يخرج من المكان الذى يقيم فيه مدة أربعين عاماً .

بيد أنه خرج عند وقوع الزلزال وبدأ يرفع عقيرته بالصياح وهو يقول : أواه أواه ، وآسفى ، إنهم يحملون نور قونية ، وستتهدم الدنيا ولسوف أرحل أنا كذلك فى أثره وعلى حين استمر الزلزال بفواصل متقطعة كان جلبى يتفوه بكلام مولانا ، ثم قال : لقد جاعت الأرض وهى تأكل أجسادا وتشبع ، فهذا هو وقت الرحيل .

ثم أخذ ينشد بيت مولانا الذى يقول « عندما يتجرع تراب القبر بدنى مثل جرعة الخمر ، فإن الروح تخرج إلى عنان السماء ، وما ذلك إلا لأننى نور مجسم »[٣٢] ، ثم قال : سبحان الله ، لقد ظهرت الطيور ، ياله من شىء عجاب ، إنها تنتظر وتتجمع فى حركات غريبة ، ثم قال : عندما يرفع الأخلاء عقيرتهم بالصياح فإنها لا ترجع إليهم

ولا تتجرع إلا الهموم والأحزان ، كيف يكون نزولنا من أجلك أنت وصعودنا كذلك من أجلك أنت ، ونحن على كل حال فى معيتك ، ولسنا منفصمين عنك . حينئذ قدم كل من أمير عابد وأمير زاهد وجلسا بإزائى .

ويقول أفلاكى : لم تكن بى طاقة بالتحمل ، ولم أستطع البكاء ، ثم قلت بلسان الحال : يا إلهى : اجعل الموت لى سعيدا ميمونا ، فقد حكم على حالى بعد الموت وأظهرت هذا الرحيل المبارك الميمون ، قلت لمن ستترك هؤلاء ، إنهم أمراؤك وحكامك وأنبأت الأرض عن أحزانهم وآلامهم أو قلت أنا ، إنما أنا يتيم غريب مسكين ، فماذا عساى أن أصنع وإلى أى وجهة سوف أولى وجهى ، فقال : امكث أنت فى المقبرة وتعهد خدمة المقبرة ولا تذهب إلى أى مكان ، ثم قلت : هلم فاجمع مناقب الأجداد والأسلاف ثم اكتبها ، وإياك والتقصير والإهمال ، وليكن المتصوفة الواصلون عنك راضين ثم أغمض عينه فى أثناء الكلام .

وقال وهو يرتجف ، ماذا سيكون مصير كل شىء ؟ لأجل هذا يكون البكاء والنحيب . ثم فتح عينيه على حين غفلة ، وجعل يقرأ هذه الرباعية لمولانا : « أيها المحبوب الجميل الذى تشتاق كل حسان الدنيا إلى وجهه الصبوح يا جميل الحواجب ، أنت الجميل وقبلة الزاهدين ، أنت جميلى ، لقد تجردت من كل نعوتى وصفاتى بغية أن أسبح وأغوص عاريا متجردا من بحرك »(٣٤) .

وجعل يتفوه باسم الله ثلاث مرات وهو يتأوه ، ثم أخذ ينشد هذه الرباعية لمولانا : « عندما يكون بحر الكمال لى ذاتيا شخصيا ، وعندما تتقطع كل ذرات البحر ، فإنها تضىء لى ، ولتكن كل أوقاتى فى سبيل عشقك وقتًا واحدًا ذا وجد وحال ولأنصهرن ولأذوبن وأحترقن كالشمعة »(٣٥) ثم قرأ سورتى العصر والنصر بين وقتى الظهر والعصر فى يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة لسنة ٧١٠ هـ — ثم رحل عن الدنيا بعد ذلك فى اليوم الخامس من شهر نوفمبر سـ ١٣٢ م .

وفى هذا العام اشتدت وطأة شتاء زمهرير مروع مفزع فى مدينة قونية وتجمد الجليد المتماطر ، وتجمدت كل الأرجاء والأنحاء . وفى يوم الأربعاء كان جلبى محمولا بين صرخات وصيحات الأصدقاء ، ثم دفن فى المقبرة وفى الموضع الذى بينه

هو بنفسه . ويقول أفلاكى هاتين الرباعيتين فى وفاة جلبى : لقد تخلص عارف جلبى من قيد الجهات والاتحاد ، ونظر إلى الذات العلية ، وتجرد من الصفات والخلال ، وإن روحه لتشبه النبى يونس عليه السلام ، إذ عجل بالقفز إلى ماء الحياة من سفينة الجسم التى تشبه السمكة [٣٦] . ونقول فى موضع آخر : « لا ند ولا نظير لأولو عارف جلبى ، إنه منقطع النظير ، وهو كالكنز فى زاوية الحياة ، بيد أنه لم يجد مكانا يلوذ إليه ويؤويه ، وآثر الرحيل عن الوجود والمكان إلى عالم اللامكانية ، ولا موضع له سوى هذا الموضع الذى خلق منه بالأمر[٣٧] . هذا ويوجد قبر أولو عارف جلبى فى الجهة اليسرى من قبر مولانا ، أمام قبر الشيخ كريم الدين الذى يثوى فى الجهة المقابلة ، وليس على قبره نقوش مكتوبة .

الشعر عند أولو عارف جلبى :

لأولو عارف جلبى ديوان شعر موجود بين ثنايا كتب نافذ باشا التى أوقفها على التكية المولوية فى ينى قابى (وتعرف اليوم بالمكتبة السليمانية) ، كما توجد كذلك منتخبات متفرقات من ديوانه موجودة فى مكتبة الفاتح والمكتبة القومية ويخبرنا Fuzluk بوجود نسخة فى مناقب العارفين مثبوتة بين ثنايا كتب برتو باشا (رباغيات أولو عارف جلبى – المقدمة ، صـ ٥ ، ٤) وقد رأينا نحن الكتاب الثانى ونعنى به المنتخبات الموجودة على هوامش أوراق كتاب مناقب العارفين ، والمدونة تحت رقم ٥٠٩ قديما و١٥٧ حديثا ضمن كتب برتو باشا ، ويفهم من النساخ أن هذه المنتخبات قد دبجت سنة (١٠١٨ هـ = ١٦١٠ م) ، كما يوجد فى خلالها إحدى المراثى التى كتبت فى موته ، ناهيك عن وجود اثنتين وثمانين غزلية وثمانين رباعية .

ولجلبى أشعار كثيرة هى نظائر لشعر مولانا ، وتتجلى فى هذه الأشعار قناعته فى وضوح وجلاء ، ومنها على سبيل المثال قوله :

« افتح عين الاعتبار ، وانظر إلى ذات نفسك ، ألك ند أو نظير فى الروح والعشق ، أم أنت لذات نفسك رفيق الطريق » ؟ .

وقوله : « لا رجل فى الحرب سوى على كرم الله وجهه ، فإذا ما أدركت كنه سره فاترك الفضة والذهب وهلم ضح بحياتك .

وضح بروحك بحب وعشق وذلك إذا قرأت قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ،

وأشعل بدنك وحرقه ، وإذا كنت ألمعيا أريبا صاحب فقه وفهم فاخرج من حكم الآية التى وردت فى شأن من لا قبل لهم بالفهم والإدراك . وهى قوله تعالى فى سورة التوبة (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون[٣٨]) وقوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)[٣٩] وقوله (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) [٤٠] ، وقوله تعالى فى سورة الحشر (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) [٤١] .

وإذا ذبت فى الفناء ، هل أتممت الفناء إذا فقل إن الله باق ، فتعلم فقه الفناء ، وتعلم كلمة العدم التى يُتفوه بها دون لسان . وذلك لأن اللسان الذى فى الفم ما هو إلا ترجمان لما فى الفؤاد . فاعرف العشق والتصق به وابحث عنه واقرأ العشق ، هكذا ينمو ويكبر الياسمين الكائن فى حديقة الروح وإذا لم تستطع تنفيذ هذا بنجاح فهلم غذ السير فى طريق شيخ الطريقة أيها الفتى الجميل ذو الوجه الصبوح ، وكن ترابا على قدم الشيخ ، وما أعنيه بالشيخ ليس ذلك الرجل الذى يحتضن الزمان ويعانقه ، كلا إنه ذلك الذى بلغ سنام الكمال الخلقى إنه الشيخ الذى بلغ مقام الهداية والإرشاد »[٤٢] ويقول فى مفتتح إحدى ربيعياته (أقبل الربيع ثانية واستحالت الحدائق جنة فيحاء غناء ، فانظر إلى الفن واشهد الفنان ، أنعم به من سلطان صاحب الفيوضات »[٤٣] ويقول فى شعر آخر : « تمن واطلب الربيع الذى يثوى فى فؤادك دون ند أو نظير ، وأمعن النظر إلى بلوغه والوصول إليه فأنت كل شىء فلا تعرضن عن ذات نفسك . فالضوء لا ينفصم عن الشمس فى أى وقت من الأوقات يا أياز أو غلو فَضيل[٤٤] إن الله لا ينفصل عنك » ويقول فى غزلية أخرى : « لو كنت معدماً معوزا فإن كلمتك قد وصلت من مقام الحال ، فدع العزل ، وكن أيها الصديق عاشقا واترك العلم والعبادة » .

واستظهر العلم فى ملتك بغية الاستحواذ على منزلة سامية ، واعلم أن هذا هو ينبوع العلم ، وإن عبادة بلا روح ما هى إلا بدن لا روح فيه فلا تلق بالا إلى الفكرة ، وأعرض كذلك عن كل رغبة (٤٥) . وبهذه الكلمات يجلى أولو عارف جلبى أفكاره المتصلة بالعلم والعبادة كليهما وهو فى هذا المضمار مرتبط ارتباطاً وثيق العرى بمولانا . يقول أولو عارف جلبى : « إن سنائى والعطار كليهما قد صارا ساقين لفؤادى فى الخلوة ، وقد بات فؤادى ثملا برائحة الخمر التى يقدمانها ، إن روح مولانا هى خلاصة وجوهر العالمين كليهما . وهو ينكر أن يكون عبداً للعالم الموجود بأسره » (٤٦) ويقول فى موضع آخر « اضرب الطلبة بعشق مولانا مثل عارف باسم عدم المبالاة والاكتراث ، وشد الراية كذلك »(٤٧) وهو فى هذه الأبيات يميط اللثام عن إخلاصه .

إننا لا نستطيع أن نرى لدى أولو عارف جلبى فكراً جوهرياً متأصلا ، ومن ثم فإنه ليس إلا ترجمانا لقناعات مولانا ، وإذا ما تصدينا لتحليل أشعاره ألفينا ريح التصوف تهب فى سائر منظوماته ، ولا تمت إلى الواقعية بأية صلة ألبتة ، ولا يقاس أولو عارف جلبى بالشعراء المجددين أمثال : مولانا والعطائر وسنائى ، بل هو شاعر متوسط للأدب الشرقى الإسلامى الكلاسيكى القديم ، وله أشعار تفيض رقة وجمالا ونجد الغنائيات مبثوثة فى خلال أشعاره ولا جرم أن الجماليات مبثوثة بين ثنايا رباعياته ، وها نحن أولاء نقدم ترجمات لإحدى غزلياته ورباعياته اقتبسناها من أشعاره التى نظمها كلها بالفارسية : « أيها الفؤاد ، أنت وجود دون اسم أو لقب أو شأن ، أيها الفؤاد ولم أنت فى حالة خفاء واستتار ، وأنت فى ميدان مفتوح منفسح الأرجاء ، أيها الفؤاد : إننى أبحث عنك فى العيون المفتوحة ، ولكنك أنت العين ، وأنت فى ميدان مفتوح على مصراعيه ، أيها الفؤاد كل شخص وكل شىء من يديك فى ثورة وسورة حميا وانفعال ، وأنت ملحمة للدنيا ، لقد ارتبت كثيرا بيد أننى فى النهاية قد فهمت الأمر مليا وعلمت أنك خارج عن إطار المكان ، أيها الفؤاد إننى أبحث عنك وضربت الدنيا بعضها ببعض بيد أنك أنت الروح والدنيا ، أيها الفؤاد : إن العاشقين فى التواء وانثناء واحتراق من وجهك وأنت غصة وبلاء للعاشقين ، أيها الفؤاد : لقد قلت لى إنك لم تشعر برائحة المحبوب بصفة مجانية ، ولا جرم أن نصف روح عارف قد طلبت ناوية فى الدنيا ، فاجلبها إذا ابتغيت وأنت تعلم ذلك أيها الفؤاد

ويقول في رباعيته : « ثمة محبوب آخر ثاو في عين أرواحنا وهمة أخرى ثاوية في عقولنا وثمة رغبة جارفة أخرى للانشغال ، فأين عشقك ، ونحن سوف نقتنع بفضل الخريف ، ولا ربيع لنا سوى هذا الخريف » (رباعيات أولو عارف جلبي - صـ ١٠١ رباعية : ١٥) .

الشيء الذي صنعه واضطلع به أولو عارف جلبي :

عرف أولو عارف جلبي كيف يستفيد استفادة جمة من تأثير ونفوذ كل من أبيه وجده على حد سواء. فقد ارتبط أبوه ارتباطا وثيق العرى بمحور ومركز العاشقين لمولانا ، وأوقف الأوقاف التي تؤمن هذا المركز وتشد من أزره ، كما انتشرت الطريقة المولوية من ناحية أخرى عن طريق إرسال الخلفاء إلى الأماكن الموجودة في الأناضول ، وشاعت المولوية كذلك وذاع صيتها من ناحية أخرى عن طريق إرسال الخلفاء إلى الأماكن التي يوجد فيها المحبون لمولانا في الأناضول ، كما تحقق هذا الانتشار بافتتاح الشعب التي ترتبط بالمركز الرئيسي وقد سلك أولو عارف جلبي سبيل هذه الطريقة بعينها حيث بدأ إبان حياة أبيه بالإقامة في المقبرة ذاتها ، ويفهم من هذا أنه من المحتمل أن يكون قد شيد منزلا يشتمل على مقبرة في المكان القريب من هذه المقبرة ، وفي الوقت الراهن يقيم مديرون في المواضع الذي كانت فيه جناح أولو عارف جلبي ، وهذا يؤكد وجود الصوفية وحفظة المثنوى والقائمين على خدمة المقبرة ، كما شيدت بضع حجرات خصصت لإقامة هؤلاء جميعا . لقد بدأ جلبي رحلاته وسفراته إبان حياة أبيه ، واستمرت حتى وفاته ، وكان يحمل بين جوانحه ذكرى مولانا إلى كل مكان يولي وجهه شطره ، وأثار الاهتمام بشخصيته الغريبة العجيبة وجلاله ونحيزته ونزعته التي تمثل اللامبالاة وعدم الاكتراث ، وكذلك حماسته وشجاعته المتقدة بالعزيمة والإصرار ، كما كان مستمسكا بعلاقة قوية مع سلاطين المغول وأمرائهم ، وكان يحظى بالتجلة والتوقير من قبل الأمراء المحليين والطوائف القوية المقتدرة الذين كان يبتغون الهمة والعزيمة بغية توسيع واستمساك كل واحد منهم بأراضي الامبراطورية السلجوقية الواسعة والتي تقوضت أركانها قبيل زمن قليل .

هذا ورغم أن جلبى كان مناصرا ومؤيدا للمغول الذين لم يكن يعلم أنهم سوف ينسحبون وسيذهبون إلى غير رجعة فإنه لم يغضب سلالة القره مانيين ، وكانت له علاقة حميمة مع بعض الأمراء وأبنائهم . كما أنه منح الخلافة لكثير من الأشخاص .

وإذا ما أمعنا النظر إلى ما رواه أفلاكى عند قدوم شخص يسمى « آهى بولاد » من الحدود والأقاليم المجاورة إلى قونية ليأخذ الإجازة والقنديل من جلبى ، فإن القادمين كانوا يأتون حتى قدميه بغية طلب الخلافة والظفر بها .

ولما كان أولو عارف جلبى فى حال لا يعرف فيها ماذا سيئول إليه فى الغد ، فإنه كان ذا رغبة عارمة تشبه فيما تشبه همة الأمراء وعزيمتهم وكان ينتسب إلى مذهب مؤسس على طريقة صوفية خالصة ، كما كان بمثابة سلوى الناس وتلهيتهم بالسلطة الأخلاقية المؤسسة فى عالم الوجد والخيال ، أما من الناحية المادية فلم يستحوذ فى يديه على الرفاهية ورغد العيش ، كما كان اجتهاده ينحصر فى الاستحواذ عليها بصورة أخلاقية ، فقد كان والده سلطان ولد وقورا رزينا رابط الجأش منطقيا ، وكانت هذه الخليقة من العوامل التى ساعدت أحد الممثلين للانفعال العاطفى وسورة الحميا من أمثال أولو عارف جلبى .

ونحن نعلم أنه كانت توجد إبان عصر جلبى إحدى الزوايا المولوية فى مدن كوتاهية والأناضول وسلطانية التى كانت تخضع لحكم الأيلخانيين ، كما فتحت كذلك زاوية أخرى فى قره مان ، فضلا عن وجود امرأة تمثل المولوية فى مدينة طوقات ، وهذه حادثة قد استرعت انتباهنا إلى حد بعيد . فقد كان مولانا معاديا لانسحاب المرأة من المجتمع وفرض الحجاب عليها ، ومن ثم اهتم بها وما يتصل بشئونها ، كما كانت النسوة يغشين مجلس سماعه ، وقد كتبنا هذا فى الجزء الأول من مؤلفنا المسمى « مولانا جلال الدين » (القسم الثالث . الإصلاح عند مولانا ، مولانا وقضية المرأة – ص ٢٠٩ – ٢١١) .

ونكمل هذا الحديث بالرواية التى وردت عند مولانا ويقول فيها ما فحواه :

« كانت فاطمة هاتون خاتون والدة أولو عارف جلبى ذات يوم فى طوقات ، حيث أبدت له حينئذ توقيرا واحتراما تجاوز كل حد ، وخرت ساجدة له ، وقبلت يده ، فما كان من كومج هانم ومعها طائفة أخرى من النساء إلا أن وجدن أن توقير الأم واحترامها لولدها قد عداطوره وتجاوز حده ، حينئذ قالت فاطمة هانم : ماذا عساى أن أصنع إذ لا خيرة لى فى أمرى ، إننى لا أنزله منزلة الولد ، إنه شيخى ، وهو عندى بمنزلة مولانا ، لقد تركنى مولانا له وكلما رأيته فكأنما رأيت مولاى ، ثم ما لبثت أن أعدت فى تلك الجمعة مجلس السماع ودعت إليه النسوة أجمعين ثم أخذ جلبى ينشد هذه الرباعية لسلطان ولد أثناء السماع وهو فى لجة الوجد والنشوة والهيام : « نحن أرواح لطيفة ، ولكن لا سبيل إلى النظر إلينا أو رؤيتكم إيانا . نحن نرى فى هذا المكان بيد أننا فى عالم اللامكانية . وإذا ما أمطنا اللثام الموجود بحثا عن وجوهنا فإن العقل سينطمس ثم ينمحى ويتلاشى ، وكذلك الشأن بالنسبة للفكر والفؤاد (الديوان : ص ٥٨٧ – رباعية ٢٣٨) . وبعد مدة أخذ ينشد هذه الرباعية :« إن خميرة العشق تمتزج بخميرة الفؤاد ثم تعجن الأرواح معها . إن العشق ما هو إلا ريح لطيفة تهب من عالم الأزل ، وإذا ما وقع ظل العشق فى عقل أى شخص كائنا من كان فإنه ما يلبث أن يشبه الشمس ، وسرعان ما يستحيل روحا من رأسه حتى أخمص قدميه »وعلى كل حال فإن أولو عارف جلبى لم يكن وحده فى مجلس السماع ، بل كانت هنالك طائفة من النسوة ممن يغشين هذا المجلس ، وإن ولوع جلبى بالخمر لم يكن يجعله يولى أهمية للقيود الطاهرة .

وإذ ما أمعنا النظر مليا فى صداقته بخليفته « باراق بابا » لتيقنا أن هذا يجلى لنا بوضوح تام أن المولوية قد اصطبغت بصبغة باطنية خالصة إبان عصر الانتشار وذيوع الصيت . وإن استكتاب أفلاكى أحمد لكتاب مناقب العارفين ليعد من أهم خدمات جلبى ، فكان يفكر فيه وهو على فراش الموت وتفوه بتمامه وكماله . وقد أثبت أفلاكى الوقائع والأحداث التى وقعت إبان حياة مولانا وحياة ابنه ، وهو يذكر أسماء الرواة فى كثير من الأحيان ، أما فى زمن أولو عارف جلبى على الخصوص فإنه كتب كثيرا من الأشياء التى رآها إبان رحلاته وجولاته .

ولا يجوز لنا أن نختتم هذا البحث دون أن نسجل ما يأتي : لقد فكر أولو عارف جلبى مليا فى واحد من أتباع مولانا المقربين إليه بعد وفاته وقال إن سلطان ولد لم يكن شيئا مختلفا ، ومن ثم فقد اجتمع سلطان ولد وسائر الخلائق حول جلبى حسام الدين إبان حياة مولانا . وبدأ سلطان ولد يمثل المولوية عقب وفاة جلبى حسام الدين . وكانت هذه أول نواة ملقاة للسلطنة الأخلاقية منتقلة من الأب إلى الابن ، أو منتقلة من نسل وسلالة الكبير إلى الكبير ثم كان انتقال أولو عارف جلبى إلى هذا التمثيل بعد رحيل سلطان ولد ، ثم أتم هذه النزعة على الوجه الأمثل ، وكانت تكية مولانا مركزًا للسلطنة الأخلاقية ثم أصبحت سلالة « خومكار أغوللر » هم وحدهم الممثل للسلطان الأخلاقى ، أما أصحاب المناقب فلم يكن لديهم شيء سوى إظهار الرغبة فى عدم قدرتهم على إقناع الصوفية بهذا ومن ثم كان نصيب السلطنة الأخلاقية عندهم مقتبسا من المادة ، أما من الناحية الأساسية فكانوا ينعتون مولانا بلقب : مولانا الأعظم « مولانا بزرك » أو سلطان العلماء ، وينسبونه إلى سلالة الخوارزم مشاهين ومن ثم كان زواج أبى بكر السرخسى بحفيدته ، وكانت هذه السيدة ونعنى بها فردوس خاتون كانت مستفيدة من تكوين سلالة شمس الأئمة أبى بكر محمد السرخسى ، وهذا يدل على أنها سلالة الخليفة الأول أبى بكر الصديق – رضى الله عنه – وعليه فإن ابنه بهاء الدين قد تخلص بمخلص « ولد » بسبب احترامه وتوقيره لأبيه وارتباطه به ارتباطا وثيق العرى ، ومن ثم فإنهم لم يبدءوا بذكر اسمه قائلين « سلطان ولد » وهكذا عضدت السلطنة الباطنية بالأصالة المادية [1] .

الهوامش

(١) هو في الأصل أمير عارف وإن كلمة أولو ULU تقابل كلمة أمير في اللغة التركية .

(٢) الأبدال هم : من يسمون بالصوفية الأربعين ، ويدعون بالسبعة في لغة الشعب ، وهم سبعة ، أو أربعون نفرا ، ولقبوا هذا اللقب لأنهم إما أن يكونوا قد بدلوا أرواحهم إلى الأشياء النفيسة ، يعني أنهم انتقلوا إلى الأشياء النفيسة ، أو لأنهم استطاعوا أن يظهروا الأبدال لأنفسهم عندما تمنوا ذلك ، أو لأنهم كان يتسنى رؤيتهم في أماكن كثيرة في غضون لحظة من الزمان .

(٣) الأقطاب : هم رؤساء طائفة الصوفية ، أما قطب الأقطاب فهو الوارث الحقيقي لمحمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) بتهان شوكه روى توبرما مبارك أست ∴ نظارة توبرهمه جانها مبارك است .

(٥) هو من أسماء الله تعالى ، وهو أعظم الأسماء ، ويقبل هذا الدعاء الذي يذكر في هذا الاسم ويسمونه الاسم الأعظم .

(٦) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية : ص : ٢٤٠ .

(٧) انظر : عبد الباقي جلبنارلي : حياة يونس أمره : استانبول سـ ١٩٣٦م ، مطبعة دار الكتاب ، وذلك للتعرف على باراق بابا الذي قتله السكان المحليون في جيلان عندما ذهب هنالك سفيرا للمغول سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ - ١٣٠٨ م) .

(٨) جويكى ساغر مردى ذى همايار برارم ∴ دوجهانرا ونهانراهم ازكان برارم .

(٩) بوتبغ أجمل حمل سيرها هيج است ∴ وأين محتشمي سيم وزرها هيج أنت
دريتك وبد زمانه كردم نظرى ∴ نيك است كرميك است وتكرها هيج است
درست أجل كه نيست درمان أورا ∴ برشاه وزرهت مرمان أورا
كون أن مليكى كه ملك كرمان ميخورد ∴ أمروزهم خورد ندكرمان أورا
شاد مطالب كه حاصل عمر غم است ∴ هرذرره ذى فاك كيكيا دوجم است
أسباب مراد وحاصل عمر دراز ∴ خواب وخيال قريب ودم است

(١٠) عشاق قدم جو دروه نيست نهند ∴ ازهتى غيردوست كلى بيراهند زين زندكى مزورتا برجاى ∴ فانى كر ندو أيكانه بيجهند . هذا وقد ورد خطأ في رباعيات أولو عارف جلبي : ص ١١١ ، رباعية ٣٨ ، وذلك في المصراع الأخير F. uzluk ، وجاء هذا الخطأ على هذا النحو « فانى كردند ودر بقاى بانى نهند » وقد كتباه بالشكل الصحيح كما ورد في مناقب العارفين . ولما ترك هذا الشيخ حينًا من الزمان بسبب شيخوخته سقط هذا الرجل المسكين الذي لم يعتد الرجوع إلى الأرض ، وانبعث الإرغاء والإزباد من

فمه ، ثم ما لبث أن مات في اليوم التالي ، واعتبر مسعود بك أن هذا ضرب من المعجزات الخوارق ، ووهب جلبي خمسة عبيد وجارية وعشرة جياد ، وعشر قطع من الجوخ الرقيق ، وثمانية غيرها من قماش صوف ، فضلاً عن مقدار كبير من الذهب والفضة ، وأصبح ابن هذا الشيخ ويدعى شجاع الدين مريدا للشيخ أولو عارف جلبي (توفي شجاع الدين بعد عام ٧٠٩ هـ - ١٣٢٩ م) (B ٢١٤ - A ٢١٥) وكان دكزلي أميرى شجاع الدين إيناج بك من الموقرين للشيخ أولو عارف جلبي « كانت إمارته بعد عام ٧٢٠ هـ - ١٣٢٠ م » وذات يوم كان الأمير ابنانج بك في معيه أخيه دوغان باشا ، ثم استدعى جلبي في حضور وجهاء المدينة وأكابرها ، وقد لبس جلبي في هذا اليوم قلنسوة بيضاء ، وبينما كان جلبي ممعنا في التفكير إذا بابنانج بك يقول : لو أعطاني جلبي هذه القلنسوة ولبستها تحت الخوذة ، وحينئذ نهض جلبي من مكانه ودنا منه وخلع قلنسوته ووضعها فوق رأسه ، وقال إن هذه أيكة حسنة وأنت ستلبسها تحت الخوذة في أيام الحروب (A ٢١٨) .

(١١) درهما همه لستتد الأدرتو ∴ تارة تبرد غريب إلا برتواى ركرم وغزت ونور افشاني ∴ خورشيد دمه وستار كان شاكرتو .

هذا وتوجد هذه الرباعية الآن في حجرة مدير المتحف وفي حجرة أولو عارف جلبي المتاخمة لقبر مولانا ، وقد علقت على حائط فوق نافذة المدير نيازى عند قبر مولانا .

(١٢) ترب الرجل هو الذي ولد معه وعمره مساو لعمره ، ويعرف في التركية باسم Yas , iT المترجم .

(١٣) سورة هود : آية : ١٤٦ .

(١٤) قصة مشهور ودرميان خلقه صدور مذكور كه حضرت سلطان العارفين جلبي عارف روى الله رمسه ، وطيب نفسه ازكبار أبدال وكمل رجال حال بود ودرخراب عالم صورت سايه منو مخماره دردر جلباب جام جم وجادر سافر ساغراق استغراق شاهد معني خودرازديده نا محرمان مستور ميد شت .

(١٥) دوره خدا تصرف ايناز مكن درعيب كسان دوديداره باز مكن .

سردل هر بنده خدا ميداند ∴ در خودبيني كر فضول أغاز مكن .

(١٦) هر جير كه ون خوشست ، هي است ملام ∴ قامي نشود دليل ابن مردم آم .

ورنه مي وجنك صورت خوب وسماع ∴ برخاص حلال أست بر آم حرام

(١٧) أنهاكه برآسمان دولت ماه أند ∴ برتخه شطرنج ملامت شاه اند

وأنهاكه ذى سراى ابن نحن آكاه اند ∴ كم راه خلايق اند وجود برود أند

(١٨) اتان كه درين رده باى تلبيسند ∴ اندكه قطر أهل صفا ابليسند

درمستار عاشقان أكر راست روى ∴ در صفحه تو أبت سر بيوسند

(F 'uzluk ، رباعيات عارف جلبي ، ص ١١٩ ، رباعيات : ٢٢) .

(١٩) يسوزانم سوداى جنونزا ∴ درم أشاميم هردم موجه خونزا . (الديوان الأكبر)

(٢٠) تاجان يودم جرغم جان نخورم ∴ أى فضل تاله فم وغم أن نخورم

علم وهذ من قدح مدح باشد ∴ وأن ينر نجور ازكف سلطان تخورم

رباعيات أولو عارف جلبي : ص ١٠٠ ، رباعيات : ٥٨ وفي هذا الكتاب ثلاثة مصاريع كتبت خطأ على هذا الشكل وذلك يحسب رواية أفلاكي الصحيحة .

(٢١) للمزيد من المعلومات عن نجم الدين دابه انظر : ترجمة النفحات : استانبول (١٢٨٩ ، ص ٤٩١ – ٤٩٢ – الطبعة الثانية من كتاب مولانا جلال الدين :ص ٢٣٩ – ٢٤٠ ، رسالة الملامتيه ورسالة الفتوة وتفسير الحقائق لمؤلفه أبي عبد الرحمن السلمي . وقد استكتب مولانا المسمى فخر الدين ديود ستة لتفسير السلمي (أفلاكي ١٥٢ – A ١٥٣ ومولانا جلال الدين ط ٢ : ص ٧٥) .

(٢٢) هركورته كه دست صبر حلاكشن كرد ∴ أزماتم ولنجه غم جاكشن كرد در

وزوى أب روى آكشن ميبرد ∴ امروز كتون ياد أهل خاكشن كرد .

(٢٣) بر دركه وتتك مجالست حيهان ∴ انموذج حالي ومجالست حييهان

بيدار كس داربن جيهان ممكن نيست ∴ درياب كه خواب وخيالست جيهان .

(٢٤) سورة الحديد : أية رقم (٤) .

(٢٥) جـ ٢ ، ص ٣٤ ، جـ ٧ ، جـ ٢ ، جـ ١٨ ، ص ٥ ،، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٢٦) من المحتمل أن تكون هذه التكية هي التي شيدها أبوها فخر الدين في العراق : انظر ترجمة النفحات : ص ٦٧٢

(٢٧) أب كرم بمعنى ilgin أو معناها : السراب .

(٢٨) هي العصا المثنية ، وتسمى بالتركية Cevgam .

(٢٩) مطلع غزلية لمولانا يقول فيها : دلبر بى دلى أسرارما أست ∴ كار كارما أست جون يا رماأست

(٣٠) أفناب أفتانيد أوليا ∴ أفناب ازنور شان كيرىحينا.

(٣١) هو نفس أواز عشق ميرسد أزجب يواراست ∴ ما به فلك ميروم عزم تماشا كيراست

(٣٢) يقول أفلاكي : إن أحمد فقيه هو أحد الدراويش ، وقدم إلى قونية وأقام في موضع يسمى « باب أحمد » وكان يرفع عقيرته بالصباح عند مرور مولانا ويقول : انفتح أيها الطريق فإن الكنز السائر قد أقبل ، ثم يهم بالسجود (A 105) ونعلم من شاهد القبر الموجود على قبر فقيه أحمد بقونية أنه توفي في عام ٦١٨ هـ – ١٢٢١ م أي قبل مجيء سلطان العلماء بسبع سنين وعلى هذا الرأى إما أن تكون رواية أفلاكي خاطئة ، وإما أن يكون هنالك فقيه أحمد أخر ، والشيء الغريب أن أفلاكي قد كتب أن تاريخ وفاته هو ٦١٨ هـ وأن مولانا قد صلى عليه صلاة الجنازة (B ١٠٥) .

(٣٣) جون تنمز ابخورد خاك لى جون جرعه ∴ يرسر جزخ جهد جان كه مجسم نورم

أى جرت خوبان جهان روى خوشت ∴ وى قبله زاهدان دوابروى خوشت

عريان كشتم ذى جملة أوصاف مرا ∴ تاكوته خورم بورهنه درى جوى خوشت

(٣٤) اون وقت كله يجر كل شود ذات مرا ∴ روشن كردد جملة ذرات مرا

أون ميسوزم جو شمع تادرة عشق ∴ يك وقت شود جمله اوقات مرا

يس يونس روحي ومثال وما هي ∴ أزكى متن جست درآن أب حيان

(٣٥) عارف جلبي كه رست ازقيه حيات ∴ درذات نظر كرد بيرون شودذى صفات

(٣٦) عارف جلبي قوف همتاشن نيود ∴ درينج جيهان جوكنج لنجاش بنود

دركون ومكان به لا مكان نقل كيزيد ∴ زيراكه دراين منزل قون جاش بنود

(٣٧) آية : ٩٢ : سورة آل عمران .

(٣٨) آية : ٨١ : سورة التوبة .

(٣٩) آية : ٧٨ : سورة التوبة .

(٤٠) آية : ١٢٧ : سورة التوبة .

(٤١) آية : ١٣ : سورة الحشر .

(٤٢) لا فتى إلا على باش دراين هيجا اكر ∴ سيم وزره فرلا كوى سرتوا نخوا بدن .

(٤٣) بها ريازر سيد وجو خلد كشت رياض ∴ فكر ذى صنع يا صانع زهى شه فياض

(٤٤) هو صوفي مشهور ، كوفي خراساني .

(٤٥) كرتو فقير حالي قول غزل هاكن ∴ عاشق شويى برادر علم وعمل رهاكن

علم كه بحر جاهست ميدان كه عيني جاهست ∴ بى جان عمل مته ، آمد فكر وعمل وهاكن (A 189)

(٤٦) بى زن در عشق مولانا جو عارف ∴ به نامه لا أبالي طبل وسايمق (B 182) .

(٤٧) جه بى نام وبنشانى أبى دل أبى دل ∴ جه بيداونها فى أيى دل إيى دل (A 183) .

(٤٨) در ماية أرواح يود ماية عشقً ∴ باداست لطيف در أزل وأية عشق

ما ننده خورشيد همه جان كردد ∴ أون كس ته كله فنادبر سرش ساية عشق

ولا وجود لهذه الرباعية في الديوان الكبير ، ولا في ديوان سلطان ولد ، ويتوجب أن تكون لأولو عارف جلبي .

(٤٩) لم يقل مولانا لولده في أي وقت من الأوقات « يا سلطان ولد » ويقول في إحدى رباعيته « ما أجمل عادات محمد ، إنه لم يتركنا وحيدين في ليالي الظلمات » ، وهكذا كان يناديه باسم محمد (انظر : عبد الباقي كلينارلى : رباعيات منتحبات ، الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية .

جـ ١١ ، استنابول سنة ١٩٤٥ م ، ص ٣٤ ، رباعية XCID) ويقول في رباعية أخرى ما فحواه .

« أنت سلطان ولد من جهة اللقب ، بيد أنك أنعمت بالإحسان على الأرواح المنسوبة إلى السلطان الأبدي ، فحذ حذرك ، ولا تحطمن زجاجة الوفاء ، هل كسرت الزجاجة وهي تغوص على قدم السكارى والثملى » .

أجرد هى أرواح سلطان ابد ∴ كرحه بالقب بها بى دينى وولد

مكزار كه ساغز وفادر سيكند ∴ جون شيشه شكست باية مستان بى خلد

وهذه الرباعية موجودة في نسخة الديوان التي عندنا (B ٣١٧) حيث يذكره بلقب بهاء الدين بصورة مباشرة . أما أفلاكي فميزه بقوله « مولانا ابن مولانا وسلطان المحققين ، ومظهر أسرار اليقين وولد بهاء الحق والدين . نورك الله بنوره الأبدي المؤيد » (A ١٩٧) . أما سبهسالار فيقول عنه « إنه سلطان المحبوبين ، ومعشوق الأولين والآخرين » . بيد أن كليهما قد ذكره بلقب « سلطان ولد » فقط . ويفهم من هذا أن هذه الكلمة قد انبثقت في الوجود بعد تأسيس السلطنة المولوية وتعقيد أعرافها وتقاليدها .

الفصل الخامس

الشلبيون بعد وفاة أولو عارف جلبى

شمس الدين أمير عابد جلبى - الشلبيون بعد أمير عابد جلبى .

شمس الدين أمير عابد جلبى :

أحل أولو عارف جلبى فى أخريات عمره أخاه شمس الدين أمير عابد محله ، وأبلغه بانشغال المريدين وأعمالهم . وقد ورد بيت فى ديوان سلطان ولد يقول فى حق شمس الدين أمير عابد « هو أميرنا وشمس سماواتنا وسروة الحدائق » (ص ٥٤١ - شعر ٥٩٤ ، ١١٤١٣) ثم يقول فى هذه الرباعية « أى شمس هذا ، إنه سر صاحب الجلال ، ياله من نور لطيف فى عالم اللامكان ، وهو فى النهاية شيخ وسوف يكون عظيما » .

إنه يمنح العلامات والآثار الدالة فى كل لحظة من عالم لا أثر فيه ولا علامة دالة وقد جلب من هذا العالم ألوفا مؤلفة من الجوائز إلى عالم الشعب ، وهو ضيف كالقمر الوضاء فى كل ليلة يمد المائدة بنوره وتضيء الدنيا بنوره ، وهو المرشد والدليل لكل قافلة ، حيث يصل كل واحد إلى نزل ضيافته يقاسى من الهموم والأحزان ، ويتخلص منها ثم يبلغ النشوة والسرور ولسوف يكون سلطان العالمين ولسوف يراه الله ويراقبه بعين رعايته » (ص ٥٤٢ ، ١١٤١٧ ، ١١٤٢٣ ، ١١٤٣١) ومما لا مرية فيه أن هذا الغزل قد قيل فى حق شمس الدين أمير عابد .

وقد ورد في مناقب العارفين أن أمير عابد جلبي قلندري المشرب والمذهب قد تخلص من قيود الدنيا وأصفادها ، ولم يتبع سبيل أهل التقليد ، وهو دائما رفيق مصاحب لحال ذاته ونفسه ، وصاحب الإشارات السلطانية ، لا يتردد في توبيخ المنكرين وسلقهم بألسنة حداد ، وكلما سمع اللائمين أنشد من فوره أشعار مولانا التي يقول فيها « أتعلم لماذا يكون نباح الكلاب قرية الرضا والقناعة ؟ إنها تُخيف وترهب من هو عديم الأدب والعفة أو من هو رعديد جبان مخلوع الفؤاد . كلا ، إن كلاب الحي لا قبل لها بتحريك الفؤاد الذهبي لعاشق هذا الطريق (١) .

وثمة واقعة مدونة في هذا الكتاب عينه تخص عابد جلبي وهي على النحو الآتي :

كان في قونية شيخ يدعى شيخ باشا وهو من أهل الرياضات الروحية ، يعيش ويقتات بخبز الشعير ، وكان ينكر السماع .

وكان هذا الرجل يقبع مختفيا في زاوية إبان عصر أولو عارف جلبي ، ثم ذاعت شهرته وانتشر صيته بعد وفاته وصادف أمير عابد جلبي هذا الرجل بضع مرات في الطريق ، ولم يكن شيخ باشا يسلم حتى على أمير عابد جلبي ، مما جعل الأخير يضيق ذرعا به في إحدى هذه اللقاءات ، وما كان منه إلا أن ضرب رأس شيخ باشا ثلاث مرات بالسوط الذي في يده ، وسرعان ما اعتلت صحة شيخ باشا الذي بلغ أرذل العمر ، ووهنت عافيته بسبب الرياضات الروحية وانعقد لسانه ، ولما هم رجاله بالتمرد ورفع راية العصيان ، وجد القاضي تاج الدين قلمشاه أنه موافق على تطاوف أمير عابد جلبي على شيخ باشا بغية تسكين ثورة الناس وتهدئة حالهم ، وجاء أمير عابد جلبي فطيب خاطر الرجل ، وعندما هم بالخروج كانت المنية قد وافت باشا ودفن في سلطان باغجة .

وقد تحدث أفلاكي عن عدم قص أمير عابد جلبي لشاربه بحسب ماتقتضيه السنة ، إذ كان يغطي فاه بصورة تامة ، حتى أن أفلاكي ذهب لزيارته ذات يوم في معية أمير ظاهر الدين ولد وتاج قيزيل ، ثم صعدوا إلى جلبي أفلاكي بحدة وغضب إلى شاربه الطويل وقال : أنت شيخ ولست فارسا ما هذه الشوارب الطويلة ؟ فأجاب

أمير عابد قائلا : إن شواربى طويلة أما أنت ففى عينيك شعر وطمعك كثير إن تسوية الشارب سهل ميسور .

أما الشعرة النابتة فى العين فإنها تشبه داء السل الذى لا سبيل إلى التداوى أو البرء منه .

خرج عابد جلبى قاصدا السفر والترحال إلى سلطانية فى أيام سلطنة أبى سعيد بها درخان ١٣١٦٠ م = ١٣٣٥ م) ، بيد أنه انكفأ راجعا من تبريز مغاضبا بسبب عدم الاهتمام به ، وقد دون أفلاكى إبان روايته لهذه الواقعة الرد الذى أجاب به مولانا عن سؤال معين الدين بروانه قائلا : أما قولهم إنهم جنودنا فإنهم بهذا يهينون المغول ، ويقولون بزوالهم فى المستقبل القريب ، كما أنهم قالوا بزوال الإيلخانيين ومحوهم مع غيرهم من المغول ، وهذا يبين سبب غضب عابد جلبى واحتدام غيظه (٢٤٧ - ٢٤٨) . أما أبو سعيد بها درخان فإنه نزع إدارة حكم الأناضول من أحد أمراء جوبان أوغللر ، كما منح الخلافة إلى تيمور طاش ، بيد أنه يفهم من تعبير صريح لأفلاكى أنه أخذ قونية من يد سلالة قره مان أوغللر سنة ٣٢٠ م وقد شرحنا فى مدخل كتابنا هذا كيف كان تيمور طاش شديد التعصب ، وقد اتبعه العلماء والمشايخ كلهم أجمعون ، حيث كانوا يفدون إلى زيارته كثيرا ، أما تيمور طاش فكان لا يغشى مجلس عابد جلبى إلا لماما ، ويفيد أفلاكى أن هذا كان سببا فى إهانة تيمور طاش لعابد جلبى ويتوجب أن نضيف إلى هذه الرواية كذلك أن العلماء والمشايخ كانوا يناهضون أمير عابد جلبى ويناصبونه العداوة والبغضاء بسبب إدمانه الخمر وغلوه فى نزوعه إلى اللامبالاة وعدم الاكتراث .

وفى النهاية صار تيمور طاش رجلا شديد التعصب . وبعد فرار أحد المقربين من تيمور طاش إلى مصر سنة ١٣٢٧ ، استمر تيمور طاش حاكما مستقلا على منطقة الأناضول ، وفى عام ١٣٤٣ انهزم جوبان أوغوللر ، ومهدت هذه الهزيمة إلى منح عهد من السكون النسبى الذى غشى أرجاء الأناضول واستمر حكم الأمير آرتانه حتى عام ١٣٥٢ ، ولقبه الناس بلقب Kose peygomber ومعناه النبى الأجرد قليل شعر اللحية ، وعهد إلى عابد جلبى بإرسال السفارات إلى الأقاليم المتاخمة .

وإذا كان الأمراء قد قبلوا دعوة عابد جلبى فإنه قد نجح فى الاستحواذ عليهم من الناحية الإدارية ، وإذا رفضوا دعوته فستكون دفة الأمور فى يده ، وسينأى جلبى عن قونية وسوف تنتهى الشائعات وينفد القيل والقال ، وقد عهدوا بهذه المهمة أول الأمر إلى أفلاكى ، وإذا لم يقبل جلبى هذا فإنه سيضطر فى النهاية إلى الرحيل ، ونستخلص مما كتبه أفلاكى أن هذا الوضع كان أحد الأسباب لعدم بقاء أى شخص على الإطلاق ، ومن ثم كان هذا سببا فى عودة عابد جلبى إلى قونية ، وعليه فقد ولى الجميع وجوههم شطر مملكة الشام ، وكانت عودة أمير عابد إلى قونية بعد عام ١٣٢٧ (٢٤٦) وقد توفى أمير عابد جلبى فى يوم الأربعاء الخامس من شهر المحرم لسنة ٧٣٩ هـ - الموفق للثالث والعشرين من شهر يوليو لسنة ١٣٣٨ م ، ثم ووری الثرى بإزاء أخيه أولو عارف جلبى .

الشلبيون بعد رحيل أمير عابد جلبى :

آلت مشيخة الطريقة الشلبية بعد وفاة شمس الدين أمير عابد جلبى إلى أخيه حسام الدين واجد جلبى ، ويدون أفلاكى أن واجد جلبى لم يمكث سوى مدة وجيزة فى هذا المنصب ، ثم أدركته المنية فى نهاية شهر شعبان سنة ٧٤٢ هـ (٧ نوفمبر سنة ١٣٤٢ م) ، وتقلد المنصب من بعده أمير عالم بن أولو عارف جلبى ، وخرج أمير عالم فى رحلة طويلة وظل يتكبد مشقة الغربة بضع سنين ، بيد أنه لم يأت إلى قونية ، ومن ثم فإنه لم يتسن له أن يتبوأ منصب المشيخة الشلبية وشغلها الآن عابد جلبى نيابة عن أمه وأبيه وأخيه ، ولا يوجد قبر الأمير عالم جلبى فى الجبانة ، ومن ثم ظل ميتا فى الغربة ، ولم يتخلف عالم جلبى قط عن أى رحلة من رحلات أبيه لأى سبب من الأسباب ويسجل أفلاكى إبان بحثه فى حياة عابد جلبى أن عالم جلبى كان موجودا مع أبيه إبان مكثه فى تبريز وصحبته لخد أوندكار زاده ، كما أنه ذهب مع أبيه إلى التركستان عن طريق البحر من ميناء سينوب وذلك إبان قفوله عائدا إلى قونية .

ولكن لماذا لم يتخلف ولماذا ذهب إلى التركستان ، هل قُلد وظيفته هناك ؟

ولماذا لم يرغب فى العودة إلى قونية بعد ذلك ؟ أكل هذه أشياء مجهولة ؟ وتنتهى إلى هنا مناقب العارفين لأفلاكى ، ويأتى بعدها مصدر واحد موجود الآن بين أيدينا يتضمن معلومات فى حق الشلبية : فقد ظهر فى سنة ١٧٣٥ م كتاب يسمى « سفبية المولوية » فى ثلاثة أجزاء ، ألفه الشيخ الشاعر ثاقب مصطفى دده شيخ التكية المولوية فى كوتاهية (مصر – المطبعة الوهابية سنة ١٢٨٣ هـ) .

وقد كتب ثاقب مصطفى دده أن أمير عالم الثانى بن عابد جلبى قد حل محل أمير عادل جلبى المتوفى سنة ١٣٦٨ م ، وفى عصر هذا الرجل نشبت الحروب بين سلالة تيمور ذاش أوغوللر بن الأمير ظاهر الدين ولد تاج قبزيل الذى لو كلف السلطنة آنذاك لم يكن ليقبلها (جـ ١ ، ٢ ، ١٢٥) ولكن تيمور طاش لم يكن موجودا فى الأناضول بداءة من عام ١٣٢٧ م ، وكان علاء الدين آرتانة حاكما على منطقة الأناضول الوسطى والذى سماه الشعب « كوسه بيغمبر » .

وقد تقاتل آرتانه مع جوبا نليلر فى عام ١٣٤٣ م ، وهذا يعنى أن أمير عالم قد هزم هؤلاء الموجودين بجوار سيواس دون الاستعانة بجلبى ، ثم أدركته المنية سنة ١٣٥٢ م قبيل خلافة الأمير عالم ، وحل محله ولده الأصغر غياث الدين محمد والذى قتل بدوره على يد الأمراء سنة ١٣٦٥ م . وأعلن ولده علاء الدين عالى أميرا على البلاد وكان خليل أوغلو علاء الدين هو أمير قره مان فى غضون تلك الحقبة من الزمان ، وأصبح هذا الشخص أميرا فى سنة ١٣٥٦ م ، وتزوج نفيسة سلطان ابنة مراد الأول من سلالة عثمان أوغوللر ، وفى سنة ١٣٩١ ، هزم هزيمة نكراء فى الحرب التى نشبت بين العثمانيين فى إقليم كرميان ، وقتله طاش باشا .

ونحن نعلم كذلك أن ثاقب دده قد خلط بين كل من تيمور طاش باشا وجوران أوغلو تيمور طاش أمير المغول ، كما خلط كذلك الوقائع والأحداث التاريخية أما وظيفة السلطنة فقد بدأت من إبراهيم بن أدهم ، وتكررت عند سلطان العلماء كماتوجد رواية ملفقة تتحدث فى حق كثير من الشيوخ وفى حق مولانا وديوانه محمد جلبى ، وهذه الرواية ترغب فى أن تكون السلطنة مادية خالصة عند الصوفية ، أو بمعنى أصح أنها

مقتنعة بأن السلاطين يستطيعون بلوغ مرتبة الولاية ، وهذا يعنى أن هذا شيء يتمخض عن الأصالة الدينية الخالصة .

ثم يقول ثاقب دده : إن أهل قونية هم الذين أطلقوا على عالم جلبى هذا الاسم وخلعوه كذلك على الأطفال المولودين حديثا ، وكان فى أثناء السماع يهب ثيابة للعازفين ، ويؤكد على عزفهم من جديد ، وثمة افتتاح يتصل بحل القضايا العلمية التى لا يتسنى فهمها عن طريق التوجه إلى قبره وتوفى أمير عالم جلبى سنة ١٣٩٥ م ، وحل محله أمير عادل جلبى بن اولو عارف جلبى وجاء عارف الصغير بعد أولو عارف جلبى ، ويفهم من هذا أن اسمه فى هذه الآونة كان عارف الثانى ، وصادف هذا استيلاء تيمور Temur على الأناضول سنة ١٤٠٢ م ، كما يصادف كذلك عصر علاء الدين أوغلو محمد الذى ينحدر من سلالة القره مانيين .

يقول ثاقب دده : لقد كان هذا الشخص مولعا بالتطواف والتجول مثله فى ذلك مثل جده أولو عارف جلبى . وتفوى جلبى عارف الثانى سنة ١٤٢١م ، وانتقل بير عادل جلبى بن أمير عالم الثانى إلى مقام الخلافة الشلبية بعد وفاة جلبى عارف . وكان مفردا بين الشلبيين ، ومن ثم فإنهم كانوا يسمونه عادل جلبى أو أمير عادل الثانى أو عادل الصغير أو الشيخ عادل . وإن كان ثاقب دده يدون فى كتابه أن قونية قد احتلت من قبل عثمان أوغوللر إبان زمن الشيخ عادل جلبى ؛ فإنها قد استردت عقب وفاة هذا الشخص بست سنوات أى فى عام ١٤٦١م .

ثم يقول ثاقب دده : إن السلطان جلبى محمد منسوب إلى أمير عادل مثله فى ذلك مثل السلطان العثمانى الذى كان منتسبا إلى سلطان ولد ، حتى أنه يحيطنا علما بأن طائفة كثيرة من أكابر القوم ووجهائهم قد صاروا من المولوية ، كم أنه يسأل عن السبب فى إرسال محمد الأول الهدايا مقرونة بإحدى الرسائل عندما حل جمال الدين جلبى محل أخيه عادل فى الأزمنة المتأخرة ، ويدون ثاقب دده كذلك أن السلطان كان يقول : إن عارف جلبى هو شيخنا ونحن له من المريدين وكانت وفاة السلطان بعد بير عادل (ص ١٣٣- ١٣٧ - ١٣٩) وكل هذا خطأ صريح ، لأن وفاة بير عادل كانت فى سنة ١٤٦٠ م ، أما وفاة محمد الأول فكانت سنة ١٤٢١ م .

ولقد اعتمد ثاقب دده على روايات شفاهية ، وخاض فى معلومات ملفقة مزيفة جمع مادتها العلمية من هنا وهنالك . لقد انبثقت أركان وآداب المولوية فى الوجود نتيجة اتحاد وتآلف أسس الجذب والعشق التى وضعها شمس بتأثير قواعد وأصول الطريقة النقشبندية معتمدة على النواميس والأعراف والتقاليد المولوية ، ثم ما لبثت أن وُضعت فى طريق التجلى والظهور إبان عصر بير عادل جلبى ، كما أن ثاقب دده يذكر بضرورة حماية هؤلاء المولوية والذياد عن حوزة الطريقة ، وقد سبق أن جلينا آداب وأركاب ونواميس وطقوس المولوية ، وكانت هذه المعلومات من الضرورة والأهمية بمكان عظيم ، كما بينا كذلك السبب الذى من أجله لقب عادل جلبى بلقب « بير » أى شيخ الطريقة .

إن عصر تأسيس المولوية وشيوعها وذيوع صيتها قد انتهى فى رأينا عند هذا الحد ، وكان ثمة دور فى الانتشار والذيوع بعد هذه الحقبة المبكرة تمثل فى الشيوخ والشلبيين الآخرين أكثر من شلبيى قونية ، ثم بدأت بعد فترة وجيزة من الزمان الصراعات الداخلية فى الطريق بسبب الأوقاف والطريقة الشلبية ، وعليه فلم نُر بعد شخصية الحقبة المبكرة ولسوف نذكر فى هذا القسم الأشخاص الآخرين الذين اضطلعوا بنشر الطريقة المولوية ، كما سوف نبحث ونناقش بعد حين أحوال الشلبيين الذى جاءوا بعد بير عادل .

الهوامش

(١) أنه المقبول ، هو زين المحافل المولوية ، وشيخ المجامع الأولية وناس موس حكم اليقين أوركان غبره البيان وآداب اللطائف ، وكان مصدر توحيد المعرفة لمجمع العظماء لطيف فى كل آن ، محب للوطن وللخلوة (ص ١٣٤) .

الفصل السادس

أسماء من اضطلعوا بنشر المولوية من غير شلبية قونية

ديوانه محمد جلبى - سلالة محمد جلبى - هل هو سلطان ديوانى ، أم سلطان ديوانه - حياة ديوانه محمد جلبى - نقد السفينة - مذهب محمد جلبى ومشربه - شعره - خلفاؤه - الشيء الذى اضطلع به - جلال الدين اركون جلبى - يوسف سينه جاك - الذين رباهم ونشأهم يوسف سينه جاك

ديوانه محمد جلبى :

تأسست المولوية على يد كل من جلبى حسام الدين وسلطان ولد ، ثم بدأت فى الذيوع والانتشار على يد أولو عارف جلبى ، ناهيك من هؤلاء الذين تبوءوا مقام الشلبية فى قونية إبان عصر الذيوع والانتشار ، يستثنى من هؤلاء كل من : سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، وكان من بين هؤلاء من هم من أصحاب النفوذ القوى والدعاية المؤثرة ، ويأتى فى صدارة هؤلاء اثنان هما : ديوانه محمد جلبى وجلال الدين أركون جلبى .

أصل محمد جلبى :

يؤكد ثاقب دده أنه ينحدر من سلالة المولوية ، وهو ابن سليمان شاه الكرميانى ، وحفيد خضر باشا ، ثم يردف ثاقب دده قائلا : إن سليمان باشا شاه تزوج بابنة

سلطان ولد وتدعى مطهرة خاتون ، ونجم عن الزواج طفلان هما : خضر وإلياس باشا . أما ابن خضر باشا فيدعى بالى أو بالى محمد جلبى .

وقد ورد عند أفلاكى أن أسماء أحفاد سلطان ولدهما : خضر وإلياس باشا ، بيد أنه لا يوجد عنده ما يؤكد أنه زوج مطهرة خاتون بسليمان باشا وقد قلنا إبان بحثنا فى أولو عارف جلبى أنه التقى مع عليشير أوغلو يعقوب بك ، ويعقوب هذا هو جد سليمان شاه وكان يستحوذ على سائر الأراضى والطرق المستثناة والمساجد والجبانات فى الوقفية التى حددها (٧٩٥ هـ = ١٣٩٢ = ١٣٩٣) ومكتوب أنه أوقف أملاكه الكائنة فى هذه الأراضى على أولو عارف جلبى[١] .

وتفيد النقوش أن محمد بك هو ابن يعقوب بك ، وتوفى بعد عام (١٣٦٨م= ٧٦٩ هـ) كما يستدل من النقوش كذلك أن سليمان توفى قبل عام (١٣٨٧ م = ٧٨٩ هـ) وكانت مطهرة خاتون هى الزوجة الأولى لسلطان ولد ، وقد ولدت من فاطمة خاتون ابنة قويومجى صلاح الدين الذى كان على قيد الحياة عندما تزوج سلطان ولد بفاطمة خاتون ، وكان هذا الزواج قبيل عام من وفاته أى سنة ١٢٨٥ م - ٦٥٦ هـ[٢] .

وإذا كنا لا نعلم على وجه اليقين تاريخ مولد مطهرة خاتون ، وأن ثمة رواية صحيحة تعتمد على التواتر تفيد بأنها ولدت قبل عام ١٢٥٨ م ، فإن هذا يوجب بأن يكون سليمان باشا قد عاش عمرا مديدا . ونستفيد مما أشار إليه أفلاكى بأنه على حين كان أولو عارف جلبى فى دنيز فإن برهان الدين إلياس باشا كان يعمل حينئذ بسقاية الخمر (٢٣٦) ، وعليه فإن كلا من الخضر وإلياس باشا قد ولد قبل وفاة جلبى أى فى سنة ١٣٢٠ م .

وقد دون فى متحف قونية تحت رقم ٢١٥٨ ، وكذلك فى نهاية الفصل السادس ، ونهاية الكتاب المنسوخ فى سنة ١٤٠٦٤ تحت رقم ٨٦٩ ، وكذلك فى الصفحات الأخيرة من كتاب مناقب العارفين ص ٦٧٧ - ٦٧٨ ، وما ورد فى شجرة النسب المكتوبة بخط مختلف متباين ما يأتى : يوجد شخصان آخران يسميان محمد باشا وأحمد باشا بين كل من خضر باشا وبالى جلبى .

ومحمد باشا هذا هو ابن خضر باشا ، وأحمد باشا هو ابن محمد باشا . أما بالي جلبي فهو ابن أحمد باشا ، وتوجد هذه الشجرة بعينها مكتوبة على نفس الشاكلة في النسخة الموجودة والمكتوبة في رمضان سنة ٩٨٣ هـ = ١٢٧٥ م ، والمدونة تحت رقم ١٢٣١ ، وذلك ضمن المخطوطات الفارسية المحفوظة بمكتبة جامعة إستانبول (١٩٢) .

وهذه الشجرة مدونة تحت رقم ٣٢٠ ضمن كتب « حالت أفندى » بمكتبة السليمانية ، وتوجد نسخة مدونة تحت رقم ٤٦ في قسم الملحقات الخاص بحالت أفندى (١٩٣) وذلك في النسخة المملوكة للمدعو جلبي حسين (كانت خلافته سنة ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ) ، وقد وجدنا هذه الشجرة كذلك في طائفة كثيرة من النسخ [٣] .

ويتبين من هذه النظرة : أن شجرة النسب التي قدمتها السفينة خاطئة من أساسها .

ومن ثم فإننا مضطرون إلى قبول هذه الشجرة الصحيحة[٤] .

هل هو سلطان ديواني ، أم سلطان ديوانه ؟

عينه بالي محمد جلبي شيخًا على التكية المولوية بقره حصار ، وظل شيخًا عليها مدة عام إبان عصر أبيه بالي جلبي .

أما اسم محمد جلبي فهو الذي تولى منصب المشيخة في قره حصار مدة طويلة بعد وفاة أبيه ، وقد سبق أن بحثنا فيما سلف أن شجرة النسب تدلنا على أن اسمه ديوانه محمد جلبي ، وثمة صوان محفوظ [٥] في مكتبة متحف قونية تحت رقم ٢١٤٧ حيث يوجد في خانة الرسالة التيبداخلها E. 4. 10 مجلة بتاريخ ١١٦٥هـ = ١٧٥١م ، مكتوب فوق أحد أشعارها « حضرت سلطان ديوانه قدس الله سره ، وفوق شعر آخر « حضرت سلطان ضربات ديوانه أفندى قدس الله سره » ، ويوجد في الوقفية التي اتخذناها أساسا لترجمتنا والتي اضطلع بكتابتها عبد محرر لسلطان ولد ، وهي وقفية كتبت سنة ١٩٤٥ م في نهاية شهر جمادى الأولى من عام ٩٥٢هـ ، حيث ورد

فيها توقيع محمد جلبى أحد الشهود عليها ، وجاء هذا التوقيع على هذه الشاكلة « محمد بن محمد المشهور بديوانه محمد جلبى[٦] .

وبعد هذه القدر من الصراحة يفهم أن لقب سلطان ديوانى « محرف عن لقب ديوانه .

حياة ديوانه محمد جلبى :

تفيد أوثق المعلومات عن حياة ديوانه محمد جلبى أنه كان على آسال من أولو عارف جلبى من ناحية المذهب والمشرب ، وهذا ما ورد فى القسم الأخير من كتاب « كلشن أسرار » الذى دبجه أحد المنتسبين إليه ، ويدعى شاهدى .

ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد عنى فقط بإثبات مناقبه وكراماته ، ولم يعتن بتدوين الوقائع والأحداث التى عاينها وشاهدها . وإذا كان هذا الكتاب قد كتب لهذه الغاية مثله فى ذلك مثل أفلاكى فلأننا سنكون حينئذ أصحاب معلومات كثيرة فى هذا السبيل [٧] ولسوف نوجز فى هذا الصدد الأشياء التى رآها وسمعها شاهدى فى حق محمد جلبى سواء ما كتبه هو بنفسه أو تفوه به ، وفى هذا يقول :[٨] لقد التقيت بالشيخ المولوى فنائى إبان كنت فى الرابعة والعشرين من عمرى ، وفى تلك الأثناء كان أحد أولاد مولانا باشا جلبى جالسا على عرش قره حصار[٩] ، ثم جاء إلى اللاذقية ، وحينما وجدوا أفضل الجياد من كل جنس هموا بإحضارها وبيعها لباشا جلبى وكان يتاجر بهذه الجياد التى يشتريها ، وكان الأمير علم شاه ابن السلطان بايزيد الثانى موجودا فى اللاذقية ، وكان جلبى يجلب له الجياد .

ذهبنا إلى اللاذقية ، وكان الشيخ فانى دده شيخا على التكية المولوية فيها ، وكان الشيخ شياد فى مدينك كوجك[١٠] ، وذهبنا سويا إلى باشا جلبى ، وانتسبت أنا إلى الطريقة المولوية ، وفى تلك الآونة توجه إلى اللاذقية بضعة أشخاص ، وبحثوا عن محمد جلبى ، وقال والى المدينة كرنجى عالى : إن ما صنعه من عسل الخمر موجود فى هذه الجرار ، ويقول معرف أوغلو[١١] فى كتابه المسمى « وحدت نامه » .

إن محمد جلبى كان يذهب ويسعى لتقبيل قدم فنائى ، ويروى فى حقه فحوى بيت مولانا الذى يقول فيه لقد أدمن المحبوب العزف والتغنى فى آخر الزمان وشغف بالمتعة والتسلية ، ولكن سريرته الباطنة كانت مشغولة بالمجاهدة الروحية الخالصة ، وهو فى مظهره الخارجى لا ينشغل بالتسلى واللعب أو بالأشياء التى ليس لها أصل جوهر ألبتة»(١٢) وتفيد هذه الرواية بأنه كان يطوف ويجول فى وديان قونية واقتدى به أربعون شخصاً ، يتدثرون بنسيج من وبر الجمال ، وذات يوم دخل مقبرة مولانا فى زمهرير الشتاء ، وامتطى صندوقه وقلنسوته فوق رأسه وفى إحدى يديه جرة الخمر ، وفى الأخرى قدح الشراب ، وجعل يصب ما فى الجرة فوق الصندوق والمقبرة ، ثم أخذ ينادى ويصيح : أواه ، أواه ، سيكون هلاكا عظيما من يلقى غضب مولانا ، ألم تروا مولانا ؟ ثم ها هم ينظرون ، إنه مولانا كائن فوق الصندوق ، لقد خرج مولانا من المقبرة وذهب مباشرة صوب الحمام ودخل أتونه ، ولم يصبه حريق ، ولم يمسسه ضرٌ أو أذى أما أنا فقد رأيت الشخص السابع من الأربعين شخصا وسمعت منهم روايات كثيرة واشتقت كثيرا إلى روايته ، وعشقته من سويداء فؤادى ، وكان يلج فى منامى كثيراً ، وما رأيته كان جليا واضحا ، وقد صرت فى ذلك الإبان شيخاً ومعلما لأمير عادل بن باشا جلبى ، بيد أنه قد توجب على الذهاب إلى موغلة وإلى وطنى من أجل رؤية أمى . وذهبت وقال لى محمد جلبى ذات ليلة فى موغلة : هلم فانهض يا شاهدى ، فإن كنت تريد العثور على أو كنت عاشقا متيما لنا فكن حانة خمر ، وسمعت صوته فى وضوح وجلاء ، وطلبت من أمى الخمر وعرق البلح ، ووجدته وأحضرته . وقلت إن قلبك لا يحمل شيئا قبيحا وانغمست فى الشراب . ولما انسلخ الشتاء كانت رغبة مثلى فى رؤية ديوانه محمد جلبى وخرجنا معا فى معية العالم بابا عجم لأنه كان يتحدث الفارسية ، وقدمنا إلى بورصة ومنها توجهنا تلقاء كوتاهية . وكان باشا جلبى قد أصبح مديرا على كوتاهية ، وعاد محد جلبى كذلك من السعودية وحل ضيفا محل باشا جلبى . ولما أتينا قال أمير عادل مخبرا أمه قائلا : لقد جاء شيخى وأستاذى وأرسل من فوره سجادة وبسطها بإزاء محمد جلبى من أجل جلوسى .

وعندما رأيت محمد جلبى على باب الحجرة سلُب لبى وطارت بلابلى ، وانخرطت من فورى فى البكاء ثم قال محمد جلبى : أقبل ، لقد بسطوا هذه السجادة من أجلك ، وجلست بجانبه وأنا فى لجة الوجد والهيام ، وأغمضت عينى ، وكان كل شخص يقول لى : أهلا وسهلا أيها العزيز الغالى ، بيد أننى لم أستطع التفوه بأى شىء ، وجلست وأنا مرتعد الفرائص وجلا ، وكنت أبتغى المكث معه وحيدا .

ثم قال محمد جلبى لأحد الصوفية ويدعى موسى آبدال : أعندك حشيش ؟ فقال موسى آبدال : نعم لدى فقال له أحضره ، وأحضر موسى آبدال نار جيلة الحشيش ، ثم قال بصوت عال هذه فائدة الطريقة هى من أجل الأعزاء ، إنها علاج المرح والسرور والبشر والحبور .

ثم جعل يقدم النار جيلة إلى كل شخص ، فيشرب الشارب ، أما غير الشارب فإنه يلمس النارجيلة بإصبعه ويمسح بها رأسه ، ثم قال محمد جلبى لى « أنا شيخ صوفى من الآن « فقد غشيتنى سورة الحميا ، ثم أرغى السلطان وأزيد ، وأثناء الحديث خرج من كان فى المجلس واحدا تلو الآخر وهم يسلمون ، ومكثنا نحن وحدنا وأخذ بعد ذلك يتفوه ببضعة ألفاظ تركية وهو يتفوه بصوت جمهورى كالمجنون .

ثم غشيته حال عجيبة وجعل يزبد ويرغى ، وانهل الدمع الهتون من عينيه ، وشرح فى حلق شعوره وحواجبه ولحيته وشاربه بالموسى ، وهو يشرب الخمر حتى غشيته حال من السكر والثمل والمختالة والغش والخداع ، وكان يتوارى عن أعين الناس وهو على هذه الهيئة ، وصار بين الخلائق مفضوحًا ، وساءت سمعته وذكر اسمه بالسوء ، فى يده قدح الشراب على الدوام ، وليس فى وسعى أن أحكى عن كراماته التى رأيتها منه ، إنه يجعل الخمر شرباتا ، ويحول التراب الذى يمسكه تبرًا ، وإذا فرغت جرة الخمر فى المجلس أعطاها للساقى فتمتلئ الجرة ، وتمتلىء الجرة الفارغة فى القارب بماء البحر ، ويستحيل الماء خمرا .

أما أنا فقد حلقت من أجله ، وصرت صوفيا من الأبدال ، وغصت فى بحر الفناء ، وأصبحت له عاشقا مفضوحا ، واقتديت به واتبعت سبيله ، أركض أمامه حافى القدمين ويأمرنى فأركب ويعطينى الحصان المعلق قدميه فى ركابه ،

وإذا ما ركبت فإنه ينزل بعد قليل ، ثم أخلع النعل من قدمي ، أما هو فيعطي جوادي لأحد الصوفية الأبدال ويقول : حذار فلا يركبن شخص قط ، ثم يشده من حبله ، حتى لا يستطيع المكث لحظة واحدة بدوني ، وكان يقول : اللطف يا شاهدى لماذا تجفو على هكذا ، ولماذا تمشي راجلا ، ولماذا أنت حافي القدمين ، إن قلبي يتقطر وأتألم من أجلك ، أما أنا فكنت أقول : يا سلطان الولاية ، لا أستطيع أن أطأ قدمي في طريقك الذي تطؤه أنت ، ولما سمع هذا قال : أواه يا شاهدى ، لقد أحرقتني ، وكان يأخذ من كل مدينة يصل إليها نعلا ويقول البس ، فحتى لو ذهب الصوفية الأبدال حفاة الأقدام فإنهم يطئون الأرض بخفة واستحياء . وكان يقول : « إنك تركض كل يوم وتقف حتى وقت المساء ، أما أنا فقد غشيتني البهجة والسرور من جروح الأحجار التي تمس أصابعي ، وكان عندي قميص من وبر الجمل غير ذي أكمام ، باطنه مملوء بالقمل ، ولكنني لبسته ، لقد وهبني كثيراً من الألبسة ولكن أعطيها لأناس آخرين » ، ويتحدث شاهدى في الجزء الأخير من كتابه عن أحوال أبيه مع جده ، وكيف بدأ يحصل العلم مع الشيوخ الآخرين قبيل انخراطه في سلك المولوية ، ثم يروى كذلك التحاقه بالشيخ ديوانه محمد جلبي ويقول في هذا المعنى « لقد صرت مريدا للشيخ حتى أن كلبه الذئبي أفضل من الأسد وسكرت بالخمر التي يقدمها في الأقداح ، فأنا أطريه وأقرظه وأحكي عنه وأروى ، ثم أمر عبده قائلا: فانظم أيها السلطان ما رأيته منا ، إذ ليس في الإمكان أن هذا بصورة مفصلة ، فلقد أشممت الرائحة لعشاقه » هكذا ينهي أبياته على هذه الشاكلة(١٣) ثم يقول أنا مادحه بالكلمات التي جاءت تترى متعاقبة ، وناقشت مسألة موته ، ويفهم بوضوح وجلاء من الكلام الذي تفوه به في مدحه أنه ديوانه محمد جلبي وكان حيا على قيد الحياة في السنة التي كتب فيها روضة الأسرار أي في عام ١٥٤٤ م وكان عمر شاهدى آنذاك ستة وسبعين عاما(١٤) وإذا ضربنا الصفح عن روايات المناقب التي سمعها شاهدى ، ألفينا أن هذه العبارات تعتمد على المشاهدة والعيان ، وحتى لو كانت هذه القضية مستغلقة مبهمة فإنها من الأهمية بمكان عظيم ، الآن يمكننا أن نميط اللثام قليلا عن حياة محمد جلبي موجزين المعلومات التي أدلى بها ثاقب دده في هذا الخصوص : كان محمد جلبي منشغلا في بواكير شبابه بالتطواف والتجول في الجبال والسهول

والوديان يرتدى عباءة قلندرية ذات تنورة مفتوحة الصدر[١٥] وتوجد فوق رأسه أحيانا قلنسوة المولوية ، وتارة يلبس تاجا ذا اثنتى عشرة قطعة منسوبا إلى الشيخ شمس .

أما شعره فإنه ثائر ، وتارة يكون متشبها بالقلندرية ، وهذا يعنى أنه يحلق شعره وحواجبه ولحيته بالموسى . تخلص محمد جلبى بمخلص « سمائى » الذى خلعه عليه أبوه ، وعندما ذهب لزيارة مولانا ولج المقبرة وامتطى صندوقها كالحصان . وقد غشيته سورة حميا وانفعال عاطفى محموم ، ثم تناول بيده طيلسان العمامة الملفوف على القلنسوة الموجودة فى صدر الصندوق وهذا يعنى أن طرفها كاللجام ، وتركها ممتدة حتى خصره . مما أصاب الناس بالدهشة والانذهال[١٦] .

قدم محمد جلبى إلى قونية وفى معينه أربعون درويشًا مولويًا إبان عصر عادل جلبى (١٤٢١ = ١٤٦٠ م) (٨٢٤ هـ = ٨٦٤ هـ) [١٧] ، ثم توجه من هنالك عن طريق قره مان ذاهبا إلى تكية حاجى بكتاش وأخذ معه أربعين صوفيا بكتاشيا ، ثم تحرك صوب العراق ، وبعد أن زار مدن : النجف وكربلاء وبغداد وسامراء وأئمة أهل البيت[١٨] ولى وجهه شطر مدينة مشهد لزيارة الإمام الثمانين على الرضا (ت ٨١٨ هـ) .

وقد حظى محمد جلبى بعظيم التجلة والتوقير فى مدينة مشهد ، وأحبه قلندرية إيران حبا جما ، وقد أهدى إليه قسم من أطباق الوقف ومر جل كبير من مطبخ الإمام الرضا مع رايتين موجودتين فوق المقبرة ، وكان ينشد أثناء هذه الزيارة رباعية فارسية يقول فيها : « عين هاوية منفصمة عن باب الرضا حتى لو كانت عين الشمس فإنها بلا نور .

وليكن فى خدمته روح العبد أذنه ذات قرط ، وقد حشرت داخل دائرة الكرم والإحسان »[١٩] .

ثم عاد محمد جلبى مدينة مشهد والمولوية فى معيته حيث كانوا عن يمينه والبكتاشية عن يساره ، وكانت إحدى الرايتين فى يد درويش مولوي يدعى محمد عن يمينه .

والراية الأخرى فى يد شخص بكتاشى يسمى على الرومى . ثم غادر خراسان قادما إلى بغداد مرة ثانية لزيارة أئمتها ، ثم غادرها متوجها إلى حلب ، وفيها نزل فى تكية أبى بكر الوفائى (ت ١٥٨٣ م = ٩٩١ هـ) وهو من الطريقة الوفائية ، وينحدر نسبة من نسل تاج العارفين أبى الوفا (ت ١١٠٧ هـ = ١٦٩٦م) ثم جعل منه خليفة ، وحلق له شعره كالقندراية وأذن لهم بممارسة شتى طقوس الطريقة فضلا عن السماع ، وتخلف ها هنا بابا بايرام وهو من محبى البكتاشية .

غادر جلبى متوجها تلقاه قونية ، وزار مولانا وفى الوقت نفسه دخل مسجد شرف الدين ، وشرب الخمر فى المحراب ثم نثرها على جدران المسجد[٢٠] . غادر محمد جلبى قونية موليًا وجهه شطر قره حصار ، وبعد مدة من الزمان طوف بإقليم منتشه ، وعبر من هنالك إلى مصر ، وتأكد من إخراج المسجون إبراهيم كلشن من سجنه (ت ١٥٣٤م) ، ثم آب عائدا من مصر إلى الشام ، ثم هم من فوره بزيارة قبر ابن عربى الذى لم تشيد تربته بعد (ت ١٢٤٠م) .

وأدركه موسم الحج فى ذلك الإبان ولم يذهب لأداء الفريضة على رغم وجود من كلفوه بالذهاب إلى الأرض الحرام ولم يأذن كذلك لأولئك الذين أرادوا الذهاب لأداء الفريضة ولم يشد الرجال إلى هذلك سوى شخصين اثنين فقط . ثم أنشد هذه الأبيات التى يقول فيها : أيتها القافلة التى تبيع قماش العبادة ، إلى أين أنتم ذاهبون ؟ تعالوا إلى حيث حرم قبلة الحاجات ، وأسفى وأسفى ، حتى أن النجوم تدور حول محورها ، وأنتم لا ترونها .

وأنتم تركضون وتقفون فى دائرة الخيال منذ أربعين عامًا[٢٧] . ثم قدم محمد جلبى إلى إستانبول إبان عصر سليمان القانونى ، وحل ضيفًا فى نزل ضيافة إسكندر باشا ، وأسس تكية مولوية فى غلطة ، وأوقف عليها الحديقة المجاورة لمنطقة قوله Kule ، ثم غادر إستانبول إلى بورصة ، ومنها توجه إلى كوتاهية ، ثم عاد فى النهاية إلى قرة حصار ، وأدركته المنية بعد حين من الزمان وتقول السفينة : لقد توفى معه فى نفس هذا العام طائفة كبيرة ممن شاركوه فى أسفاره ورحلاته إلى العراق وخراسان .

سفينة النقد :

على الرغم من أن السفينة من ناحية الأصل تتفق مع المعلومات الواردة فى روضة الأسرار ، فإن الواقع والأحداث الواردة فى السفينة لا يمكن أن تتوافق مع التاريخ وقد كتب ثاقب دره رواياته على عجل دون روية ، وساق العبارة فى شكل مصطلح ليس إلا ، دون إمعان أو تفكير ودون البحث عن الأصول والجذور . وهو يرى أنه لا سبيل إلى وجود الزمان والمكان .

وقد ورد فى السفينة أن محمد جلبى قدم إلى إيران فى أثناء الغزو المغولى ليأخذ الديوان الكبير ويجلبه من المقبرة ، ولقب من أجل ذلك بلقب « سلطان ديوانى » :

حتى أنه يقول : إن ميرزا صافى ابن الشاه إسماعيل قد توارى فى خرقة جلبى فى أثناء هذه الزيارة ، ثم ظهر بعد ذلك فى قره حصار ، ولهذا الشخص أشعار تخلص فيها باسم خطائى وصار ميرزا مريدا لجلبى فى أثناء هذه الرحلة ، وقدم جلبى إلى إستانبول إبان عصر سليمان القانونى ، وأسس آنذاك تكية مولوية فى منطقة قوله قابى ، وفى زيارته الثانية إلى إستانبول التقى بالشيخ جيوى زاده أبى السعود حيث طلب منه عدم منع المساع ، ولكن لم يحالفهم التوفيق ، ثم توجه تلقاء مصر أيام عصر طومان بك بعد أن ذهب لزيارة إستانبول ، وكانت وفاته فى سنة ٩٣٦هـ = ١٥٣٠م .

أما لقب « سلطانى ديوانى » فكان بسبب عدم استحسان لقب « ديوانه » ثم لفق واختلق بعد ذلك : أما أخذ الديوان وإحضاره فهى مسألة انبثقت فى الوجود بعد ظهور هذه الرواية الملفقة المختلقة . عندما نقل الصندوق الكبير من قبل السلطان القانونى فوق مقبرة أبيه ، شوهد هذا الصندوق على شاكلة رجل واقف على قدميه خلف مولانا ، وتسبب هذا فى وجود منقبة هائلة فى مخيلة الناس ، ولما جاءت جنازة مولانا نهض أبوه واقفًا على قدميه (انظر مولانا جلال الدين – الطبعة الثانية (ص : ١٢٧ – ١٢٨) .

أما خطائى فهو مخلص الشاه إسماعيل وليس ولده ، وصافى ميرزا المتوفى ١٦٢٨ م هو ابن الشاه عباس قتل على يديه ، أما ميرزا فقد اندرج فى خدمة آل عثمان بعد اثنى عشر عاماً من وفاة الشاه إسماعيل ، ثم قدم إلى إستانبول ، وقد سمع هذا فى هذه المناسبة فى الديار العثمانية فقط ثم انتقل بعد ذلك إلى التواريخ استمر حكم السلطان القانونى من سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م - ٩٢٦ - ٩٤٧ ، أما حديقته التى أوقفها إسكندر باشا فكانت مقاطعة أحد غلمان السلطان الفاتح وقد تأسست التكية المولوية فى سنة ٨٩٧ هـ = ١٤٩١ = ١٤٩٢م(١) .

وكان السلطان بايزيد ابن السلطان الفاتح وجدّ القانونى حاكمًا فى هذا التاريخ ، ومن ثم فلم يكن أبوه قد اعتلى سُدة العرش بعد ، وكان جيوى زاده شيخًا للإسلام فى تلك الآونة - أى فى عام ١٥٣٨ م - ٩٤٥ هـ ، وهو الذى أعلن الفتوى ضد السماع ، ومكث فى منصبه هذا ثلاث سنوات وتسعة أشهر ، ثم قضى البقية الباقية من عمره متقاعداً حتى أدركته المنية فى سنة ١٥٤٧م = ٩٢٢ هـ .

ولم يكن ذا سلوك شديد إلى حد ما ضد الصوفية ، ثم أصبح أبو السعود ابن الشيخ بواسى شارح أوراد بدر الدين (ت ١٥١٦م = ٩٢٢ هـ) شيخًا للإسلام فى سنة ١٥٤٥م ، وقد توفى عام ١٥٧٤م .

أما ثاقب دده فهو القائل بأن جلبى قدم إلى إستانبول إبان عصر القانونى ، كما كتب كذلك عن زيارته لمصر فى أثناء عصر طومان بك ، وقد استمر حكم طومان بك فى مصر من ١٥١٦ - ١٥١٧ م - ص٩٢ - ٩٢٣ هـ قبيل اعتلاء سليمان القانونى للعرش . وليس ثمة إشارة حول وفاة جلبى وذلك فيما كتب فى روضة الأسرار سنة ٩٥١ هـ ١٥٤٤م ، أما إذا أمعنا الفكر مليا فيما صرح به عن حياته ، ودققنا الفكر فى شهادة صكوك الوقفية المدونة سنة ١٥٤٥ م لأدركنا من شخصيته الذاتية أنه لا سبيل إلينا إلى استنباط واختيار تاريخ وفاته من داخل الهيولى(٢٣) الذى عرضه علينا ثاقب دده وثمة وثيقة أخرى توثق معلوماتنا التى أسلفناها وتجلى الحقبة التى عاش فيها محمد جلبى وهذه الوثيقة هى مكانته فى شجرة الخلافة المولوية .

ولسوف نشرح فيما بعد الجانب الأساسى كما هو متبع فى سلسلة سائر الطرق الأخرى ونعنى بالجانب الأساسى سلسلتها ، فثمة قسم يتسلسل من شيخ الطريقة حتى يبلغ النبى محمداً صلى الله عليه وسلم . وهذا القسم هو الجانب الأعلى على وجه الخصوص ، وهو ملفق مختلق ، بيد أنه متواتر من شيخ إلى شيخ بدءا من شيخ الطريقة ، وإن ديوانه محمد جلبى موجود بوجه صحيح فى هذه السلسلة ويتبين كذلك أنه أخذ الخلافة من واحد يدعى أحمد أفندى الذى أخذه بدوره من عبد القادر جلبى والذى أخذها هو الآخر من جمال الدين جلبى ، وجمال الدين جلبى (ت ٩١٥ هـ = ١٥٠٩م) هو ابن بير عادل جلبى المتوفى سنة ١٤٦٠ م ، ووفق هذه السلسلة فإنه قد أخذ الخلافة عن مظفر الدين جلبى أحد خلفاء أولو عارف جلبى المتوفى سنة ٧٢٠ هـ = ١٣٢٠ م .

ومظفر الدين جلبى هذا قد مر ذكر اسمه فى السفينة ومن المحتمل أن يكون من شلبية كوتاهية (جـ ١ ، ص ١٠٩ - ١١١) ، وقد اضطلع الشيخ حسين فخر الدين دده بترتيب وتنظيم هذه السلسلة فى شكل رسالة قدمها إلى بهارى ، ثم كتبت ثانية فى دورية حسين فخر الدين دده ، وقدمت إلى الشيخ « سيد عالى ملا » مولوى المدينة المنورة ، وهى نفس السلسلة التى وردت فى رسالة الخلافة التى قدمها شمس تربه دار أحمد داده باسم رسالة الخلافة إلى سيد سليمان بلخى ، ثم أخذ الشيخ عثمان صلاح الدين « شيخ ينى قابى » الخلافة من سعيد همدم جلبى وأصبح فى رسائل الخلافة بعد ذلك كل من : أحمد دده جد شمس .

وصفوت وعبد الواحد جلبى وخواجة إسحق أفندى ومحمد جلال الدين بن عثمان صلاح الدين أفندى ، تم منحت الخلافة بعد ذلك من قبل عبد الواحد جلبى إلى حاجى كمال أفندى بن عثمان صلاح الدين أفندى ، أما القسم العالى من الشجرة فهو واحد بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وكلما نزلنا إلى أسفل وجدنا أن منح الخلافة معناه منحها إلى أشخاص كثيرين ، وتتغير الأسماء وتتبدل بصفة الحال ، ويسبب منح هؤلاء الخلافة إلى بعض الأشخاص . ونلحظ من هذا أنه يوجد شخصان بين كل من :

جمال الدين جلبى (ت ١٩٥ هـ = ١٥٠٩ م) وبين ديوانه محمد جلبى ، ويتبين لنا من هذه الزاوية أن محمد جلبى كان على قيد الحياة فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى ، وعلى كل حال فقد كانت وفاته إلى النصف الثانى من هذا القرن ، ولدينا وثائق كبيرة تتمم هذا وتؤكده .

خليقة ومذهب محمد جلبى :

إن خليقة محمد جلبى تشبه إلى حد كبير خليقة أولو عارف جلبى ، حتى أنه أكثر منه جيشانا ومبالغة وتجاوز حد ، فكلامه مطابق لكلامه ، وكذلك خليقته وسجاياه ، وتتجلى سورة حمياه وجيشانه فى أشعاره كما يفهم من لقب محمد جلبى يزعم أنه قلندرى سالك سبيلهم ، وهو يرتدى أحيانا القلنسوة المولوية وينتقل تارة من أتباع القلندرية إلى البكتاشية ، وتارة يرتدى تاج الحسين ذى الاثنتى عشرة قطعة منتسبا بذلك إلى شمس وإلى أتباع المولوية ، وأحيانا يسحق سنام قلنسوته من طرفيه ، ويجعلها على شكل حاد قاطع بتار منتسبا إلى ألف تاج البكتاشية (هى خوذة غطاء الرأس) . مرتديا إياها على هذه الشاكلة ، كما يلبس مريدوه هذه القلنسوة المختلفة التى تسمى سيفى Seyfi . وكان زوارا للشيخ حاجى بكتاش ، يذهب إلى خراسان وفى معيته أربعون مولويا وأربعون درويشا بكتاشيا .

وفى أشعار جلبى ما يدل على عظيم التوقير والتجلة اللذين يستقبل بهما من قبل قلندرية إيران ومن هذه الأشعار قوله :

سه ودو حقدن عياندر ديشرك

دورت كتاب إيجون بياندر ديشرك

جداهرا ايجره كر نهاندر ديشرك

حق بيلور حاميم دخاندر ديشرك

هرد وكـــونـك وارى جـــون دســــتكـده در

بيـــست وهشـــتك جـــارى جـــون دســـتكده در

غـــمـــسكـا ك ذارى جـــون دســـتكـده در

مـــصطفى نك جـارى جـون دســـتكـــده در

والمعنى :

اثنان وثـلاثة من أسنانـك هى من الحق ظاهـرة بجـلاء

وأسـنانـك للـكـتب الأربعــــة دليل وبيــــان

ولو أن أسنانـك مـخـتـفـيـة داخل الجـوهـر المكنون

فـالله يـعلم أن أسنانـك هى حـامـيم (الدخـان)

ووجـــود العــــالمين مـن أجل مــــا فـى يديـك

والعشرون والثمانيـة والأربعة كلها من أجل ما فى يديك

ومــــا فـى يديـك مُـــذهب لـلغـم والأحــــزان

وما فى يد يك هو من أجل غار المصطفى ونصادف مثل هذه

الرباعيات فى معتقدات الحروفية (متحف قونية : دورية K رقم ٢٤٧١ ، ١٥ ، د . ٨ - ١٥) .

ومقل قوله :

أون سكزنـيك عــالمك جـــسمنده جــانيس يـا على

حـــسن ايلـه ش مـــهـــره ومــاه آســمــانيس يـا على

ســر مــحــفــيــدر دهــاتك حــزداه دانيس يــاعلى

شــاه مــردان ســيــزيردان بيــشــه وانيس يــا على

والمعنى :

ياعلى أنت الروح الموجـودة فى جـسـد الدنيـا بأسـرها

وأنت بـالحــسن شــمس وقــمــر الســمــاء

وفـمك الـرقـيق هو سـر مـخـفى مـسـتـور يا على

وأنـت أســـــد الـلـه وسلـطـان الـرجـــــال

وهكذا يبدأ هذا البند ، ثم يمدح الأئمة الاثنى عشر بداءة من البند الثـامن ، وعلى حين تراه يكمل عشرين بندا فإنه لا ينتقل إلى أسماء الخلفاء الثلاثة الأولين ، ثم يقول فى النهاية :

أى ســمــاعى قــيل تولا وتبــرا صــدهزار

هرزمــان كلزار مــدحك ســمـع أولســون آشكا

دائمــا أولـون يزيدك كــســرد دبتـده ذو الفــقــار

شــاهمــرو ان يـزدان بيــشــوه سين يا عـلى

والمعنى :

افـعل السـمـاع وكـرر « تولى وتبـرأ » مـائة مـرة

وليكن شـمع مـدح روضـتك ظاهرا فى كل زمــان

وليكن سيف على فى رقبة يزيد على الدوام

فأنت قائد أسد الله وسلطان الرجال

ثم يكرر المربع الذى يشرح فى بنده الأخير معنى كلمتى تولى تبرأ ونرى كذلك فى هذه الأبيات عقائد الشيعة الإمامية ظاهرة بجلاء تام . ويكتب ثاقب دده أنه وجد مكتوبا فوق الأدعية أسماء الأطباق المهداة إلى محمد جلبى من خراسان ، ومنها هذه العبارة « وقف أستان على موسى رضا » أى وقف تكية على موسى رضا .

كما كان يقف عن يمينه وشماله صندوق الأعلام والرايات المشتعلة بالنار ويقول كذلك : أما عن المرجل الكبير الذى أوقفه الشيخ إمام رضا فكانت تطهى فيه العاشورة فى أشهر المحرم .

ومن الكرامات المنسوبة إلى ديوانه محمد جلبى أنه كان له سيف ، ولأجل ذلك كان بلقب يلقب « أبو السيف » .

ونقش فى قبضة هذا السيف اسم « ناد عليًا » والذى كان يعتقد بما يوحيه جبريل إلى محمد فى غزوة أحد ، كما كان هذا النقش يقرأ من قبل القلندرية والبكتاشية والعلوية (ص : ٥٨) (١٤) .

وعندما يضيف فى نهاية الأمر إدمان المخدرات والخمر إلى هؤلاء ، فإنه بذلك يميط اللثام عن خلقه وسجاياه .

وثمة ميول ونزعات باطنية ظهرت عند المولوية بداءة من أولو عارف جلبى ، واصطبغت بصبغة الشيعة الباطنية ، وذلك مثل قولهم :

نه عشقه صبر ايدر اولدم نه عقل الله يا ريم

نه كارى بأشعة جيقار دم نه بلـلويى كارم

بلای عـشـق ایله حـقـة كـه نه أولد يغم بيـامم
بو آكـلانور المهـدن كـه عـشـاق زارم
سـمـاءى كـبى به أول بيـخـو دم كـه عـالمده
نه كـيـف ايله مـتكـبف نه مـست وخـوش يا ريم

والمعنى :

لا طاقة لى بالصبر على العشق وأصبحت بلا عقل يا حبيبى
ولا أتحكم فى عـقلى وأصـبـحت خاوى الوفـاض
لا أعـرف يا إلـهى مـاذا أصنع بيـلاء الـعـشق
فـهـو يدرك من ألمنى أننى عـاشق مـتـأوه حـزين
فـأنا مـدهوش فى الدنـيـا أشـبـه الـسـمـاع
فـلا أنـا مـعـتـدل المزاج ولا أنـا ثمل سـكران
وقـولهم : تـتكه ده سـويـرينه إيجـر بـاده ولى
كـوردك مـى كـافـر بزجـه انـكاردون كلـيـر
آزدره خـاطـر أولمـه سـمـاع بى دلـه
مـسـتـانه دركـه خـانه خـمـارون كليـر

والمعنى :

إنه يشـرب خـمـر الولى فى هذه الآنيـة بدلا من الماء
أرأيت كـافـرا أقـبـل إلينا وأنـكر مـا نفـعـله ؟

لا تكن سماعًا مهوما ضيق القلب مضطرب الخاطر

إنه ثمل سكران قادم من حانه الخمر

أو مثل قولهم :

بنم أو محنت ودردله يا راولان عاشق

بنم أودرد ومحبلته زار أو لأن عاشق

بنم أول عاشق كى تاروها راولان عاشق

بنم أول عشقى كى قرار أو لان عاشق

فغان وآهيم ايله يا شيم أو لاى تسكين

ديغ جانمه كجدى فراق ياركوزين

والمعنى :

أنا عاشق للمحبوب مبتلى بالكدر والأحزان

وأنا عاشق متأوه بالألم والمحبة

وأنا عاشق مضمحل شريد مثل هذا العقل

وأنا عاشق كالعقل تائه حيران

ولم يهدئ دمع عينى الآهة والأحزان

وآسفى فلا طاقة لى بفراق الحبيب المستحسن الجميل

وبمثل هذه الأبيات تتجلى حالاتهم النفسية فى صورة جميلة ، أما صادقى فكان خليفة لمحمد جلبى ومرافقا له فى رحلة إيران . وها نحن أولاً نقدم ها هنا ترجمة

لغزليته الفارسية التي قالها عند مشهد الإمام الرضا : « نحن القلندرية صقور السطان الأعظم وصاحب العدالة الذى اشترانا وصرنا قنلدرية من أجل أولاد النبى صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص ونحن قلندرية نقتدى ونتبع سبيل السلطان قلندر ، وخلعنا ومحونا من قلوبنا الصور والأشكال التى تخص الحاقدين والحاسدين ، فقد طلق على الدنيا من أجل الله ، ولأجل هذا غدونا أحباء مخلصين فى طريق حيدر (على رضى الله عنه) ، وأصبحنا حاسرى الرأس فى مكان مثل أبدال الروم لفراق أولاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ونحن القلندرية حفاة الأقدام وكوينا أفئدتنا من أجل ثمانية وأربعة ، وصرنا قلندرية من أجل اثنين وستة من الأئمة الطاهرين المبرئين ونحن أولئك القلندرية الذين نثرنا الدم من الأعين ، وأصبحنا ضعافا ناحلين ذابلين شاحبين حزنا وحداد على اثنين وسبعين شهيدا .

نحن القلندرية الذين ندرك كيف نتفوه بالقول ونمدح الحيدرى (علىّ كرم الله وجهه) فى كل حلقات الصوفية فلنكن فى طريق الإمام الصادق وأتباع الحسين ، ونحن قلندرية أوفياء لأحمد وحيدر(٢٥) .

إن المعتقدات الموجودة فى هذه الألفاظ هى ذات قاسم مشترك بين ديوانه محمد جلبى ورجاله ، وخلاصة القول : إن النزعة الباطنية بدأت عند المولوية متمثلة فى أولو عارف جلبى ، ثم بلغت أوج كمالها ونضجها عند ديوانه محمد جلبى .

أما من ناحية العقيدة : فإن قسما من الطريقة المولوية قد اختلط وامتزج بالبكتاشية والحروفية والقلندرية ، ومن ثم فإن صاحب « تبيان وسائل الحقائق » حرير زاده أحمد (ت ١٨٨٢ م) ، قد بين أن القلندرية ما هى إلا شعبة من المولوية ، كما أنه نسب إلى محمد جلبى تأسيس هذه الشعبة (مكتبة الفاتح – رقم ٤٣٢ – جـ ٣ ص ٧٤ ، ٧٧) . ويتوجب علينا أن نقول فى هذا الصدد ما يأتى :

إن ديوانه محمد جلبى الذى وجد يشرب الخمر فى محراب المسجد حتى طغى وتجاوز الحد وكيف يحدث هذا إبان عصر السلاجقة الذى لا يعرف المسامحة أو الصفح ؟ كما أنه لم يجد تعقيبا على هذا الأمر .

ونحن نعلم كذلك أن كلا من الحروفية إبان زمن الفاتح ، والقلندرية إبان عصر بايزيد الثانى ، والشيعة فى عصرى سليم ياوزو التانونى ، وكذلك القلندرية والحمزوية ، كل هؤلاء وأولئك كانوا يتعقبون آثارهم وينكلون بهم أشد التنكيل . هل كان ليانة بلقب « ديوانه » يمكن أن يلتمس له العذر فى جميع فعاله التى تجاوزت الحد ؟ وكيف تحملت المدرسة تقدم مجنون ما فى دراسته حتى بلغ هذه الغاية ؟ أم كان فى حقيقة أمره مجذوبا ؟

يكتب ثاقب دده فيقول : إنه قد استدعى إلى إستانبول بأمر من الحكومة بغية التحرى عن أحواله ، وقد خلف هذا الاستدعاء أثرا قويا فى نفوس كثير من مريديه ، ومن ثم فإنه لم يصطحب معه فى هذه الرحلة سوى شخص واحد (ص : ٣٩) . ولكنه لم يلق جزاء قط فى إستانبول ، بل وجد احتراما وتوقيرا ، وقد تجاوز الرواة حدهم قليلا فى هذا السبيل . إذا دار بأخلادهم أن هذا العفو ما هو إلا تأكيد للأفعال والأشياء التى تتصل بحياته الخاصة . ورغم أن الخلائق كانوا زاهدين ، فإنهم كانوا يعدون هؤلاء الرجال المتباينين من الصوفية أهل تضرع ورجاء ، ومن ثم فإن الناس يبحثون عن حكمة خافية مستترة فى أفعال هؤلاء الرجال حتى أن ما يرد من هراء وسخف وهذيان فى ألفاظ السيكوباتيين (مضطربى العقل) والمتهوسين ومن أصابهم مس من الجن ، والذين يندرجون تحت اسم المجذوب ، كل هذه الألفاظ يوجد فيها كذلك تلميحات تتصل بالدين والدنيا والمستقبل ، وثمة طائفة من المتصوفة الجاتشين المبالغين من أرباب سورة الحميا يظهرون أنفسهم على هذه الشاكلة ، ويُخفون ويَدارون أحوالهم بالملامة .

وهكذا فحرى بنا أن نمعن الفكر مليا فى أحوال هؤلاء جميعا عند استبانة وتجلية أفعال ديوانه محمد جلبى . إذ هو فى الوقت نفسه لم يمكث وحيدامنفردا فى أى وقت من الأوقات ألبتة ومن ثم فإنه كان محبوبا من المولوية أجمعين ، وموقرا منهم ، فى حين أنهم لم يخلعوا أى ضرب من ضروب التجلة والتقديس على شخص ملا خوانكار الذى ينحدر نسله من سلالة مولانا .

وفى نهاية الأمر فإنه رغم أفعاله المتجاوزة الحد تجعلنا نفكر مليا فى وجود هؤلاء الأشخاص الوقورين رابطى الجأش بين ثنايا المولوية مستغرقين فى حالة من العدم والفناء ، وتحيطنا علما كذلك بأن الطريقة المولوية لم تكن طريقة معروفة بالقبح والشين ونعتقد كذلك أنه لا سبيل إلى أن يدور بالأخلاد أن ديوانه محمد جلبى قد اقتلع من الشريعة حجرًا أما إدمانه الخمر فى رأينا فإنه قد تمخض عن العشق الذى كان يشعر به تجاه الطبيعة وانبثق من الوجد الذى استلهمه من السلوك المادى تجاه عقيدة وحدة الوجود ، كما أن هذا الإدمان حدث كذلك من جراء تأثير الحالات النفسية المتباينة التى ضاق بها ذرعا ، كما يُعزى هذا الإدمان أيضا إلى النظرة الواقعية والتفكير الواقعى ، ومن الضرورات والرغبات الحقيقية الملحة والتى لم تتأكد أو تثبت بعد ، وفى مقابل هذا فإن انهماك الرجل فى الكيف والمزاج والوجد والحال والانشداه والانذهال ، أو ما يسمى بالتركية بالموجة ، وكذلك إفراطه فى المخدرات المدفونة فى عالم السراب ، كل هذا وذاك كان دون شك بمثابة ضغط قوى عنيف للمعتقدات الصوفية .

إن مع الخمر جيشانا وفورانا وسورة حميا ، ونشوة وسرورا ، وتكريس النفس ونذرها للطبيعة والكائنات . أما مع المخدرات فإنه يغوص فى جوانياته ، ويكون حينئذ بمثابة إحياء للعالم الصوفى الكائن تحت نطاق الوعى والشعور . أما إدمان المخدرات الذى لم يُر عند أولو عارف جلبى فإنه يبين كم كان تصوف المولوية عند ديوانه محمد جلبى .

لا جرم أنه رغم كونه رجلا مجذوبا جياشا متجاوزا للحد ، فإن الأعمال المتجاوزة للحد كانت بمثابة تعبير عن الحالات النفسية الصادقة ، وعلى حين نراه قد قبل شعار القلندرية فإنه كان غير موجود فى التضحية والفداء عن المولوية ، ومن ثم كان ديوانه محمد جلبى بمثابة طهور وتجلٍّ لمولانا عند كثير من المولوية حتى آخر الزمان ، وهو بهذه الفعال قد صادف قبولا واستحسانا عظيما للحالة النفسية عند الخلائق ، وبهذا الصنيع الذى اضطلع به يكون قد قدم خدمة جليلة لانتشار الطريقة المولوية وذيوع صيتها ، ناهيك عن التيار الذى أحدثه ضدها .

شعـره :

قبل ديوانه محمد جلبي التكنيك الفني والوصف والجمال للأدب الديواني ، وكان واحدا من أقوى شعراء الترك العثمانيين ، بيد أن مما يؤسف له أنه قد تعذر ترتيب وتدوين ديوانه بسبب نزعته وسلوكه الخلقي ، ولم يُظهر كذلك كتبة أسراره من أقرب المقربين إليه ، كما لم يتسن الاستحواذ على كل الشعر الذي تفوه به ، ورغم وجود أشعاره اليوم في صورة مسلسلة في المجلات إلا أننا نستطيع القول دونما تردد : إنه لم يتردد في هوة التصنع كالشاعر باقي ويأتي شعره أحيانا جيدا متين السبك ، وتارة يكون متقد العاطفة مفعما بسورة الحميا كالشاعر خيالي ، بيد أن جوهره وكنهه مطابق لقوله ، ومن ثم فإنه يذكرنا دائما بأننا ماثلون أمام أستاذ شاعر بلغ من الشاعرية مبلغا عظيما ، ومن شعره قوله :

باشـــده كـــلاه شـــعـله ســـيـــدر دود آهـمن

مـــولابى دركـــه دركـاه خنـكاردن كـليـــر

والمعنى :

أن شـــعـلة دخـــان آهتي قـلنســـوة في رأسي

وأن مـولاي يأتي من صـومـعـة تعـبـد السلطان

وقوله :

بحـمـــد الله كـه بنام و نيـشـانز آدمــز يوقــدر

دل ديـرانه مـــزدن بر آبـادمـــز يـوقـــدر

ازلدن مظـهـر عـشـقـز بزم إيـجـادمـز يـوقـدر

الملر جـمله بـزدندر أوكـا أو سـتـادمـز يـوقـدر

بـال دلدنـدر أول دلدار الـندن دادمــــز يوقــــدر

كــوكلدندر شكايـب كـيـمــسـه دن فــريادمــزيوق

والمعنى :

نحــمــد الله : لا شــأن لنا ولا رفـعــة ولا عــزة

ولا عــمــران آخــر لنا من قلـب مـحـطم فى يبــاب

ولا يكون وجــودنا هــو ومظهــر عــشـقـنا من الأزل

فــلا أســتــاذ لـنا فــالآلام كلـهــا تتــأتى هـنا

ولا عـطـاء لـنـا مـن يـد المحــــــبــــوب

فـــــالألـم يـأتـى مــن الـفـــــؤاد

ولا صـــــــــراخ لـنـا مــن شـــــــخص

فـــالـشـكـوى تتــــأتـى مـن الـفـــــؤاد

هذا هو اقتناعنا فى حق ديوانه محمد جلبى الذى أبدع هذا المسدس المكرر مستهلا إياه بهذا البند سالف الذكر . وحتى يحين الوقت الذى نضطلع فيه بتقديم كل أشعاره إلى قرائنا فى خاتمة كتابنا ، فإننا على يقين بأنهم سوف يشاركوننا هذا الاقتناع ، وإذا ما صنفت مقتطفات مختارة من الأدب التركى الديوانى ، فإنه مما لا مرية فيه أن البيت المتكرر فى هذا المسدس المتكرر سيكون حينئذ من أجمل أبيات هذه المقتطفات .

خلفاؤه والصنيع الذى اضطلع به :

نجد فى روضة الأسرار بعض أسماء خلفاء ديوانه محمد جلبى أمثال : فنائى وقانى ويرى « شاهدى » أن فنائى من بين خلفاء ديوانه محمد جلبى ولما ولد جلبى

قــدم إليـه فنائى وقـبل قـدمـيـه وذكـر شـاهدى أن مـولانا هو الذى بشـر بظهـور ديوانه محـمـد جلبى ولما ولد جلبى قـدم إليه فنائى وقبل قـدميه وذكر شـاهـدى أن مـولانا هو الذى بشر بظهور ديوانه محمد جلبى فى إحدى غزلياته ، وإذا فكرنا مليا فيما سمعه شـاهدى من مـعروف أوغلو فإن الأثر المسمـى « وحدت نامـه » بحسب مـا يفـهم من اسمه هو من قبيل الاحتمال أثر صوفى منظوم بالفارسية ، ولربما كان معرف أوغلو من أولئك المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى ، وهو من خلفائه فى هذا الطريق . وكان فنائى دده سـالف الذكر شـيخـا للتكية المولوية التى أسست فى اللاذقـيـة ، كـمـا كان شيدايى درويشـا صـغـيراً له ، وهذا يعنى أنه نشأ وترعرع فى كنفه وخـدمـته وتحت مظلة تربيته وعنايته . وقد التقى شاهدى بشيداى الملقب بالدرويش شيداى فى قرية « جيفار » Cikar الواقـعة على مقربة من مدينة كوتاهية ، وحل فيـها ضـيـفـا مـدة ليلة واحدة ، وكان أهل القرية جميعا من المولوية[٢٦] .

وتعلم كذلك أنه عقب لقائه بشاهدى اعتزم الخروج للسياحة والترحال فى مـعية زمرة كبيرة من الصـوفية والأبدال ومن هؤلاء : الشيخ أبدال الذى كان يتعهد بتقديم المخدرات إلى ديوانه مـحـمـد جلبى ، كـمـا أنه وفى بالعـهـد مضطلعا بخـدمة طقـوس وشـعـائر المولوية ونواميسـهـا . ويكتب ثاقب دده أنه بحث فى كـتـابة شـخـصـيـة رجل صوفى يدعى محمد صـوفى تخلص بمخلص « فدائى » ، ويقـول ثاقب دده : إن ديوانه محمد جلبى هو الذى خلع عليه هذا المخلص ، وعينه شيخا على التكية المولوية التى أسست فى منطقة « بوردور Burdur » وقد قدم هذا الصوفى إلى قره حصار فى معية شاهدى ، وزار قبر ديوانه محمد جلبى ، ثم أدركته المنية فيها سنة ١٥٧٧ م عن عمر يناهز الخامسة والثمانين . وإذا كان أسرار دده يسجل فى كتابه أن الشيخ فنائى دده شـيخ المولوية فى اللاذقـيـة قـضى نحبـه فى سنة ٩٠٩ هـ = ١٥٠٤م ، فـإننـا لو أمعـنا النظر فـيما كتبه صاحب روضـة الأسرار فى أحداث سنة ١٥٤٤ م ؛ حيث يذكر أن الشيخ فنائى قد توفى بعد هذا التاريخ ، ومن ثم فإن الحقيقة التى لا تقبل الشك أن أسرار دده قد جانبه الصواب فى تحقيق هذه المسألة . ويذكر ثاقب دده أن ديوانه محمد جلبى قد استخلف الشيخ « أبا بكر الوفائى » (ت ١٥٨٨ م) على حلب

(ص : ٢٤) ، كما استخلف الشيخ أحمد صفائى على مصر[٢٧] . وأجاز لسائر خلفائه لبس القلنسوة وامتشاق السيف (ص : ٣٥) ، كما أنه استخلف الشيخ سينوبلو صفائى دده خليفة على تكية غلطة[٢٨] .

واستخلف على مدينة أيوب ولى الدين بابا أحد المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى والذى كان يعمل بائعا للبنة[٢٩] . أو اللبن المصفى ، كما استخلف فى الجزائر الشيخ خضر دده والشيخ نور الله دده فى ساقيز ، والشيخ على الرومى فى مدينة إيرديره ، والشيخ الدرويش حامد فى مدينة ميدلى Midilli (ص : ٤٧) ومن خلفائه فى الأزمنة المتأخرة الشيخ شاهدى صاحب الوقارة ورباطة الجأش ، وكان شيخا على تكية المولوية فى مدينة « موغلة » Mugla .

وثمة طائفة غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم فى تذكرة أسرار دده ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : الشيخ عبيد الله دده وكان شيخا على تكية نور الله دده فى منطقة ايردير Egirdire والذى استنسخ نسخة من المثنوى مكتوبة بخط حسام الدين فى سنة ٩٩٠ هـ = ١٥٨٢م ، ثم قدم إلى قونية سنة ٩٩٥ هـ = ١٥٨٦ = ١٥٨٧ م حيث قضى نحبه فيها .

وهناك كذلك الشاعر صادق الذى كان فى زيارة لخراسان وحظى بتربية وتنشئة الشيخ فنائى[٣٠] . ولا تنسى كذلك الشيخ صادق دده ، ثم الشاعر ملامى وواثق والشاعر محرمى ومنهم كذلك : الدرويش نكاهى الذى ترك الخدمة عندما كان كاتبا ، وهو من الصوفية البارزين المتقدمين ومن أصحاب الوجاهة وسراة القوم .

وعندما شيدت التكية المولوية فى حلب عين كليسلى فقيرى دده (ت ١٥٤٣ م) شيخا عليها ، ويقول أسرار دده : بأنه ابن أحد الخلفاء ، ثم يستطرد فى روايته فيذكر أن ثمة مجذوبا آخر يعرف باسم مجذوب دده (ت ١٦٤٠ م) وعلى كل حال فإن هذا الشاعر عاش الحقبة الأخيرة من عمره حتى عام ١٥٤٥ م ، ومن ثم فلا سبيل إلى تصديق الرواية القائلة بوجود فترة زمنية قريبة بين ديوانه محمد جلبى ووفاة هذا الشاعر المشار إليه .

ومن ثم فإن كلمة (سلطان ديواني) الواردة في المصراع تظهر لنا أنها ترجمت لقب ديواني على هذه الشاكلة وذلك بعد وفاة محمد جلبي بقرن من الزمان . وهكذا نرى أن ديوانه محمد جلبي هو أكثر الأشخاص الذين اضطلعوا بنشر المولوية وإذاعة صيتها بعد أولو عارف جلبي .

وإن تكايا المولوية في كل من : حلب ، ويوردور وإيردر وصانديقلي وغلطة ومصر والجزائر وميديللي واللاذقية ، وكذلك التكية المولوية في مملكة فارس إن صحت الرواية الدالة على ذلك ، كل هذه وتلك قد افتتحت جميعها إبان عصره وبفضل عزيمته ومضاء همته .

جلال الدين ارجون جلبي :

يروي ثاقب دده أنه توفي قبيل عام ٧٨٩هـ = ١٣٨٧ م ، وهو ابن برهان الدين إلياس باشا بن سليمان شاه ومطهرة خاتون ، وهذا يعني أنه توفي قبيل جد بخمسة عشر عاما على وجه التقريب ، أي في سنة ٧٧٤ = ٧٧٥ هـ = ١٣٧٣ م ، ويتبين من هذا أن ثاقب دده يغالطنا من أول وهلة ، حيث قال إن جلال الدين هذا تلقى فيوضات التصوف من عمه ومن الشيخ سلطان عبابوش والد « ديوانه محمد جلبي » ، ومن أولو عارف جلبي وأمير عالم وأمير واحد جلبي ، ومع هذا فإن أمير عالم جلبي لم يتسن له اعتلاء عرش مقام الطريقة الشلبية في قونية بالفعل وتوفي في الغربة ، ثم اعتلى هذا المقام من بعده أمير عابد جلبي ، أما أمير واحد جلبي فقد توفي سنة ١٣٤٢م ، بعد أن قضى سنوات أربعًا في منصب الخلافة الشلبية ، ثم يروي ثاقب دده كذلك أن جلال الدين أرجون كانت له صداقات متعددة مع كل من يونس امره المتوفي سنة ٧٢٠ هـ-١٣٢٠م ، ومع معاصره جيكلي بابا Giyikli Baiba [٣١] ، كما كانت له أواصر ووشائج مع أهل كرميان بسبب تزويج السيدة دولت (سلطان خاتون) بالأمير بايزيد ، حيث أرسلت له عروسه إبان عصر مراد الأول ، ثم ذهب بعد ذلك سفيرا لماد الأول وفي عام ١٤٨٢ م عقد صداقة ود كذلك مع اسحق فقيه الذي كان على قيد الحياة في ذلك الإبان [٣٢] .

ومع آهى أورن الذى اضطلع بتنظيم وقفيته سنة ٧٦٦ هـ = ١٣٦٦٥ م[٣٣] . وكان جلال الدين أرجون يخاطب مريده آهى أورن تارة بآهى لورن ، وتارة أخرى بآهى أنور ويقول ثاقب دده إن كلا من آهى مصطفى وآهى أرباصان BrBasan كانا من شيوخ الفتوة ، وأصبحا مريدين لجلال الدين ارجون جلبى (ص : ٦٠ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦) . ويتجلى مما سلف ذكره أن ثاقب دده يدرج الرجال الذين عاشوا فى مختلف التواريخ ويسلكهم فى سلك واحد دون أن يتبع سبيل النقد التاريخى أو ينهج منهجه ألبتة . وإذا ما توجب تصديقه والتعويل عليه ، فإن إسحق فقيه الذى كان يعيش فى عام ١٤٨٢ م يكون حينئذ مريدا لجلبى المتوفى فى سنة ١٣٧٣ . وعلى كل حال فقد التقى شاهدى بديوانه محمد جلبى فى مدنية كوتاهية ، وإذا كان رجل مثل جلال الدين أرجون ذا نفوذ وتأثير وكان حيا فى ذلك الإبان لتوجب تدوين اسمه فى « روضة الأسرار » ، وقد سجل أفلاكى ما يفيد بأن ارجون جلبى ذهب مع أولو عارف جلبى إلى كوتاهية حيث مرض بها ورقد فى إحدى الزوايا ، وبعد أن دون أفلاكى هذه المعلومة نجده لم يبحث قط فى شخصية أرجون جلبى . وإذا كان صحيحا أن وفاة برهان الدين جلبى بن أرجون جلبى كانت فى عام ١٣٩٥ م فإن جلبى يكون قد توفى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويستطرد ثاقب دده قائلا : أن شمس تبريزى أعطى أرجون جلبى تاجا ذا سبعة سُرج ، كما أنه كان يرتدى قلنسوة المولوية فى كوتاهية أو تاج شمس تارة أخرى (ص : ٦٠ – ٦١) ، وكما عثر فى صندوقه على تاج شمس تحت قلنسوته المولوية (ص : ٦٢) . ويدون ثاقب دده شعرا دبجه جلال أركون جلبى يتألف من أربعين بيتا ومنظوما فى طرز المثنوى ، ويسمى هذا الشعر « كنج نامه » أى رسالة الكنز (ص ٦٧ – ٦٨) ، ويردف قائلا : إننا إذا تناولنا هذا الشعر بفصه ونصه ألفينا بين ثناياه بيتا يتحدث عن الإنسان الكامل حيث يقول : –

سزادر مولوى وشن رقص ابدرسه فائزى هردم

كه سرى سر به مهردهره اولشن حامل ومحرم

والمعنى :

لو أن فـــائـزى رقص كـل حين مـــثـل المولـوى

أيليق به أن يكون حـامـلا لسـر مـحبـة الدهر والزمـان

(السفينة : ص ٦٧) . وهذا الشعر ورد فى شأن شاعر يسمى فائزى ، وهذا يثير فينا شبهة صحيحة لا مراء فيها[٣٤] ، وله أبيات أخرى يذكر فيها بجلاء أن هذا الشاعر المشار إليه هو من المنتسبين إلى الشيخ « يوسف سينه جاك » أحد شيوخ المولوية فى القرن السادس عشر الميلادى .

يقول فائزى فى شعره :

شكســتــه جــرح تدبيــرات ايلـه دهليــز صـــورتده

أولوب اينه دار شـــمـس دين أفـــلاك ســيـــرنده

هلال ســيـبــه جــاك ابتـدى يعنى فــائزى نـكاهى

خــلافت بزمـينه شـمـع سـعــاى أوجنك مـا هى

والمعنى :

إن تدبيــر الفلـك الدوار كــامن فى دهليــز الصـــورة

ومـــرآة شــــمس الديـن تكون فـى فلك الـصـــورة

وهذا يـعنـى أن هذا فــــيض نـظرة ســـينه جـــاك

وهو قـــمـر أوج ســعـــادة شـمـع مـجلـس الخـلافـة

ثم ينتقل إلى بيت آخر قبيل البيت الأخير من شعره ، وهو بيت إما أن يكون مادحا به أرجون جلبى ثم غير وبدل فيما بعد ، وإما ألا يكون ثمة وجود يذكر لهذا البيت بين ثنايا أشعاره ، ثم انتحل وأضيف فيما بعد (ص : ٦٨) . يقول هذا البيت :

بحــمـد الله خــراب عــشق مـولانا أولوب اركــون

جــوشـــا دكنج كـنجــه تندن اولـدى حـــاغـــز ممنون

والمعنى :

الحــمـد الـله فـقــد تحطم ارجــون بعــشق مــولانا

وأصـحـبت روحنا مـسـرورة من زاوية الكنز المفتـوح

والأقوال المأثورة وهى جميعا تشرح التصوف والأخلاق بالعربية والفارسية وحاشاه أن يترجم هذه الأقوال المأثورة بالأداء المصطلح عليه (ص ٦٨ - ٧٥) .

ونحن نرتاب فى نسبة هذه الأقوال المأثورة إلى أرجون جلبى والتى يقول ثاقب دده عنها : إنها زاخرة بالمجازات والزخارف اللفظية ، وذات سجع مطرد ، متكلفة مصطنعة مكتوبة بلغة مشوشة مضطربة ملفقة مزيفة كما ذكر ثاقب دده أن هذا الكتاب يتضمن دقائق ومعلومات تخص طقوس وشعائر المولوية ، كما أنه ينسب إلى جلال الدين أرجون جلبى رسالة تسمى « إشارة البشر مستنبطة من الحكم الثمانى عشرة (ص ٧٧ - ٨٣) ولكن الأسلوب برمته هو أسلوب ثاقب دده ، وفضلا عن هذا فإنه يدرك بجلاء تام أن هذ الرسالة قد دبجت وأخذت شكلها الأخير بعد مقابلته مـولانا ، ومن فـهـذه الرسـالة لا تمت بصلة إلى أركـون ، ومن المحـتـمل أن تكون لشـخص آخر غيره ، ولربما كانت أقدم رسالة ترجع إلى هذه المقابلة ، ولكن إذا ضاهينا ما وقع فى أيدى ثاقب دده بلغة السفينة فإن أصلها حينئذ لا يعرف ألبتة ، وقد ورد فى السفينة كذلك أن أركون جلبى قد أحل ولده برهان الدين إلياس محله قبيل انقضاء أجله (ص ٩٧ - ٩٩) .

أما زين الدين جلبى بن إلياس باشا أوغلو شاه ملك فقد حل محل برهان الدين إلياس جلبى الذى يُعد شاعرا مُجيدا من شعراء الديون (ص : ١٠٢) ، وأنشأ زين

الدين هذا التكية الأرجونية التي هي بمثابة المركز الثالث للمولوية بعد كل من قونية وقره حصار ، أما كوتاهية فإنها تتبوأ مكانة مهمة في تاريخ المولوية .

يوسف سينه جاك :

هو سنان الدين يوسف سينه جاك من منطقة تسمى « ياني جوردار » وهو أخو الشاعر خير الدين ، ويقول عاشق وحسن جلبي كلاهما إنه انتسب في أول الأمر إلى حاشني ، ثم انضم إلى طبقة العلماء ، ثم انتسب بعد ذلك إلى الطريقة المولوية ، يقول في بيت من أشعاره :

شـــه جلشني به يوسف يللر له أوله دلك قـــول

سلطان عـــشق أولـوين كـــشف ايـلمـــه دى رازى

(جامعة إستانبول ، رقم ٨٨٤ ، دورية ١٥٤) .

والمعنى :

لا تكن عـبـدا يا يـوسف للشيخ جلشني بضع سنين

فـــإنه لم يـكشف بـعـــد ســــر سلطـان العــــشق

ويقول في غزلية أخرى مبينا انتسابه إلى جلشني (١٧١)

أوله بين كـلـشـنـي بـه جـــــــان وكـلـدن بـنـده

مــصـــر عـــشق ايجـره بو يـوسف كي سلـطان والمز

والمعنى :

أنا لـست عـــبـــد لجـشني من الروح والـفـــؤاد

فـلا سلطان مـــثل يوسف داخـل عـــشق مـــصـــر

وهو بهذا يبين صدق وصواب هذا الحكم ، أما تكوينه المولوى بعد ذلك ، وارتباطه الوثيق العرى بمولانا فيدرك بجلاء من سائر أشعاره التى فى حوزتنا . تقول السفينة : إن يوسف سينه جاك عين شيخا على التكية المولوية فى أدرنة وفى ذلك الإبان امتدت يد الوالى على أوقاف التكية المولوية ، ولما اعترض سينه جاك على ذلك ، أقدم الوالى على قتل أحد الأشخاص وألقى به فى التكية ، وحينئذ اضطر سينه جاك إلى الرحيل وولى وجهه شطر إستانبول ، وفيها حل ضيفا فى منطقة سولتجه Suituce الكائنة قبالة منطقة أيوب حيث عاش فيها حتى أخريات عمره ، ثم توفى سنة ٩٥٣هـ – ١٥٤٦ م ، ودفن فى الجهة اليسرى من الطريق المؤدية إلى المتنزه المسمى جعفر آباد[٢٥] .

يقول عاشق جلبى : إنه فى اليوم العاشر من شهر المحرم لسنة ٩٥٤هـ – ١٥٤٧م قدم تلميذ سينه جاك ويدعى شورى فى معية المولوية .

وانطلقوا بقضهم وقضيضهم إلى جعفر آباد وطفقوا ينثرون النقود على أولئك المجتمعين من أكابر إستانبول ووجهائها .

ثم أخذوا بعد ذلك فى طهى الطعام والعاشورة وهم ينشدون السماع ، ثم انشغلوا بعد حين بحلق رءوسهم وتخطيط رءوسهم وصدورهم بالموسى وإراقة دمائهم ، ثم طفق الشعراء فى هذا المجلس يكتبون الأشعار من أجل حفر قبر سينه جاك . ويحيطنا عاشق جلبى علما بأن ثمة بيتا من هذه الأشعار كتبه شاعر يدعى عارف ، حاز إعجابه واستحسانه ويقول فى هذا البيت :

غريبم يبم سينه جاكيم دردناكيم

سراسر روح باكيم كرجه جاكم

والمعنى :

أنا سينه جاك الغريب المتألم الحزين

لا جرم أن روحى الطاهرة تحكمنى برمتى

ويدون عاشق جلبى ما يفيد بأن سينه جاك كان له ولد فى أدرنة يسمى جيهان بالى يحبه حبا جما ، بيد أن أباه غرق فى لجة الحداد والأحزان لمقتل هذا الشاب الفتى ثم نظم مرثية فى هذه الفاجعة ، ثم صار عاشقا لشيطان زاده حسين جلبى عقب رحيل ولده جيهان بلى ويضيف عاشق جلبى قائلا : إنه قضى عمره بعد ذلك فى السياحة والترحال .

وورد فى السفينة أن يوسف سينه جاك مكث حينا من الدهر فى تكية المولوية بالقدس ثم ولى وجهه بعد ذلك شطر كربلاء ، وزار الأئمة الاثنى عشر واحدا تلو الآخر ، ثم واصل سيره حتى بلغ مدينة مشهد بغية زيارة الإمام الرضا (جـ ٢ ، ص : ٢٠ – ٢١) . اضطلع سينه جاك بتدبيج أثرين هما : جزيرة المثنوى ، ومنتخبات رباب نامه ، أما جزيرة المثنوى فقد ألفت من مختارات المثنوى وبلغت ثلاثمائة وستة وستين بيتا ، بيد أن هذه المنتخبات تضم بين ثناياها أفكارا جمة من ناحية الشرح والمعنى ، ومن ثم فقد جاءت على هذه الشاكلة أثرا صغيرا وكان هذا الكتاب الملمع إليه معروفًا ومشهوراً بين ظهرانى المولوية منذ تاريخ تأليفه ، واضطلع الشيخ البغدادى « علمى دده » شيخ التكية المولوية فى الشام (ت ١٠٧١ – ١٠٧٢ هـ = ١٦٦١ م) بنشرها بالتركية ، ثم اضطلع الشاعر غالب دده شيخ غلطة (ت ١٧٩٩ م) بشرحه مرة ثانية بالتركية .

كانت الشروح الأولى لجزيرة المثنوى بعنوان « لمعات بحر المعنوى بشرح جزيرة المثنوى وكتب هذا الشرح سنة ١٠١٣ هـ = ١٦٠٤ م ، ومسجل تحت رقم ٢٣٣٤ بين ثنايا المخطوطات التركية فى جامعة إستانبول ، أما الشرح الثانى لجزيرة المثنوى فهو فى حوزة شخص يدعى عبد الحليم أحد خلفاء شيخ يسمى « سوارى مقابلة قلمى » أحد المنتسبين إلى الشارح ، وكُتب هذا الشرح عقب وفاة الشارح بعام واحد ، وهو مدون تحت رقم ٢٢٢٢ ضمن المخطوطات التركية بنفس الجامعة[٣٦] وقد كتب جعفرى (ت ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٤ = ١٦٥٥ م) منتخبات من الجزاير سماها « شرح الانتخاب » وشرح جعفر كذلك الأربعين بيتا التى اختارها فى خمسة أبيات تركية

وعلى نفس الوزن ، وقد طبع هذا الشرح بمطبعة « تقويم خانه أميرة » سنة ١٢٦٩هـ ١٨٥٢ = ١٨٥٣م باسم « حل التحقيقات » وثمة شرح آخر للجزيرة اضطلع به شارح الفصوص عبد الله المثنوى « ت ١٥٠٤ هـ =١٦٤٤ م » وهو من كبراء الطريقة الملامية الحمزية .

وهذا الشرح مدون تحت رقم ٥٢٨ ضمن كتب نافذ باشا أما أشعار يوسف سبته جاك فتدل على أنه كان إنسانا متطرفا في عقيدة وحدة الوجود مستمسكا بالعقائد الحروفية ، وهو علوى المذهب وسوف لا تصر كثيرا فى هذا الصدد على إيراد شعاره هاهنا لأننا سوف نقدم فى خاتمة كتابنا أشعاره التى تسنى لنا جمعها من مختلف الدوريات هذا وقد زعم عاشق جلبى أنه من الحروفية ، ويتوجب علينا أن نذكر في هذا السياق أنه كان من شعراء الديوان الأكفاء من ناحية المقدرة الفنية والوصف والجمال على حد سواء .

وهناك خطاب موجود بين ثنايا آثاره وفى تذكره أسرار دده ، وفى هذا الخطاب ما يدل على أنه قد سار فى طريق ديوانه محمد جلبى ، ودونك ما ورد فى الخطاب شعرا :

بو غم بازار نبك رسواى عامى
ملامت بزمتك بى ننك ونامى
محبت شهرتك فرد غريبى
مودت كلشنى نك عند ليبى
ملامت خائفا هى نك مقيمى
ندامت بادشا هتيك ندعى
اشكيك ايلزينك خار وزارى
آتك آبا غيك كمتر غبارى

باش أجيق باكين آياق ياقاس جاك

برايش كلمز الندن جهره س خاك

رده مهرنده شول بر ذرره خاك ك

فقير وبى نوا اوسينه جاكك

والمعنى :

إن سوق الهموم فضيحة عامة

ومجلس الملامة لا شهرة له ولا شأن

هو رجل غريب فى مدينة المحبة

وعندليب روضة المودة

وأنا أحقر من غبار حصان قدمى

حاسر الرأس حافى القدم ممزق الطوق

وجهه مغبر لا يرجى منه خير

وذرة ترابك فى طريق المحبة

مقيم فى صومعة الملامة

ونديم سلطان الندامة

محقر ذليل على عتبة الكلاب

وأحقر من غبار قدم جوادى

حاسر الرأس ، حافى القدمين ممزق الطوق

مغبر الوجه لا يرجى منه خير

إنه ذرة تراب في طريق المودة والعشق

إنه يوسف جاك الفقير المعدم

وله ألفاظ أخرى تنم عن مذهبه ومشربه ، وتذكر أنه كان قلندريا مولويا ، ومنها قوله « القلندرى موجود ، والعالم بأسره فان ، وقد تطهر ونُقى من شعر الكون ، وهو كالفراشة طالب للفناء ، راغب تواق للهلاك ويقول أسرار دده : إنه قد ورد فى الخطاب المكتوب إلى جلبى إبان عصره ما يميط اللثام عن شخصية سينه جاك الموسومة بالقناعة والرضا والاستغناء .

الطائفة التى نشأها ورباها يوسف سينه جاك :

ومنهم الشاعر جُناهى حسن الذى اتخذ من سلانيك مستقرا له ، وهناك كذلك الشاعر عارفى (ت ١٥٥١ = ١٥٥٢ م = ٩٥٨ = ٩٥٩ هـ) ، وهو الذى دون تاريخ وفاة جلشنى ولا جرم أنه صاحب البيت الشعرى الجميل المنقوش فوق القبر ، وهو من أولئك الشعراء الذين نشأهم سينه جاك وتعهدهم بالتربية ، وممن ذكرهم عاشق جلبى أيضا « شهرلى شورى » الذى سلك سبَيل أرباب الطريقة الملامتية ، وكان يمارس السماع عازفا للعود ، ويتغنى أحيانا دون عزف العود ثم خرج للسياحة والترحال ، وطوف بأرجاء مكة والمدينة ومصر والشام وحلب حتى بلغ درجة التمكين والوقار ورباطة الجأش فى أخريات عمره ، ثم تولى بعد ذلك مشيخة تكية المحبة بعد سينه جاك ، وهو من المنتسبين إليه .

وممن ذكرهم حسن جلبى كذلك : صولاق حسن الإستانبولى الذى كان جميل الطلعة إبان فنائه وشرخ صباه ، فابتلى بحبه كثير من الناس ، واشتهر بلقب صولاق حسنى ، لأن الذى نشأ وتعهده بالتربية أحد العسران[٣٧] Solaklar

وإذا ما نظرنا إلى رياضى صاحب التذكرة ألفيناه يقول : إن ثمة من يدعى استنابول حسن الذى أصبح درويشا صوفيا إبان وجوده فى مدينة « ينى شرى » وبسبب مخلصه اختلطت أشعاره بأشعار ديوانه محمد جلبى ، وقد توفى إستانبولى

حسن سماعى فى سنة ١٥٨٥ - ١٥٨٦ م = ٩٩٣ - ٩٩٤ هـ ، ومن المحتمل أن يكون قد التقى مع يوسف سينه جاك وظل رازحا تحت تأثيره ونفوذه .

ومما لا مرية فيه أن شعراء المولوية قد قضوا شطرا مهما من أعمارهم فى السياحة والترحال ، ومن ثم فقد بات لهم تأثير كبير فى أولئك الذين يدركون هذا من شعرهم على وجه الخصوص ، كما أنهم نشروا المولوية وأذاعوا شهرتها وعرفوا بها فى المواضع التى يمموا وجوههم شطرها .

الهوامش

(١) وحمله ما لها منه الحقوق الداخلية فيها والخارجية منها ، سوى المقابر والمساجد والطرق ، وكانت أملاك الأمير عارف الواقف مخزن الأسرار الربانية ومعدن الأنوار الصمدانية محمد بن محمد بهاء الدين ولد ابن جلال الدين البلجي قدس سره العزيز تمليك الأمير الخطير الأعظم والمستر الأعدل الأفخم يعقوب خان بن كرميان عليشير نور الله مضجعه ، كذا شهد الشهود المذكورون (إسماعيل حقى اوزون جار شيلي : مدينة كوتاهية – نشريات : نظارة المعارف – إستانبول ١٩٣٢ – ص ٤١ . ويسجل أوزون جارشيلي في نفس الصحيفة أن المولوية كانوا يطلقون على هذا الوقف : سلطان ديواني وقفى .

(٢) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية ، ص ١٠٩ – ١١٠ .

(٣) الشق الثاني : محمد جلبي بن خضر شاه ديوانه محمد جلبي بن بالي حلبي بن أحمد باشا ابن محمد باشا بن خضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد بن حضرت مولانا قدس الله سرهم . وقد اقتبست هذه الشجرة بعينها من النسخة المذكورة عندما كنت في قونية ، بيد أنني أخطأت في بعض المواضع نتيجة العجلة ، ولم أكتب رقم الصحيفة ، ورجعت في ذلك إلى مدير المتحف السيد محمد زكي أورال فأجابني من فوره قبيل مرور وقت طويل ، وتفضلوا وأرسلوا إلى أرقام الصفحة بعينها مدونا فيها أن المسمى كمال الدين قد التقى مع أصدقائه ، وإني أزجي لهم خليل شكرى وجزيل عرفاني .

(٤) تذكر السفينة كذلك أن يعقوب بك بن سليمان شاه قد قتله العثمانيون بعد الغارة التي شنها بكتمور وأن ابنته تزوجت قبل حين بالسلطان بايزيد « يلدريم » الصاعقة (ت ١٤٠٣ م) وولدت له كلا من موسى وعيسى جلبي ، ولما كان نسب هؤلاء من ناحية الأم ينحدر من سلالة مولانا ، فإنهم كانوا يلقبون بلقب جلبي (ص ٥ ، ٤) ، ولكن يعقوب وافته المنية سنة ١٤٢٨ م ، أما البنت التي نكحت بلديرم فليست ابنة يعقوب بك ، بل هي شقيقته (نقش القبر – مدينة كوتاهية ، ص ٤٩) . وهذه السيدة هي أم السلطان محمد الأول ، وتوفيت في أواخر عام ١٤١٤ م ، أو في أوائل عام ١٤١٥ م الموافق لشهر شوال لسنة ٨١٨ هـ . وهكذا نرى أن المعلومات التي قدمها ثاقب دده لا يمكن التعويل عليها .

(٥) هذه الأرقام ترجع إلى أيام إدارة يوسف آق يورت للمتحف .

(٦) ترجمتنا حـ ١ ، سنة ١٩٤٢ م ، حيث يوجد توقيع جلبي بالصحيفة الموجودة لهذه الوثيقة بين ثنايا الصور الضوئية (الفوتوغرافية) .

(٧) هو شاهدي المتوفى سنه ١٥٥٠ م – ٩٥٧ هـ ، وكتب روضة الأسرار في سنة ١٥٤٤ م – ٩٥٨ هـ .

(٨) اقتبس أسرار دده اسم هذا الشخص من كلشن أسرار « ونقله في تذكرته » .

(٩) تحـتوى علـى شـجرة نسب ديوانه محمد جلبى ، وتوجد سبعة فروع فى السلسلة التى بحثناها آنفا ، وتحمل عنوان « الشجرة الأولى من الشق الثانى ، وهاهى ذى شجرة النسب :

« حيدر جلبى بن محمد جلبى بن عائشة خاتون بنت باشا جلبى ابن أمير عادل جلبى بن أحمد باشا ابن حضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد بن حضرة مولانا قدس الله سرهم » ويتبين من هذا أن باشا جلبى هو والد ديوانه محمد جلبى أو هو ابن أمير عادل جلبى أخو بالى جلبى وكلاهما أولاد عم .

(١٠) سبق أن ذكره أسرار دده باسم درويش شياد ، ويسمى كذلك شيدايى ، أما كلمة كوجك Kogek فإنها تطلق على الدرويش الموجود تحت التربية والذى يضطلع بخدمة الشيخ ، وعلى الدرويش الشاب الذى يتعهد بالتربية وينتسب إلى الشيخ حديثا ومن أسف أننا لا نعلم شيئا حتى الآن عن معرف أوغلو أو عن مؤلفه .

(١١) يار در آخر زمان كردى طرب سازلى - باطن وجد جد ظاهر بازاى .

كان المرحوم رمزى أفندى هو آخر شيخ على التكية المولوية فى اسكوداد . وقد كتب هذا البيت فى دورية الشيخ أنيس دده المولوى الموجود فى أدرنة (١٧٣٤ م - ١١٤٧ هـ) ، وقد أمر مولانا بكتابة هذا البيت فى حق ديوانه أفندى ومعناه : نحن نحس بالفقراء ، وقد كتبت هذه العبارة « بيرما حضر مولانا مرمود أبيه بيت درحق ديوانه أفندى » ازريان فقر أجونين شيدم .

(١٢) بيكشتم من مريدا ونجونان بير \ سكه كوركينشن بخر باشداز شير

نيود ممكن حد تفصيل بيانشن \ نمودم شمه با عاشقانشن

(١٣) رسيد أبى شاهدى ايام بيى \ شودى هفتاد وششن ساله غير (B ، ٤) .

(١٤) سوف نبحث كلمة التنورة فيما بعد ، وهى لباس ذيولة ثقيلة واسعة طويلة ، أعلاها خفيف دون أكمام ، وهى جلباب مفتوح حتى السرة ، وهى لباس الحروفية والقلندرية ، نعتقد أنها بدون أكمام ومن شعر الغنم ، وتصنع كذلك من الكتان أو الصوف وللشاعر نسيمى يسمى غزلية فارسية رديفها كلمة Kepemek كيه نك أى شعر الغنم (اللباد) . (إستانبول : تقويم الوقائع سنة ١٣٢٠ م ، ص ٢٨) . وكان دقاقين زاده أحمد بك من القلندرية (ت ١٥٥٦ - ١٥٥٧) وتتكون هذه الغزلية من اثنى عشر بيتا (النسخة المخطوطة التى فى حوزتنا ، ص ٦٤ - ٦٥) .

(١٥) رواية شرب الخمر فوق الصندوق هى ما سمعه شاهدى ، ولا وجود لها عند ثاقب دده ، ولربما أخفاها .

(١٦) تفيد الرواية أنه كان حيا فى عام ١٥٤٤ م ، ومن ثم فإننا نعتقد بوجوب أن تكون هذه الزيارة إبان حياته أى فى عام ١٥٤٤

(١٧) يرقد الإمام الأول فى النجف وهو على كرم الله وجهه (ت ٦٦١ هـ) والإمام الثانى فى كربلاء وهو الحسين (ت ، ٨٨هـ) والإمام السابع فى بغداد وهو موسى الكاظم (ت ٧٩٩ هـ) ، والتاسع هو محمد التقى الجواد (ت ٨٣٠ هـ) والعاشر فى سامراء وهو على الهادى (ت ٨٦٨ هـ) والحادى عشر هو حسن العسكرى (ت ١٨٧٤ م) ، أما الإمام الثانى عشر حتى الإمام الأخير منهم جميعا فى قبر حسن العسكرى ، وكذلك سرداب المهدى المفقود .

(١٨) جشم كه أذى دركاه رضا مهجوراست \ كرجستم خورشيد شودبى نوراست .

جـانى كهـ باخدبت سيورد خلعه باكوش \ درداثرة عين كرم محشور است

(السفينة جـ ١ ، ص ٢٢٠) .

(١٩) يوجد هذا بين ثنايا الروايات التى سمعها شاهدى، بيد أنه لم يذكر اسم الجامع

(٢٠) أى قافلة قلعة طاعت كما يد \ اندر حرم قبلة حاجات بيايد

سـيارة باكر دسرو كردإفوس \ جيل حالة دربته خيالات شمايد

وهذه الأبيـات نظيـرة لإحدى غزليـات مـولانا . انظر : مـولانا جـلال الدين – الطابعـة – ص : ٢٢٣ وملاحظة رقم ٦٤ . وقد أشارت السفينة إلى هذه الأبيات (ص : ٣٨) .

(٢١) ولى الدين أوغلوا إسكندر باشـا هـو الذى أسس التكيـة المولوية فى غلطة (قـول قـابيـسى) ، وأوقف عليها حديقته ، كما شيد مسجداً فى إستانبول بمنطقة صارى كوزل ، ودفن بمنطقة فيزه (حديقة الجوامع – جـ ١ ، ص ٦٩) . أما وقفية هذا المسـجد فـموجـودة فـى أرشيف الأوقـاف ، ومـدونة تـحت رقم ٨٩٧ H-de (١٤٩١م) فى وقـفـية التكية المولوية فى غلطة ، وثمة مـزرعـة بمنطقـة قرة بوجوك وهى إحدى مقـاطعات فيزه الملحقة بأذنه بمنطقة الروملى ، وهى مسجلة وموقوفة على التكية المولوية . وتوفى اسكندر باشا سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٥ – ١٥٠٦ م) فـى البوسنة وورد في حديقـة الجوامع خلط بين اسكندر باشا هذا وبين الإسكندر الموجود فى بستان باشى الذى بنى مسجد قانليجة إبان عصر القانونى (جـ ٢ ، ص ٤٢ ، ١٥٨) ، ولم يأخـذ أحمـد نورى أبو السـعود كل هذه المعلومـات ، . ونحن مدينون للكتـاب المسـمى « التكيـة المولوية فى غلطة من ناحية الملاحظات الأدبية والتاريخية فى حق التكايا المولوية فى إستانبول (ما ورد فى النسخة ذاتها ٤٣٠ وما بعدها ، الوقفيات الأصلية مع الوقفيات الأخرى ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢٢) هى بـالتـركيـة Kaos وبالإنجليـزية chaas ، وتعنى الشـواش ، أو اللا تكون وهى حـالة الكون المختلط قبل تكوينه وهى المادة اللا متشكلة المفروض أنها سبقت الكون (المترجم) .

(٢٣) وأصله قوله :

ناد عليا مظهر العجائب \ تجده عونا لك فى النوائب

كل هـم وغـم سيتـجلى \ بولايتك يا عـلى يا علـى

وهذا ما رواه دعبل الخزاعى المعاصر للإمام الرضا (توفى دعبل الخزاعى سنة ٨٦٠ م) ، وقد أضافوا بعد ذلك إلى الأبيات ألفاظا متباينة وكلمات ذوات تركيب فارسى لا يتفق مع العربية ، كما أضيفت كذلك أبيات تركية ، ويوجد اصطلاح « ناد عليها » ضمن الأوراد التى ينشدها البكتاشية صباح مساء . وفى إيران عندما يقولون لواحد من أهل الله لماذا لا تصلى فيقول « من ناد عليا ميخونم كه بدر نمازه » ومعناه : أننى أنشد ناد عليا فإنه أبو الصلاة ، وهذه من نوادر الشعب .

(٢٤) ما شاهبا زحضـرت أورقلـندرم \ خاص ازيراى آل بيغمبر قلندرم (تذكرة أسرار)

أما المقصودة بالثمانية والأربعة : فإنهم شعراء الإمامية الاثنا عشر ، ويذكرون هؤلاء الاثنا عشر على

هذا النحو هذه الأكثرية بسبب الوزن . أما اصطلاح اثنين وستة فهو إشارة كذلك إلى الأئمة الاثنى عشر ، وأما الاثنان والسبعون شهيدا فهم أولئك الشهداء الذين استشهدوا فى كربلاء مع الإمام الحسين ، وعدد شهداء كربلاء مائة شهيد ، ولكن الظاهر منهم هو أسماء اثنين وثمانين شهيدا ، ورغم هذا فإن القول يقف عند كونهم « اثنين وسبعين شهيدا » .

(٢٥) ورد فى حديقة الجوامع أن شيدا دده توفى سنة ١٨٣٠ م . وموجود بين ثنايا الراقدين فى حياته التكية المولوية فى غلطة ، وعلى كل حال فإن هذا الشخص هو شيداً دده (جـ ٢ ، ص ٤٨) .

(٢٦) إذا كان أسرار دده يكتب أن صفائى أدركته المنية فى عام وفاة ديوانه محمد جلبى أى سنة ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ م ، فإن هذا التاريخ خاطئ من أساسه .

(٢٧) ورد ذكر اسم صفائى عند أسرار دده ، ويكتب سهى فى تذكرته أنه كان ماهرا فى علم الخرائط والملاحة البحرية ، وكان شيخا على البحارة الذين كانوا يقدمون له النذور والهدايا ، وقد ألف مثنويا من عشرة آلاف بيت نظمه فى الحروب البحرية التى خاضها كمال رئيس ، ومات عن عمر يناهز مائة وعشر سنوات ، ويسجل سهى كذلك أنه دفن فى منزله على مقربة من الترسانات البحرية فى مدينة غلطة (تذكرة سهى : إستانبول - مطبعة آمدى : سنة ١٣٢٥ م ، ص : ٧٢) . ويذكر أسرار دده أن صفائى توفى سنة ١٥٢٣ م ولما كان منتسبا إلى إسكندر باشا فإنه أصبح فى معيته درويشا للشيخ محمد جلبى الذى عينة شيخا على منطقة غلطة ، وعند وفاته دفن فى المقبرة التى شيدها اسكندر باشا من أجل أخته . أما عاشق وحسن جلبى كلاهما ، فيكتبان أنه كان شيخا على التكية التى شيدها اسكندر باشا ، ويدون رياضى أنه توفى الأزمنة الأولى من عصر سليم الأول ، أى فى عام ١٥١٢ م ، أو فى الأعوام التى أعقبت هذا التاريخ . ويذكر كل من صاحب « المؤلفون العثمانيون » ، ومؤلف « فتح نامه » أن صفائى كان شيخا على التكية التى شيدها اسكندر باشا على مقربة من منطقة « أوق ميدانى » ويقولان بأنه دفن فيها دون التصريح بالمصدر الدال على ذلك (جـ ٣ ، إستانبول - المطبعة الأميرية سنة ١٣٤٢ م ، ص ٨٠) ، وتذكر حديقة الجوامع أن قارىء المثنوى محمود دده صار شيخا على تكية غلطة بعد محمد جلبى (جـ ٢٢ ، ص ٤٢ - ٤٣) . وورد هذا أيضا فى سلسلة النسب التى صنفها حسين فخر الدين دده ، وهذا يعنى أن محمد دده كان موجودا بعد ديوانه محمد جلبى وليس صفائى . أيوجد حقا شخصان يحملان اسم صفائى ؟

وعلى كل حال فإن كلا من عاشق وحسن جلبى كانا مخطئين فيما صرحا به من وجود التكية فى غلطة .

(٢٨) هو بائع الزبادى Yogurtcv

(٢٩) وقفنا على ما ذكرته هذه النسخة من أن اسمه هو سوتلجة سعدى شيخى ظاهر أفندى .

(٣٠) من أجل الوقوف على أن هذا الشخص من البابيلر ، « انظر كتابنا » يونس أمره وحياته ، إستانبول سنة ١٩٣٦ ن ، مكتبة أقبال ، ص ٥٦ - ٦١ ، ١٠ ، ٦٥ - ١٣٩ - ١٩٢ - ١٩٦ - ٢٦٦ - ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣١) انظر : إسماعيل حقى أوزون جار شيلى : مدينة كوتاهية : إستانبول ، مطبوعات الدولة سنة ١٩٣٢ النقوش الواردة فى الصفحة الأولى .

(٣٢) انظر : جواد تاريم : تاريخ قيرشهر : مطبعة الولاية ١٩٣٨ ، ص : ١٧٦ .

(٣٣) هذا البيت يعني : أن الشخص الذي يستحوذ عليه يكون في مكانه مثل رقصة المولوية ، لأنه حينئذ يكون قد استحوذ على سر الزمان المبهم الملغز ، أعلاه مختوم ، ويكن أن يفهم كذلك .

أنه أصبح صفيه وتجيه على هذه الشاكلة ، وهذا في رأينا توجيه بعيد ولا نعلم من يكون فائزي هذا .

(٣٤) شيد هذه التكية في سوتلوجة واحد من رجالات سليمان القانوني يدعى جعفر ، وبهذه المناسبة سميت المنطقة المجاورة باسم جعفر آباد ، وقد أوقف القانوني على هذه التكية مراجل وأوعية قيمة ، كما يوجد على جدرانها نقوش وصور بلغت حدا فائقا من الروعة والجمال ، ونظرا لاسمها الإيراني فقد كنا نعتقد أن النقاش أغا رضا قد اضطلع برسم صورة ظبي فائق الجمال على إحدى الصخور الكبيرة في مكان مجاور لها ، ومن المحتمل أن تكون هذه الصورة حلية معمارية ناتئة (أوليا جلبي : إستانبول – مطبعة أقدام سنة ١٣١٤ م – جـ ١ ، ص ٤١٠) ، كما دفن الشاعر الإيراني حبيبي بجوار هذه التكية إنقاذا لوصيته ، وهو من شعراء القرن السادس عشر الميلادي ومن أتباع المذهب الجعفري ، ويقول أوليا جلبي : إن القائلين بأنه دفن في جعفر آباد يرجعون ذلك إلى كونه جعفري المذهب (ص : ٤١١) ، وندرك من حديقة الجوامع كذلك أن ثمة تكية شيدها في هذه الناحية شيخ الإسلام « داماد زاده فيض الله » (ت ١٠٧٦١ م) ، ثم آلت هذه التكية بعد ذلك إلى يد البكتاشية (جـ ١ ، ص ٣٠٥) ، ثم شيد حاصري زاده حاجي مصطفى عزيزي وهو من مدينة سعدية تكية سميت باسم هذه المدينة (نفس الصحيفة) . أما قبر يوسف سينه جاك فيثوى أسفل هذه التكية .

(٣٥) إذا كان قد قيل إن ليوسف سينه جاك قصيدة تسمى النظيرة المحمدية (عثمانلي مؤلفلري ، جـ ١ ، ص ٨ وهي مدونة في مخطوطة قديمة بجامعة إستانبول تحت رقم ٥٧٠ ضمن المخطوطات التركية ، فإن اسم يوسف (A ٧ – بيت رقم ٥) ما هو إلا اسم شاعر تخلص بأبدي (٣٨٢ ، بيت رقم ٣ من أسفل) ، وهو ينتسب إلى الطريقة الخلوتية (B ٣٧٩) ، وله كتاب يسمى « رهنما » يخص هذه الطريقة ، وكتاب آخر يسمى « آداب الطالبين » يخص آدابها (A ٣٧٩) ، وكتب هذا الكتاب شخص آخر من أنقرة (B ٣٧٩ ، البيت الأول) ، وقد صنف هذا الكتاب مستفيدا من كتب الحديث والتفسير متخذا من المحمدية أساسا له ، وليس لهذا الكتاب أية علاقة بيوسف سينه جاك البتة .

(٣٦) العسران : جمع الأعسر ، وهو من كانت قوته في شماله ، ويعرف في التركية باسم Solak (المترجم) .

الفصل السابع

الذين نشروا المولوية بمؤلفاتهم وآثارهم

مجد الدين فريدون ورسالته – أفلاكى ومناقب العارفين – شاهدى – حياته – آثاره – شعره وفارسيته – شراح المثنوى والذين اضطلعوا بوضع مقتطفات أدبية مختارة من المثنوى .

مجد الدين فريدون ورسالته :

مما يؤسف له أنه لم يتسن لنا أن نحيط علما بسائر الدقائق والتفاصيل التى تتصل بالسيرة الذاتية لمجد الدين فريدون ، وهو ابن شخص يدعى أحمد أحد القادة العسكريين للدولة السلجوقية ، ويقول ثاقب دده : لقد كان مجد الدين إبان شبابه يغشى مجلس سلطان العلم ولا يزايله ألبتة ، ثم أصبح بعد وفاة أبيه رئيسا للجيش إلى أن صار مريدا لمولانا نابذا خدمة الدولة وراء ظهره ، ويضيف ثاقب دده قائلا : لقد كان اسمه مقترنا باسم آهى باشا الذى سلف ذكر اسمه فى شهادة الفتوة التى تحمل تاريخ سنة ١٤٧١ م (جواد تاريم قير شهرى فى التاريخ ١٩٤٨ ، ص ٧٨ – ٨١ ، وثمة صورة شمسية لشجرة النسب الملحقة فى هذه الطبعة طبعة الكتاب سنة ١٩٣٨ م) .

كان لمجد الدين أصرة قربى مع كل من : آهى تورك والد جلبى حسام الدين ، وتزوج فتاة من هاتين العائلتين (ج ٣ ، ص ٣) ويقول سبهسالار : إنه اضطلع بخدمة

مولانا بنفسه مدة أربعين عاما (ترجمة مدحت بهارى : ص :١١) ، وسبهسالار هذا هو أحد الرواة الأساسيين لأفلاكى . ويقول ثاقب دده : إنه توفى فى السنوات الأولى من خلافة سلطان ولد ، يعنى بعد عام ١٢٨٤ هـ ، ولكنه على كل حال توفى قبيل عام ١٣١٢ هـ ، أى فى حياة سلطان ولد ، ودفن فى الجهة اليسرى لمقبرة علاء الدين جلبى بن مولانا جلال الدين الرومى ، وتكتب السفينة أن ولده جلال الدين انتسب إلى سلطان ولد قبيل وفاة أبيه (ص ٤ – ٥) وجمع سبهسالار مناقب مولانا فى رسالته المكتوبة بالفارسية والمسماة « رسالة سبهسالار ومناقب العارفين ، وعلى كل حال فقد اضطلع ابن أفلاكى بإضافة ذيل مختصر إلى هذه المناقب حتى عصر أمير عابد جلبى . واضطلع المستشرق جوانبور Gawnpor بطبع متن رسالة سبهسالار فى طبعة حجرية سنة ١٣١٩ هـ ، وقد ترجم ما كتبناه فى القسم الثانى من الجزء الخاص بالمدخل إلى التركية مرتين اثنتين ، ثم طبعت هاتان الترجمتان ، واضطلع الشيخ حسن فخر الدين دده شيخ التكية المولوية فى بهارية بترجمة رسالة سبهسالار شعرا منظوما فى عام ١٩١١ م . أما الترجمة التى رأيناها لبعض المقطوعات قديما ، فلا نعلم على وجه اليقين أين هى اليوم ولمن تكون وما المصير الذى آلت إليه ؟

أفلاكى ومناقب العارفين :

لا جرم أن كتاب « مناقب العارفين » بالنسبة لنا بمثابة هدية ذات قيمة ثمينة ، ولا نملك معلومات تتصل بالسيرة الذاتية لأفلاكى ، وقد سجل هذا الكتاب مادة علمية أعانت على تأكيد وتثبيت السير الذاتية لأكابر المولوية ووجهائهم ، كما بحث بين الفينة والأخرى شئون كثير من الأمراء ، وعلى حين نراه يضطلع بذكر كثير من الوقائع والأحداث التى تجلى التاريخ وتميط اللثام عنه ، نراه يهمل نفسه ويجعلها نسيا منسيا ، حتى أنه لم يتسن لواحد من معاصريه الاضطلاع باستجلاء المعالم الأساسية لحياته فى أقل تقدير ، وعلى سبيل المثال فإنه لم يبرز اسم الكاتب على هامش نسخة مناقب العارفين .

أما ثاقب دده فقد أورد كلاما كثيرا فى شأنه بيد أنه ينأى عن التفصيل والإسهاب (جـ ٣ ، ص ٥ - ٨) ويحيطنا ثاقب دده علما بأن أفلاكى هو ابن آهى ناطور ، وتلميذ بدر الدين تبريزى ، وله سياحات ورحلات قطعها فى سبيل تحصيل العلم ، ثم تخلص بمخلص أفلاكى لتقدمه وعلو كعبه فى كثير من العلوم ومنها علم الفلك على وجه الخصوص (ص : ٥) ، كما شاهد استعدادات جنازته بعد أربعين يوما من وفاة أولو عارف جلبى وحفر قبره بإزاء سيهسالر ، ثم تفوه بكلمة « هو » دون مرض أو رقاد ، وسرعان ما أدركته المنية ثم وورى الثرى فى المقبرة التى احتفرها ولا نستطيع أن نحمل أنفسنا على قراءة القسم الأخير من حكمه وأمثاله الفارسية التى استهلها بقوله « أى خطأ يتوجب على تصويبه » وهذا سبب صائب فى اتخاذ أفلاكى لمخلصه هذا هو ما نستشفه غالبا من بين ثنايا هذه المعلومة المشوشة المضطربة . وثمة رواية تقول إنه كان ثمة مرصد فى قونية فوق هضبة علاء الدين ، وأصبح أفلاكى مديرا على هذا المرصد ، ألهذا السبب تخلص أفلاكى بهذا المخلص ؟ أم أن هذه الرواية قد انبثقت فى الوجوه بسبب مخلصه هذا ، إننا لا نستطيع أن نحيط علما بهذا .

وقد ورد فى السفينة كذلك أن اسم آهى ناطور الذى سمى به أبوه قد انتقل أيضا إلى أفلاكى ، وكان أبوه يعمل فى خدمة حمام بمنطقة كوكوجلر Kunkculer وتوفى عن مائة وعشرة أعوام ، كما كان يروى مناقب بهاء الدين ولد المعروف بسلطان العلماء ، ويروى كذلك عن الشيخ محمود صاحبقران ، وكان الشيخ محمود يقول لقد كنا إبان ذلك أطفالا ولسنا فى حاجة إلى القول إن ثاقب دده لم يبحث فى مسألة اختلاف وتباين هذا الرجل عن أبيه ، وفى مقابل هذا فعندما توجه فى معية أولو عارف جلبى من آق شهر إلى مدينة سيواس ، توفى أبوه فى مدينة سراى أثناء وجوده بقصر مالك الأوزبك ، ولما سمع بأن أباه ترك ممتلكات كثيرة ذهب من فوره إلى سيواس دون أن يستأذن جلبى ، ثم حمل كتب أبيه مع بعض أمتعته واعتزم الإياب ، حينئذ استيقظ جلبى من نومه وصاح صيحة وهو يقول لا حاجة بنا إلى هذه الممتلكات ، وبناء عليه وضع أفلاكى رأسه فوق حافر حصان جلبى وتاب إلى ربه وأناب ثم قال جلبى له : لا تتعقب أثر صيد ما دمت حيا ، ولأكن أنا صيدك . ويتبين

من هذا أن والد أفلاكي كان في قصر ملك الأوزيك(١) ولكن ما اسمه وما عمله ؟ وهل كان أفلاكي من أهل هذه البلاد ؟ ، إن ثاقب دده لم يدل بمعلومات قط في هذا السبيل . ولا جرم أن البغية التي كان ثاقب دده يتغياها هي تفصيل القول عن عظمة وسمو قدر أولو عارف جلبي وكراماته ، ويحيطنا سبهسالر علما بأنه كان يشتغل بالكيمياء (ص ١٢٨ - ١٢٩) ، ومن المحتمل أن يكون أفلاكي قد تعلم منه الكيمياء ، بيد أن أفلاكي يقول : إنه كان أستاذا لسراج الدين قارىء المثنوي ، وشريكا في الدرس مع آماسيه لي علاء الدين أحد خلفاء حسام الدين (٢٢١ ، ٢٢٢) . كان أفلاكي شغوفا من حبة فؤاده بأولو عارف جلبي ويعد كل قول له من قبيل الحكمة ، وكل فعل له من باب الكرامة . وعلى حين كان يبحث بنفسه عن رحلاته وأسفاره ومناقبه فإنه في الوقت عينه لم يبحث عن مقدرته وريادته ، كما أنه يدون أخطاءه ويناقشها بشيء من التقصير والإهمال ، بيد أننا نعلم كذلك مدى الاعتقاد الجازم عند أفلاكي من هذه الوقائع الآتية :

ذات يوم جاء أحد الصوفية وحل ضيفا في نزل فرقة الانكشارية ، ويقول : إنه مكث مدة طويلة في القدس مضطلعا خلالها بخدمة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام .

أما أفلاكي فقد حداه شوق عارم إلى رؤية هذه الأماكن وخدمة مقام خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، وفي تلك الليلة رأى في منامه أنه دخل جنازة متوجهة إلى مقبرة ، فسأل قائلا من يكون المتوفى ، فأجابوه قائلين : إنه النبي إبراهيم الخليل وقد دفنوه تحت مكتب قراءة المثنوي في المقبرة . وذات يوم ذهب جلبي إلى الحمام ، وبينما كان أفلاكي يكنس حجرته أخذ درهما وجده تحت الوسادة ، ولم يستطع كبح جماح نفسه ، وبعد جهاد كبير أخذ يأكل حبة مشمش واحدة من كأس الخشاف الموجودة في الحجرة ، وفهم جلبي كلا الأمرين معا ، وقدم إلى خادمه أفلاكي مزيدا من المال .

ثم يتحدث في رحلته إلى مدينة لادك ladik بكلام غير منطقي ومناف للعقل .

ولما ذهب إلى كوتاهية ألمت به الحمى ، ورقد فى أحد أركان الزاوية ، ولربما كان المرض الذى داهمه سببا فى الكلام الذى تفوه به . وفى النهاية جاء إلى فراش جلبى الذى أظهر له اللطف والمجاملة ، وما لبث أفلاكى أن نقه من علته وتحسنت صحته بفضل قوة الإيحاء والإلهام (٢٠٤) . كان لأفلاكى خصوم وأعداء ، وعلى سبيل المثال لا الحصر أننا نرى الشاعر آينه دار أوغلو قد عقد النية على قتله ، وأفصح عن هذه النية فى وجه أفلاكى وفى حضرة جلبى ، ومن المحتمل أن يكون للحسد والغيرة تأثير مباشر فى هذه الكراهية ، ويفهم من مخاطبة أولو عارف جلبى لأفلاكى قائلا له « يا شيخ » أنه أخذ الخلافة منه ولم يكن قارئًا للمثنوى فحسب .

ولم يمت أفلاكى بعد أربعين يوما من وفاة جلبى ، بل مات فى يوم الإثنين وهو اليوم الأخير من شهر رجب لسنة ٦٧١ هـ ، أى بعد أربعين سنة على وجه التقريب ، وهو اليوم الموافق للخامس عشر من شهر يونيو لسنة ١٣٦٠ م ، ولم يدفن فى قبر مجاور لقبر سبهسالار ، بل دفن فى موضع آخر على مقربة منها ، وثمة شاهد قبر موجود فى المقبرة الكائنة بفناء منزل أحد الأشخاص ويدعى طوب باش فى موضع قريب من هذه المقبرة ، ولما تهدم المنزل سنة ١٩٢٩ م أخذت مديرية المتاحف هذا الشاهد ونقلته إلى المقبرة ، وها هى ذى الترجمة التركية للنقش الموجود على الحجر : « الباقى هو الله : هذا قبر أفلاكى العظيم ، الخبير بالمعارف والعلوم هو العالم وحيد عصره ، منقطع النظير فى زمانه والمنسوب إلى أولو عارف جلبى الذى كان محباله ، فستر أخطاءه ، وأبدى له العطف والمرحمة ، وقد رحل عن دار الفناء إلى دار البقاء فى يوم الإثنين وهو اليوم الأخير من شهر رجب لسنة ٦٧١ هـ - تغمده الله برحمته ، وتجاوز عن سيئاته[٢] .

وإذا صحت الرواية القائلة بأنه كان قوى الإيمان ، فلماذا إذًا اشتغل بعلم الفلك وبالرياضيات التى هى أصل هذا العلم ؟ لا ندرى لهذا سببا ، وكل ما نعلمه أنه كان رجلا قد ألف الاعتماد على الفكرة الثابتة التى لا تتغير مما جعله يستند فى كثير من الوقائع التى حكاها فى كتابه « مناقب العارفين » إما على خبرته وحنكته الذاتية ،

وإما على روايات الأشخاص الذين يثق بهم ويعول عليهم ، لقد مكث أفلاكي في كنف مولانا وحضرته حقبة مديدة من الزمان ، وأدرك نفرا كثيرا ممن شاهدوا مولانا ، كما كان على مقربة بكثير ممن أدركوا عصر مولانا مثل سلطان ولد وابنته مطهرة خاتون وفاطمة خاتون والدة أولو عارف جلبي ، وقد زاد هذا من قيمة الحكايات التي رواها مستثنين منها تلك الروايات التي لا قبل للعقل بقبولها . وثمة وقائع استهلها بقوله « رويت عن الأشخاص الموثوق بهم ، أو عن الأصحاب الأقدمين » ، وعلى كل فقد كانوا غير معتمدين على راوٍ بعينه ، ويرجع هذا إلى أن الأشياء التي حكاها في معظمها مرتبطة برواية واحد بعينه أو ببضعة أشخاص بعينهم ، ولا أحد من هؤلاء الرواة يعد مجهولا أو متخيلا على أي وجه من الوجوه . وعلى سبيل المثال فإن جل المعلومات التي ساقها ما هي إلا روايات تتصل بأمراء الأناضول ، كما أنها تتفق مع النقوش من جهة ، وذات قيمة تاريخية واتساق مطرد من جهة أخرى . ويتضمن كتاب أفلاكي فصولا تخص كلا من : سلطان العلماء ومولانا وشمس وصلاح الدين وحسام الدين وسلطان ولد وأولو عارف جلبي . وإذا ما استثنينا بعض الفصول والألقاب والنعوت ألفينا لغة قصصية خالصة ، كما أنه نموذج رائع الجمال للنثر البسيط المتأصل للغة الفارسية . فرغ أفلاكي من تأليف كتاب «مناقب العارفين» في سنة ٧٥٤ هـ - ١٣٥٣ م ، وقد سلف أن قدمنا معلومات عن ترجمات الكتاب والمختصرات المقتبسة منه وذلك في القسم الثاني من الجزء الخاص بمدخل هذا الكتاب وعليه فإننا سوف نعيد تكرارها في هذا المضمار .

شاهدي :

حياته :

ثمة معلومات جد جميلة ساقتها التذاكر في شأن شاهدي إبراهيم دده . أما ثاقب دده صاحب السفينة فقد كتب ما سمعه عنه بطريقة منهجية منظمة ، ولكن لم يتسن له أن يقدم لنا شيئا قط بين ثنايا ألفاظه المحتشدة المتراكمة (جـ ٣ ، ص ١٥ - ١٩).

وقد وردت أخبار مفصلة فى روضة الأسرار تتصل بحياته وحياة أبيه ، ولما كان كتاب روضة الأسرار يتضمن عبارات صريحة تدور حول من يتعاطون المخدرات والمسكرات من المولوية وذلك بحسب ما سمعنا وتيقنا بعد قراءة هذا الكتاب ، فإن تبوؤ شاهدى لمقام الطريقة الشلبية إبان القرن السابع عشر الميلادى إما أن يكون قد تم محوه وإزالته من هذا الكتاب بأمر شفهى بعد حين ، وإما أننا لم نر شاهدى فى هذا الكتاب المختفى ، حتى أننا لايتسنى لنا أن نكون ذوى معلومات جازمة فى حق ديوانه محمد جلبى .

هذا ويرد ذكر شاهدى كذلك فى الجزء الأخير من كتاب روضة الأسرار ، وهو جزء لا تنيف أوراقه على ست وعشرين ورقة على وجه التقريب ، وتنحصر هذه الأوراق فى سرد السيرة الذاتية الخاصة به وبأبيه ، ولقائه مع ديوانه محمد جلبى (حالت أفلاكى : القسم الخاص بذيل الكتاب رقم (٧١ - ٧٤ - ٩٧) ويستشف مما روى عن شاهدى أن جده كان فقيها حافظا للقرآن الكريم ، مشغولا فى الوقت نفسه بالحرب والقتال ، وانضم إلى كثير من المعارك فى منطقة الروملى وأخيرا ذهب إلى الإقليم العربى حيث حل ضيفا على قرية كافرة ، وفى منتصف الليل أقبلت فتاة بإزاء فراشه فأيقظته ، وسألته قائلة أأنت مسلم ؟ وإذا ما قلت إنك مسلم فلسوف أغدو أنا كذلك مسلمة ، وإذا تفوهت بذلك فإنهم سيقتلوننى ، ثم أردفت قائلة : إذا لم تُهربنى من هناك فسأكون خصما لك حتى يوم القيامة ، وما لبث جد شاهدى أن نهض من فوره فأخذ الفتاة فامتطت صهوة جواده ووصلت مصر ، وولد من هذه الفتاة التى أخذها جده والد شاهدى ويدعى خدايى صالح .

وهذه الواقعة أسطورية إلى حد ما ، ومن المحتمل أن تكون قد اصطبغت بهذه الصبغة حتى وصلت إلى شاهدى . ومن المحتمل كذلك أنها رويت لأبيه على هذه الشاكلة ، بيد أن الحقيقة التى لا مراء فيها هى كون جده قد اضطلع بتهريب فتاة مسيحية . توفى والد خدايى صالح وعمره نصف شهر ، وعثر المصريون على سيدة عجوز وقالوا لها : عليك برعاية الطفل وبعد كثير من الوقائع والأحداث آلت مملكة أبيه

إلى موغلة ، ثم ما لبث أن انتسب إلى سيد كمال ، ومن المحتمل أن يكون سيد كمال هذا قره ما نلى فى كمال أمى الذى ورد ذكره فى تذكرة لطيفى ، أو هو خلوت كمال .

وقد رأى سيد كمال فى خدايى مقدرة وكفاءة متميزة ومن ثم أرسل به إلى إيران بغية الدراسة وتحصيل العلم ، ولما أنهى خدايى تحصيله انكفأ راجعا إلى وطنه ، ورأى محمد باشا وزير الفاتح (ت ١٤٧٤ م = ٨٧١ = ٨٧٩ هـ) خدايى وتحدث إلى الفاتح بشأنه ، وسئل عن رغبته الذاتية وما لبث أن عين شيخا هنالك ، ورغب فى مقام سيد كمال الموجود فى موغلة والذى أدركته المنية قبل حين . ويقول شاهدى إن والدته كانت امرأة تهيم بعشق مولانا ، وذكر أيضا أن أباه كانت له صداقة حميمة مع أحد تجار الحرير من الصوفية ، ولم يضطلع شاهدى بالبحث فى شئون المولوية ، بيد أنه نظم غزلا ينتسب فيه إلى المولوية ، ويقول فى مطلعه :

أى دل ايسترسك أكر كامل أوله نقصانك

سجده كاه ايت اشيكك حضرت مولانك

والمعنى :

إذا كنت أيها الفؤاد تريد إكمال نقصك

فاسجد على عتبة مولانا

لا جرم أن خدايى كان محبا للمولوية ، وهذا شيء ثابت محقق فى أقل تقدير ، كما كان عالما حاذقا للفارسية ، وكان له طلاب كثيرون ، ولكنه سرعان ما مات بمرض الطاعون وكان ولده شاهدى آنذاك فى العاشرة من عمره ، وكان لخدايى ولدان من الذكور وأربع فتيات فضلا عن ولده البكر شاهدى ، وأصيب إخوة شاهدى جميعا بالطاعون ، وذات ليلة توفى أخوه فى معية أخوين له بالمرض عينه . وأثناء احتضار أبيه مد يد شاهدى إلى صديقه تاجر الحرير ، وأوصاه برعايته وعنايته والحدب عليه ، ولهذا السبب قدمته أمه خادما وأجيرا لدى تاجر الحرير ، بيد أن شاهدى لم يكن مولعا بكل ضروب تجارة الحرير وصناعته وذلك بسبب رغبته الجارفة فى الدراسة

وتحصيل العلم . أما أمه فإنها لم تكن لتتعجل فى ترك ولدها الجميل فى أماكن متباينة ، ولما بلغ أشده واستوى استأذن فى الخروج إلى الغربة والترحال بغية طلب العلم ، ثم صار شاهدى بعد ذلك طالب علم دينى فى مدرسة الفاتح بمدينة إستانبول ويحكى شاهدى بكل صدق وإخلاص سمات وخصائص هذه الحقبة الزمنية فيقول : كنت إبان دراستى الدينية أخرج فى بعض الأوقات حاملا الجرار حتى كنت أذهب إلى منطقة جبزه , Gebze وأشرب فى منطقة غلطة وأظل سكرا ثملا حتى أهوى من القارب فى لجة البحر و يروى أنه رأى سيد كمال فى المنام وهو ثمل فى إحدى الليالى .

كان شاهدى ينشغل بالدرس وتحصيل العلم ، بيد أنه كان لا يتسامح أو يتساهل فى غرور العلماء بعلمهم ، ومن ثم صرف همته وبذل جهده فى النزوع نحو التصوف ، فقد كان مجتهدا مثابرا ، ولكن لا يروقه كثيرا مداهنة الشيوخ والتزلف إليهم كى يظهر أمامهم وكأنه شخص ذو أريحية عن طريق الكذب والتملق كان شاهدى يقرأ كتاب « كنز الرموز » لسيد حسين (ت ٧١٨ هـ = ١٣١٨ م) فى تنور بأحد نزل ضيافة بايزيد الصاعقة ، وإذا بأحد التلامذة يسأله قائلا ما هذا ؟ فشرح له الموضوع قليلا ، ثم أوصاه شاهدى بترك الدنيا ، ثم ضحك وهو يقهقه وقال : إننى سوف أترك دنيا التلميذ بعد هذا العنت واللغوب ، ويلزمنى حينئذ منصب رفيع ، ولأكونن صاحب مال وملك عظيم ، وليكن هذا مقولة أبنائى ، ولكن التلميذ المسكين ما لبث أن غادر شاهدى وما إن دخل حجرته حتى ألم به الطاعون فقضى نحبه من فوره ، وكانت هذه الواقعة بمثابة نقطة تحول فى حياة شاهدى .

أما شاهدى الذى زهد فى الدنيا وفترحبه لها فقد هجر تحصيل العلم وانفلت آيبا إلى موغلة ، وقال لأمه : إنه لن يدرس أكثر من هذا ، ويرغب فى أن يكون درويشا صوفيا . وفى موغلة ارتدى خرقة قديمة ، لا ينام الليل ، وفى ذلك الإبان كان يوجد شيخ بغير تكية هو الشيخ خير الدين الذى كان خليفة للشيخ وفا (ت ٨٩٥ = ٨٩٦ هـ = ١٤٩٠ = ١٤٩١ م) ، وكذلك الشيخ برداشى بدر الدين الذى لم تكن له معاملة قط مع المشيخة ومع التصوف والدروشة ، وفضلا عن هذا كانت تكيته وحيدة ولها مريدون ، كما أنه أسس مجالس السماع والتوحيد ، وكان يظهر فى معية الأمراء

ويحظى بتوقيرهم ، أما خير الدين فقد ظل يضحك ساخرا أمام هيبته وعظمته ، كما أن شاهدى لم يكن يعجب به ومن ثم فلم يتسن له الانتساب إليه بسبب مشرب خير الدين النزاع إلى الملامتية ، كما أنه سكير الدنيا وسفيهها ، وعليه فقد امتثل شاهدى لكلام أمه وانتسب إلى الشيخ بدر الدين الذى كان يريد أن يعلم المثنوى لشاهدى ، بيد أن الأخير كان أكثر منه علما بالفارسية ، ومن ثم فإنه كان يتعلم التفسير على يد بدر الدين وعلى رغم كل ما أومأنا إليه فإن هذا لم يؤكد انتساب شاهدى إلى الدروشة والتصوف ، وفى ذلك الإبان حل موسم الشتاء ، وذهب شاهدى فى معية بدر الدين إلى اللاذقية ، وذات يوم كان يقضى وقته فى هذه المدينة مشغولا بالصفاء والسماع ، وإذا بشاب ينشد لحنا ذا عذوبة ورواء ، وما لبث شاهدى أن غشيته نشوة واهتياج وخر ساجدا ، وتمنى فى نفسه أن يكون صديقا لهذا الشاب .

ولما عادت أمه إلى « موغلة » عقدت النية على تزويج أخيه الأصغر ، بيد أنها كانت خاوية الوفاض لا تملك مالا ، حينئذ أخرج شاهدى جرة ، ثم جعل من نفسه عابر سبيل وشيخا عجوز من أهل الوجدو الحال ، وبينا كان يطوف من قرية إلى أخرى غشيته حالة غريبة أثناء وضوئه فى يوم الجمعة بقرية قوزلق(٣) ، حينئذ ظهر أحد المجاذيب هناك وقد غشيته غاشية من الوجد الصوفى والنشوة الروحية وما لبث أن بادر شاهدى قائلا له :

ألم تنظر إلى السماء أثناء الوضوء ؟

لقد كانت الملائكة كلهم فوق رأسك جاثمين ، وقد أثرت هذه الكلمة فى نفس شاهدى أيما تأثير ، وما لبث أن صعد المنبر عقب صلاة الجمعة وبدأ فى الوعظ والإرشاد . وكانت من بين المستمعين إلى وعظه شيخ مولوى ذو خرقة صوفية قابع فى أحد أركان المسجد و هو ينظر إلى شاهدى وعلى رأسه قلنسوة ذات وشاح أخضر(٤) أنهى شاهدى الوعظ ، وهرول الناس كلهم إلى المنبر مقبلين يده إبان نزوله من فوقه وهو يتضرع بالدعاء ، ولكن هذا الشيخ قدم من فوره ناحية شاهدى قبيل هؤلاء الناس ، ثم قال له : ما دمت على هذا القدر من العلم فلماذا لا توجد قلنسوة المولوية فوق رأسك ؟ حينئذ قال شاهدى لو وجدت شيخا فسوف ألبس قلنسوة المولوية من فورى ،

ثم قـال هذا الشـخـص المتـخلص بفنايي : ثمـة رجل من سـلالة مـولانا قـد قـدم إلى اللاذقـيـة ، فـهـيا نذهبْ إليه ، وذهبا مـعـا إلى قرية « واقف Vakif » وحلا ضـيـفـين ليلة واحدة فى منزل فنايي .

وفى اليوم التالى وصلا إلى اللاذقية وانتسبا إلى فانى دده شيخ التكية المولوية الكائنة هنالك ، ثم صار فيما بعد مريدين لباشا جلبى المنحدر من سلالة مولانا .

واتجها سويا بعد ذلك تلقاء مدينة « قره حصـار » ، ثم شرعا فى التتلمذ على يد الأمـيـر عادل بن بـاشا جلبى وهو الشـاب الذى سـمـع شـاهدى صـوته قـبل حين كـان شاهدى وفـائيا ، ثم صـار من بعد مولويا ، وكـان عمره آنذاك أربعة وعشرين عاما ، ولكن باشا جلبى لم يستطع الاطمئنان عليه رغم ارتباطه الوثيق العرى بالمولوية ، كما أن شـاهدى كان عـاشـقـا لديوانـه مـحـمـد جلبى الذى سـمـع روايات كثيرة فى حـقـه ، واستطاع التفوه بهذه الأبيات عقب لقائه به فى مدينة كوتاهية :

بـنـده يـرخــــــــــرابـاتـم مــــــــــريـدبـاده يـم

قــــاشـكـى من دائـمـــــا غــــواصى ولايـدم باده يم

نك ونـا مـــــوسى وقــــارو عــــارون من عــــاريم

زرق ونـالـوث وريـا آلـلايـشـنـدن ســــــــــاده يم

علم وفـضـل وزهـد وتـقـوى عـاقله أولـدى عـقـــال

عـــاشق شــــويده يم من فـــارغ وآزاد يم مـن بوكـــون

مــــعـــــشــــوق باقـــينك وصـــالـك بولـمشم

ضــــائـمـه أي زاهـد بـنى كـسـيـم وعــــده فــــدا ايدى

شــــــاهدى مــــــولوى عــــــارف كلســــــون برو

ايســــتــــه يـن ســـر خـــدايى مـن خـــدايى زاده يم

والمعنى :

أنا عبد لشيخ حانتي ، ومريد للصهباء

وليتني كنت دائما غواصا عن الصهباء

فأنا عار متجرد عن الشرف والعرض والشهرة

وأنا غر لا أعرف النفاق والمداهنة والرياء

وأصبح عاقلا بالتقوى والزهد والفضل والعلم

فأنا عاشق هارب حر طليق خالي البال

ولو وجدت اليوم وصال المعشوق الباقي

فلا تحسبني أيها الزاهد موعودا بالتضحية والفداء

فليأتين فأنا شاهدي المولوي من العارفين

فقد خلقني الله حرا طالبا لسر الإله

سبق أن أسلفنا القول عن لقاء شاهدي بديوانه محمد جلبي ، ثم ولوعه بالملامتية واعتناقه لها بعد حين وورد هذا في سياق حديثنا عن محمد جلبي ، ومن ثم فلسوف لا نكرر القول في هذه المسألة هاهنا . إن شاهدي على كل حال قد بلغ الوقار والرزانة ورباطة الجأش عقب وفاة ديوانه محمد جلبي ، ثم قبع في زاوية التكية المولوية التي شيدها سيد كمال في « موغلة » وظل فيها حتى أدركته المنية .

يقول ثاقب دده : إن شاهدي كان يذهب في كل عام إلى قره حصار بعد وفاة ديوانه محمد جلبي ، فيزور مرشده ، ويمكث هنالك أربعين يوما ، وفي زيارته الأخيرة اصطحب معه ولده الصغير « شهودي » لرؤية أسرار محمد دده ومكث هنالك مائة وعشرين يوما ، ثم بعث به إلى موغلة مانحا الخلافة إلى ولده شهودي ، ثم توفي شاهدي ودفن في المقبرة (ج ٣ - ، ص ١٨) وكانت وفاته سنة ٩٥٧ هـ = ١٥٥٠ م ،

ويثوى قبره فى الجهة الأمامية لقبر ديوانه محمد جلبى بين ثنايا عبابوش ولى ، وفى الجهة اليمنى من إلياس جلبى ، كما دفن فى هذه المقبرة بعد ذلك باقى جلبى المنحدر من سلالة ديوانه محمد جلبى .

أما ثاقب دده فيرى أن قبر شاهدى الكائن فى موغلة ما هو إلا قبر شهودى ليس إلا (نفس الصحيفة) .

آثار شاهدى كلشن وحدت (روضة الوحدة) :

هى رسالة منظومة بالتركية فى ثمانية وأربعين وأربعمائة بيت من الشعر فى بحر مجزوء الرمل « فاعلاتن فاعلاتن – فاعلات » صدرها بمقدمة تركية أسلمته بعد ذلك إلى مقدمة فارسية بلغت ثلاث صحائف ونصف تحدث فيها عن حديث العنقاء مع الطيور الأخرى الواردة فى كتاب منطق الطير لفريد الدين العطار ، ثم ما يلبث أن يفصح عن غايته المرجوة من هذا الكتاب ، فيتحدث بنفسه فيه عن الشعر والوجه واللحية والخال والعين والحاجب والفم ، وكان قصده من وجه الإنسان كونه موضع ائتلاف واجتماع صوفية التوحيد ويعنى بالوجه أن محبوبه يضفى على المجلس نورا وهاجا ، وبالشعر أنه يكون مدركا لسر التوحيد ، والعاشق يخفى هذه الأسرار ويداريها ، أما القصد من اللحية أن يكون الزاهد مداريا للأسرار منصهرا فى بوتقة الاتحاد ذائبا فيها ، وأما الخال أو طابع الحسن فإنه يجد السبيل من عالم التقليد إلى عالم الحقيقة واليقين ، فيعرف نفسه ويشاهد محبوبه ، ويكون ساعتئذ صوفيا عاريا متجردا غير مكترث لا يبالى ، والعين تجعله ثملا حقا ، وليس فى عينه شىء آخر سوى الاتحاد ، وبالحاجب تكون رفعة رجال الاتحاد الذين يحكمون العالم ويهيمنون عليه ثم يذكر فى النهاية أنه يقصد بالفم القطب الصوفى ، ثم يميط اللثام فيقول : إنه كتب هذا فى سنة ٩٤٣ هـ = ١٥٣٦ م مثبتا هذا التاريخ فى كتابه ببيتين من الشعر الفارسى .

وتأتى بعد هذا العنوان عناوين أخرى ، يعقبها عناوين فارسية شديدة الوجازة والاقتضاب فالشعر يتنازع مع اللحية ، ثم تجبيه اللحية ، أما الخال فإنه يبحث عن

الاتحـاد ، والعين والحـاجب يتنازعـان ، ويضطلع الفم فى خـاتمة المطاف بحل هذه القضية وينقل شاهدى بين الفينة والأخرى كلام « الخال » على هذا النحو : إن قطع الشطرنج ست قطع ، وهى على لونين اثنين ، تتقاتل أحيانا ، وتتشاجر مع بعضها البعض أحيانا أخرى ثم تتصالح وتتوافق وتتواءم ، بيد أنها جميعا تسمى فى الحال بالشطرنج . وعلى رغم ورود ذكر اسم العطار فى هذا الكتاب ، فإن المحقق الثابت وجود تأثير جلى لكتاب روضة السرار لمؤلفه محمود الشبستري(٥) .

(٢) جلشن توحيد (روضة التوحيد) :

هو كتاب مدبج بالفارسية على شاكلة المثنوى ووزنه ، ولا تتخلله مقطوعات نثرية ، ويختار فى مقدمته بعض الأبيات المقتبسة من المثنوى ، بيد أنه ليس ثمة آصرة بين ثنايا الأبيات من ناحية المعنى ، وبناء عليه فإن كل بيت ينشئ علاقة وثقى بين الأبيات مشروحا بعد ذلك بأبيات خمسة تضفى على الكتاب وحدة وتكاملا وهكذا يُروى أن ستمائة البيت أضيف إليها ثلاثة آلاف بيت .

وقد دون هذا الكتاب عام ٩٣٧ هـ = ١٥٢٩ = ١٥٣٠ م ، ويُبين عن هذا مسجلا هذا التاريخ بمصراع من الشعر(١) .

ويتجلى فى هذا الكتاب التأثير البين لكتاب « جزيرة المثنوى » لصاحبه يوسف سينه جاك وقد اضطلع ابن شاهدى بنسخ كتاب « روضة التوحيد » ويفهم من مقطوعة شعرية فى خاتمة الكتاب أنه مسودة منسوخة كتبت سنة ٦٧٣ هـ = ١٦٦١= ١٦٦٢ م ، ومدونة تحت رقم ١٠١٨ ضمن المخطوطات الفارسية بجامعة استنانبول ، أما ابن شاهدى فقد دون فى آخر مصراع من هذه المقطوعات هذا التاريخ ٩٩٦ هـ = ١٥٨٦ = ١٥٨٧ م ، وأن هذا التاريخ هو تاريخ انتسابه واضطلع « أحمد نيازى » مفتش العدل بالموصل بطباعة هذا الكتاب فى المطبعة الطبية بإستانبول ، بيد أنه برمته زاخر بالأخطاء والأغلاط .

(٣) جلشن أسرار (روضة الأسرار) :

هو أقدم وأعظم أثر لشاهدى ، جاء على وزن : مفاعيلن - مفاعيلن - فاعلن ، مدبج بالفارسية ، ورغم أنه سيرة ذاتية للمؤلف ، إلا أنه يتضمن بين ثناياه خلائق وسجايا « ديوانه محمد جلبى » وبعض خصائص وسمات المولوية ، ومن ثم فإن المولوية قد محوه ، أو أخفوه وواروه ، ولهذا السبب كانت نسخته من الندرة بمكان .

وثمة نسخة أخرى محفوظة بمتحف قونية تحت رقم ٢١٩٤ ، ٦ - ٥٦ ، ورقم ٢١٥٥ ، ونسخة أخرى وحيدة فى قسم الملحقات الخاص « بحالت أفندى » ، كما توجد نسخة أخرى تحت رقم ٧٤ ، ولكنه كتب فى الفهرس أنه يقول عن قصد وتعمد أن « جلشن أسرار » هو بعينه « جلشن راز » وذلك بين ثنايا محتويات الدورية المشار إليها ، واضطلع بنسخ هذه الدورية الصوفى إبراهيم أدهم سنة ١٢١٢ هـ = ١٧٩٧ م .

وهو تلميذ الشيخ عالى نطقى أحد دراويش « ينى قابى » ، والمتوفى سنة ١١٠٤ م) .

وقد كتب شاهدى فى مقدمة الكتاب أنه سبق أن دبج كتاب روضة التوحيد ، وحاز هذا الأثر الإعجاب والاستحسان ، وفى ذلك الإبان كان يضطلع بنفسه بتعليم كتاب « روضة التوحيد لأحد الفتية ويدعى « مريد عشق » [٧] . ، وذات يوم قال له هذا الفتى : ماذا عساك لو دبجت كتابا آخر سميته روضة الأسرار ؟ ومن ثم كان تدبيج هذا الكتاب بناء على هذه المقالة .

ويردف قائلا : إن سبب كتابة روضة الأسرار يشبه فيما يشبه تدبيج حسام الدين للمثنوى ويذكر شاهدى أنه كتب هذا الكتاب سنة ٩٥١ هـ = ١٥٤٤ م ، وكان عمره آنذاك ستة وسبعين[٨] ، عاما ، ومن المحقق الثابت أن ثمة علاقة وثقى بين اسم الكتاب وبين ما يُروى فيه عن شرب المخدرات التى كان يتعاطاها باشا جلبى مع ديوانه محمد جلبى فى مجلسه .

(٤) تحفة شاهدى (هدية شاهدي) :

هو معجم صغير منظوم ، ومترجم إلى التركية ، ويقول شاهدى فى كتابه روضة الأسرار إبان الحديث عن أبيه » لقد بذل المرحوم جهدا عظيما بغية تنشئتى وتربيتى ،

وها آنذاك قد استوى عودى وبلغت أشدى وأنشأت معاجم منظومة »[٩] . ويتحدث شاهدى فى صدر معجمه عن تعلمه الفارسية على يد أبيه خدايى ، ثم يذكر فى نهاية المعجم تاريخ تدبيجه له وهو عام ٩٢١ هـ = ١٥١٥ م ، وكتب عن هذا المعجم ذائع الصيت نظائر وشروح كثيرة ، كما أنه طبع بمطبعة الطباعة الحجرية فى قلعة طوبخانة ، وثمة طبعات أخرى موجودة .

(٥) شرح الكلستان :

لم نر هذا الأثر فيما بحثه كل من عاشق وحسن جلبى .

(٦) كلشن عرفان (روضة العرفان) :

اضطلع أسرار دده فى البحث فى مادة « شهودى » ، ويسمى هذا الكتاب « التأليف الغريب » ويذكر أنه كتب هذا الكتاب مخاطبا ولده شهودى ، أما كلمة « غريب » فتطلق مجازا على المعنى الذى لا ند له ولا نظير ولزام علينا أن نقول : إن نسخة هذا الكتاب جد نادرة ، ومن أسف أننا لم نر هذا الكتاب رأى العين .

(٧) مشاهدات شاهديه :

لم يتحدث ثاقب دده سوى عن هذه الرسالة (ص ١٦ - ١٧) ، ويقول ما فحواه : كتب شاهدى فى هذه الرسالة عن الفيوضات التى تلقاها من مولانا وهو فى معية ديوانه محمد جلبى ، وتحدث كذلك عن ضروب الشفقة والمرحمة التى رآها بعينى رأسه ، وهاهى ذى ترجمة تركية لإحدى المقطوعات الأربع التى اتخذها ثاقب دده نموذجا ، ونعتقد أنها تقدم بين يدى القارئ فكرة تتصل بهذا الأثر عند كتابته باللغة العربية « لقد قطع مرشدى حلقومى ومت . ورأيت جسدى فوق المغسلة محترقا

وخرجت أنا من جسدى كما تخرج البيضة من قشرتها ، بيد أنى كنت خفيفا جدا ، شديد الطهر والنقاء ، أطير كالطائر ، وبينما أنا أتحدث أصابنى نفور واشمئزاز صادر من جسدى ، وإذا بمرشدى يرقبنى مليا وينتبه إلى ما آل إليه حالى ، ومنعنى من هذا النفور والاشمئزاز ، ثم هويت خلف جسدى بأمر من مرشدى ، ونظرت ساعتئذ فإذا بى قد وصلت إلى عالم الانشداه والذهول ، وإلى دنيا لا ند لها ولا نظير ، إنها نعمة ورحمة إلهية لا سبيل إلى شرحها أو إطرائها . توجد هنالك قصور سامقات وقباب جميلي ومحبوبي ، وتتدفق الأنهار ، وتتفتح الأزاهير ، وكل شيء متلألئ وهاج .

ثم قال مرشدى حينئذ : هاهنا إقليم المولوي إنه ثاو فى هذا المثال . وها نحن أولاء قد ذهبنا لرؤية سلطان هذا الإقليم ، وعندما وصلنا إلى المعبود كان سلطان العارفين قد تجلى على مثال صورة مولانا ، وما لبث أن ألبسنى قلنسوة مولوية جميلة لامعة براقة ، ثم كبر ثم عاد وألبسنى خرقة مدهامة [1] شفافة تشبه الزمرد ، ثم عدنا أدراجنا وعطستُ إبان ذلك ، وفتحت عينى ، وأطبقت على قدم مرشدى (ص ١٦) .

وتفيد الرواية التى أوردها ثاقب دده أنه عُثر بعد وفاته على أوراد مجلدة فى ختام رسالته إلا أنه أوصى بإخفائها وعدم كتابتها لأنها خلو من العون الروحانى . أما المقطوعات الأربع التى نقلها ثاقب دده فقد خرجت من هذا الكتاب وتمخضت عن كتابة الروايات التى تأتت فى شكل زاخر بالمصطلحات العربية وهى ولا ريب روايات تناقلتها الأيدى ، وشاعت بين الناس . ولربما كانت هذه هى رسالته ، بيد أن أسلوبها يفيد بأن ثاقب دده هو الذى كتبها ثانية فى الأعم الأغلب .

(٨) صحبت نامه (رسالة المحبة والوصال) :

لم يتحدث عن هذه الرسالة سوى ثاقب دده (ص : ١٧) . ويحيطنا علما بأن شاهدى دبجها فى شكل رسالة ليشرح فيها آداب الصحبة والمسامرة بين المرشد والمريد ، ثم تحدث عن الأمراء الذين كانوا فى مدينة « مانيسة » ممن سمعوا عنه ،

ودعوه إلى مجالسهم ، كما أنه قرض بيتا من الشعر قدم فيه بشرى السلطنة إلى الأمير الموجود هناك ، ولما أصبح هذا الأمير سلطانا منح من فوره أوقافا كثيرة لكل شخص ولكل تكية صوفية .

(٩) الديوان :

لم تكن أشعار شاهدى مجموعة فى ديوان يحتويها ويلم شتاتها ، وقريب إلى الصواب أن يسمى ديوانه دُويويُون(١٠) ، وهو محفوظ فى دورية مدونة تحت رقم D-4-37 بين ثنايا الكتب الموجودة فى متحف قونية ، وقد رُتبت قصائده ترتيبا أبجديا .

ويلغ عددها اثنتين وثلاثين قصيدة ، واقتبسنا طائفة من أشعاره من الدورية المحفوظة عند عثمان أركين وإحدى هذه القصائد تخميس لإحدى غزليات خدايى ، والأخرى مؤلفة من قصيدتين محفوظتين فى تذكرة أسرار دده ، وتضم بين ثناياها قصائد ثلاثا ، ومنظومة على وزن الهجا وإذا ما أضفنا إلى هذه وتلك القصائد السبع الموجودة فى دورية على هيئة أجزاء متفرقة ألفينا حينئذ ثلاثا وأربعين قصيدة فى حوزتنا ، ويمكن العثور كذلك على طائفة من الأشعار تخص شاهد الأدرنة لى » ويمدح فيها الأمير جم .

وعلى كل حال فإن شاهدى لم يرتب ديوانه ، ولم يضطلع أحد بترتيبه ، وأما ديوانه المرتب فقد ضاع ، وما بقى منه إلا شذرات متفرقات محفوظة لدينا أو ثاوية بين ثنايا الدوريات .

(١٠) شعره وفارسيته :

لم يستحسن عاشق وحسن جلبى كلاهما أشعار شاهدى ، ولم يحظ بإعجابهما . بيد أن حسن جلبى أصدر حكمه فى ذلك قائلا : لا أثر للحلاوة والطلاوة فى أشعاره ، إن هذا لشىء عُجاب ثم أورد بيتا من شعره شاهدى يقول فيه :

والمعنى :

« كـــاه أولو ركـــــيــه م طولار بـربيــر دونر بازارده

كـــاه أولور خـــالى قـــاليـــر بازارى بربر دونـديرر

والمعنى :

تارة تمتلىء كـأسى وأهيم على وجهى ألف فـى الأسواق

وتارة تكون الكأس خلاية وتجعلنى أهيم وألف فى الأسواق

ثم يعلق على البيت بعد تقديمه إياه قائلا « لا جرم أنه قال قولا حسنا فى هذا البيت » أما نحن فنرى أن شاهدى وفق كثيراً فى أشعاره التركية ، وإن الغزل الذى سجلناه إبان تفصيل القول عن حياته هو خير شاهد ودليل على هذا ، ولا جدال فى أنه يشبه أساطين الشعراء ، نعم إنه يدبج شعره بغية إظهار السؤدد والشرف والمكرمة وهو دائما يُعنى كثيرا بالدعاية الدينية فى أشعاره كما هو الشأن فى كتبه .

وإذا ما تصدينا لفارسيته ألفينا لغته مع الأسف رخوة لينة واهية : ومن ثم فقد تسنى له الكتابة إلى هذا الحد بالفارسية المتعلمة من الكتاب وقد تيقظت فى نفوسنا مرية توحى بأنه افتدى بمولانا ، واتبع سبيل أقطاب المولوية بعد اضطلاعه بكتابة الأشعار الفارسية ، ونحن نقول بالشك بغية اجتناب حكم جازم فى هذا السبيل ، ولربما كان هذا الشك فى رأينا أشبه باليقين . ثمة منظومات مدبجة على شاكلة المثنوى ، وثم كتابان آخران يسميان باسم « عشق نامه وتراشنامه وهذه وتلك تعزى جميعا إلى مولانا جلال الدين تارة وإلى سلطان ولد تارة أخرى .

ولكن أتكون هذه المؤلفات منسوبة إلى شاهدى ؟ ، لقد عثر فى متحف قونية على دورية مدونة تحت رقم D e ٤٨٣ ، ٦ – D ٧ ، ومكتوب عليها « عشق نامه شاهدى » ، ومما يجذب النظر كذلك أنه عثر فى الدورية عينها على حاشية كتاب « روضة التوحيد » لشاهدى مقرونة ببعض الرسائل ومدونة تحت رقم k. de ٣٧ – ٤ ، وتم العثور كذلك على رسالتى تراش نامه وعشق نامه مقرونتين بُدووين شاهدى[1] .

إن طرائق أسلوب عشق نامه وتراش نامه وتراكب القافية وخصائص الوزن والوهن والضعف وهلهلة النسج وعدم إحكام السبك فى اللغة ، ناهيك عن العجز والقصور الذى يثوى بين ثنايا الألفاظ ، وكذلك نزعة شهودى ومشربه ، كل هذا وذاك ليدل دلالة بينة على أن هذين المثنويين يخصان شاهدى ، وتلك حقيقة لا مراء فيها .

(١١) شراح المثنوى والذين اضطلعوا بمختارات أدبية منه :

كان شراح المثنوى ومن فى معيتهم ممن اضطلعوا بانتخاب مختارات أدبية منه سببا فى انتشار المولوية وذيوع صيتها .

وها نحن أولاء نكتب فى هذا الصدد الشروح التى رأيناها ، أو التى سمعنا بها ، وذلك فى صورة متعاقبة متتالية :

(١) حسين بن حسن الخوارزمى :

هو كمال الدين بن حسن خوارزمى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ = ١٤٣٥ = ١٤٣٦ م . والذى لم تذع شهرته كثيرا بشرحه المسمى « كنوز الحقائق فى رموز الدقائق » ، وثمة نسخة مدبجة فى سنة ١٠٦٩ م بمكتبة جامعة إستانبول ، ويقع هذا الشرح فى أجزاء ثلاثة ، وقد دون فى مقدمة الجزء الثانى ما يفيد بأن بداية تأليف هذا الجزء كانت فى اليوم التالى من شهر رمضان لسنة ٨٣٣ هـ = ١٤٣٠ م (المخطوطات الفارسية رقم ٢١٨ - ١٩٨) .

هذا ورغم عشق خوارزمى الشديد لمولانا فإن أفكاره كانت ذات علاقة وثيقة العرى بأحكام مذهب الإمامية ، ومن ثم فإنه تصدى إلى الشرح وهو فى لجة هذا المذهب لا ينفك عنه ولا يزايله ، وكان من الطبيعى أن يقف مضطربا مشوشا مرتبكا فى مواضع كثيرة منه ، ومما لا مراء فيه أن هذا الشرح الفارسى كان سببا فى وجود شرح خوارزمى فى الهند .

(٢) بحر العلوم آبدال عالى محمد لُوكهنْوى :

هو شرح كامل تام للمثنوى مدبج بالفارسية ، طبع طبعة حجرية فى ثلاثة أجزاء بمدينة لوكهنوف Loknov سنة ١٢٩٣ هـ ، وإذا كان قد تناهى إلى مسامعنا أن ثمة شروحا أخرى فارسية بخلاف ما ذكرنا ، فإنه قد اضطلع بتدبيجها كل من : حاكم مونلاهادى سبزارى (ت ١٨٧٢ م) ، وميرزا رضا ، وولى محمد أكبر آباد بيد أننا لم نر هذه الشروح رأى العين .

أما ميرزا رضا فيقول : لا جرم أنى فى حقيقة أمرى موظف ، ومن ثم فإنى أتممت حكاية الأمير الثالث التى كانت مبتورة ناقصة فى الجزء السادس من المثنوى ، ومع هذا فإن تمام هذه الحكاية وكمالها موجود فى مقالات شمس[١٢] . أما أحمد عونى قونوق فيدون فى مقدمة شرحه طائفة من الكتب التى استفاد منها وذلك مثل : شروح كل من إمداد الله الهندى وعبد الله لوكهنوى ، كما أفاد كذلك من شراح الهند أمثال : الشيخ محمد أفضال ، وعبد اللطيف ، وعبد الفتاح ، ومحمد ميز ، ونور الله ومحمد أيوب ، وعلى القاضى ، ومحمد هاشم ، وحسن صاحب ، ونظام عبد الواحد ، وشاه حسين صاحب ومحمد شكر الله ، ومحمد نعيم ، وكريم الله (جـ ١ ، ص ١٤).

وندون باقتضاب فيما يأتى شراح المثنوى باللغة التركية :

(١) سرورى :

له شروح لكثيرمن الكتب ومنها : ديوان حافظ وكلستان سعدى كما اضطلع كذلك بتحشية كثير من المؤلفات ، دبج كتابا يسمى « بحر المعارف » يختص بمجازات أدب الديوان . كما كان يُعلم المثنوى كل يوم عقب صلاة العصر بمدرسته الكائنة فى منطقة قاسم باشا ، واضطلع فى بعض الأحيان بتعليم الأمير مصطفى ابن السلطان القانونى .

وتوفى سرورى فى سنة ٩٦٩ هـ = ١٥٦٠ - ١٥٦١ م بمدينة إستانبول ، ووُرى الثرى بفناء المسجد الذى شيده فى منطقة قاسم باشا ، أما شرحه للمثنوى فهو ذو أخطاء جمة من ناحية الفكر وعمق الفهم ورهافة الحس والإدراك .

(٢) سعودى :

بوسنوى الأرومة والمحتد ، ولا جرم كان يحذق الفارسية ، وشرح ديوان حافظ شرحا متقناً بارعا ، وكان يتبلغ قوته من وظيفة تعليم غلمان سلطان مصر إبراهيم باشا ، وأدركته المنية سنة ١٠٠٥ هـ = ١٥٩٤ = ١٥٩٥ م .

بيد أن شرحه التركى للمثنوى زاخر بالأخطاء من حيث الفهم ودقة التفكير ، ومن ثم فلم تذع شهرته كثيراً .

(٣) شمعى :

شرع فى تدبيج هذا الشرح إبان عصر مراد الثالث ، وفرغ منه عام ١٠٠٩ هـ = ١٥٩٩ - ١٦٠٠ م ، وأسهم حسن آغا القيم على حفظ أسلحة السلطان مراد فى انبثاق هذا الشرح فى الوجود ، ويقول شمعى فى ديباجة الجزء الخامس إنه أتم الجزء الرابع فى يوم الأربعاء .

الموافق لغرة المحرم لسنة ١٠٠٠ هـ = ١٥٩١ م ، وبناء عليه استدعاه السلطان مراد الثالث وأمره بإتمام الشرح فبدأ من فوره فى كتابة الجزء الخامس . وإذا كان قد ورد فى ديباجة الجزء السادس والأخير ما يفيد بأنه شرع فى وضع هذا الشرح إبان الأيام الأولى من شهر ربيع الأول لسنة ١٩٩٥ هـ = ١٥٨٧ م ، وفرغ من الجزء الخامس فى أواخر المحرم لسنة ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ م ، فإنه يذكر كذلك أنه اضطلع بشرح الجزء السادس باسم السلطان محمد الثالث ، وذلك عقب موت السلطان مراد الثالث ، ويضيف قوله : إن الجزء السادس ظل دون شرح طوال سبع سنين ، بيد

أن « جازان فر آغا » الذى يعمل خادما فى دائرة السنية السلطانية بالقصر قد تسبب فى شرح هذا الجزء ، ومن ثم فقد شرع فى شرحه سنة ١٠٠٩ هـ بالقياس إلى الجزء السادس ، وبديهى أن تكون وفاة شمعى بعد هذه السنة ، وثمة رواية خاطئة تزعم أن وفاته كانت سنة ١٠٠٠ هـ .

وإذا كان أسرار دده يقول : إن هذا الشرح التركى قد حظى بشهرة عظيمة وكانت توجد منه ملازم متفرقة فى حجرة كل صوفى مولوى ، فإن شمعى قد جانبه الصواب فى مواضع كثيرة من شرحه ، كما أن شرحه هذا برمته يغص بالأخطاء مثله فى ذلك مثل شرح حافظ وغيره من الشروح الأخرى . يقول عاشق وحسن جلبى كلاهما : إن شمعى كان ثملا سكيرا ، وأصبح من صوفية الشيخ وفا كما كان يقيم فى جامع وفا أو فى تكيته ، وظل مدمنا للمكوث واللبث فى حانات الخمر ويقضى وقته مشتغلا بالفناء ، وكانت حياته تفتقر إلى النظام ولا تسير على طريقة مطردة مما نجم عنها تلك الأخطاء التى تردى فيها .

(٤) انقروى رسوخى إسماعيل دده :

كان رسوخى فى أول أمره بايراميا ، ثم غدا بعد ذلك مولويا ، وعين بعد حين شيخا على التكية المولوية لقول قابى فى منطقة غلطة ، وتوفى سنة ١٠٤١ هـ = ١٦٣١ م ، وقد حظى شرحه المولوى بشهرة عريضة بين المولوية ، فرعوه حق رعايته ، ومن ثم اشتهر بلقب « حضرت شارح » ، والشارح الأنقروى ، أو بلقب الأنقروى ، وقدعثر غير مرة بين ثنايا الشهادات الممنوحة لتعليم المثنوى على تدوين يفيد بأن مناهج تعليم المثنوى قد اتبعت سبيل الشرح والتحقيق الذى اضطلع به رسوخى ، بيد أن هذه الشهرة لم تكن حقيقية فى أى من الأزمان ، لأن الأنقروى لم يقرأ المؤلفات الأخرى لمولانا ، وحتى لو قرأها فإنه لم يعتن بها حق العناية كما لم ينشغل قط بمقالات شمس ، ولهذا فإنه لم يحط خبرا بحكايات المثنوى التى سلف ذكرها فى المقالات وعلى سبيل المثال : فإنه على غير دراية ببيت واحد من المثنوى مشروح فى كتاب « فيه ما فيه » .

ولنغض الطرف عن هذا ونقل : إننا لم نر ضرورة حتمية للعثور على نسخة صحيحة صائبة بغية اتخاذها أساسا يعول عليه فى شرحه للمثنوى . كان المتن هو أس الأساس فى شرحه ، بيد أنه خطأ بحذافيره ، ولذا جاء هذا المتن محرفا عن قصد فى مواضع كثيرة منه ، ولنعرض عن هذه الأشياء كذلك ونقول : إن الشارح فى أثره الذى شرحه لم يك على دراية تامة بأسلوب مولانا ، ولم يُحط خبرا بفلسفته ، برهن على هذا بشرح الجزء السابع المزيف الذى لم يدبجه مولانا ألبتة . وتمخض عن هذا أن صار هدفا لاعتراضات شيوخ المولوية ممن كانوا فى عصره ، ومثال هذا ذلك الخبر الذى أرسل به الشيخ « ينى قابى » ويدعى صبوحى وقال فيه ما فحواه « لقد شرح هذا الجزء المزيف الكاذب بطريقة أو بأخرى ، ولكن إذا ما نهض وانبرى لتعليمه فلأحطمن من فورى المنبر فوق رأسه « وهذه الرواية متواترة بين ظهرانى المولوية .

لقد شرح رسوخى مولانا متخذا من فلسفة ابن عربى مثالا يحتذى ويتوجب علينا أن نضيف إلى أوجه القصور والإهمال آنفة الذكر عدم معرفته بمصطلحات اللغة الفارسية ، أو بمعنى أصح أنه أضاف تكوين وتشكيل فارسيته إلى فارسية الكتاب ، ورغم كل هذه الأشياء فإننا إذا قلنا إن شرح الأنقروى جيد السبك مقارنة بالشروح الأخرى ، فإننا نكون حينئذ قد جلونا الشخصية العلمية لشروح المثنوى وأمطنا عنها اللثام .

(٥) اضطلع الشيخ الطرابلسى جنك يوسف دده البكتاشى المولوى :

بترجمة شرح الأنقروى إلى العربية ملخصا بعض مواضعه ، ويحمل هذا الكتاب اسم « المنهج القوى فى شرح المثنوى » وطبع هذا الكتاب سنة ١٢٨٩ هـ بالمطبعة الوهبية بمصر .

(٦) عبد المجيد سيواسى :

هو من صوفية القرن السابع عشر الميلادى ذوى التأثير والنفوذ ، انتسب إلى فرع الطريقة الشمسية – إحدى شعب الطريقة الخلوتية – وتوفى سنة ١٦٣٣م = ١٠٤٨ = ١٠٤٩ هـ ، وشرح القسم الأول من الجزء الأول للمثنوى ، وثمة نسخة أخرى مخطوطة من شرحه عثر عليها قبيل وفاته بعامين اثنين ، ومدونة تحت رقم ١٩٦ ضمن المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول .

(٧) صارى عبد الله :

له شرح للجزء الأول من المثنوى ليس إلا . وهو من الحمزية المتشعبة عن الملامتية البيرامية (ت ١٦٦٠ م = ١٠٧٠ هـ) ، وشرحه يسمى « جواهر بواهر المثنوى » . ورغم أن صارى عبد الله قد بذ الأنقروى وحاز قصب السبق أكثر منه فى مضمار التصوف ، فإنه كان يرى مولانا بنظارة ابن عربى ، واعتمد على روايات غير أصيلة فى توثيق المعلومات التى ساقها بخصوص حياة مولانا قبل تصديه لشرح المثنوى وتحليله ، وطبع هذا الشرح فى خمسة أجزاء بالمطبعة العامرة بإستانبول سنة ١٢٨٧ – ١٢٨٨ هـ .

(٨) بورصه لى إسماعيل حقى :

هو جلوتى إسماعيل حقى ، من أشد الغلاة المتعصبين للطريقة المولوية (ت ١٧٢٥ م = ١١٣٧ = ١١٣٨ هـ) وشرح الثمانية عشرة بيتا الأولى من المثنوى بغرض الاستحواذ على اسم شرح المثنوى ، وهو شرح يحمل اسما مزعوما مثل « روح المثنوى » ، ويقع هذا الشرح فى جزئين اثنين ، وطبع كذلك بالمطبعة العامرة بإستانبول سنة ١٢٨٧ هـ .

(٩) شيخ مراد بخارى :

على رغم انتسابه إلى الطريقة النقشبندية ، إلا أنه انتسب إلى الحمزية ، وكان من أساطين العلم وأقطابه شيد ما يسمى « دار المثنوى » في منطقة « أيوب نشانجه » بإستانبول ، حيث كان يمضى الوقت فى تعليم المثنوى واضطلع هذا البخارى (ت ١٨٤٨ م) بشرح المثنوى كله بطريقة شديدة الإيجاز والاقتضاب . ويقول فى الديباجة : إنه شرع فى هذا الشرح يوم الأربعاء السابع عشر شهر رجب لسنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) ، كما يصرح فى ديباجة الجزء السادس أنه أنهى الجزء الخامس ليلة الجمعة الموافق لليوم الثامن عشر من شهر ربيع الآخر لسنة ١٢٦١ هـ = ١٨٤٥ م ، كما يسجل كذلك بشروعه فى شرح الجزء الأخير ليلة الأحد الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وهذا الشرح مسجل تحت رقم ٦٣٠٩ - ٦٣١٤ بقسم المخطوطات التركية بجامعة إستانبول ، وعثر على هذا الشرح مكتوبا سنة ١٢٥٦ هـ = ١٨٤٠ م ، ومن أسف أن هذا التاريخ دُوِّن بغير الاطلاع على مصادر أساسية ، وقد ترجح هذا الاحتمال لما ورد فى الجزء الأول من أن المقصود من كلمة « شيخ الدين » هو محيى الدين بن عربى ، ومع هذا فإن المقصود بهذه الكلمة هو مولانا شمس الدين (انظر : مولانا جلال الدين والطبعة الثانية ، ص ٥٢ ، وكذلك : الملاحظة رقم ٦ بنفس الصحيفة) .

(١٠) - عابدين باشا :

له شرح فى جزء واحد دبجه بغية تقديمه إلى القصر ، وصاحب هذا الشرح يدعى بروزلى عابدين باشا (ت ١٩٠٧ م = ١٢٨٦ هـ) ، وطبع طبعة مجلدة جد نفيسة بمطبعة ولاية سيواس ، ثم طبع سنة ١٣٠٥ = ١٣٠٦ هـ فى ستة أجزاء بإستانبول ولكن هذه الأجزاء لم تكمل شرح الجزء الأول من المثنوى ، وهى أكثر وضوحا من الشروح الأخرى وهو تكرار لهذه الشروح ولكن فى صورة أكثر سهولة ويسرا .

(١١) أحمد عونى قونوق :

هو آخر شراح المثنوى فى سنة ١٩٣٨ م ، حيث اضطلع بترجمة كتاب « فيه ما فيه » وعلى الرغم من أنه أنشأ شرحا يُفضُل الشروح الأخرى ويبذها ، فإنه لم يعتن بقراءة المصادر الأساسية الأخرى ، ونراه أحيانا يبذل الجهد ويفرغ الوسع فى تطبيق ألفاظ مولانا على المخترعات والمبتكرات العلمية ، بيد أنه لا يعرضها مصطبغة بالصبغة العلمية الحقة . ونسخة هذا الشرح غير مطبوعة ، ولم تكن ثمة ضرورة لطبعها ، وأرسل إلى مكتبة قونية إنفاذا لوصيته .

(١٢) طاهر أولجون :

أذن لطاهر أولجون المولوى (ت : ١٩٥١ م) بتعليم وتدريس المثنوى بمسجد السليمانية فى الأيام الأخيرة ، ثم شرع فى إصدار تقاريره وبياناته على شاكلة كتاب ، وتسنى له أن ينشئ على هذا النحو شرحًا آخر للمثنوى وظهر هذا الكتاب فى ملازم متفرقات ، وهو شرح يسمى « دروس المثنوى » ويختص بالجزء الأول من المثنوى ، بيد أن هذا الجزء غير تام ، ونشر هذا الجزء الناقص بعد ذلك وصدر فى ثلاثة كتب مجلدة (مطبعة ايشيل بإستانبول ١٩٤٩ - ١٩٥٠) وفضلا عن هذا الشرح فثمة شروح أخرى مبتورة مسجلة فى بعض الدوريات واضطلع بتدبيجها كل من : بيرى باشا (ت ١٥٣٢ م) ، وخدايى عزيز محمود (ت ١٦٢٨م) وحسن دده (ت ١٩١١ م) ، بيد أننا لم نر هذه الشروح رأى العين ، ونعتقد أن ليس ثمة ضرورة لازمة لازبة لرؤيتها .

ترجمات المثنوى :

١- اضطلع نحيفى سليمان الحمزوى المولوى أحد شعراء القرن الثامن عشر الميلادى (ت ١٧٣٨ م) بترجمة المثنوى إلى التركية شعرا ، وحالفه التوفيق والنجاح

ثم أعقبه فروخ أفندى (ت ١٨٤٠) بطبع هذه الترجمة مشفوعة بترجمة الجزء السابع الغريب مقرونة ببعض التعليقات فى سنة ١٢٦٨ هـ = ١٨٥١ - ١٨٥٢ م ، وطبعت بمطبعة بولاق فى مصر .

٢- اضطلع عبد الله صلاح المتوفى سنة ١٧٨٢ م - وأحد المنتسبين إلى الطريقة الغشاقية - بترجمة المثنوى ، ويذكر بورصة لى طاهر فى كتابه (المؤلفون العثمانيون جـ ١ - إستانبول - المطبعة العامرة - ١٣٣٣ هـ - ص ١٠٥) أن هذه الترجمة كاملة يشوبها نقصان قليل ، ولكنه لم يذكر أين عثر عليها .

٣ - كان خيرى بك (ت ١٨٩٠ م) صاحب دورية تسمى « كوتوك kutuk[١٣] » ، واشتهر بسببها بلقب « صاحب كوتوك » لا ضطلاعه بنشرها ، وقد استنفد جهده فى سبيل ترجمة المثنوى إلى التركية نظما ، بيد أن نثر هذا الرجل أسوأ حالا من نظمه ، ونظمه أردأ من نثره ، وزعم أنه نقد وفند ترجمة نحيفى الذى اكتفى بترجمة المعنى ليس إلا ، وقال إنه سيضطلع بنفسه بترجمة المعنى مرة أخرى .

وقد ترجم قسما من الجزء الأول وجاء فى صورة سيئة مستهجنة وطبعت هذه الترجمة كذلك فى مطبعة محمد بك سنة ١٣٠٨ هـ .

٤ - يروون أن شخصا يدعى « ينى شهرلى عونى » (ت ١٨٩٢ م) ترجم الجزء الرابع من المثنوى حتى آخره نظما . ويقول المرحوم « سعود باواسى » (ت ١٩٤٨ م) إن عونى هذا ترجم الجزء الأول مع ربع الجزء الثانى ، ثم يردف قائلا : إنه عثر بنفسه على بضع صحائف ناقصة مبتورة من الجزء الأول .

٥ - اضطلع فيض الله ساجد أولكو بترجمة منظومة على وزن الهجا للجزء الأول من المثنوى ، وأصدرت مطبعة الشعب بقونية هذه الترجمات فى حلقات مسلسلة ، ونشرتها فى مجلة قونية (العدد ٣١ والأعداد التالية له) ، ثم اضطلعت دار نشر تركيا بعد ذلك بطباعتها سنة ١٩٤٥ م ، وإن القراء ليقدرون هذه الترجمة حق قدرها لفرط جمالها من ناحية الشكل والهيئة .

٦ – نعتقد أن المدعو « حافظ محمد أمين « شيخ مولوية » طوقات « قد ترجم الجزء السابع من المثنوى إلى التركية نظما ، وأهداه إلى غازى يوسف باشا « ت ١٨١٦ م » أحد وزراء السلطان سليم الثالث ، وثمة نسخة مودعة ضمن المخطوطات التركية بجامعة إستانبول مسجلة تحت رقم ٦٣٢٣ .

٧ – ترجم شاكر محمد الذى نشأ فى دار السلطنة العالية السنية وتوفى فى إستانبول ١٨٣٦ م المثنوى إلى التركية نظما ، ومن أسف أنه ألحق الجزء السابع إلى هذه الترجمة وهو يحسب أنها لمولانا ، وكانت ترجمة موفقة ناجحة .

وفرغ منها فى سنة ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م وعثر بعد الترجمة بسنة واحدة على نسخة مدبجة جميلة مجلدة مذهبة ومسجلة بين ثنايا المخطوطات التركية المحفوظة بجناح المتحف بجامعة إستانبول ورقمها ٦٣٠٨ .

٨ – أما الترجمة المنثورة الكاملة فهى التى اضطلعنا نحن بترجمتها ، وهى آخر ترجمة للمثنوى وطبعت فى مطبعة وزارة التعليم بإستانبول ، ونشرتها الوزارة فى أول كتاب من سلسلة الكلاسيكيات الشرقية الإسلامية ما بين أعوام ١٩٤٢ = ١٩٤٦ م .

هذا وقد وضعت كذلك بضعة معاجم تخص المثنوى ومنها :

(١) أزهار المثنوى فى أنوار المعنوى :

اضطلع العبد المعتق لسلطان ولد ويدعى عبد الله أوغلو عثمان بجمع الأقسام المتفرقة من كتاب المعارف الذى دبجه والد مولانا سلطان العلماء محمد بهاء الدين ولد ، كما عمل كذلك على إبانة الجزأين الثانى والثالث من هذا الكتاب والذى اتخذناه نحن أساسا لنا فى التعويل على ترجمتنا للمثنوى ، وظلت فائدته حتى وفاته متمثلة فى نسخة المثنوى الذى كرس جهده له فى شهر ربيع الأول لسنة ٧٢٣ هـ = ١٣٢٣ م .

أما تقديم هذه الفائدة لكل شخص فذاك شرط آخر وضعه فيما بعد شريف على بن محبى الشيرازى[١٤] . وبعد أن شرح على ديباجة الكتاب ، شرع بعد ذلك فى

ترجمة الألفاظ العربية والفارسية التى انتقلت إلى المثنوى مراعيا فى ذلك الترتيب الهجائى ، ومن أسف أننا لم نر هذا الكتاب الذى أنبأ به كاتب جلبى (كشف الظنون : النسخة التى أعدها كل من : شرف الدين يلتقايا ورفعت بيلكه ، وزارة المعارف ١٩٤٣ م ، ص ١٥٨٨) .

(٢) مُظهر الإشكال :

كتبه شخص يدعى محمد شعبان آزاد ، وهو معجم تركى يضم بين دفتيه مصطلحات المثنوى على الخصوص ، واستمسك فيه باتباع الترتيب الهجائى .

وما هذا الكتاب إلا نسخة مكونة من تسع وثلاثين ومائتى ورقة ، وانبرى لكتابته « يحيى أوغلو داود » سنة ١١١٣ هـ = ١٧٠١ م ، وكان يعمل بمدرسة « شاه قولو » بإستانبول وهذه النسخة مدونة بمكتبة حالت أفندى تحت رقم ٥٦٥ .

وإذ ما أمعنا النظر فى هذا الكتاب ألفيناه مكتوبا باسم الوزير الأعظم حسين باشا . ويلزم أنذاك أن يكون حسين باشا هذا بعينه « أوهريلى حسين باشا » (ت ١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٢ م) الذى شيد تكية المولوية فى بشكتاش ويفضى هذا إلى وجوب أن يكون مؤلف هذا الكتاب قد وضعه قبيل هذا التاريخ .

منتخبات مستقاة من المثنوى :

ثمة طائفة كثيرة من المنتخبات مقتبسة من المثنوى ، كما برزت كذلك إضافات ملحقة بتلك المتخبات لشرح الأبيات المستغلقة على الفهم والتى يكتنفها اللبس والغموض فى هذا الكتاب .

ومما لا مرية فيه أن المثنوى هو من أكثر الكتب دراسة وبحثا وإمعان نظر بعد الكتب المقدسة وثمة منتخبات أخرى مستقاة من المثنوى دبجها كل من : علاء الدين مصنع فك ، صنة ١٤٧٠ ، ومن الشعراء الإيرانيين : الجافى سنة ١٤٩٢ م ، والشيخ

حسين واعظ سنة ١٥٠٤ م ، ويوسف سينه جاك ١٥٤٦ م ، والشيخ سبوحى أحمد دده شيخ التكية المولوية فى قابى « سنة ١٦٤٧ م ، والشاعر جورى (١٦٥٥ م) ، والشيخ عبد اللطيف المولدى (١٦٨٨م) وخواجه زاده سيد محمد راسم (؟) ، وسيد حاجى محمد شكرى بن أحمد آتا آماد جلنبوى ناهيك عن المنتخبات الأخرى لأشخاص آخرين شرح رسوخى إسماعيل دده الأنقروى الثمانية عشر بيتا الأولى من المثنوى ، ثم تصدى بعد ذلك لشرح الأبيات العربية وبعض الأبيات المستشكلة والمستغلقة على الفهم مقرونة بشرح للأحاديث والآيات القرآنية التى ورد ذكرها فى المثنوى ولحسين واعظى منتخبان اثنان للمثنوى ، يسمى أولهما « قتال اللباب المعنوى فى انتخاب المثنوى » ، والآخر « جواهر الأسرار وظواهر الأنوار » . وثمة شخص لا ندرى من يكون ، ويسمى » راسم » شرح الأبيات التى اختارها وسماها : « شرح راسم على المثنوى » وهى محفوظة بين ثنايا المخطوطات التركية بجامعة إستانبول ورقمها ١٦٥ أما منتخبات « سيد حاجى محمد شكرى » « فتسمى » منتخبات مثنوى » ، وتقع فى سبع وأربعين ومائة صحيفة مطبوعة بمطبعة شمس بإستانبول سنة ١٣٢٨ هـ وهناك فضلا عن هذا وذاك ثبت بشراح الغزليات المنسوبة إلى المثنوى وضعه أمير بخارى سنة ١٥١٦ م (مسجل برقم ٦٣٠٦ ضمن المخطوطات التركية بجامعة إستانبول) .

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء وهؤلاء تلك الشروح التى دبجها : جلشن توحيدى ويوسف سينه جاك ، وكذلك الرسالة التى وضعها عبد الغنى النابلسى وسماها « الصراط السوى فى شرح ديباجة المثنوى » حتى إن آخر شيوخ تكية المولوية فى اسكودار وهو المرحوم أحمد رمزى قد وضع بدوره كتابا يحوى بين دفتيه المناجاة الواردة فى المثنوى ، وطبع هذا الكتاب سنة ١٩١٧ م أما آخر وأكبر منتخب مستقٍ من المثنوى فذلك الذى اضطلع به فضل الله رحيمى (ت ١٩٢٤ م) ، وهو أحد المنتسبين إلى السيد عبد القادر البلخى (ت ١٩٢٣ م) ، وهو منتخب بالتركية يضم خمسا وخمسين حكاية من المثنوى ، ويحمل عنوان « جلزار حقيقت » « أى » « روضة الحقيقة » وطبع هذا المنتخب فى أجزاء ثلاثة وفى شكل أنيق قشيب بمطبعة المدرسة

العسكرية بإستانبول ويقع الجزء الأول فى تسع وأربعين ومائتى صحيفة بخلاف الفهرس ، أما الجزء الثانى فيقع فى أربع وأربعين وثلاثمائة صحيفة .

وإذا استثنينا الجزء الخاص بالحمزية ، ألفينا الكتاب برمته لا يعتد بمعتقدات الإمامية ، أما الجزء الثانى فيبحث فى اصطلاحى « تولى وتبرأ »[١٥] ، (ص ١٢) كما كتب كذلك فى السيرة الذاتية للإثنى عشر إماما (ص ١٦ - ١٠١) ، ويذكر الإمام المهدى على أنه الإمام الثانى عشر ، ويقول فى هذا الصدد » إنه يعتقد فى ظهور الذات الشريفة للمهدى المنتظر ، وهم ينتظرونه ونحن كذلك تنتظره » (ص ١٠١) . ولرحيمى طائفة كثيرة من الأشعار المؤتلفة المتسقة التى لا تخص مولانا ، بيد أنها تنم عن غيرته وحميته المتصلة بمذهبه وعقيدته ونزعته الدينية ، وسجل هذه الأشعار باسم مولانا (ص ٣٦ - ٣٨) ، كما اقتبس من ديوان عبد القادر البلخى تسع قصائد على شاكلة المثنوى بنفس الحمية والغيرة (ص ٣٩ - ٤٧) ، وليس فى هذا الكتاب أية قيمة علمية تتصل بتلك المعلومات التى ساقها بشأن حياة مولانا .

وعلى رغم كل أوجه القصور والإهمال ، فإن كتاب « روضة الحقيقية » هو كتاب دعاية دينية ليس إلا ، ولما كان هذا الكتاب قد دبج بلغة سلسلة ساحرة جذابة ، فإنه عمل كان مُنتظرا فى حينه وصيغ فى صورة متقنة بارعة .

ومما لا مرية فيه أن « فضل رحمى » صاحب أثر علمى مثله فى ذلك مثل شراح المثنوى بل كان أشدهم عشقا لمولانا ، وأكثرهم تعلقا به . وثمة طائفة ممن تدخلوا فى هذا الأمر بغية التذكير بعلو كعبه عمن سواه والتدليل على كفاءته واستحقاقه وإدراجه فى سلك الفضلاء وتلقيبه بلقب « الشارح » .

ونحن نعضد هذه الفكرة بعينها فيما يتصل بالمنتخبات التى اقتبسها من المثنوى ويتحتم علينا القول فى هذا الصدد :

إن الشروح التى اُضطُلِع بها فى الشرق لم تكن فى الكثرة الكاثرة منها تهدف إلى فهم وإدراك النص الأصلى والتصدى لشرحه وتفسيره أو تجليته وإماطة اللثام عنه ، بل كانت ناقعة فى تصعيب وتعسير فهمه وكنهه ، وحجبه بالمصطلحات ، حتى إن الشارح لا يرى ثمة ضرورة حتمية إلى فهم وإدراك كنه ما يريده صاحب النص

الأصلي وماذا يعني بما يقول ، كما أن الشارح ينأى بالقارئ كلية عن الغاية التي يتغياها صاحب النص الأصلي والذي يكون القارئ قد اتخذه أساسا لفهمه ، أو بمعنى أصوب أساسا لمذهبه ونزعته الدينية وعقيدته التي ارتضاها .

إن الترجمة هي دليل الجهل وبرهانه ، فالنص الأصلي يُشرح بشكل مطلق حتى أنه يتسنى كذلك تدبيج شروح على الشروح ، وهذا ما حدث بعينه في شروح المثنوي ، وما من شارح قط يتصدى لشرح المثنوي إلا وهو غير متناقض مع فكر مولانا وآثاره الأخرى ، ومن ثم فإن « فضل رحمي » لم يقرأ المصادر الأساسية ذات الصلة الوثيقة بفلسفة مولانا وحياته التي تتوافق تماما مع معيشته وأفكاره ، ومع هذا فثمة فصول تشرح الأبيات الواردة في كل من المثنوي وكتاب « فيه ما فيه » الذي يتضمن ديوان مولانا وحكاياته والأفكار الواردة في المثنوي ، أما مقالات شمس فهي من أهم المصادر الأساسية لمولانا . وعلى رغم كل هذا فإن سائر هذه الشروح والمنتخبات قد عجلت بانتشار المولوية في حقبة الانتشار وذيوع الصيت ، كما أنها عضدت وشدت من أزر بنية الطريقة وشدت الانتباه إليها في عصر الفتور والركود . ولنوجز في هذا السياق الدراسات التي وضعت في الغرب وتدور حول المثنوي ونوردها على التوالي :

(١) جاكوس دى ويلينورج jacluesde dewaallenbbourig

اضطلع بترجمة المثنوي في صورة بلغت غايتها من الروعة والجمال ، وإذا كانت هذه الطبعة قد أُعدت في عام ١٧٩٩ م ، فإن قسما كبيرا من هذه الترجمة قد أُحرق في الحريق التي نشب في حي بي أوغلو Beyagtu في نفس التاريخ كانت جاكيوس هذا من أهل فيينا ويعمل مترجمًا بالسفارة النمساوية بإستانبول ، ومن ثم فإنه من المؤكد أنه لم يضطلع بهذه العمل مرة ثانية .

(٢) جورج روسين :

اضطلع بترجمة معنى ثلث المثنوي إلى الألمانية ، وطبعت الترجمة في ليبزج Leip-zig سنة ١٨٤٩ م تحت عنوان « المثنوي للشيخ مولانا جلال الدين الرومي » .

(٣) ترجم « ردهاوس » Reditause

الجزء الأول إلى الإنجليزية نظما وطبع فى انجلترا سنة ١٨٨١

(٤) اضطلع مترجم روضة الأسرار ويدعى « هو ينفلد » whim Field

بترجمة مختارات من الجزء السادس نثرا ، وبلغت عدد أبياتها خمسمائة وثلاثة ألف بيت من الشعر على وجه التقريب ، وطبعت فى انجلترا سنة ١٨٨٧ م باسم « المثنوى المعنوى » ، وكان المرحوم « نيكلسون » Nicholsom شديد الإعجاب بهذه الترجمة .

(٥) اضطلع ويلسون wilson بترجمة الجزء الثانى :

إلى الإنجليزية نثرا ، وقد امتدح نيكلسون Nichotson هذه الترجمة وقرظها ، ثم طبعها فى انجلترا فى جزأين سنة ١٩١٠ تحت اسم المثنوى The masnawi

(٦) اضطلع الأستاذ « ريولد نيكلسون » Reynal Nichakon

بطبع النسخة الموجودة اليوم فى مكتبة متحف قونية وهى فى ستة أجزاء، واتخذ هذه النسخة أساسا للنسخة الأصلية التى كتبت بعد وفاة مولانا بخمس سنين ، وقد تمت المقابلة بينهما وبين نسخة جلبى حسام الدين فى حضور سلطان ولد ، ثم ترجمها ، وشرحها معتمدا على شرح الأنقروى . وقد اضطلع وقف جب Gibb بنشر هذه الكليات فى انجلترا بداءة عام ١٥٢٥ م ، ولم يتسن لنيكلسون أن يحيط خبراً بنسخة قونية ، أو بما هو موجود فى الجوانب الرئيسية من الجزء الأول من المتن الأصلى ، أما القول الصائب فى هذا الصدد هو أنه اتخذ من المخطوطة أساسا يعول

عليه ، بيد أنه فى خاتمة المطاف اعتمد على نسخة قونية التى يظهر فى أجزاء منها فروق النسخ البارزة بجلاء فى النواحى الرئيسية منها .

وأهم من هذه الترجمات كلها الترجمة الألمانية التى اضطلع بها « روكر تولوجق » Rückelr Tholuck ، وكذلك الترجمة الألمانية الأخرى لصاحبها Rosenzlweig وثمة ترجمات أخرى من المثنوى الفرنسية اضطلع بها Baudry ، وهذه الترجمات هى ما استطعنا رؤيته بأعيننا رأى العين ، وما تسنى لنا أن نسمع عنه .

وقد اشتغل نيكلسون بالبحث فى الديوان الكبير ، وترجم الأشعار الثمانية والأربعين لمولانا ، وطبعها مقرونة بنصوصها وعنون لها بالإنجليزية (قصائد مختارة من ديوان شمس تبريز ، مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٨٩٥ هـ) . بدأ فى إيران كذلك الاضطلاع بدراسات وبحوث جادة تدور حول مولانا جلال الدين الرومى ، وتأتى فى صدارة هذه الدراسات نسخة المثنوى المطبوعة والتى اتخذت من طبعة نيكلسون أساسا يعول عليه ويحتذى به وثمة دراسة قيمة اضطلع بها بديع الزمان فرد زانفر وبحثناها فى الجزء الثانى من كتابنا « ولد نامه » مقرونة بمقدمة قيمة ، ويأتى فى هذه الصدارة كذلك كتاب « شخصية مولانا » « لصاحبه » « حسين شجرة » وكذلك كتابه الذى لخص فيه كتاب مناقب العارفين (طهران - المطبعة الاتحادية : سنة ١٣١٦ هـ) .

الهوامش

(١) كان ملك الأوزيك حاكما على آلتين اردو (القبيلة الذهبية) ، ويتوجب أن يكون هذا الشخص قد استمر حكمه فيما بين أعوام ١٣١٢ - ١٣٤٠ م . انظر : الدول الإسلامية ص : ٣٦٣ .

(٢) « الله الباقى ، انتقل من دار الفناء - الصدر الكبير والخير الخبير ، فريد دهره ، وحيد عصره المرحوم المعفو له أفلاكى - العارف ، تغمده الله بغفرانه ، وذلك فى يوم الإثنين آخر رجب من سنة إحدى وستين وسبعمائة من الهجرة » تفضل السيد المحترم زكى أورال مدير متحف قونية بهذه الصورة الشمسية لشاهد القبر ، ونحن مدينون بالشكر والعرفان .

(٣) من المعلوم أن هذه القرية على مقربة من اللاذقية .

(٤) هو شريط ووشاح من الصوف مشدود فوق قلنسوة المولوية ، عرضه مقدار شبرين يتدلى من الأمام حتى الظهر ويسمى « استوا istiva » ولسوف نبحثه فيما بعد .

(٥) للتعرف على محمد الشبستري : انظر : عبد الباقى كلبنارلى : ترجمة روضة الأسرار إحدى بنشريات وزارة المعارف : الكلاسيكيات الشرقية والغربية : المقدمة ص A - H .

(٦) هم نوبيشتم أون زمان تاريخى \ بلبل كوكلشن توحيد جو (ص : ٢٣) والمعنى :

أنا أزيد من تاريخ عشرة عصور \ والبلبل هو الذى يرغب فى البحث عن روضة التوحيد .

(٧) مما لا ريب فيه أن هذا الشاب كان أحد طلابه ، وهو أمير عادل جلبى ابن باشا جلبى

(٨) ازين مصراع تاريخشن همجوى \ بيا ازكلشن أسرار كل بوى والمعنى :

فلنبحث تاريخة من هذا المصراع \ وتعال من روضة أسرار الورد ذى الرائحة

رسيد أى شاهدى أيام بيرى \ شد هفتاد دوششن ساله تميرى (4) والمعنى :

يا شاهدى لقد رحلت أيام الشيخوخة \ فإنك لا تموت ستة وسبعين عاما .

(٩) بامن سياية بليغى كرد مرحوم \ لغتها كرم باوززن منظوم والمعنى :

لقد جاءنى بليغ المرحوم \ فضعت ألفاضاً على وزن منظوم

(١٠) مدهامة : أى خظر تضرب خضرتها إلى السواد وتسمى فى التركية yemyesil .

(١١) تصغير ديوان ، وفى التركية يسمى : DivanCIK.

(١٢) اضطلع بترتيب هذه الدورية الصوفى إبراهيم فى سنة ١٠٣٢هـ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣م .

(١٣) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثانية . ص ١٠٠

(١٤) كلمة تركية معناها : الجذع .

(١٥) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثانية ، ص ٢٣ - ٢٤ ، وانظر كذلك : الصورة الشمية الأولى فى خانة الجزء الثانى من ترجمة المثنوى سنة ١٩٤٢ م .

(١٦) تولى وتبرأ : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب آل البيت ، ويحب من يحبهم ومحبى من يحبونهم على التوالى ، ومن ثم فقد أطلق على من يقتدون بهم ويتبعون سبيلهم اصطلاح « تولى » ، وعلى من لا يحبونهم ويظلمونهم اصطلاح « تبرأ » ، وهذا الاصطلاحان هما من فروض الدين عند الإمامية (المترجم).

الفصل الثامن

الشلبيون ومقام الشلبية

.

الشلبيون – عصور الشلبيين – الوقائع والأحداث التى تتصل بالطريقة .

قلنا فيما سلف إن مولانا لم يكن مؤسس طريقة ، وكان قطبا فى طريق العشق والملامة ، ولم يكن فى طريقة مولانا مشيخة ولا دروشة ، ولا منازل ولا درجات ، ولاتكية ، ولا لباس خصوصى ، ولا مراسم أو طقوس ، أما والج طريق العشق ومرتحل هذا الطريق فإنه يقبل ويرتضى به على هيئة جد بسيطة ، ناهيك عن أنه يبلغ مقام الإنسانية الحقة ، ويتغير ويتبدل حسه وشعوره وعلمه ومعرفته ورؤيته من يوم إلى آخر حيث يتسنى له فى هذه الطريقة غشيان مجالس الموسيقى والسماع ، وينعم بصحبة الأصدقاء ، ويرتبط ارتباطا وثيق العرى بقطب عظيم .

لم يقبل مولانا شخصا آخر بعد التقائه بشمس ، وبعد شمس ترك مولانا هذا العمل المقبول البسيط لصلاح الدين ، ثم لحسام الدين من بعده . وقد أكدوا هذا بعدم تفريق وتشتيت المجتمع المؤتلف حول مولانا ، فضلا عن القدرة على ضم وإلحاق عاشقين جُدد إلى هذا المجتمع . اشتهر حسام الدين بعد مولانا بأنه قطب صوفى ، ولم ينحدر من نسل مولانا الجوهرى والمادى (أى من صلب مولانا) . ثم كان تبوؤ سلطان ولد لهذا المقام بعد حسام الدين ، أعقبه تأسيس التكية والمقبرة على هذه الشاكلة ثم جاء فى عقب سلطان ولد بنه أولو عارف جلبى ، تلاه بعد ذلك أخوان ، أحدهما فى إثر الآخر وهم جميعا يمثلون المولوية خير تمثيل كان تأسيس الطريقة يتم

تدريجيا فى تلك الحقبة عينها ، وكان هذا سببا فى إيجاد مقام مخصوص لنسل مولانا ، وفى تكيته الكائنة بقونية ، وقد اضطلع جلبى بهذا إبان حياته فى تلك الحقب المبكرة من الزمان حتى يتفادى النزاع المحتدم حول تبوؤ مقام الخلافة ومن سيكون جلبى من بعده .

كان جلبى مؤسسا للطريقة وممثلا لمولانا خير تمثيل أما لقب « مولوى » ، فكان يطلق على أولئك الواصلين إلى مقام مولانا إبان الحقب المبكرة وكذلك لقب « ولد » الذى كان يخلع على أولئك المنتسبين إلى سلطان ولد ، ومن ثم أطلق على كل من أولو عارف وعابد لقبا : أولو عارف جلبى وعابد جلبى ، حتى أنه أطلق على أولئك المنتسبين إلى أمير عالم وأمير عادل ألقاب : عارفى ، عابدى ، عالمى ، وهذا ما تظهره الوثائق وتجليه . وهذا هو قطب الشلبين الأولين فى هذه الحقبة بعينها من الزمان ، وهو الوريث المادى والمعنوى لمولانا ، فثمة تغيير وتبديل فى الاسم ، بيد أن الحقبة واحدة .

وبعد هذه الحقبة من الزمان تضاءل النفوذ المعنوى للشلبيين وتقلص رويدا رويدا ، ثم ما لبثت أن تفشت حالة من الطمع والمنافسة بين ظهرانى سلالة مولانا ، تمخض عنها نشأة طائفة من الشيوخ فى تكايا أخرى غير تكية قونية ، وفى أماكن أخرى غير مدينة قونية ، وكان لهؤلاء الشيوخ نفوذ أسمى وأبلغ من نفوذ الشلبيين أنفسهم ، وأوجب هذا التعرف على أقطاب آخرين من أولئك الذين احتلوا مقام الشلبية وتسنموا ذروتها ، وهكذا استيقظ هذا العرف والتقليد من غفوته وأفاق من سباته ، وأطلق لقب « مولوى » على أولئك الذين يندرجون فى سلك المولوية ويعتدون بطريق مولانا بغض النظر عمن ينتسبون إليه . أما لقب « جلبى » فقد اشتهر به الرئيس فى المنظمات المادية للطريقة ليس إلا كان الشلبيون يضطلعون بتعيين شيوخ التكايا ، كم كانوا يصوبون رغبة أولئك الذين يبتغون منح شهادة الإجازة إلى الشخص الذى يريد أن يكون شيخا . أما مقام الشلبية فهو ذلك المقام الذى يحقق ويؤكد المركزية المولوية من الناحية المادية والجوهرية الخالصة ، وقد أوجب هذا انتقال هذا المقام دائما من الأب إلى الولد ، وتمخض عن ذلك تأسيس وتقعيد هذا المبدأ تلقائيا من ذات نفسه فى تكايا المولوية ، وكان هذا عملا مهما فى تفسخ الطريقة وتقويض أركانها حتى أنه تسبب كذلك فى ظهور التنافر والخلاف والشقاق بين بعض الشيوخ ومقام الشلبية .

الشلبيون :

هاهم أولاء الذين تبوءوا مقام السلطنة الروحانية بدءا من مولانا :

١- مولانا جلال الدين (ت ١٢٧٣ م)

٢ - جلبى حسام الدين (ت ١٢٨٣ م)

٣ - سلطان ولد (ت ١٣١٢ م)

٤ - أولو عارف جلبى بن سلطان ولد (ت ١٣٢٠ م)

٥ - شمس الدين عابد جلبى بن سلطان ولد (ت ١٣٣٨ م)

٦ - واجد جلبى بن سلطان ولد (ت ١٣٤٢ م)

٧ - أمير عالم جلبى بن أولو عارف جلبى (ت ١٣٥٠ م)

وهذا الشخص لم يتبوأ فعلا مقام الشلبية

٨ - أمير عادل جلبى بن أولو عارف جلبى (ت ١٣٦٨ م)

٩ - أمير عالم جلبى بن عابد جلبى الثانى (ت ١٣٩٥ م)

١٠ - عارف جلبى بن أمير عادل جلبى أوغلو الثانى (ت ١٤٢١ م)

١١ - بير عادل جلبى بن أمير عالم جلبى الثانى (ت ١٤٦٠ م)

١٢ - جمال الدين جلبى بير عادل تجلبى (ت ١٥٠٩ م)

١٣ - خسرو جلبى بن قاضى محمد باشا
ابن جمال الدين جلبى (ت ١٥٦١ م)

١٤ - فرهود جلبى بن خسرو جلبى (ت ١٥٩١ م)

١٥ - بستان جلبى بن فروخ جلبى (ت ١٦٣٠ م)

١٦ – أبو بكر جلبى بن فروخ جلبى (ت ١٦٣٨ م)

١٧ – عارف جلبى الثالث بن ولد جلبى (ت ١٦٤٢ م)

(وهو من نسل مولانا من جهة الأم)

١٨ – حسين جلبى بن حسن بن فروخ جلبى (ت ١٦٦٦ م)

١٩ – عبد الحليم جلبى بن عبد الرحمن جلبى (ت ١٦٧٩ م)

٢٠ – بوستان جلبى الثانى بن عبد الحليم جلبى (ت ١٧٠٥ م)

٢١ – صدر الدين جلبى بن بوستان جلبى (ت ١٧١١ م)

٢٢ – محمد عارف جلبى بن عبد الرحمن جلبى (ت ١٧٤٦ م)

٢٣ – أبو بكر جلبى الثانى بن عارف جلبى (ت ١٧٨٥ م)

٢٤ – حاجى محمد جلبى بن اسماعيل جلبى (ت ١٨١٥ م)

٢٥ – سعيد همدم جلبى بن حاجى محمد جلبى (ت ١٨٥٨ م)

٢٦ – صدر الدين جلبى الثانى بن همدم جلبى (ت ١٨٨١ م)

٢٧ – فخر الدين جلبى بن همدم جلبى (ت ١٨٨١ م)

٢٨ – مصطفى صفوت جلبى بن همدم جلبى (ت ١٨٨٧ م)

٢٩ – عبد الواحد جلبى بن همدم جلبى (ت ١٩٠٧ م)

٣٠ – عبد الحليم جلبى بن عبد الواحد جلبى (ت ١٩٢٥ م)

٣١ – بهاء الدين ولد جلبى بن مصطفى نجيب جلبى (ت ١٩٥٠ م)

٣٢ – عامل جلبى بن يعقوب جلبى (ت ١٩٢٠ م)

٣٣ – محمد باقير جلبى بن عبد الحليم جلبى (ت ١٩٤٣ م)

٣٤ – شمس الواحد جلبى بن عبد الواحد جلبى

عصور الشلبيين والوقائع والأحداث المتعلقة بالطريقة :

إذا كنا نعتد بمولانا ، فإننا بحثنا فى القسم الخامس من هذا الكتاب السير الذاتية للشلبيين الذين جاءوا وذهبوا حتى عصر بير عادل (جلبى الحادى عشر) وناقشنا كذلك الوقائع والأحداث التى كانت إبان عصورهم .

تبوأ جمال الدين جلبى مقام الشلبية بعد أبيه بير عادل جلبى ، وتفيد السفينة أنه كان شديد الكرم ، عظيم الجود والسخاء ، وقد بشر جمال جلبى الفاتح بمولد بايزيد ، ومن ثم فإن بايزيد الثانى أبدى له ولمولانا عظيم التجلة والتوقير ، كما اضطلع كذلك بتجديد الصناديق الموجودة فى المقبرة ، وأرسل بقماش قيم ثمين بغية ستر وتغطية أعلاها (جـ ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٤) .

واضطلع بايزيد فى الحقبة عينها بتشييد وتعمير ما فى المقبرة ، ثم تولى المولوى عبد الرحمن بن محمد الحلبى نقش النقوش فوقها ، وهذا ما ندركه من النقش الموجود أسفل النافذة الموجودة ناحية القبلة التى يرقد فيها سلطان ولد[١] .

ثم حل محله بعد ذلك خسرو جلبى ، وظل فى مقام الشلبية طوال العهود المبكرة للسلطان بايزيد الثانى وعصور السلطانين سليم الأول وسليمان القانونى ، وقد وهب سليم الأول (ياوز) أوقافا كثيرة إلى تكية مولانا وجلب الماء إلى المقبرة وشيد لها فسقية أهدى حوضها من كوتاهية إلى أولو عارف جلبى ، واضطلع المولوية بتدوين تاريخ تركيب هذا الحوض فى عبارة فحواها « إنه حوض جنان الجنات » « قام سليمان القانونى كذلك على خدمة مقبرة مولانا ، وشيد المسجد ودار السماع ثم اضطلع فى تلك الآونة بتشييد صندوق مرمرى من أجل مولانا وولده ، ونقل كذلك صندوق مولانا وجعله فوق قبر بيه سلطان العلماء[٢] .

هذا وتفيد شجرة النسب أن خسرو جلبى هو حفيد جمال الدين جلبى ، أما أبوه فهو قاضى محمد باشا ، فمن يكون إذا هذا القاضى محمد باشا ؟

يوجد فى السفينة حشد متراكم من الأقوال ، بيد أنه ليست معلومة واحدة تشفى الصدور بين ثنايا هذا الحشد المتراكم من الكلام . بيد أنه تقلد لقب قاضى باشا نظرًا للفتاوى التى اضطلع بها ، كما أنه حاز قوة محكمة قوية الشكيمة غير قابلة للنقض والإبرام .

كما كان يستحوذ على أوقاف فى قرة حصار ، ويمكن أن نعلم كذلك أنه عند مماته ووري الثرى فى تكية ديونه محمد جلبى (ص ١٢١ - ١٢٢) . وقد ورد فى ترجمة السيرة الذاتية لخسرو جلبى أن قاضى باشا قد تزوج بإحدى حفيدات خضر باشا بن مطهرة خاتون بنت سلطان ولد ، وتمخض هذا الزواج عن ولادة خسرو جلبى (ص ١٤٣) .

وورد فى ذيل الشقائق أن قاضى محمد باشا ينتسب إلى شخص يدعى جيوى زاده ، وعمل نائبًا له عندما تولى منصب قاضى مصرى ثم اشتغل بالمحاسبة ، ثم بوظيفة التدريس فى بورصة وأدرنة كوتاهية ، وفى خاتمة المطاف تقلد مناصب القضاء فى كل من مصر وأدرنة ، وفى سنة ٩٧٧ هـ = ١٥٦٩ م عزل من منصب القضاء فى آخر خدمة له بمدينة إستانبول ، وتوفى قاضى باشا سنة ١٥٧٠ م ودفن فى فناء مسجد عابد جلبى ، ويوجد كذلك شاه محمد قره حصارلى الذى ينحدر نسله من سلالة من مولانا ، ويكتب عطائى أن شاه محمد هو عادل أوغلو محمد خرم ، وثمة ترجمة ذاتية مدونة عند عاشق جلبى (جـ ٤ ، ص ١١٩ - ١٢٠) .

ويسجل عاشق جلبى تاريخًا منسوبًا إلى شاه محمد جلبى عندما كان قاضيًا على مصر .

ويدون كذلك أن شاه محمد كان فى أدرنة عندما هم بكتابه تذكرته ، ويسجل عاشق جلبى أن لشاه محمد غزليتين ، وتدون حديقة الجوامع أن هذا الشخص توفى سنة ٩٠٢ هـ = ١٤٩٦ - ١٤٩٧ م . وذلك إبان بحثها عن مسجد عابد جلبى الذى ينحدر نسله من سلالة مولانا مع كل من أمير بخارى وبيرداش وورد فى الحديقة كذلك أن الشاعر « نادرى » (١٦٢٦ = ١٦٢٧م) مدفون فى نفس الموضع ، وتشير الملزمة رقم ٩٧٨ هـ إلى القاضى شاه محمد جلبى (جـ ١ ، ص ١٥٢).

حقًا ! فمن يكون هذا الشخص الموسوم باسم قاضى باشا ؟ هل تضيف السفينة خطأ أكثر فتقول إنها سمعت بأنه من قرة حصار ومات فيها ودفن كذلك فى تكية مولانا فى قرة حصار ، وهذا الخطأ يسجله ذيل الشقائق ويقول فيها إنه والد محمد جلبى وكان قاضياً على خرَّم ، وهذا ما يسجله عاشق جلبى ، ولا غرو أننا لا يتسنى لنا الإحاطة علما بسيرته الذاتية وقصارى ما علمناه أنه خرم جلبى[٣] .

وإذا فكرنا مليًا فى أن محمد شاهين توفى سنة ١٥٧٠ م أى بعد وفاة خسرو جلبى بتسع سنين فإن ثمة احتمالا قويا بأن يكون قاضى باشا هو قاضى خرم جلبى والد محمد شاه ونعتقد أن عادل جد قاضى خرم هذا ، هو بعينه عادل جلبى المتوفى سنة ٨٧٠ – ٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م .

وقد عثر خسرو جلبى على أشعار نظمها قاضى خرم ، كما كانت له أوقاف كثيرة زادت بمرور الزمان وأوصى بها فى حياته كالأمراء إلى مقام الشلبية فى تكية مولانا ، وورد فى السفينة كذلك ما يضمن ديمومة حياة الترف والنعيم إلى خلفاء الشلبيين . ويفيد ثاقب دده بأنه كان يخفى هذه العطايا والهبات ويداريها بنفسه.

أما فروخ جلبى الذى تبوأ مقام الشلبية وحل محل خسرو جلبى فقد كانوا يأتون به إلى مدرسة قرة طاى ليضطلع فيها بتدريس ما يتصل بمولانا على مرور الأيام .

وتقول السفينة : إن الشلبيين اضطلعوا بالتدريس فى هذه المدرسة فى ذلك الإبان أو بعبارة أصح « إن أولئك الذين لم يضطلعوا بتقديم وعظ مولانا كانوا يتقاضون راتب التدريس فضلاً عما يأخذونه من حق المواريث الذى يئول إليهم من الأوقاف .

وقد أدرك فروخ جلبى الأزمنة المتأخرة من عصر سليم الثانى وعصور السلاطين مراد الثالث ومحمد الثالث ، أما مراد الثالث فقد اضطلع فى عهد فروخ هذا بتوسيع تكية المولوية وتشييد غرف الدراويش[٤] . كانت حياة فروخ جلبى أشبه بحياة الأمراء والباشوات ، كما كان يغشى بيوت الأكابر وسراة القوة ويتقاضى

النذور من كل شخص ، كل هـذه الأشياء مـهدت السـبيل إلى شيوع الشوائع وذيـوع القيل والـقال إبان عصر فـروخ جلـبى ، ومن ثم فـقد شـب أول نـزا ع بين ظـهرانى الشلبـيين ، نقـول إنـه أول نزاع لأنه لـم يسـجل قـبـل ذلك أى نـزا ع شـامل عـام لا سبيل إلـى إخـفائـه أو مداراته ولا نعلـم كذلك مـاهـية هـذا النزا ع وطـبيعته ، فهو نزا ع لم يتمخض عن حياة جلبى فقط ، بل نجـم عن إنفـاق الـوقف ، أو نقول بجلاء إنه تولد عن الوقف ذاته .

ويرى ثاقب دده أن الخلفاء ونعنى بهم « الشلبيين » قد تصدوا للخلف ، ونعنى بهم أولاد مولانا ونجحوا فى هذا التصدى (ص ١٥٠ - ١٥٢) ، وتفيد رواية ثاقب دده أن فروخ جلبـى ظـل مـعزولا مـدة ثمـانى عشرة سنة وهذا يعنـى أن يد الحكومة لم تنل من مقام الشلبية حتى ذلك الإبان ، ومن ثم فقد عزلت بن مـلا خونكار لأول مرة ، وهذا يوجب القول بأن ثمة ثمانى عشرة سنة قد سقطت من خلافة فروخ جلبى والذى تبوأ مقام الشلبية مدة ثلاثين عاما (١٥٦١ ، ١٥٩١ م) بيد أن هذه الثمانية عشر عاما تصادف أية حقبة من هذه الثلاثين عاما ؟ ومن يا ترى كان هو جلبى فى غضون تلك الحقبة ؟

وما هو أصل هذه الواقعة ؟ لا يُرى فى سلسلة النسب المولوية خليفة آخر بين فروخ جلبى وبستان جلبى ، ولا توجد معلومات قط تتصل بهذا الشأن أو تتعلق بتلك التواريخ ، ويفهم من هذا أنه ليس نزاع صديق بل هو نزا ع على تبوؤ المناصب فى العادة ، وهو شىء لا يستحق الذكر ألبتة .

وفى الوقت عينه فقد دُبجت بسبب هذه العزلية غزلية أخرى اضطلع بها « فروخ جلبى » الذى كان شاعراً أيضًا . وتقول السفـينة : إن هـذا الغزل يسمى « غزل العزل » ، وهذا مطلعها :

يا رب بـزه بـر تـسلـيـت خـــــــاطـر أولـورمـى

يوقــــســـه بوفـــتـــور ايله دم آخـــر اولـورمى

والمعنى :

يارب ألا تسلى خاطرنا ؟

أليس لهذا الفتور آخر أو نهاية

هذا وتفيد السفينة كذلك أن بستان جلبى الذى حل محل فروخ جلبى قد ولى وجهه شطر استانبول إبان عصر السلطان أحمد ، واشتغل بأعمال الوقف ، ثم نجح فى القول عائداً إلى قونية ، وذهب إلى المقبرة وهو يترنم بالسماع فى الطريق، وتدون السفينة بصفة خاصة : أن السلطان أحمد كان يحب بسان جلبى حباً جما ، وبالغ فى الحدب به ورعايته وذلك بسبب رؤيا رآها فى منامه .

وتبين غزلية السلطان أحمد الأول فى وضوح مدى إخلاصه لمولانا « وردت هذه الغزلية في دورية محفوظة لدينا ترجع إلى القرن السابع عشر ، وهذا يعنى أنها كتبت فى عصر السلطان أحمد » وتقول الغزلية :

مثنويسك ايشدوب حضرت مولانك

كشوار أولدى تولا غيمده كلاّ آنك

دف ونى ناله قيلوب مولويلر اتيتدى سماع

ايله دك ينه صفاسينى بوكون دوراتك

امر مولا ايله برهمت ايده مولانا

كله آيا غمه كيم كلر كله أرى آدانك

جدا علا لريه همت ايده كلمشدر

بن ده أومسم نه عجب همتك أول سلطانك

بختيه يه بنده أول دركاه مولانك

تخت ما ينده أودريا دشاهى دنيانك

والمعنى :

ألقيت السمع مليا إلى مثنوى مولانا

وكلامه فى أذنى بسورة الحُميا يجيش

وأجرى المولوية المساع يتأوه بالدف والناى

وقمنا هذا اليوم بصنع السرور والصفاء

فلنقم بخدمة مولانا بأمر من المولى سبحانه وتعالى

ولنجلبن عند قدميه رءوس الأعداء

ولنسع دائمًا لخدمة جد عائلاتنا

ماذا جرى لو تمنت همة وعزيمة ذلك السلطان

ويكون حظى أن أكون عبداً لعتبة مولانا

إنه سلطان الدنيا والعرش المنيع

وهناك من يعدون بستان جلبى من أرباب الطريقة الملامتية ، كما كانوا يعتقدون كذلك أنه اتبع سبيل الزيغ والضلال لما حققه من انتصارات فى مضمار القنص والصيد ، وقد كثر مريدوه وبرز فى ميدان الحرب وهو يقاتل بآلات الحرب والقتال ، وقام بتغيير لباسه وتبديله كما غير عمامته وأكابر القوم الذين يصاحبهم ، وكثرت وجوه إنفاقه فى سبيل الخير والإحسان كما كانوا يعتقدون أيضًا بأنه سوف تحدث أمراض معدية لو أصابته المتاعب أو قدم صدقة وكانوا يستفهمون من بستان جلبى إذا حدث وتلقى خبراً من أحد أو ارتاب فى أن الخبر المتلقى ليس صحيحاً .

كان فروخ جلبى لا يقيم فى التكية ، بل كان يقضى الوقت فى كوخ صغير كان قد شيده فى حديقة منزله الذى ولد فيه ، ولهذا السبب فإنهم كانوا يقولون : إنه كان يجلس فى هذا البيت مع صوفية الغيب(٥) .

وتلك واقعة حدثت في زمان بستان جلبي تبين عن شخصيته ، وأنه كان يهب كل ما يستحوذ عليه وتملكه يداه إلى الدراويش والفقراء المتربين المعوزين . زار أحد الوزراء تكية المتصوفة وأعطى بستان جلبي ما مقداره ألف دينار لتكون ثمنًا لأدعية الدراويش .

وكان في التكية ثلاثمائة درويش ، وسمعوا بما حدث ، فنهضوا من فورهم لوداع الوزير وعندما رآهم الوزير قال : إن هذا القدر غير كاف ، وأراد أن يقدم المزيد من المال فقال بستان جلبي : إن هذا كاف ، ولما رحل الوزير أخذ جلبي قلانس الدراويش كلها ، بيد أن صابوني دده وقاراتال دده اللذين نما إلى سمعهما إحسان الوزير ، ورأيا بعيني رأسيهما نهوض الدراويش وداعهم للوزير ما لبثا أن ذهبا إلى مدينة « مراد » لأنهما لم يستحسنا هذه الفعلة ، ولم يعجبهما هذا الصنيع ، ولما أقبلا قدم جلبي المال إلى كليهما ، فما كان من هذين الصوفيين إلا أن تضرعا متوسلين ، وعرضا المال على أعين الناس لعلهم يشهدون .

وبعد انقضاء ثمانية عشر يومًا قدم صوفية آخرون ليتشفعوا بشأنهم ، ثم كرر جلبي التكبير على قلانسهم ، وتجاوز عن تقصيرهم ، ثم أنفق هذا المال على الطعام المطهى في الاحتفال (ص ١٥٨) .

ذاعت المولوية وانتشرت انتشارا في عصر بستان جلبي ، وشيدت تكية للمولوية في الشام وكانت قبلُ زاوية صغيرة ليس إلا . وطُلب إلى بستان جلبي أن يكون شيخًا عليها ، ولكنه أرسل قارتال دده بدلاً منه ، وكان محمد دده الموجود في مدينة « آغازه » (ت ١٦٥٣ م = ١٠٦٣ هـ) . منتسبًا إلى بستان جلبي كما شيدت تكية المولوية في غاليبولي من أجل هذا الشخص ، وشيدت في عصر بستان جلبي تكية من أجل كمال أحمد دده خليفة خسرو جلبي في إستانبول (تت ١٦٠١ هـ = ١٠٠٩ - ١٠١٠ م) ، وشيدت كذلك تكية المولوية في « يني قابي » لتكون تكية المولوية الثانية في إستانبول بعد تكية غلطة وذلك في عام ١٥٩٧) .

وكان شارح المثنوي أنقره لي رسوخي إسماعيل كذلك خليفة لبستان جلبي ، وقد كتب غزليته لنعت بستان جلبي (تذكرة أسرار) ، والتي يقول فيها :

باغبان روح برور يعنى مولانابى روم

نوبهار ايتدى ينه باغ دم ودورانى

تازه لندى ذوق وشوقى كهنه بزم عالمك

شك فردوس ايليوس بيرامن بستانى

دستان بوستانى خوش دماغ عطر ايدوب

قوت جانى عدم ايتدى نكهت عرفانى

والمعنى :

إنه مولانا الرومى بستان الروح

هو ربيع ندى وبستان العصر والأوان

جدد مجلس الصحبة القديم بالشوق والصفاء

تحسده الفردوس على طرق بستانه

وأبهج أصدقاء البستان وعطرهم بالرائحة الزكية

هو رجل قوت الروح ونكهة العرفان

وتسجل السفينة أن عدد المنتسبين إلى بستان جلبى ثمانية ألف مريد ، وتردف قائلة : إن الشلبيين الذين تفرقوا وتوزعوا فى قرى الوقف إبان عصر فروخ جلبى بمقاطعات قره حصار وغيرها من المدن الأخرى قد انكفئوا راجعين إلى قونية فى عصر بستان جلبى (ص ١٦٣ - ١٦٤ م) .

حل أبو بكر جلبى محل أخيه بستان جلبى الذى انقضى عصره بفوضى واضطراب ضرب أطنابه فى كل مكان وإذا توجب علينا تصديق ثاقب دده بأن السلطان الذى انتهب وسيطر على « قاضى زاده » كان مثل هؤلاء عدوا لدودا

للتصوف والمتصوفة ، وأراد أن يدخل ضريح مولانا بحذائه إبان حملته على بغداد ، ولكن خادم الضريح حال بينه وبين فعلته .

كان هذا السلطان سليط اللسان على كل شخص ، وأمسك بيد خادم الضريح متعللاً بتقبيلها ثم ما لبث أن شد عليها ضاغطًا إياها يريد كسر عظامها ، ولكن خادم الضريح فطن إلى هذا وشرع يشد ويضغط على يد السلطان قائلاً : الرحمة يا إلهى ، ثم عاد السلطان بتحريض طلاب العلم الدينى فقذف سُبحته الدرية من فجوة كائنة على حافة تابوت المقبرة ، ثم ألقى بها تحت أرض المقبرة التى دفن فيها مولانا ، ثم أمر أبا بكر جلبى بفتح الباب الذى يلج إلى تحت الأرض ، بيد أن أبا بكر جلبى قال : إننى لا قبل لى بالاضطلاع بهذا الأمر ، فغضب السلطان مراد الرابع وقام بنفى أبى بكر جلبى إلى إستانبول ، ثم زجُوا بواحد من صغار الشلبيين إلى داخل الباب ، ولكنه خرج وارتد منه وهو معقود اللسان (ص ١٦٥ – ١٦٩) .

ولنمعن الفكر مليًا فيما قاله ثاقب دده ، ولنفتح نحن صفحات التاريخ : كان قاضى زاده بن أحد القضاة يسمى باليق اسيرلى دوغانزاده ، تلقى تعليمه على يد برجوى محمد (ت ١٥٧٣ م = ٩٨٠ – ٩٨١ هـ) ، وبعد وفاة برجوى أراد قاضى زاده أن يتبوء الإسلام مكان الصدارة وذلك عن طريق الكتاب المسمى « الطريقة المحمدية » والذى اضطلع بشرحه زمرة من أساطين العلماء وأن قراءة قصيدة المولد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإقامة مراسم يوم الأربعين على الميت ، وصنع الفطائر والحلوى من أجل روح الميت ، وتلاوة القرآن كالأغانى بمقام موسيقى منغم ، كل هذه الأشياء ليست من الدين فى شيء وإن الدين ليعارض هذه الأشياء بشدة .

كان برجوى خوجة ابن شبابه يعيش فى معية أرباب الطرق وكان يرى ما هم عليه من نقائص ومعايب ، كماكان يعلم كم من المال يتكلف المدرسون من أجل التنشئة والتربية فى المدرسة .

كان هذا الرجل وهابى المذهب فى دولة آل عثمان ، وكان يريد الإصلاح فى صورة تقهقر ونكوص إلى الوراء ، وليس انقضاضاً وهجوماً مندفعاً متوثبًا إلى الأمام ، إنه يريد عصور الإسلام المبكرة ، ولا يريد قتال الصحابة أو لعنهم أو سبهم .

هكذا كان قاضى زاده الذى تربى ونشأ على يد أستاذ ، وبذل جهداً فى الارتباط بالطريقة ما بين الفينة والأخرى ، حتى أنه كان منتسبًا كذلك إلى شيخ من الحمزيين يسمى إدريس محتفى (ت ١٦١٥ م = ١٠٢٤ هـ) ، ثم كان درويشًا للشيخ ترجمان شيخى [٦] .

وكان قاضى زاده ذا روح ناقدة وفكر ضيق ، ومن ثم فإنه لم يعجب كثيراً بالتصوف والدروشة ، بل كان على خلاف ذلك عدواً لدوداً للصوفية .

وها هو ذا مطلع قصيدة له قدمها إلى السلطان مراد الرابع فى عام ١٦٣٠ م ، ويقدم فيها شعراً بلغ حداً بعيداً من الجرأة والجسارة ، يقول قاضى زاده :

خـــواب غـفلـنـدن أوبان أى آل عـثـــمـان بـيلمش أول

آج كـوزك الدن كـيــدر تخت سـليـمـان بـيلمش أول

والمعنى :

أفيـقوا من سـباتكم آل عـثمان وكـون على علم ويقين

واقتحوا أعينكم واعلموا أن عرش سليمان ضائع مفقود

وهو فى تقديمه هذا الشعر إلى السلطان كأنه يغوص فى لجة صفاء وسعادة أهل إستانبول ولكنه فى الظاهر لا يسمع صوتًا آخر سوى التأوه والصياح ، ويذكر أن الشعب راض كل الرضا عن ظلم أصحاب الإقطاع وعن أن يكون حتى أسيراً للكفار .

ويحكى فى قصيدته كذلك عن أهوال التحريق والتدمير اللذين حلا بناحية بولو Bolu ، وكيف خرج الناس إلى الشعاب والجبال ، وامتلاء مملكة خراسان عن آخرها بأهل السنة .

كما يتحدث عن أوباش الإنكشارية ورعاعهم الذين تمردوا على جدهم وشقوا راية العصيان ، ويبين كذلك كيف تصدى الجند الأغبياء فى وجه طائفة الصناع

والحرفيين الذين لا يعرفون سعراً محدداً ثابتًا حتى بلغ الحال بالفلاح أنه لا يستطيع غرس بذرة كما أن القضاة لا يتمسكون بما يقولون ، ولا يكفون عن الارتشاء ، ويتحدث كذلك عن اللواط والخمر والأفيون والدخان وما شابهها من الأمراض المعدية التى غشيت كل مكان وأحاطته من جميع أكنافه ، ويذكر كذلك أن المقاهى باتت وكراً للفسوق والعصيان ، وكان يريد إنشاء المجالس الديوانية الطارئة التى تعقد فى حضرة السلطان .

كان قاضى زاده واعظًا فى مسجد السلطان سليم باستانبول ، ويجذب أنظار الناس بخطابته وشجاعته وصراحته المعهودة فى الحديث ، فهو شيخ سطع نجمه وذاع صيته ، وأصبح واعظًا لمسجد آيا صوفيا ، أما المقتدون به المتبعون سبيله والمهتمون بفكره فقد شرعوا يلقبون باسم « قاضى زاده ليلر » أى أتباع قاضى زاده .

أما أشد منافسى قاضى زاده وألد منازعيه فهو الشيخ عبد الحميد سيواس الخلوتى الذى كان واعظًا بمسجد أحمد وقرض الشعر وتخلص « بيشخى » (ت ١٦٣٩ م = ١٠٤٨ = ١٠٤٩ هـ) .

وكان المنافسان كلاهما يفندان بعضهما البعض ، ويدحضان أفكار كليهما بالحجة والبينة من فوق منبر الوعظ والإرشاد .

توفى قاضى زاده سنة ١٦٣٥ م ، وخلفه فى منصب الوعظ بمسجد آيا صوفيا واعظ آخر شغل مكانه واشتهر بلقب « الأسطوانى » ، وكان هذا الرجل عربيًا ، وقتل رجلا فى المملكة العربية السعودية ، ثم فر هاربًا ، فهل هذه الرواية صحيحة ؟ أم أن أعداءه اختلقوها وزيفوها ؟ هذا غير معلوم ، ولكن هل كان هذا الرجل ذكيًا ألمعيا فطنا حاضر البديهة مثل قاضى زاده ، وهل كان ذا مقدرة فائقة مكنته من أن يجرجر الناس من خلفه ويتعلقون بذيله . ومن المألوف كذلك أن أصبح كل من : بائعى الحلوى وخدمة الدائرة السنية السلطانية وغلمان الحرس السلطانى والعاملين بقصر السلطان عبيدا لهذا الرجل . كما انضم معلم السلطان ويدعى « ريحان آغا » إلى أتباع قاضى زاده ، أو كما يقول الناس إنه أصبح من الفقهاء .

وقد انضم إلى الشيخ أسطوانى كل من : دركن المعلم المخلص والمرشد الأمين لرؤساء طائفة الإنكشارية ، وكذلك الشيخ ولى واعظ مسجد الفاتح ، والشيخ واعظ خورشيد المعروف باسم جاوش زاده ، والشيخ عثمان واعظ مجسد السليمانية ، ومعلم الغلمان الذين يعملون بخدمة السلطان ، والشيخ محمد شيخ تكية » اربه لى » كل هؤلاء وأولئك قد انضموا إلى الشيخ أسطوانى وصاروا فى معيته . وكان هؤلاء جميعا يقولون إنه كان يكفر أرباب الطرق الصوفية فى وعظهم وإرشادهم ، كما كانوا يقويون كذلك إنه كان لا يصلى فى موضع تكية تخربت وانهدمت بفعل الزمان وصروف الحدثان ما لم يتم إلقاء بضعة أذرع من تراب أساسها المحفور فى لجة البحر . كان الفقهاء لا يُجيزون الاشتغال بالعلوم العقلية والرياضية ، ويقولون إن الخضر لم يكن نبيا فى الحياة ، كما لا يريدون كذلك قراءة القرآن منغما ، ويرون أن الصلاة على النبى فى أثناء الخطبة والتفوه بقول « رضى الله عنهم » من قبل واحد سوى الخطيب عند ذكر أسماء الصحابة هو من قبيل البدعة المحرمة وهذا يعنى أنها أشياء اختلقت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وليست من الدين فى شىء لقد تفوه ابن عربى بكلمة تناقض الدين وتناهضه عندما جهر بقوله : إن فرعون قد مات على الإيمان .

لا جرم أنه يوجد من لا يتبعون سبل الدين ولا يعتدون به فى أفكار بن عربى الواردة بين ثنايا ألفاظه ، وكان هو نفسه زائغا منحرفا عن جادة الصواب ، لا يصلى التراويح والصلوات غير المفروضة فى جماعة ، وكذلك الشأن بالنسبة للصلوات التى تصلى فى الجمعة الأولى من شهر رجب وليلة النصف من شعبان ، ويرى أن لعنة يزيد بن معاوية ليست صحيحة صائبة ، وزيارة القبور إثم عظيم . أما تقبيل اليدين والقدمين والانحناء عند السلام فهو شرك مهما يكن الشخص الذى تقابله . كان الفقهاء يتفقون جميعا على منع التبغ والدخان ، وقد منح الخليفة من لا يعلم بحرمته ، ويقولون إن الشارب الذى لا ينصاع للأمر ولا يتمثل له يكون مذنبا آثما ، كما كانوا يعارضون الرشوة بشدة فى غير هوادة ، وكانوا يتجاوزون حدودهم ويعْدون طورهم فى الحدود والصلاحيات رويدا رويدا حتى حازوا قصب السبق فى هذا المضمار .

إنهم سوف يحرقون التكايا ، ولسوف يتركون مئذنة واحدة فقط لكل مسجد كبير ، وبيتوا النية على إزالة كل شىء لم يكن موجوداً فى عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أحد فقهاء الترك : ألا من الشخشير والسروال[٧] . اللذين كانا موجودين فى عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم حتى يلبسه هذا الرجل حسن الخلق ، ألا يتوجب عليه لبسهما ، وما لبث تُرك أحمد أن أجاب قائلاً : بلى ! فليتمنطق بمئزر شعبى ، وليُزملّن ظهره بمئزر آخر . فقال الرجل : هذا شىء حسن ، لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ملعقة فماذا عسانا أن نصنع ؟ قال لماذا تغُل اليد فى أى يوم ؟ فليأكلوا باليد .

حسن يا سلطانى ، ولكن ماذا عسى أن يصنع صناع الملاعق ، وبأى شىء يتقوتون ؟ فليصنعوا السواك والسبحة . ولم يستطع الرجل التحمل ، ثم قال الرجل : أتريد أن تجرد العالم وتعريه وتدخل الصحراء على هيئة أعرابى ؟ حقًا أكانت هذه المعتقدات صحيحة صائبة ؟ ألم ينسق هؤلاء الرجال وراء التلهف على المنفعة ويتصنعوا المداهنة والرياء ؟ فلنقلب إذًا صفحة التاريخ ، ماذا يقول التاريخ ؟ وماذا تحكى الكتابات ؟

كان لواحد من أثرياء الفقهاء علاقة خسيسة مع واحد من أجمل الفتيان ، فما كان من الفتى إلا أن رفع عقيرته بالصباح وقد تجعد وجهه من أثر الاغتصاب والإكراه ، ثم نادى قائلا : أجمع تكتك الحريرية ، ولا تمس الشىء المحرم بجسدك المبارك .

وكان وانى محمد (ت ١٦٨٥ م) من رفقاء نفس هذا الطريق ، يرتدى فراء من السمور[٨] . وكان شديد الشغف والولوع بالدر والمجوهرات ، وقد جرت بينه وبين أحد الأشخاص هذه المحاورة :

أيا سلطانى : إنك تمنع الناس من مختلف هذه الأشياء ، بيد أنك غارق حتى أذنيك فى المجوهرات ، كما تغوص فى لجة فراء السمور . فقال الفقيه : أيها الجاهل أنت لا تعلم شيئًا ، هذا حرام عليك ، حلال على فانظر واستمع .

مثلاً : إنك تأكل شيئًا ما ، وتخرج اللحم الباقي بين أسنانك بالقوة والخلة ، ثم تبلعه ويكون طعامك هذا حرامًا . أما أنا فأخرج هذا اللحم بلساني وأبتلعه ويكون حينئذ حلالا ، وإن الأشياء التي أكلتها وشربتها ذات شك وريبة ، وقد اشتريها بمال مخلوط بالحرام ، ومن ثم فإنها حرام . أما نحن فنشتريها بالدين ثم نسدد ديوننا في أول الشهر من مالنا المشكوك فيه .

ويكون حينئذ حلالا(٩) . كان لنفوذ الفقهاء تأثير شديد قوى في إجراءات الدولة وأفكارها السياسية . ففي عام ١٦٣٧ م كان الفقيه قيصرلي أمير شيخ ذا محلة في منطقة اسكوادار ، وكان يقص على السلطان رؤى ملفقة مختلفة ولا سيما ما يكون منها ضد الإنكشارية .

وقال السلطان « قد بات مهما محوك وإزالتك يريح تسمى القلنسوة واللباد وتوجد إشارة وتنبيه من عالم الغيب من أجل هذا الخصوص .

وعلى إثر هذا قتل أمير شاه القيصري الذي ضايق السلطان وأزعجه »(١٠) .

كان قاضي اسكيشهر في مدينة ايلكين إبان حملته على بغداد سنة ١٦٣٨ م ، وجاء إلى الجيش واشتكى الشيخ أحمد المعروف باسم سكاريا شيخي والذي يقول بالمهدي المنتظر ، وما كان من الشيخ أحمد إلا أن أرسل ما بين سبعين إلى ثمانين درويشًا من الرجال إلى مدينة اسكي شهر ودعاهم إلى التمرد وشق عصا الطاعة ضد دولة الشعب ، بيد أن طائفة من الرجال قد صاروا خُلصًا له في خضم هذه الثورة وذاك الاهتياج ، وما لبث السلطان أن أرسل بهذا الشيخ إلى الأمير . وأردار على باشا درويش ، كي ينكل به ويُسيمه صنوف العذاب .

ولكن سكاريا شيخي وقف ضد السلطان وفي معيته ما بين سبعة إلى ثمانية ألف وانهزم الجيش ، وفي خاتمة المطاف أتى إليه أحد محبيه ويدعى عثمان أغا فخدع الشيخ وقبض عليه ، وجيء بالشيخ إلى قونية ثم سأله السلطان قائلا : أحقًا أنك قلت بعصياني وشق عصا الطاعة على حينئذ رد الشيخ قائلا : إنني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن المنتظرين للمسيح عليه السلام ، ثم أمر السلطان بقتله ، واجتمع

مريدوه ، ولم يؤثر السلاح فى الشيخ ، ثم سلخوا جلد صدره وكتفيه كى يثبتوا خطأ عقيدته ، ثم قطعوا أصابعه واحداً تلو الآخر حتى مفصل يديه ، ولكنه لم يتأوه مرة واحدة ، وقال للجلاد قره على : ألا تعجل على يا سيدى الجلاد .

ثم أركبوه حماراً وطوفوا به بين ثنايا الجيش وكان عارياً فوق رأسه عمامة كبيرة سوداء ، وقد سلخت كتفاه ، أما هؤلاء الذين لم يكتفوا بالتعذيب والتنكيل فقد عمدوا إلى جدع أنفه وبتك أذنيه وتقطيع يديه ورجليه ، ثم ألقوا به فى لجة الجيش حتى مات بعد حين من الزمان(١١) .

أما روميا شيخى محمد الذى كان يقيم فى ديار بكر فقد كان له ألوف مؤلفة من المريدين فى كل من إيران وأرضروم والموصل ووان وحل ، وقد خنق لأسباب غريبة جداً أنه كان يقسم بعزة الشيخ وجلاله(١٢) . وقد سُر الفقهاء من هذا الإجراء وكانوا يعدونه ميزة حسنة غير متعمدة . ونأتى الآن على ذكر أبى بكر جلبى :

لا جرم أن السلطان مراد كان يريد رؤية الموضع الذى يثوى فيه مولانا ليقف مليًا على من حفروا قبره وأفسدوه والذين لم يخربوه ويفسدوه . كما أن أبا بكر جلبى لم يتسن له الاضطلاع بهذا الأمر عن جسارة واقتدار .

ولكن ألهذا السبب ثم نفيه إلى إستانبول ؟ لا فهذا لم يكن ، فقد تحدث المؤرخ بچوى Pecevi عن طمعه ، كما أن المؤرخ نعيما شرح معلومات مسهبة بطريقة موجزة ، ونعيما يكتب الأخبار بشكل أصيل حقيقى موثوق به ويعول عليه . فلننظر إلى قونية فى العالم قبيل النظر فى أحوال جلبى ، ثم نمعن النظر فيه هو بعد ذلك .

عين واحد يسمى ماجرويك MagrioBey وهو من أهل جورجيا أميراً على منطقة قره مان لما أبداه من شجاعة وبسالة إبان الحملة على إيران . وكان هذا الرجل يعمد إلى حلق شعور الفتيات مثل الصبيان ، ثم يُركبهن الجياد ، ويطوف بهن فى المدينة ، وقد تجاوز حده وعدا طوره فى البغى والظلم ، وانهمك فى العنت والجور والاضطهاد ، فكان ظلوماً متعسفاً غشوماً حمل الناس على الضجر والسآمة لما كان يطلبه ويريده منهم وأخيراً تأهب قونيه لى سيد إبراهيم آق كشمير أوغلو إلى تضييق

الخناق عليه والالتجاء إلى استخدام السلاح وتبعه أهل قونية واقتفوا أثره ، وحطموا خيام الجورجيين وسجنوا أمراءها في قلعة قونية .

وذهب الشاكون إلى الصدر الأعظم خسرو باشا ، ولكن ما جرو Magrav هذا فر حينئذ هاربًا ، ثم قبض عليه في حلب وقتل مع ولده[١٣] . وكان هذا العام هو العام الذى تبوأ فيه أبو بكر جلبى مقام الشلبية ، ولم يكن لجلبى صوت مسموع فى تلك الواقعة أو الوقائع التى أعقبتها ، ولم يشعر حتى بنفسه وكان له تأثير ونفوذ عظيم فى قونية . كان الحكام والقضاة لا يؤدون عملاً دون قهر أو تنكيل .

وقد مهد هذا النفوذ لعاقبة جلبى ، وأحيط السلطان علمًا بقدرة ملا خنكار أواغلو .

وقد مر السلطان على قونية إبان حملته على بغداد سنة ١٦٣٨ م .

وذهب إلى بساتين مرام Meram ، وكان رجلا ساديًا [١٤] يبحث عن وسيلة لسفك الدماء .

وعثر على الشعب وعلى الوسيلة . وأعطى جلبى للحاكم بضعة جياد بسبب مجيء السلطان .

وقدم لكل واحد من الوكلاء هدايا قيمة وتأكد خادم الفقراء من صحة هذه الأخبار . ومع كل هذا فقد قويل إحسان مراد الرابع بالإحسان فأعطى جلبى فراء السمور وقطعًا ذهبية ، ثم خصص ضرائب النصارى التى فى تلك الناحية لمقام الشلبية وذلك عوضا عن نفقات تكية المولوية التى كانت تنفق عليها .

ثم انظر ماذا يتعشم أهل قونية المحاويج المساكين ، فما كان منهم إلا أن لاذوا بجلبى واستغاثوا به لأنهم علموا أنه سيلتقى بالسلطان ويبدى له كل تجلة واحترام ، وقال السلطان لجلبى : إن أهل قونية متربون فارفع عن كاهلهم التكاليف الزائدة التى تجاوزت كل حد ، ثم أضاف قائلا : إذا نجحت فى هذا الشأن فلسوف نمنحك بضعة أحمال من العملة الفضية .

كان الرجل محقا تماما ، ولكن لماذا بضعة أحمال من العملة الفضية ؟ فلتترك هذا الأمر جانبا ولما رأى جلبى بعينه إحسان السلطان لم يدر بخلده الخبز الذى تأكله قونية .

أما النصارى والقرويون من أهل صوغلة Sogla وهى إحدى قرى السهوب فإنهم لم يؤدوا العشر الموقوف عليهم ، أو ربما لا يقدرون على أدائه ولم يفوت جلبى هذه الفرصة ، فكان يأخذ من هذه القرية كل عام حملا من العملة الفضية ، ثم يلتمس من السلطان المساعدة وكان السلطان يقبل رجاءه ويمنحه أمرا سلطانيا فى يده ، وهكذا بلغ جلبى ما كان يصبو إليه وثأر لنفسه ، ولما أحيط السلطان علما بالمال الذى يأخذه جلبى من صوغلة ثم يضمه إلى المال الذى يدخره ، أمر مراد الرابع من فوره بتفتيش داره .

وفى الحق أن المال الذى أخذه قد وجد فى أكياس مختومة . وعندما أمر السلطان مراد الرابع بشنق جلبى أنقذ من الموت بفضل شفاعة شيخ الإسلام الشاعر يحيى (ت ١٠٥٤ هـ = ١٦٤٤ م) . ثم نفى إلى إستانبول وعين قره حصارلى عارف جلبى المنسوب إلى مولانا من جهة الأم شيخا على مقام الشلبية .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل إن الذين لا يحبون أبا بكر جلبى كانوا يقولون إن أمواله المصادرة قد تجاوزت حدها .

أما مراد الرابع فقد استدعى زوجته شيرزاد خاتون ، فمثلت فى حضرته ثم سألها : أيتها المرأة : لقد بقيت الفراء التى أعطاها صاحب السعادة خونكان إبان حملته على روان ، وأضاف قائلاً : لقد أصدرنا أمرا بمنح هذه الفراء .

قدم أبو بكر جلبى إلى إستانبول وحل ضيفا فى قصر الوزير بإيرام باشا حيث عاش البقية الباقية من عمره ، ثم وافته المنية قبيل وفاة بإيرام باشا بسبعة وعشرين عاما ، أى فى ربيع الأول سنة ١٠٤٨ هـ = ١٦٣٨ م ودفن فى التكية المولوية الكائنة فى ينى قابى ، أما الأشياء التى نقلها ثاقب دده فلم تكن بحاجة قط إلى التفوه بحكاية أبى بكر جلبى . وفى ذلك الإبان كان ندم السلطان مراد وأسف أسفا شديداً لرغبته

فى إرسال أبى بكر جلبى مرة ثانية إلى المقام [١٥] الشلبية ، بيد أن جلبى لم يقبل هذا ، وآثر الانزواء فى عزلته بمكان ضيق فى حجرة فى غياهب الظلمات ، وكانت وفاة قاضى زاده ، ثم أعقبها وفاة أبى بكر جلبى سنة ١٦٤٢ م ، أما عارف جلبى الذى انتقل إلى مقام الشلبية مُكرها إبان حياة أبى بكر جلبى ، فقد مكث فى هذا المقام ثلاثة أشهر ثم قضى نحبه فى نفس السنة ، كل هذه الأشياء وغيرها كانت تلفيقا وتزييفا ، ولم تكن سوى حفرة لسقوط الشيخ الذى لم يسقط من قبل (١٦٤٢ م) وقد ورد فى سلاسل النسب المولوية أن أبا أبكر جلبى توفى سنة ١٠٥٢ هـ - ١٦٤٢ م ، وعلى كل حال فقد بينا آنفا أن روح أبى بكر جلبى قد تخلصت من التهلكة بفضل شفاعة كل من بايرام باشا وياليه أفندى ، ثم غادر قونية بعد ذلك ، وحل ضيفافى نزل بايرام باشا تنفيذا لوصيته ، وتوفى أبو بكر فى هذا النزل ، ودفن بمقبرة دوغانى أحمد دده (ت ١٦٣٠ م) الكائنة بتكية المولوية فى [١٦] « ينى قابى » .

تبوأ كوجوك عارف جلبى المعروف باسم عارف الثالث مقام الخلافة الشلبية ، وحل محل أبى بكر جلبى ، ومكث فيها أربع سنين . وإذا كان ثاقب دده قد أدرج بين ثنايا كتابه رسالة بالعربية من ثلاث صحائف ، فإن أسلوبها ولا ريب هو أسلوب دده نفسه . ونحن لانعتقد أن تكون هذه الرسالة تخص عارف جلبى من قريب أو بعيد ، فصدق أو لا تصدق [١٧] .

انتقل مقام الشلبية بعد عارف جلبى إلى حسين جلبى بن حسن جلبى بن فرخ جلبى وتصادف عصر حسين جلبى عصر كل من إبراهيم ومحمد الرابع .

ويكتب ثاقب دده فيقول : لقد أصبح النفاق سنة متبعة بين الشلبيين إبان عصرحسين جلبى ، حتى أنه جدت طائفة كانت تريد إقصاءه عن مقام الشلبية ، ثم يضطلعون بصنع رجل آخر يسمى « درويش جلبى » وأرسلوا درويش جلبى هذا إلى إستانبول ليرفع شكايته ومظلمته بيد أن غايتهم ذهبت سدى وخاب سعيهم . ومكث درويش جلبى مدة فى إستانبول ، ثم عين بعد حين شيخا على التكية المولوية فى غلطة calata ، وفى نهاية الأمر اشترك فى الحملة على قامانيجه Kamanice إبان عصر السلطان محمد الرابع ، ثم أدركته المنية فى موضع يسمى جاجى أوغلوا بازار صيغى

(جـ ١، ص ١٧٥) . أما حديقة الجوامع فتبين أن مشيخة درويش جلبى كانت قبيل عام ١٠٧٤ هـ = ١٦٦٤ ، ثم عزل عن هذه المشيخة فى هذا التاريخ ، وأعيدت المشيخة إليه ثانية فى عام ١٦٧١ م ، واشترك فى الحملة على قامانيجه ١٦٧٢م (١٠٨٢ = ١٠٨٣ هـ) ، وتلقوا الحقيقة : إنه مات فى حاجى أوغلو بازار جيفى ، بيد أن عطائى يذكر أنه لم ينصب فى المشيخة مرة ثانية (جـ ٢ ، صـ ٤٣ ، ٤٤) وإذا صدقنا ثاقب دده وعولنا على ما أورده ، فدعنا إذن نتحدث عن جنون إبراهيم .

فقد قيل إنهم استدعوا حسين جلبى إلى إستانبول فى حضرة السلطان ليكبر على قلنسوته ، ولكن عندما دخل جلبى إلى حضرة السلطان أمر بالتكبير على قلنسوة الأمير محمد ، ففسر جلبى هذا على أنه انتقال للسلطنة إلى محمد (ص ١٧٦) .

ويروى ثاقب دده : أن حسين جلبى اشترك بنفسه فى التمرد على أباظة حسن باشا (ت ١٦٥٨ م = ١٠٦٨ هـ) . وتحدث معه فى هذا الأمر ، وأمن دخول أباظة إلى قونية وكان حسين جلبى هذا من قراء المثنوى بعد مقتل أباظة ، ثم قدم إلى إستانبول فى معية درويش آخر وألبس أباظة القلنسوة ومد له يد العون والمساعدة ، وأمعن فى الظلم والتعسف فإذا ظهر أنهما يكذبان فى دراسة هذا الأمر فإنهما سيخنقان بحبل واحد .

ويذكر فرائض جينزاده محمد سعيد فى كتابه « روضة المعارف » أن إسماعيل باشا استدعى ثمانية من دراويش المولوية إلى حضرته فى قونية ، وأمرهم بتطهير البقية الباقية من سلالة أباظة ، ثم أحضروا المثنوى ، وشرع أحدهما فى قراءته وانشغل الآخر بعزف الناى وانشغل اثنان آخران بالسماع ، أما الأربعة الذين خُلفوا فإنهم اتخذوا شكل ومظهر المولوية حين لم يتسن لهم فعل شىء وأدركوا أنهم سيقتلون ، ويستشف من هذه الرواية أنها على قدر قليل من الصواب رغم رفض ثاب دده لها (١٨) .

كان عصر عبد الحليم جلبى الذى حل محله حسين جلبى قد صادف عصر الحظ الميمون للصدر الأعظم « وانى محمد » . كما كان الفقهاء موجودين فى ذلك الإبان واستصدروا فتوى من شيخ الإسلام آنذاك بهانى أفندى (ت ١٦٥٤ م) بتحريم

الرقص فى تلك الحقبة من الزمان ، كما بيتوا النية كذلك على شن غارات على تكاياهم وتكليف الدراويش بحسن الإيمان ، بيد أنهم أخفقوا فى خطتهم .

ثم اجتمعوا فى مسجد الفاتح إبان الأيام الأولى من حكم الصدر الأعظم كوبريلى محمد باشا (ت ١٦٦١ م) وشرعوا فى الجلبة والصخب عاقدين على تحطيم التكايا وتقويض أركانها ، ثم رفعوا عقيرتهم بالصياح قائلين لتأتين أمة محمد من فورها غدا بمعدات الحرب والقتال .

بيد أن كوبريلى أمر بقتل أولئك العصاة المتمردين بعد مشاورته العلماء ، ونفى كلا من أسطوانى ، وتورك أحمد ، وديوانه مصطفى إلى قبرص ، وهدأت الثورة المشتعلة الأوار [١٩] .

كان ظهور محمد وانى فرصة لبروز الفقهاء من جديد ، وكان الصدر الأعظم كوبريلى زاده فاضل أحمد باشا (ت ١٦٧٦ م = ٩٨٧ هـ) شديد الافتتان بوانى محمد .

ولكن محمد الرابع أطبق على خناق ذلك التعصب الدينى المزيف ، وفى عام ١٦٦٦ مر ذات يوم على منزل وانى وهو متنكر فى زى خفى[٢٠] وكان هذا أمارة تدل على أن نجم هذا الشيخ فى سبيله إلى البريق واللمعان ، وغدا هذا أمرا واقعا ، وبعد قليل فاز « وانى » بنصيب مشيخة خنكار ، وذهب إلى القصر مرتين فى الأسبوع ، ومُنح حق الوعظ والإرشاد وتعليم الدروس[٢١] ، ثم كانت هزيمة موقعتى سنكوتار وختن ، وانتصار جان سوبيسكى Jansobyski ، ولم يأت فى عقبهم المفسدون ، أما المتمردون فى الداخل فإنهم لم يتناسوا الجدل الصوفى والطالب الدينى الذى كان يدور حول العرش ، وكذلك النزاع الذى كان ناشبا فى الأناضول ، ولم يكتف هؤلاء بهذا ، إذ ما لبث سيد عبد الله أوغلو محمد أن أعلن عن موالاته وتحزبه للطريقة المهدية بمنطقة بجوار الموصل فى سنة (١٠٧٦= ١٠٧٧ هـ) .

وقبض عليه بعد حرب شعواء ، وجيء به إلى إستانبول ، ولكنه سرعان ما أنكر المهدية ، وعفى عنه لأنه من سلالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم وانضم إلى خدمة حجرة الكنوز [٢٢] .

وفى نفس العام أعلن يهودى من إزمير يدعى سباتاى سوى sebetaysevi النصرانية فى مدينة القدس وكتب أوراقا يعلم فيها اليهود أجمعين ، وكان يصدر رسالته بقوله : إن المسيح هو ابن الله وهو أول مخلوق منقذ ومخلص إسرائيل ثم بدأت الطوائف اليهودية المحلية فى كل من سلانيك وإزمير فى شن حملة ضد سباتاى هذا ، أما علماء الشريعة فدبروا له مكيدة لإيذائه والإيقاع به .

حيث قبضوا عليه وجاءوا به إلى إستانبول ، وحبس فى روملى حصار ، واعتنق الإسلام فى المجلس الشرعى الإسلامى ، وأدى فريضة الحج وسمى بالشيخ محمد ، بيد أن طائفة من الناس كانوا يعتبرونه دجالا. ولهذا السبب فإنه كان يعتقد فى مهدية مهدى الأكراد(٢٣) . استمر حكم طاتون TaTun فى إستانبول إبان تلك الحقبة من الزمان ، حيث كانوا يجرفون المنازل ويدمرونها . كان طاتونت يقدم فى وعظه نماذج براقة ومعلومات سوقية عابثة متبذلة ، ويشرح أسباب المرض واحدة تلو الأخرى ، كان الناس يؤمونه فى مدينة باب اسكى ويقبلون حجره وترابه ويقدمون له النذور والقرابين ، ويحطمون مقبرة قنبر بابا بإرشاد وتوجيه من وانى (٢٤) .

أصبح السعد الميمون لوانى بمثابة سلسلة متتالية من المصائب والملمات بالنسبة لأرباب الطرق ، فقد مُنع الرقص والسماع فى هذه السنة ، وكان سماع المولوية يثير حنق وغيظ المتعصبين الدينيين ، ودون الدراويش تاريخ سنة ١٠٧٧ هـ على أنه عام « المنع السيئ » . ولكن التعصب كان سيجد وسيلة للمصائب والملمات الداخلية والخارجية ، ففى عام ١٦٧ م = ١٠٨١ هـ هدمت حانات الخمر بأمر من السلطان ، وألغيت الخمر ، وفى سنة ١٦٧٧ م انشعبت من الخلوتية شعبة الطريقة المصرية ، وكانت تزعم بنبوة الإمامين الحسن والحسين رضى الله عنهما . وقد حمل نيازى المصرى (ت ١٦٩٤ م) على كل من وانى وفاضل أحمد باشا .

وشن عليهما هجوما عنيفا ، ثم نفى على أثر ذلك إلى ليمنى Limni (٢٥) . وفى عام ١٦٩٧ م كان هناك قره باش عالى (ت ١٦٨٦ م) صاحب الطريقة الشابانية المتشعبة عن الخلوتية .

وتم نفيه إلى ليمنى llmni[٢٦] وفى عام ١٦٨٠ م قبض على رجل يهودى له علاقة جنسية مع امرأة يهودية ورغم أن الجريمة لم تثبت بشهادة الشهود كما تقضى الشريعة إلا أن كليهما قد دفنا فى هوة محفورة فى قاع عمود على شكل ثعبان موجود فى ميدان السلطان أحمد ، ثم قتلا رجما بالحجارة وشهد عذابهما طائفة من الخلائق بمن فيهم[٢٧] السلطان .

وفى سنة ١٦٨٥ م اجترأ شخص من الطريقة الخلوتية يدعى أن بازارى عثمان فضلى (ت ١٦٩٠ م) فى حضرة السلطان ، ثم أخذ يشرح أحوال العالمين بإسهاب وتفصيل ، بيد أنه يذيع ما يقول وهو فى حالة من التشتت والارتباك ، ولكنه ما لبث أن نفى من فوره إلى مدينة شُمنو وهى مسقط رأسه ثم بدأ وانى ينهض رويدا ليكون ضد ذلك الحديث ، ويدين الوزراء وينحى باللائمة عليهم حتى أن ظهيره الكبير كوبريلى زاده قد استأصلت شأفته وقُضى عليه قضاء مبرما . كان وانى فى ذلك الإبان واعظا للجيش أثناء حصار مدينة فيينا حاضرة النسما فى سنة ١٦٨٣ م ، ثم ما لبث أن فقد اعتباره وأقل نجمه بعد الهزيمة النكراء التى منى بها .

ونفى إلى كستلة إحدى قرى بورصة ، وكانت له فيها مزرعة ومات بها فى سنة ١٦٨٥ م[٢٨] . ويقول ثاقب دده : إن ما يقرب من ألف مولوى قد تم قتلهم عند خروجهم للسياحة وذلك بسبب منع السماع وتحريمه (السفينة : جـ١ ، ص ١٨٠) .

حل حليم جلبى الذى تخلص فى أشعاره بمخلص حليم محل عبد الحليم جلبى، وأطلق عليه قره بستان جلبى لأنه كان شديد سواد البشرة ، وكان قد أجيز له السماع قبيل عام واحد من وفاة وانى (١٦٨٤ م) . للمزيد من المعلومات بشأن بشير أغا ، انظر : عبد الباقى جلبنارلى : الملامية والملامية : نشريات : معهد التركيات – جامعة إستانبول سنة ١٩٣١ ، ص ١٥٨ – ١٦٠ .

وقد دونت هذه الواقعة المقدسة فى التاريخ باسم نغمة ١٠٩٥ هـ[٢٩] .

كان بستان جلبى مشغولاً بأعمال وقف التكية قبيل انشغاله بمقام الشلبية ، وفى عصره كان هناك إمام من قونية بلقب خشاف ، وكان فى صدارة الذين اشتكوا من

عدم دفع ضريبة منطقة جلبى ، وكان قد كتب التماسات وعرائض شكوى إلى إستانبول ضد بستان جلبى ، بيد أنه لم يستطع الاستحواذ على شيء ألبُتة وفى تلك الآونة ظهر واحد من الذين لهم شكوى ضد الإمام .

ووجد القاضى الإمام فى حالة نشوة وسكر بيِن مع أحد الرجال بأحد البساتين ، ثم شنق بأمر الشرع (السفينة جـ ١ ، ص ١٨٣ - ١٨٤) .

وقد تنازع قاضى قونية ويدعى لهومى عالى مع بستان جلبى ، وكانت هناك حديقة فى حوزة أحد الطهاة الكائنة فى التكية خارج مسجد السليمية ، وكانت هذه الحديقة موضعا للقيل والقال ، وقال متعهد الوقد بعدم وقف هذه الحديقة ، ومن ثم ظل جلبى مضطرا إلى دفع المال الذى يخص مدة تملك هذه الحديقة ، ولكنه أحس من إستانبول بالواقعة فتغير الأمر وتبدل ، وفر لهومى من قونية هاربا واضطر إلى البقاء فيها ، أما متعهد الوقد فقد أخر الأموال المأخوذة (ص ١٨٨ - ١٨٩) .

أمر أحمد الثانى بنفى وإبعاد قره بستان جلبى ليقطع دابر الشكايات التى جاءت فى عقبه ، وقد جعله هذا الأمر يكتب على طريقة من يرغب فى الذهاب إلى الحج فى هذا العام وقد حج الناس بناء على أمر بن مولانا الذى استدعى الإنسان إلى حقائق الكعبة ومن صورة الكعبة .

فى تلك الآونة امتدت الأيدى إلى أوقاف التكية ، ورفعت الحصة المقدسة الممنوحة للشلبيين ثم منحت للعلماء والقائمين على التدريس فى مدرسة سلطان ولد وقره طاى ، ثم عاد جلبى من الحج ونفى بعد حين مطرودا إلى قبرص لحضور تنصيب والى قره مان .

وإذا كان جلال جلبى عم قره بستان جلبى قد حل محله إبان وجوده فى المنفى ، فإنه قد عزل من منصبه بعد ثمانية عشر يوما بسبب عجزه ، وحل محله صدر الدين جلبى بن بستان جلبى (السفينة ص ١٨٩ - ١٩٢) .

مكث بستان جلبى فى قبرص أربعين يوما ، ثم عاد إلى مقامه ثانية بعد أن عفى عنه واستقبل باستعراض عسكرى مهيب ، وكان ثاقب دده بين المستقبلين (ص ١٩٢) .

وقع زلزال في السنوات الأخيرة من عصر بستان جلبي وأحدث خرابا شديدا في منطقة يشيل قبه وعندما هم جلبي بإصلاح وتعمير هذه المنطقة من ماله الخاص ، وعرض الأمر على القصر قائلا له إنه أثر من آثار السلاطين ، ثم أمر السلطان مصطفى الثاني بتعميره وإصلاح ما تهدم منه .

كان الصدر الأعظم آميجه زاده حسن باشا (ت ١٦٩٨ م) قد لبس القلنسوة مع أبيه حسن آغا وذلك من الشيخ يني قابي والشيخ قارىء أحمد دده (ت ١٦٧٩ م) وطلب إلى السلطان راجيا منه أن يكون ظهيرا لهذا الشيخ وفي عونه ومساعدته . وكانت المساعدة ثمانية عشر كيسا من الدراهم ، ثم أرسل ثلاثة أكياس أخرى إلى الدراويش لتنفق في سبيل خرقة التصوف ، وكان قره بستان جلبي يقول : إذا كان هؤلاء يبذلون الخدمة بالمال فنحن نبذلها بالبدن ، ونضطلع بها في وجوه الإحسان والإصلاح والتعمير ، وعند الاضطلاع بتشييد القبة دون ثاقب دده هذا المصراع في سنة ١٦٩٨ م حيث يقول فيه :

« كورن كامل ده أولشن نوح قباب الطف مينا (ص ١٩٤ - ١٩٥) .

والمعنى : انظر ، فقد اكتمل بناء قباب نوح مطلية بالمينا .

حل صدر الدين جلبي محل أبيه قره بستان جلبي للمرة الثانية ، ثم ما لبث النزاع أن احتدم واشتد حول هذا المنصب . ويفيد ثاقب دده أن مالطه جي محمد باشا (ت ١٧١١ م = ١١٢٣ هـ) كان منتسبا إلى صدر الدين جلبي ، وإذا أمعنا النظر في كلام ثاقب دده وجدنا أنه يكبر على قلنسوة الأمراء الذين يندرجون في سلك المولوية ، وأهملت هذه العادة إبان عصر السلطان أحمد الثالث ، ثم أرسلت بعد ذلك قلانس حريرية من أجل التكبير ، وكان جلبي يقول : يتوجب أن تكون القلنسوة من اللباد .

وبناء عليه دعي إلى إستانبول ، بيد أن المرض داهمه إبان قدومه إلى آق شهر ، ثم انكفأ راجعا حيث قضى نحبه في قونية (ص ١٩٧ ، ١٩٥) . حل جامي محمد عارف الرابع محل صدر الدين جلبي ، ثم تبوأ منصب الشلبية من بعده أبو بكر الثاني ،

وتنتهي السفينة هاهنا . وتعلم أبو بكر نظم الشعر من أسرار وتخلص في أشعاره بمخلص « غريبي » ، ونرى في تذكرته غزليات ثلاثًا ، ويدون هذا الأثر أن له ولدين اثنين ، مات كلاهما في حياته ، وللشيخ غالب دده تشطير مخمس وهي إحدى غزليات أبي بكر جلبي (الديوان - مصر - مطبعة بولاق سنة ١٢٥٢ هـ ، ص ٩١) .

وقد اضطلع الشيخ غالب بتسجيل تاريخ وفاة كل من أبي بكر جلبي وولده عارف جلبي (جامع التواريخ : ص ١٣٣ - ١٣٤) . وعندما كتب تذكرة الأسرار كان يوجد في مقام الشلبية كل من : إسماعيل جلبي أوغلو وحاجي محمد أمين جلبي . ولا يوجد من الآن فصاعدا مصدر واحد يمكن الاحتفاء به حتى ولو كان ذا ماء آسن . ومن ثم فلم تبق وسيلة أخرى سوى الاعتماد والتعويل على ما نراه بأعيننا ونحسه بأنفسنا مما هو موجود في الدوريات وسجلات الأرشيف .

وهاهي ذي وثيقة موجودة بين أيدينا تتصل بتعيين حاجي محمد جلبي ، تقول فحواها : « لما كانت سلسلة الشلبية قد انقرضت ، وكان جلبي أفندي يسكن قونية في يوم الأحد الموافق للثالث عشر من شهر رجب الشريف لسنة ١١٩٩ هـ ، وكان هناك قارىء مثنوي في قونية ينحدر نسله من سلالة أهل البيت ، ويوجد كذلك قره مان شيخي أفندي وإسماعيل جلبي أوغلو شيخ الحاج محمد أفندي ، وهؤلاء ينحدر نسلهم جميعا من ناحية الذكور ، فضلا عن وجود ثلاثين أو أربعين رجلا ، قدم كل واحد منهم إلى إستانبول بدعوة من المشيخة ، ووجد كذلك الصدر الأعظم في حجرة العرض ليضطلع بأعمال المرافقة ، وروملي قاضي عسكر عارف ملا ، وقاضي إستانبول مكي أفندي ، ودعي ثلاثتهم ، ودعي كذلك الخصوم ومنهم مثنوي خوان أفندي وفي معيته قره مان شيخي ، وحضرالمرافعة ، وخاطب الصدر الأعظم شاهين علي باشا (ت ١٨٧٩ م) مثنوي خوان قائلا له : أنت مالك للمال الكثير ، وذو طبيعة تميل إلى التكفف وسؤال الناس بغية جمع المال ، أنت لم تكن كذلك ، ثم خاطب شيخ قره مان قائلا : أنت من زمرة الطلبة ، وأنت ممن لا يطيعون أولي الأمر ، فمن هؤلاء الواقفون في الخلف ، أكان مثنوي خوان أوقره شيخي ، فكلاهما من الذكور ، وشهادتها تدل على أن اسماعيل جلبي أوغلو هو بعينه الشيخ الحاج محمد أفندي ،

وقال له أنت مستحق لهذا ، ثم ألبسه الفرجية (القباء) ، ثم ولى وجهه شطر الشلبية ، وخرج من بين الحاضرين طائفة المؤيدين لمثنوى خوان فى حجرة الديوان كانوا بالأمس شيوخا لوالده ، وأصبح مثنوى خوان فى اليوم التالى من المتفوهين بأشياء سخيفة مضحكة منافية للعقل ، ثم نفى إلى مغاسية فى معية أعونه »[٣٠] ويتبين من هذا أنه عندما يخلو مقام الشلبية فإن طلابه الساعين إليه ليسوا ثلاثة أو خمسة أشخاص فحسب ، بل كانوا ثلاثين أو أربعين شخصا ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه الجاذبية تأتى من الوقف ، ولاسيما الوقف الغنى .

ويقابل هذا أيضا سائر المصارف الأخرى المخصصة للإعمار والتى تأتى بدورها من حصص المواريث ووظيفة التدريس وقراءة المثنوى . وثمة أعمال أخرى منفصلة مثل إشعال القنديل والكنس والتنظيف والتى تضطلع بها طائفة من الشلبية يمارسونها براحة تامة دون غضاضة منهم .

وهناك كذلك الأمراء وأصحاب الوجاهة والأعيان الذين يصدرون الأوامر ويقضون أوقاتهم فى التسلية ، ولا يفكرون فى شيء سوى الراحة ، ويقولون : سيدى الرائح وسيدى الغادى !

مكث محمد جلبى فى مقام الشلبية ثلاثين عاما ، صادفت السنوات التسع الأخيرة منها عصر سليم الثالث ، وقام فى هذه الحقبة بحملات حازت قصب السبق .

وكان صاحب مقدرة مبدعة خلاقة تتسم بالحس والشعور ، ومحمدجلبى هذا هو حفيد مولانا وكان يريد تحطيم أغلال القوالب الجامدة التى تفيد النشوة الصوفية والعشق المنبعث من حبة الفؤاد ، وأراد كذلك القضاء على العقلية العقدية الجازمة المتمثلة فى منذنته المدرسة ولهذا كان محمد جلبى مثالا للتخلف والتقهقر الرهيب فى عصر سليمان الثالث ، وكان لا يتورع عن إهانة هذه التهمة التى لصقوها به .

وها هو ذا شيخ غالب دده ممثل المقدرة الفنية للشعر المولوى وأدب الديوان فى إستانبول يثنى على السلطان سليم الثالث فى بيت من الشعر يقول فيه :

مـــــجـــــــددا أولـديغـي سلـيكم ديـن وديـنايـه

نمايدندر بونو بوشـيــــده سندن قــبــر مــلايه

والمعنى :

هو السلطان سليم مـــــجــــدد الدنيـــا والـدين

وهذا ظـاهر بـجـــلاء مـن نوع غـطاء قـــبـــر الملا

وكان محمد جلبى هو ممثل المولوية فى قونية إبان مناصرته وتأييده لهذا النظام الجديد ،

حيث كان مناهضا ومعارضا لهذا النظام القديم بصفة كلية(٣١) .

هذا وتبين لنا الوثائق المحفوظة فى المديرية العامة لأرشيف مجلس الوزراء بإستانبول أن محمد جلبى كان له نشاط قوى مؤثر مناهض للنظام الجديد .

وتحمل أولى هذه الوثائق تاريخ ذى الحجة لسنة ١٢١٨ هـ - (١٨٠٤ م) ، وورد فى الخطاب المكتوب بصفة مباشرة إلى محمد جلبى أن ثمة طائفة من بعض الأرزيلين بدأوا فى التحرك ضد أمر السطان ، ثم كتب جلبى رسالة إلى عبد الرحمن باشا أمير قره مان بغية تأديب هذه الشرذمة وإخضاعها للنظام والطاعة .

وعليه فقد وافق على ذهابه إلى قره حصار أو إلى قونية حتى لا يكون فى المدينة إبان هذا النزاع والشجار المحتدم ، وكتب له رسالة فى هذا الصدد ، ودهش لعدم ذهابه ، ومن ثم فقد أوصى بذهابه إلى إحدى المدينتين اللتين سلف ذكرهما كى يظل بمنأى عن ذلك التمرد الذى عُزى إليه ويكون كذلك بعيدا عن أمر السلطان (رقم ٣٤ - dolap - صندوق ٣٤) أما الوثيقة الثانية فأرسلت إلى عبد الرحمن باشا (ت ١٨١٨ هـ) فى الثامن من شهر ذى الحجة وتذكر هذه الوثيقة أن جلبى المفتى كان فى مقدمة هذا العصيان وأرسل طائفة من الجند كما كلف جبار زاده سليمان بك بتقديم العون والمساعدة للمتمردين (رقم ١٥ - صندوق ٤٩) .

والوثيقة الثالثة مكتوبة إلى عبد الرحمن باشا وإلى قره مان ، وتخص التمرد الذى وقع ضد النظام الجديد ، وكان عبد الرحمن باشا ضد ما كتب لجنود قونية فى نفس الخطاب الذى كتب فى ٢٩ ذى الحجة من نفس السنة .

ثم نفرت فرقة وتأهبت للقتال ، وكان لجلبى تدخل كبير فى هذه الحملة ، ومكث عبد الرحمن باشا فى قرية قواق Kavak على مسافة ساعتين من قونية ، ويفهم هذا أنه أراد نفى وإبعاد محمد جلبى من قونية وإصدار الأمر بتأديب النبلاء ووجهاء القوم ، وورد فى الخطاب المكتوب ردا على هذا وفيه يقول : « إن جلبى أفندى هو مسبب الثورة ولذا يتوجب دفع المشار إليه عن قونية أولا بأولا ، وأن يكتب إليه خطاب بخصوص الذهاب إلى قره حصار أو كوتاهية دون أن يصيبه أذى لكونه من السلالة الظاهرة لمولانا ، وأرسل كذلك أمرا إلى المفتى من شيخ الإسلام ، وبناء عليه كان من المناسب دخوله إلى قونية دون حرب أو قتال وذكر أن تحركه سيكون صعبا إذا تعذر عليه هذا .

وثمة وثيقة أخرى تحمل تاريخ ٩ ذى العقدة ، ورد فيها أن بعض الأشخاص قدموا فى معية صاحب الطريقة دده قاصدين إستانبول حاملين بعض الشكاوى ، بيد أن هؤلاء قد استأصل شأفتهم وتم نفيهم وجُمع جندهم . ونفهم من هذه الوثيقة التى وردت فى نفس التاريخ أن جلبى أرسل شكايا مع هؤلاء الرجال ، كما أرسل الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا (ت ١٨١٨ م) رسالة إلى جلبى بشأن ذهابه إما إلى قره حصار وإما إلى كوتاهية وعدم الزج بنفسه فى هذه الشكاية ، وتوجد وثيقة أخرى مكتوبة فى ذى القعدة وتتصل بهذه المسألة عينها .

وندرك من وثيقة محررة بتاريخ الخامس عشر من ذى الحجة أن أهل قونية لم يأخذوا عبد الرحمن باشا إلى المدينة ، كما أرسل الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا رسالة إلى جبار زاده فى هذا الخصوص (رقم ر : ٨١ ، صندوق ٤٩) .

وثمة وثيقة أخرى تحمل تاريخ ٢٥ ذى العقدة ورد فيها تذكرة مكتوبة إلى أغا قصر السلطان يتصل بتوظيف جبازاده فى قونية واضطلاعه بأمرها (رقم ٥ صندوق ٤٩)

وهناك كذلك وثيقتان أخريان تحملان تواريخ ٢٠ ، ٢٩ رمضان ، وتدوران حول نفس التمرد والعصيان (رقم ١٠٦ ، صندوق ٤٩ ، ورقم ١٩٨ صندوق ٤٩) . ولا نغفل فى هذا المقام ذكر وثيقة أخيرة محررة بتاريخ ٢٤ شوال ١٢١٨ هـ (١٨٠٤م) تخاطب المفتى بواسطة خادمه « آله داغ آيان » ونستشف منها كذلك الأمر المرسل بشأن مساعدة النبلاء ووجهاء القوم (رقم ١٥٨ - صندوق ١٥٨) .

وقد استمر هذا العصيان مدة عام كامل[٣٢] .

ولكن ما هو السبب الذى دفع محمد جلبى إلى ارتكاب مثل هذه الأفعال؟ يتوجب علينا حينئذ البحث فى وثيقتين اثنتين حتى يتسنى لنا الإجابة عن هذا السؤال :

نعلم من الأمر الصادر فى ٦ ربيع الآخر سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠٨ م) أن محمد جلبى كان يريد أن يأخذ من عام إلى آخر خمسمائة وعشرين قرشا من قريتى سيلله وطات sille - TaT اللتين أقيمتا فوق الأراضى الموقوفة على مسجد السلطانين سليم وعلاء الدين ، معتمدا فى ذلك على قوة نفوذه وتأثيره فى الشلبية ، كما كتب بوضوح وجلاء أن يعين أهل هاتين القريتين خداما لهذين المسجدين ، إذ ليس فى حوزتهم ممتلكات أو أراض يمكن أن تؤدى الضرائب المفروضة ، وهناك شروط بين وقف تكية مولانا فقط تنص على أن يقدم هؤلاء ما مقداره خمسين عربة حطب إلى مطبخ التكية من عام إلى عام . وقد ذكر السلطان أنه لا يحق لشلبى طلب شىء آخر من هؤلاء بعد تقديم العربات الخمسين ، هذا وقد أمر جلبى والى قره مان بمنع تدخله الذى كان سببا فى تخريب القرى بأسرها[٣٣] .

وفضلا عن هذا فقد تحرك جلبى وكأنه أمير إقطاعى يتبوأ منصبه بالقوة ، فاستحوذ على قرية صوغله Sogla .

وقد كتبنا آنفا أن المال المغتصب من هذ القرية كان سببا فى تمهيد السبيل إلى العاقبة الوخيمة التى حاقت بأبى بكر جلبى الأول . كما أن هذا المال المسلوب من هذه

القرية قد أحدث بعض وجوه من السلوكيات والتصرفات . وثمة مقالة محفوظة فى أرشيف مجلس الوزراء بتاريخ ١٠٧٦ هـ = ١٦٦٦ م . نقول فحواها : إن أراضى هذه القرية قد أصبحت « خاصا » [٢٤] أى ملكا خاصا ، كما أن السلطان مراد الرابع أمر بمنح التكية كل عام مائة وخمسين ألف آقجة مخصصة لإطعامها ، ونعلم كذلك أن عبد الحليم جلبى أخذ هذا المال فى السنة الأولى التى تبوأ فيها مقام الشلبية من أمين صوغلة وصاحب إقطاعها عثمان آغا (ورد فى تذكرة سنة ١٠٢٨ - ١٠٧٦ هـ = ١٦٧٣ م أن حساب المائة وخمسين ألف آقجة المأخوذة كل عام كانت تلقى الرعاية من قبل محاسبة الحرمين .

بيد أن بعض المال الذى كان يجتبى كل عام كان يبقى فى يد كل من جلبى وأجيجى باشى ولهذا السبب كان هذا يبين وجود عذر لدى الدراويش ، وعليه فقد كان متعهد الوقف « صالح » يأخذ هذا المال حيث يصرف فى موضعه ، ويؤمر بألا يختلط بشىء آخر سواه (١١٢١٠٨٥) .

ويفهم بوضوح وجلاء أن جلبى كان يريد التحرك بحسب ما يزيد ويشتهى وكان لايحجم أو يتردد فى تشكيل جبهة ضد النظم التى تمنعه أو تحول دون تحقيق مأربه ، ومن المحتمل أن مبادرات السلطان سليم الثالث كان مؤقتة غير ذات أصل متين ، ومن ثم كانت اللهفة على المنفعة هى السبب المباشر لإيثار الفوضى وعدم النظام ولكن سليم الثالث لم يصنع شيئا ألبتة لجلبى ، بل تركه فى مقام الشلبية .

هذا ورغم هذا القدر من التحفظ والتردد فى كبح جماح وتأثير ونفوذ جلبى فإنه كان يوجد قدر آخر من ضعف الروح الإصلاحية التى كانت تهدئ الأعصاب وتسكين ثورتها بأنغام الموسيقى الشرقية العميقة لمولانا الموجود لدى السلطان سليم الثالث وخاصة فيما بينه وبين الشيخ غالب دده ويتجلى هذا الضعف كذلك فى أنه كان أهم الأسباب فى بقاء المبادرة عقبة غير ذات جدوى . وفى أخريات عصر محمد جلبى منح الخلافة لولده محمد سعيد همدم الذى كان فى التاسعة من عمره ، ومن ثم فإنه حل محل أبيه فى هذا المنصب ، ولكى يكتسب هذا التعيين الصفة الرسمية فقد بعث برسائل إلى كل من حالت أفندى والشيخ البكتاشى يوسف أفندى (ت ١٨١٧ م)

والشيخ قازانجي درويش أحمد ، وقد ورد في الخطاب المرسل إلى يوسف دده أن عطفه ورعايته في هذا الصدد يشبهان عطف أمه ورعايتها إياه ، وقد اضطلع كل من يوسف دده وقازانجي درويش أحمد كلاهما بزيارة حالت أفندى بغية توفيقه ونجاحه في هذا العمل ، كما أن حالت أفندى كان يرجو تأكيد رضاهما عن كيفية هذا التعيين وذلك عن طريق الاتفاق مع شيوخ تكايا المولوية .

ولا جرم أن محمد جلبى قد وافته المنية بعد فترة وجيزة من تاريخ هذا الخطاب (١٨١٥م = ١٢٠ هـ) ، ثم قدم سعيد همدم جلبى إلى إستانبول في معية تسعة من الشلبية ومكث هو نفسه في تكية المولوية البكتاشية ، وحلت زمرة أخرى من الشلبية في نزل ضيافة « حالت أفندى » ، كما حلت طائفة أخرى ضيوفا في تكية المولوية في غلطة ولم يكن هناك قادمون آخرون بناء على ما ورد بتذكرة شيخ الإسلام وتقرير الصدر الأعظم للسلطان محمود الثاني ، وتقرر منح ما مقداره ألف وخمسمائة قرش كل عام من مقاطعة قونية وتوزيعها على كل الشلبية المنتسبين إلى مولانا والمنحدرين من نسل بابا وتنظيم براءة منفصلة إلى كل واحد منهم ، وعدم أخذ الخراج من شيوخ المولوية الموجودين في إستانبول كما تقرر منح عطية مقدارها ألف قرش إلى سعيد جلبى ، وعطية أخرى مقدارها ثلاثة ألف قرش إلى الشلبية الآخرين الذين قدموا إلى إستانبول ، ويؤخذ هذا المال من الدفتردار ويتم إرسالها إلى شيخ البكتاشية يوسف أفندى بغية توزيعها .

وقد استدعى سعيد جلبى قبل حين إلى الباب العالى لإلباسه فراء سمور لتأكيد ذهابه إلى قونية ، وصدر أمر سلطاني بهذا الخصوص ، وقد ورد في هذه العريضة التى كتبت إلى السلطان وينص فيها على تعيين ألف وثلاثمائة وخمسين قرشا كل عام من مال المقاطعة وتمنح إلى أولئك المنتسبين إلى سلالة مولانا من جهة الأب ويكون منح هذا المال إلى سائر الشلبية أو يستفسر عن الرأى بشأن تقسيم هذا المال على الأشخاص التسعة الذين قدموا إلى إستانبول (خطاب محمد جلبى إلى يوسف دده ، الأمر السلطاني للسطان وأراضى الصدر الأعظم : أرشيف مجلس الوزراء رقم ٤١٧٦٨) .

ولى سعيد همدم جلبى وجهه شطر مقام الشلبية يوم الجمعة فى السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر لسنة ١٢٣٠ هـ = ١٨١٥ م وقابل الصدر الأعظم فى اليوم التاسع والعشرين من السنة نفسها ، ثم ألبس فراء سمور ، كما ألبس طريقتجى حسن دده المسمى فروخ جلبى فراء سنجاب ، وكان فروخ جلبى يرعى شئون الطريقة وأمور التكية ، وعين مديرا لهما [٣٥] . كما أرسلت فراء سنجاب إلى الشلبية الآخرين ، ومنحت ألف قرش أخرى إلى همدم جلبى وثلاثمائة قرش إلى الشلبية الآخرين وتم تخصيص ألف قرش مقتطعة من مال قونية الحكومى لتقسيمها على أولئك المنتسبين إلى سلالة مولانا من جهة الأب كل عام وتكون بمثابة مال عمامة[٣٦] .

مكث همدم جلبى مدة شهر فى إستانبول ، ثم انتقل بعد ذلك إلى اسكو دار .

وحل ضيفا على زاوية فيها ، ثم توجه منها ممتطيا صهوة جواد حتى بلغ مدينة آيريلق جشمه ، ثم مر فى طريقة بكل شيوخ ودراويش المولوية أجمعين ، وقبلوا يده ، ثم جعل يتضرع ويلهج بالدعاء واستأذن جلبى أولئك المتخلفين الذين مربهم ، ثم أرسل إلى قونية ممتطيا الهودج[٣٧] .

نيـــجــه أقطـاب نيـــجـــه عـــارف بـالله كـلور

دركـــاه بيـــره ولـى بن كـى همـــدم كلمـــز

والمعنى :

جـــاء كـــثـــيـــر مـن الأقطاب والـعـــارفين بالـله

ولكن لم يأت رفيق الطريق إلى صومعة الشيخ مثلى

هذا وقد أرسل تسعة دراويش إلى استانبول للانضمام إلى الجب الروسية (١٨٦٥ - ١٨٦٦ م) ثم عين الشيخ بورصه لى صالح دده وكيلاله ، وأعد لهذه الحركة ، وثمة واحد وعشرون شخصا مولويا كانوا فى معية القادمين من قره حصار وبورصة ، وقد صاروا موظفين فى معية نور الله باشا (ت ١٨٤١) . وهو ابن خليل

حامد باشا (ت ١٧٨٥ م) كما حلوا ضيوفًا على نزل ضيافة عارف بك شقيق نور الله باشا(٢) .

كان السلطان سليم الثالث مولويا ، وحدث أن تدخل محمد جلبى فى حركة تمرد وعصيان ضد النظام الجديد ، ورغم أن جلبى كان الرأس المدبرة لهذا العصيان فإن السلطان سليم الثالث لم يقف ضد المولوية حتى أنه لم يعط الفرصة لمعاملة محمد جلبى معاملة سيئة . فقد قضى على الإنكشارية قضاء مبرما سنة ١٨٦٢ م .

وتوجب إلغاء البكتشاية الذين كانوا ضالعين فى حركة التنكيل التى بلغت أوجها والتى تعقبتها الحكومة إثر التمرد والعصيان الأخير لفرقة الانكشارية والوقوف ضدهم ، ومن ثم فإنهم أعدوا لعاقبتهم الوخيمة من جراء مساعدتهم للانشكارية وكان البكتشاية فى مملكة عثمان أوغلو مثل المولوية سواء بسواء . وسرعان ما ظهرت البكتشاية طريقة صوفية ذات تأثير ونفوذ فى نفوس الشعب وخاصة عندما قبلت الحكومة الطربوش ثم بدأت بعد ذلك تولى أهمية للمولوية على وجه الخصوص وذلك عن طريق الاضطلاع بتعمير وإصلاح كل ما هو قديم ، وتشييد التكايا والمساجد والأسبلة وتعمير أضرحة وقبور الصحابة المكشوفة بغية إثبات وتأكيد عقيدتهم الدينية(٣٩) .

وقد استفاد همدم جلبى فائدة جمة من سياسة الحكومة . كان السلطان عبد المجيد كأبيه يحب المولوية حبا جما ، ولهذا السبب فإنه لم يخالف جلبى أو يجادله فى كل قول يقوله ، وقد طلب جلبى إلى الصدر الأعظم فى الخطاب الذى أرسله إليه سنة ١٨٥٦ م أن يمنح لقب رئاسة المقاطعة إلى كل من صهريه راسخ وحسين أفندى ، وقد نفذ طلبه فى الحال .

ثم قدم جلبى إلى إستانبول فى نفس السنة وزار الخرقة الشريفة ونال القيود والرضا من السلطان ، وحل ضيفا فى مصيفه وتلطف به مفيد بك فرفع من شأن رتبته وزاد فى راتبه (إيرادات الداخلية رقم ٢٥٢٠٨) . وفى سنة ١٨٥٨ م عين عثمان أفندى شيخ ينى قاربى والذى يحبه كثيرا وكيلا فى مكانه عند زيارته قونية ،

وأرسل رسالة إلى الصدر الأعظم عالى باشا لتكون دليلا على رجائه والتماسه لإذن ومساعدة السلطان .

ولكن لماذا كانت توجد ضرورة حتمية لإذن السلطان ومساعدته ؟ يجيب عن هذا التساؤل وثيقة موجودة فى الأرشيف : فلقد منح عطية سلطانية نفيسة قيمتها خمسة وعشرون ألف قرش من أجل هذه الرحلة وزيارة عثمان أفندى (١٨ ذى الحجة سنة ١٢٧٤ هـ - إيرادات الداخلية رقم ٢٦٨٦٣) .

وفى نفس العام دفعت بأمر من السلطان نفقات إنشاء منزل جلى الموجود فى قونية وذلك من قبل نظارة المالية (إيرادات الداخلية رقم ٢٦٧٩٣) .

كان لمحمد سعيد همدم جلبى خلافة عظيمة جليلة لا سبيل إلى نسيانها ، ولم تكن هذه الخدمة من أجل المولوية فحسب ، بل جعلها فضلا منه ومعروفا من أجل عالم العلم والأدب برمته ، كان همدم جلبى حتى ذلك الحين موجودا تحت تصرف وتدبير الشلبية ، ومما لا مرية فيه أنه أوقف كثيرا من الأموال من أجل تسجيل وتدوين كثير من الكتب المعرضة للتلف والضياع وبهذه الطريقة أسست مكتبة داخل التكية . ومن يدرى أن تكون هذه المكتبة قد دارت بخلد الشلبيين أول الأمر ، ولسوف يكونون أصحاب كتب نفيسة قيمة (٤٠) .

ولما وافت المنية همدم جلبى توجه ولده محمود صدر الدين ليتولى مقام الشلبية فى ٩ رمضان سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٩ م (دوسيه أوراق المتحق ، رقم ٦٤٢ ، دوسيه ١٥ ، الأرشيف العام لرئاسة مجلس الوزراء) . وتوفى صدر الدين جلبى فى سنة ١٨٨١ م .

وكان الشلبية كلهم موظفين شيوخا فى التكية ، وفى تلك الآونة قدم أخوه الكبير إلى قونية ببرقية من شيخ الإسلام لتعيين مانيسه شيخى إبراهيم فخر الدين جلبى ، وعين فخر الدين فى مقام الشلبية فى نفس العام .

بيد أنه مكث فى هذا المنصب فترة وجيزة ، وبعد موته ولت الشلبية وجهها شطر أخيه مصطفى صفوت جلبى (برقية شكر مرسلة إلى رئيس قلم الكتاب ، ١٢ شوال

سنة ١٢٩٩ هـ - أوراق يلديز ، تذكرة صادرة بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٠٠ هـ يلديز أوراقى) .

ثم مات صفوت جلبى فى سنة ١٨٧٧ م وحل محله أحد أبناء همدم جلبى ويدعى عبد الواحد جلبى ، ويصادف عصره عصر السلطان عبد الحميد الثانى ، وكان عبد الواحد جلبى صاحب معتقدات علوية مفرطة وقد ذاعت شهرته بسبب كرمه وجوده ونقاء قلبه فكان كل صاحب حاجة يلجأ إليه ويلوذ به ، ولم يرجع أى شخص قط من بابه خاوى الوفاض ، وكان يسمى « أبو الفقراء » .

أحبه الناس حبا جما ووقروه حق التوقير والتبجيل ، كان يطوف كل شهر على المحاويج والمعوزين الذين يعرفهم فى خفية واستتار ويقدم لهم العون والمساعدة ، ويترك مقدارا معينا من المال لكل واحد منهم ، وقالوا عند موته لقد خلّف من بعده مائة بيت جائع فى قونية . حل عبد الحليم جلبى محل أبيه عبد الواحد جلبى ، ومكث فى مقام الشلبية قرابة ثلاثة أعوام بيد أنه مهد السبيل لطرق التزوير والتدليس فى الحياة الخالصة ، وتم عزله سنة ١٩٠٩ م وعين بدلاً منه محمد بهاء الدين ولد جلبى بن نجيب جلبى[٤١] .

أسست فرقة عسكرية شجاعة من المولوية إبان عصر ولد جلبى الذى صادف نشوب الحرب العالمية الأولى[٤٢] . وكانت تحت إمرة وقيادة ولد جلبى[٤٣] . وقد توجهت طائفة من هذه الفرقة للاشتراك فى عمليات القتال ومكثت بالشام . وثمة طائفة من شيوخ المولوية اشتدت عليها وطأة المرض فقضت نحبها ، وولدت زمرة أخرى من شيوخ المولوية وجهها شطر مكة والمدينة لزيارة الأماكن المقدسة ، وتمخض عن هذه الحملة إعلان ما يسمى الجهاد الأكبر بغية إثارة وتهييج الشعور الدينى عند جماعة الاتحاديين ، بيد أنها لم تسفر عن أى نتيجة قط سوى خسارة الإنسان وإصابته بالضر والأذى ، وبعد موت محمد رشاد والهزيمة التى حدثت فى الحرب العالمية الأولى ، تم عزل ولد جلبى رجل الاتحاديين بسبب تخلى حكومة الاتحاد والترقى عن الحكم ، ثم عين عبد الحليم جلبى مكانه للمرة الثانية ، واستمرت مسألة هذا التعيين طويلا .

اضطلع ابن رسوخي بيقره بن سميّ الشيخ المرحوم عبد الباقي بمديد العون والمساعدة إلى لتيسير وتهوين المهمة التى أنا بصددها إبان تدبيج هذا الكتاب ما استطاع إلى ذلك سبيلا إذ تيسر له آنذاك أن أمدني بمسودة خطاب من صحيفتين اثنتين كتبه بالقلم الرصاص عبد الحليم جلبي .

وهأنذا أكتب الخطاب ها هنا بفصه ونصه : « أعرض في هذا المقام أنني وارث مستحق بالإرث لمقام المولوية أبا عن جد منذ ما ينيف على ستمائة سنة . وكنت شريكا في مساعي تأسيس الدستور في تركيا برفقة الأتراك الشبان وذلك منذ واقعة ٣١ مارس وقد ظللت صادقا وفيا لعهد وميثاق دستور السلطان السابق عبد الحميد الثاني ، مبينا أن نقض هذا الميثاق كان من قبل جمعية الاتحاد والترقي، وقالوا إنه لا يجوز بقاء السلطان في سدة الحكم بعد نقض هذا العهد .

وعندما كنت في مقام السلطنة بقونية قالوا بعدم جواز بقاء السلطان في مقام الحكم بناء على نقض العهد عن طريق حركة قائد الجيش ورئاسة مجلس الأعيان والمبعوثين ، وقد أهدى سيف إلى هؤلاء من حضرة جناب سلطان ولد ثم بعثوا برقية لنزع هذا الحق المشار إليه عن طريق القوة وقدمت فتوى إلى حال المشار إليه ووجدت رغبة في عرض هذا الطلب وقد تملك هؤلاء مقام السلطة المشار إليها آنفا »(٤٤) .

وبعد تحرير رسالة حضرة المشار إليه جلبي السلطان محمد الخامس على سرير العرش وتمنطق بالسيف من قبل طرفي العزيز ، وإذا كانت الأمة بأسرها قد تنفست نفسًا عميقًا فإن هذا الوضع لم يدم كثيراً ، وكانت جمعية الاتحاد والترقي غير ذات حنكة أو تجربة في إدارة زمام الدولة ، وكانت الأمة والوطن في يد القهر والبطش وآلت الأمور والأحوال على ما شاهدتموه بأعينكم . وقد خمنا آنفا ما ستئول إليه الحال ، وقد اطلعت فيما بعد على البرامج التى تهدف إلى محو وإزالة العناصر المسيحية والقضاء على سياستها ، وكأنني عدت من فورى لأكون ضد هذه الجمعية الظالمة بفك الارتباط معها ، وحضرت طائفة من العروض للمرحوم صاحب الذات السلطانية (محمد رشاد) في شأن هؤلاء القوم الظالمين وقد اتخذ قرار بإعدام طائفة كبيرة منهم ، بيد أن خدمتي كانت موجهة إلى أبناء جنسي البشرى .

ولما لم أكن موافقًا لسياستهم المجنونة ومنافعهم الذاتية فإنهم حاكوا ضدى الافتراءات وقدموها للذات السلطانية محمد رشاد ، ومن ثم فقد عزل الشيوخ من مقامهم فى حالة غير مسبوقة من قبل ولا مثيل لها فى حكم شرعى أو قانونى ، ولم تكن ثمة علاقة له قط من أى نوع تتصل بموقعى ويفهم من هذا أنهم قد عينوا بعد ذلك ولد جلبى المنتسب إلى تلك الجماعة .

لم يكن فى جمعية الاتحاديين أشخاص عارفون بالقانون أو مطلعون على التاريخ السياسى للدولة والأعراف والعادات والتقاليد ، ولما كانت هذه الجماعة شرذمة شريرة تائهة فإنها تستحيي كل من يوافقها ويجاريها ،

وتمحو من يخالفها أويعارضها ويقف فى سبيلها مهما كان شأنه ، أما أنا فكنت من الصوفية غير ذوى الغلظة والفظاظة ، وفررت بعيداً عن اعتبارات العادات والتقاليد ، وكان ولد جلبى متفقًا مع الاتحاديين فى الفكر .

ولم يكن منضبطًا فى سلوكه وعجز عن إدراك ما سيكون عليه مستقبل الحقيقة وعصر الحق الذى لا زيف فيه . ومن ثم فإنهم عجلوا بتعيين المشار إليه على هذه الشاكلة . فلقد جهزوا لولد جلبى فرقة عسكرية بغية اشتراكنا فى هذه الحرب المجنونة ، ثم أُمر بالذهاب إلى فلسطين والشام من أجل فتح مصر ، وسميت فرقته « لواء المولوية المتطوعين » ، ولما وجد ولد جلبى فى هؤلاء إخوة صادقين مخلصين أعد الفرقة ونفذ ما عُهد إليه من أوامر ، وتوجه صوب الشام وفلسطين ، أما جمال باشا الذى ولى هاربًا فقد اشترك فى هذه المظالم .

كانت طريقتنا العلية المولوية هى أس الأساس إذا امتشقت السيوف ، بيد أنها لم تشترك في حرب من أجل قتل رجل واحد ، بل كانت على خلاف ذلك إذا اضطلعت بتقديم خدمة جليلة إلى عالم الإنسانية على اختلاف أجناسها ومذاهبها ، وقدمت بذلك خدمة علمية وإنسانية ، أما ولد أفندى فهو رجل لم ينشأ من الطريقة ولم يتسن له فى أى وقت من الأوقات أن يعرف أساس طريقتنا ، فهو رجل ذو نشأة تبحث عن قضية الصحافة والرقابة على المطبوعات ليس إلا ، وإن المولوية لم تكن حتى الوقت الراهن

قد اشتركت فى حرب من الحروب قط ، وقد أعدت فرقتنا دون تمحيص وتدقيق نظر ومن ثم فإن أساس أحكام طريقتنا قد انقلب رأسا على عقب فى نظر الكائنات كلها .

وهكذا كانت أركان حكومة الاتحاديين التى لم تستطع الهروب قد أخذت فى استجواب واحتجاز الجالسين على العرش ، ولكنها لم تستجوب المشار إليه حيث كان يعيش بروح الاستبداد مناصراً الحكومة مشايعا لها ، وهذا دليل قاطع يؤكد أنه لن تكون هناك حكومة قانونية فى أى وقت من الأوقات . لقد كان أساس طريقة كل أجدادى وأسلافى من الصوفية والدراويش هو الاضطلاع بخدمة قضايا الإنسانية برمتها ورعايتها حق الرعاية ، وأخذوا العناصر المسيحية فى كنف العرش ورعايته ، وأنقذوهم جميعاً من مظالم كثيرة ، ولم ينحرف جدى ومريدوه عن جادة هذا الطريق ؛ وكنا نصدق فى وضوح وجلاء سائر عناصر النصارى الموجودين فى عصرنا .

أريد أن أعرف سبب عزلى من قبل الحكومة الاتحادية الحاضرة دون سبب شرعى أو قانونى ، فلقد لاذ أهل قونية واستعانوا بالحكومة بغية استعادة مقامى ، وأصدرت الحكومة قرارا فى هذا الصدد وعرضته على الذات السلطانية وحدثت طائفة من المشاكل حيث أمر السلطان بأن يكون تعيين جلبى عن طريق الانتخاب ، وهذا أمر غير مسبوق ، ونفذت الإرادة السلطانية ، ولم يمنع حصولى على الأغلبية من إعادتى ، والآن فلتكن الانتخابات من قبل شيوخ المولوية على العموم ، وكأننا قد تُركنا فى مواجهة تكليف مغاير كلية لأحكام طريقتنا ، وابتليت أنا بهذا الظلم المهين ، وإذا كنت قد حققت الحصول على الأكثرية بمنح الكريم ، فإن السلطان المشار إليه سيصدر تكليفًا جديداً ، ولسوف يتفضل بإعادة حقى الصريح باسم الحق والإنسانية ونتوسل فى هذا السبيل إلى أهل العدل فى الدولة المعظمة للدفاع عن الحق فى الدنيا على وجه العموم ، وأطلب حقى من الحكومة العثمانية والموافقة على توسلى المكتوم ، وأتضرع متوسلاً راجيًا من الذات النبيلة الأصيلة » .

وقد كتب هذا الخطاب مخاطبًا القيادة التى احتلتها إنجلترا ، وفهم هذا من أول قراءة له . فهل قدم على أنه مسودة جميلة مموهة ؟ لا قبل لنا بمعرفة هذا . ثم انتشرت بعد ذلك صور أمر بتعيين عبد الحليم جلبى محل ولد جلبى وعزل الأخير من

منصب الشلبية ، وقد ورد هذا فى صحيفة الوقائع تحت رقم ٣٥٦٥ الصادرة بتاريخ ٤ رمضان ١٣٣٧ هـ = الموافق لسنة ١٩١٩ م . أما تاريخ الأمر فيرجع إلى يوم سابق على النشر ومن المحتمل أن يكون ثمة تأثير لهذا الخطاب بغية الالتجاء إلى مقام الشلبية .

مكث عبد الحليم جلبى فى هذا التعيين الثانى مدة عام واحد بمقام الشلبية ، ثم عين فى هذا المقام سنة ١٩٢٠ م ، ولما مات عامل جلبى جلس عبد الحليم جلبى للمرة الثالثة فى مقام مولانا ثم عزل مرة ثانية سنة ١٩٢٥ م وعين ولد جلبى مكانه للمرة الثانية ، وأغلقت التكايا إبان عصره . انتخب عبد الحليم جلبى وولد جلبى كلاهما فى عضوية البرلمان التركى ، ولا سيما ولد جلبى الذى استمر مدة طويلة فى عضوية البرلمان عن مدينتى يوزجات وقسطمونى .

وبعد إعلان الجمهورية فى سنة ١٣٤١ هـ شاعت تكهنات وإرهاصات على حدود الجمهورية بأسرها توحى بإلغاء الطرق الصوفية برمتها وهى : المشيخة والدروشة والمريدون والشلبية والبابية والأميرية والنقيبية والمشعوذون والعرافون والكهانة وغيرها . وصدرت عناوين الصحف تدعو إلى إغلاق هذه المؤسسات جميعها وعدم الوفاء بكسوة وخدمة تلك الزوايا والتكايا ، وإغلاق الأضرحة ويعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر أولئك الذين يرتدون الثياب التى تخص تلك الطرق ويلحق بهم من يفتحون الأضرحة والتكايا وكذلك من يضطلعون بأعراف ونواميس الطريقة ، ومن يهتمون بأمور التكايا وما يتصل بها من مراسم وأعراف ونواميس ، فإن لم يسجن ، فإنه يتعرض لدفع غرامة مالية لا تقل عن خمسين ليرة أما الشيخ الذى لديه تدبير مالى خاص فيعد وقفا على سبيل التملك ، وأما من يبقى له حق التملك والتصرف من أصحاب الزوايا والتكايا التى أسست بطرائق أخرى فإنها تغلق بصفة كلية ، وقد عرضت لائحة قانون إلى مجلس الأمة تتحدث عن المساجد المستخدمة ، وقد تم قبول هذه اللائحة واكتسبت الصفة الرسمية . ويكون هذا القانون سارى المفعول من تاريخ نشره بهذه الصورة، وقد نشر وأعلن فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤ م (رقم القانون ٢٤٣ ، رقم القيد ٦٧٧ – مطبعة الدولة بأنقرة سنة ١٩٤٤ م ، جـ ٧ ، ص ١١٣) .

وبعد وفاة عبد الحليم جلبى اضطلع ولده محمد باقير جلبى بتأسيس مقام الشلبية فى مدينة حلب وحالفه التوفيق والنجاح فى ربط تكايا المولوية الكائنة خارج حدود تركيا بهذا المقام ، بيد أن نشاط هذا المقام كان يعمل لصالح تركيا بسبب قضية « خطاى » الواقعة على الحدود بين سورية وتركيا ، ومن ثم وصفته الحكومة السورية بالتجسس وعاد إلى تركيا سنة ١٩٣٧ ولم يؤذن بالعودة إلى سورية ، ووكل أخاه شمس الواحد جلبى عند حتى وفاته ، ولما أدركت المنية محمد باقير جلبى فى سنة ١٩٤٣ م لم يوجد واحد جلبى فى مقام الشلبية ، ثم تشكلت الحكومة السورية بعد حكومة الانتداب الفرنسية واتخذت بعد ذلك قرارات بشأن التكايا والزوايا وهكذا انتقل مقام الشلبية مع المولوية سويًا إلى ذمة التاريخ ولسوف نشرح فيما يأتى هذا الموقف الأخير .

الهوامش

(١) هدمت ظلة هذا المسيل المحبوب في عصر أحد المديرين السابقين ، ويدعى محمد يوسف أق ، وظل أعلاه مفتوحا ، أما الحوض فكان منغمسا في التراب والقانورات وهذا هو تاريخ المسيل .

سلطان سليم بن بايزيدا ولدورره ديندة صاعد

(٢) رحلة أوليا جلبي - مطبعة إقدام ١٣١٤ ، جـ ٣ ، ص ٢١ - ٢٦ .

(٣) ورد في الشقائق أن ثمة شخصاً يدعى « خرم » وينحدر نسله من سلالة جمال الدين أق سراى (١٣٨٧ - ١٣٨٨ م) ، وتوفى خرم هذا سنة ١٤٦٤ - ١٤٦٥ م ، وكان مدرساً في مدرسة بصوفيا ، وهو أحد عبيد صوفي محمد باشا ، وتولى وظيفة التدريس والقضاء ، وتوفي بالشام في نفس التاريخ (ج ١ ، ص ٣٧ - ٣٨) . ومن المحقق الثابت أن كلا الشخصين ليسا قاضي خرم جلبي الذي ينحدر نسله من سلالة مولانا .

(٤) يوجد في الوقت الراهن هذا النقش على سائر الأبواب :

شه سلطان مراد خان بن سليم خان ∴ بابوب بو ختقاهي أوردى بيناد

أولار مولويلر بونده ساكن ∴ أوقويه هرسحر وورد اوله ارشا

كوروى ديل بو بنابى ددى تاريخ ∴ بيوت جنت أسا اولدى آباد

والمعنى : هو السلطان مراد بن سليم خان ∴ شيد بنيان هذه التكية وأقام عمدها

والمولوية في هذه التكية ساكنون ∴ فأرشدنا لقراءة الورد في كل سحر

قال التاريخ إ ، الفؤاد رى هذا البناء ∴ وهو معمور يشبه بيوت الجنات

(٥) هم طائفة من الأولياء الصالحين والمتصوفة الزاهدين ، يوجدون في كل عصر ، يتصلون بالله ، ويتحدثون مع بعضهم البعض بدون كلام (المترجم) .

(٦) انظر : عطائي : ذيل الشقائق : جـ ٢ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ ، وارجع كذلك إلى ما ورد في شأن ترجمان شيخى عمر المتوفى في شعبان ١٠٣٣ هـ - ١٦٢٤ م) وذلك في نفس الجزء والكتاب . ص ٥٧٩

(٧) هو ضرب من السراويل ، ويعرف في التركية باسم Caskir (المترجم) .

(٨) اسم حيوان ذى فراء جميل ، ويسمى في التركية Samur (المترجم) .

(٩) اقتبس كل ما كتبناه من تاريخ نعيما المطبوع في المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٢ هـ (روضات الحسين في خلاصة أخبار الخافقين) حـ٥ ، ص ٥٩ ، جـ ٦ ، ص ٢٢٧ - ٢٤١

(١٠) تاريخ يغما : جـ ٣ ، ص ٣٢٣

(١١) المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٨

(١٢) المصدر السابق : جـ ٣ ، ص ٤ – ٩

(١٣) نعيما : جـ ٣ ، ص ٤ – ٩

(١٤) السادى : المبتلى بالسادية : وهو انحراف جنسي يتلذذ فيه المرء بإنزال صنوف العذاب بمحبوبة أو هو الابتهاج بالقسوة (المترجم) .

(١٥) نعيما : جـ ٣ ، ص ٣٣٨ – ٣٤٠

(١٦) المصدر السابق : ص ٣٤٠

(١٧) السفينة . جـ ١ ، ص ١٧١ – ١٧٣

(١٨) روضة المعارف : مطبعة تقاويم الوقائع سنة ١٢٥ هـ – جـ ٢ ، ص ٨٨٤

(١٩) نعيما جـ ٥ : ص ٥٤ – ٥٩ – جـ ٦ ، ص ٢٢٧ – ٢٤١

(٢٠) راشد : ١٢٨٢ هـ – المطبعة العامرة جـ ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥

(٢١) نفس الكتاب ص : ١٦١

(٢٢) ترجمة هامر جـ ١١ ، ص ١٥٥ – ١٦٨

(٢٣) نفس الكتاب ص ١٧٢ – ١٧٣ ، راشد جـ ١ ، ص ١٣٩ – ٤٢٠ .

(٢٤) راشد : جـ ١ ، ص : ٢٥٠ .

(٢٥) راشد: جـ١ ، ص ٣٢٩ : كانت الأفكار الرئيسية لنيازى المصرى شديدة التأثر ببدر الدين ومحيى الدين بن عربي ، ويدرك هذا تماما من الكتاب الذى دبجه بالعربية والمسمى (موائد العرفان) وهى النسخة الأصلية التى أملاها خليفته الشيخ على المسمى قواله شيخ مصطفى ، ويوجد هذا الكتاب تحت رقم ٣٣٧ ضمن كتب خدايي بمكتبة سليم أغافى اسكودار .

(٢٦) هو مدون تحت رقم ٧٤٢ بمكتبة ملت بإستانبول ، واضطلع بتربية شخص يدعى حقى ، ويشرح قرة باش عالى فى هذه الدورية قوله بأن الله موجود فى كل شخص كالبندق ، وهى رسالة مدبجة بالتركية ، ويشكو فيها كذلك من نفيه وإبعاده وعدم قتله ، كما يورد أيضا الادعاء الذى زعمه نيازى المصرى بنبوة الإمامين الحسن والحسين ، ثم سجل فى خاتمة هذه الرسائل أنه قتل بوضع السم له بناء على فتوى من شيخ الإسلام ترياقى فيض الله وكان ذلك فى مدينة ليمنى Limini .

(٢٧) راشد جـ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ .

(٢٨) أهل الطريقة : وهم المولوية مع الحمزية على وجه الخصوص ، ولم يذهبوا إلا إلى موضعين اثنين فى إستانبول هما : قاضى كوى قبزى ، واتى كوى ، وفى سنة ١٦٦٢ كان بشير آغا الليان قد اشتهر بأنه قطب الصوفية ، وذهب فى معية الحمزية إلى قيز ، وقتل فى عمر متأخر وكان قد ناهز التسعين ، وفى اليوم التالى روجع شيخ الإسلام فى شأن أربعين مريدا آخرين كانوا على نفس العقيدة ، ومن ثم خنقوا فى بئر ودفنوا بجواره ، وقد شيد فإنى محمد مقاطعة فانى كوى التى تسمى فانى جانى ، ولم يذهبوا إلى الموضع الأول بسبب اللعنة ، وهم بسيون وينكرون أفعال واتى .

(٢٩) دونت تواريخ كثيرة بشأن الترخيص بالسماع وإجازته مرة ثانية ، ويسجل الشيخ ناجى أحمد دده شيخ يكى قابى هذا التاريخ فى هذا البيت من الشعر :

جوش جانه ملهم غيى ددى تاريخى ∴ مولويلر دوندى حانه عشق مولانا ايله

والمعنى : يقول تاريخه إنه ملهم الغيب وسورة حميا الروح ∴ وبعشق مولانا استرد المولوية الروح

(٣٠) دورية مسجلة تحت رقم ٥٨ فى صحيفة ٣٠ ضمن الكتب المخطوطة بمكتبة الجمعية التاريخية التركية وقد سجلنا هذه الوثيقة بصورتها الآنفه الذكر كما وردت فى الدورية التى تضمنت توضيحا بيانيا للأحداث التى وقعت إبان عصرى عبد الحميد الأول وسليم الثالث ، وقد أخبرنا بهذه الوثيقة مقالة بعث بها اسمماعيل حقى اوزون جارشيلى فله الشكر والامتنان .

(٣١) هذا البيت من ترجيع بند لمحمد جلبى (الديوان ص ٦٣ – ٦٤) وهى السترة أو الكسوة التى كان السلطان سليم يرسلها إلى ضريح مولانا ، وهذا يعنى أن هذا البيت من الأشعار المكتوبة من قبل الشعراء ، وهو مطرز فوق الغطاء الموجود فوق تابوت الضريح وقد اختير هذا البيت المستحسن وطرز فوق الغطاء . أما كسوة وغطاء ضريح مولانا فى الوقت الحاضر فهى غطاء صنعه السلطان عبد الحميد الثانى .

(٣٢) تلطف إسماعيل حقى اوزون جارشيلى بإحاطتنا خبرا بهذه الوثائق ، فله الشكر والعرفان .

(٣٣) انظر : الصورة الفوتوغرافية للأمر السلطانى الذى قدمه السيد رسوخى بيقرة بن سمى المرحوم الشيخ عبد الباقى آخر شيخ للتكية المولوية فى ينى قابى .

(٣٤) هو اسم يطلق على الأراضى التى تخص السلطان .

(٣٥) دورية تخص الشيخ سيد ناصر عبد الباقى دده شيخ التكية المولوية فى ينى قابى ، وتسمى هذه الدورية دورية الدراويش وقد قدم إلىّ وثائق الأرشيف السالفة الذكر رسوخى بيقرة ، فله الشكر الجزيل .

(٣٦) نفس الدورية ٤١ A – ٤٠ B .

(٣٧) نفس الدورية ٤١ B .

(٣٨) نفس الدورية ٦٠ A .

(٣٩) انظر : أس ظفر لصاحبه شيخ الإسلام أسعد أفندى (ت ١٨٤٧ م) بغية التزود بمعلومات بشأن العلاقة بين البكتاشية والانكشارية وكذلك القضاء على هذه الجماعة الأخيرة وإلغاء البكتاشية بكل ضروبها وفعالها.

(٤٠) كتبه الدكتور نافذ أوزلق فى كتابه المسمى ورباعيات أولو عارف جلبى ، لا ريب أن ورثة أبى بكر الثانى كانوا كثيرين عند وفاته ويدون كذلك أن هذا الخطاب لم يكن لشخص جلبى ، بل كان بشأن الكتب التى اشتروها وأرسلوها إلى تكية إستانبول (ص : ٥ – ملاحظة) .

(٤١) يقولون إن معظم المولوية وخاصة الشلبيين منهم كانوا فى المقدمة ، وكانوا من شعبة ولد جلبى ، وهذا يعنى أنهم ينتسبون إلى سلالة مولانا من جهة الأم ، ولهذا السبب فإن ولد جلبى قد طبع على بطاقة كبيرة ما يتضمن شجرة انسب إلى مولانا ، ومن مولانا حتى أبى بكر ، وذلك بغية إثبات أن ولد جلبى هو جلبى من ناحية الأب ، أما إذا صح أنه ينحدر من سلالة مولانا من ناحية الأم فإنه على هذا الاعتبار يعد الشلبى الثانى الذى تبوأ هذا المنصب من فرع إيناس بدءاً من سلطان ولد .

(٤٢) تخطّى الوثائق التى بين أيدينا من يعتقدون أن هذه كتيبة المولوية ، وتوجد وثيقة قدمت للشيخ عبد الباقى أحد شيوخ تكية المولوية فى ينى قابى ، وتحتوى هذه الوثيقة على معلومة فحواها : « هذا عدد فرقة لواء المولوية المجاهدين من مقام مشيخة حضرت مولانا » وقد وقعت هذه الوثيقة بتوقيع ولد جلبى من أعلاها وأدناها ، كما يوجد فى وسطها خاتم مرسوم عليه قمر ونجم وعليه كتابة تقول : « قيادة فرقة المولوية المجاهدين » .

(٤٣) زارت هذه الفرقة فى حفل مهيب قبر فاتح مصر السلطان ياوز سليم وذلك فى ٣١ يناير ١٣٣١ هـ – ١٩١٥ م ، ثم تحركت بعد ذلك من إستانبول وكان المولوية آنذاك تحت قيادة الشيخ عبد الباقى شيخ

التكية المولوية في يني قابي ، وقد تحدث نايزان توفيق في مقطوعة له تتضمن دعابة وحكمة معبرة يصف فيها ذهابهم إلى الشام عن طريق قونية – حلب ، ويقول فيها:

فالله دي بيننده أصحاب طريقين اختلاف ∴ أهل حقي بريرينة طوبلايب بركيتيلر

شيخ باقي رهبرا ولدي يو سفرده هبسينه ∴ بن صوفياني زيات ايجون تاشامه كيتديلر

والمعنى : لم يبق ثمة اختلاف بين أصحاب الطريق ∴ واجتمع أهل الله وتآلفوا ببعضهم البعض

وأصبح الشيخ باقي هو الدليل لهم جميعًا هذه المرة ∴ وذهبوا حتى الشام لزيارة بن الصوفية

(العذاب المقدس : الكتاب الأول : إعداده : إحسان آده : إستانبول – مطبعة الأخوة – ١٩٤٩ م ، ص : ١٧٤) . وكان الإنسان العظيم نايزان موجوداً أثناء تشكيل هذه الفرقة ، كما كان على فؤاد صاحب صحيفة خيال الظل بشرح هذا عندما رأى ولد جلبي يمر في معية دراويش المولوية المسلحين ، وبين دهشته مكرراً كلمة مولانا وسلاح بضع مرات .

(٤٤) إن الرواية الواردة في شأن منح سلطان ولد سيفًا إلى عثمان مؤسس دولة عثمان أوغوللر وتمنطقه إياه هي رواية ملفقة مختلقة برمتها .

القسم الثانى

المولوية

الفصل الأول

الطريقة المولوية

كيف كانت المولوية طريقة ؟ كيف كان الانتساب في عصر مولانا ؟ المولويون المولوية والطرق الأخرى – اقتناعات الطرق الأخرى فى حق المولويين – سلسلة المولوية – شخصية الطريقة المولوية والتقسيم والتوزيع فى هذ الطريقة – اختلاف الرأى الذى نشأ عند كلا المنشأين – الاتحاد الموجود عند أرباب المذهبين : الظرف والرقة – رأى الإنسان والأدب – النزعة العلوية عند المولوية .

كيف كانت المولوية طريقة ؟

انقسم المتصوفة إلى طائفتين كبيرتين كما بينا إبان تفصيل القول عن كيفية نشأة التصوف فى الإسلام وعند جلال الدين الرومى ، وبأى الأسباب والعوامل كانت هذه النشأة ، ثم كانت هنالك عقيدة وحدة الوجود عند كلتا الطائفتين ، هذا ورغم وجود هذه العقيدة المشتركة بينهما فإن الطائفة الأولى تقول بأن أسماء الله الحسنى موجودة فى عدد معين ، ويتوجب ذكرها فى مرحلة الرحلة المعنوية والخلفية بغية الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، وهناك الزهد والنافلة فضلا عن العبادات المفروضة ، وهذا يعنى القيام بالعبادات غير المفروضة مثل الطعام القليل والكلام القليل والنوم القليل والرياضة الروحية عن طريق الانسحاب من الدنيا ونعيمها ، ثم التزام الخلوة أربعين يوما ولمرات كثيرة ، وهذا يعنى أن تكون العبادة منفردة قائمة

برأسها فى حجرة مشيدة من أجل هذا العمل ، ولتكن ضيقة محدودة فى أغلب الأحوال وفى نفس الوقت فإن الصوفى يتخذ من رؤياه وإيحائه وكرامته أساسا ، وتسمي سائر الطرق المعتمدة على هذا الأساس فى حينها « الأسماء » ، ويعنى أولئك الذين يستمسكون بطريق ذكر أسماء الله تعالى .

أما الطائفة الثانية فإنها ترى أن الاستمساك بأشياء مثل الخلوة والرياضة والذكر والتكية وضروب الملابس الخاصة ما هى إلا رياء منفصم عن الشعب ، ويرى أرباب هذه الطائفة أن الوصول إلى الله يكون عن طريق العشق والجذب اللذين ما يلبثان أن يمحوا وجود الإنسان نفسه ووجود الكائنات كذلك . وهكذا يكون الوجود شيئا واحدا مطلقا وهو ذات الحق سبحانه وتعالى ، ويكون الوجود بكل صوره وأشكاله بمثابة مظهر للوجود المطلق ، ولا يتأتى هذا بطريق العلم والمعرفة ، وإنما يتجلى عن طريق الرؤية والفطنة والإدراك والشعور والنضج والكمال ، وعادة ما تكون الموسيقى والرقص كلاهما فرضا على المرتحل الحقيقى بغية حدوث الجذب واهتياج العشق . وكان أهل هذه الطائفة يسمون برجال خراسان أو صوفية خراسان بسبب تمركزهم فى هذه المدينة فى ذلك الإبان ، كما كانوا يسمون كذلك بالملامتية لعدم اهتمامهم بعلاقة الناس وإدانتهم واقترافهم الأفعال التى يلامون عليها وملامتهم وتحقيرهم وازدرائهم لأنفسهم . وقد اتخذ هؤلاء من الأسماء مثالا يحتذى ، ولقبوا بالعراقيين بسبب تمركزهم واستقرارهم فى العراق ، وكانوا لا يترددون فى الاضطلاع بالأفعال التى من أجلها يلومهم الناس ، وكان أرباب الملامة هؤلاء طائفة مساعدة للباطنية وبينما كانوا يمثلون هذه الأيدلوجية فإنهم كذلك تناولوا أهل الفتوة والتى كانت من ناحية الاقتصاد بنية هذه الأيدلوجية الداخلة بين ثنايا الشعب . وهكذا فإن الفتوة موجودة فى عصر الساسانيين بدءا من العصور المبكرة ، كما أنها كانت مؤتلفة ملتئمة مع أرباب الملامة . ثم انبثقت فى الوجود مع مرور الأيام الطريقة القلندرية ، وانشعبت منها الطريقة الحيدرية ثم الطريقة الجامية المنسوبة إلى الشيخ أحمد ناميقى جامى (ت ١١٤١ م) ، ثم الطريقة الأدهمية التى أسست باسم مؤسسها إبراهيم بن أدهم (ت ٧٧ هـ ـ٩ ، ثم الطريقة الكبروية المنتسبة إلى الشيخ نجم الدين كبرى (ت ١٢٤٠ م والذى اضطلع بترتيب عصيان عظيم ضد

الامبراطورية السلجوقية إبان القرن الثالث عشر الميلادى ، وانتسبت هذه الطريقة فى نفس العام إلى بابا اسحق ، ثم أعقبتها الطريقة المعروفة بالبكتاشية والمنتسبة إلى الشيخ بابا بكتاش (ت ض ١٢٧٩ م) وهو خليفة بابا اسحق ، كما ظهرت كذلك زمرة أخرى تسمى صوفية بدر الدين اعتقت عقائد الشيخ بدر الدين (ت ١٤٢١ م) ابن قاضى سيماونه ، وثمة فرق جوهرى فى أساس العقيدة بين الملامتية التى اتخذت طريق الأسماء وبين الطرق التى انبثقت عنها وتأسست من خلالها ، وحدثت جهود ومساع حثيثة بغية الإبقاء عليها مرة ثانية . وبعد مولانا ظهرت طائفة واحدة تسمى المولوية مؤسسة باسم مولانا ، وانبثقت هذه الطائفة من الملامتية ، وكأن صاحب نشأة الملامتية كان بواسطة كل من : سلطان العلماء والد مولانا ، وخليفته سيد برهان الدين محقة ترمزى ثم حدث بعد ذلك انقلاب عظيم بواسطة الشيخ شمس انفصل على أثره ممثل نفس النشأة الثائر صاحب سورة الحميا . لا يعرف للطريقة التى أسسها مولانا سجل مدون قط ، ولم تكن تابعة لطقس أو شعيرة وهذا يعنى أن المولوية قد امتزجت بالرؤية الإنسانية لمولانا ويتصوف فلسفته الإنسانية ولسوف نرى فيما بعد أن هذا كله لم يتأت فى شكل الخلوة والرياضة الروحية وصومعة التعبد فحسب ، بل تأتى فى شكل الخدمة وأداء الواجب المنوط بها [1] .

كيف كان الانتساب إبان عصر مولانا ؟

يفصل أفلاكى القول فى مناسبات متباينة ومواضع مختلفة من كتابه بأن المنتسبين إلى مولانا كانوا يعمدون إلى الحلق (٥٥، ٧٥ ، ٩٩) .

وهم ينفذون هذه الشعيرة عن طريق قطع بضع شعيرات بالمقص من الشعر والشارب واللحية والحواجب ووسط الحاجبين ومما لا ريب فيه أن حلق الشعر والحاجب والشارب واللحى بالموسى قد مر ذكره عند القلندرية ، بيد أن هذه الشعيرة قد انتقلت من نفس المصدر وكذلك إلى البكتاشية عن طريق الطريقة السهروردية ، كم توجد بعد روايات تدور حول إلباس الخرقة ، ولكن هذه الشعيرة موجودة فى واقع

الأمر في سائر الطرق الصوفية على وجه العموم ولانصادف شعيرة أو سقطا غير هذا إبان عصر مولانا.

وإن صنع مولانا لهذه الشعيرة يعود باديء ذي بدء إلى حقبة قدوم شمس تبريزي ، لأن مولانا نفض يده من سائر المراسيم والطقوس بعدم قدوم شمس ، وبعد شمس تعرف بعشاقه ومنهم صلاح الدين ، وبعد موته كذلك على الشيخ حسام الدين ، وبهذه الطريقة فإنه تأكد من اتحاد هؤلاء جميعا .

تحدث أفلاكي عن خليفتين لمولانا هما : الشيخ بدر الدين مادني في مقاطعة « لولوه مادني » ومولانا مجد الدين ولدى جاغه في ديار الروم . ويقوم أفلاكي : إن هذين الشخصين كليهما بمثابة شجرة النسب التي قدمها وكتبها مولانا .

ولقد رأينا في السيرة الذاتية لأولو عارف جلبي أن الشيخ سوهراب المولوي صار شيخا في زاوية المولوية الكائنة بمنطقة سلطانية ، ومن المرجح كذلك أن يكون ثمة أشخاص هم خلفاء لمولانا في العصور المبكرة وهم : الولديون المنتسبون إلى سلطان ولد ، والعارفيون المنتسبون إلى أولو عارف جلبي والعابدون المنتسبون إلى عابد جلبي ، ولما كان مولانا غير مشغول قط بهذه الأشياء بعد رحيل شمس فإنه منح الخلافة إلى هؤلاء الخلفاء الثلاثة قبيل مجيء شمس تبريزي .

المولوية والمولويون والطرق الأخرى :

شرحنا الطريقة التي أعقبت مولانا وجاءت في إثره ، كما أن مولانا جلال الدين لا يعد طريقة صوفية (٢) .

ويرى المولوية أن الطرق الأخرى تختلف اختلافا بينا عن طرقهم وتتمايز عنهم ، ويقول عن الطرق التي تتخذ الأسماء أساسا يحتذى إليها الطرق الصوفية ، وشيوخها شيوخ الصوفية ودراويشها دراويش الصوفية ، وتكاياها تكايا الصوفية .

ومن النادر جداً ذهاب المولوية إلى تكايا الصوفية ، كما يندر كذلك ذهاب شيوخ الصوفية ودراويشهم إلى صوامع وتكايا المولوية ، بيد أن تبوؤ الشيخ المولوى لمنصب صوفى يكون بمناسبة اجتماع يدعى إليه الحضور إنشاد مولد نبوى أو مرثية .

وعندما يذهب المولوية إلى تكايا الصوفية فإنهم يكونون فى غرف سماعهم ، يعنى فى طقوس اللف والدوران ، وفى أماكنهم المشيدة للطقوس والشعائر ، ثم يجلسون بإزاء مقام الشيخ بيد أنهم لا يشتركون فى الذكر . وإذا ما انتصب هؤلاء وقوفا فإن الضيف المولى سرعان ما ينتصب هو الآخر واقفا ، وإذا ما جلسوا يذكرون فإنه يجلس مثلهم . وثمة فرق عن المتفرجين الآخرين فهم لا يكونون فى خارج حجرة السماع ، بل بداخلها . وعندما يبدأ الصوفية فى ذكر اسم الله فإن الضيف المولوى ما يلبث أن ينهض من فوره فلا يتضرع فى المحراب ولا يفتح الذراع شريطة أن يكون فى موضع مناسب ، ويمسك بالصارى (العمود) ، وهذا يعنى أنه لا يمشى وإنما ينشغل بالسماع بناء على وجوده فى هذا المكان . أما المتضرع الجديد ونعنى به المولوى الجديد فإنه ينبه المتضرعين الجدد - وهم المبتدئون فى السماع - ألا يذهبوا إلى تكايا الصوفية حتى لا يفسدوا عليهم سماعهم أو يعكروا عليهم صفوهم . ولكن شيوخ الصوفية يرغبون فى الذهاب إلى تكايا المولوية للشعور بنشوة وسعادة مختلفة فى طقوس المولوية وشعائر سماعهم . وإذا ما ذهب شيوخ الصوفية إلى تكية المولوية فإنهم يدخلون إلى قاعة السماع ثم يجلسون فى الطرف العلوى للدراويش وفى الموضع الذى يلى الشيخ وفى عصر سلطان ولد يعنى قبيل السماع ، كانوا يجلسون فى جهتين متقابلتين فى مقام الشيخ ، ويتضرعون ويدعون وهم ينظرون فى وجوه بعضهم البعض شريطة أن يطوفوا ثلاث مرات حول قاعة السماع ، ثم يشتركون فى هذا الطواف سواء علموا أم لم يعلموا . ولما كانوا لا قبل لهم بممارسة السماع فعندما تبدأ طقوس لف ودوران المولوية الأساسية فإنهم سرعان ما يقفون على أقدامهم منتصبين فى موضع وقوفهم ، ثم يشاهدون السماع ويتفرجون عليه .

أما فى الأزمنة المتأخرة فكانوا يستأذنون قارىء المثنوى بغية تعلم المثنوى وحب المولوية ثم يمنحونه قلنسوة ذات عمامة ضيقة الأطراف على سبيل التبرك ، أما معلم

المثنوى فهو شخص يعرفه بعض شيوخ المولوية ويذهبون إلى تكايا أرباب الملامتية مدثرين أنفسهم بالملابس الصوفية ، ثم يذهبون بملابس سماع المولوية ويتأهبون لممارسة طقوس السماع . وكان سيد عبد القادر بلخى (ت ١٩٢٣م) يُرى فى صورة الشيخ نقشى فى دار المثنوى ، كما كان الشيخ مراد بخارى موجودا كذلك في منطقة أيوب تشانجي وذلك في معية كل من حمزوى ملا قطبى والشيخ رفاعى كُنان (ت ١٩٥١ م) شيخ تكية أمى كُنان ، كم كان يوجد كذلك على وجه اليقين طائفة من المولوية في تكايا سيد عبد القادر بلخى (ت ١٩٢٢ م) ، وتتكون هذه الطائفة فى العادة من ثلاثة إلى خمسة من ذوى الثياب المولوية أو من خمسة إلى عشرة وأحيانا من خمسة عشر إلى عشرين وذلك فى أيام طقوس شعيرة اللف والدوران ولياليها ، ولم يكن ثمة شيء قط سوى ديمومة واستمرار هذا العرف السائد عند المولوية ، وكذلك آراؤهم المناهضة للطرق الصوفية الأخرى ، وكان مولانا نفسه ضد صدر الدين قونيوى ، ت ١٢٧٤ م) ويعتبره من طائفة الأبدال ويرضى بقبوله على أنه من أهل التصوف ، وقد علمنا أنه لا يعد من أهل التصوف فى شيء[٣] ، أما أولو عارف جلبى فهو من أهل التصوف واشتغل بأسماء الله الحسنى ، وقد قلنا آنفا إبان الحديث عن شخصيته أنه يعد من طائفة المتصوفة دون أن يدرى ، وكان المولوية على اقتناع تام بأنهم يتفقون فى الفكر مع أرباب الملامتية ، وكان الملامتية البيرامية الذين يمثلون الملامتية القديمة يسمون الطرق الأخرى (الطرق البرزخية) وهذا يعنى أنهم يعتبرون الطريقة برزخا بين الحقائق المتمثلة فى باطن الدين وخارجه المتمثل فى الشريعة ، وهم يعلمون كذلك أن صوفيتهم ماهى إلا طائفة ظلت شغوفة بالأسماء والخلوة والرياضة الروحية والنبراس[٤] . ولا نملك فى حوزتنا أية وثيقة ترجع إلى العصور المبكرة للمولوية ، وكيف كان المولوية يوضحون طرقهم ؟ نحن لا نعلم هذا على وجه اليقين . ومن المحقق الثابت أنه لا أصل للرسالة العربية التى نسبها ثاقب دده إلى جلال الدين أرجون جلبى ، وهذا ما قلناه آنفا فى ترجمة سيرته الذاتية . وبيد أيدينا رسالتان قديمتان ترجعان إلى الوقت الراهن . إحداهما منظومة والأخرى منثورة ، وكلتا الرسالتين منسوبتان إلى ديوانه محمد جلبى .

وتبدأ الرسالة المنظومة ببيت من الشعر يقول :

ديدى بردرويشه أول برباد شاه

نه در رخرقه وهم باشده كلاه

والمعنى :

قال السلطان لذلك الدرويش

ما هذه الخرقة والقلنسوة التى فى الرأس

ويأتى فى إثر هذا البيت بعد ذلك اثنان وخمسون بيتا ، وقد دبجت هذه الرسالة على شاكلة المثنوى وتنتهى بأبيات منظومة مثل قوله :

أول جمالك نور ونه بروانه يم

كيجه كوندوز يناريم دبوانه يم

والمعنى :

أنا فراشة لنور هذا الجمال

وأنا مجنون أحترق ليل نهار

وكلمة « ديوانه » تنتقل من البيت الأخير إلى البيت الأول ، ونعتقد أن هذا يبين بجلاء أن هذا الشعر يخص محمد جلبى الذى يشرح هذه الأشعار فى تلك الرسالة المنظومة فى طقوس وشعيرة اللف والدوران عند المولوية ، ولسوف نتحدث عن هذه الشعيرة عند تفصيل القول فيها وذلك خلال الرسالة الموجودة فى صوان بمتحف قونية لسنة ١٠٩١ م ورقمها ٤٩ ، أو ما ورد فى الدورية الموجودة بتاريخ ١٠٦٠ هـ ، وكذلك ما ورد فى المنظومة الموجودة فى دوريات المولوية الأخرى .

أما الرسالة الثانية المكونة من ثلاث صحائف فهي مدونة بمتحف قونية برقم ٢١٨٨ ، جـ ٣ وتحمل عنوانايقول « طريقة المعارفين آل سلطان الدين قدس سره المولى » ، ونعتقد أن هذا العنوان خاطيء وصحته على النحو الآتى « طريقة العارفين لسطان ديوانى » ثم يبدأ المؤلف فيقول بعد الحمد والصلاة على النبى صلى الله وعليه وسلم : « أيا طالب العلم اللدنى وجوهر الكلام ! اعلم وكن على ذكر أننى إذا كنت أفضل لك الطريقة فهذا واجب حتمى ، إننى أرغب أن تعرف وجودك وذاتك فى وقت من الأوقات ، ولسوف أبين لك المراد من هذا بأننى برىء من علائق الدنيا وزخرفها وبناء على هذه الطريقة فسيكون هذا سببا فى بلوغ جميع المرادات ولتحصلن على جملة المقاصد والمرامى ، لأننى سأحرر لك هذا التقرير بروحى وحبة فؤادى إنه طريق العشاق وطريقة الشطار لأن أكثر السالكين يذهبون من طريق الوجود المطلق وهكذا فإنهم يبلغون البغية المقصودة بطول الزمان ، ثم يذهب السالك بهذا الطريق من طريق الفناء ، وسرعان ما يصلون إلى بغيتهم فى زمن قصير ، لأن هذا هو طريق خاص الخاص والسبيل إلى طريق النعم » .

ثم يقول « لقد أصبح العاشقون لاصفة لهم ولا لون ، ويذكر أن ثمة شيوخا آخرين يشتغلون بالذكر قبل السالك ، ثم يذهب ليحرق عن طريق الذكر النفايات الكائنة فى الفؤاد ، ثم يتطهر عن طريق الإيحاء والإلهام باسم آخر ، ثم ما يلبث هؤلاء فيستعدون لوضع الزيت والفتيل فى المصباح ، بيد أنهم لا طاقة لهم بالاشتعال ، وبحسب هذا القول فإن طائفة العشاق تكون على وشك الخروج إلى عالم السياحة والترحال فيتفرجون ويشاهدون ، ثم يمسحون القنديل ويضعون الزيت والفتيل وسرعان ما يشتعل ويكون نوره وهاجا » . وبحسب هذه الرسالة فإن السالك يحب أشخاص الموجودين فى الحياة من حبة فؤاده ، ويكون اعتماده على واحد ممن هم موجودون فى الحياة أو من الذين غبروا مع الزمان ، وعلى سبيل المثال فإن محيى الدين عبد القادربايزيد البسطامى قد عقد صلة وثيقة العرى بواحد مثل مولانا جلال الدين ، ثم كتب اسم الله فى ورقة ووضعها فى موضع مرتفع قليلا ، ثم توضأ واكتسب من الحلال ، وارتدى ثيابا نظيفة طاهرة ، وصلى ركعتين وتنفس ، وهذا يعنى أنه ينظر إلى هذا الاسم شريطة الاشتغال بالذكر من قلبه دون أن يتنفس كثيرا .

ثم يداوم على هذا الاسم وينظر إلى الله حتى لا يكون ثمة صاحب اسم غيره ، ثم يبدأ فى ختام الممارسة فى رؤية الاسم فى كل موضع ، وينشأ عن هذا رؤيته وتكوينه . ثم يأتى بعد هؤلاء مثنويان يسميان : كتاب العشق وكتاب الخلق ، ونعتقد أنهما من ناحية الأسلوب ينتسبان إلى شاهدى .

أما كتاب العشق فيتكون من واحد وتسعين بيتًا ، وجاء على وزن : فاعلاتن – مفاعيلن – فاعلن – ونستطيع تلخيص ما ورد فيه على النحو الآتى :

« كان العشق مستورا خفيا ، ثم أبان على حين غفلة عن وجهى ، بيد أنه لم يتسن له أن يجد لذات نفسه شخصا لائقا مناسبا ، فهتك العشق الستور ، ولم يعبأ بالثواب والعقاب ، ثم ما انفك يصطاد الناس الذين هم جماعة التشتيت والتبديد ، ويكون المجنون حينئذ عاقلا ، ثم يغفل أهل الغفلة ، ويكون الكافر مسلما ، ويهب الإيمان للكافر ، ويكون خفيا مستورا عن الأعين ، ووهقا فى لجة الروح ، إن العشق يشبه « ذو الفقار » (سيف على كرم الله وجهه) وهذا مقصد كل نبى وولى ، إنه موسى ، وهو طريق الجنيد والحلاج ، ورفيق طريق بايزيد البسطامى ، وهذا هو عرفان حواء مع آدم .... فالعشق هو الحج الحقيقى ، وهو الزكاة ، وهو نفسه ماء الحياة ، وهو معنى الصوم والصلاة ، وهو المسافر والطريق ، وهو نافذ الحكم والأمر على الملائكة والسلاطين ، إن العشق منسوب إلى ذات الله وهو سرمدى لا نهاية له ، والعشق هو اسم الله دون كيفية ، لا يحيط بالجسم والعرض ، ويكون قائما بالذات وذاته هى صفاته ، إنها ولا جرم ذات الله وصفاته ، ويكون الله دونما احتياج ، وهو واحد لم يلد ولم يولد ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، والعشق هو الأصل والأساس ، وكل ما سواه فرع » .

ثم يُطرى هذا المثنوى مرتحل العشق وأساس طريقه ، ويفيض فى هذا الإطراء ما استطاع ذلك سبيلا ، والروح هى الحاكمة المهيمنة فى المثنوى ، وهى روح مناسبة ومطابقة بحذافيرها للملامتية وطريق الشطار .

وإذا كنا نقول إن رسالة الحلق « تراشنامه » تتكون من واحد وثمانين بيتا من الشعر وجاءت على وزن المثنوى – فاعلاتن – فاعلاتن – فاعلات ، فإنه يتحدث كذلك

عن فرضية الصحبة ووجوب اتباع السنة لمن يلبسون ثياب التصوف ، ويقول فى فحوى ذلك :

« إن الوضوء أربعة فروض : غسل اليدين والوجه والرجلين ومسح الرأس ، إن الصوفى يدير وجهه عن كل شيء ما سوى الله ، وينفض يده عن الطمع واتباع الهوى ، وينبذ عن فكرة الأثرة والأنانية ، فإذا وطئت قدماه طريق الله فسيكون حينئذ قد توضأ الوضوء الحقيقى وساعتئذ يكون وجه الشيخ فى المحراب » .

ثم يتحدث بعد ذلك عن لباس التصوف ، وفى النهاية يسهب فى شرح أركان الحلق بهذه الكلمات : « الحلق على أربع ضربات : أولها اللحية ، يعقبها الشارب ، يتلوها الرأس ، ثم يأتى فى إثرها الحاجب ، ولكل واحد منهم معنى : فحلق اللحية معناه التخلى عن حب الدنيا وحلق الشارب معناه هجر الأثرة والأنانية ، وحلق الحاجب معناه إخراج كل الأحبة من الفؤاد ما سوى الحق سبحانه وتعالى ، أما حلق الشعر فمعناه أنه أصبح بمثابة تراب قدم أمام الخلائق « ولنتحدث قليلا عن الفتوة والمِنْطقة التى يتمنطقون بها [٥] : الفتوة تستر العيوب والمِنْطقة تمسك كلام الخلائق ، ويعد ذلك يعتمد على طريق الله واثقا به ، وهكذا فإن المسافر الحق يرتبط ارتباطا وثيق العرى بسبع خلائق وتتفتح هذه الخلائق السبع ويرتبط ببخله وريائه ، ثم يتفتح الكرم والسخاء ويرتبط بالكبر والغلظة ، ثم يتفتح الحلم والأدب ويرتبط بالحرص والطمع ، وتتفتح القناعة وترتبط بالجهل ، ويتفتح العلم ويرتبط بالشهوات ، وتتفتح له الملذات ويرتبط بشكه وارتيابه ، ويتفتح له اليقين ، ويتوجب عليه بعد ذلك أن يهجر أربعة أشياء : « ماله ومنصبه ووجوده وكل شيء » .

وهو فى رسالة الحلق يذكر بين ثنايا كلامه الألفاظ الموزونة لمولانا جلال الدين التى يقول فيها : « هلم يا أهل الحال ، هيا غذوا فى سيركم ، واعتمدوا على الله فلا ارتعشت أيديكم ولا أرجلكم ، فلسوف يأتيك رزقك » .

وتكون عاشقا له أكثر من هذا [٦] . ويفهم من موضوع هذه الرسالة أنها فى الوقت نفسه تلخص رسائل الفتوة ، وهى من هذه الزاوية تحمل بين طياتها خصائص وسجايا الفتوة ، وإذاما صدق اقتناعنا فقد كانت هاتان الرسالتان

تخصان شهودى ، وإن النصوص التى بين يدينا تجزم بذلك وتكون هذه النصوص المبكرة بعد تأسيس المولوية راجعة جميعا إلى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادى ، ويعد هذه المصادر المبكرة اضطلع رسوخى (ت ١٦٣١ م = ١٠٤٠ = ١٠٤١ هـ) بتدبيج رسالة غير مطبوعة تسمى « الرسالة المختصرة فى مفيد أصول الطريقة المعهودة من يد يقين جناب مولوى قدس سره الجلى » ، ثم طبعت فى خمس صحائف بعنوان « منهاج الفقراء » . ثم كتب جوموش آياق » (ت ١٧٠٣ م = ١١١٥ هـ) رسالة بعنوان : رسالة سلوك الطريقة المولوية ، وكتب عبد الغنى النابلسى (ت ١٧٣١ م) رسالة بعنوان « العقود اللولية فى طريق السادة المولوية ، وكتب طرابزونلى كوسج أحمد دده (ت ١٧٧٧ م = ١١٩١ هـ) .

رسالة بعنوان « التحفة البهية فى طريق المولوية [٧] ، ثم اضطلع شيخ غالب (ت ١٧٩٩ م) بكتابة شرح عربى لهذه الرسالة بعنوان « الصحبة الصافية » وكتب أسرار دده (ت ١٧٩٧م) الرسالة المباركة (الديوان ١٢٥٧ هـ ، ص ١٥٨ - ١٥٣) .

وثمة رسالة صغيرة كتبها نقشى شيخى فيض الله (ت ١٨٦٧م) بعنوان « الإشارة المعنوية ، وكتب كل من شيخ التكية البكتاشية والشيخ نظيف (ت : ١٨٦م) والد حسين فخر الدين دده شيخ الطريقة البهارية رسالة بعنوان (طرائف السلوك) [٨] .

وهناك غير هذه الرسائل رسائل أخرى من التى رأيناها أو لم نرها ، وكتبت جميعها متخذة من هذ الرسائل المبكرة مثالا يحتذى .

يقول رسوخى : « يتوجب على الشخص الذى يريد أن يكون مولويا أن يقص بالمقص بضع شعرات من شاربه ومن بين حاجبيه ، ثم يأمره الشيخ بعد ذلك بذكر اسم الله ثلاثة آلاف مرة عقب صلاة الصبح ومثلها فى وقت الضحى وبعد العشاء وبعد صلاة الليل ، ويضيف رسوخى : إن فى السلوك اثنى عشر مقاما.

ولهذا السبب فإن اسم الله يذكر اثنتى عشرة مرة فى اليوم ، وينمحى وجودالسالك نفسه ووجود الكائنات كلية فى المقامات السبعة الأولى من المقامات الاثنى عشر ، ثم يصل إلى مقام الفناء فى المرتبة الثانية عشرة ، وحينئذ يدرك ويعى

ويشعر تماما بسر الاتحاد ثم يستطرد رسوخى قائلا : إنه على حين ينتقل السالكون بالزهد قبيل شمس ، سواء أكان ذلك فى طريق مولانا أم غيره ، فإنه قد ابتلى بالعشق والسماع بعد شمس .

وكل شخص لديه قابلية للحسن والقبح على السواء ، بيد أن كل شخص يؤمر بالاشتغال بعمل واكتساب قوته من صنع يديه ، وترك الدنيا والتخلى عنها ، ويكون مولانا آنذاك هو المرشد الحقيقى حيث يضطلع بشرح رسالته وإتمامها [٩].

وعلى حين يضطلع رسوخى فى كتابه « منهاج الفقراء » بشرح شعيرة اللف والدوران ، فإنه يفصل القول كذلك فى المعاناة التى تتضمنها هذه الشعيرة ، شارحا كذلك شعر ديوانه محمد جلبى المنظوم على شاكلة المثنوى ، أو شرح الرسالة المنظومة بعينها [١٠] .

وبعد ذلك تتجلى له مرتبة السلوك ، وتذكر الصفات العشر فى كل مرتبة ، وهذا تعبير عن رأيه وفكره بطريقة مباشرة لا التواء فيها . كان عبد الغنى النابلسى شيخا قويا بقدر ما كان صوفيا ذا مقدرة فائقة ، وكان يقول فى كتابه « العقود اللولية » : إن شعيرة اللف والدوران المولوية تشتمل على : أداء الصلاة وقراءة القرآن ونقل الحديث وإسداء النصح للإخوان ، وتعليم المثنوى ، والسماع والدعاء ، وتتضمن كذلك الأشياء التى تخص الشرع والوجد ، وهو يشرح كل هذه الأشياء فى عشرة فصول وما يتصل بالوجد والتواجد على وجه الخصوص كما أنه يصر على أن السماع غير ممنوع .

فى الشريعة[١١] . كان صاحب العقود اللولية فى أول أمره شيخا على التكية المولوية بمنطقة بجوى Pecoy ثم قدم إلى منطقة فيليبه قبيل استيلاء النمساويين عليها ، ثم أسس تكية مولوية ، وبعد ذلك اضطلع « عارف أحمد دده » شيخ التكية المولوية فى ينى قابى » (ت ١٧٢٤ م) .

بترجمة العقود اللولية إلى التركية . وثمة نسخة مدونة تحت رقم ٢١٢٨ موجودة بين ثنايا المخطوطات التركية بمكتبة جامعة إستانبول . ثم اضطلع مستقيم زاده سليم سعد الدين (ت ١٧٨٨ م) – والمشهور بمؤلفاته الكثيرة – بشرح هذه الرسالة .

ويوجد فى كتاب (الصحبة الصافية) للشيخ غالب شىء لا وجود له فى الرسائل الأخرى يقول شيخ غالب « تكثر الآداب والطقوس الموجودة فى طريقتنا، فيا إلهى ، أثرنا بنور الفيوضات ، وهاأنذا فى معية شمس الدين تبريزى وبالأسرار الإلهية . لقد جاء سيد سردان محققى الترمذى ، أما هم فقد أخذوه كذلك من الكويرية والهمدانية ثم ورثه سلطان ولد وشمس عن أبيه ، ثم انتقل من كليهما على حين غرة ليورثوه إلى هؤلاء وهم يتلقون فيوضات جد متباينة[١٢] وعند حديثه عن لبس الخرقة يقول : « فلتهنئنا الطريقة الكويروية والهمدانية وأهل خرسان بالأسرار الإلهية ، لقد اتخذوا سلسلة الخرقة من طريق آخر ، ووصل هذا حتى كميل بن زياد ، وليتكرم بواسطة وجه الله ، ويصل إلى على رضى الله عنه ، أو إلى الأئمة المعصومين[١٣] » .

ثم يبحث بعد ذلك فى شئون هاتين الطائفتين ، وإن أولى هذه الوثائق تعد صادقة جدا بالنسبة لنشأة الصوفية المولوية فى خراسان ، أما الوثيقة الثانية ونعنى بها ذات الصلة الوثيقة بنشأة الهمدانية فإنها تبحث فى سلسلة النسب المولوية .

ولسوف نقدم إحدى الروايات التى سوف نشرحها بغية توثيقها وتأكيدها والتعويل عليها[١٤] . أما رسالة « أسرار دده « المسماة » الرسالة المباركة » والتى دبجها أسرار دده على شاكلة المثنوى فإنه اضطلع فيها بشرح وتفصيل أسرار شعيرة اللف والدوران المولوية وكانت رسالة (الصحبة الصافية ومنهاج الفقراء بمثابة المصدرين اللذين استقى منهما مادته فى هذا السبيل ، كما كان أشعر ديوانه محمد جلبى على شاكلة المثنوى . كما أن فيض الله أفندى قد اضطلع فى رساله « الإشارات المعنوية » بتلخيص الإيضاحات الواردة فى كثير من منظومات ديوانه محمد جلبى ، بيد أن كل الإيضاحات الواردة فى رسالة تعريف السلوك » للشيخ نظيفى قد جاءت على سبيل التعميم ، ولا سيما أن أهل البيت وحب على كانا من الموضوعات التى تصدرت هذه الرسالة وحظيت بالرعاية والاحتفال .

وثمة قاسم مشترك فى كل هذه المصادر القديمة والحديثة على السواء ، حتى ما ورد فى رسالة رسوخى التى اتخذناها أساسا يحتذى فى هذا المقام ، ويتجلى هذا القاسم المشترك فى أن طريق المولوية يتمثل فى الجذب والعشق كليهما ، بيد أن وجود

هذا الجذب لا يكون سببا فى ترك الدنيا والتخلى عن زخارفها ولكنه جذب يصبو إلى بلوغ العرفان كما قال « غالب دده » بوضوح وجلاء .

لقد أصبحت المولوية طريقة منبثقة عن الخراسانية ، ويفهم هذا بجلاء تام رغم كل الإضافات التى ألحقت بها .

آراء الطرق الأخرى التى وردت فى شأن المولوية :

إذا كان المولوية يرون أنفسهم منفصمين تماما عن الطرق الصوفية وسبل المتصوفة وأرباب الأسماء فإنهم يزدرون ويحقرون دائما أولئك المنتسبين إلى الطرق التى تتخذ من الأسماء والرياضات الروحية أساسا يحتذى وسبيلا يتبع ولم ينشأ هذا المفهوم بعد تأسيس المولوية ، كما أن أرباب الملامية لا يعدون أنفسهم من الصوفية ، ويرون أن طرقهم تتسنم درجة أعلى من التصوف وفى مقابل هذا فإنه يوجد عند المتصوفة مفهومان اثنان : الأول هم أولئك المنتسبون إلى الملامتية ويصرفون همتهم إلى هذه الطريقة ويعتبرون الملامتية أرفع وأسمى مقاما .

ومن ثم فإنهم مرتبطون بالتصوف ارتباطا وثيق العرى ، كما أنهم يعتبرون الملامتية وأهلها أدنى منزلة من التصوف والمتصوفة[١٥] .

أما أبو بكر عبد الرحمن السلمى (ت ١٠٢١ = ١٠٢٢ هـ) صاحب رسالة الفتوة ، وكذلك ابن عربى (ت ١٢٤٠ هـ) صاحب الفصوص ، فإنهما يعدان الملامتية والفتوة أرفع وأسمى مقام صوفى ، كما أن شهاب الدين السهروردى صاحب « عوارف المعارف » وشيخ الطريقة السهروردية (ت ١٢٣٤ = ١٢٣٥ هـ) . فكان شيخ فتوة تابع للخليفة الناصر (ت ١٢٢٥ هـ) ورغم أن كليهما قد كتب رسالة الفتوة فإنهما ارتبطا بالتصوف ارتباطا وثيق العرى ، وكان هذا أساسا ركينا فى وجود التصوف عند أهل العراق واستمسكا بما هو أسمى وأرفع منزلة من الملامتية والفتوة .

كما أن السهر وردى يعتبر التصوف جزءاً لا يتجزأ من الفتوة[١٦] .

وهكذا فإن الحكم الذى أصدرته المولوية فى حق الطرق الأخرى ، وكذلك رأى الطرق الأخرى فى حق المولوية ، كل هذا وذاك ليس سوى شىء متخمض عن ديمومة واستمرار للأعراف والتقاليد القديمة الكثيرة . فالذكر لدى أرباب الملامتية ليس بالشىء الأساسى ، ورغم هذا فإننا لا نستطيع القول بصورة جازمة بأنهم لم يمارسوا الذكر ألبتة . وحينئذ فإن من قبيل المستحيل التفوه بشىء إذا فكرنا مليا فى التداخل الذى حدث بين كل من التصوف والملامتية . وها هو ذا عبد الرحمن عسكرى أحد التابعين للطريقة البيرامية الملامتية يفيض فى شرح الأفكار المتصلة بالذكر فى رسالته فيقول ما فحواه :

« يقول أرباب السلوك والمشايخ العظام والأولياء الكرام قدس الله أرواحهم ، إن الذكر يأتى على ثلاثة وجوه : أولا - ذكر اللسان ، ثانيا - ذكر القلب ، ثالثا - ذكر الروح .

أما ذكر اللسان فهو خاص بالأخيار ، وذكر القلب خاص بالأبرار أما ذكر الروح فخاص بالأنورين وأما العطف والشفقة الذى يقولون عنه فى اصطلاح المشايخ فإنه مخصوص بالأولياء الحقيقيين ، ويعرفه كذلك العاشقون الموجودون فى سلسلة الإنسان الكامل ، أما الذكر الصامت يقول « الله » فإنه خاص بالأولياء .

ويحدث هذا أحيانا إذا لم يكن هناك نطق بالكلمات فى مجلس مفاخر الأولياء والعارفين لسيدنا على كرم الله وجهه.

وحدث ذات مرة أنه أمر بذكر الله فى صمت فما كان من الجالسين والواقفين إلا أن سكرت أرواحهم كلية[١٧] .

ويذكر لإله زاده سيد عبد الباقى (ت ١٧٤٦ م = ١١٥٩ هـ) فى كتابه « حكاية الملامتية » أنه يصل بعد ذلك إلى حال القلب لوجه الله ويتوجه إلى لطف الله وإلى طلوع محبة الله ، ويظهر حينئذ إلى كلام الدنيا ولسانها وفكرها.

وهـم يضطلعون بـذكـر الله وبالتوحيـد الشريف مقـترنين بكمـال الجـلاء والاستجلاء ، وبعد ذكر الله ينشغل كل شخص بالدعاء ، وهو يجلس على الأرض بناء على قواعد الطريقة واتباعًا لمنهجها ، ثم يخبر أحيانا عن اضطلاعهم بمجلس الذكر بألفاظ معينة (١٨) .

ويتبين مما ورد هاهنا أن الذكر ليس أساس السلوك وجوهره ، ويكون أحيانا شيئا مصطنعا ، ومع هذا فإن الذكر عند المتصوفة هو أساس السلوك وجوهره ، وفي بعض الخلوات والطرق كانوا يتفوهون أول الأمر بقول « لا إله إلا الله » يعقبها قول « الله » ، ثم يأتي في إثرها قول « هو » ، ويقبلون للنفس سبع مراتب ، متمثلة في سبعة أسماء تذكر على هذا الترتيب المسلسل « لا إله إلا الله ، الله ، هو ، حق ، حي ، قيوم ، قهار » ويدرك الشيخ المرحلة التي تجاوزها ومقدار درجتها من خلال الرؤى التي يراها السالك من كل واحد من هذه الأسماء السبعة ، ويخبر عن العدد الكائن في الذكر . ويوجد في بعض شعب الطريقة الخلوتية ما يسمى عندهم « أصول أسماء الله الحسنى » ويضاف إلى هذه الأسماء السبعة أربعة أو ستة أسماء أُخر .

وعلى حين نرى أن الذكر عند المولوية يكون بذكر اسم الله ليس إلا ، فإنه حينئذ لا يكون أساسا للسلوك ألبتة ، وقد شدت هذه المسألة النظر واسترعت الانتباه إبان عصر مولانا ، وثمة زمرة من الشيوخ الأقدمين كانت تذكر الله قائلة « لا إلا إلا الله » ، وطائفة أخرى من دراويش التركستان يذكرون الله قائلين « هو ، هو » وبعض آخر يقول « إلا الله ، والبعض الآخر يقول « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وثمة قسم آخر يذكرون الله قائلين « سبحان الله العظيم وبحمده » . وقد سئل مولانا كيف يكون الذكر في طريقتكم ، فقال : « الله ، الله ، الله » ، فنحن منتسبون إلى الله ، أتينا من الله وذاهبون إلى الله ، ثم تلا رباعية يقول فحواها « لقد ولدنا من الذات ، ونحن أبناء لذات ، وذاهبون إلى الله » (أفلاكي ٦٦ ط) .

كما يقول في المثنوي كذلك « إذا اعتقد الشخص الذي يبتلي بعشق الأسماء أنه عاشق للذات فلن تتأتى له الذات التي يحبها ، وهذا ضرب من الوهم ، وما يقدمه من أسماء وصفات فهو محض وهم وخيال « جـ ١ ، ص ٢٧٤ - بيت رقم ٢٧٥٧) .

ولكن الخيال سوف يتولد من الاسم والصفة ، كما أنه يمكن أن يكون دليلا للوصول إلى الحقيقة وحيث يكون الدليل يوجد المدلول ، ويقول حينئذ : يتوجب على صاحب الاسم أن ينتقل من الاسم والحرف ليجد المدلول (ص ط ٣٤٣ - الأبيات ٢٤٥٤ - ٢٤٥٨) . كما أنه يخبرنا بأن الذكر الذى يخص الجسم لا يكون شيئا سوى خيال ناقص (جـ ٢ ، ص ١٥٩ ، ١٧١٨ ط) .

ثم يفصح عن رأيه بشأن الخلوة بهذا القول « يتوجب الاضطلاع بالخلوة بعيدا عن الأغيار وليس من الأحباب ، فالفراء ينفع لشغل الشتاء ، ولا يفيد صيفا (ص ٣ ، ٢٥ ط) ويرى مولانا أن الذكر يجلب الفكر إلى الحركة ليس إلا ، ويفيد فى هذا ، بيد أن الجذب هو أساس الشغل وعماده (جـ ٦ ، ص ١١٨ ، بيت ١٤٧٧ - ١٤٧٨) وهو الفيض الكائن فى النظرة (جـ ٢ ، ص ٣٣٢ ، بيت ٣٥٨٧) . وقد علمنا من السفينة أن الصوفية لم يقبلوا ذكر المولوية بصفة أساسية ، كما أنهم أنحوا عليهم باللائمة قائلين : إنهم اقتصروا على لفظ الجلالة ، وها يعنى أنهم رأوا أن يذكروا الله فقط ، كما أنهم ظلوا ماكثين فى الاسم الثانى (جـ ١ ، ص ٢٧ - الترجمة الذاتية لجلبى صلاح الدين) .

أليس الله هو الاسم الثانى وهو يخص المرحلة الثانية من السلوك ، ونعنى بها النفس اللوامة كما أن المولوية لا يذكرون بعد هذا الاسم أسماء أخرى ، وحينئذ فإنهم يظلون ثاوين فى الاسم الثانى وفى النفس اللوامة . وليس ثمة فرق يذكر بين كل من منطق الصوفى ومنطق طالب العلم الدينى ، فنقطة الحركة واحدة عند كليهما ، ولسوف يصل كلاهما لا محالة إلى نفس المكان بسرعة واحدة .

وكان هناك شيوخ يقولون : إن حمزة بالى والحمزويين الذين قتلوا إبان عصر القانونى قد ظلوا ماكثين فى الاسم الرابع(١٩) . وعلى كل حال فإنهم كانوا يشعرون بذكر اسم الله الحق ومن المستغرب فى هذا المقام أن أوزون فردوسى الذى كتب « ولايت نامه لحاجى بكتاش » .

قد توصل إلى وجود وجه شبه كبير من البكتاشية والمولوية ، وأن هؤلاء البكتاشية قد غضبوا على أولئك الزهاد الموجودين عند المولوية عندما أظهروا خلفاء حاجى بكتاش لكل من مولانا وشمس تبريزى .

ولسوف نبين فيما بعد أن « ولد قولو » الذى يعد ممثلا للزهد كان ضد السلطان ولد وكان يقول له « ليكن مشهورا أن زوال الطريقة إلى الأبد سيكون فى معيتك ، بيد أن أصول الطريقة لن تكون بالهمة والتعليم مثل الفن ، ولا كان صديقك فى الطريقة ، ولا كانت الهمة والعزيمة عندك وعند فقرائك » وهو يخبر بهذه الكلمات ، وهذه هى وجهة نظر الطريقة الأخرى التى لا تحب البكتاشية ألبتة .

كان أوزون فردوسى مؤسسا لشعبة الطريقة الهاشمية المنبثقة عن الخلوتية ، وأصبح فى نفس الوقت منتسبا إلى الطريقة الحمزية ، وشرع يمارس طقوس وشعائر المتصوفة مستلهما إياها من قطب الأبدال حسن بابا (ت ١٧٥٦ = ١٧٥٧ م) والذى كان شيخا للتكية البكتاشية فى منطقة قصر العينى بمصر .

وفى تلك الآونة كان هاشم بابا الأسكودارى (ت ١٧٨٣م) قد عمل شيخا للطريقة البابية مدة أربع سنوات فى تكية حاجى بكتاش ، ودرس كتاب ابن عربى « عنقاء المغرب » وأظهره فى الوجود وأضاف إليه تعليقا سماه « عنقاء المشرق» ، ويعد مجذوبا بمولانا جلال الدين ، وأعان حاجى بكتاش على مساعدة عثمان لتأسيس مملكة عثمانلى أوغللر (اسكودار : مكتبة سليم آغا ، كتب هاشم باشا ، مجلة رقم ٦٠ ، ورقة ٢٦ - ٣٤) .

ومحصلة هذا أنه إذا كان المولوية اللذين لم يتواءموا مواضع الطرق الصوفية ، وظلوا معرضين للوم وتوبيخ طلاب العلم بسبب السماع ، فإنهم قد باتوا كذلك معرضين للوم الصوفية بسبب طرقهم وهم من هذه الزاوية يثبتون اصطباغهم بالصبغة الملامتية .

سلسلة المولوية :

تطلق كلمة سلسلة فى الطرق الصوفية على سلسلة البيعة التى تنتقل من شيخ إلى آخر ، حتى يعتقد أنها تصل إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . هذا وتقبل أعراف وتقاليد الطرق الصوفية سلسلتين أساسيتين : تعتمد أولاهما على سيدنا

على كرم الله وجهه - والأخرى على أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم تصعد كلتاهما إلى النبى عليه السلام بواسطة هذين الطريقين ، ويرى المتصوفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لقن عليا كرم الله وجهه الذكر الجلى الجهورى العلنى ، ولقن أبا بكر الصديق الذكر الخفى فى الغار إبان الهجرة إلى المدينة ، ومن هذه النظرة فإن الطرق التى تتخذ الذكر الجهرى أساسا لها تسمى سلسلتهم بالعلوية ، أما من يقيلون بالذكر الخفى فيسمون (بكرية) .

ولا وجود للمذهبين الشيعى والسنى على الإطلاق فى كتب الحديث التى يعتد بها ، ولقد قبل أرباب الطرق الصوفية دون شك هذه الروايات المكذوبة والتى اضطلع بها رجالات الحديث فى كلا المذهبين اعتبارا من لحظة هذا التزييف والتلفيق . أما ما يقال عن تلقين النبى صلى الله عليه وسلم الذكر لآل البيت أو حتى لواحد من الصحابة فهو محض تزييف وتلفيق وافتئات ، وهكذا الشأن بالنسبة إلى إلباسه الخرقة التى حظيت بمكانة عظيمة فى رسائل الفتوة ، وكذلك تقليد التاج الذى ورد فى كتاب « التحفة البهية » لكوسة أحمد دده ، وشرح الشيخ غالب دده ، وما يروى عن نزول التاج من السماء إلى أربعة أنبياء .

ويتجلي بوضوح مدى تأثير الشيعة فى أولى هاتين السلسلتين ، وتأثير السنة فى ثانيهما . ووجدت بعد ذلك سلاسل أخرى وصلت إلى بكر وعمر والصحابة الآخرين ، وذلك بفضل حمية وغيرة واجتهاد أهل السنة . إن الحلقات سالفة الذكر والمرتبطة بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة هؤلاء قد احتوت على أسماء سلاسل الطرق أو أسماء الصوفية الأولين المعروفين ، ولكن الحلقات التى جاءت عقب الشيخ صحيحة صائبة ، لأن كل شيخ يعرف شيخه ، وترتبط الحلقات من شيخ إلى أخر .

أما السلسلة العلوية فإنها تنتقل حتى تصل إلى الجنيد الذى يسمونه « سيد الطائفة ومملكة الصوفية » ، وتأتى هذه السلسلة على النحو الآتى :

سيدنا محمد ، على كرم الله وجهه (ت ٦٦١ م) ، الحسن البصرى (ت ٧٩٩ م) ، حبيب أعجمى (ت ٧٦٨ م) ، داود الطائى (ت ٨٠٠ م) معروف الكرخى (ت٨١٥ م) سرية ساقاطى (ت ٨٥٥ م) الجنيد البغدادى (ت ٩١٠ = ٩٠٠ م) .

وقد حظيت هذه السلسلة بقبول حسن من قبل كثير من الطرق أمثال : الخلوتية والسهروردية ، والمولوية . بيد أن ثمة فرقا زمنيا يقدر بثمانية أعوام وتسعة عشر يوما بين استشهاد على كرم الله وجهه وبين الحسن البصرى بحسب التاريخ الميلادى المبين أنفا ، ولا جرم أن التقاء على بالحسن البصرى أمر مشكوك فيه .

وعلى حين نجد على القارى (ت ١٦٠٥ م) يرفض الرواية الملفقة التى تدور حول إلباس النبى صلى الله عليه وسلم الخرقة للصحابة ، فإننا نراه يشير إلى هذه النقطة على وجه الخصوص (الموضوعات الكبرى - إستانبول - المطبعة العامرة ، سنة ١٢٨٩ هـ - ص ٦٢ - ٦٣) .

وثمة ألفاظ تفوه بها تناهض الحقيقة التاريخية ، وتعضد احتمال التقاء الحسن البصرى بعلى كرم الله وجهه ، إن التعبير بالحيل المنطقية لا يتأتى له أن يمضى قدما ضد الاستحالة التاريخية ، أو فى مواجهة ضعف الرواية ووهنها .

وهب أننا قبلنا هذا اللقاء رغم كل هذه الآراء ، فإنها لا تميز بين الخير والشر عندما التقى به فى هذا العمر والأقرب إلى الصواب أنه لم يلتق به ، ويمكن أن يكون قد رأى عليا ، وممن قالوا بلقائه بعلى طائفة أخبرت بأنه كان معارضا لعلى . أما ابن أبى الحديد (ت ١٢٥٧ م) الذى اضطلع بشرح كتاب « نهج البلاغة » الذى ضم خطب ورسائل الإمام على ؛ فذكر أن الحسن البصرى كان لا يحب عليا ، وندد بقدومه إلى الكوفة ، ولم ينهض لمساعدته ، حتى أن عليا رآه يوما يسرف فى الماء عند الوضوء فقال له : أنت تصب ماء كثيرا فقال البصرى لعلى وأنت سفكت دماء كثيرة من المسلمين . بيد أن ثمة روايات تقول : بأن البصرى كان من المحبين لعلى ، وثمة متاصرون يؤيدون هذه الأفكار ويروجون لها . (نهج البلاغة - طبعة حجرية - تهران ١٣٠٤ هـ - جـ ٤ ، ص ٢٧) .

ولسوف يكون هذا مقرونا بفكرة الاستحالة التاريخية التى تنكر اللقاء بين على والبصرى ، وقد انضم كميل بن زيد (ت ٦٩٩ هـ) إلى بعض ما ورد فى السلاسل التى تشير إلى العلاقة بين على والحسن البصرى وأنه يحبه حبا جما ، وثمة سلسلة

لدى البـعض الآخر ارتبط بعلى ارتباطا وثيق العرى بواسطة الكميل بطريقة مباشرة (إسـماعيل حقى : سلسلة الجلوتية ، إستانبول - مطبعة مستشفى حيدر باشا ، سنة (١٢٩١ م ، ص ٣٥) .

أمـا مـعـروف الكرخي فـهـو الإمـام الثـانى عـشـر فى هذه السلسلة ، وقـد ظل الصوفية رازحين بصوة أكثر تحت تأثير التشيع بسبب قبول الكرخى الإسلام على يد على الرضا الإمام الثامن ومكوثه فى خدمته ورعايته[٢٠] .

هذا وتتوالى السلسلة على النحو الآتى :

سـيـدنا مـحـمـد صلى الله عليـه وسلم - الإمـام على - الإمـام حسن بن على - المجـتـبى (ت ٦٧٨ هـ) الإمـام الحسين بن على الشـهـيـد (ت ٦٨٠ هـ) الإمـام على بن حسين السجاد (ت ٧١٢ هـ) - الإمام مـحمد بن على الباقر (ت ٧٣٣ هـ) الإمام الكاظم (ت ٧٩٩ هـ) .

الإمـام على بن مـوسى الرضـا (ت ٨١٨ هـ) - مـعـروف الكرخى - سـارية ساقاطى - الجنيد البغدادى . وقد قبلت هذه السلسلة الطريقة الذهبية ذائعة الشيوع والانتشار فى إيران[٢١] .

ويتوجب علينا أن نقول فى هـذا مـا يأتى : إن أئمة أهـل البيت كانوا يـعـارضـون التصـوف ويناهضـونه بكل حزم وشـدة وعلى سـبـيل المثال فـإن الإمام الرضـا عـندما انبرى للتصـدى للبـحث فى شئون المتصـوفة فـإنه لم يكن منا ، إذ لم ينكر مـعـتقداته بلسانه أو بقلبه .

أما منكر هؤلاء فإنه يشبه رجلا يتقاتل مع الكافرين فى حضرة نبى الله ، وعندما يرى الإمام العـاشر العلى النقى الهادى (ت ٨٦٨ هـ) المتصوفة الذاكرين فى المسـجد ، فـاحذر ولا تـعـتـقـد فى هؤلاء الماكرين المحـتـالين إنهم خلفـاء الشـيطان ، وقـد هدمـوا أساس الدين واستمسكوا بطريق الزهد بغية التماس الراحة لأبدائهم .

وانشـغلوا بالعـبـادة والصـلاة فى جوف الليل من أجل اصطيـاد الحيـوانات ، ثم يدين رقص المتصوفـة وسماعهم ويقول : إن كل من يمد يد العون والمساعدة إلى هؤلاء

يعد كمن يعيد ويظاهر معاوية ويزيد وأبا سفيان ، وعندما يقول أحد المقربين إليه أنهم يعترفون بحقكم ، فإنه يقول له : دع عنك هذا : إن الذين يعترفون بحقنا لا يعصوننا ، ألم تر هؤلاء ؟ إنهم هم الصوفية وهم أدنى الطوائف وأرذلهم وأحطهم شأنا ، فهم جميعا مناهضون لنا ، وطرقهم لا تتبع سبيل طريقنا ، إن هؤلاء هم نصارى هذه الأمة ومجوسها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة الصف آية ٨) .

ومن ثم فإنه أوجد مذهبا مشينا يسمى « التصوف » وأقر عن طريق هذا المذهب عقيدة قبيحة [٢٢] . أما كتب الحديث للشيعة الإمامية فإنها زاخرة بالأحاديث المروية عن الأئمة .

وكلها تناهض التصوف وتعارضه [٢٣] . وتسير سلسلة المولوية بعد الجنيد على النحو الآتي :

جنيد بغدادي – أبو بكر شهابي (ت ٩٤٦ هـ) – محمد زجاج (ت ١٠٩١ هـ) – أبو بكر النساج (ت ١٠٩٤ هـ) أحمد حاطبي جد سلطان العلماء (ت ١١٣٣ هـ) – شيخ الأئمة السرخسي (ت ١٠٩٠ هـ) – محمد بهاء الدين ولد ابن مولانا (ت ١٢٣١ هـ) – سيد برهان الدين محقق ترمذي – مولانا جلال الدين محمد بلخي . أما أفلاكي فيدون هذه السلسلة على النحو الآتي (٢٥١) .

من مولانا إلى شمس الدين تبريزي ، ثم إلى سلطان ولد بن مولانا ، ثم إلى جلبي حسام الدين في معية سلطان ولد ، ثم إلى أولو عارف جلبي ، ومنه إلى شمس الدين أمير عابد ، فصلاح الدين زاهد ، ثم حسام الدين واجد جلبي ، ومن أمير عابد جلبي إلى مظفر الدين عادل جلبي .

كان محمد بن الحسن الشيباني يعرف بشمس الأئمة وتوفي عام ٨٠٢ = ٨٠٣ هـ ، واضطلع بشرح الجامع الصغير ، كما كان أبو بكر محمد أحمد أبي سهل السرخي صاحب مؤلفات كثيرة ، بيد أنه لم تر رواية واحدة عن علاقة كليهما بالتصوف . وكانت فردوس خاتون بانة شمس الأئمة هي حماة سلطان العلماء والد مولانا

جلال الدين ، وأصبح خليفة لصهره شمس الأئمة المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ، وحينئذ فإنه تلقى فيض سلطان العلماء من هذا الذى توفى فى سنة ١٢٣١ هـ وهذا من قبيل المستحيل ، بيد أن الصوفية يجدون من فورهم سهولة هذه المتناقضات التاريخية المتباينة .

وهل يوجد فرق زمنى جعل التقاء الرجلين أمرا متعذرا ؟ إن حل هذه المسألة هو من السهولة بمكان إنه جاء بعد ذلك وتلقى الفيوضات المعنوية والروحية التى انقضت قبل ذلك الزمان ، كما أن بايزيد البسطامى المتوفى سنة ٨٧٤ - ٨٧٥ هـ منتسب كذلك إلى روحانية الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ٧٦٥ هـ ، وكان أيضا بمثابة المرشد المعنوى والروحى لأبى حسن خراقانى المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ لقد روعيت هذه القواعد والأصول من سلسلة المولوية . ويقول سبهسالر : إنه تلقى الفيوضات من والد مولانا ، أما أحمد حاطبى فكان خليفة لأحمد الغزالى (ص ١٥ ، ٣٠) .

وإذا نظرنا إلى السلسلة التى تعتبر سلطان العلماء خليفة لنجم الدين كبرى فإنها تتكون بحسب العرف والتقليد على النحو الآتى :

مولانا - سلطان العلماء - نجم الدين كبرى (ت ١٢٢١ هـ) - عمار ياسر - أبو النجيب آبدال قاهر سهروردى (ت ١١٦٧) - وجيه الدين قاضى (ت ١٠٥٠ هـ - أو ١١٠٩ هـ) - محمد ياقبرى (ت ٩٩٠ هـ) محمد دين آوراى (ت ٩٠٨ هـ) - ميمشادين آوارى (ت ٩١١ هـ) الجنيد البغدادى أما كتاب طرائق الحقائق فيسجل أن آبا النجيب سهروردى قد صحب أحمد الغزالى ، ومن ثم تسير السلسلة على النحو الآتى :

أبو النجيب - أحمد غزالى - أبو بكر النساج - أبو قاسم جرجانى - أبو عثمان مغربى - أبو على الكاتب - أبو على روضه بالى - الجنيد .

وتعد هذه السلسلة كذلك سلسلة الخلوتية ، لأن الشيخ قطب الدين آبهارى (ت ١٢٢٨ = ١٢٢٩ هـ) هو شيخ الطريقة الأبهرية ، وهو خليفة للشيخ أبى نجيب سهروردى ، ثم بلغت السلسلة أوج كمالها بواسطة ركن الدين وشهاب الدين تبريزى

(ت ١٣١٢ هـ) وخليفة جمال الدين تبريزى وبواسطة إمام الخلوتية المسمى إبراهيم زاهد جيلانى (ت ١٣٠٥ هـ) .

وقد اضطلع زاهد جيلانى بالجمع بين الخلوتية والقلندرية والتوحيد بينهما . واضطلع الشيخ سيد اسحق صفى الدين أرده بالى (ت ١٣٣٤ هـ) بتأسيس طريقة تسمي : الصفوية أو الأرده بالية ، وقد قام بتمثيل الطريقة من بعده كل من ولده موسى صدر الدين (ت ١٣٩١ = ١٣٩٢ هـ) ثم أعقبه ولده خوجه علاء الدين عامى (ت ١٤٢٧ هـ) وابنه شيخ شاه إبراهيم (ت ١٤٤٧ هـ) ، وانتقلت السلسلة من الوالد إلى ولده واشتهر كل من شيخ جنيد (ت ١٤٧٢ هـ) والشيخ حيدر (ت ١٤٨٨ هـ) بأنهما من صوفية آرده بيل ، ثم أسس الشاه اسماعيل الصفوى (ت ١٥٢٣ هـ) الدولة الصفوية معتمدا فى ذلك على النفوذ الذى ورثه عن أجداده .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ظهر كذلك علاء الدين عالى بن موسى صدر الدين ، أو هو أبو حامد الدين آق سراى (ت ١٤١٢ هـ) خليفة أبيه إبراهيم طبقا لبعض الروايات وظهر فى الأناضول كذلك حاجى بايرام ولى (ت ١٤٢٩ – ١٤٣٠ هـ) ثم أسست بهذه الصورة بعد ذلك الطريقة البيرامية التى انفضمت عن فروع الملامية .

أما الملامتية البيرامية فكانوا فى فرط سرور وحبور نتيجة اتحاد السلسلة الولوية بالسلسلة الخلوتية ، وكانوا عادة يزعمون أنهم من المولوية ، وقد قلنا فيما سلف إن اسماعيل رسوخي يعتبر المولوية منبثقة عن الخلوتية ، وهذا هو أهم سبب فى سوق هذه الفكرة على وجه الخصوص ، وهذا هو تكوين ونضج الشيخ البيرامى نفسه قبيل المولوية ولقد التقى الشيخ أحمد الغزالى الموجود فى سلسلة المولوية بأبى على فارميدى (ت ١٠٨٤ هـ) أما الشخص المشهور يوسف همدانى (ت ١١٤٠ هـ) والذى يعد من سلالة « هاجا كان » ، قبيل تأسيس الطريقة النقشبندية ، فقد اضطلع بتوحيد هذه السلسلة وربطها بسلسلة النقشبندية وهذا هو سبب قول شيخ غالب دده فى كتابه « الصحبة الصافية » بمجيء المولوية من الهمدانيين فى معية الخراسانيين .

أما ثاقب دده الذى يجل شيخ غالب ويطريه كثيرا فيقول فى السفينة فى سياق حديثه عن السيرة الذاتية للشيخ عادل جلبى : إن آداب المولولية وطقوسها قد تأسست فى عهد هذا الشيخ ، ثم اهتمت النقشبندية بعد ذلك بهذه الآداب والأركان والطقوس ورعتها حق رعايتها ، ومن هذه الآداب قوله : « إن العناية بالوقت وإمعان النظر فى النظير [٢٣] ، ومكثك فى وطنك هو سفر معنوى ، ووجودك فى معية الخلق تكون خلوة مع الله وملاحظتك للاتحاد فى كل آن ، والانفصام عن الثنائية هى رؤية لله فى كل شىء » يقول ثاقب دده : إنه عن طريق هذه القواعد والأصول نشأت عند شمس أصول وقواعد الوجد والجذب والعشق والسماع .

أما غالب دده فيسير فى نفس الطريق ، بيد أنه يهوى قليلا فى لجة الشكليات ، ولا يمكث طويلا للاضطلاع بشرح وتفصيل هذه القواعد والأصول .

وهو يتدخل أحيانا فى تطبيق الأسماء السبعة للخلوتية على شعيرة اللف والدوران المولوية ويرى أن قراءة المثنوى أو الجهر بدعاء « لا إله إلا الله » أو بالنعت « الله » أو بتقسيم الناى « هو » أو بعزف الطبلة (فالله) هو بمثابة الأوبة الأولى ، و (حى) هى الأوبة الثانية ، و (قيوم) هى الأوبة الثالثة ، وهى إشارة إلى أسماء القهار (جامعة إستانبول – المخطوطات العربية رقم ٣٤٠٨) .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن كل هذه الأشياء ملفقة مزيفة ، وهى تشبه التزييف والتلفيق الموجود فى السلسلة ، وخلاصة القول : إن سلسلة المولوية قد ظهرت فى الوجود نتيجة لاتباع العرف والتقليد كما هو الشأن فى سائر الطرق الأخرى ، أما حلقات هذه السلسلة التى تأتى من لدن مولانا حتى تبلغ الجنيد فهى ولا ريب ضعيفة واهنة غير متصلة الأجزاء مع بعضها البعض ، وفى الحق فإن هذه السلاسل مرتبة بحسب كتب طبقات الصوفية ، ومن ثم فإنها مرنة متمغنطة إلى الحد الذى يجعلنا قادرين حتى على تأسيس سلسلة جد جديدة .

ولقد ورد فى « سلسلة الطرق العلية الصوفية » التى اضطلع بترتيبها « محمد شكرى » سنة ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م ، والمدونة تحت رقم ١٢٢ بين ثنايا كتب خدايى المحفوظة بمكتبة سليم آغا بأسكودار حيث يقول فيها « إن السلسلة التى وردت فى

شأن مولانا والتى تلاها صدر الدين ما هى إلا سلسلة قد اتبعت سبيل رواية ملفقة بحذافيرها .

وهى من ناحية أخرى وصلت إلى القادرية عن طريق ابن عربى ، وثمة نقطة مضبوطة صائبة فى سلسلة المولوية كما هو الشأن فى سلاسل الطرق الصوفية الأخرى ، بيد أن ثمة سلسلة فى ختام تأسيس الطريقة .

خصائص الطريقة المولوية والثنائية الموجودة فى هذه الطريقة :

بدأت المولوية إبان عصر سلطان ولد فى تأسيس بنيتها وانتشارها وذيوع صيتها ، ثم ما لبثت أن طبقت شهرتها الأناضول حتى بلغت منطقة سلطانية ، ثم بدأت تشبه صاحب شخصية باطنية خالصة بداءة من أولو عارف جلبى ، وتتجلى هذه النزعة بجلاء بأشعار مولانا فى حياته وفى معظم أشعار سلطان ولد ، بيد أنه كانت ثمة حاجة ماسة لحماية الطريقة ووقايتها عند كليهما .

أما أولو عارف جلبى فيقول عنه أفلاكى دون مواراة : إنه كان يشرب الخمر علانية ، وجاء بأفعال أثارت حيرة العقلاء وطيرت بلابلهم حتى إنها تسببت فى اعتراض أماسية لى علاء الدين خليفة جلبى حسام الدين ، وكان على اقتناع تام بأن الغيث لا ينزل على الخلائق بسبب أفعال أولو عارف جلبى ، وإن مثل هذه الأفعال لا تعير قيود الشريعة اهتماما .

وكان كل هؤلاء يقولون إنه من الأبدال ، ومن ثم فهذه الأفعال ليست إلا أشياء يمكن تأويلها ، وتفسر انجذابه وذلك بسبب المفاهيم المتباينة لكلمة آبدال ، وكان لأولو عارف جلبى صلات وعلاقات بالأمراء ، ولم يُغضب المغول أو يثر حفائظهم ، كما أن أشد أفعاله غلوا وتجاوزا للحد كانت مرفوضة من قبل الطلبة المتدينين والمتعصبين من أصحاب الطريقة من المستمسكين بالدين ، أما هو فلم يعط فرصة لمثل هذه الأشياء ، فهو ليس مجذوبا ضد الأحكام الشرعية ، حقا إنه لم يكن فى قرارة نفسه غير قادر على اتباع الأوامر الشرعية ومن ثمن فإنه لم يستطع الاضطلاع بمهمة الهداية

والإرشاد ، ومع هذا فإنه كان مرشدا فى اعتقاد كثير من المعترضين ، ومن هذه النظرة فقد قلنا آنفا إن أولو عارف جلبى يقول : إن الإنسان لم يخلق من أجل الأيام العزيزة الغالية ، بل إن الأيام العزيزة الغالية قد خلقت من أجل الإنسان ، ويذكر كذلك أنه يقدس غاية الوجود . ومن ثم فقد كان ملامتيا بحذافيره فى كل أفعاله وحركاته وفى مشربه الموغل فى الطغيان وتجاوز الحد ، وإن النشوة الباطنية كانت موجودة فى معتقداته ، كما كانت مستقرة فى أفعاله وحركاته ، إنها جلية بينة إلى درجة يتعذر معها خفاؤها واستتارها ، ونحن نرى هذه الأفكار والآراء بعينها لدى أمير عابد جلبى الذى تبوأ مقام الشلبية بعد أولو عارف ، فقد كانت شواربه طويلة ، لا يتبع سبيل أهل التقليد ، يشرب الخمر ، ويرى اللائمين الموبخين بمثابة كلب مسعور ، وفى النهاية يرسله تيمور طاش إلى حدود الأقاليم فى معية السفارة ، وهذا يعنى أنه تم نفيه وإبعاده عن قونية ، وبعد هذه الحقبة المبكرة فإن أفلاكى لم يكن بالشخص صاحب المصدر الوحيد الذى نقتبس منه معلومات مؤتلفة محكمة تميط اللثام عن سجايا وخلال الشلبيين بعد أمير عابد جلبى ، أو بعبارة أكثر صوابا ما يتصل كذلك بشخصية المولوية ومن يمثلونها حق تمثيل . ومن ثم فنحن مضطرون إلى جمع معلوماتنا من ثاقب دده وغيره من سائر المصادر المتباينة .

يشرح ثاقب دده فى ترجمة السيرة الذاتية لجلبى صلاح الدين أن شاه ملك كان من أحفاد أمير عابد جلبى وكان قارئا للمثنوى فى صومعة مولانا ، هذا وقد ظل هؤلاء الأحفاد من أهل الطريقة فى الاسم الثانى للمولوية ، ويتوجب إظهار سلوك أرباب الطرق الأخرى إلى هؤلاء كما أنهم يقولون : إن الإرشاد قد انقطع فى سلاسلهم ، وقد تأثر الإخوان من هذا ، وكتبوا هذه المسألة ذات مرة فى إحدى الأوراق ووضعوها فى منبره ، وطارده هؤلاء إبان تدريسه للمثنوى (جـ١ ، ص ٢٠٧) .

ومما يسترعى النظر فى هذا المقام ما يقوله ثاقب دده أثناء بحثه فى شخصية جلبى أبى الصمد أحد أحفاد مظفر الدين أحمد ابن شرف خاتون الذى اضطلع بتأسيس زاوية فى أتش باز ، حيث كان يوجد فى صومعته زمرة من أجمل الفتية والشباب ، مما أثير حوله طائفة من الريب والظنون (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

ثم يبين ثاقب دده في السفينة أن جلبي عبد اللطيف الذى ينحدر نسله من عبد الواحد جلبي الذى اضطلع بتشييد صومعته في ارزينجان تحمل اسم سلطان ولد أوغلو قد قرأ الخطبة بالعربية في استهلال إحدى عظاته ليسمعها لأولئك الذين ينكرون المثنوى (ص ٢١٣ - ٢١٤) .

ويقول ثاقب دده إن المدعو الشيخ محمد زنجير شكن والذى ينحدر نسله من خسرو جلبي قد أرسل به لتولى الخلافة في صومعة أنطاليا وقد أبدى توقيرا واحتراما عظيمين من أجل هذا الغرض ، إلا أنه كان ملامى المشرب والمذهب ، ويلام بسبب طول شواربه (ص ٢٢٧ - ٢٢٩) .

هذا ونجد بين كل هذه الوثائق والمستندات أن شخصا مثل لطف الله جلبي الذى ينحدر نسله من عبد الكريم جلبي أحد أحفاد أمير عادل بن سلطان ولد ، وأنه يمثل الملامتية خير تمثيل في هيئته ومظهره على حد سواء ، وكان هؤلاء يعيشون عالم الجذب الصوفى ويتجولون حفاة الأقدام وهم يرتدون التنورة (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

وفي النهاية فإن الدراسات التي توفرت لدينا في السيرة الذاتية لديوانه محمد جلبي تفيد بأنه قد عمد إلى حلق شعوره وحاجبيه وشاربه ولحيته ، وحلق المنتسبون إليه على نفس هذه الشاكلة وسمى المتصوفة الذين في معيته الأبدال أو الأبدال المولوية ، وكان موسى أبدال يحضر النارجيلة في حضرة ديوانه محمد جلبي ، ثم ينادى قائلا (هذه مائدة الطريقة من أجل الأعزاء ، إنها علاج الظرف والرقة والوئام) ويكون هذا النداء عن طريق ترجمان ، ثم تشرب النارجيلة بدعاء مرتب معين وبآداب الطريقة .

اضطلع ديوانه محمد جلبي بزيارة حاجى بكتاش ، ثم زار بعد ذلك بغداد والنجف وكربلاء وخراسان وأظهر قلندرية إيران توقيرا عظيما له ، وكان في معيته أربعون درويشا مولويا وأربعون آبدالا بكتاشيا ، وقدمت إليه هدايا من ضريح الإمام رضا وهى رايات وأعلام وأطباق من التكية وبعض الأوعية ، وقد طرز قبضة سيفه. بنقش مكتوب عليه « ناد علياً » كما أنه يمدح الأئمة الاثنى عشر في أشعاره ، ويظهر

ديوانه محمد جلبى ارتباطا وثيق العرى بسيدنا على كرم الله وجهه وهو عادة ما كان يؤلف ويوحد بين المولوية وكل من القلندرية والبكتاشية .

وكان يرتدى أحيانا قلنسوة المولوية ، وأحيانا يلبس قلنسوة على شكل سيف أو يرتدى تاجا قلندريا مسرجا ، ويهتم البكتاشية كثيرا بهذا التاج ، وهو منسوب إلى شمس .

هذا وندرك من كلام ثاقب دده أن جلال الدين أرجون جلبى كان أحيانا يلبس تاجا ذا سبع قطع ويخبرنا كذلك أن الشيخ فى صومعة الأرجونية كان يضع هذا التاج تحت القلنسوة الكائنة في صدر صندوق أرجون جلبى كما أن جلبى كان يرتدى بمرور الوقت هذا التاج ذا القطع السبع .

وقد كنا نحتفل بالحروفية ونهتم بها إبان القرن الخامس عشر الميلادى ، وكانت ترزح تحت نفوذ القلندرية وتذكرمن بين المنتسبين إليها . جانى شاه وجانى بابا وحسام شاه ، ونعلم كذلك أن آق يازيلى سلطان هو الذى اضطلع بتأسيس البكتاشية فى القرن السادس عشر الميلادى وكان ممثله المشهور أوتمان بابا يرتدى تاجا ذا سبع قطع[٢٥] .

وقد اطرد التوافق والتلازم بين المولوية من جهة وكل من القلندرية والبكتاشية من جهة أخرى ، وآية ذلك أن أوزون فردوسى الذى كتب ولايتنامه لحاجى بكتاشى ولى سنة ١٤٤٠ هـ ، يعد خليفة لكل من شمس مولانا وحاجى بكتاش (جامعة إستانبول - المخطوطات التركية رقم ٤٨٢٠ ، ص ١٦٨ - ١٧٨) ووجدنا فى هذا الصدد ضرورة البحث والتنقيب عن مصدر آخر .

كان « وحيدى » من شعراء القرن الخامس عشر الميلادى ، وقد دبج كتابا يسمى « الشمسيات » يضم بين دفتيه مقطوعات منثورة مزينة مقرونة ببعض المنظومات الشعرية ، وتسمى هذه المقطوعات « مناقب خواجه جيهان وتتيجة جان » . وقد كتبه بمناسبة فتح السلطان سليمان القانونى لرودس فى الأيام الأولى من الحملة عليها والتى انتهت فى ستة أشهر سنة ٩٢٠ هـ = ١٥١٤ م .

وقد جلى لنا وحيدى ما يخص كل طائفة مقرنا بتشبيهات وخيالات نابضة بالروح والحياة ، كما يفصل القول كذلك فى حلق هؤلاء الشمسيين للحية والشعر والحاجبين والشوارب .

ولبسهم الصوف الأسود والأبيض ، وسكرهم وإدمانهم الخمر والمسكرات ، وكيف أنهم يلبسون قلنسوة من اللباد ، أعلاها منفرج مبسوط ، وهم يطوفون ويتجولون فى حالة مجتمعة مؤتلفة بالأعلام والرايات والطبول ، كما يزعمون أنهم صاروا عبيدا لعلى والحسن والحسين (المخطوطة التى عندنا ، ٦٥ - ٧٢) .

كما أن واحدى يذم ويهجو بشدة كلا من شمس وجامى وقلندرى وبكتاشى وغيرهم من الصوفية من أصحاب العقائد الشيعية الباطنية ، بيد أنه يمدح المولوية ويطريهم بمثل هذه الكلمات : « فلتكتحل أعينهم ولتخضعن الوجوه لآثار أقدامهم ، رموشهم طويلة مجعدة ، وبموجب الشريعة غير متدلية يرتدون الجبة والثياب الغليظة بأمر الشريعة ، ويكرعون خمر الصفاء » .

فمن يا ترى يكون هؤلاء المسمون بالشمسيين الذين يهجوهم ويذمهم ؟ أهى طائفة تحمل اسم شمس وتنتسب إليه ؟ وإذا وجدت هذه الطائفة فلم لم يرد ذكرها فى مصدر آخر ؟

فهل هؤلاء هم طائفة من المولوية ؟ وإذا كنا قد وجدنا وثيقة أخرى تحمل فى مواضع متباينة منها ما يخص القلنسوة المبسوطة المتفرجة ، فقد كان الحال كذلك عند أتباع محمد جلبى وصوفية يوسف سينة جاك ، وهذا يعنى أنهم كانوا يحلقون الشعر واللحية والحاجبين والشوارب بالموسى ، ويلبسون قلنسوة المولوية التى تسمى « سيفى » أعلاها منبسط السطح ، أو يرتدون تاجا ذا سبع قطع كما عند جلال أرجون أو ذا اثنتى عشرة قطعة كما هو عند ديوانه محمد جلبى وتسمى عند البكتاشية « قلندرية » و « جلالى » ، وعند المتأخرين « حسينى » ، ونعلم كذلك أن المنتسبين إلى قايغو سز أبدال وهو من شعراء صوفية القرن الخامس عشر الميلادى يسمون هذه القلنسوة « تاج شمس » .

ورغم رفض بعض المولوية حتى الأزمنة المتأخرة ، فإنه قد تم البحث فى الشعبتين اللتين تسميان « شعبة شمس » وشعبة ولد ، أو بمعنى أصح أنه يتوجب علينا كذلك ألا ننسى أن المولوية قد انقسمت على نفسها من ناحية المشرب والمذهب إلى شعبتين اثنتين ، وكم كان هذا الانقسام والتمايز قديما وعاما ، ومما لا ريب فيه أن ثاقب دده كان بمثابة ترجمان لهذه الفكرة إبان القرن السابع عشر الميلادى ويقول : إن طقوس المولوية وشعائرها ونواميسها قد تأسست إبان عصر بير عادل جلبى كما يشرح كذلك أن هذه الطقوس والنواميس قد تحررت من أغلال السماع والصفاء والوجد والحال التى تعد أساس سلوك السلاطين وتمخض عن كل هذا أن أصبح طريق المولوية يوحد ويؤلف بين الزهد والعشق الجذب[٣٦] .

ونرى أن كلمات ثاقب دده تظهر الاختلاف البين عند المولوية ، أو بتعبير آخر فإنها كافية لتجلية ضربين من السكر والنشوة عند المولوية ومدى قبولهم لهما . ويمكن أن يكون هنالك من لا يرون الوضوح والجلاء المبتغى فى عبارة ثاقب دده ، بيد أنه يزيد هذا الأمر وضوحا وجلاء إبان حديثه عن عُبيد الله دده فى ترجمة السيرة الذاتية لفدائى محمد دده أحد المنتسبين إلى ديوانه محمد جلبى وفى هذا يقول ثاقب دده : « هو مظهر الآثار القدسية من رجال الطريقة العشقية الشمسية ».

ويتحدث كذلك عن لقائه بالرجال المنتسبين إلى طريق عشق شمس فى المولوية ثم يؤكد ثاقب دده هذه الفكرة بعينها فى سياق حديثه عن شهودى بن شاهدى . حيث يقول فى شأنه ما فحواه « هو المنتسب إلى الأسلاف العالية ، ثابت القدم ، والذيل المسعود الميمون للطريقة العشقية المولوية « (جـ ٢ ، ص ١٨) . وقد مدح قبل صوفى أحمد دده (ت ١٦٤٧ م) . وهو شيخ ينى قلبى ، ملامى المذهب والمشرب ، وينتسب إلى قاسم دده من الطريقة البكتاشية (جـ ٢ ، ص ٧٦) .

ويقول شيخ غالب (ت ١٧٩٩ م) إن المولوية انبثقت فى الوجود عن طريق صوفية خراسان وعن طريق الطريقتين الهمدانية والكبروية ، ثم يذكر بعد ذلك أن هذه الشعبة الثانية هم أصحاب سلسلة تختلف اختلافا بينا عن أتباع الجنيد ، ثم يردف

قائلا : « وليس ثمة أساس صحيح قط لهذا الهذر من القول بين الجاهلين الذى يلف ويدور ويقول بوجود فرق بين شعبة كل من شمس وسلطان ولد .

وقد ورد فى مناقب العارفين ومثنويات وسلطان ولد أن هذا الأخير قد انتسب إلى شمس قبل والده ويأمر منه ، ثم يوضح كذلك بأن سلطان ولد قد بات تابعا ومقتديا سبيل أبيه بعد ذلك ، حتى إن شمس تبريزى قال ذات يوم : إننى أفضيت بسرى إلى سلطان ولد ، وجعلت نفسى فداء لمولانا جلال الدين إذا فكيف يمكن التفكير مليا فى أن تكون طريقة سلطان ولد ، وجعلت نفسى فداء لمولانا جلال الدين إذا فكيف يمكن التفكير مليا فى أن تكون طريقة سلطان ولد مناقضة لشمس ؟ وقد قلنا مرارا وتكرارا إن المسالك والمشارب والمذاهب كثيرة » . وبهذه الكلمات ينكر شيخ غالب رافضا فكرة هذا التباين والاختلاف الذى يعبر عنه بشعبة سلطان ولد وشعبة شمس ، ولم تكن هذه الفكرة سائدة بين الجاهلين فحسب ، بل كانت رائجة كذلك بين المولوية أنفسهم وذاعت كذلك بين ظهرانى العلماء حتى الأزمنة المتأخرة (٢٧) .

أما أسرار دده المتوفى فى سنة ١٧٩٧ م فيبين اختلاف وتباين هذا المشرب لدى المولوية عن طريق التأويل . ويرى أن المولوية يذهبون من هذين الطريقين ، فثمة قسم يرى بالجذب الثانى ، وآخر يتبع سبيل مضمون العشق والأدب على كل حال ويتدثر بلباس الشريعة . والسائرون فى الطريق الأول يتلقون الفيوضات من ديوان مولانا ، أما المستمسكون بالطريق فإنهم يجعلون المثنوى مرشدا لهم ودليلا ، بيد أن كلا الطريقين يستنيرون بنور العشق الحقيقى ذاته (٢٨) .

وهذا تأويل جد صعب وعسير . لأننا سبق أن قلنا فى كتاب « مولانا جلال الدين الرومى » أن ليس ثمة فرق بارز بين ديوان مولانا وبين المثنوى فكثير من الحكايات التى ورد ذكرها فى المثنوى قد مر ذكرها كذلك فى غزلياته ، أما الفكرة فهى بنصها وفصها ، كما أن الغليان وسورة الحميا الموجودة فى غزلياته فإنها ظاهرة بجلاء فى مواضع متفرقة من المثنوى . ومهما يك من أمر فثمة ضربان من السالكين فى هذا الطريق من الذين صدقوا بالمولوية واعتقدوا فيهم ، فهناك قسم من المولوية هم من صوفية اللامتية ممن تجاوزوا طورهم وبلغوا سورة الحميا . أما القسم الثانى فهم

الزهاد . وإن العرف والتقليد المرتبط بسائر هذه الروايات جميعها يجعلنا مضطرين اضطرارا إلى قبول الطائفة التى قال عنها واحدى أنها قسم من المولوية . هذا ورغم قول واحدى بأن قص شوارب المولوية هو اتباع للسنة ، فقد كتبنا فيما سلف نقلا عن أفلاكى أن أمير عابد جلبي لم يقص شاربه ، وأنه سلقه بألسنة حداد لهذا السبب ، كما أن الشيخ محمد زنجير شكن قد أصابته العاقبة الوخيمة لنفس السبب ، ونعلم كذلك أن شيوخ المولوية من الزهاد كانوا جميعا لا يقصون شواربهم دون استثناء . ولننقلن فى هذا الصدد تلك الحكاية التى سمعناها من الشيخ باقى أفندى شيخ تكية ينى قابى (ت ١٩٣٤ م) دون الوصول إلى نتيجة فى هذا الشـأن : تقول الحكاية : حل غالبونى شيخى ضيفا على صومعة « ينى قابى » إبان سياحته فى إستانبول ، وكان الشيخ آنذاك هو جلال الدين دده والد باقى أفندى (ت ١٩٠٨ م) ثم اقترب المساء وحل وقت الكراهة[٢٩] ، وبدأ غاليبولى شيخى فى التثاؤب والفتور ، بيد أن المشرف على شعيرة اللف والدوران نادى على الشيخ دده بظرف ورقة فى علانية دون إظهار علاقة دالة على ذلك ثم قال « أيها الصوفية آه لو صنعتم السلطة وأكلتم الطعام فقال الدرويش : أى والله ، ثم خرج من الحجرة ، وبعد فترة وجيزة كان فى يده طبق سلطة كبير وغاص بداخله وطواه كأنه جمرة أمام الشيخ وعندما قال الدرويش ما هذا ؟ قال صوفى إنها السلطة التى أمرتم بها ، ولم يطق غاليبولى شيخى فقال للدرويش : إذا كنت قد أقمت الصلاة فى « ينى قابى » وفكرت مليا فى الصيام وذهبت إلى بهاريه لتعلمت حينئذ صنع السلطة ، ولا جرم أن تكية البلهارية المولوية كانت مشهورة بالمذهب العلوى والأبيقورى[٣٠] .

وكان الشيخ نظيف (ت ١٨٦٠ م) علويا متطرفا من البكتاشية . وكذلك ولده الشيخ حسين فخر الدين دده (ت ١٩١١ م) على نفس المذهب والطريقة . وكان نظيف وولده كلاهما يشربان الخمر . وإذا كانت منطقة ينى قابى مشهورة أول الأمر بالملامتية الأبيقوريين فإنها كانت فى زماننا مشهورة بالزهد والورع .

سألوا أحد المولوية ذات يوم قائلين له : لماذا تكون قلنسوتكم طويلة إلى هذا الحد ؟ فقال إنها أسرارنا ونغطى بها أعلى زجاجة الصوفية عندما يأتى الأغيار والحاسدون ، ولقد سمعت هذه الحكاية نفسها من المرحوم نظيف أفندى .

ولنوضح فى هذا المقام ما كتبناه حتى الآن :

كان أولو عارف جلبى خليفة سلطان ولدا مشهورا بالأبيقورية وإدمان الخمر والسكر والملذات ولهذا فقد كان أماسية لى علاء الدين خليفة جلبى حسام الدين معارضًا لهذا الوضع ساخطا عليه كما كان أفلاكى يذم ويهجو علاء الدين بصفته ترجمانا فى مسجد المولوية .

وكان أمير عابد جلبى يسلك مسلك أولو عارف جلبى بحذافيره ، كما سلكها كذلك كل من ديوانه محمد جلبى وصوفيته ، ويوسف سينه جاك ورفقاء طريقه .

يكتب عاشق جلبى فى السيرة الذاتية للشاعر صفائى فيقول إنه كان شيخا على زاوية اسكندر باشا فى غلطة وعلى تكية المولوية بمنطقة قول قابى ، « وفى ذلك الإبان كثرت المتنزهات وزاد عددها وكذلك أماكن القصف واللهو والزوايا وصوامع التعبد . وكان يوجد فى تلك الأماكن الأكابر والأعيان وسراة القوم والوجهاء وأرباب الطرق والديوان والشعراء وأصحاب العرفان حيث يمارسون الفرجة فى مجالس المنادمة والمسامرة وشرب الخمر والسكر ، ثم يعزف صوت ناى العشق الذى يشنف الأذن وهو قريب من درجة الاستعداد ويعتصر القلب ألما من صوت الصفير الذى يشبه فيما يشبه صوت الرباب ، وكان غلام المرحوم سينه جاك خاملا فاترا ، ثم اشتغل بقراءة الفارسية ، ثم شرع فى تلاوة المثنوى ، ثم أميط اللثام بعد ذلك عن أسرار العشق والروحانيات على الملأ ، ثم خطا بعد ذلك خطوات إلى ناى وطبلة المُلاً الكائنين فى التكية ، ويكون السماع الحقيقى كدائرة تشبه الدف فى الصومعة ، وهذا أليق بالشوق ولوعة الحب ويتقلص الصخب والضجيج ، ثم تنشد الأشعار وتتلى الغزليات » .

ثم جاء « شاه رافنا فلك زاده » بعد سينه جاك ، حيث أصبح شيخ مهابة صومعة التعبد ، وكان يسير على طريقة الملامتية ، ويجلس على الأرض في الوقت الذي كان يجلس فيه كذلك في الطرق وفوق آثار الأقدام ويطوف وهو ينشد هذا البيت :

مـــــارانه غـم تنك ونه انديشـــــة نامـــــست

مـــذهب مـــا نامـــوس حـــرامـــست

والمعنى : لا غم لنا ولا همــــــــوم

فـــمـــــذهبنا أن الشـــرف يكون حــرامـــا

وهو ينشد هذا البيت في مجالس المنادمة والمسامرة والعرس والأفراح والمجتمعات ، حتى ولو كان هذا الإنشاد مقرونا بالطبل والمزمار أو المزهر أو العود أو الناسطور أو الكمان أو القيثارة أو القانون ، أو كان من يعزف كل هذا هو موسيقارنا (٣١) . أو آلات ذوات نفخ وأوتار وإذا عزفت هذه الآلات جميعها فإنها في النهاية تؤدي السماع . والنغم الناتج عن كل أوتار العزف يكون مرتبطا ارتباطا وثيق العرى بأصول النغم وقواعده .

ثم يتراقص على أنغام القيثارة ، ثم ما يلبث أن يغلبه المقام الموسيقي فيلعب دون آلة العود ، ثم يعود بعد ذلك فيلف ويدور أمام ريح النغمة مثل دوامة البحر ، ثم يُرجع سماعه إلى الشهود ومزاجه إلى الحقيقة ثم يميل وينزع بعد ذلك إلى صلاح الحال (٣٢) .

وفي خاتمة هذه الأسطر تسجيل لعودته في النهاية إلى حالة الصلاح ، وهو تسجيل يشد انتباهنا ويسترعي أفكارنا ، ويقول حسن جلبي في حق الشاعر « شوري » .

(كان في أول حاله مولويا ومن أهل الهوى لا ند له ولا نظير ، منغمسا في الملذات والشغف والسرور والصفاء بيد أنه تاب في آخر عمره توبة نصوحا ورجع

إلى طريق الحق وسبيل التوبة والإنابة » فقد رأى حسن جلبى أن هوى الشاعر متعلق بالمولوية .

بيد أنه ليس ثمة شيء آخر سوى التعبير عن أنه لم يستطع أن يجد علاقة قط بين التوبة والإنابة وبين أصول وقواعد الطريق) [٢٣] .

وهكذا نرى أن ثمة نتيجة مستخلصة من كلام هذين العالمين - عاشق جلبى وحسن جلبى - تفيد بأن المولوى يعيش فى عالم الناى والسماع والحشيش والنشوة والسكر والصفاء ، ويغشاه الجذب حتى أنه يرقص دون عزف ، ثم ما يلبث أن يثوب إلى الطريق المستقيم ، ألا وهو طريق التوبة والإنابة ، ومن ثم يجب وصف المولوية بإيابهم من هذه الأحوال ، ولكن واحدى يتحدث بخلاف هذا إذ يعتبر المولوية صوفية سالكين طريق السنة وفى الحق فإن رسوخى (ت ١٦٣١ م) ، على سبيل المثال كان وقورا رزينا زاهدا ، حتى قيل إنه رفض أن يدبج مسودة للجزء السابع من المثنوى دون علم أو دراية ، ونأى بنفسه عن هذا قائلا « أنا لا أعرف كيف يتوجب على أن أتفوه بشيء عن ثقافة وعرفان مولانا ، ولهذا السبب فإن صبوحى أحمد دده شيخ ينى قابى (ت ١٦٤٧ م = ١٠٥٧ هـ) كان يقول لرسوخى إنه أخطأ كثيرا فى شرح هذا الجزء الكاذب ولكنه عندما هم بتدريسه أرسل خبرا قال فيه إنه سيحطم المنبر فوق رأسه ، وهى رواية شاعت بين المولوية .

أما الصوفى فصيح (ت ١٦٩٩) الذى كان يجلس فى حجرة تكية الزاهد رسوخى فكان يُرى كل مساء منغمسا فى الملذات والشهوات . خلص روحه بصعوبة من مصائب ونكبات وبلايا الشباب[٢٤] .

كان فصيح هذا يسكر فى حانة الخمر كل مساء فى منطقة « غلطة باليق بازار » ، ثم يخرج إلى الصومعة على هذه الشاكلة وهو يترنح متمايلا من أثر السكر، متغنيا بصدر هذا البيت من الشعر « إن السير المتأنى هو من أداء مولوى »[٢٥] ، ثم يجلس قبالة مسجد شاه قوله على مقربة من الصومعة ، ثم يقول للإمام الذى ينتظر صلاة المغرب « سلام عليك يا إمام » ، بيد أن الإمام يتفرج بحذر وحيطة على حال

هـذا الدرويـش المولوى الذى يرتدى فوق رأسـه قلنسـوة وعلى ظـهـره خـرقـة ، ثم مـا يلبث الإمـام أن يهز رأسـه مـحوقلا [٣٦] . ويتلقى سـلامه كرها . وأقبل فصيح ذات يوم آخر على نفس الشاكلة ، بيد أن الإمام قرر ألا يلقى السلام وعاند ونفذ قراره .

أما هذا الإمـام فقد رأى فى منامـه أنه أصبح ضـفدعة ، وبينما هو يتـهادى فى مـشيتـه إذا بعقـاب ينقض نازلا من الهـواء ، ثم مـا لبث أن طار فى الهواء وقد علق الإمـام فى براثنه وفى هذه الآونة نظر الإمـام إلى أسـفل وإذا بمكان مـجـدب زاخـر بصـخـور ملسـاء ، ثم صـاح قـائلا : أواه ، لو أنقـذت من بين براثنه فلسـوف أتحطم وألقى حـتـفى ، وإذا لم أسـقط فإنى عـاقبـتى لا مـحـالة ظاهرة ، وفى تلك الآونة فـتح العقاب مخلبيه وهوى الإمام بسرعة ، ولكن ماذا رأى بعد سقوطه ؟ كان الشيخ فصيح فى أسفل المكان ينتظر فاتحا أطراف ثوبه ، ثم هوى فى طرف ثوبه واستيقظ واجلا سابحا فى لجة من العرق إنها كرامة من ثمل مخمور فكيف يكون هذا الشىء ؟

ثم جعل يفكر مليا ، وفقد قدرته على النوم حتى اقترب الصباح فجدد وضوءه ، وذهب إلى المسـجد ، وأنْستـّه رؤياه التى رآها جلبـة النهـار وضـجيـجه ، وجلس على كرسى من الحصير غير ذى ظـهر فى انتظار صـلاة المغرب أمـام المسـجد ، وبينمـا هو يتـرقب منتظرا إذا به يرى الشيخ فصيحًا ، فأقبل عليـه متجها صوب مكان عال وهو يتمايل فتذكر الليلة الليلاء ، وخفق فؤاده .

ولما هم فصيح بالكلام أقبل بإزاء الإمـام وقـال وهو يلوك الكلام فى فيـه : سلام عليك يا إمـام ، أرأيت لو لـم يكن طرف ثياب فصيح فى الليلة البـارحة لكنت مستويا بالأرض تماما !

وكان اسكودارلى نصوحى (ت ١١٢٩ هـ = ١٧١٧ = ١٧١٨ م) مؤسسا لشيعة الطريقة النصـوحية المتشعبة بدورها عن الطريقة الخلوتية ، وهو من الذين لا يروقـهم الشيخ فصيح كثيرا ولا يعجبون به ولكنه رأى فى منامه ذات ليلة أن حراس السلطان كانوا يدفعون الناس فى منطقة « ديوان أوغلو » قائلين لهم : تنحوا وانزووا بعيدا في أحـد الأركـان ، ومـا لبثت طائفـة المنسـحبين أن لانوا من فـورهم بالتـوسل والتـضـرع

والرجاء ، وانسحب كذلك نصوحى إلى أحد الأركان ، بيد أنه لم يتضرع إلى السلطان ولم يتوسل إليه ، ومن ثم دفعته رغبة جارفة وفضول زائد لمعرفة ذلك القادم وسأل واحدا عن ذلك ، فقال رجل : إن مولانا قادم ، فما كان من نصوحى إلا أن غشيته حالة من التضرع والرجاء ، وشوهد مولانا بعد وقت قصير ، ثم امتطى صهوة جواد رمادى اللون ، وانسحب فصيح والجواد ، واستيقظ فى اليوم التالى وكان يوم الجمعة ، ثم ذهب إلى تكية المولوية بغلطة وذهب إلى حجرة فصيح ، ولم يكن قد ذهب إليها قط حتى ذلك الحين ، وبعد أن التقى بأصول الطريقة وقواعدها ، قال فصيح هذه المقاولة لأول مرة : أيا نصوحى أفندى : إنك لم تأت دون أن ترى سائس مقود الجواد ؟ فأصبح هذا الرجل الزاهد حسنا طيبا بعد تلك الرؤية التى جرت فيما بين نصوحى وفصيح ، وكانت قد ماتت قبله ما بين ثلاثين إلى تسعين قطة فكفنها ودفنها فى جبانة الصومعة ، وبعد ذلك دفن فصيح فى معية قطته السوداء التى مات فى معيتها ، وكان قد أوصانى قبيل موته أن يغسل نصوحى نعشه ، وأرسل شيخ لاستدعاء نصوحى حيث أعلمه بهذه الوصية وقابل المتصوفة على قمة منطقة « دوغانجلير » وأخذ من حافتها هراوة ونزل نصوحى وهو يضرب الأرض بها .

ثم يقول بعد ذلك : لقد أتينا وتلقينا الأمر ونحن ننظر إلى الشيخ الواقف للتضرع والرجاء ، أما فى الأزمنة المتأخرة فقد رأينا كلا هذين الشخصين الثملين المرحين ، وقد ألمعنا فيما سبق آنفا أن التكية المولوية فى بهارية كانت بمثابة المركز الأبيقورى للمولوية أما ينى قابى فكانت مستقر الزهد ومقامه ، وكانت تيجان البكتاشية موضوعة كذلك تحت قلنسوة الصوفية الموجودين فى منطقة قاسم باشا مثلما هى موجودة تحت قلنسوة أرجون جلبى تماما بتمام ، ولكن المرحوم شمس الدين شيخ مولوية بورصة كان شيخا مختون الشاربين ، ونعته واحدى بقوله : إنه كان لا يطأ الأرض فى ينى قابى بغير وضوء ، واعتاد الصلاة فى بهارية ، ويذكر حافظ صديق إمام الصومعة قائلا عنه : إنه زنديق فلا تسألن عن صومه ، فصوماط الشرف ملغى فى أوقات النهار(٣٧) والمريدون يذهبون إلى الإفطار فى أوقات المغرب ، ولكنه فى أوقات النهار تسدل الستور الموجودة على نوافذ حجرات الصوفية ، وقد ورد

بخاطرى شىء آخر ولن أغادره دون أن أشرحه : كان المرحوم مصطفى دده أحد الجالسين فى حجرة قاسم باشا واشتهر بالطرب والغناء ، ويحب الطماطم حبا جما ويصنع سلطة الخيار بخشوع أو بشهوة دنيوية وهو أمى لدرجة أنه لا يحيط خبرا عن العلم الرسمى ، بيد أنه كان صوفيا عارفا إلى حد بلغ فيه درجة النضج والكمال والإتقان ، ويقول : إن الصوفية تغشاهم أحيانا سورة الحميا ، ولقد التقينا مساء البارحة بالحبيب الكامل ، إنه عارف صوفى ، مطلع خبير ذو روح شفافة . أما الذين لا يعلمون ما يقوله مصطفى دده فإنهم كانوا يسألون عنه من يعلمونه بشغف وسرور . ثم يقول من هو سلطان روحى ؟ إنه هو الذى تغشاه سورة الحميا قليلا ، ثم يستطرد قائلا : إنه الخبير المطلع على أسرار الطريقة ، والنجى الحافظ لسر الحقائق ، وسالك الطريقة بتمامها ، أما الذين لا يعلمون فإنهم يظنون أنه التقى بأحد رجال الله أو رجال الغيب أو أحد الأقطاب وهم جميعا فى شوق وتوق شديدين ، متضرعين متوسلين .

فمن هو ذلك السلطان إلى عشق الشيخ الصوفى ؟

إنه من الرجال الكمل ، ومن أهل التوحيد والنور الخالص .

فقل يا شيخى ، ماذا يكون السر بحق ؟ ويرفع الشيخ رأسه ، ويلقى القلنسوة وراء ظهره ويقطب حاجيه ، ثم يودع السر ويلقيه : إنه الدرويش خرستو الخمار فى منطقة باليق بازار !

وفى أحد الأيام اغتاظ الشيخ دده وشرع يقول : يزيد ، بليد مردود نمرود من هؤلاء الصوفية ؟ إنه خائن لاعن ، لاحظ له من الإنسانية ، أولئك كالأنعام فمن هؤلاء يا هو ؟

إنه المنافق ، مُثْبِتٌ عن سر التوحيد ، ومظهره فى أسفل سافلين ، لقد فهمنا جيدا ، ولكن من يكون إنه فلان شيخ طريقة الصومعة ، العارف بالله « فمشان أفندى» أما اتباع جلبى حسام الدين فقد عُرفوا عند مولانا بالقبح والشين ، رغم ما اشتهروا به من الزهد والثناء عليهم ، أما الأشخاص الذين حققوا ذائع صيت بالعبادة فقد تذكرناهم .

وتذكر كذلك مصطفى دده دون خِيِّرة منا عندما هجوناهم بقولنا : إنهم طائفة من الفاسقين (الطبعة الثالثة ، ص ١١٧) .

الفرق فى الرأى الذى تمخض عن هذين الثملين :

لقد رأيتم هذين الثملين ، أو المتجاوزْين للحد ، ورغم أنهما كانا يبدوان أحيانا وكأنهما مجنونان فإنهما كانا فى نشوة وصفاء دون سكر . هل قرأتم فى كتاب مولانا جلال الدين القسمي المعنويين وهما « تصوف مولانا ، والإصلاح عند مولانا ؟) (الطبعة الثالثة ، ص ١٦٨ - ٢١٧) فاقرءوا حينئذ هذين البحثين مرة أخرى إن كنتم تريدون شرحهما بكلام مولانا ، واستمعوا مرة أخرى إلى تلك الكلمات النابضة بالروح والحياة من فم لا يعرف القبح والشين ، ومن شفاه لا يصيبها الذبول والشحوب ، ودققوا وأمعنوا النظر على وجه الخصوص فى بحث بعنوان (سجايا وخلال مولانا) (ص ٢١٨ - ٢٣١) .

ولسوف ترون ساعتئذ أن من المتعذر أن تكون ثمة علاقة قط بين النشوة الثانية لمولانا وبين عدم السكر ، فلقد تسنم مولانا ذروة الأديان والمذاهب ، وتحرر من سائر القيود والأغلال ، بيد أنه لم يغفل عن وجه الأرض وما هو موجود فوق ظهر الغبراء ، والتف حول الشعب دون أن يفكر فى التفريق بين دين أو مذهب ، وتعقب دون خوف أو وجل إثر كل ضرب من الحركة والمقاومة ضد السلطان والوزير ، متفوها بالأشياء التى يتعذر التفوه بها ، وزج بنفسه فى مجتمع النساء ، ويفكر مليا فى الآخرة وهو فى الدنيا ، ويقدس الحياة ، كما كان مؤسسا دينيا إنسانيا يشرع بسجود الإنسان للإنسان .

بيد أنه يتسامح ويصفح عن الضعف البشرى كلما سنحت له الفرصة بذلك ، كما أنه لا يمحو مسئولية الإنسان وإرادته ، ولا يتردد فى التضحية بالفرد بغية سكينة وطمأنينة المجموع ، لم يصطنع لنفسه مركزًا يتضمن وجوده ويحتويه ، إنه مفكر عظيم انتقل من فرديته وانتشر وذاع فى الوجود ، ومن المستحيل كذلك اعتباره

مرتبطا ارتباطا وثيق العرى بفكرة ضيقة أو بمراسم أو طقوس أو زهد ، واستطاع بفلسفته وعرفانه ورأيه فى الدنيا أن يملك فى حوزته كل من هم ليسوا مثله ، ومن لم يتسن لهم أن يكونوا مثله ويصبغهم بالصبغة الصوفية الخالصة ، واستطاع كذلك أن يكون فى حال من الوجد والنشوة المتجاوزة للحد ، وتسنى له أن يتزمل بعباءة باطنية خالصة .

لقد كان جلال الدين الرومى يريد تحطيم وتقويض أركان مراسم وطقوس الشعائر التى تتشدد فى الاحتفالات الدينية بفكر استبدادى داخل فى إطار ضيق من التفكير وقد تحطم فى ذات نفسه ، وبدأ يمارس طقوس وشعائر المولوية مستلهمًا إياها من ذوق وصفاء مولانا وإحساسه ورأيه ، وعليه فإنه لم يتسن له أن يكون متعصبا دينيا مستمسكا بالشريعة ، ولا هو تلميذ دينى من أهل القرية ، ولربما كان هذا سببا فى جرأته قليلا ، بيد أننا نرى أن روحه قد اكتسبت جمودا وتصلبا باقترانه بكل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى الذى جاوز حده وعدا طوره ، كان يشرب الخمر عيانا جهارا واصطدم مع آماسيه لى علاء الدين ، وبينما نراه إنسانا قد تجاوز فرديته ، فإنه كان يعتبر أن عدم سجود الإنسان للإنسان ضرب من الكفر ، وكان نور مولانا يُرى متوهجا لألأء فى قوله وجوهره ونفسه ، ولربما كان يريد الاضطلاع بأشياء كثيرة ، بيد أنه تعذر عليه شرح أفكاره ناهيك عما يريد الاضطلاع به ، وكان أولو عارف جلبى يقدم الخمر بنفسه أو يمسك بها أو ينطلق بها إلى « يشيل أيرماق ».

ونعتقد أنه يتوجب علينا تحليل انفعالاته وانجذابه وسورة حمياه هناك انطلاقا من هذه النظرة . نعم إننا لم نستطع أن نجد فى المولوية ذوق مولانا ورأيه وشعوره ، وتجلت فى حالة متصلبة جامدة مقترنة بالمراسم والطقوس .

وها هو المرحوم « لطفى جان » أحد موظفى البلدية المتقاعدين والمنتسبين إلى بهارية يضطلع بشرح هذا فيقول : قدمت ذات يوم إلى منطقة ينى قابى ، وعندما هممت بالوضوء وضعت قلنسوتى فوق دكة خشبية على حافة ميزاب الماء ، وما لبث أحد الدراويش الموجودين هنالك أن خطف قلنسوتى وكأنه قانص طير ، ثم شرع من فوره فى المسير ، ولم أستطع أن أفهم ماذا جرى فركضت فى أثره قائلا :

قلنسوتي ، قلنسوتي ، ماذا يصنع بها وإلى أين هو ذاهب ثم جرت فيما بيننا هذه المحاورة بدأها قائلا لى : إنك ضال بلا طريق ولسوف أحمل قلنسوتك وأسلمها إلى الشيخ فقلت لماذا لقد وضعتها بعيدا حتى لا تمسها يدك ، حسن ، ولكننى موظف ولست شيخا صوفيا .

وعلى حين كان يذهب إلى المقاطعة مكث فى المنزل ، أما أنا فمكثت وحيدا أذهب إلى التكية وألبس قلنسوتى ، ثم جاء رجل مدنى وخلع القلنسوة هنالك ، وكانت توجد كذلك طائفة من المحبين الذين يرتدون التنورة والخرقة ، ثم جاء الشيخ والقلنسوة فى يده ، وبينما كان يقف متحيرا منذهلا هممت بخطف القلنسوة من يده . وعندما ذهبت إلى بهارية حكيت هذه القصة على حسين أفندى فقال لى : « لقد قلت : لا تذهبن إذالم يكن باب مولانا هنالك » ويحكى غالب دده (ت ١٧٩٩م – ١٢١٣ هـ) فى كتابه (الصحبة الصفية) قائلا : كان فقراء المولوية لا يخلعون قلانسهم أثناء حلق رءوسهم بل كانوا يثنونها جانبا ، وهكذا كانت القلنسوة تلف وتدور وتثنى وتنثنى وتلتوى حتى يكتمل حلق الرأس (جامعة إستانبول – المخطوطات العربية ، رقم ٣٤٠٨ ، ٧) . وثمة واقعة أخرى حية وقعت لى وهى تبين بجلاء سذاجة أرباب التصوف وتلمذة الطرق الصوفية : من المفروض أن يوجد فى حجرة السماع خط يمتد من أمام عمود الشيخ حتى يصل إلى الباب ويسمى هذ الخط « خط الاستواء » ، لماذا سمى بهذا الاسم فهذا ما سنشرحه فيما بعد .

وذات يوم كنت فى حجرة السماع فى صومعة أخرى غير بهارية وكنت آنذاك طفلا لا أعى شيئا قط ولا قبل لى بتقدير الأمور حق قدرها فهل أطأ هذا الخط بقدمى ؟ وبعد شعيرة اللف والدوران التصق أحد الشيوخ بصماخ أذنى وقال : أنت الدرويش باقى وأنت ضال بلا طريق قلت لماذا ؟ فقال : لقد وطئت خط الاستواء ، فلم أفهم وشرح هو ، وحسبت أننى اقترفت جرما عظيما ، وحزنت لذلك أياما عديدة ،وكان أولو عارف جلبى رغم أنه من المولوية يعتقد بأن من يخلع القلنسوة هو ذاك الضال الذى لا طريق له . وكان أولو عارف جلبى يخلع قلنسوته عند الدعاء ويكشف رأسه كما كان يُلبس قلنسوته للأشخاص الذين يحبهم ويظل هو حاسر الرأس ، وكان ديوانه محمد جلبى يتجول بعض الأحيان مكشوف الرأس ويمارس طقوس السماع وهو على هذه

الحال حتى أنه لا وجود كذلك الاسم حجرة السماع ذات الخط الاستوائى . وكان السماع يمارس فى مجالس الدعوة . وإذا ما تجاوزنا عن ذكر اتباع حسام ديوانه[٣٦] لقيود الطريقة ونواميسها ، لرأينا أنه كان يقرأ فى الصلاة بيتا من الديوان الأكبر بدلا من سورة القرآن ويتبع هذا بصدق وإخلاص . ولأنقلن فى هذا الصدد هذه الحكاية بعينها من مجلة حسين فخر الدين والتى تناقلتها الألسنة عبر العصور : « عندما شرف الملا الجانى مدينة قونية والتقى آنذاك بوحد من أهل الحال ومن الشلبية يدعى حسام ، ولما حان موعد الصلاة ، وكان حسام هذا يؤم الملا جامى فى الصلاة ، وأدى كلاهما ركعتين اثنتين وفى الركعة الأولى تلا الشيخ حسام هذا البيت الشريف :

هيج ميدانى جه ميكردى دل افغارمن

روى بنمودى وشد آتشن برستى كارمن

والمعنى : أتعلم ماذا صنعت بفؤادى ؟ وأظهرت وجهك وبات شغلى الشاغل هو عبادة النار ، ثم تلا فى الركعة الثانية هذا البيت[٣٩] .

ثم يختتم الصلاة بعد ذلك بقراءة جهرية مقرونة بسورة قرآنية . وثمة رواية شفهية ورد فيها أن أحدهم سأل بعد الصلاة قائلا : أكانت هذه هى الصلاة ؟ فأجاب الجامى قائلا : إن الجماعة مثلى ولو كان هناك إمام مثل جلبى حسام لذهب إلى حال سبيله[٤٠] .

ولم يكن للزاهد المولوى حسام أن يتسنى له الالتجاء واللياذ إلى مضجع طائفة السكارى مثل البهارية الذين لا يرعون الأعراف وقواعد السلوك المرعية ، بيد أن هؤلاء السكارى يثوون فى صوامع مقام الزهد ، كما عرفوا كذلك السبيل إلى ستر أنفسهم وإخفاء ذواتهم . وكان العارفون بهذه الحال على قيد الحياة ، ولكنه ذهب إلى مصر عندما تم غلق تكايا الجالسين فى الحجرة فى « ينى قابى » .

وسمعنا بموته هنالك ، ولربما كان عالى دده لم يغادر جوار التكية ، فإن حقى دده لاذ بسقيقة بأحد الدهاليز ، وذهب إلى هناك مسترخيا منكمشا صامتا فى

سكون ، وذات يوم ذهب عالي وحقي كلاهما إلى كنيسة « باليقلي » ، ولأفتحن في هذا الصدد عالما آخر أمام أعين القراء : كان اليوم يوم خميس ، وبعد شعيرة اللف والدوران خلعت خرقتي وتنورتي في حجرة عالي دده ولبست خرقتي الخارجية ، وبعد احتساء القهوة قال عالي دده : أنا لا أعلم ما هو يوم « باليقلي » فلنذهبن ولنأخذن حقي دده ، ونهض ثلاثتنا ، والقلانس على الرءوس والخرق فوق الظهور وذهبنا من خارج السور إلى « باليقلي » ونحن مشغولون بالتحدث واللقاء ، أما هو فكان يداوم على الشعائر والطقوس ، ثم قام عالي دده أول الأمر بالانحناء على صورة عيسى المصلوب ، ثم تبعه حقي دده .

كان رهبان كنيسة « باليقلي » يوقفون زيت الزيتون على تكية المولوية في يني قابي من عام إلى آخر .

ثم أخذونا عن طريق أحد المساعدين إلى مكان على مقربة منهم وكنا نلقي السمع مليا إلى أناشيدهم الإلهية التي يرتلونها في لجة من الصمت والخشوع . لا جرم أن حقي دده كان عالما مختلفا عن غيره ، ففي شعيرة اللف والدوران ما يسمى بسلام الرأس وهذا يعني أنه حل محل توقف السماع ، ولكن دده لم يستمع ولم يفهم سلام الرأس .

ثم ذهب وجعل يعانق رأس مقدم السماع حتى أفاق إلى نفسه بصعوبة وهو يتنهد في حضنه بنشيج وتأوه ، ولقد رأيت أنا فيه ذلك الوجد الذي يحدثه السماع . ماذا يتوجب علينا أن نراه على حين غفلة ؟ لقد زج حقي دده بنفسه في السماع ، وانفتحت ساحة الناس وقال عالي دده هلموا وهو ينحني خضوعا وخشوعا أمام تمثال عيسى عليه السلام ممسكا الياقة اليمنى لخرقته بيده اليمنى ، ثم أحنى رأسه فوق كتفه الأيمن ، ثم ولج إلى الساحة موليا وجهه شطر الجهة اليسرى ، وتبعه العالم فقيري ، ثم اندفعت بدوري من خلفهما ، ماذا كانت الطقوس والشعائر ؟ لا أعلم ، بيد أن التشهد والنشيج والصياح والصراخ كانت جميعها تطن في صماخ أذني ، من يدري ؟ كم انقضى هذا الوقت من الزمان ؟ وبعد مدة وجيزة رأيت حقي دده يأتي رويدا إلى المكان الذي كان موجودا فيه آنفا ثم جئنا أنا وعلي دده ووقفنا في أماكننا

وقد أحنينا رءوسنا خشية وخضوعا . وبدأ بعد ذلك يمرر علينا الإنجيل ويطوف به داخل صندوق فضى ، فإذا ما جاء الإنجيل أمام أى شخص فإنه يسرع من فوره بالانحناء والتقبيل ، ثم جاء الدور على عالى دده ، وأراد الشاب الذى يمرر الإنجيل ويطوف به أن يعبر ، فما كان من الرجل العجوز إلا أن أمسك بيد الشاب وانحنى عليه وقبله ثلاث مرات : أنا أعلم أنه يحب الله ومحمداً وعشق عليًا كرم الله وجهه ، ولكن لك أن تتصور أى عالم هذا الذى كانت ، إن حقى دده وأنا من بعده وقد رأينا فى الإنسان العالم الميتافيزيقى ، وهكذا قبلنا الكتاب الذى يتوج التسامح الإنسانى بالآلام والعذابات ، وانتهت الشعيرة ، ودعينا إلى حجرة الرهبان ، وجاءنا طعام حلو منمق فى طبق فضى على صينية من الفضة ، وأمر الراهب بإحضاره وتفوه بأشياء .

وبعد ذلك حل موعد السكر ونحن بسر ، فسكرنا بنشوة عيسى ونشوة مولانا ، فلا فرق ولا تميز بيننا فى الدين وفى الرأى . وذات يوم ذهبنا فى معية عالى دده إلى غرفة الحاخام اليهودى وكان « يغوم أفندى » هو الحبر الأعظم فى الغالب ، كما كان إسحاق الغازى هو شيخ المؤذنين أهو على قيد الحياة ؟ لا أعلم وكان يأتى كل جمعة إلى « قوله قابى » ويستمع إلى شعيرة اللف والدوران فى لجة من الوجد والاستغراق ، ومرت بضعة أيام لم يستطع الشيخ أحمد جلال الدين أفندى خلالها الاضطلاع بهذه الشعيرة بسبب مرض ألم به ، فكان يرتل الشعيرة فى حجرة « أمين أفندى رئيس عازفى الناى » (ت ١٩٤٥ م) ، ويشترك معه إسحاق الغازى ، وعندما رآنا هذا الرجل الإنسان أخذنا وجاء بنا إلى موضع الحاخام الذى يشبه محرابا مرتفعا قليلاً ، ولما فتحت الستارة ظهر من داخلها شمعدان ذو ستة أو سبعة فروع فكيف استمعنا إلى المنشدين ، وكيف شرح لنا إسحق الغازى ؟ ولما انتهت الشعيرة ذهبنا إلى حجرة الحبر الأعظم . لقد محا مولانا التمايز والاختلاف هاهنا ، وأحاطنا جميعا وطوقنا بالعشق الإنسانى .

ثمة جمهرة غفيرة من المولوية هم شعبة شمس ، وشعبة سلطان ولد ، أو بمعنى أصح أنه صوفى ثمل مولوى ، أو هو تلميذ دينى مولوى بيد أن كلتا الشعبتين تتحدان وتأتلفان فى شىء واحد ألا وهو الرقة والظرف ، إنه الرأى الإنسانى والأدب الجم .

لقد قلنا إنه عندما كانت التكية المولوية أول الأمر فى « ينى قابى » ذات منبع ومصدر ملامتى ثم أصبحت فيما بعد مستقرا للذهب ومقاما له ، وهى خليفة لسائر المولوية فى هذا الصدد ، وكان آخر شيخ لهذه التكية هو سميى الشيخ عبد الباقى عثمان أفندى (ت ١٨٨٧ م) ، ورغم ما اشتهر به من عرفان ووقار وصلابة أخلاقية ، فإنه كان شيخا مولويا كاملا ذا حياة سياسية ، معروفا بتعصبه الدينى ورعايته واحتفاله بآداب المولوية وسلوكها ولقد سمعت الكثير عن باقى أفندى وعن غيره الكثير .

وذات يوم التجأت طائفة « جينجينلر » إلى التكية يطلبون صيحة مضاعفة ، وكانت توجد صيحات مضاعفة ، بيد أنها غير كافية ، ويلزم واحدة زيادة ، وجاءوا وهم يقولون إنها توجد هاهنا وكانوا يرجون منحهم إياها شريطة حضورهم فى المساء ، واندهش الشيخ الذى خوطب بهذه الرغبة الملحة كيف لا يندهش ؟ إن الجهلاء يقولون بصرخة مزدوجة ، وكأنهم لم يكتفوا بهذا التقصير والإهمال فلسوف يأخذون هذه الطبلة الشريفة ويخرجون من الصومعة ، وحينئذ يكون باقى أفندى قد ذهب إلى مكان ما ، فلقد أحس بهذه الرغبة ، وقال للشيخ : أحضر هذه الطبلة الشريفة ثم أعطاها الطائفة جينجين ، ثم قال عثمان أفندى الذى رأى بعينه حيرة وارتباك الشيخ دده : أيها المتصوفة لا تأسوا ولا تحزنوا ، إن الصرخة المضاعفة المزدوجة قد ظهرت خارجًا ، وعندما يأتى بها هؤلاء فإنهم يدخلون من سائر الأبواب وحينئذ يكون القدوم الشريف هو ظرافة ورقة الشيخ المولوى ، وكان الشيخ راتب دده أحد أعضاء مجلس شورى الدولة ونشأ فى بهارية ، وهذا يعنى أنه هو بعينه كان لدى الشيخ المولوى الشمل . كان الشيخ راتب ذات يوم ذاهبا إلى مكان ما ، وكان من عادته أن يمشى أمامه رجلان ، أحدهما شيخ عجوز معمر والآخر فتى شاب يافع ، وهو فى الحقيقة جميل إذا قيس بقوامه وهندامه ، وتوجد كذلك امرأة مثل طائر التدّرج [٤١] ، بائنة الطول تفيض رقة وفتاء . وكان راتب بك يراعى قواعد الأدب وأصوله ثم مرت من أمام هؤلاء بحمية وهى مرتابة مرتعدة قائلة : لقد رأيت أحدهما ، ولكن الرجل العجوز توقف فترة وجيزة وخلف هؤلاء وراءه وضاقت روح الشيخ راتب دده ذرعا ثم عادت المرأة ثانية ومرت بحمية وغيرة وبعد مدة مرت النسوة كذلك ، ولما تكررت هذه الحالة

عدة مرات أسرعت امرأة شابة بغنج ودلال قائلة : على أى شاكلة يكون هذا الرجل ؟ إنه يقف ويلف حولنا ، حينئذ أجاب راتب بك من فورد : هل فاتتك هذه الحكمة المعبرة من هذا ؟ ما هو شغل الفراشة ، إنه الوقوف واللف والدوران حول الشمع ، ثم قالت المرأة الله ، الله إننى لم أر قط شمعة تضىء بالنهار فقال راتب بك هكذا وجدت المرأة أجمل حكمة معبرة . ثم أردف يقول :

يا سلطانى : أنا المسجد ، ولا أستطيع القول إننى قنديل التكية ، إنه قنديل الأم مريم يضىء ليلا ونهارا .

فالأدب فى الطريقة الصوفية هو الأشياء التى يتوجب الاضطلاع بها ، وهذا الأدب موجود فى كل شىء فى المأكل والمشرب والقعود والنهوض والمشى والنوم والحديث والعبادة .

كان الشيخ باقى يتحدث عن ذكرياته مع المولوية فيقول :

« إننى أتذكر طفولتى ، آه لو كنت سرت قليلا على عجل ، أو كنت وطئت الأرض وضربتها بقدمى غير مغاضب ولا معتف ، فماذا عساك أن تصنع يا باقى وأنت تقتنع وتشرح وتفصل القول وكيف كانت هذه الجولة ؟ يا عزيزى توجد روح لكل شىء ألم يتضرر العرش السلطانى ؟ فانظر مليا ، فلقد طوف بنا فوق الأرض الممهدة المفروشة ، ألا يتوجب توقيرنا له واحترامنا إياه ألا نصيبه بضر أو أذى ؟ إننى لم أستطع أن أنبس ببنت شفة أثناء الطعام ، وكان يكفى نظرات الشيخ إلى وجهى لا سبيل إلى خروج صوت من أى شخص عند الطعام ألبتة ، وإن خروج الصوت عند وضع الكوب على الأرض يعد إثما معيبا ، كم يجب كذلك ألا يؤذى الكوب أو المكان الذى يوضع فيه ، وهذا يعنى أن شرب الماء من الكوب يكون دون حديث ودون ملامسة إحدى حافتى الكوب أما وضع الكوب فى موضعه بعد الشرب دون التحدث فيعد شيئا جد قبيح ، فهم يقولون إن الشيخ يخدمنا ويتوجب علينا كذلك توقيره واحترامه ، فهو ينام كل ليلة ، ثم يستيقظ فى الصباح ليقبل وسادتى ويشد اللحاف فوقى أو أتحدث معه وألقى باللحاف من فوقى ، ولا يتحدث فى منزلنا وهو يصيح . كانت نعال القادمين إلى التكية لاتقلب جهة الباب ، وإنما تقلب فقط تجاه الداخل وإن تقليبها

تجاه الباب يعني أن القادمين كثر ، ثم يخرجون من الباب دون الارتداد إلى الخلف ، فالركن الأساسي في هذه الآداب جميعها يتمثل في تكوين ونضج الروح في كل شيء .

وهذا غير منفصم عنا ألبتة ، فهذه الآداب تميط اللثام عن الوجود المقدس للإنسان ، فلا يُلطم وجه ولا يُسب امرؤ بأي وجه من الوجوه ، ومن ثم فإن كل شيء في الإنسان يعد مقدساً ، حتى إن الشعر الذي يتساقط على الأرض أثناء الحلاقة فإنه يجمع ولا تمسه القدم ، ثم يدفن في التراب .

لقد كان للمولوية والكتاشية في حقيقة الأمر طائفة من الحلاقين العموميين بوجدون دائما خلف « يني جامع » « والمسجد الجديد » ، وكان « حاجي هاشم » من أحبة البكتاشية ، وهو رجل ماهر متمرس يقوم على رعاية هذه الشعائر والآداب . وخلاصة القو ل: إن هذه الآداب قد ألحقت بالأحكام الشرعية لتلامذة المولوية ، ثم أخذت بعد ذلك صفة الفرض الواجب ، بيد أن صوفية المولوية الفقراء الذين لا هوية لهم فقد كانوا يخلعون القلنسوة من فوق رءوسهم ، كما كانوا يخلعون على هذه الآداب خليقة إنسانية وأدبية متفردة متميزة قائمة برأسها ، ولهذا السبب فإنهم كانوا يرعون هذه الآداب حق رعايتها .

وحرى بنا قبل الوصول بهذا المبحث إلى نهايته أن أقدم لك أيها القارىء مثالا أخر يفيض بنبض الروح والحياة ، وأعتقد أن هذا المثال يشرح بصورة بليغة كيف تكون الإنسانية الفياضة للإنسان المقتدى بهذا الآداب المتبع سبيلها : « قلنا إبان حديثنا عن الطريقة الملامية وأربابها : إن الحمزية والمولوية كانتا طريقتين صوفيتين يقوم مريدوهم بزيارة قبر « حمزة بالى » ويطل هذا القبر على شارع يقع على يمين الطريق القادم من باب التكية المولوية والمؤدى إلى منطقة « سيليرى قابى » وعلمت من كتاب « ضيابك » المسمى « إستانبول ومرفق الميناء » أن هذا القبر يخص شخصا آخر يدعى « قاره بالى » ، (دائرة المعارف العمومية للتأليف والترجمة ، عدد ٨٤ ، المطبعة العامرة : إستانبول ، سنة ١٣٣٦ هـ ، ص ١٠٥) .

ويقول مستقيم زاده فى كتابه « رسالة الملامية الشطارية : إن « حمزة بالى » قد دفن فى الجهة اليمنى من الشارع القادم من « سيليرى قابى » والمؤدى بدوره إلى تكية « سيد نظام » ويدون كذلك أنه دفن على مقربة من الشاعر « طفلى » (ت ١٦٥٩ = ١٦٦٠ هـ) ، وهو من الحمزية .

كنت أطوف فى هذه الأماكن فعثرت على حجر أسطوانى فى الموضع الذى يرقد فيه الشاعر « طفلى » إبان البحث عن علامة تدل عليه ، وفى تلك الآونة ذهبت فى معية المرحوم « أحمد حمدى طافية لى » الذى كان يعمل فى أرشيف رئاسة الوزراء كى ننقب ونبحث عن قبر « حمزة بالى » فوجدنا قبرا يطل على الشارع القريب من مدفن « طفلى » فى موضع خاو من أى نقش أو كتابة ، ووجدنا أيضا قبرا آخر ذا حجم كبير .

كان « أحمد حمدى طانيه لى » يرسل أثناء الليل من التكية شمعة داخل مصباح إلى ضريح حمزة بالى ثم قال : فلنذهبن ولنسألن ، واتجهنا إلى التكية وطرقنا باب جناح النساء (الحريم) وسُمع من الداخل صوت امرأة ذو صخب وضجيج ، كانت المرأة توبخنا وتعنفنا بصوتها ، ثم قالت : من الطارق ؟ فصاح أحمد حمدى قائلا : هؤلاء ليسوا بمستأجرين ألبتة إننا نسأل عن الشيخ فقالت المرأة : إنه فى الناحية الأخرى ، فرد عليها : بلى ، وذهبنا إلى جناح الرجال (السلاملق) وولجنا الحديقة من كل الأبواب ، ثم طرقنا الباب فرد صوت مؤنس من الداخل قائلا : من الطارق فقلنا : إننا نسأل عن الشيخ ، فقال : أأنتم ؟ إن باقى ذهب إلى ربه ، فقلنا إننا نسأل عن ابن الشيخ فقال : أأنتم ؟ إن باقى قد ذهب إلى ربه ، فقلنا : إننا نسأل عن ابن الشيخ فقال صوت المرأة المؤنس : لقد أغلقنا هذا الباب ، ثم تأوهت بآهة قائلة : ألديكم مشكلة مستعصية ؟ إن كان الأمر كذلك فاجلسوا على الأريكة الموجودة فى الحديقة ، وسيأتى لأن الشيخ فقير ، وجلسنا ، وأقبلت بعد مدة امرأة متوسطة العمر ومعها فنجان قهوة فوق صينية بيدها ثم قدمتها لنا ، وجلست قبالتنا وقالت أهلا وسهلا وشرحنا متاعبنا ، ثم قالت يا إلهى ! وأسرعت بإرسال مصباح إلى المقبرة الكائنة شمال الطريق المؤدى إلى « سيليرى قابى » ، بيد أننى عجزت عن معرفة

القبر ، ثم تحدثنا قليلا وطلبنا المساعدة فأحضرتنا حتى الباب ، وكان هذا الصوت المؤنس يتفوه من خلفنا بهذه الكلمات :

وداعا ، إلى اللقاء . صحبتكم السلامة ولكم الحظ الميمون ، وتفضلوا ثانية إن شاء الله .

ثم رجع إلى أحمد طانية لى وقال : هنالك الشريعة ، وها هنا الطريقة .

النزعة العلوية فى الطريقة المولوية :

تحدثنا عن قيود مذهب مولانا ، وشرحنا هذا بإسهاب من خلال كلامه وذلك فى كتابنا المسمى « مولانا جلال الدين » ، وقلنا إنه تحرر وتخلص من الأغلال والقيود الدينية وعندما تطرقنا للبحث فى سلطان ولد بين ثنايا كتابنا هذا قلنا إن « محمد خدابنده » قد عقد النية على استخلاص نتيجة فحواها أن سلطان ولد لم يكن خارجا على أبى بكر والنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، بيد أن أولو عارف جلبى كان مناقضًا للشريعة مناهضا لها وكان انفعاله وسورة حمياه قد مهدت السبيل إلى الباطنية ، وألفينا هذا الحال بعينه لدى عقبة أمير عابد جلبى ثم وجدنا فى خاتمة المطاف تآلفا وتوافقا تاما بين كل من جلال أرجون وديوانه محمد جلبى من ناحية والبكتاشية والقلندرية من ناحية أخرى ثم كانت الزيارات التى اضطلع بها كل من : محمد جلبى ويسوف سينه جاك إلى كل من بغداد والنجف وكربلاء وخراسان ، كما يتجلى لنا كذلك ظهور النزعة الباطنية والعلوية القوية لدى طائفة من المولوية .

لا جرم أن « شاهدى » كان يشرب الخمر وأصبح سكيرا ، ثم تردى فى هاوية المبتلين بعشق الله وانفصم عن الزهد والتقوى ، وهوى فى هاوية حانات الخمر ، وكان الناس ينفرون منه ومن أمثاله . بيد أن هذا العاشق رضى بهذه الملامة وكان يقول : « إن هؤلاء لم يتدنسوا برجس الإثم وعليهم أن يطهروا أنفسهم ويخلصوها ، فالعاشقون هم الذين يتحررون من أغلال الضعف والوهن ، وهم يذهبون إلى حانات الخمر حتى يتسنى لهم إلقاء أنفسهم فى لجة هذه القيود والأصفاد » .

وعلى حين نراه يتفوه بهذه الألفاظ التى تتواءم كثيرا مع الباطنية ، فإن طائفة الرافضية ينكرون الصحابة المصطفين ، مثلهم فى هذا كمثل الكفار لهم نار جهنم خالدين فيها أبدا ، فمن يكون عدوا للصديق الأكبر (أبى بكر) فهو أدنى وأحط من الكلب الملعون ، ومن كان عدوا للفاروق عمر فإن له نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ويلقى نفس المصير كل من كان ذا عداوة وبغضاء لعثمان رضى الله عنه ومن كان عدوا لعلى - كرم الله وجهه - فيكون أقبح وأسوأ من الكلب والخنزير على حد سواء .

ويقول شاهدى إن الرافضى الذى يحسب نفسه صديقا لعلى لا يدرى أنه سيكون عدوا لدودا أشبه ما يكون بالكلب ، وقد ذهب شاهدى إبان تلمذته الدينية إلى مقاطعة « جيزة » وحل ضيفا فى إحدى نزلها ، ودبج بيتا من الشعر الفارسى يقول :

أنا أحب عليا ، وهذا العشق شعارنا ، وهذا هو شغلنا ومبعث قوتنا ، ولتسمل أعين من يكون عدوا لنا .

ثم يكتب بإزاء هذا البيت بيتا آخر يقول فيه ما فحواه :

« لا يكون الأعمى عاشقًا للخلفاء الراشدين ، فهم جميعا أصدقاء لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم جميعا صديقون مخلصون . وها هو ذا محمد جلبى يدبج مربعا يكرر فيه بندا يستهل به شعره ويمدح فيه عليا والأئمة الاثنى عشر :

أون سكر بيك عـالمك جـسـمنده جـانسـك يا على

حـسن ايلـه سن مـهـر ومـاه آسـمـانسن يـا على

سـر مـخـفـيـد دهـانك دانسـك يا عـلى

شـاه مـردان يزدان بيـشـواسن يا عـلى

والمعنى :

أنت يـا على روح فـى جـسـد الدنيـا بـأسـرها

وأنت بالحـسن يـا على شـمس وقـمـر السـمـاء

وفـمك يا عـلى سـر خـفى عـارف بدقـائق الأشـيـاء

وأنـت قـائد ومـلـك الرجـال وأسـد اللـه

ويقول فى اخر بند :

أى سـمـاعـى قـيل تولى وتنبـرأ صـد هزار

هرزمـان كلزار مـدحك شـمـع أولسـون أشـكار

دائـمـا أولون يـزيـدك لـ ننده ذو الفـقـار

شـاه مـردان شـيـر يزدان يبـشـواس ياعـلى

والمعنى :

قل السـمـاع واجـهـر بتـولى وتبـرأ كـثـيـرا

ولتكـن روضـة مـدحك شـمـعـا ظاهـرا بجـلاء

وليكـن سـيف ذى الـقـفـار دائمـا فى عنـق يزيد

فـأنت ملك الـرجـال وأسـد الله أيـهـا الـقـائـد على

وهو فى هذا المعنى يبـحث فى مسـألة « تولى وتبـرأ » ، وهذا يعنـى حب أولاد محمد وفاطمة والأئمة الاثنى عشر ، وكذلك حب صديق الأربعة عشر المعصومين ، ويلعن من يكون عدوا لهؤلاء المحبين ويقول فى مدح آخر :

وجـودم جـونكه رشح نـيل نسـل يار غـارندر

ى نيـجـين لب خـشك جلم كـوثر يا رسـول الله

والمعنى :

إن جسـدى يتـفـصـد مـن نسل الصـديـق أبى بكر

لأنك يا رسـول اللـه كـأس الكوثر للشـفـاه اليـابسـة

ويقول أيضا :

عـــجب مـى خـــاك باى بو ترابى توتيــا ايتـــسم

كــسه ره خـــدقنده كـــان يرتد ريـا يارســول الـله

ازلدنبــاش آجـيق آب عــباتك سيـنه جــاكيــدر

آبدازاد دشـــمس جـــاكـــريند ريـا رســول الـله

والمعنى :

آه لو كنت غبار قدم أبى تراب (على) فتراب قدميه حجر يكتحمل به

وإن « سينه جاك » كان منذ الأزل عبدا صوفيا لآل العباء ، هو خادم لا يقبل الحرية حتى أبد الآبدين . وهذا صادق دده أحد دراويش ديوانه محمد جلبى يقول فى غزلية فارسية إبان زيارته للإمام رضا ومعبرا عن حبه لأهل البيت فيقول « نحن الصقور الظافرون يحب الرجل صاحب العدالة وأصحبنا قلندرية من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم وأولاده ، ومحونا صور الأغيار الحاسدين من صحيفة الفؤاد ، وهوينا فى إثر سلطان القلندرية .

ولأجل هذا طلق على كرم الله وجهه الدنيا من أجل الله وآل البيت ، ونحن قلندرية فى طرق حيدر (الإمام على) ، نمشى حفاة الأقدام حاسرى الرأس فى كل حدب وصوب بألم فراق أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، مثلنا مثل صوفية وآبدال الروم .

وفى صدورنا جراح غائرة بسبب عشق الاثنى عشر ، وأصبحنا قلندرية من أجل هؤلاء الأئمة المعصومين .

إننا نحن القلندرية نبكى متأوهين دائما بمناحة الاثنين وسبعين شهيدا ، وتبللت أعيننا بالدموع المدماة ، ونحن شعراء نمدح حيدر (على كرم الله وجهه) ونطريه من بين سائر المتصوفة أجمعين فسر أيها الصادق فى طريق الحسن والحسين ، فنحن قلندرية موفون بالعهد لأحمد وحيدر » .

كان عاشق جلبى على آسال من ديوانه محمد جلبى ، إذ اضطلع بزيارة النجف وكربلاء وخراسان ثم قصد الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، ومرغ وجهه فى المدينة المنورة على أعتاب قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأئمة الآخرين .

وقد ورد فى ترجمة السيرة الذاتية ليوسف سينه جاك الذى اعتنق الطريقة الجُلشنية ثم صار مولوياً بعد ذلك ، أن المولوية كانوا يرتحلون نفس السبيل الذى سلكه كل من شورى وجُناهى فى اليوم العاشر من المحرم لسنة أربع وخمسين وتسعمائة ، كما كانوا يطبخون العاشوراء ، ويجتمعون فى الجبانة التى دفن فيها « سينه جاك » بمنطقة سوتلوجه « ويعقدون مجالس السماع ، ويعمدون في النهاية إلى حلق رءوس طائفة كبيرة من الخلائق ويجعلونهم يشقون رءوسهم وصدورهم بالموسى في سبيل عشق الإمام الحسن وتشوقا إلى الإمام رضا سلطان خراسان ، ويروى كذلك أن غير المحلقين رءوسهم من المتسللين الهاربين يعيشون بدورهم فى مناحة مدماة[٤٢] . وهذا ما نقله أوليا جلبى من شعائر وطقوس مناحة أرباب المذهب الشيعى فى مقاطعة « درجوزين »[٤٣] . وتحيطنا السفينة علماً بأن ديوانه محمد جلبى كان يطبخ العاشوراء إبان شهر المحرم في كل مرجل كبير فى التكية الموجودة فى « قره حصار » ويهديها إلى مقبرة الإمام رضا . (جـ ١ ، ص ٥٦) .

وقد وردت فى منظومة « رسالة الفتوة » لأسرار دده – الديوان – ص ١٥٢-١٥٩ « أبيات فى عشق على وآل البيت ، وهو يبدو فى هذه الأبيات مولياً شديد الإيمان والاعتقاد ، ويتذكر فى كثير من أشعاره عليا وآل الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يتحدث كذلك عن مناقب حيدر (على رضى الله عنه) ويقول فى هذه الأديات :

من بنده أحباب رسول اللهم

نه خارجيين ، نه شيعى كم راهم

هم بنده بوبكر وعمر عثمانم

هم خاك ره على ولى اللهم

والمعنى :

أنا عبد لأحباب رسول الله

فأنا زائغ ضال لست بشيعى ولا خارجى

وأنا عبد لأبى بكر وعثمان وعمر

وتراب طريق على ولى الله

ثم يقول فى أبيات فارسية أخرى :

كان عمر وعثمان بن عفان كلاهما ولين

وإذا أردت الإنصاف فالولى شيء آخر لا محالة

وعلى شيء آخر ، واسمع هذا المصراع لتفرق بينهما

فتسلية الولى شيء ، وتجلى النور شيء آخر[٤٤] .

ثم يجلى هذا المعنى فى مقطوعة فارسية يستمسك فيها برأيه بأن عليا هو أسمى منزلة وأعلى درجة من الخلفاء الآخرين . ومما لا مرية فيه أن العشق عند أسرار دده ما هو إلا إيحاء واستلهام من الشيخ غالب دده الذى أنشأ مخمسا يتضمن بين ثناياه مصراعا مكررا وضعه « قبودان دريارامز عبد الله باشا » (ت ١٨١١ م) يقول فيه :

همان عينى محمد له على در شمس ومولانا

والمعنى :

أن محمدا وعليا كلهيما مقترنان بشمس مولانا

أما غالب دده فيقول فى مخمسه :

ايتـــدكـــده خـــد اجـــهـــار يارى مـــوجـــود

هربرينه ويرمش شرف نا معدود

آمـــاكـــه جناب مـــرتضى در حـــقـــه

جـــون مـــصـــراع آخـــر رباعى مـــقـــصـــود

والمعنى :

إن الـلـه هـو الذى خـلـق الخلـفـــاء الأربـعـــة

ومنح كـل واحـد منهم شـرفـا لا يـحـصى عـددا

ولـكـن حـــــضـــــرة المرتضى ولـى الـلـه

وهذا هـو المقـصـود مـن آخـر بيـت فى الربـاعى

وهو فى هذه الرباعية لا يستمسك بالرأى الذى يقول بأن عليا أسمى منزلة من الخلفاء الثلاثة الأولين (الديوان – بولاق – ١٢٥٢ هـ – ص ١٤٨) .

ثم يقول فى موضع آخر :

أى بـادشـــــاه « مـن أنـا مـــولاه » عـلـى

خـــورشـــيـــد جـــمـــال أحـــمـــد مـــاه عـلـى

يـيل راض وتـضى ومـــرضـى كـــيـــمـــدر

والـــلـــه عـــلـــى ثـــم بـــالـــلـــه عـــلـــى

والمعنى :

أيهـا السلطان مـن كنت مـولاه فـهـذا على مـولاه

فـقـمـر على مـوجـود فـى شـمس جـمـال أحـمـد

فـــــــاعـلـم مـن يـكـون الـراضـى والـمـرتـضـى

إنـــه والـلـــه عـلـــى ثـم بـالـلـــه عـلـــى

ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عند عودته من آخر حجة له « من كنت مولاه فهذا على مولاه »[45] .

كما يروى أنه أوصى بتعيين على فى مكانه ، ويذكر غالب دده فى رباعيته الأئمة الأثنى عشر فيقول فى نفس الصحيفة :

أى مظهـــــر وهم مـظهـــــر آســـــرا على

اثنا عـــــشـــــر ك خـــيـلنه ســـــردار على

أتاركـــــه حـــسين ومــــوسى وجـــعـــفــردر

ايكـى حـــسن أوج مــــحــــمــــد وجـــهــــار عـلـى

والمعنى :

يـا مَـظهـــــــر ومُـظهـــــــر أســــــرار عـلـى

هو عـلى القـــائد لخـيل الاثنى عـــشـــر إمـــامـــا

ثم يجذب الانتباه برباعية فارسية فيها ما فحواه :

إن مـــحـــمـــدا هو الآداب ، وعلـى هو الأركـــان

ومـــحـــمـــد هـو القـــرآن ، والبـــرهان عـلـى

وقد تجلى الشيخ الصوفى إلى أسرار محمد عليه السلام

بيـــد أن عليـا جـلى الأســـرار بنور شـــمس الـله

مكتـوب فـى حـاجـبـيك ذاك السـيــد وآل الاعـتـبـار

لا فـــتى إلا عـلى ولا ســـيف إلا ذو الفـــقـــار

يتبين من كل هذا أن شيخ غالب مولوى علوى المذهب والمشرب ، وقد دبج أشعارا كثيرة على هذه الشاكلة ، وفيها على وجه الخصوص هذا المسدس الذى يقول فيه :

لا تحسبن أننا غواة النفوس معقودو اللسان

فنحن مصطفون وتراب قدم آل العبا

لا نخاف من الأمراء ولا من الأعراب

منتسبون للمرتضى راضون بحكم القضاء

وهبنا رأسنا لما أقررناه ، وللعهود أقوياء

ونحن عبيد لسلطان الولاية علويون

أليس الاثنا عشر إماما أبراج العالمين

أليس كل واحد منهم رأس الشمس وتاج القمر

أليسوا جميعهم هدفا لسيف الظلم المبين

أليسوا محتاجين إلى دعوة المحبة ؟

وهبنا رأسنا لما أقررناه ونحن للعهود أقويا

عبيد لسلطان الولاية علويون

وأسرعنا بمحو نقش الرغبة من صفحة الفؤاد

وبلغنا بالطهر هذا النسب الشريف

وذهبنا إلى اسماعيل وصرنا للإمام قربانا

وأتينا منذ الأزل عن مجالس الصحبة والمحبة

ووهبنا رأسنا لما أقررناه ونحن للعهود أقوياء

عبيد لسلطان الولاية علويون

إننـا أعـــــــداد ألـداء لأعــــــــوان يـزيـد

تـلعـنـه بـإيمان روحـنـا وفــــــــــؤادنـا

فهذه الرباعية تميط اللثام عن مذهبه ومشربه إلى الحد الذى لا يدع مجالات للمناقشة (الديوان – القصيدة والتراكيب ، ص ٧٩ – ٨٠).

ولسوف نرى بعد ذلك مذهب ومشرب غالب دده وكيف أنه ورثه عن أبيه .

ويتوجب علينا القول فى هذا المقام : أن العلوية كانوا غلاة متجاوزين للحد ، ولم يفعلوا شيئًا فى مسألة « تولى وتبرأ » ، وهناك رواية ملفقة تتصل بانحدار مولانا من نسل أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهنك طائفة ممن استمسكوا بطريق كل من أولو عارف جلبى وديوانه محمد ويوسف سينه جاك ، بيد أنهم لهذا السبب يتجاوزون الحد فى مسألة « تولى وتبرأ » ، حتى أنهم أنشدوا المدائح فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانوا دائما يرون عليا أرفع درجة وأسمى منزلة ممن سواه .

ورأينا فى الأزمنة المتأخرة كلا من عبد الواحد جلبى (ت ١٩٠٧) ، والشيخ نظيف شيخ التكية المولوية فى بشكتاش (ت ١٨٦٠ م)[٤٦] ، وكذلك ولده حسين فخر الدين دده (١٩١١ م) ، وعبد الحليم (ت ١٩٢٥ م) ، وكانوا جميعا من الموغلين فى العلوية يقول الشيخ لطيف :

باسم الله أولوب شـــــــهـــــــر علوم

نقطة سى أول شـــهــــر ايجـــون باب الســـلام

اولدى رمـــز ســـــرى أحـــمــــد له على

نكتـــه ســبـــع المثـــالين مـــــرام

والمعنى :

أصـــبح مــحـــمــد مـــدينة العلوم

وباب الســـلام هــو مـــــركـــز هذه المدينة

وصــــار أحـــمــــد وعلى همــــا رمـــز الأســـرار

وهذا هو المـقــصــود مـن حكمــة الـســبع المثــانى

ويقول فى بيت آخر :

اخـتـيـــار ايتـمك اريجــونِ خــدمت مــولانا بى

واقـف ســــــر عـلـى ايـلـه دى مـــــــولانـاى

والمعنى :

كنـت أرغب فـى إيثـــار خـــدمــــة مــــولانا

فـــمـــــولانا مطلع عـــارف بأســــرار عـلى

وله مربع آخر يُتخذ شعيرة دينية ، ويلحن ولكن لا سبيل إلى قراءته أو إنشاده

دويـدم مى عـــــجب نـى دن اســـرار علـى بـى

بيـــدك مى نظيف نـكتـــه فـــيض ازلى بـى

عـــارف زولـه يم درس اكـــرســـر خـــافى بى

الـلـه ايـجـــــون الـلـه ديه لـيـم هـو ديـلـم هـو

والمعنى :

أســـمـــــعت يـا ترى أســـرار عـلى مـن الـنـاى

وهل علـمت يانظـيف الحكمـــة من الفــيض الأزلى

فـــلأكن عـــارفــا إذا قـلت الـســر الخــافى

فلأتفوهن بذكر الله هو واحد لا شريك له (الدورية التى بين أيدينا).

ويختتم الشيخ نظيف شعره بهذا البلد :

أى جـــراغ جـــامع دنيـــا إمـــام أوليـــا

وى ســـراع مطلب أقـــصى همـــام لا فـــتى

خلعت من كـنت مـــولاه على مـــولاه ايله

أولدك أى شـــاه ولايت انس وجنه مـقـــتـــدى

عـــقـــد كل حـــيران جـــاهكدر سكاد نمز بشـــر

مـــهـــر اوج اهتـــد اسك مـــاه برج اصـــفـــيـــا

مـــدحـــه تـك ممكن كلدرك بيـــان حـــال ايله

ذاتنـى ايجـــون أربعـــون شـــانـنده نازل هـل أنى

ابن عـــمـى فـــخـــر عـــالم همـــسر ذات بتـــول

مـــجـــمع بحـــرين ســـراوليـــا وانبـــيـــا

هى نه بحـرين أول كـه بردرلول ومـرجـان مثـال

جـــوهـــر خلف حـــسن ســـر حـــسين كـــربلا

ســـريبك آكـــاهـى قـــيـل قلب نـظيـــفـى تـا ابد

يا علـى با أليـا يا مـــرتضى يا مـجـبـــتـــبى (٢)

والمعنى :

أيا مـصـبـــاح مـــسـجـــد الدنيـــا وإمـــام الأوليـــاء

يا مُـنيـــة كل مـــراد لافـــتى إلا الهـــمـــام

يا خلعة من من كنت مولاه فعلى مولاه

فاقتد به فإنه سلطان ولاية الإنس والجان

لا يتفوه البشر فأنت محير العقول والألباب

وأنت شمس أوج الإهتداء وقمر برج الأصفياء

لا سبيل إلى مدحك فأى بيان يفصح عن حالك

لأجل تبجيل ذاتك وشأنك أنزل الله « هل أتى(٤٧)

ابن عم النبى فخر العالم وقرين ذات البتول

مجمع البحرين وسيد الأولياء والأنبياء .

أى بحر هذا ملىء بالدر واللؤلؤ والمرجان

جوهر خلق الحسن وسر حسين كربلاء ..

فكن عارفًا بالسر يا قلب نظيفى حتى الأبد

يا على يا إليا يا مرتضى يا مجتبى

وتبين هذه الأبيات أن عليا هو الولى المقتدى للجن والإنس ، ويجلى الشيخ نظيف إحدى معتقدات البكتاشية ذاكرًا عليا باسم « إليا » وهو الاسم الذى لا يستطيع البشر التفوه به (٤٨) .

وهناك مسدس آخر لنظيف يقول فيه :

زاهده حقى ايجون أول شاهين كه جود أكمل

أحمد مختاره وحى ايتدى كتاب منزل

مولويم أحمد يم حيدريم من يلى

بكا بسدر بر خدا وبرنبى وبرولى

لا إلـه إلا هــو الـلــه الـلــه الـعــلى المــنجــلــى

لانـبى إلا مــــحـــــمـــــد لافـــتى إلا علــى

مــــجلس روز ازلده جـــونكـه اقـــرارم بودر

دين وايمانمبودركو كلمـده اسرارم بودر زنده أولد قجه

وجـــــــــــودم دلـده اذكــــــــــارم بـودر

جـان قــدا ايتـد كـجـه هـم أخـركـه كـفـتـارم بودر

لا إلــه إلا هــو الــلــه الـعـلـى المــنــجـلــى

لا نـبى ألا مـــــحـــــمـــــد لافـــتى إلا علـى

مـــانع حـكم رســـول جـــونكه اذعـــان ايـلدم

أى مـــحـــمـــد امـــتى بن بـويلـه ايمان ايـلدم

لا إلـــه إلا هـــو الــــعـــلـــى المـــنـــجـــلـــى

لانـبى إلا مـــــحـــــمـــــد لا فـــتى إلا علـى

جـــويلر طاشـلر آغـــا جـركـــو هلـر هو مـا تـلر

نوح مـلك جن وملـك بحـــر وســمـك نوع بشـــر

ســاكنان عــرش وفــرش والجـم وشـــمس وقــمـر

هب لســـان حـــال وقـــال ايلـه بوبيـتى ذكـر ايدر

لا إلــــه إلا هــــو الـــــلـــى المـــنـــجـــلـــى

نـبى إلا مـــــحـــــمـــــد لافـــــتى

إلا على ملـلتم أهل حـــقـائـقـات خـــالقم ربم خـــدا

مـــذهـمـــره مـــحـــبـت شـــرط ايما نم فـــتــا

قــيله م ايـروى مــحـــمـــد دراســا مم مــرتـضى
دين اســـلام آشكـاره درنه لازم اخـــبـتـــفـــا
لا إلــه إلا هـــو الـــعـلـــى المـــنـجـلـــى
لانـى إلا مـــحــــمـــــد لافـــتـى إلا علـى
نـبـــده آل عــــبـــايم حـــيــــدريم
أى نظـيف بو يـولده قـــربان ايـلرم جـــان وســـرى
حـــاصلى بـرمـــقــتــضـــايى شـــرب بيـــغـــمـبـــر
اعـــقـــادم بويـله در « نحـن قـــســـمنـا دن يرى
لا إلــه إلا هـــو الـــعـلـــى المـــنـجـلـــى
لا نبى إلا محمد لافتى إلا على (الدورية التى عندنا)

والمعنى :

بحـق الله يكـون الجـود الأكـــمل لهـــذا السلطان
أوحى الـله الكتـــاب المنزل لأحـــمـــد المخـتـــار
أنـا مـــولوى أحـــمـــد حـــيـــدرى
ويكفـــينى إلـه واحـد ونبـى واحـد وولى واحـــد
لا إلـــه هـــو الــلـــه الـــعـلـــى المـــنـجـلـــى
لا نـبى إلا مـــحـــمـــد لا فــــتى إلا علـى
لأن هذا إقـــرارى فى مـــجـلس يوم « ألست بـربكم
وهذا ديـنى وإيمـانى وأســـرارى التـى فى فـــؤادى

وهذه أذكـاري في قلبي وكيـاني مـادمت حـيـا

وهذا آخـر قـولي مـضـحـيـا بروحي ووجـودي

لا إلـه إلا هـو الـلـه الـعـلـي المـنـجـلـي

لا نـبي إلا مـحـمـد لا فـتـى إلا علـي

وأذعنـت خـاضـعـا لأحكام رسـوال الـله

وشـتـت الـوهم والخـوف الموجـود فـي الفـؤاد

وأعلـنت فـي الآفـاق مـذهـب عـرفـاني

هـكذا آمـنت يا أمـة مـحـمـد

لا إلـه إلا هـو الـلـه الـعـلـي المـنـجـلـي

لا نـبي إلا مـحـمـد لا فـتـى إلا علـي

تنطق بها الأنهار والأحجار والأشجار والجبال والفاوز

وفلك نوح والجن والملك والبحر والسمك وجنس البشر

وسكان الأرض والسـمـاء والأنجم والشمس والقمر

ويذكـر هـذا البـيت كل لـسـان وحـال ومـقـال

لا إلـه إلا هـو الـلـه الـعـلـي المـنـجـلـي

لا نـبي إلا مـحـمـد لافـتـى إلا علـي

أهل الحـقـيـقـة أمـتي ، وخـالقي هو الـله ربي

ومـذهبي طريـق المحبـة ، وشـرط إيماني هو الـفناء

قـبلـي هي حـاجب مـحـمـد ، وإمـامي هـو المرتضى

فـدين الإسـلام ظاهر جلي ، ولا ضـرورة للاختـفـاء

لا إلــه إلا هــو الــلــه الــعــلــى المــنــجــلــى

لا نـبى إلا مـــحـــمـــد لافـــتـى إلا علـى

أنا عـــبـــد لآل الــعــبـــاء وحــيـــدرى

يانظيف لقـد ضحيت بالروح والرأس فى هذا الطريق

فـــمـــذهب الـنبـى هو الحـــتم الـضـــرورى

وهذه عقيدتى منذ أن قال الله « نحن قسمنا بينهم »(٤٩) .

ويمضى الشاعر « نظيف » فى مسدسه المتكرر فيذكر أن كلمة شاه (سلطان) تعنى أتم وأكمل وجود وسخاء لعلى كرم الله وجهه ، وأن عليا هو الكتاب الذى نزل على أحمد المختار صلى الله عليه وسلم وسرعان ما يعمد الشاعر إلى تكرير بيت يقول فيه :

ليس هناك رسول سوى محمد ، ولا رجل سوى على .

أما كلمة « على » الواردة فى البيت المتكرر فيعدها الشاعر من أسماء الله الحسنى ، كما أن المقصود من قوله لا نبى سوى محمد ، فتعنى أن سائر الأنبياء أجمعين هم ظهور لمحمد فى الحقائق ، ويكون محمد هو مظهر الكمال المتباين لكل الأنبياء ، وقد أدركت ضرورة التأويل الواردة فى هذه العبارة ، أما الشيخ نظيف فإنه يقول لأولئك الذين يريدون الانتساب إليه بسبب أشعاره المتباينة وغلوه فى المذهب العلوى : « إن هذا الطريق جد صعب وعسير ، وإذا قلت إنك سوف لا تعرف أحدا إلا الله فهل يمكن أن تكون راضيا عن هذا » وهذا هو ديدن الشيخ نظيف فى تفوهه بالألفاظ على هذه الشاكلة مما عرضه للذم والهجاء من زهاد المولوية بسبب غلوه فى نزعته العلوية .

يقول الشيخ نظيف :

بـول درد دل بى كـــــيف وكــــمـــــيت منم

نه صـدفــده درشــهــوارى كــران قــيــمت منم

صــــورتـه برذره يم مــــا نيـــــده آمــــا آفــــتــــاب

جــــمله ذرات جـــهـــانه تابـبـشـن صــورت منم

شــمـس ومــولنا مـــحـمـد لـه علينـك ســرى يم

بـرمـــطـلـســم كـنـزبـر دردانـه حــكـمـت مــنـم

مــشـــرق شـــمس كـــمـــا عـــشق مـــولانا أولوب

انـس وجـنـه نـاشــــــر أنـوار انـســـــيت مـنـم

فى فـــروشـم كـــاســــه مـــخـتـــوم المسك ايـلـه

ســـــاقى كـــوثـر على المرتضـى ســـيـــرت من

والمعنى :

ياللعـــجب إن غـــصـة فـؤداى لا كـيف لهـــا ولا كم

فـــأنا در ثمـين قـيـم مـوجـود فى تسع صـدفـات

أنا ذرة فى الصورة ولا يحول دون أن أكون شمسا

وأنا صورة لا معة وهاجة لكل ذرات الدنيا

وأنا سر على محمد وشمس ومولانا

أنا كنز معمى وحبة در الحكمة

أصبح عشق مولانا مشرق شمس الكمال

وأنا ناشر أنوار المحبة والصداقة بين الإنس والجان

أنا بائع الخمر بكأس مختوم ختامه مسك

وأن أكون مع ساقى الكوثر على المرتضى

هذا ويتضمن شعره أبياتا شبيهة لما تقدم ، وثمة تلحين لأشعاره الأخرى على

سبيل الشعائر والطقوس ، ولاذ بعض الشيوخ لاجئين إلى مقام الشلبية ، ثم أوقف قراءة هذه الشعيرة الملحنة بأمر صادر من مقام الشلبية .

ومما لا مرية فيه أنه إذا كان الشيخ نظيف قد جاء فى هذه العصور حاكما للمدرسة الدينية مستحوذا عليها استحواذا تاما ، فإنه يقول من فوره إنه انتزع حجرا من الشريعة ، ثم انشغل بعد ذلك وانضم إلى فرقة المتصوفة القدائيين . وكان حسين فخر الدين دده ابن الشيخ نظيف على آسال من مذهب أبيه ومشربه وكتب بيات يقول فيه :

هربرى برصـــورت خـــاصى ايله ظاهـر در ولى

برحـــقـــا يقـــدر رســـول الـلـه مـــولانا عـلى

والمعنى :

لـكل واحـــد صـــورة خـــاصـــة ظاهـرة

ولكن الحـقـيـقـة الواحـدة هى أنا عليا رســول الله

وله رباعية أخرى يقول فيها :

إن القلب يحـمل بين جوانحـه دائما عشق أهل الـبيت

ولا شـك أنه بـالغ مـــرامـــه لا مـــحـــالـة

أما من ظل بعيدا عن أولاد المصطفى صلى الله عليه وسلم

فـــاللعنـة على روحـــه حـــتى قـــيـــام السـاعـــة

ويقول فى رباعية أخرى :

لقد أمر الرجال بعشق المرتضى ، أما من لا يحفلون بهذا الحب فإنهم يعبدون الله

ولتـعلمن يا فـخـرى أن هذا هو الطريـق المستـقـيم

فـــالـله ومـــحـــمـــد وعـلى نـور (٥٠)

هناك داء مشـهور يسمى « دعـاء الصبـاح » وهو مـوجود فى « رسـالة الشـيعة الإمامية » لصاحبها « حسين فخر الدين دده » ، ويوجد هذا الدعاء كذلك فى سائر كتب الإمامية ، ويستهل هذا الدعاء(٥١) بقوله « اللهم يامن دله لسان الصباح منطق تبلجه » ، ثم يكتب قائلا : « هذا حزب الفلاح لسيدنا على عليه السلام » .

ثم يسجل بعد هذا الدعاء أمدوحة منظومة فى الإثنى عشر إماما وقصيدة « ناد عليًا ، حتى إنه منح محمد صدر الدين جلبى بن كمال الدين جلبى شهادة ترخص له قراءة هذا الدعاء ، وكتب صورة هذه الشهادة فى تورية . ولنسجل فى هذا المقام تلك السطور التى كتبها بخط يده فى التورية نفسها : « أعقد العزم على ذكر الله ، لقد سألوا قائلين : ماذا تقول لأمرنا وحاكمنا مراد الثالث ، وماذا تقول فى حق حضرة على عليهالسلام ؟ فأجاب قائلا : إذا سـألت عن قوله ، قلت « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »(٥٢) وإذا سألت عن حاله قلت » كل يوم هو فى شـأن » (٥٣) وإذا سألت عن صفاته قلت « قل هو الله أحد »(٥٤) ، وإذا سألت عن اسمه قلت « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٥٥) ، وإذا سألت عن ذاته قلت « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »(٥٦) .

أما ظاهر أفندى بن محمد أليف حصير زاده (ت ١٩٤٦ م) شيخ منطقة « سوتلوجه سعدى » والذى قرأ هذه السطور فإنه لا يستطيع الاعتماد على شخص ظريف عارف مثل حسين أفندى الذى اضطلع بنسبة هذه الألفاظ إلى مولانا ، ومن المؤسف جدا أن تكون كتابته فى هذه التورية بالقلم الرصاص بيد أنه دبج طائفة من الجمل تصطبغ بالصبغة الأدبية ثم وضعها داخل إطار هذه التورية .

وكان بعض السالكين طريق حسين فخر الدين يحلون هذه الكلمات محل السجود فى الصلاة وسمعنا كذلك أنهم كانو يقدمون خاتما مصنوعا ومصبوبا فى قالب معجون ومأخوذ م جوار قبر الإمام الحسين حتى يتسنى لهم وضع جباههم عليه أثناء الصلاة . وعلى كل حال فقد تلقن هؤلاء أصول وقواعد مذهب الإمامية فى الصلاة ولم يبق الأمر على هذه الحال فحسب ، بل إن المولوية أصحاب المذهب العلوى لم يكتفوا فقط بإظهار مشاربهم ونزعاتهم والإفصاح عنها فحسب ، بل إن ثمة طائفة

من الشعراء استخدموا مخلص « شمس » مثل شمس وشمس طابه واضطلعوا بتدبيج أشعار منظمة متسقة باسم مولانا ، وألحقت بديوانه ، وتسمى هذه المجموعة التى ظهرت باسمه « الديوان الصغير » .

ويعتقد بوجود الأسرار الحقيقية لمولانا فى هذه الأشعار المنقولة والتى تناقلتها الأيدى ، وصار لها ذيوع وشيوع على الألسنة ، ومما ورد فيها قوله : لقد كنت صقرا مستلهما الوحدة اليقينية بفيوضات مرتضى على ، وأحسن الله على باليمن والسعادة بفضل فيوضات المرتضى على » ويقول فى غزليات ذات رديف يقول « ازدم مرتضى على »

أن عليا هو تجلى العين التى ترى حقيقة كل شىء

يا عليا يا أمير الرجال

فليصل سلام الشملى والسكارى إليك

يا عليا يا من شتت شمل الصفوف

وفرقت جمعهم فى ميدان الوغى

إن الشملى يسلمون عليك

وله غزلية أخرى يقول مطلعها :

كان على موجودا فى صورة الدنيا

كائنا موجودا قبل خلق الزمان والمكان(٥٧)

وهذه الأبيات من مستزاد له تخلص فيه باسم « رومى »

وقد وردت أشعار تركية فى دورية تتضمن « روضة التوحيد » لشاهدى و « حل التحقيقات » لجورى ، ومدونة تحت رقم ٨٨٤ ضمن المخطوطات التركية بجامعة إستانبول ، وهذه الأشعار من الديوان الصغير ، وهى منسوبة إلى مولانا ، ومنها قصيدة بعنوان « كلام مولانا جلال الدين موئلاى روم » .

أولا ركـــــه نبـــــده خــــاص خــــدادر

مـــــحب خـــــانه دان مـــــصطـفـى در

حـقــايقــات كــعـبـه نك قـبله كــاهى

أمـــــام بشـــــوامـــــيـــــز مـــرتضى در

أول ايكى قـــــرة الـعـــــينك آنه سى

يقين بيل فـــاطمـــه خـــيـــر النســـادر

حـــــسن سلطان وشـــــاه أهل جنت

حـــسين شـــاه شـــهـــيـــد كـــربلادر

دون وكـــون وجـــهنه قـــيلر عـــبـــادت

حـــــسين أوغلو زين الـعـــــبـــــادر

مـــحـــمـــد بكر وجـــعـــفـــر كـــاظم

أمـــام هشـــتم علـى مـــوسى الرضـــادر

تـقى وبـانـقـى شـــــاه عـــــسكرى هـم

مـــحـــمـــد مـــهـــدى شـــاه أولـيـــادر

اوقـوك لعنت حـــمـــار وخـــوك وحـــرصـــه

أو لاكـــــيم دشـــــمن آل عـــــبـــــادر

تـبـــرا قـــيل آيا مـــــولانـلا يى رومـى

تبـــرا قـــيلمــــه بين كـــره بلادر (١٦B - ٦٧) .

والمعنى :

هو عـــــبـــد خـــاص من عـــبـــاد الـلـه

مـــحب لســـلالة المـصطفى عليـــه الســـلام

وجـــهـــه قـــبـلة كـــعـــبـــة الحـــقـــائق

إنـه المـرتـضـى إمـــــامـنـا وقـــــــائـدنـا

واعلـم يقـينا أنهـا فـاطمـة خـيـر النسـاء

أم الحـــســن والحـــسين قـــرة الـعـين

فـــالحـــســن سلطان ومـلـك أهل الجنـة

والحـــسين مـلك وشـــهـــيـــد كـــربلاء

يُعـــبـــد وجـــهـــه آناء الليـل وأطراف النـهـار

وابن الحسين على زين العـابدين خـيـر أهـل العـبـاء

ومـــحـــمـــد بكـر وجـــعـــفـــر الكـاظم

وإمـــامى عـلى مـــوسى الرضـــا

والتـــقى التـــقى مـلـك الجـنـود

محـــمـــد المهـــدى مـلك الأولـيـــاء

فـلعـنة الحـــمـــار والخـنزير والـطـمـع

لمـن يـكون عـــدوا لأهـل العـــبـــاء

فتبـــرأ من هـؤلاء يا مـــولانا مـــوئلا رومى

فـلمـن لا يتـــبـــرأ مـنـهم بـلاء عـظيـم(٥٨)

وثمة طائفة من الدين يقبلون تلفيق هذه المنظومة وتزويرها باسم مولانا رغم أنها دبجت بلغة تركية مشينة رديئة . وإذا ضربنا صفحا عن التفكير مليا فى عدم استخدامه قط لمخالص : رومى ومونلاى رومى ومولانا ، فإنهم لم يفكروا ولم يمعنوا النظر فى تلك اللغات التركية التى لا وجود لها فى ملمعاته التى دبجها ، ولا حاجة بنا

إلى القول بأن ألفاظ : حمار وخزير وطمع الموجودة فى البت الثامن من هذه المنظومة لا تعنى إلا الخلفاء الثلاثة الأولين الراشدين(٥٩) ، وبسبب هذا الاعتقاد فقد ورد بيت فى المثنوى يقول :

يا على المرتضى ، أمط اللثام عن القضاء والقدر الحسن والجميل

والذى يأتى عقب القضاء والقدر المشين

ويكون معنى القضاء والقدر اللذين مر ذكرهما فى هذا البيت هوالخلفاء الثلاثة الأولون ، حتى أنه يوجد من يؤولون بأن عليا هو القضاء والقدر الجميلان ، ويرى هؤلاء أن عبارة « جاريار باصفاء » التى مرت فى الدعاء بخاتمة شعيرة اللف والدوران مقترنة بدعاء مقام المشيخة ما هى إلا ضرب من التقية ، والمقصود من الأحبة الأربعة هم الذين اتبعوا سبيل على ، ولم يبايعوا أبا بكر الصديق .

أما ما يفهم من قول الأمامية « الأركان الأربعة » أو العمد الأربعة فهم سلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والمقداد وعمار بن ياسر(٦٠) .

أما عبد الواحد جلبى وهو من الشلبية المتأخرين (١٩٠٧ م) فلقد كان موغلا فى العلوية راكبا متن الشطط فيها ، وهو من المولوية المشهورين بهذه الخليقة التى جبل عليها ، كما كان انتسابه إلى البكتاشية فى تلك الحقبة عينها ثم أخذه الخلافة من البكتاشية وانخراط كثير من شيوخ المتصوفة فى البكتاشية مقتدين به ومتبعين سبيله ، ثم كان ذهاب شيوخ البكتاشية إلى صومعة مولانا ، وكانت مراسلات عبد الواحد مع حاجى بكتاش .

وخلاصة القول أن اتحاد وتآلف المولوية مع البكتاشية جعلها تصطبغ بصبغة ذات قوة عظيمة وكان هذا بمثابة نذير شر هيأ أساسا متينا لتهافت الصحفيين ووجل القصر من هذا التآلف والتحالف وجلا شديدا .

ولقد تناهى إلى سمعنا أن عبد الواحد جلبى غادر مدينة قونية بغية زيارة حاجى بكتاش وبينما كان فى طريقه مر ببلدة تهران ، وإذا بأحد الصحفيين يسرع بإرسال برقية فحواها أن عبد الواحد قد ذهب إلى حاجى بكتاشى عن طريق إيران من أجل

نشر وإذاعة المذهب الشيعي بين ظهراني المولوية ، أما كلمة تهران الوردة في البرقية فإنها تذكر القصر بأنها عاصمة الحكومة الإيرانية وأصاب القصر اضطراب عظيم وهلع كبير وأرسلت قوة والى قونية لتأمين سائر المقاطعات وإجبار عبد الواحد جلبي على الإقامة الجبرية ، أما عبد الواحد جلبي فقد كان ثاويا آنذاك بمنطقة (ايلجيين) فأسرع من فوره إلى رئيس المقاطعة وأيقظه في الحال وبعث به إلى قونية ، وتسلم البرقية بصفة رسمية بعد الفعلة التي فعلها عبد الواحد جلبي ، وبهذه الصورة كان جلبي موجودا وذهب إلى قونية ناهيك عن أنه صار لا قبل له بالتحرك من هنالك إلى أي موضع ألبتة .

عثر بين الأوراق الرسمية المعروضة في أرشيف قصر يلديز على رسالة مكتوبة إلى كبير مساعدي السلطان درويش باشا ، ومختومة بخاتم علي سروري والي قونية ، وها نحن أولاء ننشرها كاملة بنصها :

« إلى حضرة درويش باشا المساعدة الأكرم لحضرة السلطان صاحب السعادة:

إن الشرف الوارد إلينا والمؤرخ بتاريخ ٢٠ ذي الحجة لسنة ١٣٠٦ هـ ، والذي حرره حلمي أفندي صاحب المقام العالي يحيطنا خبرا بدخول الشلبية إلى المذهب العلوي ، وأقسموا الأيمان على اتفاقاتهم رغم العهود والمواثيق التي أخذوها على من دخلوا في هذا المذهب العلوي ، حيث وقعت بعد ذلك حوادث شتى بين ظهراني الخلائق ، وإذا كنت صورة الوضع الحالي صحيحة بموجب هذا البيان العالي ، فإنه يتوجب أن توجد معلومات تامة في هذا البيان بشأن عبيدك ، وأيما كان السبب عن حقائق الأحوال ، فقد بودر إلى كيفية عرض الحقائق على الوجه الآتي وبصورة مفصلة بأمر من إشعار الإرادة السلطانية ونفاذ أمرها : لا جرم أن عبد الواحد جلبي المشار إليه قد انهمك بسبب الجهل في الشراب ، وانغمس في الملذات وكل ضروب الفسق والفجور حتى إنه أُدخل في مذهب الشيعة الباطنة منذ نعومة أظفاره ، وقتله غلاة البكتاشية بالسم ، ووسع من دائرة طريق الغولية والضلال متوسلا في هذا آية بقوة تبوئه لمقام التكية المولوية ، باذلاً جهده في تكثير أفرادها وكان من الضروري اضطرار ثلاثين أو أربعين من الشيوخ الشلبين إلى الخضوع له والخنوع لأمره ، وأخذ

إلى دائرة الاتفاق فى الضلال خمسة أو عشرة أشخاص من سائر الجهلة والفاسقين ، فانقادوا له وأذعنوا لأمره وأخذ عليهم المواثيق والأيمان المغلظة والطلاق[٦١] بالثلاثة على كل أمر يجريه عليهم مهما يكن شأن هذا الأمر وختم المعاهدة بأمر صادر منه ، واستحدث إجراءات باطلة للأصول المرعية لطقوس وشعائر المجتمع وفعل كل هذا باسم السلطان ، ويقدم أوراداً وأذكارا مخصوصة للمعاندين من مردة الغواية والضلالة[٦٢] كما أنه علم الأرواح المقدسة السباب والشتائم بصورة لا يستطيع أن يتجرأ بها لسان الزنادقة ، كما كان يدعو مفتى قونية وعلماءها على مائدة إفطار رمضان الشريف ويجهر بسب ولعن الذكور والإناث كبيرهم وصغيرهم .

ولقد اضطلعت أنا العاجز الضعيف بدعوته إلى طريق الشريعة والحقيقة ، واتخذت إجراءات التهديد والتنبيه والتحذير بشأن إقلاع عقول أهل الجهل عن الفساد ،

بيد أنه لم يقبل الإصلاح ، بل كان على خلاف ذلك إذ سلك طريق الضلال المغاير للعقيدة الإسلامية ، وأصبح خطرا ، ولم يتأثر كذلك بنصائح واقعة عبيدى فياظل القدرة وحضرة مسند الخلافة فإننى إن كنت عملت بشتى السبل من أجل عدم تهيئة الفرصة لترويج الأعمال الباطلة للمشار إليه ، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال إهمال هذا الوضع عاجلاً أو آجلاً ، فالأمر والنهى لمن له الأمر ، ٢٩ سؤال سنة ١٤٠٧ هـ - ٥ يونيو ١٩٠٦ م ، وإلى قونية : على سرورى . وقد استشاط عبد الواحد جلبى غضبا وتميز غيظا بسبب هذا التقرير ، وما لبث أن أرسل خطابا إلى درويش باشا دافع فيه عن نفسه داحضا التهم الواردة فى خطاب على سرورى ، وبذل جهده فى اصطناع التقية ويتجلى هذا فى إخفاء عقيدته الدينية ، وإظهار نفسه على أنه صاحب عقيدة جد متباينة ، ويرجع هذا فى المقام الأول إلى شيوع رواية صحيحة ذائعة بين ظهرانى المولوية تقول بأنه كان بكتاشيا ، رغم أنه لم يكن محبالهم أو منتسبا إليهم ، ومن ثم فإنه شيخ صوفى مرخص له من هذه الطريقة . كان عبد الواحد جلبى يغشى مجالس المقهى الموجودة فى منطقة « جوزتبه Goztepo » وكان يوجد فى ذلك الإبان « توفيق دده » منشد المدائح النبوية والذى كان يقضى فترة العبادة والزهادة فى صومعته ، وقد تلقى عبد الواحد نصيبه من الفيوضات فى إزمير على يد الشيخ روحى بك بابا الإزميرى[٦٣] ، ثم تلقاها بعد ذلك على يد محمد حلمى دده الذى تبوأ مقام المشيخة

الصوفية الصومعة البكتاشية الكائنة فى حى « مرديوان كولى » بإستانبول ، وبعد أن حصل على شهادة الخلافة والمشيخة من الشيخ حلمى دده ، دار الحديث حول إحضاره إلى قونية عن طريق الشيخ أحمد الذى كان شيخا على الصومعة ذاتها. ثم انتسب بعد ذلك أستاذنا المرحوم « ناى زن توفيق » إلى طريقته البكتاشية ، ويحيطنا علما بأبوته ، ويخبرنا كذلك عن دخول ولده عبد الحليم جلبى فى الطريقة البكتاشية وانخراطه فيها . وقد رأينا الشيخ عبد الواحد جلبى الذى أحدث الورد الذى يقول « ناد عليًا ، وذلك من خلال رؤية » رسوخى بيقرة « بن المرحوم الشيخ عبد الباقى ثم تحدث إلينا بعد ذلك ، وقد نفى عبد الواحد جلبى مدة طويلة وظل فى هذا التوتر النفسى وتنغيص العيش بين أنحاء إستانبول بسبب مقام الولاية . وفى اليوم الثانى من شهر المحرم لسنة ١٣١٦ هـ أجبر على الاستقالة بسبب عداوة الوالى . وتخلى عن التدخل فى شئون الرواتب وذلك فى الخطاب الذى كتبه إلى الشيخ عثمان « صلاح الدين دده » شيخ الطريقة المولوية فى « ينى قابى » ، وفى صباح يوم السبت الموافق للعشرين من شهر المحرم لسنة ١٣١٦ هـ أمر شيخ الإسلام بنقل محل إقامة عبد الواحد جلبى إلى ولاية « أدين » .

ووجد فى ذلك تصرفا مناسبا ، ثم أبرق برقية واحدة فى هذا السبيل إلى رئاسة الكتبة والصدر الأعظم ، ولما كان اليوم التالى هو عيد ميلاد السلطان أسرع عبد الواحد جلبى بكتابة رد يدورحول التعب والمشقة اللذين يكابدهما وكأن رسالته تلك كانت بمثابة رد على تذكرة الدعوة الآتية له من الولاية ، وعليه فلم ينضم إلى الاحتفال ، ثم بعث برقية تهنئة إلى دائرة رئاسة الكتبة ووقعها بهذه العبارة « القائم على مقام مشيخة حضرة مولانا السابق « ويروى أنه قد عثر على كتابة تقول « إلى حضرة جلبى أفندى » موجودة فوق الخطاب الذى أرسله للرد والإجابة . ووفق ما سمعنا فإنه قد ورد فى البرقية التى أبرق بها عبد الواحد جلبى إلى الدائرة السلطانية عبارة تقول فحواها : « نحن موجودون فى حجرة المحلة مع سائر العائلة المولوية بمقتضى الأمر السلطانى « (تكية المولوية فى ينى قابى . ص ٢٨٢) . بيد أن القصر الخائف من هذه الاستقالة ومن اعتزم الهجرة لم يقبل الاستقالة مستمسكا بإدارة المصلحة على الوجه الصحيح . كانت هناك طائفة من غلاة المولوية وأصحاب

الفكر المتطرف يقولون بأن عليا هو الله ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان هناك دون شك من هو مستمسك كذلك بالمذهب السنى بحذافيره وظل رازحا تحت تأثير رد الفعل الذى ظهر ضد هؤلاء الإخوان الذين اعتنوا عناية فائقة بالعقائد المتباينة الأخرى ، حتى أنه ظهر كذلك مولوية من ذوى التعصب الديني ، وكان يوجد كذلك الشيخ عزمى أفندى شيخ التكية المولوية فى مصر ووالد المرحوم الشيخ « أحمد جلال الدين بيقرة » آخر شيخ على التكية المولوية فى « قول قابى » . واضطلع الشيخ عزمى ببحث مسألة الخلافة فى رسالته التركية المسماة « رفع الشقاق » ويقول فى هذا الصدد : « إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى دون تعيين خليفة حتى أن عليا لم يكن يعرف أمور السياسة وتدبير شئون الحكم إبان خلافته ، ومن ثم فقد نصف الأرض التى كانت تحت يده ، كما ذهب النصف الآخر من يدولده بسبب الإهمال والتقصير فى السياسة وتدبيرالأمور ، ولو أن عليا صار خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لاضمحلت الحكومة الإسلامية وأصابها الدثور والتفرق والشتات » (٦٤) .

كما أن عزمى أفندى يقول بأن تكوين الشيعة عند الإيرانيين قد تنشأ بسبب زواج الإمام الحسين من ابنة آخر حكام الساسانيين ويدعى « يزدجر » ، ويكرر اقتناعه بأن منح الإمارة كان تحت تأثير القومية أكثر من الديانة وكانت مأخوذة من فاطمة إبان عصر أبى بكر الصديق ، ثم هى معطاة إلى أولاد على مرة ثانية فى عهد عمر بن الخطاب ، ثم استحوذ عليها عثمان تارة أخرى ، وامتلكها مروان ، ثم تجلى الظلم الذى وقع على فاطمة فى مسألة « أيكة نخيل فدك » وخلاصة القول فإنه لا يقال رضى الله عنك لمعاوية ، ومع هذا فإنه يتغاضى عن ذكر اسم والى الشام ، ويقول فى شأن موقعتى الجمل وصفين : إن عدم حصر السبب فى طرف بعينه يوجب المحاكمة ، ولكنه يتحدث عن وقائع المهدى المنتظر بكلام جد ضعيف .

وها هو يكرر الأشياء بعينها فى رسالته المسماة « دفع النفاق » ويرى أن عليا مقصر ، وعلى حين كان من الممكن توقيع الإمام الحسين لمعاهدة تتعلق بعدم التدخل فى السلطنة ، فإنه لم يضطلع بهذا الأمر ، ويبين جهله التاريخى منتقدا تحركه صوب الكوفة ، ثم يتصدى عزمى للدفاع عن يزيد بن معاوية بعد بضعة قرون ويميط اللثام عن عقيدته .

بهذا الحكم الذى يقول فيه « لقد أمر الله بالاستعاذة من إبليس المطرود من رحمة البارئ ، ولم يأمر بسبه ولعنه ، وإذا قارنا بين هذا وبين جرأة البعض على تكفير طائفة من أهل القبلة السابقين فى صدر الإسلام فإنه يتوجب الحذر من تجاوز حد الأدب ، وغنى عن البيان أن يكون الأولى حينئذ قضاء مدة العمر فى الدار الفانية عن طريق تصفية القلب وتزكية النفس » .

وخلاصة القول أن عزمى أفندى هو معلم سوف يقبله من جبهته دهشة وإعجابا كل أولئك الذين يرتبطون ارتباطا وثيق العرى بمعاوية والذين لا يتفوهون بكلام عن يزيد بن معاوية . أما المتعصبون من المولوية فهم على آسال من العلويين ، إذ اندفعوا بصنيعهم هذا إلى أقصى درجة ممكنة .

أما ما قصة مولانا فى البيت الأول من حكاية « معاوية مع الشيطان » والواردة فى الجزء الثانى من المثنوى فلم تكن مؤيدة لمعاوية قط ، وهم يحرفون معنى هذا البيت ويسوقونه على هذه الشاكلة .

يروون أن معاوية خال المؤمنين : ينام داخل قصر فى فراش . وهم فى عناوين هذه الحكاية يداهنون ويتملقون أخوالهم ، ويكتبون عبارة « رضى الله عنه » بعد ذكر اسم معاوية ، وإذا تجاوزنا عن أن مولانا لا يتأتى له التردى فى هوة المكابدة والمعاناة بمثل هذه الأشياء ، فإن كلمة « Bester » مذكورة هاهنا على أنها اسم لمكان ما ، ولا تأتى بمعنى « كلشن ستان أو خوارستان » ، ولا تأتى كذلك بمعنى « بستر ستان » ، كما أن شخصا مثل مولانا كان من أرفع أساتذة اللغة الفارسية شأنا حتى أنه أنشأ لغة أدبية فارسية رفيعة بعد أن كانت قبل ذلك زاخرة بألفاظ مغولية وتركية مع قدوم الغزو المغولى ولا سبيل إلى التفوه بكلمة أخرى فى هذا السياق .

هذا وقد اضطلع رجل يسمى عثمان بكتابة النسخ المنسوبة إلى سلطان ولد والتى كانت بمثابة الأساس الذى عولنا عليه فى ترجمتنا للمسنوى ، وإذاما قارنا بين هذه النسخ والنسخة الموجودة فى متحف قونية والمكتوبة بعد وفاة مولانا بخمس سنين وجدنا البيت فى النسخة المصححة والتى قرأها جلبى حسام الدين فى حضور سلطان ولد حيث جاء على هذا النحو متضمنا مايأتى :

در خـــبـــر آمـــدكـــه أون مـــعـــاوية

خـــفـــتـــه بر در قـــصـــر اندر زاوية

والمعنى :

يُـروى خـــبـــر يقـــول إن مـــعـــاويـة

كـــان ينام فى قـــصـــر أســـفل زاويـة

هذا ورغم عدم وجود جملة « فليرض الله عنه » مقرونة باسم معاوية فى أى من العناوين الواردة فى هذه الحكاية فإن من قبيل المستغرب أن رسوخي الأنقروى الذى اضطلع بدور عظيم فى شرح المثنوى يدرك بضرورة الرجوع إلى النسخة الصحيحة من المثنوى ، واتخذ من النسخة الخاطئة التى بين يديه أساسا يحتذى ، وقد أدركنا كذلك أننا لا قبل لنا بالتفوه بكلام صعب عسير لا يتسنى لنا كتابته وذلك ردا على عبد الواحد جلبى الذى قال بأن مولانا تفوه قائلاً بأن معاوية هو خال المسلمين .

إن النزعة العلوية التى عند المولوية وكذلك التعصب الدينى الذى يناقض هذه النزعة ويناهضها هما ضربان من التعصب لم يكن لهما وجود عند مولانا ، وهذا إفراط وتفريط ، فهذان لونان من النشوة والسرور موجودان عند المولوية ، أو هما كما قلنا آنفا نتيجة متمخضة عن الشعور بالنشوة والسعادة أو عدم الشعور بكليهما معا .

فالعلويون هم أولئك الذين يعتبرون أنفسهم فرعا لطريقة شمس ، ويندرج بين ثناياهم أولئك الذين يصرفون همتهم إلى عشق وحب أهل البيت على سبيل المعرفة والإدراك الروحى ، وبسبب هذا العشق فإنهم يبسطون ألسنتهم بالسوء إلى هذا وذاك ، كما أنهم غواصون فى لجة الجهل إلى الحد الذى يجعلهم ينسبون إلى مولانا سفاسف القول وهراء الكلام ، وثمة طائفة أخرى من ذوى التعصب الدينى تصدينا للبحث فى شئونهم فى الجزء السابع من المثنوى والديوان الصغير ، كما يوجد كذلك

كثير من طلبة المدارس الدينية ممن نترحم على أرواحهم ، بيد أنهم يناقضون هذا التعصب الديني ويناهضونه ، ونحن مضطرون في خاتمة هذا البحث إلى تكرار ما يأتي : إن ثمة طائفة من المولوية أوغلوا كثيرا وركبوا متن الشطط بسبب عشق على وأهل البيت ، أما المناهضون لهم والبقية الباقية التي جاءت في عقبهم من المولوية فقد ظلوا بدورهم بعيدين كل البعد عن ثقافة مولانا واستكناه معرفته الروحية .

الهوامش

(١) ولأجل فهم هذا القسم جيدا ، اقرأ « الجزء الأول من كتاب مولانا جلال الدين للمؤلف ، ولا سيما الفقرة المعنونة بعنوان « صوفية شمس فى أى قسم يكونون ؟ ص ٥٩ - ٦٦ . واقرأ كذلك الأبحاث الواردة فى القسمين الثانى والثالث بعنوان التصوف والإصلاح عند مولانا.

(٢) مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة . مطبعة انقلاب سنة ١٩٥٩ م ، ص ١٦٨ وما بعدها .

(٣) انظر مولانا جلال الدين – الطبعة الثانية ، ص ٢٣٢ .

(٤) ولدينا نسخة من رسالة عبد الرحمن العسكرى الذى ينتسب إلى بير عليه آق سراى (ت ١٥٣٨ م ٩٤٤ - ٩٤٥ هـ) والد أوغلان شيخ إسماعيل معشوقى (ت ١٥٣٩) من أتباع الطريقة البرامية الملامية ، وتتضمن هذه الرسالة مقطوعات منظومة فى مواضع متباينة منها ، ونسخة هذه الرسالة هى إحدى المصادر الرئيسية لكتاب « ثمرات الفؤاد » لصاحبه « صارى عبد الله » وهى مسجلة تحت رقم ٢٠٣ ضمن كتب مهرشاة سلطان بمكتبة خسرو باشا بمنطقة أيوب ، وهذا اقتباس من الكلام الصوفى لصاحبها ، وغلانلر شيخ إبراهيم ، وورد ذكره فى رسالة « صحبت نامه » فى النسخة الموجودة لدينا ونصه « جاء صوت ذكر الله من القلب ، وهو موجود فى مراسم وطقوس البرزخية ، و هو الذكر المراد ، وينشغل الحاضرون بالاستماع إليه » . هذا من كلام تصوف أوغلانلر شيخ إبراهيم (ت ١٦٥٤ – ١٦٥٥ م – ١٠٦٥ هـ) صحبت نامه : النسخة الموجودة لدينا) .

(٥) بلنحج Palheng وبله خنج palaheng ، تأتيان بمعنى حبل ووهق ومنطقة ، وتأتى فى هذا السياق بمعنى القيد المصرع من الكتان أو الصوف الذى يربط به أهل الفتوة خصورهم أما كلمة الشد فمعناها . الارتباط بسبع خصال ، ثم انفتاح هذه الخصال بعد ذلك ، وثمة مشاعر مشتركة فى كل رسائل الفتوة . انظر : عبد الباقى جلنبارلى الفتوه فى الممالك التركية والإسلامية ، تنظيمها ومصادرها : جامعة إستانبول – مجلة كلية الاقتصاد ، جـ ١١ ، عدد : ١ – ٤ ، إستانبول – مطبعة إسماعيل آق كون سنة ١٩٥٢ ص ٣ – ٤٥٤ ، وانظر صحائف : ٣٨ – ٥٧ – ٧٠ – ٧١ – ٨٣ – ٨٥ على وجه الخصوص .

(٦) كفته موزون مولانا جلال ∴ ازبراى اين بوداى أهل حال

روتو كل كن ملرزان باوبست ∴ . زرق توير توذى توعا شقنرست

ويفهم من هذا البيت أن مؤلف الكتاب يقول إن مولانا جلال الدين لا يذكر فى كل شعره بمولانا ، بل يستخدم مخالص مثل : جلال وروحى ، وهو يتذكر ويذكر بألفاظ فى حق توكل مولانا ، وثمة معلومات مفصلة فى شأن التوكل موجودة فى الجزء الأول من المثنوى وذلك فى حكاية الأسد والأرنب ومن المحتمل أن يوجد فى عاشقنامه بضعة أبيات لمولانا تتصل بالتوكل بعد هذه الأبيات .

(٧) أحمد دده هذا مدفون فى الجهة الخلفية للمقبرة الكائنة بالجبانة الموجودة خارج المقبرة المسماة « حديقة الأرواح ، ويوجد على شاهد القبر قلنسوة ذات عمامة مكونة من أربع طيات ملتوية ، وها هو ذا النقش المكتوب عليها : طرا بوذاته شيخ أحمد - ١١٩١ - سنة - يا هو . أما التاريخ واسم الرسالة اللذين ورد ذكرهما فى كتاب المؤلفون العثمانيون » فهو خطأ (حـ ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥) .

(٨) طبع تعريف السلوك سنة ١٢٧٦ هـ وشرحة (خيرى) وهو أحمد مريدى الشيخ نظيف .

(٩) توجد هذه الرسالة بمكتبة متحف قونية تحت رقم ٢٨ ، de ٣ رقم ٢١٠١ ، وثمة نسخة أخرى مدونة بمكتبه حالت افندى برقم De ٣٥١ .

(١٠) مصر بولاق - ١٢٥٦ هـ - ص ٣ - ٧٦ .

(١١) الوجد (extase) وهو حالة شعورية تتمخض عن الشعور الإلهى ، ويتحلى هذا بأشياء مثل السماع والرعشة والقشعريرة والصياح وتمزيق الثياب ، وإذا لم يكن الصوفى صاحبنا لهذا الشعور وتظاهر بأحوال الوجد فإنه يسمى حينئذ تواجد ، ويرى التواجد جيدا من أجل الوصول إلى الوجد الصوفى والتواجد هو حال كائنة فى معرفة وعلم الصوفى ، أما الوجد فيكون فى مراتب الرؤية والإدراك الوعى ، أما من يبلغ مرتبة النضج والكمال فيعبر عنه بكلمة « وجود » .

(١٢) أقول إن أكثر الآداب فى طريقتنا من حضرة شمس الدين تبريزى نورنا الله بأنوار فيوضاته ، ومن حضرة السيد سردار محقق الترمذى قدسنا الله بأسراره ، وكلاهما قد أخذاه عن الكبروية والهمدانية وأخذه سلطان ولد عن خضرة شمس ومن والده جمعا وفردا (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات العربية رقم ٣٤٠٨ ، A ٧) .

(١٣) لأن الكبروية والهمدانية المشهورين برجال خراسان والخواجكان قُدس أسرارهم فأخذوها عن طريق أخر ينتهى إلى كميل بن الزياد ومنه إلى على كرم الله وجهه والى الأئمة المعصومين (٧ - A - B) .

(١٤) انبثق هذا الرأى من الرواية التى وردت فى شأن سلطان العلماء أحمد غزالى ، والذى كان يتلقى الفيوضات الإلهية فى معية أبى بكر النساج ، وكذلك ما ورد فى حق خواكاندان يوسف همدانى (ت ١١٣٩ - ١١٤٠ هـ) قبيل ظهور النقشية . أما الطريقة الهمدانية التى يقول عنها الشيخ غالب فليست هى الطريقة المنسوبة إلى عالى ميرسيد على همدانى المتوفى فى كشمير سنة ١٣٨٤ هـ ، والمدفون فى خوتلنه ومؤلف هذه الرسالة المسماة « أسرار النقطة » ، وشارح فصوص الحكم والقصيدة الخمرية .

(١٥) انظر : مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة : ص ١٤٠ - ١٥٢ .

(١٦) انظر فى هذا الصدد : مقالنا المنشور بمجلة كلية الاقتصاد ، جـ ١١ ، عدد ١ - ٤ ، إستانبول ١٩٥٢ م ، وخاصة ص ١١ - ٢٦ ، وص ١٠٣ - ١١٤ ، ويتضمن هذا المقال معلومات بشأن الفتوة لشهاب الدين السهروردى وكذلك كتب الفتوة الأخرى والمسائل التى نحن بصدد البحث فيها .

(١٧) انظر ملاحظة رقم ٤ فى هذا القسم .

(١٨) نسخة مجهولة مكان وتاريخ الطبع .

(١٩) لاليزاده سيد عبد الباقى : حكاية الملامية . ص ٣٩ - ١٥٩ .

(٢٠) انظر : ما ورد فى حق معروف الكرخى فى كتب رجال الشيعة الإمامية ، ولاسيما الكتب التى جمعت النقد والتحليل مثل كتاب : تنقيح المقال للحاج الشيخ عبد الله المناقانى ، ج ٣ ، مادة معروف الكرخى (النجف - المطبعة المرتضية ١٣٥٢ هـ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩) .

(٢١) للوقوف على الذهبية انظر : الرسالة الفارسية المسماة « جواهر الكلام ومفتاح المرام التي دبجها أقا برديز سالماسي رأس الذهبية فى أذ ربيجان (تبريز سنة ١٣٣٥ هـ - صحيفة صغيرة ، ص ١٨٦) هذا ورغم أنه كتاب دعاية غيرعلمي برمته ، فانظر « مقالات الحنفاء في مقامات شمس العرفا ، أورند كان شمس العرفا » الذى وضعه « سيدعبد الحجة بلاغي » وذلك لأجل الوقوف على الطرق الكائنة فى إيران ، وكذلك بعض المصطلحات الصوفية العامة المتعلقة بالتيار الصوفى (١٣٦٩ هـ - تهران - مطبعة مظاهرى - صحيفة ٢٩٢) .

(٢٢) هو كتاب غير مطبوع لسيد سليمان البلخى (ت ١٨٧٧ م) والد سيد عبد القادر البلخى القطب الحمزى ، وقد اقتبس سيد سليمان هذه الأحاديث من مسودة كتاب (غبطة الآمال ، وهو بخط اليد ، كما اقتبس كذلك من كتاب « قرب الإسناء » لصاحبه قوليا الكافى (ت ٩٢٩ هـ) ابن بانويه الكومي (ت ١٩٩١ هـ) ، وكذلك من « كتاب الفصول التامه » لسيد مرتضى (القرن الثانى عشر الهجرى) .

(٢٣) هو كتاب « بحار الأنوار » لصاحبه « مجليسى » (ت ١٦٩٩م) ، ثم اضطلع الشيخ عباس كوفى بتلخيصه فى جزئين اثنين . انظر « سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار » النجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ - جـ ٢ ، ص ٥٨ - ٦٤) .

(٢٤) النظير فى علم الفك ، ويسمى كذلك « نظير السمت » ويعرف فى التركية باسم Ayakucu .

(٢٥) وثمة شعر مبارك موجود فوق مؤخرة التاج المخيط ، ويمتد هذا الشعر تحت التاج مقدار قبضة واحدة . (أوتمان بابا : ولايت نامه سى) النسخة التى أرسلها إلى مدير المكتبات المرحوم حسن فهمى ونسختها بصفة خاصة من النسخة الكائنة بين كتب حاجي بكتاش ، ص ٤٥ ويعد كتاب ولايتنامه ذا قيمة علمية قيمة إذ يضم بين دفتيه شرحا وتفصيلا للحالة الاجتماعية والدينية لمنطقة الروملي على الخصوص ، والأناضول إبان عصر الفاتح ، وكتبه أوثمان بابا كوجوك أبدال المتوفى فى الثامن من شهر رجب لسنة ٨٨٣ هـ - ١١ أكتوبر ١٤٧٨ سم ، وهاهى ذى أبيات نظمها أجرى بوزلو فى كتابه « رسالة الفصيلة يقول فيها ما ترجمته :

عندما هاجر فى سنة ثمانمائة وثمانين ∴ وارتحل هذا السلطان من لحظة الفناء
وكان اسم هذا السلطان هو حسام ∴ وكان بعض الناس يقولون عنه إنه جانى بابا
هو ذو كسوة معلمة بالسبع المثانى ∴ وحل محله القطب إبراهيم الثانى
فافنهم هذا من هجرة الرسول ∴ وظهر هذا فى سنه تسعمائة وواحد
هو الآن فى العالم قطب الروح ∴ واسمه القطب سلطان أق يازيلى

ويفهم من هذه الأبيات أنه يشبه أوتمان بابا وأن أق يازيلى يحتفل به البكتاشية ، كما يؤكد أوتمان بابا وحدة الدراويش الصوفية (استانبول - مطبعة جبهان ١٣٢٧ - طبعة أحمد خضر ، ص ٨٣) .

(٢٦) الجزء الأول ، ص ١٣٤ . اقتبست هذه الجملة ملاحظات بعينها واردة فى ترجمة السيرة الذاتية لبير عادل جلبى ، وقد كررنا هذه الفكرة إبان شرحنا لسلسلة المولوية معتمدين فى ذلك على السفينة ومغولين عليها .

(٢٧) وأما الترهات الدائرة بين الجهال مثل الفرق بين الشمسية والمولوية فلا أصل لها قطعا كما صرح فى المناقب والمثنويات لولدى ، وأن سلطان ول قد أخذ الطريق من حضرة شمس ابتداء

دون أمـر من والده ، ثم أخذ عن والـده ، فكيف يتصور أن يـكون طريق الولـدى على خلاف الشمسى ، لكن المسالك والأطـوار كـثيرة كمـا قلنا غيـر مرة (مـكتبة جـامعة استانبول – المخطوطات العربية ، ٣٤٠ ، ٨٠٧) .

(٢٨) ليكن معلوما أن فقراء المولوية ومن تبعهم هـم عبارة عن جميع الشعراء وهم على هذين المذهبين : الأول هم طائفة جالاق التابعون لسر سرزده منبع الحقائق الذى يتأتى من الجلية والجدال ، وشرب مجلسه طهور ، وولولة عشقه دون نهاية ، وأما الآخرون منهم المدركون الفطنون لأحوال القلب ولطائف الحقائق وطريق العشق كله ، وليكن له التمكين لكتاب ماء الحياة من سبيل الأدب والمسلك الأول ، أما المسلك الثانى فهو الذى يعكس السر القادر للديوان الشريف لحضرة الشيخ قدس الله سره ، فهو مقتبس من المثنوى الذى يحتوى على المعرفة ، ثانيهما : فإنى ظاهر جلبى وضياء شمس الحقائق (فى الترجمة الذاتية لصبوحى أحمد دده) ويرى أسرار دده أن صبوحى هو من الذين اقتبسوا الأنوار من حضرة مونلا الملقب بديوان الحقائق قدس سره الأسنى .

(٢٩) ترى بعض المذاهب الفقهية أن الصلاة مكروهة عند شروق الشمس وعند غروبها ، وفى أوقات زوالها ، ويسمون هذه الأوقات أوقات الكراهية ، وعندما تغرب الشمس يبدأ مدمنو المسكرات فى شربها ، ثم يذكرونهم بوقت الكراهية ووقت الشراب .

(٣٠) rintlik أو الأبيقورية Epicur eayism : هى مذهب الفيلسوف الإغريقى أبيقور الذى قال بأن المتعة هى الخير الأسمى وكذلك الانغماس فى الملذات الحسية (المترجم) .

(٣١) Belaban : هى آلة عزف يترنم بها بواسطة اليد والشفة كليهما (غيات اللغات – الطبعة الهندية ، سنة ١٨٢٠ م ص : ٧١) ويحتمل أن تكون هذه الآلة وفق هذا التعريف شبيهة بالناى والمزمار والفلوت .

(٣٢) يوجد هذا فى سطور النسخة المدونة برقم ٢٤٠٦ والمحفوظة بين المخطوطات التركية بجامعة إستانبول وقد كتب على هامش إحدى أوراقها هذه العبارة « وصف مولوى » (B ٣٢١) .

(٣٣) النسخة المخطوطة بخط يده المخطوطات التركية بجامعة إستانبول رقم ١٧٣٧ ، B ١٦٩) .

(٣٤) اقرأ القسم الذى يحمل عنوان « حكاية » فى ترجمة السيرة الذاتية الواردة فى تذكرة سالم – مطبعة إقدام ، سنة ١٣١٤ هـ – ص ٥٣٤ – ٥٤١ .

(٣٥) هذا هو الصراع الأول لإحدى غزليات الشاعر المولوى وهى المتوفى فى مصر بسنة ١٧٧٠م .

(٣٦) قائلا : لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣٧) الصوماط : هو منضدة طويلة يوضع فوقها الطعام وتستخدم فى محافل الصوفية على الخصوص .

(٣٨) هـذا الشـخص والصـوفى عـبد الجميل جلبى أحد أتباع علاء الدين جلبى ، وأحد أحفاد صلاح الدين أمير زاهد بن شمس الدين بن أمير عابد بن سلطان ولد ، ويحتمل أن يكون هو الدرويش حسام وهو على هذا القياس ليس الشلبية (السفينة جـ ١ ، ص ٢١٠ – ٢١١ ، جـ٣ ، ص ١٩ – ٢٠ ، وص ٢٠٩) .

(٣٩) أى كبوترى بريام برى   مينو يسم ازخون دل آنجه برى

المعنى :

أيا حمامة إذا انتقلت وطرت من فوق سطح قصر هذه الحورية

فـقـد كنت بدم القلب خطابا ، فـعـجلى وأحـضـريه إلى هنا

(٤٠) لا نتفق مع الجامى فى هذه الرؤية الواسعة بأى وجه من الوجوه على الرغم أنه فى شعره كان مثل حافظ الشيرازى مستمسكا بالأداء الثمل المسكر فى شعره ، فإنه كان موغلا فى التعصب ، ويفصح عن هذا بأداء قوى فى منظومته « سلامان وأبسال » (انظر . سلامان وأبسال ، كلاسيكيات المعارف والشرق والإسلام ، عدد ٧ - ترجمة عبد الوهاب ترزى ، إستانبول ١٩٤٤ م ، صـ ٧ ، أبيات ٧٣ - ٨٠) وورد فى نفحات الأنس أنه لم يتخذ وليا قط ينتسب إلى الشيعة الإمامية ، حتى أنه يكذب على الشيعة ويها جمها بألسنة حداد ، ومن هذه النظرة فإن من المستحيل قراءة أبيات من المثنوى لتحل محل أيات القرآن ، وإذا كانت هذه الحكاية صادقة فإنها ضرب من الرياء ، وعليه إعادة الصلاة بصورة مطلقة (للتعرف على تعصب الجامى وفـهمه حق الفهم اقرأ : الخطاب الوارد فى المؤلف المسمى « الجامى » وفهمه حق الفهم اقرأ : الخطاب الوارد فى المؤلف المسمى « الجامى » لمؤلفيه المرحوم : العلامة محمد القزوينى وعلى أصغر حكمت ، تهران ١٣٢٠ هـ ، ص ٣٣٥ - ٤٠٧) .

(٤١) هو طائر ذيال شبيه بالحجل (المترجم) .

(٤٢) جامعة إستانبول : المخطوطات التركية . B ٣٤٠٦ ، ١٣٢ .

(٤٣) إستانبول : مطبعة إقدام سنة ١٣١٤ هـ ، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ .

(٤٤) اكرجه بن عفان وعمر هريو ولى بوند ∴ ولى كر منصف البت ولى ديكر على ديكر

مبانين تفاوت تكته بشينوازاين مصراع ∴ تجلى ولى ديكر تحلى ديكر (ص ١٣٣)

(٤٥) انظر المراجعات التى تمخضت عن المكاتبات التى جرت بين آية الله العلامة سيد عبد الحسين شرف الدين وشيخ الأزهر الشيخ سليم . ولسوف نرى فى هذا الكتاب طرق تخريج الحديث ومصادر رواته من الشيعة وأهل السنة ، وقد جاء كل هذا بطريقة مقارنة مع سائر المصادر التاريخية (الطبعة الثانية - بغداد - ١٩٤٦ م ، ص ١٩٧ - ٢٢٢) .

(٤٦) هو الذى شيد تكية المولوية البكتاشية الموجودة فى مكان قصر « جراكان » فى طريق أورطه كوى ، ثم نقلت إلى التكية المشيدة فى « ماجقه » أثنا تشييد القصر . ثم نقلت بعد ذلك إلى بهارية الكائنة على شاطىء نهر « كاغدخانه » وإبان هذا النقل تم إحضار عظام الشيخ نظيف إلى بهارية .

(٤٧) هى سورة الإنسان التى ورد فيها قصة على مع الأسير والمسكين وابن السبيل .

(٤٨) يقول العلويون والبكتاشيون أنه قد ورد ذكر على فى الكتب المقدسة الأربعة ، إذ ورد فى التوراة باسم إليا وتفيد التوراه أن إليا هو اسم نبى قد جذب إلي السماء قبل الموت . انظر ترجمة العهد القديم إستانبول ١٩٠٨ - الملوك الثالث ، الباب ١٧ ، ٢٢ ، صـ ٤٣٢ - ٤٤٢ ، الملوك الرابع باب ١، ٢ ، صـ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، الملوك الرابع ١٢/١ ، صـ ٤٤٣/٤٤٥ . وقد ورد ذكر هذه العقيدة بعينها فى بيت ورد فى إحدى الإلهيات التى نظمها « حافظ بك » المعاصر للشيخ نظيف كان يعمل شيخا للتكية البكتاشية فى منطقة « أيوب قار ياغدى ويقول فى هذا البيت أوقودم اسمكى جونكه بى ريا ∴ دم وداورا ثم سك إليا با على (الدورية التى عندنا) .

والمعنى : قرأت اسمك دون رياء ∴ فأنت ملكى ومدارى يا إليا على

(٤٩) إشارة إلى قوله تعالى « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » سورة الزخرف آية ٣٢.

(٥٠) مردان باوالى بى مرتضى مأمورند ∴ آنان كه جونين نياندار حق دورند

فخرى توبقين دان كه جونين ∴ الله ومحمد وعلى يك نورند

(٥١) انظر على سبيل المثال : شيخ عباس كُمّى : مفاتيح الجنان ، تهران ١٣٥٩ - ص ٦٠ - ٦٢

(٥٢) سورة ياسين : آية رقم ٨٢ .

(٥٣) سورة الرحمن : آية رقم ٢٩ .

(٥٤) سورة الإخلاص : آية رقم ١ .

(٥٥) سورة الحشر : آية رقم ٢٢) .

(٥٦) كتبت هذه الآية خطأ ، فهى ليست العليم ، بل البصير ، وصحتها « ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير سورة الشورى رقم (١١) .

(٥٧) تاصورت بيوندحهان لود على بودد ∴ تانقش زمين بو دوزمان بود

امارضا قولى خان هدايت الذى قدم مختارات من ديوان مولانا سماها « ديوان شمس الحقائق » فقد اقتبس من هذه المنتخبات هذه الغزلية الأخيرة ومستزادا ، وكذلك بعض الأشعار التى لا تمت إلى مولانا بصلة البتة (طبعة تبريز - ١٣٢٣ هـ - ص ١٧٤) ، وللتزود بمعلومات بشأن الأشعار التى لاتخص مولانا ، انظر فى هذا الأثر القيم المتمثل فى الرسالة التى دبجها الأستاذ بديع الزمان فروزان وعنوانها « رسالة فى تحقيق أحوال وحياة مولانا جلال الدين المشهور بالمولوى » تهران : ١٣١٥ - ١٦٨) .

(٥٨) حتى أن هذه المنظومة تدخل بين ثنايا النعوت المولوية (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات التركية - دورية الطقوس والشعائر والنعوت رقم ٣٠٨٤ - ص ٦٧) . وقد اقتبس فضل الله رحمى المنظومتين اللتين تصدينا لبحثهما آنفا ، وقصيدتين أخريين لا تخصان مولانا ، كما اقتبس كذلك تلك المنظومة الموجودة فى روضة الحقيقة (جـ ٢ - ١٣٢٦ - ١٣٢٨ هـ - ص ٣٦ - ٣٨) .

(٥٩) هذا ضرب من الغلو والتطرف لدى قلة من المولوية ذوى النزعة العلوية . وهو كلام غير مقبول (المترجم) .

(٦٠) هم على رضى الله عنه فى إحدى المعارك بقتل أحد المشركين . وحينئذ بصق الكافر فى وجه على . ولما سأله الرجل عن السبب فى عدم قتله قال له على : لقد اغتظت عندما بصقت فى وجهى . ولو كنت قتلتك آنذاك فإن قتالى هذا سوف لا يكون من أجل الله . ولما سمع المشرك هذا الكلام أعلن إسلامه ويفهم بوضوح أن الشرك القبيح الذى فى البيت هو الشرك والكفر . أما القضاء الحسن الجميل هو أن يكون المشرك مسلما . ولأجل فهم الأركان الأربعة انظر : كتب رجال الشيعة الإمامية .

(٦١) لا وجود لما يسمى بالطلاق الثلاثة عند الشيعة الإمامية . ويعنى بهم الجعفرية . والآية القرآنية تقول « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » البقرة آية ٢٢٩ . وتقضى هذه الآية بأن من يطلق زوجته يستطيع إعادتها فى مدة العدة . والشأن كذلك فى المرة الثانية . بيد أنه لا يتسنى له إعادتها بعد طلاقها فى المرة الثالثة . وعلى هذا فإن الذى يقول لزوجته أنت طالق ثلاث مرات فلا اعتبار لقوله ألبتة . حتى أن طلاقه لا يقع بهذه الكلمة . وعلى هذا فليكونوا فداء لعلم درويش باشا القائل لعبد الواحد جلبى أنت الجاهل .

(٦٢) هى التى تسمى ترجمان العلوية والبكتاشية . وتطلق على الأدعية التى يرتلها الشيوخ والدراويش بصوت مرتفع . وجلها منظوم . وهم يبدءون هذه الأدعية باسم شاه (الملك) والذى يأتى عندهم بمعنى اسم على أو سلطان الولاية .

(٦٣) كان يتعيش بالمحاماة . واضطلع بتحقيق شهرة عظيمة فى إزمير . وله أشعار وجدها « روحى بابا » وتوفى سنة ١٨٩٨ .

(٦٤) النسخة الموجودة من الأصل الموجودة فى حوزة أحمد جلال الدين : ٢١ شوال سنة ١٣٥١ هـ . ثم اضطلع محمد أشرف بنسخ هذا الكتاب باسم « بندة مولانابند كان المولوى » وهو الذى سماه عزمى فى هذا الدفتر « التأويلات المهمة » . وهى رسالة تتكون من ثلاث وعشرين صحيفة . أما رسالة « رفع الشقاق » فهى دفتر يقع بين صحائف ٢٧ – ٤٢ . بيد أن رسالة « دفع النفاق » تقع بين صحائف ٤٥ – ٧٩ . وثمة قسم صغير يتضمن فكرا ماسونيا لا دينيا بين صحائف ٨١ – ٩٦ . وهناك رسائل أخرى مسماة باسم « مهم البيان » مكتوبة ضد البكتاشية وهى رسائل بالتركية . ويتضمن كتاب عزمى المسمى « التأويلات المهمة » أشياء مهمة مثل قوله إن الظالم الذى لا يقاسى العقاب فى الدنيا فإنه يورث نسله هذه العقوبة . ثم يوضح الأشياء التى تتوافق مع العصر مثل : تلقين الميت والحيوان الذى يذبح فى عيد الأضحى . ومرور الإنسان على الصراط . وما يؤخذ من الأرض التى يدفن فيها الإنسان . وفى كتابه « رفع الشقاق » يتحدث عن إحدى الجوارى المتخيلات من أحباب أهل البيت إبان عصر هارون الرشيد .

الفصل الثانى

المولوية على مدار التاريخ

(أ) ذيوع المولوية وانتشارها وخمود شهرتها (ب) وماذا حدث بسبب الوقف ؟

يقول مولانا جلال الدين الرومى :

« أقسم بالله أنه كلما كان وعاء المذيق[١] أمام ناظرى ، فإننى لا أفكر فى عمل ألبتة ، ولو التوت أذنى بالموت وبقيت دون مؤنة أو طعام لما بعث الحرية بالرق[٢] .

ولقد كتبنا فى كتاب « مولانا جلال الدين » كيف كان يعيش وكيف التف حوله وأحاطوا به من كل جانب وكيف كان ديدنه وسلوكه تجاه السلاطين والأمراء ، وخلاصة القول فى هذا أنه كان رجلا شعبيا ذا فكر حر منطلق الآفاق[٣] .

أما الذين التفوا وأحاطوا بهذا المفكر العظيم فكانوا من العمال وأهل الفن على وجه الخصوص كما كان يوصى الطبقة الشعبية التى تتعيش بكد عملها أن تتقوت دائما من عمل يدها . هكذا كان مولانا يسع هؤلاء جميعا بروحه الشعبية والتى كانت تسمو وتترقى رويدا رويدا ، مضطلعا فى هذا السبيل بصنع حوارى وأتباع دين الإنسانية ، متوسلا فى ذلك بالموسيقى والرقص والوجد والجذب ، ومجردا من الأثرة والغرور والكبرياء .

أما هؤلاء الحوارى والأتباع فقد عانقوا واحتضنوا مولانا فى سويداء أفئدتهم لأنه حررهم وأنقذهم من تعصبهم . أما سلطان ولد الذى خلف مولانا والذى أعلى من شأن صومعة التعبد والتكية عن طريق مؤسسات الوقف فإنه لم يحول هؤلاء القوم عن هذه القبلة التى يمم مولانا وجوههم شطرها . وكان أولو عارف جلبى يتذكر مولانا لماما ، وكان جيشانه وسورة حمياه يثيران ويحفزان رغباته الإنسانية .

ومن المحتمل أن يكون أمير جلبى على غير وفاق مع كل من ظهير الدين ولدى تاج قيزيل وتيمور طاش . وكان هذا سببًا فى نفيه وإبعاده إلى الأقاليم والمقاطعات القاصية ، وزاد هذا بالطبع فى نزعة الخلائق نحو المولوية . كان المغول والقره مانيون والأمراء المحليون الآخرون يحبون أولو عارف جلبى ، ثم كان انفصام الشلبيين الأولين عن الشعب بعد أمير عابد جلبى مما أثر فى نفوس الناس أجمعين .

هذا ولم يضطلع السلاطين والباشوات والأمراء فحسب بتأسيس التكايا فى مختلف الأماكن إبان عصر سلطان ولد وأولو عارف جلبى فى العصور المبكرة التى أعقبت هؤلاء ، بل أسسوا كذلك خلفاء المولوية . فقد تأسس خلفاء للمولوية فى شتى البقاع والأصقاع ومنهم على سبيل المثال :

علاء الدين الذى كان خليفة لجلبى حسام الدين على تكية أماسية ، وكان الشيخ سليمان خليفة لسلطان ولد فى مقاطعة « قير شهر » وأهى محمد بك خليفة لأولو عارف جلبى فى منطقة « قره مان » ثم كان حسين حسام الدين خليفة لسلطان ولد فى مقاطعة « ارزينجان » ، حتى إنه قد نصب شخص يدعى « سهراب المولوى » فى منطقة سلطانية وكان خليفة لمولانا عليها ، وقد أقيمت على هذه الشاكلة تكايا مولوية مؤسسة فى مواضع أخرى .

لا جرم أن الأوقاف كانت تُؤمَّن وتقوى عقب تأسيس التكية ، وفى الحق فقد كان الشيوخ بسبب هذه الأوقاف يعتمدون على زمرة غنية تأتى فى صدارة الشلبيين ، كما كانوا يتدخلون ويقحمون أنفسهم فى المشاحنات والمنازعات ، ويتنازعون مع بعضهم البعض ، ولكن التأسيس المبكر للتكايا كان يتم على هذه الشاكلة ، ومن المحتمل كذلك أنه كانت توجد طائفة غير واعية بشئون الإدارة وتستعيض فى ذلك

بمساعدة ومؤازرة بعض الإخوان ممن هم ثاوون بين ثنايا التكايا ، ومن المرجح كذلك وجود طائفة من الشيوخ ممن لم يخطر ببالهم مراجعة الوقف أو الاعتماد على هذه المؤسسة الوقفية ألبتة .

أسلفنا القول أن ثمة تكايا قد تم فتحها بفضل همة وحمية « ديوانه محمد جلبى » وذلك باستثناء تكية المولوية الكائنة فى قوله قابيسى « بمنطقة غلطة ، والتى اضطلع سائر خلفاء المولوية أجمعين ، وإن « شاهدى » صاحب كتاب « روضة الأسرار » ليحيطنا خُبرا بشيء هو من الأهمية بمكان عظيم .

وتوجد في الوقت الراهن قرى مولوية شعبية تشبه فيما تشبه القرى العلوية ، ناهيك عن وجود تكايا مولوية فى المقاطعات الصغيرة ، وعلمنا من كتاب « روضة الأسرار » ذى الأهمية العظمى أن مدينة « موغلة » كانت تغص بالمولوية إبان القرن السادس عشر الميلادى مثلها فى ذلك مثل مدينة « قونية » ، ومن ثم كانت مركزا صوفيا . وقد افتتح سيد كمال صومعة صوفية فى « موغلة » ونصادف كذلك فى هذه المنطقة صوفية الشيخ « القونيوى » (ت ١٤٩٠- ١٤٩١) ، والذى كان ينشد السماع مثله فى ذلك مثل المولوية ، وممن استقر بهم المقام كذلك فى « موغلة » الشيخ خير الدين صاحب النزعة الملامية وخليفة الشيخ وفا صاحب التكية وكذلك الشيخ بدر الدين الذى كان يوقره الأمراء وحكام الأقاليم .

كانت اللاذقية كذلك مركزا صوفيا وبها تكايا مولوية ، كما كانت قره حصار وكوتاهية كلتاهما محلة للمولوية منذ عصور كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، أما قرية « جاقير » فكانت على مقربة من كوتاهية وهى مولوية برمتها ، كما كانت سيكه Sikke الكائنة فى بورصة مولوية خالصة ، وقد ورد ذكر لأسماء هذه القرى فى كتاب « روضة الأسرار » .

ولا مراء فى وجود قرى مولوية أخرى . وهناك مخطوط فى أرشيف رئاسة مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٣٧ هـ - ١٥٣٠ م يبين أن ثمة تكية مولوية ملحقة بمسجد مقاطعة « خوجه إبراهيم » فى إقليم « آياص لوغ » ويذكر هذا الأرشيف كذلك أنه

توجد تكية مولوية باسم « كجه جى عالى » موقوفة على العلماء والصالحين فى قرية « اده كوى » التابعة لمقاطع « آياص لوغ » (دفتر تحرير طابو - الرقم الجديد ١٦٦ ، ص ٤٣٧) .

هذا أحد أسباب ذيوع وانتشار المولوية حتى ربوع القرى ، ولربما كان السبب الثانى هو عدم انفصام شيوخ المولوية عن الشعب ، إنها الطريقة التى تلهم الإنسانية ، وليس هذا بالشىء المستغرب على الإنسان ، ولا سيما ذلك الإنسان المتألم ذو الغايات .

فالإنسانية تحب بعضها بعضا ، وتتواءم سداها ولحُمتها ملتحمة فى نسيج واحد لا تنفصم عراه فالمولوية هى السجود فى ذات الإنسان للإنسانية جمعاء ، ووجودها هو الله ، وهى شاهدة ظهور الله لأولئك الموجودين لا ترى تمييزا بين الدين والمذهب ، إنها فى خاتمة المطاف : سماع وموسيقى ووجد حقيقى وعشق طاهر بغية بلوغ أوج النضج والكمال .

لا جرم أن شيوخ المولوية لم يهتموا كثيرا بنزعة أولو عارف جلبى إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وكان هؤلاء الشيوخ فى بادىء الأمر - بناء على رغبة ديوانه محمد جلبى - يُعْلمون ويُعْرفون بأنفسهم وطرقهم عن طريق رحلاتهم وسياحاتهم بصورة واسعة وطريقة محكمة ، وعرّفوا أنفسهم كذلك للمدينة والقرية وسائر المقاطعات وسكان المناطق جميعا . ولم تكن ثمة صعوبة فى طريقهم إذا لم يكن السماع تابعا لشروط أو قيود كما هو فى الأزمنة المتأخرة ، بل كان فى العادة ضربا من الرقص كما يعرفه كل شخص ، إنه رقص ولكن كيف ينبعث من سويداء الفؤاد ؟ لم تكن هنالك ألحان معينة ، وحتى لو بدأت الألحان فإن قيود السماع مع ذلك لم تكن على جهة التعيم ، وبعد ذلك كانت القيود الدينية شديدة الحرية والطلاقة لدى صوفية المولوية الملامتية ولم يكن الحشيش الذى يُغيب الإنسان عن وعيه ممنوعا فيجعله آنذاك مستغرقا فى عالم صوفى بخمر تحفز وتثير الإنسانية الكامنة فى الإنسان .

وعلى كل حال فإن الشيخ فى التكية المولوية الموجودة فى القرية سوف يشرح المثنوى بطريقة يتسنى معها أن يفهمها القروى ويدرك كنهها وبعد ذلك يكون السماع ثم يؤذن للصلاة مرددا ما ينشد فى مجالس محمد جلبى مثل « إن منضدة الطريقة هى علاج للظرف الرقة » ثم نُقدم بعد ذلك نارجيلة الحشيشة فتشرب الخمر ، ومن المحتمل وجود النسوة فى هذا المجال ، بيد أن أفلاكى يذكر أنه كان يوجد مريدون كثيرون « لشرف خاتون » ابنة سلطان ولد وانتشرت كذلك فى مدينتى « طوقات » طريقة « عارفة خوشلقا » خليفة المولوية ، وكان أكابر ووجهاء طوقات مريدين لها .

وكان جد أولو عارف جلبى يعقد مجلس السماع فى مجالس النساء ، أما خلفاء المولوية من النساء اللاتى لا تكايا لهن فقد كان يتسنى لمريديهن من الرجال الاشتراك دون ريب فى هذه المجالس بصورة خاصة على أقل تقدير وذلك بعد أن تبوأت هؤلاء النسوة منصب المشيخة . وهناك غير هاتين المرأتين اللتين سلف ذكرهما خلفاء مولوية كثيرون رجالا ونساء ممن لا تكايا لهم ، ومن ثم فقد كان هؤلاء يذهبون ملبين الدعوات ومنظمين مجالس السماع فى المنازل والبساتين كما كان الحال إبان عصر مولانا، ويعقدون كذلك هذه المجالس مضطلعين بنشر المولوية وإذاعة صيتها . ولا ريب أن شيوخ المولوية كانوا سببا فى نشأة قرى مولوية وامتداد رقعة المولوية واتساعها حتى ربوع القرى وأصقاعها ، ولم يكن زهاد المولوية يلحقون قيود الطريقة المدهشة العظيمة بقيود الشريعة وأحكامها ، وليترنح أماسيه لى علاء الدين وليتمايل فى زهده ، أما أولو عارف جلبى فكان يترنم بقيثارته وكلامه ، يترك الخمر فى العشر الأوائل من شهر ذى الحجة ويسترعى النظر أكثر وأكثر بوجوده فى كل وقت وحين ، وهذا بمثابة انتشار للمولوية وذيوع لصيتها ، ويتبين من هذا أن هذه الضروب المتباينة للمولوية لا تختلف اختلافا بينا قط عن العلوية .

ولكن المولوية ما لبثت فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى أن بدأت الانسحاب من قرية إلى مقاطعة ومن مقاطعة إلى مدينة ، ثم شرعت فى قبر ذاتها والانطواء على نفسها ، أما مؤسسة الوقف فقد ظلت فى أول عهدها رازحة تحت نفوذ وسيطرة زمرة عالية بناء على رغبة المولوية وصومعة مولانا ، ثم تطورت مؤسسة الوقف لتكون فى مواجهة الفكرة الأرثوذكسية الشرقية الموجودة فى الدين المسيحى ،

وإذا كان إصلاح مولانا فى حقيقة أمره زاخرا ببعض التصحيحات وإنكار الذات فإنه كان بمثابة حركة نشطة ممتدة إلى الشعب بيد أنها قد أصيبت بعد ذلك بالشلل .

لقد كان الشعب يتنفس فى مجالس السماع وينسى عذاباته ويتجرد من فوارق الدين والمذهب بينما يدرك فى ذلك الإبان إنسانيته ويفهمها حق الفهم فى لجة الطقوس والنواميس الموجودة فى التكايا ، ويتجلى هذا فى نظرات العشق والدلال لأولئك السادة الأشراف الذين يصغون إلى هذه الألحان وفى نشيج وتنهيدة الأمراء وفى جُشاء(٤) المرفهين فى موائد الطعام .

ولقد اضطلع الأمراء والوزراء بتشييد التكايا بعد انقضاء القرن السادس عشر الميلادى ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : شيد غازى حسن باشا سنة ١٦٦٥ م التكية المولوية فى يجوى Pegoy أما بايرام باشا فشيد سنة ١٦٧٥ م تكية المولوية فى ولاية « قيصرى » ثم كانت التكية المولوية فى « كليس » Kilis التى شيدها وجهاء القوم وأشرافهم سنة ٦٧٦ هـ ، ثم قام على آغا بتشييد أول تكية مولوية فى « ينى شهر فنر » .

وتبعه حاجى أحمد الذى شيد فى نفس العام تكية أخرى (الأرشيف المفهرس لرئاسة الوزراء - شوال سنة ١٠٩١ هـ تصنيف بابى آصافى على أميرى بدون رقم ، محمد الرابع سنة ١٩٨٦ ، رقم ٣٣٥٩ ، ٣ صفر سنة ١١٧٠ هـ ، تصنيف على أمير ، عثمان الثالث رقم ٣٣٠ ، وباب آصافى سنة ١٠٨٧ هـ) .

ونعلم من خلال سجلات الأرشيف أن تكية المولوية فى سلانيك كانت بناء شيده وزير يدعى أحمد باشا (٢٢ صفر ١٢٨٦ هـ) ، ثم شيد « ينجرى كانبى ملكوج بك » التكية المولوية فى منطقة « ينى قابى » بإستانبول ، وشيد « أوهريلى حسين باشا » التكية البكتاشية المولوية ، وشيد « سلطان زاده نومان دده بك » زاوية اسكودار .

كما كانت توجد فى ذلك الإبان تكايا اضطلع بتشييدها شيوخ المولوية كما هو متبع فى قديم الزمان ، ومنها على سبيل المثال :وتوجد فى مدينة بورصة تكية مولوية أسسها « جنونى دده » فى بورصة سنة ١٦١٥ م وكذلك تكية « طاوشانلى المولوية التى أقامها « أسيف محمد دده » (ت ١٧٣٣) وهناك أيضا من جعلوا منازلهم تكايا مولوية .

بيد أنهم بضعة رجال متفردون لا نصادفهم فى قرى المولوية وتكاياها المتناثرة فى هذه القرى(٥) . هكذا رزح مقام المشيخة تحت سيطرة المولوية ونفوذها بسبب الوقف ، ولم يكن كافيا إرسال شيخ جلبى إلى أحد الأماكن ، وبينماكان من غير الضرورى تصديق جلبى على تعيين أحد الخلفاء المولوية فى مكان ما ،

فإنه قد أصبح مشروطًا فيما بعد التصديق على مقام المشيخة العليا وكذلك مجلس المشايخ بعد ذلك . أما تدخل مشيخة الإسلام فلم يكن من زاوية محو وإزالة المعتقدات المولوية ، بل نشأ هذا التدخل بسبب الوقف . وإذا كان الأمراء والوزراء قد اضطلعوا بتشييد التكايا وصوامع العبادة فإن تعميرها وإصلاحها قد اضطلع به من الخزينة بأمر السلطان . وعلى سبيل المثال فإن تكية المولوية فى غلطة والتى احترقت فى حريق شب فى « طوبخانة - دار الأسلحة والذخيرة » قد أعيد تشييدها بأمر من السلطان مصطفى الثالث ، وتم تعيين « ينى شهرلى عثمان أفندى » متعهد البناء أمينا عليها ، ثم أعيد افتتاحها ثانية سنة ١٧٦٥ م ، ثم أعيد تعميرها وإصلاحها مرة أخرى فى حقبة صادفت عصر الرفاهية والازدهار « لحالت أفندى » ، كما أعيد تعمير وإصلاح التكية المولوية فى « غاليبولى » سنة ١٧٧٦ م ، وقد ورد هذا فى تقرير التقويم والتقدير والإصلاح والتعمير المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء (تصنيف دفاتر المالية القديمة ، الرقم المؤقت ٣١٦٠ ، الدفتر المؤرخ لسنة ١١٧٨ = ١١٨٢هـ = ص ٦١٨) .

وكانت تكية المولوية فى « فيليبه Filibe على وشك الانتهاء من تعميرها وإصلاحها ، وقد طُلب هذا التاريخ من زبور أفندى (زيور باشا ت ١٨٦٠ م) ، ولما تأخر مجيئه اضطلع بتدوين التاريخ واحد من مصححى المطبعة الأميرية ، وأرسل به إلى السلطان من أجل العرض والتقديم ، ويظهر التاريخ على أنه سنة ١٢٦٥هـ (الأرشيف رقم ٢٠٣١٠ داخلية) . وكان المدعو « أجوب Agop » ناظر الخزانة الخاصة يريد طلب مهندس خاص ليعاين العيوب ووجوه الإهمال والتقصير حتى يفهم سبب عدم الموافقة على تعمير وإصلاح المسجد الملحق بصومعة شمس فى قونية وكذلك تكية شمس ، ويدرك كذلك رفضهم ترصيص (٦) . القبة وإعادة بنائها

(سنة ١٣٠٥ ، ربيع الآخر ٢٦٠ ، بلديز أوراقى – المعروضات الخاصة) . وقد اضطلع السلاطين بتعمير وإصلاح صومعة مولانا بضع مرات متباينة (انظر : شهاب الدين أوزلوق – ضريح مولانا ، قونية – مطبعة ينى كتاب سنة ١٩٤٦ م) . أما تكية المولوية المحترقة فى بهارية فأعيد بناؤها مرة ثانية إبان عصر السلطان محمد رشاد الخامس وقدم بنفسه إلى حقل الافتتاح المهيب الذى أقيم فى سنة ١٩١٠ م ، وكان مؤلف هذا الكتاب فى أول عهده بالتصوف ومن ثم كان يجلس فى هذا اليوم بين منشدى السماع فى شعيرة اللف والدوران[٧] .

وخلاصة القول أن المولوية كانت بمثابة مؤسسة الدولة بدءا من القرن السابع عشر الميلادى ومن ثم فقد صرف الوزراء والسلاطين همتهم إلى رعاية هذه المؤسسة حينا فحينا ، أما الأتباع الذين اتبعوا سبيل نفوذ وتأثير هؤلاء فقد تدفقوا وانثالوا فى جماعات تترى إلى المولوية ، وكان الصدر الأعظم صوفى محمد باشا (ت ١٦٤٩ م) والموصوف فى كتاب « حديقة الوزراء « بأنه الباطل العظيم شديد الظلم والفساد ، يقف فى الصلاة ليحول دون إنقاذ حياة من يؤمر بقتله مهما كان المشفع فيه ، وكان هذا الرجل ينتسب إلى « دوغانى أحمد دده » شيخ ينى قابى (ت ١٦٣٠م) ، ثم لقب بلقب « صوفى » بسبب مكوثه مدة طويلة فى تكية المولوية إبان الحقبة التى عزل فيها شيخه « دوغانى أحمد » من منصبه ، ويقول المؤرخ « نعيما » فى هذا الشخص « لقد ارتكب كثيرا من الظلم والفساد ، لا يُرى فى وجهه أثر التصوف ، لا يتورع عن إلحاق المضرة بأموال الناس وأرواحهم وكان صلاحه وتقواه هما أُحبولة التزوير والرياء » ولم تكن هذه المقولة مقصورة عليه فحسب ، بل هى أمر مهم لكونها تساعد فى تجلية وإظهار التصوف فى تلك الحقبة ، من الزمان[٨] .

كان الموسيقى والشاعر المولوى السلطان سليم الثالث ذا شغف عظيم بالشيخ غالب ، ورغم أن محمد أمين جلبى كان يناهض هذا النظام الجديد ويقف ضده ، فإنه اضطلع بالإعداد للتمرد الذى نشب فى قونية ، إلا أن ارتباطه الوثيق بالمولوية لم يصبه بالضعف والوهن والاسترخاء ، ولقد تبوأت المولوية أرفع مقام لها بين ظهرانى الزمرة المستنيرة إبان عصر السلطان سليم الثالث ، فعمرت تكايا المولوية

وازدادت الأوقاف وكثرت مصارفها ، وكان الشيخ غالب دده يفكر مليا ويتفوه بقصة الحب العاطفية اليائسة المتعلقة بمن تدعى « بيهان سلطان » .

وكان هذا الشاعر والشيخ المولوى قد أيقن أنه ذاب شوقا من أجل هذا العشق الذى بات أسطورة تلوكها ألسنة الناس ، ومن ثم فإنه كان يذهب إلى القصر كثيرا . وتفيد رواية مولوية أنه لما كان جسد بيهان سلطان أبيض اللون مجردا من الشعر فإنه يفصح عن هذا فى رسالة وجهها لها بقوله « شيخى القطنى Pamuk seyhim [٩] .

وكان غالب دده يحظى بفيض من المجاملة وضروب من الحنو والشفقة يغدقهما عليه السلطان وبينما نرى السلطان ينفق ثلاثة آلاف قطعة ذهبية من أجل تذهيب ديوان الشيخ غالب دده ، نراه يلحن مقطوعة موسيقية من مقام « سوزدلارار Suzidilara » ثم يلحقها بالمقام الموسيقى [١٠] الثالث بين ثنايا الرباعيات والأبيات التى اختارها من ديوان مولانا ، وهو بصنيعه هذا قد أضاف مقطوعة موسيقية إلى الموسيقى ا لمولوية ، وكان السلطان سليم الثالث يذهب كثيرا إلى تكايا المولوية ويبذل وجوه الخير والإحسان إلى الشيوخ والدراويش ، وكان هذا الارتباط الوثيق العرى للسلطان بالمولوية يجذب سراة القوم ووجهاءهم إلى التكايا المولوية .

كان أحمد آغا المولوى (ت ١٧٩٤ م) ملحنا مشهورا فى تلك الحقبة من الزمان ومصاحبا للسلطان سليم الثالث ، واضطلع بتلحين مقطوعات موسيقية متفردة من مقامات الحجاز والنهاوند والصبا وشرع ينشدها ويرتلها فى تكايا المولوية .

أما السلطان محمود الثانى (ت ١٨٣٩ م) فكان يكن كل تجلة وتوقير للمولوية ، وكان هناك أيضا فى تلك الحقبة المبكرة المشهور « حالت أفندى » صاحب التأثير والنفوذ والكلمة النافذة التى لا ترد فى الدولة ، وكان هو الممثل الوحيد للمولوية ، وكانت إستانبول آنذاك قد استحالت بفعل الحرائق إلى كومة رماد ، كما كان الوهابيون فى الجزيرة العربية ، والزيدية فى بلاد اليمن ، والدولة تموج بالفتن وفى حالة قتال ونزاع ، ناهيك عن انتشار قطاع الطرق فى مدن : وان Vam وديار بكر وحلب ، أما محلة « حالت أفندى » فكانت مثالا للأمن والدعة والسكون .

وحالت أفندى هذا هو ابن « قيريملى قاضى حسن » عمل إبان شبابه مساعدا لأمين الختم والكاتب الخصوصى لرئيس الكتاب ، كما عمل فى رئاسة القصر والاقطاع والخدم لنائب مدينة ينى شهر ، واشتغل كذلك فى بعض الشئون والوظائف الكتابية ، وذهب إلى باريس بصفته سفيرا للدولة العثمانية ثم رئيسا لمكتب المحفوظات بالقصر السلطانى ، وقضى بعد ذلك حياة النفى فى مدينة كوتاهية لمدة عام ، وفى خاتمة المطاف تبوأ « حالت أفندى » منصبا فى الديوان السلطانى واعتمد كثيرا على فرقة الانكشارية فى تلك الفترة التى كانت تموج بالقلاقل والفتن والاضطرابات وكان ذا نفوذ وسطوة نافذة على السلطان وبذل جهده فى القضاء على أعدائه حتى يتسنى له بوقدة ذكائه إطالة أمد هذا النفوذ .

ثم أقدم فى عام ١٨٢٢ م على إعدام « تبه دن عالى باشا » خشية من سطوته وجبروته ، بيد أن الاضطرابات قد اشتدت حدة أوارها أخيرا فى منطقة موره Mora ، ولكن اليونانيين كانوا ذوى شعور قومى ، مما دفعهم إلى التمرد وإعلان العصيان فى كل حدب وصوب ، وفى بداية الأمر اشترك المحافظون الذين عينهم حالت أفندى فى كل من « أفلاك وبغدان » بهذا التمرد مما جعله يهوى فى لجة التحير والارتباك . وأقدم على شنق بطريرك الروم الموجود فى إستانبول أمام باب كنيسة « فنر Fenar »، ثم طفق يمزق أجساد جميع سكان الساحل من أهل الروم فى منطقة « أورطه كوى » العليا ويقطعها إربا كالغربال ، وأقدم كذلك على تقتيل أثرياء الروم دون النظر إلى كونهم مذنبين أو أبرياء .

كما لقى أساقفة ومطارنة مدن : قيصرى وأزميت وترابيا » نفس المصير الذى سبقه إليهم بطريرك الروم السابق والذى كان يقيم فى مدينة أدرنة .

ولقد أصدر « حالت أفندى » أوامر بخصوص الانتفاضة المسلحة لأهل المدينة حتى يتسنى له الوقوف فى مواجهة أى خطرٍ قد يحيق بهم ، كما كان الفتية المتمردون المستأسدون يختالون تيها وعجبا وهم يطلقون البنادق على الحشود المزدحمة المتراكمة وهم يخبطون خبط عشواء فيما يفعلون أما الموظفون الذى حنكتهم تجارب الحياة فإنهم قرءوا عن الحرب فى الكتب .

ورأوا السيف معلقا على الحائط ، ويأتى من بعدهم الشيوخ والعجائز الذين لاقبل لهم بالوقوف على صهوة الجواد مما جعلهم يذهبون إلى سائسيم بالحصان الذى يمتطونه من أجل اضطلاعهم بأداء الخدمة التى توكل إليهم فى حالة الضرورة مستندين على خدامهم من الجهتين، فإذا ما هموا بالذهاب إلى ميادين التعليم فإنهم يثيرون ضحك الناس عليهم . أما « حالت أفندى » فإنه ينشغل فى خضم هذه الجلبة الصاخبة بالقضاء على أعدائه واستئصال شأفتهم ، ثم يعمد إلى قتل رجل ما بغية تخويف الناس وترويعهم ، وكان يقول : فلنضربن أعناق البربرة الكائنة فوق رماة السهام ، وليكن الترويع والتفريغ لسائر الخلائق أجمعين ، وليقطعن دابر الأكاذيب والأراجيف .

ثم التقى بأحد الموجودين فى المجلس فقال الرحمة يا إلهى ، هذا هو بربريى أنا وأسرع حالت أفندى بتغيير أمره دون أن يقاطعه أحد ، وقال للرجل ليس هذا الأمر خاصا بك ، بل المقصود هو ضرب عنق البربرى الذى فى الجهة الأخرى (١١) .

وذات يوم آخر أمر « حالت أفندى » بإعدام ابن واحد من أعدائه وسمع واحدا يقول : وأسفى إنه شاب فتى ماذا عليك لو أدبت واحدا غيره ، وحينئذ سخر منه « حالت أفندى » ثم قال له أنت تأسف على قتل الشاب والعجوز على حد سواء ، إذا يتوجب علينا البحث عن رجل متوسط العمر حتى يقتل فى كل زمان (١٢) .

وكان « حالت أفندى » هو الذى منع السلطان محموداً الثانى أول الأمر من القضاء على الانكشارية وفى النهاية ازدراه وحقره وأمر بنفيه وإبعاده إلى مدينة بورصة ، ثم أرسل به إلى قونية بناءً على رجائه واستعطافه ، بيد أن أمر الإعدام قد وصل قبيل يوم واحد إلى قونية بناءً كانت قلنسوة المولوية على رأسه وبينما هو جالس فى محلة جلبى دخل عليه عارف جلبى الذى أحضر أمر الإعدام ثم خنق حالت أفندى بحمالة سيفه ثم جز رأسه ، وتحرك بها صوب إستانبول سنة ١٨٢٣ م ، ودفن جسده فى الساحة الكائنة فى الجهة الإمامية لقبر مولانا جلال الدين الرومى ، أما رأسه فدفنت فى المقبرة التى أعدها بنفسه فى تكية المولوية بمنطقة « قول قابى » .

ويدون « على لطفى دده » شيخ ينى قابى بين ثنايا خواطره الموجودة فى كتاب « دفتر الدراويش » « باب إرسال مفتاح المدينة المنورة إلى إستانبول » ويكشف فى

هذه الخواطر ذكاء وألمعية هذا العصر الذى يميط اللثام عن الشوكة وقوة المنعة التى يتمتع بها عصر حالت أفندى .

ولا جرم أننا من هذه الزاوية نكتب هذه السطور الآتية بفصها ونصها مقتبسة من تلك الوثيقة النابضة بالروح والحياة .

« وصول المفتاح للمدينة المنورة شرفنا الله تعالى بشرفها ، فى سنة ١٢٢٨ هـ وفى شهر المحرم وكان فى استقبال المفتاح فرقة عسكرية قادمة من منطقة تسمى « زيتين بورونو » Zeytin Burnu وأحضر هذا المفتاح من داود باشا إلى حضرة خالد بن زيد وتشرف بالحضور لاستقبال خالد بن زيد ملاذ العالم السلطان محمود خان ، وكان فى هذا الدعاء والثناء ثم أخذ المفتاح منه ، ودخل من حى « طوب قابى » والمفتاح ملفوف داخل كيس من السندل[١٣] الأخضر .

وقد وضع فى صندوق فوق صينية من الفضة الخالصة ، ثم وضع بين يدى وكيل الدولة ومعتمدها « حالت أفندى » فعانقه واحتضنه ، ثم نقل من ديوان « يولى » إلى القصر السلطانى ، وكانت هذه الليلة ليلة مباركة ميمونة الطالع حيث قرعت الطبول فى القصر السلطانى ابتهاجا ببشرى تشريف المفتاح الشريف ، ثم اطلقت المدافع عقب صلاة الفجر ، وكان يوم عيد حيث كان صوت دوى المدافع مسموعا لبضعة أيام ، وكان الشتاء شديد الزمهرير والجليد يساقط فى يوم تشريف الفرقة العسكرية والاستعراض ، وكان لزاما أن يسقط الجليد فوق رءوس أصحاب هذه الفرقة العسكرية الاستعراضية ، بيد أن الجليد لم يصب الصينية المغطاة المحمول فوقها المفتاح الشريف ، حتى إن الندى لم يصب الصندوق وهذا أمر مرئى للعيان ، وهو سر جد عجيب ، وشوهد وكيل السلطان الذى يحمل المفتاح ومن فى معيته ولم بمسسهم الجليد بضر أو أذى ألبتة .

خرجت منطقة « زيتين بورونو » على بكرة أبيها لاستقبال المفتاح ، وسمع من أحد الثقات أن ترتيب الاحتفال كان فى أول الأمر يتمثل فى خروج الاستعراض العسكرى من دار الذخيرة حيث يصل إلى القصر السلطانى ولكن ريحا عاصفا هبت

من البحر في الليلة التي جاء فيها متعهد دائرة الملابس إلى دار الذخيرة وخرج إلى منطقة « باغجه قابى » ، ثم قدم بعد ذلك إلى نزل الضيافة عند باب وكيل السلطان ، وسرعان ما وصل في الصباح الباكر خفية إلى داود باشا الذى هم باستقباله ، ولم يأت السلطان لاستقبال حضرة خالد بن زيد وشوهدت في إستانبول فرقة عسكرية قادمة من مزرعة القصر وهي تمشى في صرامة وحزم ، ثم شرف المفتاح حيث جاء إلى القصر السلطانى ، عندها خرج المتعهد بخصيان القصر السلطانى لاستقبال المفتاح حيث أخذه داود باشا وقبله وجاء به إلى داخل القصر .

كان اليوم هو الخميس الثانى من شهر صفر حيث أطلقت المدافع مدة سبعة أيام وكأنه يوم عيد (مكتبة نظيف باشا ٥٢٠ – ٥٣) .

وها هي بضعة أسطر تخص الواقعة نفسها ومدونة بمناسبة هذه الحفلة عينها ، ومدونة عند كل من رسوخى وكتاب دفتر الدراويش ، وتقول هذه الرواية : « إن هذا لشيء عُجاب ، حررت هذه الرسالة بمناسبة وصول المفتاح الشريف إلى المدينة المنورة شرفنا الله بشرفها ، فلقد جيء بالمفتاح إلى سيدنا خالد بن زيد ، ثم وضع المفتاح والصندوق كلاهما بغية الدعاء والثناء ، وكان ثمة فسطاط للصندوق الشريف ، ثم ظهر الحاضرون ، ثم جيء بالصندوق إلى الخارج خفية والحضور مشغولون آنذاك بتلاوة القرآن الكريم ، وهذه الرواية مروية عن الثقات ، وبات هذا من الأسرار الخفية المستورة ، وسمع أيضا أنه لم يفش هذا السر إلى أى شخص ، وحدث كل هذا في سنة ١٢٢٨ هـ .

هذه إنجازات حالت أفندى وعاقبته الوخيمة التى آل إليها ، ففي سنة ١١٩٣هـ – ١٧٧٩ م نراه يلبس قبعة من اللباد ألبسها له الشيخ على نطقى دده شيخ ينى قابى (ت ١٨٠٤م) ، ثم ألبسه بعد ذلك قلنسوة المولوية[١٤] في سنة ١٢٠١ هـ = ١٧٨٧م.

وكان هناك في سنة ١٨١٨م شيخ يدعى « دباغ درويش محمد » الذى أحضر معه شهادة التخرج إلى « دولابجى درويش محمد » الذى أسس التكية المولوية في قصر إدريس بمنطقة أيوب ، وذلك حتى يتسنى له الاضطلاع بمقام المشيخة وممارسة شعيرة اللف والدوران عند المولوية ، كما منح دباغ درويش مقام الشلبية إلى حالت

أفندى ، وكان همدم جلبى آنذاك فى الثانية عشرة من عمره ، أما حالت أفندى فكان يقف معمما تحت غطاء وصندوق ضريح مولانا مدة اثنى عشر يوما مكبرا(١٥) . وهذا يعنى أن دباغ درويش محمد قد أحضر له تصريحا بارتداء القلنسوة معممة .

وتفيد إحدى الروايات بوجود اثنين من دراويش المولوية ذوى تنورة قبالة الحجرة التى يقيم بها حالت أفندى فى محلة مقامه ، وكانا يقفان متوسلين متضرعين ، وقد جىء بهذين الدرويشين لخدمة المتصوفة .

ولهذا السبب فقد كان المدعو ناصر عبد الباقى دده يطرى ويقرظ حالت أفندى ويقول عنه إنه اضطلع كذلك بخدمة المولوية الموجودين فى مستقر إقامته رغم أنه لم يتسن له الحصول على شهادة التخرج .

أما حالت أفندى فقد أجبر المتصوفة على هجر أبواب الأولياء ، وجعلهم يألفون أبواب الأغنياء ، ويضيف ناصر عبد الباقى دده قائلا : إن حالت أفندى لم يكن يخجل قط من الاضطلاع بخدمة المولوية أصحاب القلنسوة والتنورة الذين كانوا يعيشون بين ظهرانى الأحباب والحساد على حد سواء ، وليس ثمة مولوى رافض لما قاله ذلك الرجل ، إذ كان المولوية يعرفون كذلك أن حالت أفندى هو وكيل الدولة ومعتمدها ونائب الطريقة ووكيلها من لدن عصر جلبى حتى أحبابه المقربين .

كان « رجب حسن حسنى » من شيوخ ينى قابى (ت ١٨٣٠ م) وأرسل كتابه « رسالة المشيخة سنة ١٨٢١ م مباشرة من قونية إلى حالت أفندى الذى استدعاء وذهب به إلى « آجيجى باشا » ثم اصطحب معه بعد ذلك كلا من قاسم باشا وعلى أفندى وذهبوا من فورهم سويا إلى شيخ الإسلام الذى قرأ الرسالة وأعطاها الشيخ ، ثم أقيم بعد ذلك احتفال تنصيب المشيخة(١٦) .

لم كان المولوية مستمسكين بحالت أفندى إلى هذا الحد ؟ ودونكم طائفة من الوقائع والأحداث نعتقد أنها تجيب عن هذا السؤال : لقد اضطلع حالت أفندى بدور فى تعمير وإصلاح التكيى المولوية فى ينى قابى إبان عصر السلطان محمد الثانى ١٨١٥ = ١٨١٦ م ، وعندما شرع فى ذلك الإصلاح والتعمير الذى أنفقت الدولة عليه

٣٣٤٧٥ قرشا ، ما لبث أن ظهر حجر قد ربط بحبل خارج المبنى القديم ، فأمسك حالت أفندى وفى معيته أمين المدينة بطرف الحبل ووضعا الحجر فى موضعه ، فدعا الشيخ لهما وقرأ لهما الفاتحة ، ثم شرع فى الصلاة والدعاء ، وبهذه الصورة تم وضع الأساس لهذا الاحتفال[١٧] .

وهذه الواقعة تنهض دليلا وبرهانا على ما اضطلع به حالت أفندى بتعمير وإصلاح تكية المولوية فى غلطة ، وفى سنة ١٨٢٠ م أعاد حالت أفندى تشييد مقبرة رسوخى المصنوعة من الخشب وجعل رأسها من المرمر المصمت غير المجوف .

ثم أقدم بعد ذلك على تشييد سبيل ونبع ماء فى الجزء الذى يطل على التكية ، وشيد فوقها مكتبة ثم اشترى القهوة المطلة على الشارع وهدمها وأعد لنفسه لحدا فيها . أبدى حالت أفندى همة عالية وعزيمة قوية فى سبيل تعمير وإصلاح يشيل قبة (القبة الخضراء) الموجودة فى قونية[١٨] .

وكان حالت أفندى فى أثناء هذه الإنجازات جميعها يقدم الأعطيات والنذور إلى المولوية وتكاياها واستطاع نفوذه فى نفس الوقت أن يجعل المولوية طريقة ذات شوكة قوية ومنعة وشدة بأس ، ويتجلى من هذه النظرة أن استمساك المولوية به كان أمرا موضوعا فى نصابه جيدا ، ولكن لماذا كان حالت أفندى يحب مولانا جلال الدين الرومى حبا جما ؟ ولماذا كان يستمسك بالمولوية ؟ يرجع السبب فى هذا إلى أنه كان لا يتردد فى سفك الدماء ولا يعف قط عن أعدائه ، يتمتع بشخصية تتصف بالصلف والأنانية ولاغرور ، يكاد يشعل الدنيا نارا فى سبيل منفعته وذيادا عن مصلحته ، إنه رجل حقود مروع مفزع ، وإذا ما رأينا إنسانا بهذا القدر من الارتباط الوثيق بالمولوية ، معتمدا على أسس ومبادىء إنسانية وغير إنسانية ، ألفيناه على الفور غير مختار ومن ثم نضطر إلى مخاطبة رأسه المقطوع ووجهه الأرجوانى بهذا البيت الذى يقول :

كـــوز لسن ، بى بـدل س ، طرز وطورك هب مـــسلمـــدر

نه جـــاره بى وفـــاسين ، آه انـــسانيك يوقـــدر

والمعنى :

أنت جميل لا ند لك ولا نظير ، والكل يسلم بسلوكك وخصالك

ولكن ما السبيل وأنت بغير وفاء ولا إنسانية ؟

وعندما نبحث في هذا الخطاب فإنه يرد على عقل الإنسان مولوية السلطان سليم الثالث ، إذ كان استمساك هذا السطان بالمولوية ضرورة حتمية لمواجهة طائفة الانكشارية بسبب النظام الجديد ويرد على البال كذلك انتهاج السلطان محمد الثانى نفس السبيل الذى اتبعه أبوه سليم الثالث ، ويتجلى أيضا أن هذا هو أحد الأسباب المتمثل فى الارتباط الوثيق بحالت أفندى ، ولربما كان أهم هذه الأسباب طرا .

اضطلع على نطقى دده باستجلاء ما للمولوية من فضل فى إظهار الشعر الديوانى فى الأدب والذى انفصم عن الشعب ، وكذلك إدخال الموسيقى الشرقية الكلاسيكية فى الموسيقى ، ناهيك عن اهتمام المولوية كذلك بالذوق المستنير فى الفن والأدب كليهما .

وخلاصة القول أن المولوية كانت تحمل التبعة المنوطة بها بالنسبة للطبقة العالية ، وها نحن أولاء نكتب عن طائفة من أولئك المنتسبين إلى المولوية فى مكتبة نظيف باشا :

« جاء بعد ذلك بوستانجى باشا فى سنة ١٢٠٣ هـ = ١٧٨٨ م – والذى أصبح وزيرا فيما بعد – كما وجد كذلك فرها دآغا المتوفى فى أوائل عام ١٠١٣ هـ = ١٧٩٨م ، وظهر من الشعراء كل من خيرت أفندى وحالت أفندى « ويوجد كذلك كتاب دفتر الدراويش الذى يخص سيدنا ناصر عبد الباقى دده (ت ١٨٢١ م) والذى ورد ذكره عند رسوخى ببقيرة . وهذا الكتاب يجلى لنا الكثير فى هذا السبيل .

وهاهم أولاء الذين لبسوا قلنسوة اللباد إبان عصر كل من عبد الرحيم دده (ت ١٨٣١ م) وعثمان صلاح الدين دده ، ومما ورد ذكره كذلك أسماء كل من :

(خسكى مصطفى آغا أوغلو حسين ، والتزامجى اسماعيل آغا اوغلو يان يالى محمد شريف أفندى ، وصالح أفندى أوغلو أحد أتباع حالت أفندى وزوجة سعيد

أفندى مرتب التـقويم والمحـاسب الأول فى قلـم مـخـزن الذخـيـرة ، وابراهيم أدهم ابن مـحـمـد أفندى أحـد كتـاب مـسـتـخلف منجم باشى فى طوب قـابى وأحـد أتبـاع الطريقتـين الرفاعية والسعدية ، ومن الزعماء : يانلى سيد يوسـف ، وحسـين ابن بـواب « صماتية » ، وبد ستان دللالى عثمان أوغلو محمد توفيق ابن حضرة سيد أفندى ناظر دار الذخيرة ومستودع البـرود ، وأحمد رفعت بن سليـم آغا أحد أتباع حاجى صـائب أفندى دار المدفعية ، وجميل بك بن رضـا أفندى ، ورضـا بك مـحمـود محمد توفيق ، ومحمد صـالح محمود جلال الدين بن سليم آغا أحد أتباع حاجى صائب أفندى ناظر دار المدفعية ، وصلاح الدين بك مخدوم ، وحضـرة زيور أفندى مدير الخزانة العامة ، وسيد محمد صادق بن حاجى سيد عمر آغا رئيس خزانة مـلابس سعيد أفندى ناظر الأوقاف وخديجة توفيق كريمة مصطفى عاكف أحد خلفاء مكتوبى دفترى ، وأربا آمين زاده أحمد نظيف أفندى ، وعالى بن محمد سعيد أفندى كاتب وكيل السلطان فى آغا قـابى وحسين أحد كتـاب ديوان القلم ، وهاچكان بن مـعزول نمان أفندى رئيس قلم المحاسبة ومـحمد رشيد من خلفـاء مكتوبى ، وحسـن فهيم أحد كتاب ديوان القلم ، وخوجة كاندان أحمد ، وسماعى محمد أفندى كاتب ديوان قبودان باشا ، ومـحمد آغا ضباط النظام فى القصـر السلطانى ، ومحمد آغا أحد ضباط الداخلية ، وكليرلى سيد عبد الرحمن آغا أحـد خدام الدائرة السنية السلطـانية ، ومـحـمـد أفندى أحد كتـاب الانكشارية ، ومحمد عزيز أفندى من الكتاب ، وأساد أفندى كاتب الترسانة البحرية ، وابراهيم نظيف آغا معاون رئيس القلم ، وأبو بكر باشا والى « آغريوز » وراتب أبو بكر ابن زاده عزت شفيق نائلى باشا ، كل هؤلاء جميعا كانوا من المولوية » .

لابسو القلنسوة :

وهم « راجى أفندى من الكتـاب ، ومن رجـالات الدولة : حـاجى أفندى وكـيل حاجى صـائب أفندى ومصطفى آغا طوبجى ، وأمدجى مصطفى آغا ، ومؤذن عـالى أفندى ، ومحمد راسخ بك ، وعمر أفندى وهما من خلفـاء رئيس قلم المحاسبة ، ودرى بك صـهرحمام زاده إسماعيل دده المشهور باسم باسته كار بيوك دده ومحمد بك من

جند الفرسان ، وعبد الحميد أفندى ابن شقيق كرستجي زاده درويش نورى ، وصالح أفندى بن عمر أفندى كاتب دار الأسلحة والذخائر ، وعبد الحميد أفندى إمام جامع أورطة ، وحسن أفندى ناظر الصرافة فى الجمرك الكبير بإستانبول ، وفى طوب قابى نجد كلا من :

أحمد باشا خيامي وسليمان أفندى قوزات ومحمد نافع بن كريم زاده شاكر أفندى شيخ آيا صوفيه ومصطفى باشالى سيد أحمد آغا ، ومحمد سكيز أفندى ابن أحمد أفندى ، وآت كاتبى ابن خواجة كان ، ومن الزعماء : كوتاهية لى خليل آغا وياغليقجي سيد آمين آغا ، وياغلقجي سيد أحمد أغا وخواجة كاندان سليمان ابن مصطفى باشا الوالى الأسبق لولاية مادين ، ومن المدرسين : عالي أشرف أنفدى ابن ابنة محيي زاده أفندى من الموالى ، محمد أمين أفندى المدرس بمدرسة الهندسة البحرية ، وناى زن صالح أفندى من كتاب قلم الاستقبال ، وعثمان أفندى من كتاب قلم مرتب التقويم ، ونجم الدين عالى أفندى بن عبد الحليم أفندى كريم زاده أحد خلفاء قلم الاستقبال الذى أصبح فيما بعد من تلامذة القلم المذكور » .

وقد ورد فى دورية أسرار دده المسجلة تحت رقم ٦٧٦٥ فى قسم المخطوطات التركية بجامعة إستانبول أن روحى دده هو الذى خلف الشيخ غالب ، ثم يدون أسماء لابسى قلنسوة اللباد إبان عصره على النحو الآتى :

« إبراهيم آغا اوغلو رئيس طهاة القهوة لأم السلطان ، ورشيد أفندى أوغلو كاتب أخشاب الترسانة البحرية وقاسم باشالى محمد عارف أحد حراس فرقة الانكشارية بمصنع المدافع ، وروحى كريا سلطان بن بايزيد كريا سلطان ، وطاهر آغا وكيل نوتية اسكودار ، وخوجة السيد عبد الرحمن أفندى والمهندس درويش أبو بكر ، والحلاق أحمد آغا ، وطوبجى قهوجى خليل باشا ، وقاسم باشالى مهندس سيد اسماعيل ، ومصطفى أفندى باشا من خلفاء الانكشارية فى سوق يوم السبت ، وأمين أفندى من قوزات ، وحسين إبراهيم أفندى كاتب الترسانة البحرية ، ومحمد آغا باشا وكيل مصنع الأسلحة ، وجمالى زاده سيد عبد الباقى ميلى من كتاب القصر السلطانى ، وإبراهيم أفندى رئيس طهاة القهوة لأم السلطان ، وعثمان آغا المتعهد

بدخان سفير الدولة العثمانية فى فرنسا حالت أفندى وعبد الرحمن خيرى أفندى من خلفاء قلم وكيل السلطان ، ومحمد آغا أحد الذين يجهزون أمور السفر للدائرة السنية السلطانية ، وكاهية زاده محمد آمين آغا ، ومحمد أمين آغا من أتباع إبراهيم أفندى وكيل الصد الأعظم ، ومصطفى نجيب ابن مصطفى آغا آزاده محمد بك الرئيس الأسبق للحرس السلطانى ، وعارف آغا أحد كبراء تجهيز السفر للدائرة السنية السلطانية ، ومحمد عارف آغا أحد أشراف غلطة سراى ، وسماعى مصطفى أفندى أمين الختم والكاتب الخصوصى ، وعبد اللطيف خزينة دارى عارف أفندى رئيس الحرس السلطانى الخاص ، وعيسى بايزيدمصطفى بك ناظر البوغاز ، وخالد آغا أحد أتباع حالت أفندى ، ومحمد نورى آغا معاون الختم والكاتب الخصوصى لحالت أفندى ، وبيه عمر آغا أحد أتباع حالت أفندى ، وشكرى آغا مدخن حالت أفندى وحافظ نعمت أفندى أمين الختم والكاتب الخصوى لحالت أفندى ، ومحمد عارف بك من الفرقة الخاصة المسلحة (٤٢ ، ٤٣) .

ومن لابسى قلنسوة المولوية كذلك:

« سيد يحيى أفندى أحد كتاب المحاسبة للحرمين الشريفين وابن أخت قريمى أنور بك ، والسيد عبد الرحمن أفندى القره مانى الأصلى الأسكودارى ، والمرحوم مصطفى باى زاده محمد سليم بك أمين دار سك العملة ، ومصطفى أفندى الإمام الدينى للرئيس حالت أفندى ، و رئيس الكتاب محمد سعيد أفندى (لبس قلنسوة التبرك فى ١٥ رجب سنة ١٢٢٢ هـ = ١٨٠٧ م) .

ويوجد ضمن هذه الأسماء التى اقتبسناها من هذا الجزء طائفة أخرى من الأطفال الذين بوركوا بلبس قلنسوة اللباد مدة يوم أو شهر بمجرد ولادتهم ، وماذاك إلا لأن أباءهم كانوا من المنتسبين إلى المولوية ، بيد أن الأمر الجاذب للنظر والمسترعى للانتباه هو ما يأتى :

إننا ندرك من خلال هذه الأسماء أن المحبين للمولوية والمنتسبين إليها كانوا من الطوائف الآتية :

النساء وكتبة الديوان والموظفين الرسميين والولاة ، وأشخاص من سراة القوم ووجهائهم وذوى المناصب الرفيعة ، والأمراء وأبنائهم ، وثمة صنف آخر من الأتباع

وهم رجال من الذين اتبعوا سبيل أسيادهم وأمرائهم حتى بلغ هذا الحب الإمام الخاص لحالت أفندى ، أما المنتسبون إلى الطبقة الشعبية بين هؤلاء جميعا فكانوا شديدى الذيوع والانتشار .

ولقد ورد فى كتاب ضيا بك « تكية المولوية فى ينى قابى » باب بأسماء الدراويش المنتسبين إلى المرحوم الشيخ عثمان أفندى ، وها نحن أولاء ندون أسماء من وردت أسماؤهم فى هذا القسم :

« السيدة أمنية وبهية هانم زوج المرحوم الصدر الأعظم الأسبق كجى زاده فؤاد باشا ، من خدامها الكرام كل من : ناظم وكاظم وهما من الأمراء ، ومن أحفادها حكمت ورشاد بك ، ومنهم كذلك عروس الصدر الأعظم المشار إليه ، ونعمت هانم أفندى وهى من نساء المرحوم نظام بك ، والصدر الأعظم الأسبق على باشا ، وكذلك صاحب ملا بك أفندى الذى كان يتبوأ مقام المشيخة ثم رحل فى النهاية إلى دار البقاء ، ومنهم الشيخ المرحوم اسحق أفندى وهو من فحول علماء الإسلام والمرحوم زيور باشا شيخ الحرم النبوى الشريف والمرحوم على باشا زاده صلاح الدين بك وحرمه سعادات هانم ، وكنعان بك الذى توفى فى مجلس رئاسة الكتاب ، وعلى شفيق بك والد زهدى بك الذى كان يعمل فى رئاسة ديوان المحاسبة ، وعارف باشا والد والدة زهدى بك المشار إليه أنفا والناظر الأسبق للقصر السلطانى ، وأبوه ممتاز أفندى ، وحفظى باشا من المولوية العارفين العاملين فى النيابة الشرعية للسلطان ، وحقى باشا الرئيس السابق لدائرة البوليس ، ممدوحة هانم وكريمة مدحت باشا (١٩) .

وكل هؤلاء أسياد وأمراء وسيدات عريقات الأنساب . وفى مقابل هذا يوجد كذلك المنتسبون إلى عائلة المولوية وغالب دده مثل : همامى إسماعيل دده ، وكذلك العشاق الحقيقيون المنتسبون والمقبلون على مرحلة المعاناة والنصب فى صومعة التصوف ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر :

دونسز محمد قونيوى ، ودرويش أبو بكر قونيوى ، وإسماعيل درويش على دونسز وأخوه درويش إسماعيل ، قيصرلى درويش حسن ، درويش مصطفى الإستانبولى ، وعثمان آغا ، واسكى زاغرالى سيد عمر ، الحوذى سيد عمر ،

والحوذى سيد محمد أغاقرة حصار درويش أحمد ، وادره متلى سيد محمد ، وهم أشخاص منتسبون إلى طبقة الشعب ، ولم يكونوامن ذوى الأصالة والنجابة وكرم الأرومة وعراقة النسب [٢٠] . ولا حق لنا أن نسيء الظن بأى إنسان ألبتة ، ومن ثم فإننا نضطر إلى الجهر بهذا القول لأننا لم نشاهد هذه الطريقة من الخارج ، بل خبرناها وأحطنا بأحوالها من الداخل ، فهؤلاء بحسب التعبير المولوى قد ارتبطوا ارتباطا وثيق العرى بطقوس وشعائر المولوية ، وهذا يعنى أنهم طائفة من أولئك الدراويش الذين زجوا بأنفسهم فى صومعة التعبد لقضاء أربعين يوما من الترهبن والعزلة ، وقبلوا طائعين عشق مولانا وواظبوا عليه بغض النظر عن الطبقة التى ينتمون إليها ، وعلى سبيل المثال فإن الماء الذى كان يفيض ويستفاد منه حتى تل « قاريغدى » أصبح يفيض كذلك إلى المنازل المجاورة حتى لاتنفصم عن التكية المولوية ، وهناك بناء واحد اليوم للتكية البهارية ، وكان بهاء الدين أفندى (ت ١٩٣٧ م) هو آخر شيخ فى هذه التكية ويقيم فى جناح الرجال (السلاملق) ، ثم سلم التكية بعد ذلك إلى زوجته ، وكانت تنام وتصحو هاهنا ، وتتمرن على السماع فى معيتى مع مرور الأيام ، ثم جاء فى عقبى المرحوم على دده الجريتلى الذى خرج إلى السماع ، وكان متعذرا عليه البحث عن لهفة المنفعة ، ولكن بعض الشيوخ قد ولجوا هذا الطريق لأنهم عجزوا عن أن يزحزحوا عن كاهلهم عبء الحياة ثقيل الوطء ، ولا سبيل إلى إنكار هذا ألبتة .

وكان بين هؤلاء من تمرن على الناى وطقوس المولوية وشعائرها ، ثم ما لبث أن سار قدما فى هذا الطريق وحقق انتشارا وذويع صيت .

ومنهم من حاز قصب السبق بعلمه وثقافته وعرفانه الصوفى وانشغاله بالمثنوى ثم أصبحوا فى النهاية شيوخا على التكية ، ومنهم كذلك الذين هاجروا بأرواحهم فى لجة أعراف وتقاليد التعليم الدينى ، وظلوا كذلك حتى نهاية أعمارهم دون أن يكتبوا شيئا عن نظام الطريقة ومنهجها .

وفى الحق فإن الشاعر « شيخى » (ت ١٤٢٢ – ١٤٢٣ م) سار على نفس الدرب ونسج على المنوال حيث انخرط فى سلك طقوس الطريقة وشعائرها منتسبا إلى مولانا ، وله فى مدحه شعر يستهله بمصراع فارسى يقول فيه :

مـــاهست نميـــدانم خـــورشـــيـــد روهات بأنه

بو آيـريلـق أودكـــه جـــانم يتـــجـــه بريـانه

والمعنى :

أوجـــهك قـــمـــر أم شـــمس لست أدرى ؟

كم احـــتـــرقت روحى بنار الـهـــجـــران

وذات يوم غضب أحد دراويش ينى قابى على شيخ آخر ، وقال له لقد بلغ بك الجهل حدا بعيدا لأنك لم تفطن إلى معنى « أنا لا أدرى أهو قمر » ثم ترفق بالشيخ الذى خاطبه بهذه القالة ، ثم قال أنا لا أعلم ما يقوله الصوفية الصادقون ، فالمخالفة كائنة لى ، فهلم عجل بهذا القول إلى الشيخ فقير .

حينئذ فسر له الشيخ المعنى المراد وقال له : إن « ما » بمعنى نحن (Biz) وهست بمعنى Varmiyiz أى تكون ، ونميدانم بمعنى أنا لا أعلم ثم أسرع الشيخ بعد ذلك وذهب باكيا إلى شقيق الشيخ جلال أفندى قائلا له : يا سيدى : لقد كنت على باب مولانا حقبة طويلة من الزمان ولم أحط بالفيوضات ولما سأل كمال أفندى شقيق الشيخ وعلم سبب حزنه وتأثره قال له : إن الصوفية قد أحسوا بالمعنى الذى عرضه عليهم الشيخ الآخر ، وأنت لست المعنى بهذا أما هو فلم يتسن له تلقى الفيوضات وأنت لست وحيدا فلا تعبأ ولاتهتم .

لقد حققت المولوية كثيرا من الامتيازات تتجلى فى اهتمامها بالطبقة العالية حيث كثرت الأوقاف وعظم قدرها ، وزادت محتويات التكية وما تشتمل عليه من أثاث وغيره ، وعمرت التكايا التى أصابها اليباب والخراب وأخنى عليها الدهر ، وأعيد كذلك تشييد ما أصابه الحرق والهدم .

أما فقراء المولوية المقيمون فى التكايا المولوية فقد آلت إليهم تركات أولئك الموتى الذين لم يتركوا من خلفهم وريثا شرعيا ، ولما ظهرت طائفة ممن لا يراعون هذا الضرب من التعامل والسلوك صدر أمر بخصوص عدم المساس بهذه التكية المتباينة أو إلحاق الضرر بها (أرشيف رئاسة الوزراء – ١٣ رجب سنة ١١٠٧) .

كان سيد عبد القادر دده قيما وأمينا على زاوية المولوية الموجودة في مسجد نسيمي بمدينة حلب وسرعان ما جأر بالشكوى لأن بيت المال وضع يده على تركة أحد دراويش المولوية بعد موته وبناء عليه أمر الأمير سالف الذكر في سنة ١٧٠٥ بألا تمس التركات التي من خلفهم دراويش المولوية ممن لا ورثة لهم ، ولا يلحق بها ضر أو أذى (١٠ جمادى الآخرة سنة ١١١٧ هـ دفاتر المالية القديمة - دفتر المهمات ، رقم ٣١٣٧ ، ص : ١٢٦) كما أمر في عام ١٦٦٧ م بعدم جباية رسوم أو ضرائب من الملاحات الثماني بمنطقة « بشن جينار » والتي توجد بها تكية المولوية في سلانيك (٢٢ ، صفر سنة ١٠٨٦ هـ) ، كما كان هذا الأمر يخصص مالا من مقاطعة حلب للإنفاق على التكية المولوية في منطقة « عنتاب » وكان هذا في عام ١٦٢٦ م (باب دفتر - سجل الخلاصة ، ١٠٤٢ ، رقم ٢١٠) ، ولما اعتلى السلطان سليم الثالث سرير العرش أمر بفرض قيود على من يمدون أيديهم إلى وصايا الوقف الذي يخص المشيخة وزوايا وتكايا المولوية والذين يناهضون النظام القديم ويقاومونه كما أمر كذلك بتجديد حقوق الامتيازات المملوكة لهؤلاء إذا كانت تخصهم وذلك وفق ما هو وارد في رسائل المشيخة (دورية أسرارده) . وجدير بالذكر أن كل الشلبيين كانوا يستثنون من الخدمة العسكرية كما كان يحدث منذ زمن قديم ، وبناء عليه فإن عبد الواحد جلبي قد أخبر سنة ١٨٧٨ م رئاسة قلم الكتبة عن طريق البرق بما يأتي : (على كل المستضعفين والمديونين من سلالة مولانا ذكورا وإناثا أن يسرعوا من فورهم سويا إلى مقبرة الشيخ ونحن موجودون في المواظبات الدائمة وهذه دعوة مفروضة بطول العمر لحضرة الشوكة ومسند الخلافة ونرفع هذه الدعوة إلى عتبة الخالق الوهاب) . (أوراق يلديز - المعروضات الخاصة - قسم لم يوضع له رقم بعد) .

وكان رئيس العسكر ضيا باشا ضد السؤال عن عدم إعفاء سلالة عبد القادر جيلاني من الجندية من ثم فقد كان عبد الواحد جلبي يخبر عن طريق الحاشية السلطانية بأن هذا الإعفاء يخص أولاد مولانا لأول مرة وذلك اعتبارا من يوم ١٩ مارس لسنة ١٢٨٧ هـ . (٢٩ ذي القعدة لسنة ١٣٠٩ هـ - يلديز أوراقي - بدون رقم) وفضلا عن كل هذا فإن الأعطيات السلطانية ونذور الأغنياء لم يصبها نقص ألبتة .

وعلى سبيل المثال : فقد جاءت إلى ناصر عبد الباقى دده عطية سلطانية قيمتها ألف قرش وذلك فى عام ١٨٠٠ م = ٢٩ ربيع الآخر لسنة ١٢١٥ هـ (نظيف باشا دفتر الدراويش ١٨) .

وفى عام ١٨٠٠ م استقبل كل من صاحب الطريقة محمد دده فى معيته الدراويش إسماعيل همامى بيوك دده فى القصر السلطانى ، ومنح كليهما مائة وثلاثين قرشا (نظيف باشا - دفتر الدراويش ، ١٨) .

وفى نفس العام قدم السلطان إحسانا قدره تسعمائة قرش إلى شيخ آماسية بغية إصلاح وتعمير التكية (نفس الورقة) ، وقد قدم شيخ « ارمناك » عريضة حال من أجل تعمير بيته وحظى بدوره بعطية سلطانية (نفس الورقة) ، واضطلع السلطان سليم الثالث بتعمير تكية بشكتاش وأتت حجرات محلة الشيخ باثنى عشر مقعدا ، وفى اليوم الخامس من هذه المقابلة تفضل السلطان بالإنعام على شيخ التكية المولوية بإستانبول وعلى الشيوخ الأربعة المسافرين ومنح كل واحد منهم خمسين قرشا كما أنعم على شيخ بشكتاش بفراء (Ace) . وفى سنة ١٨١٠ م ذهب السلطان محمود الثانى إلى التكية المولوية فى غلطة وشعيرة اللف والدوران ، ثم منح الشيخ قميصا من صوف الغنم وأنعم عليه بالعطايا والإحسان ، ناهيك عن الهبات والصدقات التى تفضل بها على الدراويش الآخرين الذين كانوا فى معية شيوخ المولوية .

وفى سنة ١٨٥٨ م أمر السلطان عبد المجيد بمنح الشيخ على رضا دده شيخ التكية المولوية فى قاسم باشا عطية سلطانية بناء على استرحامه واستعطافه (أرشيف رئاسة ا لوزراء - الأوامر - الإدارة الداخلية - ٢٩ شوال رقم ١٢٧٤ وفى نفس العام خصص السلطان عبد المجيد شيخ نظيف دده شيخ تكية بشكتاش راتبا قدره ألفان وخمسمائة قرش (٢٦ رمضان ١٢٧٤ ، الإدارة الداخلية رقم ٢٦٥٩٣) .

هذا ونستطيع العثور على أمثلة كثيرة حتى حقبة متأخرة من الزمان ، وتتصل جميعها بمختلف ضروب هذه الاستثناءات والأعطيات و الهبات ووجود الإحسان ، وعلى سبيل المثال فإن أرباب الطريقة عامة والمولوية منهم خاصة كانوا إبان زمن الاتحاديين لا يدفعون قيمة عبور الكبارى الجسور ماداموا يتزيون بزى الدراويش .

ولا نعتقد أن أمرا رسميا قد صدر في هذا الخصوص بيد أنه كان على كل حال ضربا من التعامل يتم بناء على أمر شفهى ، أما موظفو الكوبرى من قادة الجنيب(٢١) فإنهم يركضون فى إثر من لم يؤدوا حق جواز الكوبرى من غير المولوية الذين لا يأخذون منهم مالا ، بل يسلمون عليهم .

لا جرم أن المولوية كانت تحصل الأوقاف ووجوها الإحسان والأعطيات والهبات والامتيازات التى تضطلع الطبقة السامية الرفيعة بتكاليفها ، أما من انفصموا عن الشعب فقد انحسر انتشارهم وذيوع صيتهم بسبب هذا الانفصام ، ومن ثم فقد انطفأت جذوة نشاطهم وفترت قوتهم وبدءوا يشعرون بالوهن وخوار القوة والتفسخ والتفكك والتفرق ، وباتوا عباديد أباديد فى الأرض ، وتسبب هذا الاجتياح المالى فى غلق كثير من التكايا ، وبات من المتعذر الاضطلاع بشعيرة اللف والدوران وتنشئة المريدين وتربيتهم لأن وجود منشد السماع قد بات نادرا عزيز المنال ، ولعدم وجود منشد الطقوس الدينية وضارب الطبلة وعازف الناى فى تكايا المولوية الكائنة فى الأقاليم والمقاطعات . والسماع والضرب على الطبلة فقط ، فإن هؤلاء كانوا قادرين على الاضطلاع بشعيرة اللف والدوران بطريقة أو بأخرى .

خلاصة القول أن المولوية أصبحت طريقة مصطبغة بالصبغة الأسرية الخالصة فعرفها وتقليدها لا يأتيان من البيت بل من الأسرة ، ناهيك عن أنه كان لا يجوز انتساب شخص من عائلة ما دون أن يكون مولويا .

وكلما هاجرت طائفة الأقدمين المستنيرة والمستجدين فى معية الأغنياء ، فإن المولوية تكون حينئذ قد ألقت بنفسها فى لجة الحياة مولية وجهها شطر الغرب بفكر ورأى جديدين ، وشرعت كذلك فى الانفصام عن هذه الطائفة والتنائى عنها وسرعان ما دُفنت فى باطن ذاتها رويداً رويداً ، وهكذا فإن إلغاء الطرق الصوفية وغلق التكايا قد تم إبان عصر المولوية ، وكانت هذه هى النتيجة الطبيعية التى واجهت هذه المؤسسة التى آلت إلى حال تعقب سيرها الطبيعى وأثر فى بيناتها . وإن القانون الذى صدر بإرادة الأمة لم يكن إلا بداية النهاية التى صدرت تلقائيا من ذات نفسها .

ما الذى حدث بسبب الوقف ؟

لم تكن مؤسسة الوقف هى المؤسسة الوحيدة فقط التى يملكها الإسلام ، بل كانت الأعمال ا لخيرية ذات الفائدة الجمة فى أصل نشأتها تستفيد من أن تكون موجودة فى حالة دائبة عامة متحررة من أصفاد الزمان ومن قيود الفردية المطلقة بيد أن هذا الأساس الجميل لم يعد يحظى بالتفكير وإمعان النظر مع مرور الزمان ، ونجم عن هذا أن بات الوقف بمثابة وسيلة يُتوسل بها إلى تهريب المال من الدولة بصفة منصفة عادلة ، ولم يتعرض الوقف للمصادرة كأنه لا قبل له بالدخول فى دائرة حق المطالبة المالية ، فإذا ما اقتضى حق المطالبة فإن طلب المال يكون حينئذ إما من أشخاص الدولة المعروفين بوفرة المال والثراء العريض ، وإما ممن يعتقد أنهم أغنياء .

بيد أن المصادرة كانت شيئا مروعا مفزعا ، يتعرض الوزير أو الوجبه لغضب السلطان ويخنق بعد ذلك بإشارة سلطانية ، ونقطع رأسه وتوضع على حجر العظة والاعتبار ، ولا ينتهى الأمر عند هذا الحد فحسب بل أنه يُستنطق فى حال حياته ، ويعترف عن طريق التعذيب بسائر الأموال الظاهرة التى قد تكون مدفونة فى موضع ما ، وإذا وجدت بعد موته أشياء منقولة وغير منقولة فإن البقية الباقية من السلب والنهب تئول إلى الدولة . أما المذنب المرتكب للجريرة فإن يقاسى صنوف العذاب حتى يشفى على الموت ، ثم ينقذ ويخلص ولكنه يلقى الجزاء الأوفى ، إن هؤلاء هم البقية المتخلفة ، إنهم يساقون إلى الشوارع أيديهم فى خواصرهم دون مال أو مأوى ، فلا وطنًا ولا عشًا يؤويهم ، ولا يأمن أحد منهم على غده ، هذا شيء حسن ، ولكن ماذا عساه يصنع ؟ كيف يتوجب عليه أن يؤمن وسيلة التعيش لعائلته ؟ لا حاجة لأدنى تفكير ألبتة .

إن الوقف يجد الوسيلة الناجعة « فشرط الوقف كالنص الشرعى » ، وهذا يعنى أن شرط واضع الشرط يشبه فيما يشبه الأمر الإلهى للنبى ، فهو باسم الله ولا سبيل إلى تغييره أو تبديله ألبتة ، ولا قبل لأى شخص أن يمسه بضر أو أذى ، ويشيد بمال الوقف المدرسة والتكية والمسجد والأسبلة .

وتوقف عليه الحوانيت والحدائق والبساتين والمزارع بغية حفظ وصيانة مصارفه ووجوه إنفاقه ، وعلى كل حال فإنه يتم كتابة شرط ضرورى هو صك ائتمان لهذا الوقف الموضوع . يكون أمين الوقف هو المتعهد به حتى الممات وبعد الوفاة تئول هذه الأمانة إلى أكبر الأبناء وأرشدهم عقلا وتكون من ناحية الرجال ، ثم تستمر على هذا المنوال ، فإذا لم يبق من سلالة الرجال ولد ذكر تئول الأمانة إلى جهة الإناث من الكبرى إلى الصغرى ، حتى إذا لم يبق من جنس الإناث واحدة آلت فى بعض الأحيان إلى العبد المعتق المحرر ، وتظل تنتقل من الكبير إلى الكبير فى الأولاد الجوارى .

ولا أعلم كم سهما يخصصها أمين الوقف من الواردات لكل من الإمام والشيخ والخدام ، وكم سهما تقسم على التعمير والإصلاح ، وفى النهاية تمخض عن التفكير وإعمال العقل أن الوقف بهذا القدر من الأسهم ينزل مرة واحدة كل عام ، أو مرات كثيرة عند ختم القرآن على روح فى شهر رمضان . أما البقة الباقية من الأسهم وهى أزيدها بطبيعة الحال فإنها تخص أولاد الوقف ، وثمة بقية منها ترد إلى أمين الوقف باعتبارها حق التولية ولا يموت مغموما إذا وافته المنية ، ومن ثم فإنه يترك من خلفه وسيلة تعيش لأولاده ويعمر آخرته .

وطبيعى أننا لا نستطيع تعميم هذا الحكم ، ومما لا مراء فيه أنه يوجد بين أصحاب الوقف من يضطلعون به بفكرة دينية وإنسانية خالصة ، ولاشك أن أغلبهم يزجون بأنفسهم فى هذا الأمر خشية المصادرة . إن من أهم المحظورات التى نجمت من جراء الوقف هو ظهور طائفة من الطفيليين ، حتى أنه لم يدر بخلد الفكرة الدينية الأخلاقية التى أسست هذه المؤسسة أن يظهر فى يوم من الأيام مثل هذه الزمرة المتطفلة ، ولا جرم أن من يترك عمله وطاقته ويقضى وقته فى الطعام الجاهز والعبادة وهو شىء لا يقبله الإسلام ألبتة ، هذا ما كان يحدث فى كنف الوقف وحمايته ، وثمة إشاعة ذائعة بين ظهرانى المولوية تقول : إن شيوخ المتصوفة كانوا يشتغلون بأمر من الأمور . لا جرم أن أكثر الأشياء التى بين أيدينا والتى وقعها المولوية هى مايأتى :

العويسيات[٢٢] التى تحمل قلنسوة المولوية المعممة المنتفخة المنتفشة ، ومقطع الإبراء والخلال[٢٣] والملاعق والمحسات[٢٤] ، وأشياء محفورة ومنقوشة وفناجين مصنوعة من الطين وأطباق وفناجين وأوعية وسُبح وأشياء من العاج ، والكتب التى استنسخها المولوية وأشياء أخرى . ينشغل كل شيخ فى حجرته بشىء من شئونه الداخلية الخاصة ، ثم يبيع الأشياء التى يصنعها ويجلب المال إلى التكية ، ثم ينفق هذا المال على الخلائق ، وهذا يعنى أن المولوية يتقوتون ويتعيشون مثلهم فى ذلك مثل إخوانهم من أرباب الفتوة .

أما الوفرة الوافرة من الأوقاف فينتج عليها بعد ذلك معايش أولئك الشيوخ المتطفلين الذين لا يضطلعون بعمل أو وظيفة .

ونحن لا نصدق هذا الكلام أو نعول عليه دون قيد أو شرط ، وحتى يثبت لدينا هذا الاعتقاد فإنه يتوجب ألا يكون هناك صاحب لمثل هذه التكايا فى أى حقبة من الزمان ، وعلى سبيل المثال فإن الوقف يبدأ فى قونية بمجرد تأسيس المقبرة ، وقد كتبنا فى السيرة الذاتية لسلطان ولد آنفا أنه اضطر إلى أن يظل فى جدال ونزاع بغية كبح جماح قرية « قره أرسلان » وإعادة الوقف الذى كان موقوفا على ضريح مولانا .

وكانت كل تكية تؤسس بعد ذلك فإنها تؤسس عن طريق الوقف ، وعلى هذا فهذه إشاعة مبالغ فيها ، ونحن على اقتناع تام بأنها ملفقة من أجل حماية الطريقة ضد أولئك الذين يعيشون عالة على نفقة غيرهم إبان تلك العصور المتأخرة من الزمان . ولربما كانت هذه الإشاعة لا أصل لها البتة . وعلى هذا التقرير فإن معيشة هؤلاء الإخوان كانت جارية فى القرى والمقاطعات ولا سيما تلك التى لا وقف لها والتى كان يضطلع خلفاء المولوية بتأسيسها .

وإذا ما انفصمت المولوية عن الشعب فإن مصير هذه التكايا يئول إلى شيئين اثنين ، فهى إما أن تغلق وإما أن ترتبط بالوقف ، أما الأشياء التى يضطلع بها المولوية فتأتى على ضربين اثنين : إما أن تكون محصلة صفاء وسرور يملأ الشيوخ

بها أوقات فراغهم بصورة مباشرة ، وإما أن تكون بمثابة مشغلة للمولوية ومحبيهم الذين لا يقيمون فى التكية .

ويذكر شيخ غالب دده فى كتابه « الصحبة الصفية » ليس صحيحا أن تكون معيشة الشيوخ الذين لا يقيمون فى التكية من مال الوقف ، ويتوجب القول أن هؤلاء كانوا مشغولين بعمل ما بصفة مطلقة ، يذكر كذلك أن الوقف كان مقصورا فقط على أهل التوكل ، ثم يضيف : إن الشيوخ الذين كانوا يعيشون على التطفل كانوا ظاهرين بجلاء فى التكايا .

إن وجود الوقف قد نجم عنه آنذاك مجال للخلاف والشقاق بصفة دائمة ، وكان من عناصر النزاع والجدال والمشاكسة ، فإذا كان أمين الوقف شيخا فإن له حق التولية فى داخل الأسرة بسبب ادعائه للمشيخة ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يحدث بينه وبين الشيوخ والدراويش نزاع يدور حول شروط رعاية الوقف وعدم رعايته ، وقد استمر هذا النزاع طوال بضعة قرون ، ولا ضرورة إلى إثبات وتأكيد هذه المنازعات والمناوشات التى حدثت فى كل التكايا ، بيد أننا ذكرنا فى أثناء سردنا للسيرة الذاتية للشلبيين أن فروخ جلى ظل معزولا مدة ثمانية عشر عاما فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وكان يوجد كذلك من يرغبون فى تنصيب درويش ليحل محل حسن جلبى ، وتحدثنا عن حالة أبى بكر جلبى وعن المال المأخوذ من منطقة « صوغله » إبان عصر حليم جلبى ، وبقاء هذا المال فى حوزة كل من جلبى ورئيس الطهاة ، ولهذا السبب فإن أمين الوقف أصدر أمرا بمصادرة هذا المال وإنفاقه فى محله .

وحدثت تدخل فى شئون الوقف فى عصر « قره بوستان جلبى » ، كما وقع حول تبوؤ مقام المشيخة إبان عصر « صدر الدين جلبى » وذلك فى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى ، وكلما وقعت واقعة كتبنا ما يتصل بها من قريب أو بعيد ، وحدث نفور بين كل من عبد الحليم جلبى والمرحوم ولد جلبى ، وانقسم المنتسبون إلى طريقتهما إلى قسمين ، وكان يعتقد بوجود نية حاكمة جازمة خالصة تخص الطريقة الخالصة المحضة ، ناهيك عن وجود فكرة جد صائبة فى هذا السبيل .

لم يكن هذا يحدث فى تكية مولانا ، إذا نظرنا إلى أية تكية مولوية ووجد الوقف ، فإننا سرعان ما نرى هذا النزاع ليس عند المولوية فحسب ، بل ألفيناه موجودا إذا ألقينا نظرة على أى طريقة من الطرق الصوفية الأخرى .

وعلى سبيل المثال فقد حدث تدخل فى شئون وقف تكية أم لسلطان « مؤمنة خاتون » ، وعهد بالحكم فى هذا الأمر إلى رمضان جاويش بغية منع هذا التدخل والحيلولة دون حدوثه (بخط الوزير – أرشيف رئاسة الوزراء ، مهمة : ٧٩ ، حكم ١٩٢) ، وأعيد هذا الحكم فى منطقة آميد بديار بكر وأيد بالحكم الذى أصدره رمضان جاويش وجاء على نفس الشاكلة (مهمة ٧٩ ، حكم ١٩٣ – ٢ من شهر ذى الحجة لسنة ١٠٠٩ هـ) وقد شيد بعض الخلائق حديقة وبستانا فوق مياه مصب النهر المتدفق إلى نفس الزاوية إلى منطقة قره مان ، من ثم نقص الماء ، وبات الناس فى شدة وعنت وضيق ، كان من الطبيعى أن يجأر الناس ذوو الصلة بالتكية بالشكوى ، وبناء عليه عهد بالحكم فى هذا القضية إلى رمضان جاويش من أجل منع هؤلاء الناس (مهمة ٧٩ – حكم ٩١٤) .

شيد جنوبى تكية مولوية على رأس كوبرى دجلة بمدينة بغداد ، بيد أن الناس انتهكوا أرض التكية واعتدوا عليها فصدر حكم لمنع هؤلاء الناس والحيلولة دون فعلتهم (مهمة ٧٩ ، حكم ٩٢٩) حتى إنه منع السقائين من المرور والجواز من هذا الكوبرى (٧٩ ، حكم ٩٢٤) ، وندرك من خلال كتاب « دفتر الدراويش » الذى وضعه رسوخى بيقرة أن أمين تكية المولوية فى ينى قابى كان يعين تارة من الدراويش المقيمين فى التكية وتارة أخرى من الشيوخ ، وأحيانا من الأجانب يعنى من أولئك الذين لا علاقة لهم بالطريقة ، بيد أن الأجانب كانوا يتولون أراضى الشيوخ بصورة مطلقة ، ثم نُقضت هذه القاعدة ، ومن ثم شُرع فى تعيين الأمين دون رضا الشيخ ، وتأسيسا على هذا فقد كان سيد ناصر عبد الباقى دده (ت ١٨٢١ م) يريد مراجعة الشيخ فى كل حجه مكتوبة سواء أكان هذا من أجل التولية أم من أجل أخذ المال وتسجيله وكان يقدم عريضة رسمية فى هذا الخصوص ، وكان قبول طلبه يكتب فى فرمان ويقدم له فى الهامش المكتوب فى العريضة الرسمية ، ثم تسجل هذه المواقف

بعد ذلك في السجل الشرعي لرئيس قاضي عسكر الرومي الذي يتولى نظارة الوقف ، وبعد أن يكتب عبد الباقي دده كل هذه الأشياء يبادر بتسجيل هذه الجملة قائلا « لقد دونت في هذا السبيل أسماء بضع مناطق أخرى تأكيداً للاهتمام » ثم يوقع أسفل هذه السطور (٣٠ ط) .

وقد ورد في دفتر الدراويش سالف الذكر أن المسماة الشريفة رقية ابنة ضياء قد تولت أمانة وقف « يي قابي » ثم ماتت ولم تعقب[1] ومن ثم أصبح هذا الوقف موقوفا على ولد من الرقيق المحررين الموقف ، ويقول رسوخي بيقرة إنني كنت من هؤلاء الرقيق المحررين ، وندرك من هذا أيضا صدق الادعاء الذي زعمه حسين بأنه أحد كتاب قلم الديوان ، ولما كان هذا ليس من شروط الوقف فقد وجهت هذه التولية إلى الشيخ عبد الباقي في سنة ١٨١٤ م الموافق لشهر ذي القعدة لسنة ١٢٢٩ هـ وذلك بناء على عرض من مكي زاده عاصم رئيس قاضي عكسر الروملي (٣٠) .

ونفهم من وثيقة أخرى مدونة في نفس هذا الدفتر أن أمينة الوقف شريفة رقية والتي تولته في سنة ١٢٠١ هـ - ١٧٨٦ م قد وافتها المنية في يوم الثلاثاء الموافق التاسع والعشرين من رمضان لسنة ١٢٢٩ هـ = ١٨١٤ م ، ودفنت في جبانة التكية ، أما أبوها ضياء الدين فقد تولى أمانة الوقف عن طريق التزييف والتزوير ، وتوفي سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م .

وهكذا نرى أن التولية لا جرم كانت شيئا مهما جاليا للمشقة وصنوف التعب واللغوب ، ودامت على هذا النحو في كل تكية مولوية وكل وقف على حد سواء .

احتدم النزاع ودب الشقاق بين كل من عبد الحليم جلبي الأخير وولد جلبي اللذين تبوءا مقام الشلبيين ، فعزل أحدهما وعين الآخر ، ومن الثابت المحقق أن الوقف اضطلع بدور كبير في عزل الأول وتعيين الأقرب إلى شئون الوقف ، وها هي ذي واحدة من بين تلك الوثائق التي قدمها إلينا صاحب التجلة « رسوخي بيقرة » وهي تميط اللثام عن هذا بجلاء :

صاحب الحضرة السامية وجناب مسند الرشاد ، هذه هى رغبتنا المعروضة وهى مهمة مرتبة واجبة الوفاء إلى الأمناء الموكول إليهم عهد الأوقاف الجليلة المقرونة بوجوه الصرف والإنفاق والمناقصة لكل ما هو زائد على الإنفاق أو ما وزع منه على حد سواء ، وهو أليق بإجراءات أمور التولية ، ومن المعلوم أن هذا الأمر أكثر لياقة ومطابقة بالذات العالى مسند الرشاد ، أما إذا كان ثمة استرحام واهتمام وتضرع ورجاء وعناية ورعاية إلى هذا الأمر فهذا التزام بعبث لا طائل من ورائه .

فوقف الله هو صيانة مقصد خير مرصد ، وذلك فى مقابلة هذه المهمة التى تصون الودائع وقد لجأنا فى هذا السبيل إلى المرشد القدسى الباهر للمعاونة فى رد الحق المغصوب إلى ذى الجلال وإرجاعه إلى أربابه » .

وها نحن أولاء نراجع بيان وعرض بعض الحقوق الوقفية التى كانت موجودة على مقربة من ولد جلبى والذى اضطلع بأمور الولاية على أوقاتنا منذ تسع سنوات خلت من الزمان ، وهى كما يأتى :

جقور كوى الواقعة بجوار قرية جوامرا ، ولها اسم آخر هو قرية « فيقرارلر » والتى باتت متراكمة من العشور(٢٥) الموقوفة ، وهى محفوظة على مقربة من ولد جلبى أفندى والاحتياط موجود بناء على ما ينفق منها على التكية الشريفة وما يتصل بها من أمور خاصة بناء على مشورته ومراجعته ، و هى موجودة بعينها فى حفظه وصيانته مدة شهرين اثنين ، ويؤخذ من حصيلتها مقدار ألف ومائتين إلى ألف وثلاثمائة ليرة مدة أربعة وثلاثين عاما ، ويكون هذا المال كافيا من أجل الإنفاق على الطعام المخصص للتكية لمدة عام واحد حتى يحين موعد إدراك المحصول الثانى ،

ثم يودع هذا المال فى اليد الأمينة لولد جلبى ، وتوزع ألف وستمائة ليرة على عشرين شخصا بدلا من ثمانى كيلات قمح بمكيال قونية ، ويكون هذا إبان تشكيل وترتيب الحملة على الشام تحت اسم الجهاد الشرعى ، حيث يؤخذ مال نقدى بدلا من ثمانى كيلات قمح بمكيال قونية ، ويكون هذا إبان تشكيل وترتيب الحملة على الشام تحت اسم الجهاد الشرعى ، حيث يؤخذ مال نقدى بدلا من الأغنام ويوزع على الشلبيين ويظل فى يد الكتمان الشخصى مقدار مائتى ليرة ، وما قيمته ألف وثلاثمائة

وواحـد وثلاثين ليـرة ، وكـذلك صـورة الصـوف المبين على طعـام التكيـة والجـبـايات والمصارف العشرية ، وذلك عن طريق مصارف التحويل النقدى والذخائر المتنوعة بناء على دفاتر التشريعات لمدة اثنين وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين عاماً ، وكذلك الحسابات التى تخص السنوات المذكورة فى صورة الدفاتر الشلبية المبينة بالمفردات ، أما الوديعة المعروضة على كل حال فإن مجموعها بلغ ثلاثة آلاف ليرة ، ولا يقبل عدم إعادتها ، وتخصص المبالغ المذكورة على طعام التكية وسائر ما يخص التكية الشريفة ، ويعجل باسترداد هذا المبلغ من يد ولد جلبى المشار إليه أنفا وهل سيأتى هذا المال من ضمن المستخلصات على وجه الخصوص ؟ أم يكون رؤية الحساب وإبداع الأمور لدى الوكلاء الموجودين هنالك ؟ وإذا توجب اتخاذ التدابير والاحتياطات الأولية وكذلك السبل والوسائل اللازمة فيكون رأس مالنا الوحيد هو عدم الدخول فى استكمال دائرة الاحتياج قبيل لحظة من أسباب الدعوة الرسمية ، ويكون هذا مقرونا باسم وشهرة عوائل تكية أجداد العظام .

ونحن فى هذا الصدد نقدم بكل اهتمام توسلاتنا إلى المقام العالى صاحب مسند الهداية والإرشاد ، فأنت ولى الأمر وصاحب الفرمان فى هذا السبيل على كل حال ٢١ شوال لسنة ١٣٣٥ هـ .

محمد جلبى زاده الداعي من سلالة مولانا مصطفى بن أحمد (خاتم) ، والداعي محمد جلبى زاده وحاجى حسين جلبى (توقيع) والداعى رشدى أفندى زاده من سلالة مولانا أحمد توفيق (خاتم) وعبد الواحد جلبى أفندى زاده بن مولانا على مرتضى (خاتم) ، والداعى أدهم بن مولانا (خاتم) والداعى حسن جلبى زاده (خاتم يتعذر قرارته) ، والداعى ابن مولانا عبد الرحمن (خاتم) وسرطباخ الداعى ، وچاكر مصطفى نظام الدين (خاتم) وسر طارق الدعى بن مولانا أحمد عادل (خاتم) ، وحاجى نور جلبى زاده الداعى (خاتم يتعذر قراءته) ، والداعى ولد جلبى زاده من سلالة مولانا محمد صلاح الدين (خاتم) والداعى ولد جلبى زاده من سلالة مولانا محمد حسام الدين (خاتم) ، والداعى عثمان جلبى زاده بن مولانا حسن ضيا (خاتم) ، والداعى عابد جلبى زاده بن مولانا محمد بهاء الدين (خاتم) ، والداعى عابد جلبى زاده ، وإبراهيم كامل (خاتم) والداعى محمد (جلى زاده بن)

مولانا محمد عارف (خاتم) والداعى ضيا جلبى زاده بن مولانا منير ناظم (خاتم) ، والداعى رفعت جلبى زاده بن مولانا حسين (خاتم) ، والداعى حاجى محيى الدين جلبى زاده بن مولانا قدره الله (خاتم) ، وحاجى محيى الدين جلبى زاده بن مولانا حسين (خاتم يتعذر قراءته) والداعى هدايت جلبى زاده حسن حسنى (توقيع) والداعى رفعت جلبى زاده بن مولانا عثمان نورى (خاتم) ، والداعى محمد جلبى زاده بن مولانا محمد فخر الدين (خاتم) ، والداعى المرحوم جلبى أفندى زاده (توقيع يتعذر قراءته) ، والداعى حاجى عزت جلبى زاده بن مولانا محمد عزت (خاتم) ، وصالح أفندى زاده ، وحاجى داور أفندى (توقيع) ، والداعى حاجى محيى الدين جلبى زاده وعثمان نورى (توقيع) ، وصالح أفندى زاده مولانا مصطفى زيور (خاتم) وقادر جلبى زاده بن مولانا عارف (خاتم) .

وكان هذا بناء على تعيين عبد الحليم جلبى مرة ثانية فى مقام الشلبية ، أما العريضة الموقعة ذات الثلاثة والثلاثين توقيعا فإنها مبينة بحسب الشروط المؤسسة والمعتمدة على الشروط الاقتصادية وفى النهاية فإن هذه الشروط الاقتصادية قد باتت مادة للنزاع والشقاق مما أدى إلى نهاية عاجلة لتلك المؤسسة المنهارة منقوضة البنيان .

وقد استطاع السلطان محمود الثانى الإطاحة بإدارة الوقف وفرض مراقبة الدولة على هذه المؤسسة ، وعندما تأسست الدولة العثمانية انقسمت الأوقاف إلى أقسام ثلاثة فى دولة آل عثمان : الأوقاف الملحقة والأوقاف المضبوطة والأوقاف المستثناة :

الأوقاف الملحقة : وكان يضطلع بإدارتها أمناء الوقف والأوصياء عليه .

الأوقاف المضبوطة : وهى الأوقاف التى لا يظل الأمين عليها مرتبطا بأوقاف السلاطين .

الأوقاف المستثناة : وهى التى كان يضطلع بشئونها الأمناء بصورة مباشرة دون تدخل من نظارة الوقف (عمر جلبى : الرئيس السابق لمحكمة تمييز الحقوق – إتحاف الإتحاف فى أحكام الأوقاف ، مطبعة إستانبول ١٣٠٧ A – ص ٩ – ١٠) .

أما أوقاف مولانا فقد سميت فيما بعد « الأوقاف الجلالية » ، وكانت هناك ثمانية أنواع من الأوقاف منبثقة من داخل الوقف الملحق ومرتبطة بالأوقاف الجلالية ، وهذه الأوقاف هى :

وقف عبد القادر جيلانى ، ووقف حاجى بكتاش ، ووقف حاجى بيرام ووقف غازى أورانوس ووقف مهال بك ، ووقف على بك ، ووقف سليمان بك ، وكانت هذه الأوقاف تخضع لمعاملة استثنائية خاصة بسبب أهميتها وكثرتها ووفرتها وثرائها . وكان أمين الوقف يأخذ أعشار ورسوم هذه الأوقاف ، أما إجراءات التخلى عن العمل والانتقال فتكون بإذن من أمين الوقف ووصيه ، كما يضطلع أمناء الوقف بمنح سندات وصكوك الإنفاق . وكثرت الأوقاف بعد ذلك وازدادت وفرتها ، وسرعان ما تناقضت فى نهاية المطاف شيئا فشيئا ، ثم ألغيت وانمحى أثرها ، وبهذه الصورة تخلصت الأوقاف والموقوفات سويا من أمناء الوقف وأوصيائه (على همت بركى - الأوقاف - إستانبول - مطبعة : أيدنيلق ١٩٤٦ م - الطبعة الثانية ، ص ٣٠ - ٣١).

الهوامش

(١) هو لبن مخلوط بماء وأشهر مشروب لدى الترك ، ويعرف فى التركية باسم « أيران » .
Ayran (المترجم).

(٢) تا كاسه دوغ خيش باشد بيشم ١ والله دى انكبوت كس نندبيشم
كريه برك مرك مالت كوشه ١ ازادر بابندكى نفروشم
(انظر عبد الباقى جلنارلى : الرباعيات سنة ١٩٦٤ ، ص ١٤٤) .

(٣) انظر الطبعة الثانية : خلائق مولانا وخصائصه ، ص ٢١٦ - ٢٢٩

(٤) التجشؤ : تنفس المعدة عند الامتلاء . وجشأت المعدة وتجشأت تنفست ، والاسم الجُشاء ، ممدود على ووزان فُعال كالعُطاس والدُّوار والبُوال ، ويعرف فى التركية باسم gegirmek (المترجم) .

(٥) نفهم من سجلات الأرشيف أن « رسوخى دده » قد أسس فى الشهر الأول لسنة ١٦٢٧ هـ زاوية فى مقاطعة « عثما بخيق » وأخرى فى « جميجى » إحدى قرى المقاطعات ، وعين فى وظيفة بعشرين أقحة فى اليوم يأخذها من الرسوم والمحصولات والحقوق التى تخص الحكومة ، ولكن هذه واقعة متفردة فى رأينا ، وربما يوجد أمثال رسوخى من أسس تكية بغية الاستفادة من الوقف (٣ ربيع الأول ١٠٣٦ - ٢٢٣٠ أرشيف رئاسة الوزراء) .

(٦) أى طلائها بمعدن الرصاص (المترجم) .

(٧) يعنى مؤلف الكتاب وهو عبد الباقى جلبنارلى ، وكان عمره عشر سنين آنذاك .

(٨) جـ ٤ ، ص ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٠٩ ، حديقة الوزراء : إستانبول - مطبعة جريدة الحوادث سنة ١٢٧١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٩) وللشيخ غالب دده ترجيع بند فى بيت متكرر يقول فيه
مه برج عظمت حام أهل عرفان مهر كردون هميم حضرت بايهان سلطان
والمعنى : هى قمر برج العظمة وحامية أهل العرفان وشمس الفلك إنها بايهان سلطان
(الديوان - بولاق سنة ١٢٥٢ هـ ، ص ٦٥ ، ٦٦) .

وللشيخ غالب تركيب بند يبدأ بهذا البيت ، وهو فى هذا التركيب قنوط الأداء ، ونعتقد أنها تصحيح يصوب لنا هذه الرواية ، يقول شيخ غالب (ص - ١ - ٧٣).

آه كيم دوشدى كوكل برشه عالى جاهه ١ كيم خيا ليله كلور لرز دهشت مياهه
رهنما هر كرمى بيك ألم جان كاهه ١ خارخارغم ايله قالدى ايشم الله
سوبليمتر بونه همرازه باخو دهمراها ١ فرصتم يوق كه سوز ديليم أول شاهه

درد وحسته لر جكيديمي بن بيلورم ١ يارمه شمدى نه زهر اكديمي من بيلورم

والمعنى آه من ذلك الفؤاد الذى هوى فى عشق هذه السلطانه عالية الجاه ! ومن ذا الذى يخطر بخياله رعشة القمر المدهش العجيب .

كرمها دليل ومرشد لعذابات الروح ! وبات شغلى الشاغل هو شوك الهم يا الله

هو سر لا يتفوه به لحافظ السر ورفيق الطريق ! لم تسنح الفرصة لى حتى أبوح بكلامي إلى هذه السلطانة

أنا أعلم ما أتكبده من شوق وعذاب ! وأعلم الآن أى سم زرعته لحبيبى

(١٠) هو أحد الأقسام الأربعة للموسيقى الصوتية المستخدمة فى طقوس وشعائر المولوية .

(١١) تاريخ جودت : إستانبول – المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٩ هـ – جـ ١١ ، ص ٤٠ – ٤١ .

(١٢) نفس المصدر ، ص ١٧٤ ، وتوجد معلومات جيدة عند « جودت » تفيد أيما إفادة عن المصادر الأخرى فى شأن « حالت أفندى » جـ ١١، ص ٧ – ٢٦ وما بعدها ، ص ١٣٥ – ٢٠٤ ، جـ ١٢، ٥٤ – ٦٠ .

(١٣) السندل هو نوع رقيق من الحرير .

(١٤) على نطقي دده : دفتر الدراويش – مكتبة السليمانية ، نظيف باشا ، رقم ١١٩٤ – ١٥٠ B .

(١٥) انظر ما ورد عند رسوخى بيقرة بخصوص على نطقى دده ، وكذلك دفتر الدراويش الذى يحتوى على ملاحظات الشيوخ بعد ذلك ، ٣٤ B .

(١٦) محمد ضيا : تكية المولوية فى ينى قابى ص ٧١ – ٧٢ ، وقد اقتبست المعلومات الموجودة الآن عند رسوخى ببقرة من كتاب الدراويش .

(١٧) نفس الكتاب ص : ٥٩ .

(١٨) نفس الكتاب ص ٧٦ – ٧٨ .

(١٩) ص : ١٩٢ – ١٩٧ ، وفى الواقع فإننا حذفنا من هم ينحدرون من عائلة الشيخ المولوى .

(٢٠) تم تدوين تواريخ مجىء هؤلاء تحت اسم كل واحد منهم وذلك فى كتاب دفتر الدراويش الذى كتبه كل من على نطقى وعبد الباقى دده ، ولم يكن تدوين الأسماء بالأمر اليسير كما كتبنا آنفا . وعلى سبيل المثال فإن كلمة أوغلو تعنى المخدوم ، أما كلمة صغير (كوجوك) التركية فتشير إلى كلمة صغير العربية ، وخلاصة القول إنه كان هناك رعاية واهتمام بتشريفات ديوان الإنشاء .

(٢١) العويسية : مبراة القلم .

(٢٢) الخلال : العود الذى تخلل به الأسنان .

(٢٣) المحسة : هى مشط لشعر الخيل .

(٢٤) مات فلان ولم يعقب : أى لم ينجب أولادا (المترجم) .

(٢٥) هى ضرب من الضرائب والجبايات . (المترجم) .

الفصل الثالث

المولوية فى مضمار الحياة السياسية والاجتماعية

المولوية فى الحياة السياسية – الموكب السلطانى والأساطير المتصلة بالسياسة عند المولوية – مكانة المرأة عند المولوية – المولوية والديانات الأخرى ولاسيما النصرانية – آثار المعتقدات القديمة فى المولوية .

المولوية فى الحياة السياسية :

على الرغم أن مولانا كان ذا شخصية شعبية فإنه كان كذلك ذا فكر متقدم متطور . ومولانا لم يذل أو يخضع لعظيم قط ولا لسلطان ولا لسيد ألبتة ، فقد كان يرى بعينى رأسه الغلبة المادية للمغول الذين كانوا فى نهاية هجمتهم الشرسة سيلقون مصيرهم المحتوم لأنهم كانوا أدنى منزلة من الناحيتين المدنية والحضارية ، وكان مولانا يأمل فى تأسيس حضارة أكثر جودة وتطوراً تتسم بالجدة والطرافة ونبض الروح والحياة عن طريق العنصر الذى لما يفسد بعد ، ولتحل هذه الحضارة المأمولة محل الحضارة السلجوقية التى أصابها التقوض والتفسخ والانهيار .

لهذا السبب كان مولانا جلال الدين يحب المغول ويؤثرهم كما بينا آنفا ، ناهيك عن وجود تأثير الشعور الكامن فى هذا العشق ، ولقد اضطلع المغول بتمزيق أوصال سلطنة الخوارميين الذين أجبروا أباه على الهجرة من بلخ .

لم يكن مولانا مسلما يستحوذ على سائر السلطات والنفوذ القوى الذى يقوض فكر الممثلين الأرثوذكس الذين يطلق عليهم لقب « العلماء الرسميون »[1] « رسوم علماسى » حتى إنه قد تعذر عليه الحصول على علم يذود عن حياضه بتعصب مذهبى على كل الأحوال ، ومن ثم فإنه كان يشعر عن طريق الزكانة والبصيرة بأنه سوف يتأهب وينهض من فوره بسبب هؤلاء المغول ، وعلى كل حال فقد كان مولانا صاحب رأى ووجهة نظر فى الدنيا والحياة ، معتمدا فى رأيه هذا على أساس تقديس الإنسان والإنسانية على حد سواء ، كان مولانا مرشدا لطريقة تفوق الأديان ويسوق الأفكار الصوفية الجامدة المقولية فى شكل إنسانى تام وصورة واقعية صوفية بحذافيرها .

كما كان يرى أن سيادة واستقلال الفكر الإنسانى الحر الذى يبتغيه لا يتأتى إلا على حساب انهيار وتفويض أركان السلطان والسلطنة شديدة الأسر والبنيان ، ومن ثم فقد كان الأمل يحدوه ويراود أحلامه أن يشاهد هذه العاقبة المصيرية المقدورة .

إنها ولا ريب رغبة إنسانية قوية جامحة تتراءى متوهجة لألاءة فى وضوح وجلاء متمثلة فى الأحداث والوقائع التى كانت إبان حياته وفى طريقة حياته ومعيشته ، وفى أثره الذى خلفه ، وتتجلى كذلك فى أولئك الذين التفوا حوله .

أكانت هذه الرغبة مخططة منظمة محددة الأطر متمثلة فى شخصيته ، إن هذا لشىء عجاب .

« هل نهض من فوره واستنهض عزيمته وأحدث كل هذه الضجة الكبرى وأقام الدنيا وأقعدها من جذوة نار مشتعلة فى كل حدب وصوب ؟ إنه منقذ البحار ومخلصها ، وهو فى نفس الوقت مبدع بحر من موجة واحدة ومنشىء لتلك النار المستعرة ، وطاو للسماء فى يديه وكأنها منديل ، معلق شمسها وكأنها قنديل ، نزّاع للنزال والعرك وكأنه أسد هصور ، خواض للحرب بنفسه حتى ولم لم يبق فى ساحة الوغى أحد سواه ، إن ما يريده أن يكون معشوقا كتمساح جسور مقدام مثل جهنم « لم يكن مولانا شخصية متواكلة ، بل كان ذا جبلة نشطة فعالة وثابة تؤمن بالإرادة ، ونعتقد أنه لا سبيل إلى أن تصدر عن مولانا عقيدة معظلة قانطة آيسة ، بيد أن عدم إدعائه وتظاهره بنيل رغبته حتى ولو كانت غير منظمة أو مخططة لهو شىء يفسر له لا عليه .

لقد وقع عصيان الهائجين الغاضبين ، بيد أن هذا التمرد لم يفقد آثاره بعد ، ومع هذا فإن تمرد (جيمرى Cimri) قد شب من تلقاء نفسه بعد ذلك ، وقبر فى صحيفة التاريخ وطى النسيان بعد أن سفك الدماء كالسيل المنهمر ، ثم كانت واقعة انهيار السلاجقة وانقضاء أجلها ، بيد أن المغول سرعان ما قويت شوكتهم ولم يصبهم الوهن ، وباتوا فى حالة من القوة المخربة المدمرة ، أما السلاجقة فكانوا يأمنون جانب تحالف هذه القوة الغاشمة عن طريق التنازل الذى كانوا يقدمونه فى مواجهة كل تمرد يفقدهم القدرة على أن يكونوا ألعوبة فى يد المغول .

إن ما أعلنه مولانا هو عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول مولانا « لقد جاء المصطفى ثانية فآمنوا به أجمعين » وهو لم يتدخل فى شىء مريب بسبب هذه الحقيقة التى رآها ، ومن ثم فإنه كافح من أجل رفعة شأن من اجتمعوا حوله وذلك من الناحيتين الفكرية والأخلاقية ، وأصبح بفعاله مثالا للناس يحتذى به ، وبات بمثابة هداية وإرشاد بأقواله التى يتفوه بها .

كان سلطان ولد بن مولانا على غير وئام ووفاق مع وجهاء القوم وكبرائهم ، وكان معانقا للناس محتضنا لهم وارتبط فى هذا السبيل ارتباطا وثيقا بالوقف مساعدا له فى نشر أيدلوجية الإنسانية لدى الخلائق أجمعين ، بيد أنه امتلك المجتمع وصبغه بالصبغة الصوفية الخالصة ، ورغم أن أولو عارف جلبى لم يكن صاحب طريقة منظمة مثل سلطان ولد ، فإنه زج بنفسه فى شكل صوفى أيدلوجى عن طريق رحلاته وسفراته وثوراته وجيشانه وسورة حُمياه ، بيد أنه ما لبث أن أذاع أيدولوجيته جيدا دون أن يفقد شخصيته الإنسانية المتسامحة وسرعان ما بدأ هذا الفكر الذائع أن اصطبغ بصبغة المناسك الخالصة ، وإن المراكز التالية له كانت مرتبطة ارتباطا وثيقًا بهذا المركز ، وكانت منحصرة فى طائفة بعينها ، لقد شرع هذا الفكر فى الوضوح والجلاء وتظاهر بالطقوس والشعائر والنواميس .

كان أمير عابد جلبى هو ممثل المولوية بعد أولو عارف جلبى ، ولم يكن يروقه كثيرا شخصية أولو عارف جلبى التى كانت تتسم بالجدة والصرامة والاستقامة ،

وهذا ما ذكرناه إبان حديثنا عن سيرته الذاتية ، بيد أن هذه الشخصية قد خلفت رد فعل نائية بنفسها عن مركز المولوية ، فلم يمسسها بضر أو أذى .

أما الشلبيون الذين جاءوا بعد ذلك فإنهم ظلوا رازحين تحت تأثير هذا التيار الصوفي بحذافيره ناهيك عن ارتباطهم بالوقف ارتباطا وثيق العرى . وعلى سبيل المثال ، فإن السلطانين مراد الثانى والفاتح كليهما كانا من حكام دولة آل عثمان فى عصورها المبكرة ولم يحفلوا كثيراً بطريقة هؤلاء المولوية ذات القدرة النافذة رغم كلام ثاقب دده فى هذا السبيل . وقد اتبع العثمانيون كذلك أساليب التعذيب والتنكيل بشأن تلك الطرق التى كانت تعتنق المعتقدات المناهضة للأرثوذكسية إبان تمرد بدر الدين ، كما تدخلوا كذلك فى محو سياستهم واستئصال شأفتهم ، بيد أنهم لم يمسوا المولوية بضر أو أذى ، ولكن ظهور مولوية أمثال ديوانه محمد جلبى ويوسف سينه جاك و شاهدى ممن عاشوا بين ظهرانى التيار الشيعى الباطنى ، والذى كان ملتحماً بالأناضول ومنطقة الروملى على الخصوص ، وهذا يعنى أن طائفة شاهدى كانت تسمى « بالشموس » ورأوا المولوية وآل عثمان عندما بدءوا فى احتضان الشعب ومعانقته .

وفى تلك الأزمنة كان العلوية والبكتاشية يضطلعون بالدعاية للصفويين فى الأناضول والروملى ويعرفون التبعية الشرعية للملك الإيرانى ، ويرسلون إليه النذور والقرابين ، ويقدمون له يد العون والمساعدة ، ويعلنون التمرد والعصيان على اسمه كلما وانتهم الفرصة السانحة لذلك ، فإذا ما هزموا هزيمة نكراء أسرعوا من فورهم هاربين إلى إيران ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

هذا ورغم أن العلويين لم يتصلوا بالبكتاشية الذين استقر بهم المقام فى المقاطعات والمدن ، فإن سياسة التنكيل وتعقب أثرهم التى اتسمت بالشدة والصرامة قد بدأت منذ عصر السلطان سليم الأول (ياوز) .

أما القلندرية فكانت فى معية طائفة الحروفية التى اطرد انتشارها وذيوعها بمرور الزمان ، ومن ثم فإنهما قد جذبتا الانتباه بسبب معتقداتهم الدينية وأفعالهم المناهضة للشريعة ، وزجوا بأنفسهم فى سياسة التنكيل والتعذيب التى شملتهم

جميعا[٢] . وفى القرن السادس عشر الميلادى أسس حمزية (الملامية البيرامية) منظمة تشريعية تعيش مثل أهل الفتوة والأخيان وتتفيأ الهيمنة والتحكم وفرض السطوة ، وشرعوا فى تطبيق سياسة القضاء على من يؤيدونهم فى حقوقهم المشروعة[٣] . وفى ذلك الإبان انبثق فى الوجود قسم من المولوية يسمى شعبة « شمس » تواءمت مع الشعب والتحمت به وظهرت كذلك قرى المولوية ، ولم تسامح المدرسة الدينية هذه الزمرة المولوية المغالية المتجاوزة لحدودها فقد كان هؤلاء أيضا ذوى نزعات وميول علوية ومعتقدات باطنية ، وكانوا فى الأعم الأغلب ينحدرون من البكتاشية ويأتلفون معهم ويرعون اعتقادات الحروفية ويحتفلون بها أيما احتفال .

بيد أن الزمرة كانت تشبه العلويين فلم يجعلوا من إيران كعبتهم التى يولون وجوههم شطرها ومن ثم فإنها لم تزج بنفسها فى أى صنيع قط يستهدف استجماع القوة وفرض النفوذ ، ولهذا السبب كان النضج والتكوين الصوفى للمولوية وأشد وأقوى مما هو عند العلويين ، حتى أن المميزات والسمات السنية لأرباب المعتقدات الباطنية كانت تتجلى فى المظهر والهيئة ، وفى النهاية كان هنالك وجود لزمرة أخرى سنية زاهدة ولا جرم أنها كانت ثاوية مستقرة فى باطن المولوية ذاتها ، بيد أن هذه الطائفة الثانية كانت ذات مقدرة فائقة لا تبارى . وكان للحكومة تدخل جلى فى النزاعات الداخلية التى تنشأ بين أرباب هذه الطريقة وما يتصل بها من أمور الوقف والتعمير والإصلاح والإنشاءات ووجوه الخير والإحسان والهبات والأعطيات ، ثم تشكلت المولوية التى كانت بمثابة أيدلوجية صوفية للطبقة العالية الرفيعة بيد أنها كانت كما قلنا آنفا تمثيلا للذوق الإنسانى المتسم بالسماحة ، ثم ما لبثت هذه الطريقة أن انسحبت من الشعب تدريجيا .

ظلت المولوية مضطلعة بدور إيجابى دائم فى الحياة السياسية ويتجلى هذا فى مناصرتها لتمرد الأفخاذ الذى شب فى قونية إبان القرن السابع عشر الميلادى ، بيد أن هذا التمرد برمته كان حركة عصيان محلية إقليمية ومن ثم فلم يكن يصطبغ بالصيغة الشعبية الخالصة . وكان أباظة محمد باشا حاكما على أرضروم ، ولم يكن يشتكى من متاعب الناس ولا من ظلم رجالات الدولة ولا من خراب الدولة وانهيارها ،

ولا من شــدة وطأة الضــرائب ، كـمــا لم يزعم أنه يمتلك القـدرة التى تجـعله ممثـلا للأيدلوجية الدينية ، وكان تـأثير أباظة شديد السرعة فدمر الانكشـارية ولا سيـما بعد موت السلطان عثمان الثانى ، وكان الفرسان فى إستانبول ثم تبعهم الانكشـارية بعد زمن يسـير ، ثم اضطلع كـلاهمـا بقـتل قتلة السلطان عـثـمان الثـانى ، ورفـع الطلاب الدينيون والشيوخ المعلمون راية للتمرد والعصيان .

وخلاصة القول أنه أصبح أنـاس من الانكشارية مناصرين ومـؤيدين لأباظة وذلك لأسبـاب متباينة وكان الشيخ أباظة الذى سبق ذكر اسمه يقول للباشا مثيراً حفيظته أنت موظف من الله لتحطيم الإنكشارية .

هكذا كان جلبى ضالعا فى هذا العصيان ومعه زمرة من المولوية الموجودين فى قونية وقد سيقوا جميعا ناحية أباظة .

ولكن هذه الواقعة المتفردة قد هدأت وسكنت وانمحى أثرها بعد أن أصبح أباظة حاكما عاما على أرض الروم للمرة ثانية .

حيث عفا عن المغلوبين وصفح عنهم(٤) . لم يضطلع المولوية – بداءة من عـصـر السلطان مراد الرابع وحتى عصـر السلطان سليم الثـالث – بدور إيجابى أو سلبى مـهم يذكر لهم فى مـضـمـار الحيـاة السياسـية سواء أولئك الذين تبوءوا منهم مـقام الشلبية أو غيرهم من شيوخ المولوية الآخرين . وقد شرحنا آنفًا أن محمد أمين كان فى معـية مفتى قونيـة إبان عـصـر السلطان سليم الثـالث ، وكانا بمثـابة ممثل للقديم والتخلف والتقهقر إلى الوراء ، ويعارضون النظام الجديد ويناهضونه ، واستمر هذا العناد بضع سنين ، بيد أن السلطان سليمًا الثالث قد تولدت فى قلبه مشـاعر عشق تجاه المولوية من ناحية وتجـاه غالب دده الذى كان فى حقيقـة الأمر ممثلا للحداثة والتجديد فى مضمار الأدب التركى الديوانى من ناحية أخرى ، ناهيك عن أنه لم ينجم عن أى ضرب من التنكيل وذلك بسبب نزعته التى تتفق مع ذات نفسه .

لقـد هدأت هذه الواقـعـة وخمـدت نيرانـهـا دون أن تخلق تيـارا مـعـاديا للـمـولوية وأربابهـا ، وفى الحق فـإن التكوين المولوى للسلطان سليم الثـالث وعـشـقـه للـمـولوية

وخطب ودهم كان بمثابة حركة فى مواجهة الإنكشارية الذين يعرفهم حاجى بكتاش ، كما أن السلطان محموداً الثانى قد مضى بدوره قدما فى نفس هذه السبيل ، ولهذا السبب فإن « حالت أفندى » وكيل السلطان قد انخرط هو الآخر فى سلك المولوية إبان اعتمادها على الإنكشارية ، ومن ثم بات سائر أكابر القوم ووجهائهم محبين للمولوية . كانت العاقبة الوخيمة التى حلت بحالت أفندى سببا فى التدابير التى اتخذت ضد هذه الطريقة رغم حبه للمولوية واستمساكه بأهدابها .

ولقد قدم السلطان محمود الثانى إلى تكية المولوية فى معية الأميرين عبد المجيد وعبد العزيز كليهما فى طقس جليدى عاصف ، وذلك إبان كان عثمان صلاح الدين دده يتبوأ مقام المشيخة المولوية فى تكية ينى قابى وخرج بنفسه لاستقبال عثمان دده على باب التكية ، وقال : سيدى الشيخ : ها هم أولاء أبنائى وهو يشير إليهم ويعرضهم عليه ، لقد شوقتنا إليك فى هذا الطقس ، ولو كان أناس غيركم لما استطاعوا المجيء إلى ، ولم ينس عبد المجيد هذه القالة ، وانقضت اللحظة واستدار الزمان .

وفى عصر السلطان عبد المجيد قدم بنفسه إلى التكية فى طقس جليدى عاصف كما حدث تماما إبان عصر أبيه ، واستقبل الشيخ بنفسه ، وقال : كيف شيخ أفندى ، وقال السلطان لولا هؤلاء لما استطعنا المجيء (تكية المولوية فى ينى قابى ، ص ١٨١ - ١٨٢) .

كانت السياسة التى اندفع بها السلطان محمود الثانى تجاه البكتاشية تتطابق مع العلاقة القلبية نحوهم ، وقد حدث هذا بسبب وجود طائفة البكتاشية وفرقهم وألويتهم وشيوخهم . وقد بدأت هذه الحركة ضد البكتاشية قبيل « الواقعة الخيرية » أى قبل القضاء على الإنكشارية واستئصال شأفتها ، وقد تدخل حيدر بابا القادم من إيران فى الأحداث المتصلة بكل من السلطان سليم الثالث ومصطفى باشا (عالمدار)، ثم ذهب ثانية إلى إ يران وأقام فى مأوى الجند الخاص بالفرقة العسكرية التاسعة والتسعين ، ثم نفى بعد عزل قائد الإنكشارية اسماعيل فى سنة ١٨٢٢ م حتى قضى نحبه عند وصوله إلى مدينة بولو Bolu [٥] .

كانت المولوية لا تضطلع بدور سلبى فى جهود الإصلاحات والتنظيمات ، واستمسكت كذلك بحكومة قوية فى مواجهة البكتاشية ، أما المهمة الإيجابية الفعالة التى اضطلعوا بها فتتجلى فى خلع السلطان مراد الخامس من على سرير العرش واعتلاء عبد الحميد إياه ، وثمة رواية منسوبة إلى عثمان صلاح الدين دده شيخ تكية ينى قابى تقول فحواها :

إن أول اجتماع لمدحت باشا قد تمخض عنه قرار بالإتيان بعبد الحميد إلى عرش السلطنة والذى اضطلع بدوره بتشييد قصر متاخم للتكية الكائنة على مقربة من قصر الشيخ عثمان صلاح الدين ، وكان داماد محمود باشا ومدحت باشا كلاهما قد أصدرا من قبل هذا القرار إبان مقابلة تمت فى التكية المولوية الكائنة فى ينى قابى ، وبعد ذلك قدم عثمان أفندى بدعوة من عبد الحميد إلى مقر ولى العهد فى قصر بشكتاش والتقى هنالك بالأمير ، وتم فى هذه المقابلة أول لقاء بين عبد الحميد ومدحت باشا فى القصر الذى يقع بين منطقة حاجى عثمان باير وطريق « مُصْلَق » خلف منطقة « بيوك دره » المطلة على البسفور .

وكان عثمان أفندى موجوداً فى هذا اللقاء حيث وعد عبد الحميد مدحت باشا بأنه سوف يعلن الدستور ، حتى أن هذه الرواية تفيد بأن مدحت باشا قد أخذ من عبد الحميد وثيقة تتصل بهذا الموضوع . وكان عثمان أفندى موجودا كذلك فى أثناء مراسم احتفال ارتقاء عبد الحميد سدة العرش حيث حظى بعطف وحب شديدين من السلطان .

ولم تكن قد وصلت إلى القصر بعدُ فتوى تتعلق بإقصاء السلطان مراد الخامس عن العرش مما أربك شيخ الإسلام فانزعج انزعاجا شديداً ، وحينئذ قال عثمان دده : أليس إجماع الأمة واتفاق أكابر أهل الحل والعقد ممن يمثلون المسلمين بمثابة الفتوى ؟ ثم بويع عبد الحميد بناء على هذه المقالة دون انتظار للفتوى . ويروى كذلك أنه بعد سماعه هذه الكلمة انحنى من فوره مقبلا جبهة عثمان صلاح الدين دده ، وكانت عاقبة هذا أن اضطلع عبد الحميد بتغيير رأى القصر تجاه تكية المولوية فى ينى قابى وما يتصل كذلك بسائر المولوية أجمعين .

كان عثمان دده متعهدا بتدريس المثنوى فى القصر ، ولم يُشقوا عليه بسبب شيخوخته وبلوغه أرذل العمر وثم فإنه أبعد عن القصر طائعا ، وقبع فى التكية منشغلا بالأوراد والأذكار . ولم يستطع الاستبداد إبان زمن ولده جلال الدين دده (١٩٠٨) تغليق تكية ينى قابى ، بيد أنها كانت مكانا معرضا للتخويف والترهيب موضوعا بصفة دائمة تحت المراقبة .

لم يكن لإداردة عبد الحميد الحق فى إجراء التفتيش والتحرى إلا بعد أن تصل سيارات النسوة اللائى ينشدن المولد النبوى فى زواج عبد الباقى بن عثمان دده ، ولقد صدر قرار من سلطنة عبد الحميد بتوجيه من شيخ هذه التكية ، كما كان ولى العهد محمد رشاد أفندى منتسبا كذلك إلى عثمان صلاح الدين دده .

هذا وثمة أصل ثابت للروايات التى تمت بصلة إلى العلاقة التى كانت بين كل من جلال الدين أفندى وجماعة تركيا الفتاة[٦] الموجودة فى باريس ، وفى النهاية تبوأ عبد الواحد جلبى مقام الشلبية وكان أبيقوريا [٧] معتنقا للمذهب الملامى ، كما كان يأمل فى التعجيل بإحداث بؤرة نشاط قوى فعال يكون ذا نزوع قوى نحو البكتاشية والشيعة [٨] .

وكان ثمة مولوية من أمثال عبد الحليم ممدوح (ت ١٩١٥ م) ، والدكتور إبراهيم أدهم الذى أصدر صحيفة « خدمت » فى إزمير ، وكذلك توفيق نوزاده رئيس تحرير هذه الصحيفة (ت ١٩٢٥ م) ،

وطوقادى ذاده شكيب (ت ١٩٣٢ م) ، ونورى دده المولوى الإزميرى اللذين كانا من بين أولئك الذين اقتحموا لجة النضال من أجل الحرية [٩] . وكان إعلان الحرية واعتلاء المولوى محمد رشاد (محمد الخامس ت ١٩١٨م) سدة العرش بمثابة حدث ميمون الطالع من أجل المولوية .

وقد احترقت تكية بنى قابى أول الأمر إبان عصر هذا السلطان ، ثم ما لبثت أن شيدت من جديد تكايا المولوية فى بهارية ، وعُمرت كذلك سائر التكايا الأخرى ، كما اضطلع لواء المولوية بدور مهم تحت قيادة المرحوم ولد جلبى تلبية للدعوة إلى الجهاد

المقدس إبان الحرب العالمية الأولى ، كما كان المرحوم ولد جلبى عضوا عن قونية فى أول برلمان لمجلس الأمة التركى ، كما شغل كذلك عضوية البرلمان عن ولايتى « يوزجات وقسطمونى » بضع سنين .

بيد أن كل هؤلاء جميعا كانوا بمنأى عن تأمين عمر جديد لمؤسسة آذنت شمسها بالمغيب وباتت على شفا الرحيل والزوال ، وكانت هذه الأحداث والوقائع عابرة مؤقتة تابعة لصروف الدهر والحدثان ، إنه ولا ريب قِدَمٌ عتيق مقوض الأركان محطم البنيان أثر الاستمساك بأهداب المدرسة والعلم ، ومن ثم فقد عجز عن الوقوف على قدميه فى طريق الفلسفة وإدراك الشعور بالسعادة فى الحضرة الإلهية والذوق الصوفى .

لا جرم أن المولوية كانت شعبية طائفية ، بيد أنها باتت أثرا من الماضى بسبب أفعالها الأبيقورية المتعصبة ولباسها وموسيقاها وتكاياها وأعرافها وتقاليدها وعاداتها ، لقد كان مولانا حائزا قصب السبق بفلسفته الشعبية والإنسانية ، مرهف الحس رقيق الشعور بنظرته إلى الدنيا التى هى فى نظره فوق الأديان .

كان دائما يحيا حياة جديدة بأشعاره ، ويعيش فى الدنيا بنموذج هذه الحياة فى كل لحظة وأن يستغرق فى حالة يغشاه فيها الجيشان وسورة الحميا ، فهو متجدد على الدوام يستمد حيويته من ينبوع الطاقة المتجددة من الشعر والنشوة المفرطة والذوق الصوفى والانجذاب العاطفى ، إنه يكابد كل هذا فى سبيل بنى البشر والإنسانية جمعاء .

إن المولوية من هذه النظرة قد كلفت التاريخ كثيرا .

بيد أن كل إنسان وكل زمان لا يتأتى له أن يضع أُطرا وحدودا للمولوية عن طريق حدود التاريخ والمكان .

الموكب السلطانى والأساطير المتصلة بالسياسة عند المولوية :

سرعان ما تسنمت المولوية الدرجة العليا فى مضمار الحياة السياسية إبان عصر السلطان سليم الثالث ، وما أن حدث هذا حتى ظهرت بعض الأساطير التى

لا تعتمد على على أساس قط ، ويعوزها التوثيق فى كل موضع من مواضعها ، ونستطيع أن نرتب هذه الطائفة من الأساطير على النحو الآتى :

١ - اغتاظ مولانا واشتد حنقه لما قام به ركن الدين قليج أرسلان من تنصيب شخص يدعى « بابا مرندى » ليتبوأ مقام المشيخة ، مما جعل مولانا يترك القصر ويخرج منه ، وفى تلك الآونة قدم عثمان الأول إلى القصر وما إن رأى مولانا حتى انخرط فى التضرع والتوسل والرجاء ، وسر مولانا لهذا الصنيع ، وحل السيف المربوط حول خصر عثمان ثم ربطه مرة ثانية وأردف قائلا : لقد أخذنا السلطنة من السلاجقة وأعطيناها لك ولسلالتك .

٢ - تبوأ مولانا منصب السلطنة فى قونية فى أعقاب انهيار السلطنة السلجوقية وتقويض أركانها ثم قدم السلطنة بعد ذلك إلى عثمان .

٣ - طوق سلطان ولد بن مولانا السيف حول خصر عثمان أما الأسطورة الأولى فإنها تضاف إلى الواقعة المسجلة عند أفلاكى [١٠] .

تقول الأسطورة الثانية أن مخلص باشا اعتلى عرش السلطة فى قره مان مدة ستة أشهر ، ثم شرع بعد ذلك فى الانتقام من أولئك الذين كسروا شوكة الشيوخ . وتوجد فى الشقائق[١١] رواية غير موثقة تدور حول تخلى مخلص باشا عن السلطنة تاركًا إياها إلى نور الدين صوفى أحد صوفية بابا إلياس .

أما الأسطورة الثالثة فقد نشأت من فساد الأسطورة الأولى ، كما أن حكاية لف ا لسيف وتمنطقه تنسب إلى واحد من البكتاشية وهو حاجى بكتاش ، وهذا ما سوف نراه فيما بعد ، و على كل حال فإن هذه الأسطورة قد تمخضت عن ذلك الادعاء الغريب الذى نشأ بدوره فى هذه التواريخ عينها .

ينتسب مولانا جلال الدين الرومى من جهة الأم إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن جهة الأب إلى الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ،

وفى الوقت نفسه فإن سلالة مولانا جلال الدين ذات علاقة وثيقة العرى بسلالة الخوارزميين وهم أصحاب السلطنة والوارث الحقيقى لها . أما آل عثمان فقد تبوءوا

عرش السلطنة عن طريق الوصاية على عرش الشلبيين حتى أن جلبى عندما كان يأتى إلى إستانبول فإنه يتوجب إقامته فى اسكودار ، لأن السلطان إذا مر من اسكودار إلى إستانبول أصبح لزاما عليه مبايعة جلبى وتسليمه سلطنة مقام الشلبية(١٢) .

وكان جلبى يقول بوجوب انتقال السلطان إلى إستانبول وحدث هذا بداءة من عصر السلطانين سليم الثالث ومحمود الثانى كليهما ، وسرعان ما بدءوا بعد ذلك يتحدثون عن حق جلبى فى تطويق ا لسيف حول خصر السلاطين ، وكان هناك اقتناع تام يمثل الرأى العام بخصوص ذلك السيف الذى يلفه جلبى حول خصر السلاطين عند ضريح أبى أيوب الأنصارى ، أما جلبى فإنه صاحب ووارث مقام مولانا .

ومن الثابت الذى لا مراء فيه أن مراسم احتفال تمنطق السيف قد نشأ بتأثير مباشر من أهل الفتوة فالسلطان رجل من فرقة الانكشارية وهو المؤسس الذى يذود عن وجوده بالسيف ، من ثم فإنه يعد منتسبا إلى طائفة سيف الفتوة ، فإذا ما اعتلى سدة العرش فإنه سرعان ما يكتسب صفة التمثيل بموجب مراسم هذا الاحتفال(١٣) .

ورغم كل هذا فعندما كانت مراسم احتفال اعتلاء العرش شيئا طبيعيا فإن المورخين لم يتحدثوا عن هذا الاحتفال فى تواريخ ما بعد القرن السابع عشر الميلادى ، بيد أن السلطان مراد الثانى عندما أخبر بتبوؤ السلطنة على أماسية واقترب من بورصة ومن فى معيته من الرجال أسرع أمير بخارى صهر بايزيد يلديريم باستقباله مع الشعب خارج المدينة ولف السيف بيده حول خصره(١٤) .

وإذا كانت ثمة طائفة من القائلين بأن مراسم احتفال تمنطق السيف قد اصطبغ بالصيغة الرسمية بدءاً من هذا التاريخ فإنه يمكن أن يقال على سبيل المثال لا الحصر : إن السلطان مراداً الأول كان رجلا من رجالات الفتوة كما كان كذلك رئيسا للأخيان ، وإذا ما أمعنا النظر مليا ألفينا أن لكل من عثمان وأورخان علاقة ثابتة مؤكدة بأهل الفتوة (الأخيان) .

وهبْ أن هذه المراسم لم تكن رسمية فإنه يمكن القول أنها باقية منذ العصور المبكرة لآل عثمان(١٥) . هذا وثمة رواية تقول : إن آق شمس الدين لف السيف حول

خصر السلطان محمد الفاتح عند ضريح أبى أيوب الأنصارى ، وباتت هذه الشعيرة بدءًا القرن السابع عشر الميلادى تدون بأسماء هى :

« تقليد السيف ، تمنطق السيف « أو » تقليد السيف أو لف السيف » ، وقد بحثت مسألة لف السيف حول خصر السلاطين فى التواريخ المدونة بسجل الحوادث الحولية المعروف باسم « وقعة نويس » . ولقد تمنطق سليمان الثانى (ت ١١٢٠ هـ = ١٦٩١) بالسيف عند ضريح أبى أيوب الأنصارى (تاريخ راشد إستانبول المطبعة العامرة سنة ١٢٨٢ هـ = جـ ٢ ص ٢١) .

ويرى « هاسلوق » F.V Hasluck بأن المنطق للسيف يقوم على رعاية شئون الأسياد ونعنى بهم أولئك الذين ينحدر نسلهم من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعد مدير هؤلاء الأسياد الأشراف بمثابة نقيب الأشراف (بحوث فى البكتاشية - ترجمة رجب خلوصى ، نشريات : معهد التركيات - إستانبول - مطبعة الدولة ١٩٢٨م ، ص ١٢٤) .

كما تمنطق السلطان أحمد الثانى (ت ١١٠٦ هـ = ١٦٩٤ م) بالسيف عند ضريح أبى أيوب الأنصارى (وبناء على العرف الحسن السائد فى الدولة ، فلقد قُلِّد السلطان أحمد الثانى سيف الملك الفاتح للعالم وذلك وسط أصحاب الهمم العالية وبمباشرة نقيب أفندى) (تاريخ راشد : ص ١٦٠) .

وإذا كنا لا نعلم من اضطلع بلف السيف حول خصر السلطان مصطفى الثانى (سلطنته من ١١٠٦ - ١١١٥ هـ = ١٦٩٤ - ١٧٠٣م) فمما لا شك فيه أن هذا قد تم فى نفس الموضع بناء على هذه العادة المتبعة والعرف السائد .

وقد قُلد السلطان أحمد الثالث السيف كذلك « وذلك بناء على القانون العثمانى القديم وبمباشرة كل من نقيب الأشراف وقائد الانكشارية (نفس المصدر - جـ ٣ ، ص : ٨٢) كما تقلده كذلك السلطان محمد الأول بموجب المراسم المقررة وبتوقيع من نقيب الأشراف سيد محمد أفندى » (تاريخ سامى : إستانبول ١١٩٨هـ ، ص ١١) .

وقلد نقيب الأشراف رضا أفندى السيف للسلطان عثمان الثالث (تاريخ واصف : إستانبول - المطبعة العامرة - ١٢١٩هـ ، ص ٤٣) وقلد شيخ الإسلام للسلطان مصطفى الثالث نفس المصدر ، جـ ١ ، ٩٥) .

واضطلع شيخ الإسلام بتقليد السيف للسلطان سليم الثالث الذى كان منتسبا إلى الطريقة المولوية (تاريخ جودت : جـ٤ - الطبعة الثانية ، إستانبول - المطبعة العثمانية ١٣٠٩هـ ، ص ٢٦٥) واضطلع نقيب الأشراف درى زاده عبد الله بتقليد السيف للسلطان محمود الثانى (نفس المصدر ، جـ ٨ ، ص ٣٢٩ ، يسجل هاسلوق Hasluck فى كتابه وجود شيخ مولوى فى هذه المراسم (ص ١٢٩) .

وقلد نقيب الأشراف عبد الرحيم السيف للسلطان عبد المجيد (تاريخ لطفى : إستانبول : مطبعة محمود بك ، ١٣٠ هـ ، جـ ٦ ، ص ٥١) ، وقام شيخ الإسلام بتقليده للسلطان عبد العزيز (تقويم الوقائع - ١٧ محرم ١٢٧٨هـ = عدد : ٢١٦) ، كما أعلن عن تقليد السلطان مراد الخامس للسيف فى يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى لسنة ١٢٩٣هـ (بصيرت - ٢٠ جمادى الأولى - الاثنين رقم ١٨٣٧) ، بيد أن مراسم الاحتفال لم تتم بسبب مرضه .

واضطلع شيخ الإسلام حسن خير الله بتقليد السيف للسلطان عبد الحميد الثانى فى يوم الخميس الثامن عشر من شعبان لسنة ١٢٩٣هـ (بصيرت : ١٩ شعبان ١٢٩٣هـ - الجمعة رقم (١٩٠٢) ولا تنس فى هذا المقام أن عبد الحليم جلبى قلد السيف للسلطان محمد رشاد (محمد الخامس) عقب إقصاء عبد الحميد عن العرش (مجلة ثروة الفنون - النسخة اليومية ، ٢٧ إبريل - السنة المالية ١٣٢٥هـ ، الاثنين رقم ٢٨٧ ، ص ٢ ، صحيفة المحيط المصور - ٣٠ أبريل لسنة ١٣٢٥هـ - الخميس - جـ ٢٢ - رقم ٤ - ٢٦ ، ص ١٠١ ، عدد مزين ومزود بالرسوم التوضيحية ، ٢٢ مايو ١٩٠٩م ، رقم ٣٤٥٦ ، ص ٣٥٣) .

كان السلطان محمد رشاد مولويا ، ومن ثم فقد اضطلع عبد الحليم جلبى بقيادة حركة الجيش الذى أقصى عبد الحليم عن العرش ، وكانت هذه الواقعة سببا دفع الاتحاديين إلى إرسال برقيات لمخاطبة مديرى الولايات وأعضاء البرلمان والأشراف .

والأعيان ، وقد قدمنا صورة من الخطاب السرى الذى كتبه عبد الحليم جلبى إلى قيادة القوات التى احتلت إستانبول عقب الحرب الأولى حيث قال فى رسالته إنه يعانى من العنت والضيق بسبب البرقية سالفة الذكر ، وأن الحديث عن هذه البرقية يعتمد على رواية صحيفة ثروة الفنون اليومية الصادر فى إستانبول (١٦ ذى القعدة ١٣٢٥ هـ = رقم ٢٧٧ ، ص ٣) .

وورد فى نسخة أخرى أن جلبى قدم إلى مدينة إستانبول بمناسبة موكب تقليد السيف للسلطان محمد رشاد ، واستقبله السلطان عقب مراسم أداء السلطان لصلاة الجمعة ، وتردف الصحيفة قائلة : إن جلبى مكث مدة فى إستانبول وعين السلطان له شخصين يقومان على خدمته ويتعهدان برعايته فى جناح خصص له بالقصر السلطانى ، هذا وقد نشرت الصحيفة نص البرقية بهذه المناسبة وها هو ذا نصها :

(إلى قائد جيش الحرية ، وإلى رؤساء مجلس الأعيان والأمة ، وإلى سائر الأعضاء الذين نصروا الحرية ، وإلى إخوانى مديرى الأقاليم .

إن قوتكم وعدالتكم قد حيرت حضارة الدنيا وأصابتها بالبهر والإعجاب ، فالأمة كلها مسرورة منكم شاكرة مقرة بالجميل لكم جميعا ، لقد بات عبد الحميد يستخدم الدين بصورة غير مشروعة لمساعدة العصابات الخائنة وقطاع الطريق وصار مخالفا للشريعة بغية إعادة الاستبداد ، وحنث فى يمينه وبناء عليه فليس من اللائق أن يحمل سيف النبى صلى الله عليه وسلم ذا الشأن العظيم المودع لديه والمؤتمن عليه وقد اقترحنا نزع سيف العدالة منه وإيداعه فى الأيدى اللائقة به ، وكلنا جميعا فى عونكم ٢٠ أبريل ١٣٢٩ هـ ، الاثنين رقم ٢٨١) .

لقد أفرغ الاتحاديون وسعهم فى سبيل التغلغل والنفوذ إلى كل شخص بغية فرض هيمنتهم وإحكام قبضتهم على شتى العناصر الموجودة فى الأمة ، إذ كانوا يضطلعون بتزيين قبضة معاول [١٦] ضباط البحرية بقلنسوة معممة ذات اثنتى عشرة قطعة ، ويزورون تكية حاجى بكتاش ويعمدون كذلك إلى اصطناع الدعايات المتصلة بالبكتاشية الذين يعيشون بين ظهرانيهم والترويج لهذه الطريقة وكأنها ديانة تركية ، وهموا كذلك بالاستمساك بالملامية وذلك عن طريق بعض الملامين من أمثال :

بورصه لى طاهر بك (ت ١٩٢٥) الذى كان عضوا فى مجلس الأمة التركى ، وكان هناك شخص يعرفه الشعب ويدعى « ملا خنقار اوغلو » تدور حوله شائعات تتصل باضطلاعه بتقليد السيف حول خصر السلطان وكان الناس يستدعون جلبى المولوى إلى إستانبول ليضطلع كذلك بتقليد السيف للسلطان ، وهذا بمثابة إظهار للسياسة التى تعلن الاستمساك بالمولوية بواسطة جلبى الذى كان مناصرا لهؤلاء عن طريق البرقية التى أرسلها . وإذا غضضنا الطرف عن كل هذا فإن جلبى لم يضطلع قط بتطويق السيف للسلاطين بما فيهم السلطان محمد رشاد نفسه ، بل كان نقيب الأشراف هو المضطلع بهذه المهمة باعتبارها « سنة حسنة متبعة للدولة » ، وإن اضطلاع نقيب الأشراف السيف هو عرف رسمى مقرر طبقا للقانون العثمانى القديم .

وعلى كل حال فقد كان شيخ الإسلام يحل محل نقيب الأشراف فى تقليد السيف لبعض السلاطين وذلك إما لعذر طارئ أو لرغبة السلطان فى ذلك .

وندرك كذلك من خلال مراسم احتفال تقليد السيف للسلطان أحمد الثالث أن كلا من قائد السلاح وقائد الانكشارية كليهما كانا من بين الأعضاء الطبيعيين الموجودين فى هذا الاحتفال ، فليس من المقبول عدم حضور قائد الانكشارية هذا الاحتفال لأنه يعد من أسلحة السلطان الذى يعتبر هو نفسه منتسبا إلى هذه الفرقة .

وكان السلطان وحيد الدين هو آخر المقلدين بالسيف ، وقد تضايق بسبب البرقية التى أبرق بها عبد الحليم جلبى بمحض إرادته ، ثم قدم وحيد الدين آنذاك إلى إستانبول وقلده الشيخ سنوسى الموجود فى تلك الآونة السيف (صحيفة أقدام - يوم الأحد ٢٥ من ذى القعدة لسنة ١٣٣٦ هـ = ١ سبتمبر ١٩١٨ م) (١٧) .

لا جرم أن المولوية كانوا يعتبرون جلبى هو قلب السلطان المقرب من مركز السلطان ونفوذه وذلك بداءة من القرن الثامن عشر الميلادى ، وكان الشلبيون كذلك يصرفون همتهم إلى السلطنة الروحية والمعنوية . وكان الأمير عند آل عثمان الأقدمين يعتلى سدة العرش بعد موت السلطان ومن ثم يصير واليا على ولاية « مانسيه Mani-san » ، أما فى عصر الشلبية المتأخرين فكان جلبى يتبوأ منصب الشلبية بعد جلبى

الموجود فى هذا المنصب ، كما كان يضطلع كذلك بتعيين شيخ التكية المولوية فى مانسيه Manisa .

وكان لجلبى كذلك شأن عظيم فى مراسم التشريفات الرسمية وفى معية رؤساء العسكر وقد عين ولد جلبى قائدا للواء مجاهدى المولوية الذى تشكل إبان الحرب العالمية الأولى ، وأصبح ا لشيخ عبد الباقى كذلك وكيلا لقائد هذا اللواء برتبة رائد ، وكان لفنار شادتلو » ، « صحاب الخلق الرشيد »(١٨) لقبا رسميا فى المكاتبات الرسمية التى ترسل إلى الشلبيين ، وكانت هذه الكلمة تُذكِّر بولى العهد رشاد أفندى إبان عصر عبد الحميد الثانى ، كما كانت تشكك فى إدارته بسبب حبه الشديد الذى يكتبه للمولوية ، وبناء عليه فقد بدأ التعاطف تجاه الشلبيين يتم باستخدام لقب « فضيلتلو صاحب الفضيلة » .

كما كان الشلبيون ينقشون أسماءهم فوق الأختام مع الشيوخ الآخرين ويكتبون عليها هذه العبارة « تكية مقام المشيخة » ، ومن ثم ألغى الناس اللقب الذى يمنح للسلطان والذى كان يعنى « أنه يجلس فى مقام النبى محمد صلى الله عليه وسلم » ، وبناء عليه فإن الشيوخ والشلبيين غيروا لقب المشيخة إلى لقب « سجادة نشين » أى الزعيم الدينى ، ثم أضيف إلى هذا التركيب كلمة « الداعى » ليطلق على رجالات العلم .

مكانة المرأة عند المولوية :

كتبنا أن مولانا رضى بقبول المرأة باعتبارها عنصرا من عناصر المجتمع ، وكان يعارض حجابها واختفاءها فقد كان هناك كثير من النسوة المريدات ، كن يذهبن إلى مجالس السماع وينثرن الورود على من يغشون مجالس السماع ، وكان مولانا دائما يردد فى مثنوية أفكاراً تتصل بعشق المرأة ، وظل طوال عمره يعيش مع امرأة واحدة (مولانا جلال الدين – الطبعة الثالثة ، ص ٢١١ – ٢١٣) .

وقد وردت روايات عند أفلاكي تتحدث عن طائفة من النسوة اللاتى كن مريدات لمولانا ، ومنهن على سبيل المثال : كره خاتون زوج مولانا وابنتا سلطان ولد مطهرة خاتون وشرف خاتون ، ووالدة أولو عارف جلبى وفاطمة خاتون ابنة صلاح الدين زر قوب ، وملكة خاتون ابنة مولانا ، وملكة خاتون ابنة أولو عارف جلبى وكريمة خاتون ابنة الشيخ محمد خادم .

وقد روى قسم من هذه الروايات بواسطة رواة آخرين ، كما روى قسم آخر دون واسطة ولا سيما ذلك الذى اضطلع أفلاكى بروايته ، وندرك من هذا أن النسوة اللاتى كن يحببن مولانا كن جميعا من الأسرة المولوية ودائما ما كن يغشين مجالس أكابر المولوية ووجهائهم ويتجاذبن معهم أطراف الحديث .

هذا ويدون أفلاكى فى ختام سلسلة النسب ما يفيد بأنه كان لشرف خاتون ابنة سلطان ولد كثير من المريدين وكانت عارفة خوشلقا القونيوية خليفة للمولوية فى مقاطعة « طوقات » وكان الأكابر وسراة القوم مريدين لها أجمعين . أما أولو عارف جلبى فكان على آسال من مولانا حيث كان يلتقى بالنساء ويتحدث إليهن ويذهب إلى مجالس السماع اللاتى كن يغشينها .

وهكذا نرى أنه ليس ثمة فارق ألبتة بين المرأة والرجل إبان العصور المبكرة للمولوية حتى إن الخلافة قد منحت المرأة ، وبهذه الطريقة كان هناك تجلة وتوقير عظيم لكثير من الرجال المنتسبين إلى المرأة ، وهذا يجلى مساواة المرأة للرجل ، واستمر هذا الوضع حتى القرن السابع عشر الميلادى ومن المعلوم كذلك أن من تدعى « دستينة » حفيدة ديوانه محمد جلبى قد تولت مشيخة تكية قره حصار عقب شاه محمد جلبى بن خضر شاه جلبى ، وكانت هذه المرأة ترتدى الخرقة والقلنسوة كالرجال (السفينة : جـ ١ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣) ثم تبوأ منصب المشيخة فى عقبها كوجوك محمد جلبى الذى ينحدر نسله من سلالة ديوانه محمد جلبى ولما قضى نحبه ظلت المشيخة والخلافة كلتاهما قائمتين فعلا فى ابنته الكبرى « جونش خان » تربية لسالكى الطريقة وهداية لهم (المصدر السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٥) .

وتفيد الروايات المحلية أن « جونش خان » كانت تنزل السوق لشراء الأشياء الخاصة بالتكية وتحظى بالتوقير من كل من يلقاها ، وفى نفس الوقت كانت القلنسوة

ملفوفة على رأسها والخرقة حول خصرها ، كما كانت تدير شعيرة اللف والدوران المولوية وتشرف عليها .

ولقد رأينا ضرورة الوقف على الأمدوحة التي تفوه بها شاعر مولوى يدعى « درويش يقين » وأن التفوه بهذه المدائح المتباينة في حق النساء هو شيء لا يرى قط إلا في حالات نادرة ، وها هي ذي الأمدوحة :

زهي سعد السعود طالع بخت كنش خاني

كه ايتدى برتو لطفيله اخوان سناخواني

زهي شمع شبستان ولايت كيم كرامتله

برايتدى دائرا مادار بزم هفت أعياني

زهي نخل تجلى كيم ظهور شعله سرى

سراى وحدت ايتدى خانقاه جهار اركاني

جوان مرداني اسلافك نه أوله طي وله طوهارى

كه عالم كيرد عوتدر سالا بى نعمت خاني

اودور قائم مقامى شمس تيريزى مروت كيم

نثار فرقى خلان ابلدى ابريز اجساني

عجب مى ايته شمع جمعينه براوانه خورشيدى

فلك كرد سر برزمنده برفانوس كرداني

نيجه وصف ايله سين تاب بشر أول جوهر قدس

كه لعل خيرت ايلر فكر شكرى اهل عرفاني

الهى كـــورمـــه ســـون كـــرد كـــســـوف روى اقــبـــالى

فلـك لرله مـلكلـر ايلـه دكــتـــده عــيـش دورانى

ســـرير اوج هـمت مـــســتــــقـــاشـــمــــدى يـقين اودر

زمين أحـــسن الـتـــقـــويمـه ظل فـــيض يـزدانى

والمعنى :   (المصدر السابق : ص ٢٥٤)

ياحـبـذا « جنش خـان » طالع الحظ ســعـد السـعـود

تضـــيىء بالـلطف مــــاندة ضـــيـــاء الإخـــوان

أنـعم بـهـــا فــــهى بـالكـرم شـــمـس ليـل الولايـة

تملأ دائمـا مـجلس الأقـاليم السبـعـة داثرا مـا يدور

أنعم بهـا فـهى شــجـرة التـجلـى وظهـور شـعـلة الأسـرار

كـانت قـصــر الوحـدة وصـومـعـة الجـهـات الأربع

فلـو طويت رعـــاية أســـلافك من الـشــبـــاب والرجـــال

لكنت صـلاة مـقـر النعـمـة ودعـوة لفـتح الأكـوان

وهى الـتى حـلت مـــحل مـــروءة شـــمس تـبــــريزى

وأنت إبريز الإحــــسانُ المنثور فـوق رؤوس الخـلان

أتعجب لو أن فراشـة الشمس طافت حول شمع هذه الجـماعة

لكنت أنت فـانوس الفلك الدوار فى مجلـس الصحـبة

وصـفك كـثـيـرون فـأنت نور البـشـر والجـوهر الـقـدسى

وأنت شـفـــة الخـيـر وفكـر الشكر لأهل العــرفـــان

إلهى لا تجعل وجه السعادة هذا يلفه فلك الكسوف

ما دامت الملائكة والأفلاك تعيش

وهى الآن يقينا متكئة فى ذروة الجنان

فى أرض أحسن التقويم وظل فيض الإله

فالبيتان الخامس والسادس من هذه الأمدوحة يصوبان الروايات المحلية ، وهذا يبين لنا بجلاء تام أن « جونش خان » كانت تضطلع بإدارة شعيرة اللف والدوران المولوية ، كما كانت « جونش خان الصغرى » ابنة عارف جلبى من بين النسوة اللاتى تبوأن مشيخة التكية المولوية فى قره حصار (ص ٢٥٨) ، وقد اتخذت ثاقب دده ولدا لها وعينته شيخا على كوتاهية وزوجته ابنة أخيها وتدعى (حواء هانم) (ص ٢٦١) ، وكانت الحاجة فاطمة هانم أيضا من أكابر نسوة المولوية وقد أنشدت غزليات صوفية .

ويفهم من محصلة ما سبق أن المرأة إبان العصور المبكرة للمولوية لم يقذف بها قط خارج مجتمع المولوية ولا سيما أن هذه الطريقة أنشأت قرى مولوية وانتشرت وذاع صيتها حتى بلغ القرى ، وما كانت المرأة تحقر أو تزدرى من جانب الرجل .

ونعتقد أن انضمام النسوة إلى مجالس السماع وخاصة فى القرى هو شيء يعتمد على هذه الأدلة والقرائن والبراهين . وقد تعرضت الحرية الممنوحة للمرأة للتهديد بسبب اعتماد المولوية على سلطان الوقف ونفوذه وتحالفها واتفاقها مع المشيخة ، ونزولها من القرى والمقاطعات إلى المدن وميلها الشديد نحو الزمرة المستنيرة من الشعب .

وإذا كنا لم نصادف كذلك خليفة للمولوية من النساء بعد هذا القرن ، فإننا نرى كذلك أن لكل من عارفة خوشلقا وجونش خان الصغرى ذِكْرًا بين ثنايا صحائف كتب المناقب الكبرى . أما المرأة المولوية فى مضمار الحياة فكانت تتفرج على شعيرة اللف والدوران من خلال صندرة الحريم ، كما كن فى أوقات أخرى يشاهدن هذه الشعيرة من جناح النساء الموجود فى التكية ، ومن ثم فلا سبيل إلى إغضاب المرأة فى هذه المجتمعات .

ورغم كل هذا فإن هذه المظاهر من شأنها أن تُطمئن المرأة المولوية ويكفل لها قدرا من الحرية .

كان التكبير يتم دائما على قلنسوة اللباد الخاصة بالنساء ، ويتم منحهن القلنسوة المولوية فى بعض الأحيان ، كما كانت المرأة يتسنى لها التمرن على السماع ، وكن أحيانا يمارسن السماع باستخدام الناى والطبلة فى المجالس التى لا يغشاها الرجال ويتم هذا من تلقاء أنفسهن أو فى حضور طائفة من الشيوخ المسنين ولا جرم أن هذا كان وجها من وجوه الترويح عن النفس وتسليتها اللائى كن يلجأن إليها بغية محو آثام الآلام والعذابات النفسية ، ولا تنس فى هذا السياق أنه عندما أسست مراسم الطريقة وباتت صلبة جامدة وتمت صياغتها وتشكيلها لم يكن من الميسور الاعتراف بالمرأة فى هذه المراسم أو السماح بقضائها فترة التعبد ، ولم تكن تستطيع كذلك الدخول إلى مضمار الطقوس الدينية الشريفة ، وثمة رواية تناقلتها الألسنة بين ظهرانى المولوية تقول :

إن الشاعرة ليلى (١٨٤٨ م) كانت ترقد ذات يوم عند جبانة تكية المولوية الكائنة فى « قوله قابيسى » ، ثم وقفت على باب مطبخ التكية والدمع ينهل من عينها وتقول يا ربى ! لم أبقيت منى هذا القدر الضئيل من قطعة اللحم ؟

المولوية والديانات الأخرى والنصرانية منها على وجه الخصوص :

إن التباين بين الأديان ، ما هو إلا اختلاف بين الناس حول هذه المؤسسة المولوية ، وثمة طائفة من المولوية صنعت لنفسها وسيلة العداوة والبغضاء ، وإذا كانت هذه الزمرة تعيش وتقتات بالمعرفة الدينية فإنها اصطنعت لنفسها وسيلة حياة عن طريق إقامة هذه المراسم والشعائر والطقوس . فكلما تدنى الاختلاف بين الأديان واتجه صوب الشعب فإن التسامح الإنسانى يتضاءل تدريجيا بسبب العشق والاحترام الذى يشعر به هذا الشعب تجاه الصدق والاستقامة على وجه الخصوص .

فليكن المرء مسلما أو نصرانيا ، بيد أنه لا يعيش عن طريق الخوض فى معرفة الفروع الدينية وتفصيلها ، فهو موقن معتقد بأصول العقائد وأساسها ، أو أن الناس

يحسبون أنه يعتقد فى ذلك ، ولا يتأتى هذا من دينه بأى وسيلة من الوسائل ، فالشعب يُسر بقوله « إنه يقول الله » .

بيد أنه فى الوقت نفسه غائص مستغرق فى التفصيلات ، مماحك مجادل فى المسائل اللفظية ، فإذا ما برز تجاه رجال الدين فإن الخلاف حينئذ لا يبدأ بين دينين فحسب ، وإنما فى الدين ذاته . وعلى سبيل المثال فقد احتدم جدل شديد فى مسألة الوضوء أيكون غسل الذراعين من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى .

ومع هذا فإن تنازع الناس حول هذه الطقوس والشعائر ما هو إلا عرف وعادة متبعة ، إنه إدمان . ومما لا سبيل إلى إنكاره أن الناس يجتمعون سويا ويتفقون معا من أجل رغباتهم فى مرات كثيرة أو يتعشمون فى وسيلة تأتى إليهم من القدرة الميتافيزيقية بغية التخلص من العنت و اللغوب ، أما من يبلغون الرفاهية فكلما وجدوا الفرصة سانحة فإنهم سرعان ما ينضمون إلى بعض الشعائر المحكمة القوية التابعة لتقليد سائد بغية تأمين آخرتهم .

والتفاف الناس واجتماعهم يكون عادة ما يتمنونه ويرجونه أو دفعا لما عسى أن يصيبهم بالخوف ، وحينئذ يتعشم الإنسان فى وسيلة من القدرة الميتافيزيقية يمكن أن تخلصه مما أصابه ، ولا نلحظ فى الدين فرقا فى هذا المضمار ، ولا جرم أن الفطرة السليمة للناس كما أشرنا إليها آنفا هى التى تتجلى فى البحث والتنقيب عن طريق بغية التوفيق دائما بين وجوه الاختلاف والشقائق .

إن هناك مزارين نصرانيين سجلهما المستشرق هاسلوق Husluck ولهذين المزارين اتجاهان ، ولا سبيل لنا إلى إنكار دور المسجد والتكية والكنيسة والمعبد فكلهم منتسبون إلى أصل واحد وحقيقة واحدة .

وتوجد فى إستانبول كنيسة « باليقلى » وهى ترسل كل عام زيت الزيتون إلى التكية المولوية فى « ينى قابى » وتقول إحدى الروايات إن ابنة أحد الرهبان أو إحدى قريباتها قد برئت من سقمها بترتيل من أحد شيوخ التكية ولا أعلم هل تم هذا بصفة رسمية أم لا ؟ وقد ظل إرسال زيت الزيتون إلى التكية مستمرا منذ ذلك الوقت . وعندما تخرج من منطقة « سيركه جى »[١٩] متجها صوب السلطان أحمد[٢٠] فإنك

تجد نافورة الماء المقدسة عند النصارى موجودة فى الطرف الشمالى قبيل الوصول إلى قصر « آلاى كوشك » كما أن هذا المكان بمثابة موضع للوفاء بالنذر عند المسلمين .

وقد احتدم جدل شديد حتى عهود قريبة بين الشيعة الإمامية والمجتهدين ، ورغم ما يذكر من أشياء تناهض الشريعة فى هذا الجدل فإن شعائر وطقوس التعزية المخضبة بالدماء لدى الشيعة كانت تمارس على الدوام فى شهر المحرم ، كما أن النصارى ينضمون كذلك إلى الاجتماع المعروف باسم « دسته » ومعهم اللباس والراية والكفن وأشياء أخرى ، ثم يقدمون النذور كالملعقة والقدح والشاى والسكر والشمع حتى الآن إلى مسجد « سيد أحمد دره سى » الواقع على مقربة من جبانة الشيعة الإمامية فى « اسكودار » ، وليست هذه الشعيرة مما يخص المسلمين فحسب ، بل إن أهل السنة يقدمون النذور كذلك ، ونجد النصارى بين من يقدمون النذور .

وعلى كل حال فهناك من المسلمين من يستعين بالرهبان للتخلص من المرض كما هو الشأن عند النصارى الذين يلجئون إلى شيوخ المسلمين ليتخلصوا من الأسقام التى تصيبهم .

ولا يرد على العقل قط ذلك الرأى الذى يمكن أن يؤلف بين مشاعر الناس ويوحد بين قلوبهم ، فثمة أشخاص يرون أن هذا ضد منفعتهم .

ونحن على يقين بأن هؤلاء وأولئك يمتلكون دينهم ولهم ما يخصهم من المزارات والأضرحة وثمة زمرة من المسلمين ممن يحملون بين جوانحهم دينا خفيا مستورا ، فالنصارى يحتفلون كثيرا بأشخاص أعزاء لديهم ، والصوفى المسلم يلتقى بالراهب الفلانى متظاهراً بالنصرانية كى يتخلص عن طريق لطف هذا العزيز من حادثة ما ألمت به . إن الذى ينفخ فى كير الاختلاف الدينى والمعارضة الدينية ويحضأ نارها فإنه لا طائل له من وراء ذلك ، وهو فى صنيعه هذا كمن يقف ضد من يحتاج إليه ، إنه إنسان يرى الناس كأنهم ذات نفسه وحقيقة جوهره ، وما يلبث الناس أن يلتفوا حوله فى الحال إنهم زمرة أرفع شأنا من المستثمر المنتفع بالفكرة الإنسانية ، وإذا ما نظر المرء نظرة فاحصة فإنه يؤكد هذه التوليفة المتراكمة بأفعال تعانق الإنسانية وتحتضنها . إن مولانا جلال الدين يرى بعينه الذاهبين إلى طريق الاختلاف الدينى

بيد أنه يقول إنه سوف يتخلص من سائر الأصفاد والأغلال كى يصل فقط إلى الحقيقة المطلقة ، إن مولانا واحد من أرباب الطاقات العظيمة الذى بذل جهده وأفرغ وسعه لتأمين وتأكيد وإثبات الوحدة الإنسانية عن طريق أفكاره المؤتلفة المتراكبة التى تفوق الأديان ، ومن ثم فلم يكن المسلمون وحدهم هم الذين التفوا حوله فقط ، بل التف حوله كذلك أرباب الديانات الأخرى . ومما لا مرية فيه أن الروم من أمثال« قالويان Kaloyan » وعين الدولة ، وعلاء الدين سوريانوس « قد تبوءوا منزلة عظيمة الشأن فى بيئة جلال الدين الرومى وفى معية المسلمين ، ولم يشعروا أنهم دخلوا فى دين يتناقض تماما مع الديانات القديمة ، ومن ثم فإنهم التفوا بذلك البهر والإعجاب وتلك القدرة الفذة والسلطان المهيمن الذى يستهدف الاتحاد ، وما لبث العشق الإنسانى أن أنضجهم وأصهرهم فى بوتقته وبلغ بهم أسمى درجات الكمال ، وقد تحرر هذا الإنسان من سائر القيود والأصفاد . ومما لا شك فيه أن مولانا عندما كان يتحدث مع الراهب الموجود فى دير أفلاطون لم يعرض فكرة التفوق على النصرانية أو الاستعلاء عليها ، ولم يقدم هذا الفكر إلى الراهب . إن مولانا الإنسان قد تصالح وتوافق مع الإنسان الراهب من خلال النظرة الإنسانية المشتركة بينهما . وكان لمولانا فى هذا السبيل معرفة وثيقة براهب وجزار أرمنى وشباب أرمنى خارج من الخمارة ، وامتدت هذه المعرفة كذلك لتشمل أولئك النسوة اللائى يُؤَمِّن قوتهن عن طريق البغاء عسى أن يهدين أحداً إلى سواء السبيل ولم يدر بخلده سوى السجود للإنسانية المتمثلة فى الإنسان ، فهو يسجد للإنسانية والإنسان المثالى إما متسامحا وإما متناسيا ضعف الإنسان ، ولهذا السبب كانت جنازة مولانا بمثابة تاج الخلائق المنتسبين إلى مختلف المذاهب والديانات وكذلك الحاخامات والرهبان القرويين والمدنيين منهم على حد سواء ، يقول« علم الدين قيصرى »« إن كل نبى يحب أمته وكل ولى يحب مريديه ، أما مولانا فكان محبوبا من كل دين ومذهب وسائر الإنسانية جمعاء .

إن أولئك المغللين بشتى الأغلال والأصفاد الذين لم يتسن لهم الخروج من داخل الدائرة الضيقة ، ما هم إلا زمرة من المساكين الذين أنشئوا ضربا من العداوة والبغضاء ضد من لا يفكرون بمشاعرهم أو يتعصبون لعلومهم ومعارفهم ، إن هؤلاء وأولئك لم يتسن لهم إدراك هذا التفوق والسموق الذى لا تحده حدود »[٢١] . أما

« هاسلوق Hasluck » فإنه لم يحلل هذه الأشياء كما ينبغى ، إذ زعم أن شمس تبريزى قد تنصر وأصبح يسوعيا ، وابتلع روح القدس داخل تفاحة وهو على فراش الموت ، وهذه روايات سخيفة تثير الضحك والاستهزاء حتى لدى أصحاب القلوب المطهرة من الآدميين ، وثمة روايات أخرى لا تعتمد على أى توثيق أو سند تاريخى قط ، وهى روايات تتناول كذبة ملفقة برمتها وتدور حول ما يفيد بوجود راهب مدفون بجانب مولانا فى مقبرته ، وهم بهذا يعتبرون مولانا نصف نصرانى على أقل تقدير ، والبعض الآخر يزعم بأن اسم الزوجة الثانية لمولانا يشبه كلمة رومية ويعتبرون « كره خاتون » زوجة مولانا رومية الأصل رغم أنها ابنة عز الدين عالى القونيوى وكانت قبل مولانا زوجة لشخص يدعى « محمد شاه » ، وهذا ادعاء منهم بالتأويل رغم علم مولانا بالرومية وتسامحه تجاه النصارى(٢٢) ، وما فعلوه لا يخرج عن كونه تنكبًا لجادة الصواب وحياداً عن الطريق المستقيم ، ويحمل بين ثناياه خطأ رجل يدعى « هاسلوق » هو الذى حمله إلينا ، إنها كلمات لا تحمل أية قيمة علمية ألبتة ، بيد أنها يمكن أن تعبر عن التعصب الدينى ليس إلا (٢٣) . إذا كان قد نشأ بين ظهرانى المولوية نفر من الأبيقوريين من ذوى التسامح والصفح الجميل لغير المسلمين فإنهم قد قبلوا الإنسان بصفته الإنسانية ، وصفحوا عنه ناظرين إلى ضعفهم ، وقد نشأت هذه الطائفة لكونهم أصحاب فكرة محددة وجدت بحسب المرتبة العلمية لأصحاب العقيدة وسائر الديانات الأخرى ونشعر فى هذا الصدد بضرورة التفوه بالقول الآتى ذكره لاحقا :

قليل من الناس المتعلمين على دراية بأن هذه المنطقة من العالم التى تسمى « مملكة الروم » ما هى إلا منطقة الأناضول ، كما أن كلمة رومى تعنى الأناضولى ، ولقد جاء مولانا فى معية أبيه من بلخ واستقر به المقام فى قونية ، ثم ألحق لفظ رومى إلى اسمه بعد ذلك بسبب وفاة والده هناك .

كما أن مولانا لم يستخدم هذه الكلمة لقبًا له أو مخلصا(٢٤) . ولكن ماذا نجم عن هذا الاستخدام ؟ لقد كان شرف أوغلو مؤسس شعبة الطريقة الأشرفية المنبثقة عن القادرية والمدفون فى « أزنيك » (ت ١٤٦٩ م) يذكر باسم أشرف زاده وأشرف الرومى وباسمه الأصلى عبد الله الروملى كما يوجد صوفى يسمى بايزيد الرومى ، وكانت القادرية منتشرة فى إستانبول وانشعبت منها شعبة أسسها إسماعيل

الطوسى (١٠٤٠هـ = ١٦٣١ م) واشتهر باسم إسماعيل الرومى . كان هناك شخص من المنتسبين إلى اليسوعية (٣٦) وهو أحد رهبان الكنيسة فى الأناضول ، ووجدنى ذات يوم فى المقهى أمام المكتبة فى بايزيد (٣) ، ثم ذهب إلى مكتبة بايزيد ، وجعل يتفوه ببعض الأسئلة الدينية وأوصانى به « مطهر جوكمن » مدير المكتبة ، وبدأ الحديث وقال : أيها الأب المحترم ، هناك تساؤل يقول إن مولانا أصبح نصرانيا ، ثم لماذا كان يسمى بالرومى ، وظللت من فورى فى لجة من الحيرة والدهشة وكانت هذه الواقعة سببا فى إطالة الحديث فى هذا البحث إلى هذا الحد . هكذا نرى كم من نتائج تمخضت عن الروايات الملفقة التى سجلها « هاسلوق Hasluck » . إن صاحب العقيدة الصوفية يظل فى أقل تقدير مضطرا إلى الاقتناع بعقيدة منبعثة من ذات نفسه تساعد على تقوية عقيدته الدينية وشد أزرها . وسواء قلنا أو لم نقل فإن المتدينين من هذه الزاوية يضطلعون بتشريع الدين الذائع المنتشر قبيل أديانهم ، وسواء أفكرنا فى هذه المقولة أم لم نفكر فإن الشاعر الدينى سالف الذكر يترك فى الذهن اقتناعا يبشر بالشاعر الدينى اللاحق عليه ، ونحن نرى نماذج كثيرة من هؤلاء فى الكتب المقدسة ، بيد أن هذا الموضوع لم يعد له وجود بهذا القدر سالف الذكر .

والسالك الدينى فى مضمار الدين يزعم أنه يبشر بصاحب الدين الذى يصنع هذه الطريقة بغية إثبات صدق وصواب الطريق الذى ينساق إليه ، وعلى هذا النحو فإن كلام الأنبياء ما هو إلا مجموعة من الأخبار المستوحاة من الغيب ، ومما لا شك فيه أن هذه الواقعة تخدم المنفعة فى كل دين ومذهب .

وإذا لم نقل إن الدين يكون بالسماع والنشوة والانجذاب والطقوس والشعائر والموسيقى والعقيدة الدينية والآداب فإنه يوجد فى هذه المولوية ما يشكل مذهبا أكبر من الطريقة .

وعندما يقول الشاعر « وحدتى » هذا البيت :

عـــرشك آلتـــيـــجـــه ســـمـــاع ايلـر ايكن كـــوردى آنى

شب أســـراره قـــمـــو قـــوم رســـول باشـلرى

والمعنى :

عندما يسمع عرشك الذهبى ومارس السماع

فإن كل أقوام الرسل فى ليل الأسرار

وهو بهذا يشير إلى منقبة مدرجة فى كتب المناقب المتأخرة [٢٧] .

قدم أحد أشراف المدينة المنورة إلى قونية إبان عصر سلطان ولد ، وكان يعلق فوق رأسه طرف عمامة تنسدل حتى سرته كالمولوية ، وقال سلطانه ولد : إن هذه سنة مولانا لم نرها لدى الشيوخ والأشراف الآخرين وأضاف قائلا : لقد سمعنا بلقب السيد من أجدادنا ، وهذا مكتوب فى « معراج نامه » أى رسالة المعراج ، ففى ليلة المعراج رأى النبى صلى الله عليه وسلم شخصا جميلا يعلق هذه العمامة تحت العرش ، فسأل النبى عليه السلام جبريل قائلا له أهذا الرجل من الأنبياء أم من الأولياء الصالحين ، فقال جبريل : هذا روح وصورة محمد جلال الدين الذى ينحدر نسله من سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولسوف يتفوه بحقيقة كلامك وسيجلى أسرار القرآن ، ولسوف يكون نموذجا لك فى زمانه . ولم يقتصر الأمر على هذا الحد ، فقد كان أسرار دده يتجاوز الحد فى هذا السياق زاعما أن مولانا كان يبشر بالانجيل إبان حقبة الرفاهية والرخاء للمولوية ، وفى هذا يقول :

مبشرا ولدى إنجيل ايجره آييس سما عندن

مسيحك رمزوا يماسى جلال الدين روميدر

والمعنى :

لقد بشر من شعيرة السماع إلى داخل الإنجيل

وجلال الدين الرومى هو رمز وإيماء المسيح

ولكن عجبا ! أى آية من الإنجيل يقصد أسرار بهذا البيت ؟ من المتعذر التفوه بشىء جازم فى هذا السبيل ، ولكن عيسى فى إنجيل يوحنا يتحدث عن قدوم المسلى

والمعزى فى البابين الرابع عشر والسادس عشر (١٤٢٧ ، ٢٦) حتى إنه يقول عنه إنه روح الحقيقة ، ومن المحتمل أن يكون أسرار دد يقصد هذه الأبيات .

ولأسرار دده شعر هو غاية فى العجب العجاب ومنه قوله :

أى مغبجه زيبا أى جان ودل عيسى
صبح أو لدى كونش طوغدى كلدى دم اكليه
زيرباغال انجيلون دستنكده جاليباسى
تاكنبدكر دوندن كلدى بوكجه يونا
أى أمت نابينا واردر أول شرح صدرو ايلر
بيك كره طاليب جيقسون نكبت صويونه بابا
بتخانه حسنكده خط زلف ايدرتقسير
انجيل بازا كنجه كما ده يوحنا
بركره اوبت كلسه باصه قدم باكين
كعبه ايله اولور همسر بيت الصنم رومه
ناموس جديد اولدى امت بديد اولدى
كلزار تجليد رأس جبل فاره
روح بدر أعظم اولدى بوسرره همدم
آيينه قدرتدر سرلوحه فاطبطابه
محوا يتدى اكا ينم نور نظر وحدت
دستكده قلم قالدى عقلى شاسيرب لقا

رندان بنى يعقوب برجام ايله مست اولدى

بيمانه راز أولدى تبزينه دم موسى

جيقدى عالم أحمد حشر اولدى جيهان تكرار

زناريني ايسكت ايت أى عابد رومانيه

برنورد ولا يكسر بربحر اولور هرير

نه ملك أمريكانه ملك أفريقا

بيك سال مقدمون ديوانجه سالموسى

وصفينه ايدوب انشاجان بوسر عيش

تسبيحى ايلردى عباد هياكلده

بانغمه داود باركون قطاره

عشق زكريادن برشعله ظهور ايتدى

نعت ايله طولوب كيتدى جان وجكرحنا

زنجير شكت اولدى كا كللريني يولدى

مكه غم ايله دولدى فرديا أيدوب عزى

أسرار فقير البال احسانه محتاجدر

يا أحمد يا محمود يا سيد مولانا (ص ٤٠ - ٤١) .

والمعنى :

يا خادم الحانة الجميل يا روح وفؤاد عيسى

أشرق الصبح وبزغت الشمس بنفس عيسى

والإنجيل تحت إبطك والصليب فى يديك
وأقبل هذه الليلة يونس من قبة الفلك الدوار
جاء إلى الأمة العمياء صوت من الصحراء
وغاص البابا وخرج ألف مرة إلى ماء المحن والبلاء
إنه يفسر خط ذؤابته فى معبد الحسن والجمال
ويكتب يوحنا الإنجيل فى كنز خفى مستور
لقد جاء هذا الجميل مرة ووطأ بقدمه الطاهر
واصبح بين صنم روما للكعبة أخا شقيقا
أصبح هناك ناموس جديد وظهرت أمة
ورأس جبل فاره هو روضة التجلى
وأصبحت روح الأب الأعظم مساوية للابن
وناموس القدرة عنوانا لمتى
ونور نظر الوحدة محا الأقانيم
وظل القلم فى يد لوقا الذى حير العقول
وسكر بالكأس أولاد يعقوب السكارى
وأصبح نفس موسى هو كأس السر الخفى
وانبثق فى الوجود عالم أحمد وحُشر الكون مرة ثانية
فيا عابد رومانيا حطم الزنار
وامتلأ بالنور وأصبح كل مكانا بحرا
فلا هو ملك أمريكا ولا ملك أفريقيا

وكــــان هـناك ســـالموسى المجنون قـــبل ألـف عـــام

ووصـف روح الـغـــــــلام عـــــــيــــــــســى

يســـبح بـاســـمـــه عـند عــبـــاد الهـــيـــاكل

بـتـغـــــــــمـــــــــة داود ويـألـحـــــــان الـنـاى

وظـهـــــــرت بـارقـــــة مـن عـــــشـق زكـــــريـا

مـفـعـمـة بالمدح وذهبت إلى حـبـة الروح والـفـؤاد

ونــزع الــذؤابــه وحــطــم الأغـــــــــــــــــلال

وامـــتـــلأت مكة بـالحــزن وصـــرخ صنم العـــزى

وأســـرار دده فـــقـــيـــر البـــال إلى إحـــســانك مـــحـــتـــاج

يا أحـمد يا مـحمـد يا سـيد مـولانا (ص ٤٠ – ٤١)

إن اسم يونا Yuna الذى ورد ذكره فى البيت الثانى من هذه الأشعار يحتمل أن يكون هو جونوس Jonos من أنبياء بنى إسرائيل ، وفى البيت الثالث إسداء نصح النبى يحيى للناس فى الصحراء وعلى مقربة من ملكوت السماوات ، ويشير كذلك إلى تعميد النبى عيسى عليه السلام (انجيل متى ، الباب الثالث ، انجيل مرقص ١ ، انجيل لوقا ٣ ، انجيل يوحنا ١) .

أما المصراع الثانى من البيت الخامس فإنه رومى ، أما يوحنا الذى ورد ذكره فى البيت السادس فهو من أصحاب الأناجيل ومن حوارى عيسى عليه السلام ، أما كلمة فاره Fara الواردة فى البيت الثامن فموجودة فى التوراة وتعنى مكة أو صحراء فاران التى بشرت إبراهيم بأنه سيكون له أمة من سلالة إسماعيل عليه السلام ، وقد ورد ذكر هذه الكلمة فى التوراة (سفر التكوين جـ ١ ، ١٣ – ٢١) .

وثمة إشارة إلى التثليث واردة فى البيت التاسع ، كما أن اسم متى الذى هو من أصحاب الأناجيل أما اسم « ديو انجه سالموسى » الوارد ذكره فى البيت الرابع عشر

فمن المحتمل أن يكون هو التلمود الذى شرح التوراة ، بيد أن اسم عيسى الموجود فى نفس البيت فهو غالبا ما يكون هو آبسالوم الابن الثالث لداود عليه السلام ، وكلمة عزى الواردة فى البيت الذى يليه فهى اسم أحد الأصنام التى كانت قريش تعبدها قبل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : وتفهم من هذا أن أسرار دده كان شديد الانشغال بالتوراة والإنجيل كليهما ، وهو يشير إلى مولانا كلما قرأنا بعض مواضع من كتابه ، ولربما كان يحذق الرومية مثل مولانا ، وعسى أن يكون علمه بالرومية سببا فى إقامته بمنطقة « غلطة »[٢٨] .

آثار العقائد القديمة فى المولوية :

تأسست المولوية إبان عصر سلطان ولد ثم انتقلت بعد ذلك إلى عصور التكوين والانتشار وذيوع الصيت بدءا فى القرن الثالث عشر الميلادى حتى أواخر القرن الخامس عشر ، وكانت هذه الحقبة تتم فقط عن الفلسفة الواقعية المتسامحة لمولانا عن طريق رؤيته الواسعة للدنيا ، ثم ما لبثت المولوية بعد ذلك أن اصطبغت بصبغة أخرى بعد القرن السادس عشر وتجلى ذلك فى الطقوس والشعائر والآداب المتأثرة بالمدرسة الصوفية الخالصة[٢٩] ، والمعبر عن البيئة التى تحيا فيها بعقيدة دينية تتوسل فيها بالسماع والوجد والشعر والموسيقى ، هذا ونستطيع أن نجد آثارا كثيرة من الأعراف والتقاليد مستمرة من جيل إلى جيل على مر الأحقاب والأدهار .

إن احترام الموقد وتوقير المطبخ المقدس عند المولوية هو ولا ريب تعبير عن عادة موغلة فى القدم ، فكوكب أورانوس[٣٠] الموجود فى اليونانية وفى العقيدة الهندية والإيرانية القديمة ، يعنى أن السماء هى أعلى الموجودات الإلهية جميعها ، وأن الشمس هى عينها والنار ولدها الذى يتجلى على شكل برق ، ثم يأتى بعد ذلك مترا Mitra فى الفارسية الذى يدخل على شكل شمس ، وهو أبوللو[٣١] عند اليونانيين ، وأبوللو هذا يسمى باسم فابوس عن أهل روما وهو ممثل الأدب المقترن بالفنون الجميلة ، وهو يظهر على شكل الشمس فى الكائنات .

ويوجد كذلك عطار Atar فى الآفستا الذى ينتقل فى أشكال عطارش Atrash وهو عطور Atur على التوالى فى اللغة البهلوية ، وآزر وآدر فى الفارسية يأتيان على شكل عطار وآتاش Atar , A ash أما آتش Ates واديش adis فهى علامة على الكلمة الداخلة على شكل آتش بالتخفيف ، أما فستة Vesta فهى ممثلة لموقد النار المقدسة المقترنة بالفضائل العائلية ، وثمة علاقة بين كلمة فستا Vesta وكلمة هستيا Hestla فى اليونانية .

أما معبد فستة Vesta فى روما فقد أُسس بناءعلى قدسية النار والموقد على وجه الخصوص . انظر فى هذا الصدد (كتاب دكتور محمد معين : مازده يا سنه وتأثير اون در أدبيات باريسى - أحد نشريات جامعة طهران ١٣٢٦ - شمس هجرى - مطبعة الجامعة . ص ٢٧ - ٣١ - ١٨٤ - ١٨٠) ويوجد مثل هذا التشابه كذلك فى الأساطير الإيرانية واليونانية ، والوقوف عليها يجليها . فكلمة دبير فلك فى إيران « تير عطارد » كاتب السماء ، وهو هرمس [٣٢] اليونان ، ومار جريوس روما .

أما ناهيد (كوكب الزُّهرة) فهو آفرديويت إله العشق . ومريخ Mirrih أو بهرام Behram فهو أرس Ars (وفى اللاتينية مارس Mars) ، وكيوان Keyvan تعنى زحل ، وساتورنا Sturne ، ويسير هذا التشابه على هذه الشاكلة . بيد أن هذه العقيدة كانت معتمدة على أسس منطقية تشبه فى هذا سائر العلوم والمعارف فى العصر الوسيط ، وقد تخمرت هذه الأسطورة وانصهرت فى إيران ، ثم ما لبثت أن ظهر علم فلك غريب متمخض عن منطق أرسطو وطريقة بطليموس .

ولكن أكانت إيران أو اليونان هى الأساس فى هذه التشابه ؟ وهل اقتبست أسس ومبادىء الاقتناع بالأساطير من الهند القديمة ؟ أم أنها انتقلت مع الإسكندر إلى إيران ؟

ورغم الإشارة بأن الرأى الثانى وآه ضعيف ، فإننا سوف لا نتدخل فى مناقشته فى هذا السياق لأن هذا خارج عن إطار الموضوع الذى نحن بصدد البحث فيه . وبعد هذه الإيضاحات المقتضبة ندرك من فورنا أن النار كانت مقدسة منذ أحقاب وأدهار موغلة فى القدم وهى منسوبة إلى السماء وأن المطبخ والموقد كليهما هما موطن النار . وهما مكان مقدس . وكانت المزدكية من الأديان التى تقبل عبادة إله واحد ، ومن ثم فإنها شرعت قدسية الشمس والنار كليهما .

كان معبد بوذا في واقع الأمر موجودا في بلخ بين معابد النيران المعتبرة والمعتد بها ، وكان يوجد كذلك معبد « نوبهار » وهو معبد زرادشتي عظيم حظي بشهرة عريضة من قبل زمرة كبيرة من الشعراء والمؤرخين (انظر : ما زاد ياسنه : ص ٢٣٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧) ، أما بلخ فهي واحدة من أهم المراكز الثقافية .

وإذا كانت عقيدة تقديس النار والموقد تقدم للغة كثيرا من المجازات الجوهرية الأصيلة ، فإنها أيضا ذات مضامين جمة في مضمار الأدب . وعلى كل حال فإن العشق يشبه دائما بالنار ، وبتأثير المزدكية دخلت طائفة من الألفاظ مثل : مُعبد Mubid ، وتعني زرادشت ، وأتشكده بمعنى معبد المجوس ، ومغبجة Mugbece بمعنى الطفل المجوسي ، وبيرمغان بمعنى صاحب الخمارة ، ومغ Mug بمعنى مجوس ، ومي Mey بمعنى الخمر ، ثم انتقلت بعد ذلك ألفاظ إلى التركية مثل كلمة gavur بمعنى ملحد أو كافر ، وألفاظ أخرى مثل جبر gebr المستخدمة في حق النصارى على وجه الخصوص والتي تعني عابد النار أومن هو على دين زرادشت ، وثمة مضامين متباينة تصاغ بهذه الكلمات وتبوأت مكانا في الأدب الإيراني القديم ، ثم انصهرت في بوتقة العناصر الإسلامية مُعضَدة ومؤزَّرة بالعناصر الأسطورية ، وبهذه الصورة انبثق في الوجود أدب قومي إنساني .

لقد اهتم التصوف كثيرا بعقيدة وحدة الوجود قابلا إياها عن طريق وسائل العشق والنشوة والانجذاب والموسيقى والرقص والشعر وتطهير الروح ، وأضاف إلى كل هذه الألفاظ معنى واحدا منفردا ألا وهو المعنى الصوفي ، وعلى هذا يكون معنى بير مغان ، وبير خرابات (صاحب الخمارة) هو المرشد الحقيقي الكامل ، وهذا يعني أن القطب أو المُغْ Mug هو من يقبل عقيدة وحدة الوجود وهو الشخص المتحقق في هذه العقيدة ، أما مغبجه وسالك فإنهما يعنيان ذلك المسافر المرتحل الذي يدمن الرحلة ويكابد مشاقها العملية الفعلية والخلقية الروحية بغية الوصول إلى الحقيقة وإدراك كنهها ، أما آتشكده (معبد المجوس) ومي خانة (خانة الخمر) فالمراد بهما المكان والفؤاد اللذان يعثر عليهما المرشد ، ثم يبدأ الذهاب بعد ذلك إلى إدراك معاني العشق والصفاء الروحي الحقيقي . هكذا كان تقديس صاحب النار والموقد قد بلغ مداه في الماضي الغابر السحيق ، ووجد هذا التأثير في المولوية عن طريق هذه

المؤثرات جميعها ، أما المطبخ فإنه يعنى المعبد المقدس الذى ينضج فيه السالك بالخدمة حتى يبلغ درجة النضج والاستواء والكمال . وكلمة (آتش باز) أى المؤثر والمحرق فإنها تعنى ذلك الموقد الموجود فى المطبخ أى مقام الولى ، وهو فى العادة محراب المعبد القدسى ومن ثم فإنه لا يعنى ذلك الرجل الذى يطهو الطعام ، إنه الذى يطبخ السالكين ويُنضجهم ويبلغ بهم أوج درجات الكمال ، وعلى هذا فإن اصطلاحى « آجيجى باشى وآشجى » يطلقان على معنى المرشد ، أما (قازانجى) أو متعهد المرجل فهو الوكيل العام للمرشد . أما « آشجى » أى الطاهى ، فإنه عند البكتاشية يتمتع بميزة خاصة فى التكية ، حيث يكون مسئولا عن المطبخ وكثيرا ما تناط به مهمة الإرشاد الصوفى ، وثمة شىء آخر يسمى (الحضرة) فى منزل الشيخ الصوفى عند البكتاشية وهى تقابل ما يعرف (بالحضور) عند المولوية ، وهذا يعنى أن الشيخ الطاهى إن كان فى تكية حاجى بكتاش فإنه يكون بعد ذلك شيخا مثله فى ذلك مثل شيخ المطبخ ، وعليه فيكون أعظم وأكبر من سائر الشيوخ الآخرين ، ويكون كذلك مرشحا لمنصب شيخ الطريقة ويوجد فى مضمار الطقوس الدينية البكتاشية كذلك مقام المشيخة الذى يخص الطاهى سيد على سلطان ، كما يوجد الموقد كذلك فى الميدان[٣٣] . أما الامتناع عن الحديث إبان الطعام عند المولوية فإنه يذكرنا كذلك بالامتناع عن الحديث أثناء الأكل فى العقيدة المزدكية ، وإن وجود المترجم وجامع الناس إلى الصلاة وإقامة المائدة عند كل من المولوية والبكتاشية هو من الشعائر التي لها نظير عند أتباع زرادشت ، كما أن تقديس نار المجوس واستحمامهم عند أكل الطعام يتم بترنيمة خفيفة دون فتح شفاههم ، وهو يشبه كثيرا الأدعية التى يدعون بها بصوت خفيف جدا (مازديسانه : باج وزمزمه ص ٢٥٣ – ٢٥٧) . وفى الحق فإن خرقة التصوف فى رأينا وكذلك النطاق المنطق حول الخصر والمسمى « شد » عند أهل الفتوة هو من الشعائر المقدسة عند الزارادشتيين ، وهذا النطاق مأخوذ من الضأن ومجدول من اثنين وسبعين حبلا ، وثمة خرقة أخرى تسمى « سدرة » وتؤخذ من قمصانهم ، ويتولى المتعهد إلباس الشاب القميص عند المزدكية ، وبمنطقة بما يسمى « قوطسى Kusti ، حول خصره ، ثم يُسلك فى سمْط ما يسمى أحسن المتدينين » . ثم ما يلبث أن يولد روحيا للمرة الثانية ، ويعد هذا بالنسبة له بمثابة مولد

جديد ، أما القوسطى فيربط على هيئه مشدودة عند أرباب الفتوة ، ويسمى عند البكتاشية « تيغ بند » أى السيف المنعقد ، وعند المولوية « ألف مد » وهو حزام من اللباد ، أما الخرقة فهى عامة لدى الصوفية أجمعين ولاوجود لها عند أهل الفتوة (انظر نفس الكتاب ، ص ٢٤٣ - ٢٥٢) أما ما يعرف عند المولوية والبكتاشية بشعيرة « عين جمع » فهى لحظة المحبة وهى تعنى وجودالشىء المسكر ، وإذا أمعنا النظر مليا فى العناصر الأساسية للموسيقى والمصباح فى طقوس كلتا الطريقتين ألفينا أن هذه الكلمة « عين جم » ما هى إلا تحريف لكلمة « عين الجم » أى التفكر الصوفى ، ويمكننا القول إنها مقتبسة من « آيين جمع » أى شعيرة الجمع وهذا احتمال أشد قربا من الحقيقة . أما عدم دخول السمك فى مطبخ المولوية فراجع إلى وجود تأثير فلسفة الأطباء في هذا السبيل ، وهو اقتناع نشأ عن المرحمة والشفقة التى يحس بها حيال النفس والروح ، ولربما يحمل كذلك تأثير الديانات الهندية القديمة . كما أن تكوين كثير من الأسماك العظيمة فى البحيرات والنهار الموجودة فى المناخ الإقليمى هى ذات رائحة مُطحلبة ، وفى النهاية فإن عدم التعود على أكله له تأثير فى هذا السبيل ، ومن المحتمل كذلك أن أكل هذا المخلوق من الأشياء النادرة جدا إبان تلك العصور المبكرة وهذا مما لا يرد على الخاطر كذلك . بيد أن الثابت المحقق أن عدم أكل السمك بعد ذلك قد تأصل فصارت له جذور ضاربة بأطنابها فى الآراء والمعتقدات الصوفية واصطبغ كذلك بصبغة نصيّة جازمة . ويتوجب علينا كذلك أن نقول فى هذا الصدد ما يأتى : إن السمك لم يدخل مطبخ البكتاشية ، ولم يأكلوه ألبتة لأنهم كانوا يؤمنون بالتناسخ ، وعندهم أن السمك يكون أسفل صورة ، وهذا يعنى أنه أدنى وأصغر شكل يلف الكون ويحيط به من كل جانب ، وإن الغرقى فى طوفان نوح لم يتسن لهم النجاة من الحالة التى كانوا عليها ، وهؤلاء يرون أنه إذا أكل السمك الأشياء الخارجة من البحر فسرعان ما تُغلق الفيوضات الروحية والخلقية للإنسان . لا جرم أن هذا اعتقاد جد غريب ، وإننى لأسميه بقراءة الطالع وضرب الرمل والتنجيم ، وهناك كذلك من يشتغلون بمعرفة الغيب والاطلاع بأشياء تافهة لا وجود لها ، أو يقرءون التعاويذ على المرضى [٢٤] .

الهوامش

(١) إذا كان تعبير « علماء الرسوم » يستخدم في حق العلماء الأرثوذكس من قبل أرباب الطرق الأخرى ، فإن هذا الاصطلاح يخص المولوية أكثر وأكثر .

(٢) توجد معلومات جد مهمة في كتاب « ولايت نامه » لأوتمان بابا ، وذلك في شأن العلاقة المؤكدة الثابتة للسلطان الفاتح بالحروفية . وتكتب الشقائق عما كان من استمالة الحروفية للفاتح ، مما جعل محمود باشا يُعلم فخر الدين عجمي هذا الوضع . وذات يوم اختبأ فخر الدين عجمي في منزل محمود باشا ، وقدم شيخ حروفي ، وعندما تدخل في مناقشات مناهضة للشريعة لم يستطع فخر الدين التحمل فخرج من المكان الذي يختبئ فيه وشرع بكيل السباب والشتائم للشيخ الحروفي ، ولما هرب الشيخ الحروفي وذهب إلى القصر تعقبه فخر الدين وركض في إثره وجعل يصيح في حضرة السلطان قائلا بار – بار وفي النهاية احترق هذا الدرويش المسكين في معية حروفية أخرين في مصلاة كانت بمدينة أدرنة حتى أن لحية فخر الدين عجمي قد احترقت إبان نفخ النار (إستانبول – المطبعة الأميرية ١٢٦٩ هـ – ص ٨٢ – ٨٣).

وقد تحدث حامدي عن تحريق الحروفية في إحدى قصائده التي كتبها للسلطان محمود باشا في ديوانه الفارسي (كليات ديوان مولانا حامد – طبعة البروفسور اسماعيل حكمت ارتيلان – إستانبول – مطبعة التعليم القومي ١٩٤٩ – ، ص ٢٨٤) . وتوجد كذلك معلومات مهمة وردت في تاريخ نيشانجي وتتصل بتنكيل القلندرية إبان عصر السلطان القانوني (إستانبول – المطبعة العامرة . سنة ١٢٧٩ هـ – ص ٢٣٤ – ٢٣٥) .

(٣) توجد وثيقة ذات قيمة عظيمة مؤرخة بتاريخ ٩٩٠ هـ – ١٥٨٢ م تدور حول اضطلاع الحمزية بتأسيس الدولة وتعيين ضابط النظام ووزير المالية ورئيس قاضي العسكر والوزير والسلطان من بين الحمزية التابعين لحمزة بالي ، وعثر على هذه الوثيقة « طيِّب أوقج » أحد أساتذة كلية الإلهيات بجامعة أنقرة ، وقدم إخطارا بذلك إلى مؤتمر المستشرقين الذي اجتمع في إستانبول سنة ١٩٥١ م ، وانني لأقدم جزيل شكري وامتناني لفضله بتقديم هذه الوثيقة إلي . أما اسم قاضي بوسنه بالي فقد مر ذكره في هذه الوثيقة ، ولقد ظهرت هذه الواقعة برمتها بين ثنايا السيرة الواردة في ذيل الشقائق (ص ٢٨٣) . ويدون منيرى البلجرادي في كتابه المسمى « سلسلة المقربين ومناقب المتقين » أن حمزة بك استشهد في عام ٩٩٠ هـ (السليمانية ، شهيد علي باشا ، دورية رقم ٢٨١٩ ، الرسالة ، وتتضمن أوراق الدورية من ص ٢١ – ١٤٥) ، وتبحث في شخصية حمزة بك من ص ١٣٩ – ١٤١

(٤) كانت الدولة في حالة شديدة من التعب والإعياء ، وتسبب الشتاء في تفريق الجيش وتشتيت جمعه مرتين في ارضروم ، وفي ذلك الإبان كان أباظة يتوسط في العلاقة مع إيران ، ومن ثم أصبح واليا على البوسنة ثم على سلسترة إبان عصر مراد الرابع ، ثم قتل في نهاية الأمر سنة ١٦٣٤ ، وإن أصدق معلومات

تتصل بهذا العصيان والجيش المأمور بسحق هذا التمرد تلك التى أوردها كاتب جلبى فى مذكراته « وثمة تواريخ أخرى تعد مصدرا فى هذا السبيل (انظر : جـ ٢، إستانبول – مطبعة جريدة الحوادث سنة ١٢٨٧ ، ص ٢١ – ٥٨ – ١٠٨ – ١١١ – ١٦٩) .

(٥) شرح جودت – جـ ١٢ ، ص ٥٤ .

(٦) شع فى استخدام هذا الاصطلاح ليطلق على الثمانيين الشبان الذين كانوا يرغبون فى التجديد والتغريب بعد عام ١٨٦٨ م (المترجم) .

(٧) الإبيقورى : نسبة إلى الفيلسوف الإغريقى أبيقور وهو الشخص غير المستمسك بالعرف أو بالقواعد والسلوك المرعية (المترجم) .

(٨) للمزيد من التزود بمعلومات أوفر بشأن هذه البحوث : انظر فى ذلك « تكية المولوية فى ينى قابى » ص : ١٧٧ – ١٩٠ ، : ص ٢٢٠ – ٢٣١ .

(٩) نعت هؤلاء الأشخاص بأنهم من أرباب المفسدة ، ومن ثم فإنهم قد تم نفيهم إلى « بتليس » ووضعهم تحت المراقبة السرية للأمن ، وكانوا يقيمون داخل الولاية منفصلين عن بعضهم البعض ، وهم دائما تحت أعين المراقبة الأمية ، وقد اضطلع محمد كمال أحد كتاب القصر بتوقيع رسالة فى ٢٢ أغسطس ١٣١٩ هـ تتعلق بإرسال صحيفة مدة شهرين اثنين تتعلق بحقوق المنفيين الذين كانوا فى معينهم ، هم كتبت رسالة إلى بتليس وتلقى ردا عليها : انظر : أرشيف مجلس الوزراء (أوراق يلديز – دفتر لجنة التصنيف ، سجل ٣٨ ، رقم ٢٥٨١) .

(١٠) جمع مِعْوَل : وهو سيف مستقيم مستدق الرأس ذو حدين ، ويعرف فى التركية باسم Mec .

(١١) انظر : مولانا جلال الدين ت– الطبعة الثلاث صـ ٢٤٣ .

(١٢) ترجمة الشقائق النعمانية : إستانبول – المطبعة ا لعامرية سنة ١٢٦٩ هـ ، ص ٢٣ .

(١٣) انظر ما ورد بشأن سلالة مولانا جلال الدين – الطبعة الثلاث ، ص ٣ – ٤٠ .

(١٤) انظر ما ورد بشأن الأعراف والتقاليد التى انتقلت من أهل الفتوة إلى أهل الأناضول عبد الحق جلنبارلى : جماعة الفتوة مصادرها فى الأقاليم الإسلامية والتركية (جامعة إستانبول – مجلة كلية الاقتصاد – جـ ١١ ، عدد : ١٩٥٢/٤/١ ، ص ٣ – ٤٥٤ ، ١٠٠ – ١٠٢ على وجه الخصوص .

(١٥) تاج التواريخ : جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(١٦) انظر مقالتنا فى : مجلة كلية الاقتصاد : ص ٨٠ – ٨٣ .

(١٧) ثمة أفكار مفصلة فى المقالة التى تحمل عنوان « تقليد السيف للسلاطين » الواردة فى كتاب « دراسات فى البكتاشية » الذى وضعه F . v-Hasluck ، وهى أفكار مطابقة لفكره تماما ، وفى نفس الوقت فقد كان هناك تقليد شيخ المولوية السيف للسلطانين محمود الثانى وعبد الحميد ، وكان يعهد إلى نقيب الأشراف والشيخ المولوى الموجود فى إستانبول بهذه المهمة فى حالة عدم وجود الشلبين فى إستانبول ، أما المعلومات التى أوردها Hasluck بخصوص تقليد شيخ مولوى السيف لعبد الحميد فهى خاطئة على وجه العموم (ص ١٢ – ١٣٥) .

(١٨) هو لقب رسمى يستخدم فى حق الشيوخ (المترجم) .

(١٩) أحد أحياء إستانبول وبه أكبر سوق تجارى وأشهر محطة للسكك الحديدية (المترجم) .

(٢٠) هى منطقة سياحية بها المسجد العظيم ذو المآذن السبعة الذى شيده السلطان أحمد ، ويعد أحد المعالم السياحية فى إستانبول ، ويؤمه السائحون طوال العام . (المترجم) .

(٢١) لأجل فهم أكثر ، اقرأ هذه البحوث « المبحث الثالث من القسم الثانى لكتاب : مولانا جلال الدين الطبعة الثالثة ص ١٦٧ - ١٨٦ ، البحث الأول من القسم الثالث ص ١٩١ - ٢٤٦ ، واقرأ على وجه الخصوص : صحائف هذا القسم من ص ١٩١ - ٢١١ .

(٢٢) انظر : مولانا جلال الدين . الطبعة الثالثة ، ص ١٣٦ .

(٢٣) انظر : هاسلوق Hasluck « بحوث فى البكتاشية » ترجمة : رجب خلوصى :ص ١٣٦ - ١٤١ .

(٢٤) المخلص : هو اسم مستعار يتخلص به الشاعر فى شعره ، وليس اسمه الحقيقى (المترجم) .

(٢٥) اليسوعى : عضو جمعية دينية للرجال أسسها القديس أغا طيوس ليولا ، عام ١٥٣٤ م (المترجم) .

(٢٦) ولنترك جانبا ما يبشر به كل عن النبى الذى سيأتى من بعده ، وإن انتظار المهدى المنتظر فى الإسلام قد أظهر إلى حد كبير كثيرا من مدعى المهدى (انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة : ص ١٨ ، ١٩) ، وقد ظهر هذا الإدعاء كذلك محمد شيرازى (ت ١٨٥٠ م) ومؤسس الطريقة البابلية فى العهود المتأخرة ، أما بهاء الله واضع الديانة البهائية (ت ١٨٩١ م) فكان هو المهدى فى مواجهة أهل السنة ، والمسيح هو المهدى فى مواجهة النصّارى ، أما الحسين رضى الله عنه فقد اضطلع بدور فى ظهور روايات بعد المهدى فى مواجهة المسلمين الشيعة ، وللوقوف على الأحاديث الكاذبة التى تشرح ما ذكره مؤسسو المذهبين الشافعى والحنفى ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، انظر فى هذا (السيوطى : اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة - مطبعة مصر الأدبية جـ ١ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٢٧) لا ذكر للشاعر وحدتى عند أسرار دده ، ويسجل « عهدى » أن وحدتى هذا منسوب إلى « ينى بازار » التابعة للبوسنة ، وهو عالم عارف مطلع بحقائق الفارسية ، سالك لطريق فضل وكان يملك حبا أبديا سرمديا ، وهذا يعنى أنه متمذهب بالمذهب الحروفى ، وذهب فى سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ م إلى بغداد وزار الأئمة ثم مر بالبصرة فى طريقه إلى الحجاز ، ثم أصبح كاتب الديوان للوالى محمد باشا وذهب بعد ذلك فى معية الباشا إلى الروم يعنى إلى الأناضول ، وهذا هو البيت الأخير لإحدى غزلياته التى اقتبسها عهدى :

أهل فضلك آياغى طوپراغيز وحدتى به ∴ طرز شعرم نه أوله باقيدن أولورسه لحكم

والمعنى : نحن لقدم أهل الفضل ولوحدتى ∴ ماذا جرى لو أن طرز شعرى أشد أحكاما من باقى

وهذا يدل على أنه كان موجودا فى إستانبول وعرف الشاعر « باقى » (مكتبة جامعة إستانبول - المخطوطات التركية ، ٢٦٠٤ ، ١٢٥ B الحاشية) ، أما الغزل الموجود فى المتن فقد ورد ذكره فى الدورية الكائنة بمكتبة اورخان والمدونة تحت رقم ١٣٥ ، وهذا هو البيت الثانى من هذه الغزلية :

خرج أخضر ده ده روك حضرت مولايه بى ∴ طورمه دشر دخى دوائر أوستونه يولدا شلرى

والمعنى : انظر لمولانا فى هذا الفلك الأخضر ∴ فلا تقف فرقفاء الطريق يدورون حوله

والشاعر وحدتى مدفون خلف مقبرة رسوخى فى التكية المولوية فى « قوله قابى » الموجود فى غلطة

بجانب رفيقة علاء الدين دده الخليفة المولوى الذى كان يرتدى قلنسوة غير ملفوفة على شكل سيف ، وعلى شاهد قبره نقوش تشبه الخط الديوانى ، وهى محفورة ومكتوب عليها ما يأتى :

عرضه عشقده حضرت مولانه بى ∴ طورمه دك دخى دونر أوستنه يولدا شلرى

المعنى : إن حضرة مولانا موجود فى ساحة العشق ∴ فلا تقف فرفقاء الطريق يدورون حوله

وعلى شاهد القبر مطلع البيت الثانى لغزلية باقى الذى يقول فيه :

مستدام أوله فناقيونك أوياشلرى ∴ كيم أولور بريرى بولنده فدايا شلرى

والمعنى : فليدم اوياش بئر الفناء ∴ فمن يكون فى هذا السبيل رأس الفداء

وإذا فكرنا مليا فى هاتين الغزليتين ألفيناهما نظريتين لبعضهما البعض ، ولا سبيل إلى انتحالهما أو توارد الأفكار فيهما ، ومن ثم فإنه يتوج الحكم بأن البيت الثانى فى غزلية باقى قد اختلط بغزلية وحدتى .

أما ديوانه وحدتى فإنه مدون تحت رقم ٨٥ بين ثنايا كتب هاشم باشا فى مكتبة سليم أغا الموجودة فى أسكودار ، ويفهم من أشعاره بجلاء تام أنه جعفرى ذو عقيدة حميمة صادقة مع الحروفية ، كما يوجد كذلك فى الديوان البيتان اللذان اقتبسهما عهدى (ص ٣٠ ، ٣٥) . كما أن الغزلية السالفة الذكر مكتوبة كذلك فى نفس الديوان (ص ٦٧ ، ٦٨) . وخلاصة القول أن وحدتى هذا هو وحدتى الذى مر ذكره عند عهدى ، وقد توفى عالى دده فى اليوم الثالث من شهر جمادى الأولى لسنة ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م) وكانت له عقائد حروفية نحو النزعة العلوية المتطرفة مثله فى ذلك ديوانه محمد جلبى ويوسف سينه جاك اللذين كانا فى عصر مولوية شمس ، وثمة احتمال آخر أن يكون عالى دده هو خليفة ديوانه محمد جلبى نظرا لقلنسوة السيف الكائنة على شاهد قبره .

(٢٨) يتوجب علينا القول فى هذا الصدد : أن أسرار دده لم يكن معتنقا للنصرانية ، كما أن أباه أحمد بى زيان وجده حسن أمين عثمان كما هو معلوم من خط اليد الوارد فى صحيفة ١٠٨ من ديوان سلطان ولد المسجل تحت رقم ١٣٩ بالقسم الملحق بكتب حالت أفندى بمكتبة السليمانية .

(٢٩) انظر : مولانا جلال الدين الطبعة الثالثة : ص ١١ – ٢١ ، ١٤٠ – ١٦٧ .

(٣٠) هو إله إغريقى : سابع الكواكب السيارة (المترجم).

(٣١) أبوللو Apollo إله الشعر والموسيقى والجمال الرجولى عند الإغريق (المترجم) .

(٣٢) عطارد : هو رسول الإلهة وإله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان (المترجم) .

(٣٣) إلهة الحب والجمال عند الإغريق (المترجم) .

(٣٤) سوف نشرح كل هذا بإسهاب فى كتابنا الذى سيصدر قريبا والذى يخص البكتاشية وتاريخها .

(٣٥) الخواص : علم يذكر بخواص الآيات والأسماء الإلهية فى القرآن ، وهى أذكار مفسرة مشروطة على نحو معين ويتناول علم الخواص رياضات روحية عن طريق هذا العلم ويسخر الجن روحانيات ، أما الوفق فهو علم كتابة الآيات والأسماء الإلهية بالأرقام ، ويعتقد أن هذه الأشكال توصل إلى الرغبات والآمال ، أما جفر الغيب فهو علم المعرفة . وثمة اقتناع بأن هذا العلم يتلقى المعلومات من الأشياء التى تكون فى المستقبل عن طريق الجمل المستنبطة بالحروف من الأرقام ، والرمل يأتى من الجمل المرتبة بحروف مستخرجة

من نقطة ساقطة على شكل معين ، وهو علم أصول معرفة الأشياء التي تخص ما يحدث في المستقبل (انظر : كتبا طاشكبرى زاده : موضوعات العلوم : ترجمة : أو غلو كمال الدين محمد، إستانبول – مطبعة أقدام ١٣١٣ هـ – هـ ١ ، ص ٣٦٣ ، ٣٧٧ – ٤٠٢ ، ٤٢٧ – ٤٣٠ ، ولا سيما الفصل المعنون بالعلوم الخفية والعلوم الغريبة .

الطرق ذوات الصلة بالمولوية

المولوية والبكتاشية – المولوية وأهل الفتوة – المولوية والملامية – المولوية والحروفية – المولوية والخلوتية – المولوية والنقشبندية – المولوية والجُلشنية .

المولوية والبكتاشية :

انبثقت الطريقة المولوية من الخراسانية يعنى من الملامية ، ومن ثم فإنه يتوجب علينا الاضطلاع بالبحث عن علاقة المولوية بسائر الطرق الصوفية الأخرى ودرجة هذه العلاقة وذلك حتى يتسنى لنا تحديد كنه قيمتها ومنزلتها الحقيقية فى حياتنا الفكرية .

ولقد فصلنا القول شارحين كيف كان المولوية يعتنون بالطرق الصوفية الأخرى ويحتفون بها أيما احتفاء وكيف كانت الطرق الأخرى ترى المولوية وتوقرها وترعاها حق رعايتها ، فقد نشأت المولوية مستلهمة الفيوضات من صوفية خراسان ، مؤسسة على شاكلتها متلقية الفيوضات من نفس المنبع ، ومن المتعذر ألا يكون للمولوية علاقة ثابتة بالطرق الصوفية التى كانت مشكلة مؤسسة آنذاك ، وتأتى البكتاشية فى صدارة هذه الطرق جميعا .

فالبكتاشية طريقة مؤسسة باسم حاجى بكتاش المتوفى ٦٦٩هـ = ١٢٧٠م والذى كان معاصرا لمولانا قبيل وفاته بعامين اثنين (أنقرة – مكتبة المعارف – كتب حاجى بكتاش – دورية ١٠٣٢ / A – وثيقة رسمية مخطوطة) .

ويرى أفلاكي أن حاجي بكتاش - كما سلف أن شرحنا في مدخل كتابنا عن مولانا جلال الدين - كان قد قتل في تمرد « بابى » ، كما كان هو الخليفة الخاص لبابا إلياس ، وهو صوفي عارف لا يتبع سبيل قيود الشريعة وأحكامها .

وقد بعث حاجي بكتاش إلى مولانا درويشا يسمى بابا إسحق ليسأله سؤالا يقول فيه :

« إذا وجدت الحقيقة فلم هذه الضجة التي ألقيت بها إلى الدنيا ؟ وإذا لم تجدها فلم لا تبحث عنها ؟ » وبينما كان مولانا مستغرقا في السماع أقبل الدرويش وعندما سمع الغزل المستهل بهذا البيت « إذا لم تجد الصديق فلم لا تبحث عنه فأنت لن تكون مسرورا إلا بالوصول إلى المحبوب » ثم انكفأ راجعا وقال هذا هو جواب السؤال ثم قص القصة على حاجي بكتاش .

ويروى أفلاكي أن « جاجا اوغلو نور الدين سيد قير شهر » قال لحاجي بكتاش : يتوجب اتباع الشريعة ، وبناء عليه طلب حاجي بكتاش ماء من أجل الوضوء بيد أنه سرعان ما استحال دما ، ثم قال حاجي بكتاش ها أنت ترى ، فلا سبيل إلى الوضوء بهذا الماء فسامحنا واصفح عنا ، ثم قص حاجي أوغلو القصة على مولانا فأردف قائلا : إن تدنيس الطاهر أمر ميسور أما تطهير الرجس المستقذر فإنه صعب عسير .

إنهم يقولون للمرشد لتجعلن خمرتك عسلا ، وحل مشكلتك ، أما فؤادك الذى استحال نحاسا فليكن ذهبا خالصا وعشقك إسراف في هذه الكرامة ، ومع هذا فإن المبذرين إخوان الشياطين»(١) .

وثمة بحث عن مولانا اضطلع بكتابته « أوزون فردوسي » في ولايت نامه سنة ٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م . أما نور الدين جاجا الموجود في ولايت نامه فقد أصبح نور الدين خوجه ، ودخلت المنقبة الثانية على هذا النحو :

ذهب كل من زوج قادينجق آنه وشقيق إدريس وصارى - المعارضين لحاجي بكتاش - إلى نور الدين خوجه والى « قير شهر » يجأران بالشكوى من حاجي

بكتاش ، فأرسل نور الدين نائبا عنه وكان حاجى بكتاش يقيم آنذاك بموضع يسمى « اوج بنار » يقع فى الطرف السفلى لإحدى القرى .

وقال النائب : لقد أذن لك نور الدين بك فاذهب إلى المكان الذى تبتغيه ، فقال حاجى بكتاش : كم هو عجيب ذلك الذى تتحدث به ، ففى هذا المكان هدوء وسكينة ، وإذا لم تحدث إضرابات أو فتن فلا قبل لأى شخص بطردى من هنا، ولما قال النائب هذا الكلام لنور الدين أسرع الأخير بامتطاء صهوة جواده بنفسه وأقبل و نظر فرأى شوارب حاجى بكتاش وأظافره طويلة ، ثم سأله قائلا : لم لا تقلم أظافرك ؟ فقال حاجى بكتاش : إن العقاب لا يكون بدون تاج مرصع بالجواهر .

ثم قال نور الدين : هلم فانهض وتوضأ ، ثم أمر خادمه أن يملأ المشربية من ينبوع الماء وأعطاها للدرويش ولما هم بصب الماء نظر فإذا المشربية قد امتلأت بالدم .

أما حاجى بكتاش فسأل قائلا : إن هذا قد صار دما أيجوز الوضوء به ؟ قال نور الدين لا يجوز ، لقد سحقنا طائر الحجل إبان المجىء فوقع دمه فى المشربية ، فلا تعتمد على الخادم ، فانهض بنفسك واغسل المشربية من الينبوع واملأها وأحضرها ، وعندما صب حاجى بكتاش الماء فى راحة يده استحال الماء دمامرة ثانية .

وظن نور الدين أن هذا ضرب من السحر ، ثم قال للدرويش حاجى بكتاش اذهب حيثما يريد قلبك وإذا رأيتك بعد هذا اليوم فى هذه الأنحاء فلأحرقنك بالنار ، ثم قال حاجى بكتاش لنور الدين : غدا يمسكون بك ، ولن يتركوك لترى أولادك ، وسيلفون حولك جلداً رطبًا ويحضرونك إلى مكان ما ، وكلما رأيت طيورا طائرة فى كبد السماء فإنك تبكى قائلا : أحقا تمر هذه الطيور على وطننا ، وحدث ما كان فقد أقبل عبيد السلطان فى اليوم التالى وربطت نور الدين بجلد رطب دون استئذان ومروا به على منزله ، ثم أحضروه إلى قونية فى حضرة على الدين[٢] الذى أرسله من فوره إلى غيابة سجن مطلى بالدبق[٣] الأبيض ، وكف بصر من ألقوا به فى السجن مدة ثلاث سنين ، ووردت كلمات حاجى بكتاش على خاطر نور الدين ، وطلب كيس تراب وقبضة شعير ثم زرع الشعير فى التراب ورواه ، وعندما نبت الشعير نظر إلى اخضراره وينعه فلم يصب العمى بصره .

وبعد ثلاث سنوات استدعى على الدين نور الدين ولما رأى عينيه سليمتين سأله عن سبب ذلك فقص عليه الأمر ثم أرسله إلى مكان مرتفع من بلاد العجم وقال له : لا تأتين بعد ذلك إلى مملكة الروم ، ومات نور الدين فى بلاد العجم (حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى ، رمز الرموز الذى أظهره لنور الدين جوجه النسخة الموجودة فى حوزتنا ، ٥٢ ، ٥٥) [٤] .

هذا وقد وردت فى ولايت نامه هذه الحكايات فى حق مولانا :

إن ملك المتصوفة وخليفة حاجى بكتاش صارى اسماعيل قال ذات يوم لشيخه حاجى بكتاش : لقد فتَّرتُ الماء من أجلك فهلا اغتسلت ؟ فقال حاجى بكتاش ليس الآن دور الاستحمام ، فاذهب أنت إلى قونية حيث يوجد كتابنا عند ملا خونكار جلال الدين فخذه وأقبل . ولم يلبث اسماعيل أن هم بالخروج واستقبله ملا جلال الدين قبيل وصوله إلى قونية ، ثم بادره سائلا لماذا أتيت ؟ ولما شرح له صارى اسماعيل سبب المجيء قال له ملا جلال الدين : أين أنت وأين حاجى بكتاش ؟ فرد اسماعيل قائلا : إن حاجى بكتاش يدخل ويخرج كل يوم إلى سبعة أبحر وثمانية أنهار ، وهو محتاج إلى الولوج فى الماء ، فقال له ملا جلال الدين : أنت تتغطرس وتتوقح انظر إليه بعين مختلفة ، فقال صارى اسماعيل : حسن يا سلطانى فأعطه الكتاب وارجع .

والمقصود بهذا الكتاب هو مولانا ، وهذه هى النصيحة التى أسديها إليك : هلم فاذهب ويلغه منا سلاما (حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى وإرسال صارى اسماعيل إلى ملا خونكار ٧٠ ، ٧١) . ذات يوم هبت ريح هوجاء عاصف بأحد التجار فى البحر ، فنذر خمسمائة قطعة ذهبية إلى صوفية الروم وكان حاجى بكتاش يحلق رأسه فى تلك الآونة ، و على حين غرة أشار بيده إلى الحلاق قائلا له : كف ، ثم ما لبث أن بلغ درجة الوجد والانجذاب الصوفى لفترة من الزمان ، ولما أفاق من وجده الذى غشيه هبت الريح على السفينة التى يركبها التاجر ، ثم قال لقد نذر لنا خمسمائة قطعة ذهبية ولقد ذهبنا وأنقذناه ، ثم هز أكمامه فسقطت منها ثلاث سمكات حية .

وبعد مدة من الزمان ذهب التاجر إلى مولانا فى قونية والتقى به وفهم أن مولانا لم ينقذه ، ولما سمع مولانا الواقعة قال للتاجر إنه أخونا حاجى بكتاش خونكار وأرسل التاجر إلى هنالك وذهب إلى منطقة « صولوجق قره هويوك » وقدم النذر إلى حاجى بكتاش (حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى والسفينة التى أنقذها من البحر ، ٨٠ ، ٨٢) .

وتروى ولايت نامه أن شمس الدين تبريزى كان خليفة لحاجى بكتاش ، وكان كذلك درويشا لمولانا وكان يؤذى العلماء فذهبوا إلى علاء الدين ورفعوا شكواهم إليه ، ولما لم يستمع السلطان إلى شكايتهم اعتزموا الرحيل من المدينة فأمر « آهى اوزن » بالخروج إليهم فى الموضع الذى برزوا فيه لإبادتهم واستئصال شأفتهم ثم دفنهم فى الأرض فى المرة الأولى مع الأغنام حى رُكَبهم ، وفى المرة الثانية حتى أثدائهم(٥) ، وبناء عليه فقد تابوا عن فعلتهم وانقلبوا راجعين (فى بيان الأوصاف الحميدة للسلطان آهى أوزن ، ١٢٠ ، ١٢٣) .

وثمة ذكر آخر للمولوية بسبب سيد محمود حيرانى(٦) ، فلقد سمع عن حاجى بكتاش فامتطى أسدا من (آق شهر) وكان يستعمل سوطا يشبة الأفعى الملتوية ، وجاء لزيارة حاجى بكتاش فى معية ثلاثمائة درويش مولوى ، ولما سمع حاجى بكتاش بقدومهم أسرع من فوره وامتطى صخرة على شكل طائر يسمى أتقا Atka وجعل يقول لها سيرى على بركة الله ، واستقبل سيد محمود حيرانى وهو يغذ الصخرة على المسير ، ثم أسرع سيد محمود حيرانى بتقبيل يد حاجى بكتاش وجعل يمرغ وجهه تحت قدميه وانشغل هنالك بالسماع أسبوعا كاملا ، وبعد ذلك قال حاجى بكتاش له « سر فلقد ألقينا بك إلى المكان الذى جئت منه وليكن هذا هو موضعك ، ثم أرسله إلى « آق شهر » (التقاء حضرت خونكار حاجى بكتاش ولى بالسيد محمود حيرانى وركوب الأخير أسدا وتسيير حاجى بكتاش حجرا بلا روح : ٧٣ ، ٧٤) ولم تقف ولايت نامه عند هذا الحد ، بل تروى كذلك أن مولانا ما هو إلا شخص منسوب إلى حاجى بكتاش وذلك حسب أعراف وتقاليد البكتاشية التى تحرف الوقائع التاريخية كما تريد ، وإنها لتثير الانتباه فى هذا السبيل .

وقد كتب مولانا رسالة إلى حاجي بكتاش أراد فيها أن يكون شيخا من تلقاء نفسه . وفي ذلك الإبان كان حاجي بكتاش يجلس في صحبة ومسامرة ستة آلاف ولي بمنطقة « خرقه داغ » وكان لزاما على مولانا الذي يريد أن يكون شيخا أن يذهب معنا ، فسأل الخلفاء قائلا : أيكم يذهب إليه ، فصمت الجميع ، بيد أن شمسا كان من بين هؤلاء فقال : أذهب أنا إنه سلطان الصوفية ، أما حاجي بكتاش فغضب من قوله « أنا » ، ثم أرسل شمسا وقال له : اظهر بهذه الأثرة وذلك الغرور فاذهب برأسك أو بدونها .

ولما قدم شمس إلى قونية سأل عن مدرسة مولانا ، وذهب إلى هناك ، ولما أمعن النظر وجد في المدرسة قصرا منيفا على شاطىء بركة ماء ، ويجلس داخل هذا القصر طفل مكفوف البصر ، أكتع يداه مشلولتان لا تقدر قدماه على حمله ، ثم قال للطفل : أين ملاء خونكار ؟ فقال الطفل اليوم الجمعة إنه ذهب إلى الصلاة ، فقال شمس للطفل ، اركض وناده ولتأتين ، قال الطفل : كيف أستطيع الذهاب وعيناى عمياوان ، وقدماى لا تقويان على حملي ويداى مشلولتان وحينئذ سحب شمس عصا[7] من حول خصره وضرب الطفل وقال له هيا الحق بحضرة الشيخ . ولسوف يبرأ جسدك ووجهك وعيناك ، وتفتحت عينا الطفل وشفيت يداه ورجلاه ، ثم جعل يركض ويركض واستدعى شيخه وقص عليه ما جرى . أقبل مولانا فرحا مسرورا من العافية البادية على الغلام ، نعم إنه أقبل ولكن انظر ماذا جرى ؟ ثم ألقى الشيخ الكتب كلها في بركة الماء .

وتأوه ، فلقد كان بين هذه الكتب كتاب ذو قيمة عظيمة ، فقال شمس دون أن يقاطع حديثه أكان هذا حقا ؟ ثم مد يده وأخذ أحد الكتب وناوله لمولانا وهو ينفض الغبار عنه ، ولما رأى مولانا هذه الكرامة قال : النذر اليسير منا ، والكرم الكثير منكم ، والتمس العذر ثم طلب شمس مغنيا وعازفا وطبلة ونايا . ونفذ مولانا ما طلبه مولانا ، ثم بدءوا السماع وانشغلوا به سبعة أيام بلياليهن .

وقال شمس إننا لم نحظ بلحظة محبة في قلوبنا منذ زمن بعيد ثم أحضر قدحي خمر ونادى عياله قائلا لتنشغل أولادك وبناتك بالسماع ، ولنجلس في معيتك ولتشرب الخمر ، ثم قال مولانا : نحن الصوفية لا نشرب الخمر ثم حللنا أربطة سبعة مراجل

وأشعلنا النار فى جذوع الأشجار ، فمن أين نعثر على الخمر ؟ قال : شمس يوجد فى القلعة كافر يطلقون عليه اسم « آلاكسى Aleksi » وفى مخزنه برميل ليس له طوق حديدى حوله ، فاذهب وأحضره ، ولكن حذار أن تدارى الأقداح .

ذهب مولانا إلى آلاكسى الذى لا علم له بهذه الخمر ، ثم نزلا إلى المخزن سويا ونظرا فإذا بالبرميل قد امتلأ بالخمر حتى فوهته ، ثم ملأ مولانا الأقداح وخرج إلى الطريق ولكنه كان يخفى ما جلبه تحت سترة قميصه ومن ثم فقد زلت قدمه وهوى على الأرض وانكسرت الأقداح وتجمهر الناس حوله وهم فى جلبة وصياح قائلين : لقد اقتلعت جذوع الأشجار وأضرمت النار ، وها أنت تشرب الخمر بنفسك ، وعلم شمس بهذا الأمر ثم أسرع نحو الناس وقال : يا هو ! إن هذا ليس بخمر إنه دِبْس[٨] خالص من ثمر التوت ، وانحنى نفر من الناس فغمسوا أصابعهم ولما تذوقوه قالوا : إن هذا ليس بحق خمرا إنه دبس خالص .

ولما ذهب شمس إلى مدرسة مولانا قال : هلم فخذ قدحين واذهب وأحضرهما هذه المرة دون مواراة وفعل مولانا ما أمره به شمس ، ودخل المدرسة ونادى زوجته وبناته وأعد اللحم المشوى وقدم شمس قدحا ممتلئة لهم جميعا وجعلوا يتوادون ويتحابون سبعة أيام ، بيد أن الناس قالوا لوليد [٩] بن مولانا إن أباك قد أصبح كافرا ويجب البحث عن علاج ناجع لهذه الأمر ، فقال وليد : لأقطعن رأس هذا الدرويش ولأخلصنكم منه ثم أقسم الأيمان المغلظة ليضطلعن بهذا الأمر ، ولما أقبل إلى المدرسة نظر فرأى أباه وأمه وإخوته جميعا مشغولين بالسماع وأرجلهم لا تكف عن الحركة وهم يلفون ويدورون فى الهواء ، فما كان من وليد إلا أن عشق هذه الحركة التى هم عليها وأقنعوه بدورهم واستمالوه .

وذات يوم وقف مولانا على باب الخلوة ونادى شمسا فأقبل فى الوقت المحدد ، ثم خرج يقول يا الله وضربه وليد بالسيف الذى فى يده ثم قطع رأسه فما كان من شمس إلا أن أمسك برأسه قبل أن تقع على الأرض وتناولها بيده ، ثم صاح قائلا : إما أن تستمسك بى أو بخونكار ثم قال لوليد إنك ستضطلع بالمهمة بيدك . فهذا تقدير إلهى فسر فى طريقك حتى يوم القيامة ، ولتكن ذائع الصيت مشهورا ، ولتكن أصول

الطريقة بالتعلم مثل الفن ولن تكون بالهمة والعزيمة ولن تجد صديقك فى الطريقة ألبتة ، فلن يمسك سر الشيخ وإلهامه وحاله وهمته ، ولن تكون الهمة فيك أو فى دراويشك ولسوف يختفى السماع يقينا .

علم حاجى بكتاش بهذا الأمر فنهض من مكانه وخرج من منطقة « اوجلر قابيسى » وقال :إما أن يأتى شمس أو شمس تبريزى ، وليكن مقامك هو تبريز ، ولتكن هنا لمن يريدك ، فلا تقف وأسرع واذهب ! ولما سمع مولانا ما قاله شمس « فاستمسك بى أو بخونكار حاجى بكتاش ولى » هم من فوره واثبا من مكانه ، ثم أخذ يجرى فى إثر شمس وجاء إلى تكية حاجى بكتاش وقال له : اذهب إلى شمس تبريزى وستجده فى منطقة خاموش .

ولما جاء مولانا إلى هنالك مهرولا فماذا رأى حينئذ ؟ لقد وجد شمسا منشغلا بالسماع فوق مئذنة خضراء فصعد مولانا المئذنة من فوره ونظر فلم يجد أحدا ، ولما ألقى نظرة إلى أسفل رأى شمسا يمارس طقوس السماع فى قاع المئذنة فجرى وهو يقول : استمسك بى أو بشمس تبريزى ، ثم قفز من المئذنة وإذا بشمس يمسك بإحدى يديه ويمسك مولانا باليد الأخرى ، ثم قال له :ادفنى بالكفن هاهنا واذهب أنت إلى حاجى بكتاش ونل نصيبك .

ذهب مولانا إلى حاجى بكتاش بعد فراغه من دفن شمس ، وقضى مدة الندم أربعين يوما فى مطبخ التكية وهذا يعنى أنه مكث هذه المدة بقليل من الطعام والشراب ، وبعد انقضاء هذه المدة حلق حاجى بكتاش شعر مولانا بحسب ما تقضى به طقوس الطريقة ونواميسها ، ثم ألبسه القلنسوة مكبرا ثم قال له ليكن طريقك مولويا ومسيرك بكتاشيا ، فصغارنا يطعمونك لقمة ، وليتقدم عظماؤكم ليكونوا خداما لنا ، ولتكن كسوتك الوحيدة هذه القلنسوة ، ثم بين للناس ما تراه منا من أسرار ومن المريدين من آداب واستخدم الطريق القديم لمن ليسوا أهلا لذلك ، ثم أردف قائلا : إن مريديك سيكونون على فرقتين ، وجميعهم سيكونون من شيخ واحد ومن طريق واحد ويسمون بأسماء مولوية ، بيد أنهم لن يكونوا على دراية بأحوالهم ومعتقداتهم مع بعضهم البعض (جامعة إستانبول - المخطوطات التركية

رقم ٤٨٢٠ - لسنة ١٣٠٩ هـ = النسخة التى اضطلع بنسخها الدرويش مصطفى فى تكية حيدرية بمنطقة لسكوفيك ، ص ١٦٨ - ١٧٨ ، ولا وجود لهذا القسم فى النسخة الخاصة بنا) .

وثمة نتيجة واحدة مستخلصة من هذه الروايات جميعها وهى :

أن مولانا كان معاصرا لحاجى بكتاش ، ويفيد بابا إلياس الخليفة الخاص لحاجى بكتاش والمقتول فى سنة ٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م بأن مولانا كان من رجال حاجى بكتاش ، أما عاشق باشا زاده فيرى أن مولانا قدم من خراسان إلى بابا إلياس يعنى إلى أماسية ، ثم ذهب من هنالك إلى قيصرى وشهد فيها تمرد البابلية ، وبعد موت أخيه منتش قدم إلى « قره هويوك » إحدى قرى « قير شهر » حيث استقر مقامه فيها ، ولم تكن الأمور على ما يرام بين مولانا وحاجى بكتاش بسبب اتخاذ خاتون أنه ابنة له (إستانبول - المطبعة العامرة - ١٣٣٢ هـ = ص ٢٠٤ - ٢٠٦) .

كان مولانا وحاجى بكتاش كلاهما من أهل خراسان ، ولكنهما أسسا طريقتين تحمل كل واحدة منهما اسم صاحبها ، وشكلا هاتين الطريقتين مستلهمين الفيوضات من الطريقة الخراسانية ، بيد أن مولانا عالم عظيم وحاكم ذو فكر ثاقب وبصيرة نافذة ، ثائر ذو سورة وحميا ، شاعر ألمعى عبقرى . أما إذا نظرنا فى مقالة حاجى بكتاش التى لم تكن واضحة وذات أصل عربى وترجمة منظومة ومنثورة ألفيناه فيها شيخا بلغ أوج الكمال وكان احتفاؤه بالشعب عظيما ، كما كان الشعب يحتفى كثيرا بالبكتاشية ويقدرها حق قدرها وينزلها المنزلة التى تليق بها .

كان مولانا ذا شخصية مؤلفة موفقة بين المعتقدات الباطنية الخفية والشعائر الظاهرة الجلية . أما حاجى بكتاش فكان باطنيا بحذافيره ويتجلى هذا من خلال المقالات والمناقب الموجودة فى الأعراف والتقاليد المولوية والبكتاشية على حد سواء . ومما لا مرية فيه أن الاختلاف فى النزعة والمشرب سوف يتمخض عنه تناقض جلى بين هاتين الشخصيتين كلتيهما .

لم يكن مولانا مؤسسا للمولوية وكان حاجى بكتاش مثله لم يكن هو الآخر مؤسسا للبكتاشية ، ولما سأل مولانا من تلقاء نفسه عن طريق « جيجكلى بابا »

الموجودة فى نفس طريقته وفى معيته إبان القرن الرابع عشر الميلادى قال : إنه أصبح من طريقة أبى الوفا بغدادى ومن أحبه بابا إلياس (ترجمة الشقاق : إستانبول – المطبعة العامرة سنة ١٢٦٢ هـ ، ص ٣٢) . أما البقية الباقية من تمرد البابليين فإنهم اجتمعوا حول حاجى بكتاشى الذى كان أكبر وأعظم المنتسبين إلى بابا إلياس فهو ملك القلندرية كما اشتهر بسلطان العارفين (الأبدال) .

وأصبحت تكيته وضريحه من بعده مركزا اجتماعيا . هذا ورغم احتفاء البكتاشية بطقوس وشعائر الفتوة على الخصوص ، فإنه قد تأسست تدريجيا إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين طرق تمثل الشيعة الباطنية مثل : القلندرية والأدهمية والحيدرية والجامية .

وبعد تأسيس البكتاشية كان شموس المولوية يرون أن ثمة فرقا ضئيلا بين هذه الطريقة وبين المنتسبين إليها ، ولهذا فإن كلتا الطائفتين – باستثناء زهاد المولوية والطلبة المتدينين من البكتاشية – كان بينهما تآلف وتواؤم على نحو حسن جميل .

لقد كان هناك تباين واختلاف عند المولوية وهم يعترفون بهذا دون مواراة ، ويشرحون هذا بصورة جلية من خلال تلك المنقبة الأخيرة التى نقلناها من رسالة ولايت نامه لحاجى بكتاش ، بيد أن البكتاشية من ذوى النزعة الباطنية الخالصة اضطلعوا بتطبيق شعار المذهب على أنه مجلوب من الباطن دون معرفة أو تعلم .

وإذا كان كثير من الوجهاء والأكابر قد باتوا خلفاء ودراويش لحاجى بكتاش دون النظر إلى الزمان والمكان فإن هؤلاء قد عجلوا كذلك بزج هؤلاء الدراويش بين هؤلاء الخلفاء وبين كل من شمس مولانا دون أن تكون لهم علاقة قط بأى منهما على أى وجه من الوجوه .

ومما لا شك فيه أن كل هذا كان له تأثير مباشر فى المنافسة على الطريقة الماثلة فى مخيلة الناس .

كتبت ولايت نامه بين أعوام ١٤٨١ – ١٥٠١ م – ٨٧٦ = ٩٠٧ هـ ، ومن المعلوم أنه لم تبق نسخة مثل هذا الكتاب المكتوب ، وبينما استطعنا الوصول إلى هذه

المنقبة الأخيرة فى نسخة الجامعة فإن النسخة الأصلية التى فى حوزتنا قد نسخت هى الأخرى فى منطقة « رسمو Resmo » سنة ١٢٢٦ هـ = ١٨١١ م .

ولا وجود لتاريخ النسخ فى النسخ الأخرى القديمة والتى مضى عليها أكثر من ثلاثين عاما ، ونحن من هذه النظرة لا نستطيع التفوة بشيء صائب في هذا الصدد دون المقارنة بين النسخ الكثيرة القديمة . ولما ذهب « ديوانه محمد جلبى » إلى رحلتى العراق وخراسان مر فى طريقه بتكية حاجى بكتاش ومن المحتمل أن يكون قد حل ضيفا فيها مدة من الزمان ولهذا السبب فمن المحتمل أن تكون ثمة حادثة واحدة أو بضع وقائع قد دونت ، وإن جلاءها كأنه تأصيل وإثبات لها ونعتقد أن هذا مما أضيف إلى ولايت نامه بعد ذلك .

ورغم أن البكتاشية لم يضيفوا شيئا إلى ولايت نامه فإنهم وجدوا مناقب باسم حاجى بكتاش ، وعلى سبيل المثال فإنه على رغم أن الشيخ « جلوت » (ت ١١٩٧ هـ = ١٧٨٢ = ١٧٨٣ م) كان مؤسسا الطريقة الجلوتية ، فإن الطريقة الهاشمية ما هى إلا شعبة منفصمة عنها ، وفى الوقت نفسه فإن جلوتى منتسب بدوره إلى المولوية كما يفهم بجلاء من الأشعار الواردة فى ديوانه حيث يدعى دائما بقطبيته .

ومع كل هذا فإنه(١٠) كان بكتاشيا شرع فى ممارسة الطقوس وشعائر المتصوفة على يد قطب الأبدال حسن بابا شيخ قصر العينى فى تكية بابا قايغوسز الكائنة بمصر ، كما كان هاشم مصطفى بابا الأسكودارلى شيخا فى تكية حاجى بكتاش مدة أربع سنين . ويشرح فى كتابه المسمى « عنقاء المشرق »(١١) أن علاء الدين كان يعتبر نفسه جدا روحيا لمولانا ، ولم يكن له أولاد ومن ثم فإنه استدعى الشيوخ الموجودين بولاية قره مان وانتسب إلى واحد منهم يسمى بابا وبناء عليه كان اتجاه مولانا إلى سبيل القوة والعزيمة ليكون من أهل الجذب ورغب كذلك فى تسليم السلطنة إلى التتار . ويروى هاشم بابا أن كلا من : حاجى بكتاشى وأهى محمد نعمة الله أورن وسيد شيخ أده بالى قد جاءوا جميعا إلى مكان ما وكان حاجى بكتاش يقول « إن عسلى ووردتى وعظم مخى هم جميعا عالم المتصوفة » ، كما كان يقول لأهى أورن : (إن ملا جلال الدين هو وردة المتصوفة ، وإن العدو والصديق كليهما يكونان

إلى جانب الوجود فى ذروة الجلال ، ولكن إذا ما انكسر من الفؤاد جزء يسير فإنه يميل من فوره ناحية العدو ويكون الجلال ساعتئذ محققا ثابتا لدى أصدقائه . والآن لا يكون ثمة عالم قريب من طائفة المجذوبين ، وهو يشبه من يكون قريبا من النار الحارقة) . وتشاور هؤلاء الرجال الثلاثة وأرادوا أن يجعلوا من عثمان سلطانا فاستدعوه وأمروه بالاستخارة ، ورأى عثمان فى منامه أن حاجى بكتاشى بمنطقة بالنطاق ، ويلف سيفا حول خصر آهى ارون ومنقوش على قبضة هذا السيف اسم الجلالة حتى بلغ ستا وألفين وسبعمائة مرة ، وكلمة الظلم منقوشة على فوهة السيف وبلغ عددها تسعا وتسعين مرة ، لقد كانت رؤيا طويلة ، بل إن الشمس المشرقة من حجر « آده بالى » هى التى تدخل فى حجرات أنت ، وتظهر من سرتك على شكل شجرة ، وترى وهى تكسو الدنيا . وعندما استيقظ قص رؤياه ، ثم أسرع هؤلاء الثلاثة فأخذوا عثمان فى ركن داخل الخيمة ومنطقوه بالحزام والسيف ، وزوجوه ابنة (آده بالى) .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه المنقبة مزيفة ملفقة وهى موجودة لدى كل من أفلاكى وسبهسالار ، وقد كانت هذه الحكاية من أجل إغضاب مولانا بسبب اتخاذ ركن الدين قليج ارسلان « بابايى مَرَنْدى » شيخا له (مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة - ص ٢٤٢ - ٢٤٣) .

وقد نشأت حكاية رؤيا عثمان الواردة فى التواريخ العثمانية نتيجة اتحادها وائتلافها مع المنقبة الواردة فى ولايت نامه لحاجى بكتاشى (التاريخ المنسوب إلى النشر - جامعة إستانبول - المخطوطات التركية ، رقم ٢٤٣٨ ، ٣١) .

وقد ورد فى ولايتنامه أن على الدين قد عين ارطغرل واليا على حدود بورصة ، ولما التقى ارطغرل بحاجى بكتاش سلبت السلطنة من سلالة سلجوق مدة سبع سنين ، ثم قال حاجى بكتاشى إننى أوافق على أولادك وأصدق عليهم ، وبعد ارطغرل جاء ولده عثمان الذى عارض عمله « جوندوز آلبى » واستدعاه على الدين عثمان بناء على شكاية عمه ، وأرسله إلى حاجى بكتاشى ، وقال عثمان لأتحركن كما نقول ثم طوى حاجى بكتاشى التاج الطويل من فوق رأسه والذى كان يخفيه مدة طويلة من الزمان

ثم ألبسه لعثمان[١١] ، ثم خلع النطاق من حول خصره ومنطقه به ومنحه مصباح الهداية والإرشاد الذى كان أمامه وهو يكبر عليه ، ثم سلمه صرة على شكل قوس وقال له : لقد وهبتك اسمي « خونكار » أما علاء الدين الذى سمع هذا الحديث فقد هم من فوره بتسليم عثمان الراية والطبلة الكبيرة وجعل منه سيدا ، ثم ألبس جنوده تاجا مثل تاجه (النسخة التى فى حوزتنا - النظر فى اسم خونكار الذى منحه حضرة خونكار حاجى بكتاشى إلى عثمان بك ، ١٠٢ ، ١٠٩) .

ولقد كتبنا آنفا بين سطور هذا الكتاب أن « آرجون جلبى » لبس تاجا من سبع قطع ، كما لبس « ديوانه محمد جلبى » تاجا من اثنتى عشرة قطعة ، كما أن محمد جلبى » قد ذهب فى رحلتيه صوب العراق وإيران مصطحبا معه أربعين مولويا وكلهم من البكتاشية ، وكان يسمى هؤلاء الشيوخ الأبدال ، ناهيك عن خصائصهم ونعوتهم الأخرى ، حتى إن « سبوحى أحمد دده » شيخ تكية « ينى قابى » قد انتسب إلى البكتاشية قبل أن يكون مولويا . ورغم هذا التآلف والتلاحم ظل محصورا فى طائفة من المولوية الأبيقوريين فإنه استمر حتى الأزمنة المتأخرة . فالمولوية متحققة ثابتة فى الديوان الفارسى بحسب ما ورد كذلك فى الديوان التركى .

« إن مولانا هو رجل منبع للفيض الأزلى ، واستلهم العرب الفيض منه وكذلك الهند والعجم ، وهو المهدى سامق الذرا ، ونجمه يشبه عليًا ، وهو سر الله الأعظم حتى بات فكره استاذا للقضاء والقدر »[١٢] . وقد جلى الشاعر « نفعى » (ت ١٦٣٥م = ١٠٤٥ هـ) هذه القصيدة بكلمات تقول فحواها : « شرع فؤاد يتحدث إلى الله ، إن فؤادى قطرة عاجزة تكاد تختفى وتتلاشى ، فانظر مليا فقد هدأ البحر ، إنها مجرد فكرة من أجل إطراء مولانا والثناء عليه لأن البحر أصبح موَاطن تجلى مولانا »[١٣] .

وبهذه الرباعية يؤيد اعترافه ، وله رباعية أخرى يوضح فيها نزعته البكتاشية ويقول فيها : (رغم أن الفؤاد هو مرآة الأسرار العلوية ، فهذه هى القلنسوة القديمة لحاجى بكتاشى ، فإما أن تكون المرآة أو صاحب المرآة ، وخلاصة القول إنها تكون جوهر الشبه للجمال الأزلى) .[١٤] ولقد قلنا آنفا إن بعض شيوخ قاسم باشا كانوا

يلبسون التاج البكتاشى تحت قلانسهم ، ومعلوم كذلك أن المرحوم عبد الواحد جلبى كان خليفة لحاجى بكتاش ، ويقول « ناى زن توفيق » إن شيخ بهارية حسن فخر الدين كان ينتسب إلى الشيخ منير بابا شيخ التكية البكتاشية فى « سوتلوجه » ، أما « ناى زن توفيق » فهو نموذج على اتحاد المولوى والبكتاشى كما يقول فى هذا الشعر :

نايم هه يم ايله بكتـــاشى جناب مـــولانا
ظاهر سلنتـــمد مـحــمد آل عـــبـــا
بو نايزانه كـــوره يوقـــدر أو مـــاســوا وســوا
وطن ديد كلرى غـــربتــده بى كس يم آمـــا

والمعنى :

إن نايى وخــمرى فى مـعـيـة جناب مـولانا بكتــاشى
ومـحــمـد وأهل العــبـاد هما ظاهر سلطنتى
ويرى ناى زن أنه لا شىء فى الوجـــود ســوى الله
بيد أنى غريب فى غربة ما يقولون عنه إنه الوطن.

ثم تجلى اتحاد كل من المولوى والبكتاش والحروفى على هذا النحو فيقول :

ذات سلطان بقـــا يعنى مـــعـــانى خـــســـرو
سازوســوز آهنك ايتـمشن عـشقـه برهان قـوى
بن أزل سـر مـــســـتيم مـيدانم عـرش مـسـتـوى
عكس ايدنجـه كـو كلمـة شـمس حـقـقت برتوى

مـى ده بكـتـــاشى كـــورندم نـى ده اولدم مـــولـوى

حبى حـيـدر يو طريقـك هم صكويى هم باشيـدر

جـــاويدان مـــثنوى مـــصـــبـــاح شـــعلة باشـيـــدر

صـورت مـعناده خـونـكارين سـرقـارد شـيـدر

مـــشــــربم مـــلايـى رومى مـــذهـبم بكتـــاشــيـــدر

تـا أزلدن يـانـدى دلده بـوجــــراغ مـــــعنـوى

(العذاب المقدس : إعداد إحسان أده سنة ١٩٤٩ - ص ١٠٥ - ١٩٠)

والمعنى :

إن بقـــاء ذات السلطان يعنى مـــعـــانى سلطانيـــة

ونغـمـة ربابك وكـلامك كـانت للـعـشق برهانا قـويا

أنا من الأزل سكران ومـــيـدانى هو العـرش المسـتـوى

وكلمـا انعكست فى فؤادى شـمس الحقيقـة الوضاءة

رأيت البكتاشى فى الخمر وأصبحت فى الناى مولويا

ان حب حـيـدر (على) هو نهـاية الـطريق وآخـر المطاف

والمثنوى الخـــالد هـو مـــصـــبـــاح منيـــر

وفى صـــورة المعنى ســـر الأخ خـــونكرى البكتـــاشى

مـشــربى هو مـولانا الرومى ، ومـذهـبى بكبتـاشى

وأضاء فى قلبى من الأزل هذا المصباح المعنوى .

وأنا أعلم كذلك أن شيخى المرحوم « ظهورى دده » هو أحد خلفاء التكية البهارية (ت ١٩٣٥ م)

وكان قد بدأ طقوس شعائر المتصوفة على يد « ياشار بابا » (ت ١٩٣٦ م) والذى كان يتبوأ مقام المشيخة فى تكية (قرة يا غدى) فى ذلك الإبان .

أما نحن فقد انتسبنا نحن كذلك فى عمر السادسة عشرة إلى الشيخ « بويوك عبد الله بابا » (ت ١٩٢٣ م) تبركا به ، وهو المؤسس لإحدى التكايا فى منطقة « تكاجيلر » الموجود فى « طوب قابى » .

وخلاصة القول أن ما ينبغى شرحه وتفصيله هو ما يأتى :

إن المولوية حتى ولو كانوا بكتاشية فإن طريقتهم المولوية تأتى فى الصدارة ، ولا سبيل إلى أى مولوى أن يقتنع راضيا بأن يكون بكتاشيا ألبته ، إنها المولوية بنايها وسماعها وسرورها ووجدها وجذبها وشعرها وعلمها ومعرفتها ، بيد أن البكتاشية بدورها قد استقرت وتوطدت أركانها . فى روح المولوى ، وبهذا القول يتسنى لنا إضافة نشوة وسرور ضافيين إلى عناصر الوصف والجمال آنفة الذكر ، ويتجلى هذا فى اللحظة التى كان يقضيها الصوفى أمام هذا الصوان حيث تغشاه النشوة والسرور ، ويسمى هذا فى العادة « صوان المحبة » ، ورغم كل هذه الأشياء فإن شيخ مصر « عزمى أفندى » يقول فى ست عشرة صحيفة من كتابه المسمى « مهم البيان » :

« إنه مضطرب فى حال من الشتات ، وليس له دثار مثل نصر الدين خوجه حتى أنه يتدثر بالمعول والمجرفة » وهو فى كتابه هذا - الذى يزخر بالأخطاء التى لا سبيل إلى إخفائها - يبدو مناهضًا للبكتاشية ، متفوها بأشياء لا يتسنى لطلبة المدارس الدينية التفوه بها ، لأن عقليته مولوية خالصة ، وهى طريقة شرعية برمتها ولم يتسن له أن يجد وقتا للقراءة لأن مؤلفات مولانا هى فى العادة كتب فقه وتفسير(١٥) .

المولوية وأهل الفتوة :

شرحنا في كتاب « جلال الدين الرومى » أن ثمة اتحادا وتآلفا بين الملامتية وأربابها من جهة وأهل الفتوة من جهة أخرى ، مما نجم عنه مناهضة الطلبة الدينيين للطريقة الصوفية والوقوف ضدها وقد انفصمت هذه الشعب الثلاث الأساسية للتصوف عن الشعب عن طريق طقوسها وشعائرها ولباسها وتكاياها ، كما أنها بذلت جهدها بغية الوصول إلى الحقيقة وإدراك كنهها ذاكرين أسماء الله (مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة - القسم الثالثة - القسم الثانى : التصوف ، ولا سيما : ص ١٤٥ - ١٥٢) .

كما أشرنا كذلك إلى أن ثمة علاقة ثانية لشمس مع أهل الفتوة (القسم الأول : شمس ، فى أى قسم من أقسام المتصوفة يكون ؟ (ص ٥٩ - ٦٦) .

وعلى حين كانت الملامية بمثابة المصدر الذى يمثل أيدلوجية عقيدة وحدة الوجود فإن أهل الفتوة الذين انبثقوا من الساسانيين قد اضطلعوا بدورهم بتطبيق هذه الأيدلوجية فى الحياة ، مشكلين بذلك طبقة الصناع الحرفيين ، وسواء كان سيد برهان الدين هو شيخ أهل الفتوة أو شيخ أبيهم ، أو كان هذا الشيخ هو « شمس الدين » أو هو « قويومجى صلاح الدين فإنهم كانوا جميعا على كل حال مستلهمين الفيوضات الإلهية من الطريقة الملامتية ، وكان مولانا بمثابة الممثل الثائر الهائج ذى سورة الحميا لهذه الطريقة ، ومن ثم فإنه ليس من قبيل الشذوذ حدوث ذلك التلاحم والتآلف الذى توشجت وسائله بين مولانا وأهل الفتوة الذين التفوا حوله من كل جانب .

وكان هذا سببا فى إبداعه للمثنوى ، ثم خلفه من بعده « جلبى حسام الدين » الذى اشتهر بالقطب من قبل عاشقيه ، وهو الأمين الدينى للشيخ « بير أهى تورك » (مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ١١٥) . وهكذا فإن مولانا والمقربين إليه كانوا قد تآلفوا والتحموا مع أهل الفتوة بدءًا من العصور المبكرة . ولم يستطع أهل الفتوة تحمل جيشان وسورة حميا مولانا ، كما أن بعض الأخيان كانوا يلومون مولانا ، وهذا يعنى أنه رغم وجود شيوخ الفتوة فإن أهل الفتوة وكثير غيرهم من الأخيان كانوا يحبون مولانا من تلقاء أنفسهم . هذا وقد استمر التلاحم والتآلف

مطردا إبان عصر كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى ، وقد رأينا فى ترجمة سيرهم الذاتية أنه كان يوجد خلفاء لكليهما من الآخيان ، كما كانا يتعايشان مع هؤلاء الآخيان بصورة جيدة على الدوام .

بدأت المولوية بعد هذه الحقبة المبكرة تتخذ وضعا جديدا غير جلى بصورة تدريجية وذلك عن طريق التلاحم والتآلف مع أهل الفتوة الذين باتوا بدورهم مصطبغين بصبغة الطريقة الصوفية الخالصة . وفى الحق فإن الملامية ما هى إلا طريقة منفصمة عن البيرامية فى القرن الخامس عشر الميلادى ، كما أنها احتضنت أهل الفتوة وعانقتهم .

كانت الفتوة بمثابة رمز للدعاية الصوفية في دولة آل عثمان إبان القرن الخامس عشر الميلادى ويتأتى هذا من ناحية بلوغها أوج درجات الكمال فى أواخر هذا القرن ، بيد أن ثمة قسما من طريقة الفتوة ظل محروما عن طريق الطقوس والشعائر التى يمارسها ، وكانت هذه الطائفة تمثل بأيدولوجيتها كلا من : البيرامية الملامية (الحمزية) وصناع المآزر وبائعيها ، ورغم أن أفراد هذه الطائفة ، بدأت تتضاءل تدريجيا حتى انقلاب سنة ١٩٠٨ م فإنها استمرت على هذا المنوال .

أما المولوية فإنها – كما فصلنا القول آنفا – فكلما مر الزمان ما تلبث أن تنفصم عن الشعب والقرية والقروى ، وسرعان ما يشتد نزوعها نحو الطائفة المستنيرة . ورغم هذا فإن آثارهم الموجودة فى المتاحف باتت فى متناول الأيدى ويمثلها طوائف من أمثال : المُذهِّب [١٦] .

وصناع الملاعق والمقطِّع وصانع السكاكين وبائع الخلال [١٧] والسُّبحة وهم جميعا فنانون من المولوية لم ينفصموا عن طائفة الصناع وأرباب الحرف ، وإذ أمعنا النظر مليا ألفنا طائفة كثيرة من المولوية تنتسب إلى الحمزية وهذا يوجب بالضرورة الحكم على وجود علاقة وثيقة لبعض المولوية بأهل الفتوة حتى الأزمنة المتأخرة ، ولندون فى هذا الصدد ما دبجه أسرار دده فى منظومة له تسمى رسالة الفتوة سنة ١٢١١هـ = ١٧٩٦م (الديوان ، ص ١٥٣ – ١٥٩) [٢] .

المولوية والملامية :

ثمة طريقة صوفية تعرف باسم الملامتية واستمرت حتى حاجى بايرام (ت ٨٢٣ هـ = ١٤٢٠ = ١٤٣٠ م) . إنها طريقة ترتبط ارتباطا وثيق العرى بطقوس وشعائر المتصوفة ، وهى كذلك منفصمة عن الشعب بزيها المختلف وأحوال مجتمعها المتباين واصطلاحاتها المتميزة . وهذا التباين ظاهر بجلاء فى المظهر والرأى والفكر والمفهوم على حد سواء ، وقد فعلت الملامية كما فعلت المولوية ، إذ كانت بعد تأسيس التكايا تعبيرا عن رد فعل يتجه تدريجيا نحو الطائفة الغنية المستنيرة .

كان للملامية زى خاص وتكية خاصة وأوراد وأذكار ، وخلاصة القول أنها كانت منفصمة عن الشعب تنفر بشدة من كل شىء ، متصدية لرياء طلاب الطريقة المتدينين ، ناهيك عما كانوا يضطلعون به كذلك من إخفاء الخيرات الصالحات التى كانوا يعملونها ، أما الشر فيميطون اللثام عنه ، ويرتضون باللوم فى صورة واضحة جلية حتى ولو كان هذا اللوم بسبب شرور وقبائح لم يقترفوها ، ولهذا سموا بالملامتية لأن « اللوم » كان أساسا ركينا فى طريقتهم الصوفية ، وعرفوا كذلك باسم « أهل خراسان » ثم « صوفية خراسان » بسبب تمركزهم فى خرسان بدءا من القرن التاسع الميلادى على الخصوص .

استقر هؤلاء الملامية أكثر فأكثر ببلاد العرق ولذلك سموا باسم « العراقيون » ، وهم صنف من المتصوفة الذين يقبلون الذكر بغية الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، ولا يقبلون الرياضات الروحية وهجر الدنيا وغيرها من المبادىء والأسس الأخرى ، بل كانوا على خلاف ذلك ، إذ كانوا يوصون بعدم الانسحاب من الدنيا ويريدون من كل إنسان الاشتغال بعمل يكسب منه قوت يومه .

ولا يأكل من الوقف ، وكانوا يقولون كذلك ، إن بلوغ الحقيقة سوف يتحقق فقط عن طريق العشق والجذب . وهؤلاء هم الملامية الذين عرفناهم حق المعرفة من خلال الرسالة الملامتية التى خصهم بها « أبو عبد الرحمن السلمى » صاحب الكتاب المشهور « طبقات الصوفية » والذى كتبه سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م .

ولما كان هؤلاء الملامتية ذوى أيدولوجية بعينها فإنهم ائتلفوا والتحموا مع أهل الفتوة ، وكلما مر الزمان كانوا هم الممثل لعقيدة وحدة الوجود المتجاوزة للحد والبالغة أقصى غايات الغلو ، وهم فى هذا السبيل يمثلون أيديولوجيتهم خير تمثيل ، أما أهل الفتوة فكانوا يضطلعون بتشكيل طائفة من الصناع وأرباب الحرف ساعين إلى تطبيق هذه العقيدة فى مضمار الحياة ، وكان كثير من أكابر الملامية فى نفس الوقت شيوخا لأهل الفتوة ، وإن شعار إخفاء الخير وإماطة اللثام عن الشر وأفكار وحدة الوجود المتجاوزة للحد تجعل هذه الطائفة ولا ريب تختلط ممتزجة بأهل الباطن .

لا جرم أن أهل الفتوة بطقوسهم وشعائرهم ونزعاتهم قد انتظموا واتسقوا تحت تأثير الباطنية .

انبثقت من الملامية بعد ذلك الطرق الشيعية الباطنية التى التحمت بتلك الطوائف والتفت بدورها حول الأشخاص الكبار الذين نشئوا وترعرعوا بين ثنايا الطريقة الملامية ، وهذه الطرق إما أن تكون ذات نزوع نحو الباطنية أو تكون مالكة للسجايا والخلال الباطنية ، بيد أنها أصبحت بمثابة مصدر الفيض الإلهى للمجتمعات التى تذود وتنافح عن الظاهر ، وعلى هذا النحو فإن طرقا صوفية مثل : القلندرية والحيدرية المتشعبة عن الكبروية والجامية والأدهمية قد تولدت جميعا من الملامية وكانت تمثلها إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . ورغم أن « بابا إلياس » مؤسس الطريقة البابلية ومن حوله كانوا منبثقين من طريقة الشيخ أبى الوفا البغدادى » إلا أنهم كانوا من ناحية النشوة الصوفية والاهتياج العاطفى خراسانيين بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ، وعلى هذا النحو فإن البكتاشية التى أسست فيما بعد باسم بابا بكتاش كانت تتلقى الفيض الإلهى من هذا المصدر بعينه .

اضطلع الشيخ « صفى الدين اردہ بيلى » (ت ٧٣٤ هـ = ١٣٣٤ م) إبان القرن الرابع عشر الميلادى بتأسيس الطريقة الأردہ بلية الصفوية ، وهذه الطريقة كانت فى حقيقة أمرها تتخذ من أسماء الله الحسنى أساسا لسلوكها ، وهذا يعنى أنها تقبل بالرياضة الروحية عن طريق ذكر أسماء الله بالسفر الروحى المعنوى ورغم أن هذه

الطريقة انبثقت فى الوجوه من الخلوتية فإنها ظلت فى معية القلندرية رازحة تحت تأثير أهل الفتوة ، أما ولده صدر الدين (ت ١٣٩١ = ١٣٩٢ م) وأسباطه فقد اصطبغت طريقتهم بالصبغة الشيعية الخالصة إبان عصر كل من والد وجد الشاه إسماعيل الصفوى (ت ١٥٢٤ م) مؤسس الدولة الصفوية الإيرانية .

أما حفيد صفى الدين وخليفة علاء الدين عالى والمشهور باسم حامد ولى فكان موجودا كذلك فى معية حاجى بايرام خليفة حميد الدين آق سراى (ت ٨١٥ هـ - ١٤١٢ = ١٤١٣ م) ، واضطلع فى أوائل القرن الخامس الميلادى بتأسيس الطريقة البيرامية التى نشأت من اتحاد كل من الطريقتين النقشبندية والخلوتية معا ، بيد أن هذه الطريقة ما لبثت أن تشعبت عقب موته إلى شعبتين اثنتين كان يمثلهما : طريقة آق شمس الدين (ت ٨٦٣ هـ = ١٤٥٨ = ١٤٥٩ م) والتى يقبل أتباعها بالرياضة الروحية والأسماء الحسنى ، وثانيهما : طريقة أمير سكينى (ت ٨٨٠ هـ = ١٤٥٧ - ١٤٧٦ م) والتى يقبل أتباعها الطريقة الملامية .

وكان تكوين شعبة الطريقة عند أمير سكينى ذا عقيدة مغالية متجاوزة للحد فى مسألة وحدة الوجود مما اضطر الدولة إلى التحرك بصورة ظالمة متعسفة ضد هؤلاء الصوفية ، وأعدم الشيخ أوغلان المشهور بجز عنقه فى معية اثنى عشر درويشا (٩٤٦ هـ = ١٥٣٩ م) ، وحبس أنقره لى حسام الدين حتى قضى نحبه فى غياهب السجن ، وكان قد صدر حكم بإعدامه (٩٦٤ هـ = ١٥٥٦ - ٧ ١٥٥ م) ولكن المنية عاجلته قبيل تنفيذ الحكم ، وقد عين الكاتب والوزير من بين هؤلاء الصوفية إبان عصر حمزة بالى البوسنوى ، ثم هبوا جميعا ثائرين فى وجه الحكومة ، وكان لزاما على الحكومة أن تتحرك لمواجهتهم ، وجيء بحمزة بالى إلى إستانبول وضربت عنقه تحت سطح تل « دوه أوغلو » بالسليمانية (٩٨٠ هـ = ١٥٧٣ م) ، وبعد مقتله نهضت الحكومة متعقبة أثر الملامية البيرامية ممن يسمون باسم (حمزى) [١٩] .

أما الملامية الأولون فكانوا لا يقبلون الذكر والرياضيات الروحية والخلوة والأسماء الإلهية واللباس الخاص ، كما أن تكاياهم لم تكن ملامية ، ومن ثم فإنهم ارتضوا بالعشق والجذب من أجل السلوك ، وكانوا يعتبرون الرابطة القلبية

بالشخص المعروف بالقطب هي بمثابة الأساس الركين للعشق والجذب كليهما ، وأن الفيض الإلهي سيكون ماثلا في نظرة الشخص الذي يؤذن له بالإرشاد من قبل هذا القطب . والملامية متوافقة متوائمة مع قسم من أهل الفتوة واشتملت على عقائدهم بدءا من عهد (إدريس محتفى) (ت ١٠٢٤ هـ = ١٦١٥ م) على وجه الخصوص .

وبعد ذلك فكر أرباب الطريقة في وجوه التقصير والإهمال بيد أنهم كانوا يعدون أرباب الطرق الأخرى جماعات لم تبلغ الحقيقة بعد ، ومع كل هذا فرغم أن البكتاشية قد زجت بنفسها في هذا السبيل فإن ثمة أشخاصا كثيرين من الطرق الأخرى قد دخلوا الطريقة الملامية وانخرطوا في مضمارها .

أما شيوخ الطريقة الملاميون فلا جرم أنهم كانوا يداومون على طقوس وشعائر طرقهم الصوفية ولا سيما فيما يتصل بالهيئة والمنظر ، بيد أن ذوى المقدرة ممن ينتسبون إليهم فقد كانوا يساقون سوقا إلى الملامة والتوبيخ . كانت المولوية هي أكثر الصوفية توافقا وتلاؤما مع الملامية ، فالمولوية تعتمد على نفس الأسس والمبادىء التى تعتنقها الملامية ، وتعنى بها ، العشق والجذب ، كما أنها تستقى من نفس المعين ، وهذا يعنى كذلك أن المولوية تستلهم الفيض الإلهى من الطريقة الخراسانية ، والمولوية تختلف وتتمايز عن الطرق الأخرى مثلها في ذلك مثل الملامية ، وقد أسلفنا القول بأن المولوية كانوا لا يعدون أنفسهم متصوفة ، ومن ثم فإن الطرق الأخرى التى نعتتهم بأنهم صوفية كانوا لا يسامحون المولوية ، وإن فكر الملامية المعروض بعينه قد ظل مقترنا بالمولوية ، فهاتان الطريقتان يشبه بعضهما بعضا .

وإن أمثال كل من : أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وبوستان جلبى وجلال الدين أرجون جلبى وديوانه محمد جلبى والشيخ محمد زنجير شكن وصبوحى أحمد دده كانوا جميعا ممثلين بأحوالهم الصوفية للملامية كما كان جُلهم من المولوية المنتسبين إلى الحمزية بطريقة مباشرة ويحكى مستقيم زاده في كتابه المسمى « شطار الملامية » أن شارح المثنوى « صارى عبد الله » (ت ١٦٩٠ م) كان موجودا في الخزانة العامة إبان عمله في رئاسة الكتاب ، وبعد ذلك كان في معية الشاعر « نشاطى أحمد دده » (ت ١٦٧٤ م) الذى أدركته المنية عندما كان شيخا

مولويا فى أدرنة ، كما كان الشاعر والخطاط المولوى « جفرى » (ت ١٦٥٤= ١٦٥٥م) يمدح صارى عبد الله وينتسب إليه ، حتى أنه عندما توفى جفرى فإن أهل محلته لم يحضروا الجنازة بسبب عدم تسامحهم له ، بيد أن صارى عبد الله شارك فيها وفى معية إخوانه ، وغسل جفرى ثم دفنه فى الجهة الشمالية من الطريق المؤدى إلى ميناء «دفتردار» الواقع خارج منطقة « إبرى قابى » ، وسوى قبره حتى لا يكون ظاهرا ، وتوجد شجرة سرور فوق الرأس والقدم ، بيد أن مريديه يعرفون مكانه ويزورونه .

ويرى مستقيم زاده أن كلا من « يج يولو » وعارف أحمد دده شيخ ينى قابى (ت ١٧٢٤ = ١٧٢٥ م) وأمير خليل آغا وهم من الحمزية ، وسيد أبو بكر دده (ت ١٧٧٥ م) كانوا جميعًا من المواطنين على مسامرة ومنادمة (هباشى زاده) . زعيم على آغا (ت ١٧٩٤ = ١٧٩٥ م)[٢٠] . ويفيد شاهد قبر مصطفى رشيد أفندى والد الشيخ غالب دده أن شاهد هذا القبر كان ذا قلنسوة معممة ملتوية وأن صاحبه مصطفى رشيد أفندى (١٨٠١ = ١٨٠٢ م) كان من أكابر المولوية ووجهائها ، كما يفهم بجلاء من النقش الموجود على شاهد قبره أنه كان من كبار الملامية المحققين)[٢١] .

وكان شاهدا قبر كل من الشاعر المولوى فصيح دده (ت ١٦٩٩م) ونحيفى سليمان مترجم المثنوى إلى التركية نظما (ت ١٧٣٨ م) ليسا إلا شاهدى قبر حمزى[٢٢] .

وقد انتسب عبد الباقى أفندى آخر شيوخ التكية المولوية « فى ينى قابى » بتوجيه منا إلى سيد أحمد مختار (ت ١٩٣٣ م) ، وعند وفاته نظم عبد الباقى مقطوعة شعرية دون فيها تاريخ وفاته بتاريخ الجُمَّل[٢٣] منها قوله « إنه الشخص الذى امتدحه الخلائق ، ارتحل عن الدنيا على حين غفلة ، وذهب إلى الدار الآخرة ، وبسبب فراقه ادلهمت أيامنا بالسواد وباتت تشبه الليالى الحالكة ، ياحى يا باقى : لقد اختير مختار محمد الذى مدح الأنبياء إنه مختار السيادة » .

يقول باقى أفندى إن أباه أحمد جلال الدين (ت ١٩٠٨ م) وجده عثمان صلاح الدين (ت ١٨٨٧ م) كانا حمزويين حتى إن قبر جده عثمان موجود فى الجهة اليمنى للطريق القادم من ينى قابى والمؤدى إلى « سيلورى قابى » والمرصوف بالأسفلت فى الوقت الحالى ، ونعتقد أن « حمزة بالى » اضطلع بتعمير وإصلاح تكية « قابى دن دريا » وقدمها إلى محمد على باشا وأحاط الزاوية الخارجية لهذا البناء بدرابزين مكون من ست قطع ثقيلة من الحجر والحديد ، ويوجد بيت من الشعر أعلى شاهد القبر الأبيض وعلى طرف عمود المقبرة المفتوح أعلاه[٢٤] .

المولوية والحروفية :

اقتبس الإسماعيلية كثيرا من الفيثاغورية المقترنة بالديانات الهندية القديمة ، ثم جاء فضل الله الحروفى مؤسس النظام المطبق على الإنسان والذى يؤول سائر أحكام الشريعة معتمدا فى ذلك على الأصول والقواعد المقدسة والمضافة إلى الأعداد التى لها علاقة وثيقة بين الحروف والأرقام ، وقد قتل شهاب الدين فضل الحروفى مؤسس الطريقة الحروفية وهو فى الخامسة والخمسين من عمره فى قلعة تسمى « ألينجق » بمنطقة « سنجرية » على مقربة من استراباد .

وكان هذا فى (يوم الجمعة ١٦ من ذى القعدة لسنة ٧٩٦)[٢٥] وكان هناك تأثير عظيم للحروفية فى المولوية ، والحروفية تقبل اللفظ والصوت كليهما ليكونا أساسا للكون بأسره ، فالصوت موجود بالقوة فى كل شىء وعندما نضرب شيئين ببعضهما البعض فإنه يصدر عنهما فعل . بيد أن عودة الكلمة إلى حانها يكون فى معية الإنسان ، ومن هذه النظرة يكون الإنسان هو ذات الله ، والكائنات صفات .

فاللفظة تتأتى من الحروف ، وفى القرآن ثمانية وعشرون حرفا ، ولما اضطلع فضل الله بكتابة كتابة (جاويدان) بالفارسية ومعناه الخلود فإنه أضاف إلى

الفارسية حينئذ أربعة حروف على الخصوص وهى P - C- J - G . وهكذا أصبحت الثمانية والعشرون حر فا اثنين وثلاثين .

وهذه الأحرف الثمانية والعشرون أو الاثنان والثلاثون موجودة فى شكل الإنسان وفى وجهه على الخصوص . ففى وجه الإنسان سبعة خطوط تسمى الخطوط الأمية لأنه يولد بها من أمه ، وتتمثل فى الحاجبين وأربعة رموش وشعر واحد ، وينشأ كل واحد من هذه الخطوط من أربعة عناصر وعلى هذا تكون الخطوط السبعة ثمانية وعشرين . وقد فرق النبى محمد صلى الله عليه وسلم شعره من الوسط إلى قسمين قائلا : هذه سنة جدى إبراهيم ، وهكذا أصبحت الخطوط السبعة ثمانية وباتت بالعناصر اثنين وثلاثين خطًا .

وتوجد الخطوط الأبية ونعنى بها خطوط الأب لأنها هى التى تظهر فى الوجه بعد ذلك سبعة خطوط وتتمثل فيما يأتى : ذقتان وشاربان وشعر المنخرين وخط واحد يوجد أسفل الفلك ، وهؤلاء ثمانية وعشرون خطا وإذا ما انقسم الفك السفلى من الوسط تكون الثمانية بناء على ذلك اثنين وثلاثين .

توجد فى كل يوم صلاة مفروضة من سبع عشرة ركعة ، وفى يوم الجمعة خمس عشرة ركعة ومجموع هذا وذاك ينبثق منه اثنان وثلاثون خطا ، ويُطاف حول الكعبة سبعة أشواط ، وهى إشارة إلى الخطوط السبعة والفاتحة سبع أيات وهى رمز كذلك لهذه ا لخطوط السبعة ، وليس فى الفاتحة سبعة حروف ولا فى المرأة سبعة خطوط .

وخلاصة القول أن الحج والزكاة والصيام وسائر الأحكام الدينية جميعا تكون مطبقة لهذا النظام .

ويعتقد الحرفيون أن عيسى والمهدى كليهما هما فضل الله لأنه جاء وأضاء الحقيقة ، حتى أنه تجلية بكمال الله ، وبشر به كل الأنبياء ولقد شوهدت الحروفية وهى تقبل المذهب السنى فى الممالك السنية ، والمذهب الشيعى فى الممالك الشيعية ، بيد أنها كانت تحافظ دائما على شخصيتها المصطبغة بالصبغة الشيعية الباطنية ،

ولكنها لم يتسن لها البقاء في شكل طريقة مستقلة قائمة برأسها ردحا طويلا من الزمان ، ثم ما لبثت أن تغلغلت في طرق كثيرة أخرى ، وأصبحت في ذلك الإبان واحدة من أسس وأصول الطريقة البكتاشية على وجه الخصوص ، وفي الآية الخامسة من سورة طه ، ورد قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى[٢٦] وقال المفسرون كلاما متباينا في معنى « استوى » مثل قولهم إن كلمة « عرش » تأتي بالمعاني الآتية : الارتفاع والسمو ، أو يكون الاستواء بمعنى كونه في حالة متساوية تامة ، أو بمعنى القصد والتعزيز والتثبيت ، وعلى هذا فيكون لله جسم ومتكأ وفق أولئك الذين قبلوا معنى الآيات ، وهو يجلس فوق هذا المتكأ ، بيد أننا لا قبل لنا بمعرفة كيفية الاستواء والعرش كليهما ، ويرى أنصار مذهب يطليموس أو العرش هو الجهة المقعرة للسماء التاسعة ، أما الكرسي فهو الجهة المحدبة ، وعلى هذا يكون معنى الآية : أن الرحمن هو صاحب الرحمة والمغفرة ، والعرش يعني الإحاطة والشمول بسائر الموجودات ، والمعنى يعبر أن رحمته شاملة لكل شيء ، والعرش في رأي من أولوه وقبلوه على أنه العلم والمعرفة يتأتى عندهم بمعنى أن علمه يحيط بكل شيء ، ولا جرم أن لهذه الآية معاني مجازية أخرى ، وثمة مفسرون سلكوا في تأويلها وشرحها مسالك متباينة . أما الحروفية فيرون أن العرش هو سطح الأرض وهوالكون ، ومن هذه النظرة فإن كل شيء حتى جسد الذرة تكون في حقيقتها عرشاً ويكون الإنسان هو عرش الله من ناحية الكمال وذلك حتى يتجلى الله في هذا الإنسان ، ويكون الاستواء نفسه موجودا في الكون كله ، بيد أن ثمة شيئا ظاهرا بكمال في الإنسان وهو أن يكون الوجود متساويا تماما منقسماً إلى قسمين . وعندما فرق النبي صلى الله عليه وسلم شعره من الوسط إلى قسمين أصبحت الخطوط السبعة ثمانية بالعناصر الثمانية والعشرين ، وهذا يعني أنه قد ظهر اثنان وثلاثون خطا ، وعلى هذا النحو ظهر سر فضل الله[٢٧] .

ومما لا مرية فيه أن الاستواء قد استعمل في التصوف على أنه مصطلح مقتبس من نفس الآية ، واقتبس مولانا الاستواء في المثنوي بمعنى الكمال واستعمله مرة

واحدة ليس إلا ويقول فى هذا ما فحواه « تجاوز عن السكر ، وأسكر أنت الخلائق ، ودع كل الحيل والذرائع ، وارتحل إلى استوائه » (جـ ٦ ، ٦٣٣) ، وهذا يعنى أنك لا تخدع نفسه ولا يغضبك أحد ولا تنجرف منساقا إلى كل لون ، وابلغ الكمال واشهده كله .

ويتسنى لنا بعد هذا المدخل المقتضب البحث عن التأثير الذى خلفته الحروفية فى المولوية :

يرى المولوية أن الخلافة ليست هى ما يمنحه الشيخ ، وعليه فإن من يبلغ مقام الاستواء هو صاحب الخلافة الحقيقية والروحية ، وفحوى هذا أن ذلك الشخص يرى المعنى الباطنى والحقيقة الجوهرية للخلائق والكائنات والله مثل رؤيته الخلائق وتجلى الإله .

وإنه ليجد المعاملة اللائقة بسبب وجوده وبلوغه أوج الكمال المطلق ، ويعطى كل شيء حقه الحتمى الضرورى بسبب استعداده ومواهبه شريطة ألا يترك العدالة قط فى هذا السبيل ، فهو لا يريد من الحجر أن يستحيل خشبا ولا يزعم أنه يستطيع إسناد مهمة المرآة إلى الخشب ، ومن ثم فهو يرى كل شخص محقا بحسب استعداده فى ذات مقامه . فالشيء الكائن سيكون شيئا واقعا ، وإذا توجب علينا التفوه باصطلاح جديد عن كل حادثة فإنه يكون نتيجة للظروف التى هيأها .

وإن مهمة الإنسان الكامل تمهيد السبيل إلى الكمال العمومى مُربيا أولئك المستعدين المهيئين للكمال ، هكذا يكون صاحب المهمة الإلهية ، إنه يرى الخلائق فى معية الله فى نفس الوقت وبصفة واحدة ، بيد أنه يرى الوجود كله من ناحية الظهور والاختفاء وكأنه صاحب استعداد وفيض إلهى مختلف وبعدالة جد مطلقة .

وهذا يعنى أن لا يكون ظالما على أى وجه من الوجوه ، ويكون فى ضرب من المعاملة لا يتصدى فيه بوضع شيء محل شيء آخر ، ويوجد هذا المفهوم بحذافيره لدى الحروفية ، وعلى سبيل المثال فإن سيد اسحق أحد خلفاء الله يقول فى شعر له ما فحواه « أيها المقلد : اسع واقدح لتحقق حال رجال المتصوفة ، وكن قُرطًا لأذن

حلقة الصدق والاستقامة ، واغتسل بالصدق والطهر والتقاء ، وازرع بذرة الصدق فى مزرعة الفؤاد ، وسترى هذه الصورة كل شىء متساويا مستقرا فى موضعه الثابت الذى لا يتغير ، ويلزمك ساعتئذ الاستواء الخلقى والروحى ، وإن هذا الاستواء الخلقى والروحى لهو الصدق والطهر والنقاء ، وعليه أن يترك البخل والرياء والأشياء الباطلة ، ولا يرى نفسه ذا تجلة واحترام ، ويتأتى هذا باتباع الأوامر والإحجام عن كل الأشياء المتكلفة ، وهذا هو طريق الله ، أما ما عداه فهو ستر وحجاب »[٢٨] .

أما مفهوم الاستواء عند المولوية فهو صوفى محض ، بيد أن هذا المفهوم امتزج بتأثير الحروفية إن الإنسان الذى يعي ويدرك كنه تبوؤ منصب الخلافة عليه أن يكابد ويقاسي شريطة أن يأتي مرتديا جبة خضراء عرضها إصبعان متدلية إلى الأمام فوق قلنسوته وتسمى هذه القلنسوة « استوا istiva » وهى موجودة فوق مقبرة مولانا ومقبرة كل من : أولو عارف وزمير عارف جلبى اللذين يرقدان بجانبه ، كما توجد كذلك فى قلانس صوفية خراسان وقلانس كل من : كمال دده والشيخ صبوحى الموجودين فى التكية المولوية فى ينى قابى بإستانبول ، ويقول « شاهدى » فى كتابه « روضة الأسرار » إنه توجد (استوا) خضراء فى قلنسوة (فنائى) .

وقد عاش كل من أولو عارف وأمير عابد وكبار زهاد الشلبيين قبيل تأسيس الحروفية وانتشارها . وإذا أمعنا النظر إلى هذا مليا ألفينا أن قلنسوة الاستوا الموجودة عند المولوية قد توافقت وتطابقت بعد ذلك مع المفهوم واتبعت سبيله . بيد أنه يوجد كذلك شىء آخر يتمثل فى أنه ليس ثمة استوا فى قلانس كل من مولانا وسلطان ولد وصلاح الدين وجلبى حسام الدين وغيرهم من أكابر وأساطين المولوية الأقدمين[٢٩] .

لا جرم أن « الاستوا » قد نشأ بتأثير الحروفية ، فهل شدت هذه الاستوا بعد ذلك فوق قلانس أولو عارف جلبى وغيره من الشلبيين أم لا ؟ إن هذا شىء حسن جميل ، لأنه يوجد اليوم تجديد مطرد فى كل القلانس والعمائم على حد سواء .

وقد سمعنا أن الاستواء لم تمنح من قبل جلبى أو من قبل أى خليفة كائنا من كان ، أما الصوفى الذى يبلغ مقام الخلافة الإلهية فإنه ما يلبث أن يجذب من فوره

هذه الاستوا فوق قلنسوته من تلقاء نفسه . ولكن ثاقب دده كتب يقول : إن جلبى اضطلع من ناحيته بالتكبير على استوا قلنسوة آغا زده محمد دده شيخ غاليبولى (ت ١٠٥٣ هـ = ١٦٥٢ = ١٦٥٣ م) . (جـ ٢ ، ص ٢٦ ، سطر ٨ من أسفل) .

كما يدون ثاقب دده إبان حديثه عن شخصية صبوحى أحمد دده أن جلبى اضطلع كذلك بإلباس هذا الشيخ ما يسمى قلنسوة استوا الخلافة (نفس الصحيفة ، سطر ٢ ، من أسفل) . ويفهم من هذه العبارات الصريحة أن الاستوا لم تكن تنشد من تلقاء نفسه ، ومن ثم فإنه يوجد كذلك من يضطلعون بشد الاستواء على القلنسوة من تلقاء أنفسهم .

ويتوجب أن تكون الاستوا قد ظهرت فى الوجود عقب انتشار وشيوع الحروفية وبتأثير خالص من هذا المذهب ، أو أنها وجدت قبيل ذلك ثم استحدثت فى خاتمة هذا المفهوم الصوفى ، ثم ما لبثت أن بلغت أوج كمالها عندما تآلفت والتحمت مع مفهوم الحروفية ، وإن هذه الغزلية للشيخ آغا زده تعد شاهدا تاما فى هذا السبيل .

وارث علـم لـدنـى آدم مـعنـى بـزز
واقـف سـر رمـوز علـم الأسـمـا بـزز

فـقـر ايله فـخـر ايله وك مـلك فـراغت شـاهيـز
لا أبـالى بيـز اكـرجى عـارف دانا بـزز

سى ود وخـط أقـودق يارك جـمـالندن عـيـان
اسـتـوا مـزينى بيلـدك امت وسطى بـزز

مـظهـر مـلابى رمـوز مـثنوى بـرهانمـز
سـالك راه حـقـيـقت واصل مـولى بزز

(السفينة ، جـ ٢ ، ص ٢٩) .

والمعنى :

نـحـن رجـــــــــــال وارثـون الـعـلـم الـلـدنــى

مطـلعـــون على ســر رمــز عـلم الأســمــاء

ونحـن ملوك مـلك نكـران الذات والفـــخـــر بالفـــقـــر

عـــــارفـــون عـــالمون لانـكـتـــرث بشـىء

قـــرأنا كل مـــا هو ظـاهر من جـــمـــال الحـــبـــيـب

وعـــرفنا قلنســوة الاســتــوا ، فـنحن أمـــة وسط

وبرهاننا مظهر مولانا ورموز المثنوى .

سالكون طريق الحقيقة ووصال مولانا ، وعندما كان سباهى دده (ت ١٧١٠ م) شيخا على التكية المولوية فى « لوفكوشة » بقبرص اضطلع بتدبيج مسدس[٣٠] يكرر فيه بيتا يميط اللثام فيه عن هذه العقيدة بعينها فيقول :

هويـد أوله لـى خط اســـتـــوا فـــرق كـــلا هـمـــده

على العـرش اسـتـوى سـرك بوله لى قـبلـه كـاهمـده

والمعنى :

فليظـهـــرن خط اســـتـــوا فى فـــرق قـلنســـوتى

ولنجـد سـر على الـعـرش استوى فى جـهـة قـبلتى

وهذا مطلع قصيدة لأسرار تتكون من خمسة وثلاثين بيتا وفيه يقول :

درويش أولـنجـــه عـــالـم كـــبـــرايى اســـتـــوا

ألـف وجـــودر سكـا مـــعـنانى اســتـــوا

والمعنى :

عندمـــا يكون الـدرويش هو عـــالم كـبـــراء الاسـتـــوا

وإن مـــعنى الاســـتـــوا يكون لك بمثـابة ألف وجـــود

ثم يجلى هذه الفكرة عينها فى أبيات أخرى مثل قوله :

بـر خـطـدر آمـــــا نـقـطـة ذاتـك مـــــآلـيـــــدر

سى ودود حــرفـــه أصل اولور ليـمـــايـى اسـتـــوا

بـرمـــــــــولـوى لـه راست آل رســــــــول أو لـه

مـــوروث در عـــــلامت خـــضـــراى اســـتـــو ا

خــــيـــــر الأمــــور أوسطـهـــا در خــــلافــتــــه

بـين الــسـلـوك والاى اســـــــــتــــــــــوا

(الديوان ، ص ١٠ - ١١)

والمعنى :

هو خط واحـــد ولكن المعنى مـــتـمـــثل فى نقطة الذات

وإن حــــرفين أو ثـلاثة هو إشــــارة إلـى الاســـتـــوا

إن المولوى هو مـن يكون مـــســتـقـــيـمـــا مع آل رســـول الله

والعـلامـــة الخـضـــراء للاستـوا هـى شىء مـوروث

أيتـــهـــا الخــلافـــة إن خـــيـــر الأمـــور أوسطـهـــا

ومـسلك رفـعة الاستوا لهـا شأن عـظيم بين السلوك

ويستطرد أسرار دده فى شعره إلى الحد الذى يقول فيه (ص ١٤١)

أى زاهد خـــوشك ايله مــه بيـــهــوده جـــدال

مـــحـــتـــاج دكـل سكا خـــداى مـــتـــعـــال

بالـلـه بـدل كـلـور عـــــبــــــاد تـلـريـنـه

بـرآه ايـدرســــــه يـار وجــــــــوددن آبـدال

والمعنى :

أيهـا الزاهد لا تتـفـوه بتـوافـه الكـلام والجـدل العـقـيم

فـالحق سـبـحـانه غـيـر مـحـتـاج إلـيك

فـــتـــعــــال إلى عـــبـــادتـه بدلاً من هذا الـكلام

فـإذا تأوه الصـوفى فـهى صـادرة من جـسـد الحـبـيب

ثم يصرح بالفكرة عينها فى أبيات وردت فى رسالته المسماة « الرسالة المباركة » (ص ١٤٨ - ١٥٣) فيقول :

جـــون ألف جـــيـــزى ندارد در ســـمـــاعـك عـــارفى

ســايه خط اسـتـوابى شــمـسك أولدر واقــفى[٣١] .

والمعنى :

عـنـدمـــــا لا يـوجـــــد شىء فـــــوق الألـف

فـــهـــذا هـو الـعـــارف بـالـســـمـــاع

وإن شـــمـــســـًا عـــالـم بظـل خط الاســـتـــواء

أوّلا نـازل أولان آيـت كـــــــه بـسـم الـلـه در

نقطة نك رمـزك بس بعـده كـورن آكـاهدر[٣٢]

آنجق أول بـرنقـطة تـك تفـسـيـر در قـرآن هب

اولـ .ـركس سـرينى تحـقـيـقـده حـيـران هب

والمعنى :

إن بـسـم الـلـه هـى أول آيـة نـزلـت مـن الـقـرآن

والـرائـى عـالـم بـالنـقـطـة والـرمـز

بيـد أن الـقـرآن كـله تـفـسـيـر لـهـذه النـقـطة

وتحـيـر كل إنـسـان فى تحـقـيـق هـذا السـر

ويوجد عند المولوية - فضلا على الاستوا التى تشد فوق القلنسوة - شىء آخر يحيط بجانب الخرقة من كل جانب ، وهو أخضر اللون وعرضه أصبع واحد ويسمى بالشريط [٣٣] .

ويوجد فى قاعة السماع خط مفترض أن يشد بصورة مستوية من أمام مقام الشيخ حتى منتصف الباب ، ولا يطؤه أحد، ويتوجب أن نقول إن عقائد الحروفية ذات لجذور المتأصلة قد استقرت وتوطدت فى نفوس كثير من المولوية الأبيقوريين إبان القرن السادس عشر الميلادى . أما أفكار الحروفية الواردة فى أشعار كل من ديوانه محمد جلبى ويوسف سينه جاك فإنها واضحة بجلاء ، وإن كل المولوية الأبيقوريين كانوا يقرءون كتاب « جاويدان » .

ويتبين كذلك أنهم كانوا مشغولين تماما بكتب الحروفية ، وفى النهاية فقد وردت أبيات فى آخر غزلية لشيخ « بهارية » حسين فخر الدين دده يقول فيها :

سـى ودو حـرفـى وجـه عـدمـده

اوقـويوب سـرينه خـبـر اولـدم

فـــــخــــــر ايـدرسـم بجـــــادر أى فـــخــــــرى

بيـــــــر مـك ســـــايـه سنده بيـــــــر اولـدم

والمعنى :

حـــروف الاثـنين والثــلاثة مـــوجـــودة فى وجـــه الـعـــدم

وقـــــرأتـهـــــا وعـــــرفـت أســــــرارهـا

وإذا افــتــخــرت يـا فــخــرى فـهــذا شىء لائق مـناسب

وأصبــحت شيــخـا صـوفـيـا فى كنف شيــخى

وتبين هذه الأبيات مدى تأثير الحروفية الذى استمر حتى عصور متأخرة . ويتوجب علينا فى خاتمة هذا البحث أن نقول ما يأتى :

لا جرم أن المولوية رزحت تحت تأثير الحروفية ، ومع هذا فإن الحروفية قد خلفت تأثيرا فى الطريقة الملامية الحمزية ، بيد أن هذا التأثير لم ينتقل من مولانا أو من هؤلاء أنفسهم فى أى وقت من الأوقات مثلما حدث للتأثير الحروفى الذى كان متغلغلا فى البكتاشية ، ولم يكن هذا التأثير أحد عناصر المولوية ، ومن ثم فإنه لم يتغلغل فى الطريقة أو يُصهرها فى بوتقته . لقد انساق المولوية مسارعين إلى تطابق وتوافق غريبين فى مضمار التأويلات الباطنية ، وعلى كل حال فإنهم اضطلعوا بقراءة كتاب « جاويدان » أى كتاب الخلود وغيره من آثار الحروفية الأخرى ونهضوا كذلك باحثين فى قضايا الاستواء والثمانية والعشرين والاثنين والثلاثين حرفا ، بيد أنهم لم يدبجوا كل أشعارهم بهذه الأشياء الساخرة المضحكة ، كما لم يدنسوا علمهم وثقافتهم بالحثالات والثقالات ، ومن ثم فإنهم لم يحلوا فضل الله محل مولانا فى أى وقت من الأوقات ألبتة . ورغم أنه من المتعذر إنكار تأثير الحروفية فى المولوية فإنه لا سبيل كذلك إلى إنكار تلك الألفة والصداقة والحميمية بينهما[٣٤] .

وكان لزاما علينا أن نسجل فى نفس الوقت ما يفيد بأن زهاد المولوية لم يكونوا زهادا يتصدون للبحث عن الحروفية فى أشعارهم ويشدون الاستوا فوق قلانسهم .

المولوية والخلوتية :

رأينا فى سلسلة النسب المولوية أن مولانا ينتسب إلى الطريقة الكُبروية ، وأن هذا النسب يرقى حتى يبلغ الشيخ أبا النجيب عبد القادر سهروردى (ت ١١٦٧م) . كما أنه يصل فى نسبه إلى الجنيد بواسطة رجال الخلوتية .

وقد سجلنا فى نفس المبحث رواية تتصل بأواصر المحبة والصداقة التى كانت بين كل من أحمد غزالى (ت ٥١٧ هـ = ١١٢٣ م) الذى مر ذكر اسمه فى هذه السلسلة المعتبرة وبين كل من مولانا وعبد القاهر كليهما ، ومن هذه النظرة فإن الخلوتية هى بحذافيرها طريقة الأسماء ، وقد قورت الخلوتية أن تعتبر نفسها شعبة من الطريقة المولوية المشهورة ، وأن تحتفى بها أيما احتفاء . ونحن نرى أن البيرامية الملامية نشأت رغبة منها فى الانتساب إلى هذه السلسلة النسبية ، ناهيك عن كونها أكثر حمية وأشد غيرة ، وكانت المولوية ذات نشوة صوفية خالصة .

لقد اضطلع عبد القاهر بتنشئة وتربية قطب الدين أبى بكر أحمد (ت ١٢٢٨ = ١٢٢٩ م) والذى كان شيخا لشعبة الطريقة الأبهرية ، واضطلع هذا الشيخ كذلك بتنشئة وتربية خليفة إبراهيم زاهدى جيلانى (ت ١٣٠٥ م) من شعبة ركن الدين (ت ١٢٣٠ م) ، ثم نشأت البيرامية من هذا الفرع وكان هذا سببا فى تأسيس الملامية من جديد .

يعتمد المولوية على سلسلة النسب الكبروية المروية والتى تؤلف بين المولوية وممثلى الأبيقورية وتوجد بينهم من ناحية سلسلة النسب ، وعلى سبيل المثال فإن صارى عبد الله يقول فى كتابه « جواهر البداية ودرر النهاية » أنه بعد أن تم تسجيل نجم الدين ليكون خليفة لسلطان العلماء وأصبح شمس تبريزى خليفة لقطب الدين أبهرى ، وأنه ذهب إلى قونية بأمر من ركن الدين ، ثم أصدر حكما فى كتابه يقول فيه

« إنهم أرباب السماع فى طريقة المولوية ، وأهل صفاء سلطان ولد وحسام الدين ومولانا الرومى والمنتسبين إلى ركن الدين سجاس عن طريق سلسلة نسب شمس تبريزى » . (جامعة إستانبول – المخطوطات التركية ، رقم ١٨٢٣ – ١٣٠) .

ثم يكتب صارى عبد الله ثانية فى كتابه « ثمرات الفؤاد فى المبدأ والمعاد » فيقول:

إن شمسًا ذهب إلى قونية بأمر من ركن الدين واضطلع بإرشاد مولانا ، ثم يردف قائلا :

« إن الطريقة المولوية جمعت كلها عند ركن الدين سجاس » (إستانبول – المطبعة العامرة ١٢٨٨ م ، ص ١٣١) . ونحن نقرأ كذلك أبياتا فى السلسلة الملامية الحمزية والتي دبجت إبان عصر « سوتجى بشير آغا » الذى كان قطبا للحمزيين فى عام (١٠٧٢ = ١٠٧٣ هـ ١٦٢٢ م) وقد لقى حتفه فى البحر غرقا ، ويقول فى هذه الأبيات :

ركن دينه ديرلدى صكره نصيب
عاقبت أول ده اردى كأنه شها
خدمتك لقطب دينك ايتمش ايدى
تاصبا وتدن أول شه فضلا
سورسه آتك اشيكه يوزينى
خاساته دللر بولوردى درده دوا
شمس تبريزى آتك مريدى ايدى
آكا ارشدى هم دخى ملا

(مكتبة ملت : دورية رقم ٧٩٩ ، واقتبست الأبيات من السلسلة المنظومة فى كثير من المواضع فى كتاب ثمرات الفؤاد لصارى عبد الله دون ذكر اسم الناظم) .

والمعنى :

منح ركن الدين على نصيب من التصوف

وبلغ السلطان هذا المنجم فى خاتمة المطاف

وكان فى خدمة قطب الدين

حتى أنه بات ملك الفضلاء من صباوة العشق الصوفى

وإذا مرغ وجهه على عتبته

فإن القلوب العليلة تجد الدواء

وكان مريده هو شمس تبريزى

الذى وصل إليه العبقرى مولانا الرومى

ويقول حبشى زاده (ت ١٧٢٧ م) إن صارى عبد الله قد تحدث فى كتابه المسمى « مسلك العشاق » عن الملامتية ، ثم اضطلع بعد ذلك « لالى زاده سيد عبد الباقى » (ت ١٧٤٦ م) بتذييل الكتاب مضيفا إليه سلسلة الملامية ، ثم يعرض لذكر مولانا وشمس بأبيات فى قصيدته « مسلك الإشراق » والتى كتبها وشرحها ، ويقول فى أبيات منها (٣٥) :

مسيح آسا اولويه شمس تبريزى فلك منزل

عجب اولمزكه عشق حق ايله صاحب سياحتدر

جلال الدين مولانا بى رومسيد ويرى أنك

بوميدا نده صفا بخش سماع ووجد و حالدتدر

والمعنى :

لو أن فلك منزل شمس تبريزى يشبه المسيح

فلا عجب أن يكون صاحب سياحة مع عشق الإله

وأحد عشاقه هو مولانا جلال الدين الرومى

وهو فى هذا المضمار مانح الصفاء والسماع والوجد والحال

وبديهى أننا لسنا فى حاجة إلى القول بأنه ليس ثمة علاقة بين شمس وركن الدين ألبتة .

ويقول ركن الدين بوضوح فى كتابه « المقالا » إنه كان مريدا « لأبى بكر سله ياف » ويدون أفلاكى هذه الرواية كذلك قارئًا ومدققا النظر فى كتاب المقالات بصورة كاملة متقنة(٣٦) .

وفى الحق فإن هذا المفهوم استمر طويلا من قبل أولئك المنتسبين إلى الحمزية ، وهذا يؤيد وجهة نظرنا التى جليناها آنفا والمتصلة بعدم إصرار الخلوتية الآخرين فى هذا السبيل ، وفى سنة ١٥٦٨ م توفى فى مدينة « قسطمونى » حاجى شعبان ولى » الذى اضطلع بتأسيس فرع الطريقة الشعبانية المنفصمة عن الخلوتية ، وقد ورد فى آداب وطقوس هذه الطريقة أنهم يكررون دبر كل صلاة « لا إله إلا الله » ممدودة ، ثم يقولون فى الثالثة « محمد رسول الله » ، ولا ريب أن هذه الشعيرة مقتبسة من المولوية بصورة مباشرة .

وقد اضطلع « اسكودارلى سيد نصوحى محمد » (ت ١٧١٨ م) بتأسيس فرع الطريقة النصوحية المنبثقة من الشعبانية ، وكانت وشائج العلاقة موطدة بينه وبين المولوى الحمزى « فصيح أحمد دده » . ثم كانت الطريقة الإبراهيمية المنفصمة عن النصوحية والتى كان يمثلها « كشاده لى إبراهيم » (ت ١٨٤٨ م) ، وكانت شعبة الطريقة الكوشادية ملامية خالصة من ناحية السلوك الصوفى ، وفى النهاية نشأ من هذه الشعبة « فاتح ربه دارى أحمد أميش أفندى » الذى يعد أحد الصوفية ... المقتدرين ذوى الكفاءة إبان تلك الحقبة المتأخرة من الزمان (ت ١٩٢٠ م) ، ورأى لزاما على أن أسجل فى هذا المقام وجود علاقة ثابتة مؤكدة بينه وبين كل من الحمزية والملامية المتأخرة .

المولوية والنقشبندية :

الطريقة النقشبندية هى شعبة صوفية تعليمية خالصة ، ولا سيما أنها جاءت بعد « إمام ربانى أحمد فاروقى » مجدد الألف الثانى الهجرى وصاحب العقيدة السنية الكاملة ، وقد التحمت النقشبندية وتواءمت مع الطرق الشيعية الباطنية مثل القلندرية والبكتاشية والحمزية ، وكانت المولوية تتفق مع هذه الطرق فى النزعة العلوية ، ثم كانت العلاقة الحميمة بين المولوية والنقشبندية ، وثمة مفهوم جديد الغرابة يتمثل فى ذلك الفكر المزيف الملفق الذى تمخض عن هذه السلسلة النسبية .

أما هذه السلسلة النقشبندية فهى – كما تفيد إحدى الروايات وكما ذكرنا فى سلسلة المولوية – تصل إلى يوسف همدانى وتسمى بطريقة « هاجكن » ، بيد أنها ترددت هذه المرة فى غيرة المولوية وحميتهم ، وأحاطوا كذلك بأولئك الزهاد الذين اتبعوا سبيل زمرة الشيخ فى الأناضول على وجه الخصوص ، وكانت النقشبندية ذات نفوذ شديد الذيوع فى الهند وكأنها كانت تريد التدليل على كفاءتها ومقدرتها باعتبارها شعبة صوفية مستقلة قائمة برأسها . وتمخض عن هذا أن كان للسلوك الصوفى عند النقشبندية ثمانية أسس وهى :

معرفة أحداث الزمان ونظر فوق القدم وسفر فى الوطن وخلوة فى المجلس وذكر وعودة وتقهقر ونظر وتذكر ، ثم يضاف إلى هذه العناصر الثمانية بعد ذلك ، وقوف الزمان ووقوف العدد ووقوف القلب ، وهذا يعنى تذكر الله فى كل نفس ، ويكون هذا الذكر ماثلا أمام ناظريه حتى لا تتشتت ذاكرته ، ثم النظر مليا إلى موضع قدمه عند المسير ، والالتقاء فى ترحال روحى فى الموضع الذى يقطن فيه ، والمكث وحيدا فى المجتمع والاهتمام بذكر الله بالقلب عندما يذكره باللسان ، وعندما يذكر الوحدة الإلهية فإن هذا يعنى قوله إننى أريد رضاك يا الله ، فهذا هو مقصدى وبغيتى ، وألا يستحضر شيئا فى قلبه سوى الله ، وعليه بالحمية والهمة ليكون صاحب قدم راسخة فى هذا المقام ، وتتلاشى نفسه فى كل لحظة روحية ، وألا يتشتت فكره ، وعليه الاحتفال بالذكر وصرف العناية إليه من أجل هذا ، ثم الاطلاع والوقوف على الذكر والفؤاد .

فهذه الأسس والعناصر موافقة للمولوية مطابقة لنواميسها ، وقد قيلت هذه العناصر وكتبت ووجدت جميعها في شعيرة اللف والدوران عند المولوية ، ومن المحتمل كذلك وجود تأثير للملامية الحمزية في تلك الحمية المتجاوزة للحد ، وسبب ذلك أن كثيرا من الملامية يرون أن البيرامية ما هي إلا طريقة نشأت من اتحاد كل من الخلوتية والنقشبندية (ثمرات الفؤاد ، ص ١٤٦ - ١٤٧ - الجوهرة ١٣٢) .

وها هو ذا (لالي زاده) يقول في رسالته المسماة « المبدأ والمعاد » عند الحديث عن شخصية شارح المثنوي « مراد بخاري » حيث يقول : وكان فوق كل هذا منحصرا في الذوات الشريفة منشغلا بصحبة ومسامرة ومنادمة الطريقة العلية الملامية البيرامية متوافقا مع هذه الطريقة الأخيرة ومع أطوار وسلوك خاجكان النقشبندية ومتوائما كذلك مع آداب كمال الاتباع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم » . ويرى الحمزية أن قطب الزمان الشيخ مراد كان منتسبا إلى شيخ الإسلام » ياشمجقجي زاده أيوب » (كتب مهري شاه سلطان ، رقم ٢٠٥ ، ٣) .

وثمة وجه آخر نلاحظه متمثلا في أن المولوية والملامية كلتيهما قد وجد أن هذه الأسس الثمانية مؤسسة على الذكر مبنية عليه ، وأن الذكر هو شيء مستحسن متفرد قائم بذاته ، وأن هذه الأقوال تأتي متطابقة تماما مع طرائقهم ومبادئهم ومشاربهم ونزعاتهم ، وعندما تكون مراقبة النفس والانتباه إلى الذات والانشغال بالعمل في موضعها مُحَصية خفقان الفؤاد مهيئة للسفر والترحال فإنها تكون حينئذ جميعا متوافقة متطابقة تماما مع النشوة الصوفية الملامية ، بيد أن ثمة فارقا جوهريا بين المفهوم والفكر النقشبندي وبين المفهوم والفكر المولوي الملامي .

فالقلندرية لم يتركوا حمية المولوية وغيرتهم عاطلة غير مستخدمة ، ومن ثم فإنهم نهضوا من فورهم لاستثمارها لحسابهم الخاص ، كما أنهم هموا كذلك زاعمين التبشير بنقشبندية مولانا وبظهور الشيخ بهاء الدين نقشبندي (ت ١٣٨٩ م) ، وهم يرون أنفسهم أكثر سموا وعلوا .

وكانت هناك استحواذ وقبض على زمام المولوية لتكون فى مواجهة الانكشارية الذين اعتمدوا على البكتاشية إبان المساعى المبذولة والإصلاحات المحسوسة فى عصر السطان أحمد الثالث ، وقد أهملت النقشبندية التى كانت تحظى بالرعاية والاهتمام من قبل طائفة شيوخ المتصوفة والتى كانت آنذاك فى معية المتعصبين ، ناهيك عما كانت تتمتع به من ذيوع وانتشار ، إنهم طائفة من النقشبندية من ذوى العلم والثقافة الذين ولوا وجوههم شطر الشيوخ المستنيرين .

كان الشيخ « مراد ملا » (ت ١٧٧٨م) قد اضطلع ببناء دار لقراءة المثنوى فى أيام الأربعاء وكان عالما ضليعا أدى خدمة جليلة للعلم والمعرفة فى عصره ، وأوقف من أجل ذلك مكتبته العامرة وكان هناك شيوخ نقشبندية مثل : الشيخ « مراد بخاى » شارح المثنوى ومعلمه فى التكية النقشبندية الكائنة بمنطقة « أيوب تشانجى » ، وكان هؤلاء الشيوخ سببا موثرا فى التلاحم الذى انعقدت أواصره بين المولوية والنقشبندية وإن هذا التلاحم والتآلف الظاهر بين المولوية والنقشبندية قد اطرد وازداد قدما وسرعة عن طريق التأثيرات السياسية .

وكان استئصال السلطان مراد لشأفة الانكشارية والبكتاشية معا سببا في استمساك الحكومة أكثر فأكثر بالنقشبندية وفى معيتها المولوية .

وإن ولايت نامه أى رسالة الولاية التى دبجها حاجى بكتاش لتجلى تلك الأصرة القوية التى انعقدت أسبابها بين كل من حاجى بكتاش وأحمد يسوى ، وهذا يعمم رأى البكتاشية القائل بأنها أصبحت مستمسكة بطريق « هاجكان » ، بيد أن التفسخ والانهيار أصابها بعد ذلك بسبب التأثيرات الشيعية الباطنية ، وكان هذا الاقتناع بسببا فى أن البكتاشية القديمة قد منحت لشيوخ النقشبندية ، وفى تلك الآونة حصل كثير من شيوخ البكتاشية على شهادة التخرج النقشبندية ، وانخرطت فى سلك البكتاشية كذلك ثلة من شيوخ النقشبندية الذين أرسل بهم إلى التكايا مما نجم عنه إنشاء شعبة علوية أبيقورية داخل الطريقة النقشبندية . وقد تمخض عن التآلف والتلاحم المولوى النقشبندى ظهور الشيخ « حسام الدين الأيوبى » وهو من مشاهير

قراء المثنوى من النقشبندية (ت ١٨٦٤ م) ، وكذلك شيخه « خواجه سليم » ، كما نشأ وترعرع كذلك طائفة من شيوخ تكية « مراد ملا » وهم : محمد مراد وفضل الله أفندى وخليفة خوجه حسام الدين وتلميذه الشيخ مصطفى وجيى ، وهم جميعا من قراء المثنوى . ومن هؤلاء خواجه حسام الدين الذى كان ذا آصرة قوية بالمولوية أكثر من النقشبندية ، وكان يلبس دائما قلنسوة مثنية ملفوفة بيضاء ، ويُلبس مريديه قلنسوة بغير عمامة[٣٧] .

حظى الشيخ النقشبندى القونيوى « بهجت » على شهرة فى عصره ، واضطلع بتشييد مسجد وتكية باسمه فى كل من اسكودار والسليمية ، ثم خلفه من بعده حفيده وخليفته الشيخ محمد سعيد (ت ١٨٩٦ م) ، وكان كلاهما يعلمان المثنوى ويُسلكان السالكين فى طريق النشوة الصوفية المولوية ، كما كانا يلبسان القلنسوة الملفوفة فى أغلب الأحيان .

وإذا كنا قد فهمنا من خلال النقش المدون فوق شاهد قبر بهجت أفندى المدفون فى التكية بأنه مولوى نقشبندى ، فإننا قد علمنا كذلك بأن بهجت أفندى هذا من الشليبين وذلك من خلال شاهد قبر خليفته وحفيده محمد سعيد .

ويتوجب علينا أن نقول فى هذا السياق إن التآلف والتلاحم الذى حدث بين المولوية والنقشبندية قد تم من طرف واحد ، وهذا ما ندركه جليا من خلال ما اضطلعنا بشرحه وتفصيله حتى الآن ، فلقد وجد المولوية فى طريقهم أسس وقواعد السلوك التى تخص ا لنقشبندية ، وفى مقابل هذا فإن النقشبندية كانوا مستغرقين استغراقا تاما فى المثنوى منتسبين إلى المولوية ، ثم ما لبثوا أن اصطبغوا بالصبغة المولوية الخالصة ، ومن ثم كانت المولوية بدورها تمثل هؤلاء النقشبندية بالعلم والثقافة خير تمثيل ، ولربما ألفت النقشبندية الزهد واعتادته لدى بعض المولوية ، بيد أنه لا يوجد مولوى واحد نقشبندى فى مقابل هذه الكثرة الطاغية من النقشبندية المولوية .

المولوية والجُلشنية :

اضطلع « ديار بكر لى إبراهيم جلشنى » (ت ١٥٣٣ م) بتأسيس الطريقة الجلشنية ، وكان إبراهيم هذا خليفة للشيخ « عمر روشنى » (ت ٨٩٢ هـ = ١٤٨٦ – ١٨٤٧ م) الذى أسس فرع الطريقة الروشنية المنبثقة من الطريقة الخلوتية .

والتى قبلت الأسماء الحسنى واتخذتها أساسا لها فى السلوك الصوفى ، وتوجد علاقة حميمية وأصرة وتقى بين المولوية والجلشنية ، يقول روشنى فى شعر له :

الحسنات بعين السيئة بيلوب
ويركز خوش محمده صلوات
بزدجى بر على حدة قويمز
بى صلاة وزكاة بى صوفز
شميدى الن بياله بى قومز
كجروب ايجملك ايله أوقاتى
مدمن خمرا ولوب مدام ايجرز
ايدوبن خوش قضاما فات
ترك ايدوب شربت شكرى
ايجه كز عشق ايله مباماتى
بزز أول عاشق خراباتى
اورته دن كوتورن اضافاتى

(الديوان ٩٤)

والمعنى :

الحسنة ليست كالسيئة
فحسنات الأبرار سيئات المقربين

فاعلم أن الصلاة والصوم منه من عند الله
وهب أحسن الصلوات لمحمد صلى اله عليه وسلم

فنحن قوم على حدة متفردون
بغير صلاة ولا زكاة ولا صوم

والآن نكف يدنا عن كأس الخمر
ولكننا نقضي الأوقات بشرب الخمر

فنحن للخمر مدمنون وللمدام شاربون
ومن الحسن قضاء ما فات

ودعوا شرب شربة الشكر
واشربوها مباهاة بعشق الله

فنحن عشاق لحانة الخمر
فإنها تمحو كل ما يتعلق بالدنيا من مشاغل

ورغم أن هذه الأبيات تميط اللثام عن مشرب روشنى ونزعته ، وتبين أنه سالك عن طريق الأسماء الحسنى ، فإنه توجد نفس هذه النشوة الصوفية عند خليفته وصفيه إبراهيم جلشنى .

كانت أفعال وعقائد الملتفين حول « جلشنى » حرة طليقة مناهضة للشريعة ، ومن ، إنها جذبت انتباه المدرسة الدينية ، وكان يعيش إبان حياة جلشنى شخص يسمى

الشيخ « محمد ين جويزاده » (ت ٩٩٥ هـ = ١٥٨٧ م) . وتولى منصب القضاء فى مصر ، واشتهر بعدالة الشديد للصوفية وقد علم بما آلت إليه حال جلشني وأنه قد بات درويشا كافرا لا دين له ، ولكنه لم يجد نقطة وحدة عنده تناهض الشريعة يستطيع من خلالها إثبات فتوى تدينه وتقضى بإعدامه ، ومن ثم فإنه عزر بشدة أولئك الذين اتساقوا وراء عقيدته ، ثم حكم بزندقة إبراهيم جلشنى . وكان من المتعذر كذلك قبول توبة هؤلاء التابعين لعقيدته عقب القبض عليهم ، ثم أفتى بأنه لا سبيل إلى القضاء على هؤلاء الذين أصبحوا فى حكم الموتى ، ولا سبيل كذلك إلى الزواج منهم أو إلى قبول منصب الإمامة منهم . وبناء على هذه الفتاوى فقد تمت مشاورة شيخ الإسلام أبى السعود (ت ١٥٤٧ م) والذى كان أحد المحبين للشيخ جلشنى الذى كان معتنقا لعقائد أهل السنة . ولم يكتف « جويزاده » بالافتراء على جلشنى فحسب ، بل افترى كذلك على كل من ابن القارض (ت ٨٣٢ هـ = ١٥٢٦ م) وابن عربى (ت ١٢٤٠ م) حتى بلغ افتراؤه مولانا جلال الدين الرومى نفسه .

ورشح « جويزاده » الفتاوى التى قدمها لأبى السعود بنفس التعصب وسأله الرأى والمشورة ، فأجاب أبو السعود إجابة مراوغة مبهمة قائلا : لا يجوز التعرض للشيخ إبراهيم جلشنى لأنه شخص اتبع سبيل الشريعة واقتدى بأهل السنة . بيد أن واحدا من ألد أعداء جلشنى سأل أبا السعود قائلا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى بضعة أشخاص وأرشدهم إلى سواء السبيل ، فماذا عسى أن يصنع بشخص يقول إنه هدى الدنيا بأسرها ؟ فقال أبو السعود بجلاء : إن هذا كفر صراح وأفتى بأن قتله حلال[٣٨] .

لا جرم أن كاتب التذكرة « لطيفى »[٣٩] يجلى هذه الفكرة التى كانت سائدة فى عصره بألفاظ يقول فيها ما فحواه : « إن هذه الفرقة تردت فى الهوة السحيقة لوادى الإلحاد والإباحات ، كما أنها لم تتعايش مع المريد وبات هنالك ضروب متباينة من إيمان واعتقاد المعتقدين والمؤمنين بهذا الشيخ وهذا يعنى أنه قد حدث نوع من الخلل فى أساس بناء معتقداتهم وهذا ولا ريب معلوم لأهله يفهمه كل مدرك عارف وكل مطلع أريب ، وكان هذا نادرا حقا إذ لم يكن هنالك رد على الصالح والطالح والعابد والعاصى فى تكية الحق سبحانه وتعالى .

وقد نجم عن هذا أن كثر في التكية الملحدون والإباحيون من كل أنواع الطوائف ، وكانت هناك إباحيات في مشرب هذا الشيخ وانطلاق غير مقيد في مذهبه ، ومن ثم فإنه أذن بكل شيء خارج عن دائرة الشريعة وطريق الطريقة ورضى به كل الرضا » .

يقول عاشق جلبى إبان حديثه عن شخصية « نى جواردار لى اصولى » (ت ١٥٣٨ = ١٥٣٩ م) « لقد زرع المنتسبون إلى أتباع الشيخ إبراهيم جلشنى بذرة الإلحاد أول الأمر في ديار الروم ، ثم نمت هذه البذرة وترعرعت من ترهات النسيميات وكفرهم .

وانغرست قبل كل شيء شجرة جبلة الغواية والضلال ، ثم بدءوا في زراعة تلك البذرة التى سوف لا يكتفون بها ، ولسوف يكون هنالك كثير من عاثرى الجد التعساء ممن لا قبل لهم بتلقيح أفنان هذه الشجرة . وإن الله سبحانه وتعالى سيفسد هذه البذور ويجفف جذورها وأصولها » .

لقد كان ينى جلبى مولوى يوسف سينه جاك أول الأمر جلشنيا ، ثم اتبع بعد ذلك الطريقة السنية بحذافيرها وذلك بسبب الكثرة المنتسبة إليها ، وهو يبين لنا رأيه فيما يتصل بالشخصية الأولى للطريقة الجلشنية والمدرسة الدينية المتعلقة بها . وتفيد هذه الروايات أن إبراهيم جلشنى قد حبس في مصر مدة من الزمان بسبب أفكاره المتطرفة المغالية ، وإذا صحت هذه الرواية فإنه أنقذ من حبسه وخُلِّىَ سبيله على يد « ديوانه محمد جلبى » الذى كان موليا وجهه شطر مصر فى ذلك الإبان ، ثم جيء به إلى إستانبول سنة ١٥٢٣ م حيث لبث فيها ستة أشهر أُذن له بعدها بالعودة إلى مصر ثانية . لقد استمسكت الجلشنية بدءا من حقبة تأسيسها بأهداب الطريقة التى تحقق لها التأثير فى المولوية ومن المحتمل أن يكون هذا التأثير عن طريق « ديوانه محمد جلبى » ومن ثم فقد نجم عن ذلك زعم يقول إن مولانا قد بشر بظهور جلشنى قبيل قرنين من الزمان (٤٠) .

أما الغزلية التي استلهمها مولانا ويقول مطلعها « رأيت الوجه الجميل لجلشني وعين ونور روشني » فإن تأويل معناها يكون على هذا النحو « إن المنتسب إلى حديقة هذه الوردة هو وجه جميل يشبه الورود ، أما رأيت عين الضياء فتعني رأيت نوره»[٤١] .

وعليه فلا علاقة لهذا البيت بكل من جلشني وروشني . وإن ما وجده « تحسين يازجي » في هذا المعنى لهو شيء جميل جدا ، وإنه لشديد الصدق في قوله ، فهو يقول : « يمكن القول أن جلشني ليس هو المراد هاهنا على الإطلاق .

وإن هذا البيت قد قصد به شخص آخر ، أو يكون المقصود به الصوفي « صاريخانلي » الذي جاء عقب ذلك (لطيفي ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، سالم ، ص ١١٩ - ١٢٢) ولكن ماذا نصنع في كلمة « روشني » الواردة في المصراع الثاني ، إن هذا شيء يسير فإما أن يؤول وإما أن يكون ضربا من التحريف ، إن الذين انساقوا وراء هذا الزعم قد أولوا البيت الآتي الذي ورد في نفس الغزلية والذي يقول « كل شيء يتغير ويتبدل في العشق ، حتى إنهم يجعلون التركي أرمنيا » ثم جعلوا المعنى على هذا النحو « كل شيء يتغير ويتبدل وهم يجعلون أهل مصر من الأرمن » ، وهذا يعني أن المقصود بديار أرمنيا يعي أن « ديار بكرلي إبراهيم » قد ذهب إلى مصر واتخذ منها موطنا ، بيد أنهم غيروا رأيه الذي صرح به جهارة ، ووافقوا على أن هذا النظام الخاطيء جائز بمرض التصوف»[٤٢] .

وإذا كان الجلشنيون قد نقلوا أبياتا أخرى لمولانا غير هذا البيت تشير إلى ظهور جلشني فإنه لا وجود لهذه الأبيات قط في أي مخطوطة من المخطوطات الصحيحة القديمة [٤٣] .

إن الجلشنية معتمدة منذ تأسيسها على نفوذ وتأثير المولوية ، أو بمعنى أكثر صحة وصوابا ، فإن الجلشنية قد اقتبست من المولوية بعض المناصب فيما يخص تنظيمها وتشكيلها مثل : رئيس الطهاة وشيخ الطريقة وغيرها ، كما أخذوا من المولوية كذلك ما يعرف بخدمة الطقوس الدينية مدة ثلاث سنين ، وكذلك رهبنة الدراويش للقيام بخدمة الفقراء والمساكين مدة سبع سنين أو اثنتي عشرة سنة أو أربعين عاما .

أما القادم إلى التكية ويريد زيارة الدرويش فى الحجرة فإنه ينادى بصوته على باب الحجرة قائلا (هو) فإذا جاءه صوت من الداخل يقول (هو) فإنه يقول « دستور » فإذا أجابه الآخر (دستور) فإنه يؤذن له حينئذ بالدخول ، وهى عادة عند الجلشنية مأخوذة بعينها من المولوية ، لا جرم أن قضاء فترة المعاناة والمكابدة للدرويش الصوفى واضطلاعه بمختلف ضروب الخدمة هى قاعدة ونظام مقتبس من المولوية .

ولكن هناك بعض الاصطلاحات والتراكيب لم تقتبسها الجلشنية وكان يبتغى من ورائها حماية وصيانة استقلال الطريقة ، ومنها على سبيل المثال عند المولوية : « كن عاشقا » و « هو صديق » و « أى والله » و « درويش الدراويش » ، أو مثل تعبيرات البكتاشية كقولهم « خونكار ، باليم » ، أو مثل طلب الصفح والمغفرة والاعتراف بوجوه الإهمال والتقصير الذى يحدث في اجتماع الإخوة ، أو مثل قولهم فى التكبير والدعاء (هو ، لكل المتصوفة الحاضرين والغائبين) .

فكل هذه الشعائر طقوس تخص البكتاشية ، وثمة اصطلاحات أخرى ذات قاسم مشترك بين المولوية والبكتاشية مثل دعاء المرشد المنير ، وهى طقوس وشعائر لم تنتقل إلى الجلشنية[٤٤] .

كان السطح الخارجى لقلنسوة الجلشنيين وردى اللون غير ذى قطع ، وهى تشبه تمام الشبه قلنسوة المولوية من حيث الطول والارتفاع . والتيجان والزر الموجودين فى أعلاها[٤٥] ، وبناء عليه فإن هذه القلنسوة هى صنو لمثيلتها عند المولوية ، وهذا يعنى أنها تلف ضيقة من أعلاها وأسفلها فى متسع عريض ، وتسمى هذه القلنسوة « شكر أويز » .

ومع هذا فإننا وجدنا هذا الشكل بعينه تقريبا فى جبانة « خيره بولو » حيث توجد التيجان الجلشنية ذوات قطع أربع أو ست أو ثمان أو اثنتى عشرة . أما قلانسهم فإنها تشبه الطبق النحاسى من حيث كونها ذات أربع قطع ومما لا شك فيه أن هذه التيجان ذات الأربع أو الاثنتى عشرة قطعة مقتبسة من تاج إبراهيم بن أدهم

والحسين والتي لبسها البكتاشية . كما وجدنا في نفس الجبانة تاجا جلشنيا ذا قطعتين اثنتين ، و أعلاه حاد مستدق الطرف ولا سبيل إلى الشك أن هذا نجم عن تقليد كل من « ألف تاج البكتاشية .

وقلنسوة المولوية ذات السيف والاستوا[٤٦] . وجدير بالذكر أن للطريقة الجلنشية أربع تكايا في دياربكر واثنتين أخريين في كل من آدنة وإستانبول وواحدة في كل من الاسكندرية ومكة وحلب وأورفة وانطاكية ورودس . أما منطقة « خبره بولدوه » فيوجد بها أربع عشرة تكية ، ويختلط المولوي بالبكتاشي مع المولوية في « خبر بولده » وبعد وفاة أوغلان شيخ اسماعيل معشوقي في سنة ١٥٤٦ م ، كان صاريان أحمد مشهورا بأنه القطب لدى كثير من البيرامية والملامية على حد سواء ، حتى أنه عرف كذلك بأنه الشيخ الثاني من قبل جلشنية « خبره بولو » .

وقد شيدت تكية جلشنية بجانب مقبرته وثبت تاج جلشني فوق رأس صندوق ، أما شاهد قبر « ناي زن جلشني » درويش عمر » (ت ١١٦٩ هـ = ١٧٨١ - ١٧٨٢ م) والذي عثرنا عليه في نفس المقبرة فإنه يبين أن الذي شيده هم أتباع « ناي زن » من الجلشنيين .

وثمة رواية من نسل أحمد صاريان قبل ظهور ابن ابراهيم جلشن أفندي آخر الشيوخ بخمسين عاما ، وهذا يعني أننا عندما ذهبنا إلى منطقة (خبره بولو) للتحقق من هذا التاريخ وجدنا في الدورية المحفوظة لدى صدر الدين الموجودة في حجرة السعادة الحكومية أن ثمة فصلا عن شعراء المولوية مثل : يني شهرلي نظيف دده . ناهيك عن وجود شعراء آخرين مثل : شير وفايغوسر آبدال وبير سلطان وخليل وحدتي بابا وترابي ، فهؤلاء جميعا كانوا بمثابة مترجمين بكتاشيين للترنيمات الإلهية لشعراء البكتاشية ، كما وجد في تلك الآونة كل من : سيد برهان الدين وسلطان العلماء ومولانا وشمس تيريزي وجلبي حسام الدين وصلاح الدين زرقوب والشيخ كريم الدين ، ثم جاء بعد هؤلاء كل من « الشيخ محيي الدين بن عربي والشيخ صدر الدين قونيوى والسلطان بن السلطان حضرت سلطان ديواني محمد سماعي أفندي ،

وحضرة شيخ سيد يحى شيروانى ، وحضرة شيخ دده عمرروشنى وحضرة شيخ إبراهيم جلشنى وحضرة شيخ أحمد صاريان ولى قدس الله أسرارهم ولأرواحهم جميعا الدعاء ، وهذا الدعاء هو بعينه دعاء مقام المشيخة عند المولوية .

ورغم التآلف والتلاحم الذى تم بهذا القدر مع الطريقة المولوية وأتباعها والذى اعتمد فى المقام الأول على طريق الأسماء الحسنى ، فإن من المحتمل أن تكون الجلشنية قد اختلطت وامتزجت أول الأمر بالبكتاشية عن طريق تأثير « حسن سزائى » (ت ١١٥٢ هـ = ١٧٣٩ م) والذى انتسب أول الأمر إلى الطريقة البكتاشية ، ثم أصبحت الجلشنية فيما بعد طريقة سنية خالصة .

وقبل أن نختم هذا البحث يتوجب علينا القول بأن إبراهيم جلشنى قد تأثر فى ديوانه التركى كثيرا بالشاعرين يونس أمره ونسيمى كليهما ، أما فى ديوانه الفارسى فإنه ظل رازحا تحت تأثير مولانا ولا سيما بالمعنوى الذى دبجه مولانا وبلغت أبياته أربعين ألف بيت ، واضطلع جلشنى بكتابه نظير له ، فأشعار جلشنى الفارسية كانت ذات نسق مضطرب ، مشوشه يشوبها الخلل والفساد إلى حد كبير .

الهوامش

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ الإسراء : آية ٢٧ .

(٢) لا وجود لتدوين الزمان والمكان في ولايت نامه ، وهو واحد من سلاطين السلاجقة اسمه علاء الدين وكثيراً ما تُنطق على الدين محرفة عن علاء الدين .

(٣) هو الجيد الأبيض ويعرف في التركية باسم كيرجه Kirce .

(٤) يوجد في ولايت نامه استحالة الماء إلى دم ، كما توجد كذلك منقبة ورد ذكرها بين ملا سعد الدين وسعيد أمره ، وقد تكرر اللقاء بين حضرت خونكار حاجي بكتاش وملا سعد الدين .

(٥) ورد ذكره عند أفلاكي باسم « حاجيم سلطان » وورد في كتاب جامع الدول وتاريخ آل سلجوق لبازيجي زاده ، وكذلك كتاب صالتوق نامه بأنه هو الشيخ صاري صالتوق وتوفي سنة ١٢٦٨ - ١٢٦٩ م ٣٦٧ هـ كما هو معلوم من نقش مكتوب على صندوق منتصب بمتحف الأوقاف الإسلامية الموجود الآن في إستانبول ، ومكتوب في أعلى الصندوق وأسفله بيت شعري لمولانا يقول معناه « لا جرم أن العاشقين الموتى عارفون مطلعون ذوو خُبر وعلم ، يذهبون ويذوبون كالسكر في حضرة المحبوب » . وقد نقشت ستة أبيات من هذه الغزلية ، وهذا يبين أن رواية أفلاكي صحيحة صائبة ، وثمة علاقة بين محمود حيراني ومولانا .

(٦) وهناك منقبة أخرى وقعت بين كل من محمود حيراني وحاجي بكتاش ، كما ورد في « واقعات خدابي » إن منقبة وقعت بين حاجي بكتاش وأحمد البدوي ، ولمن يطلب الاطلاع على معلومات أوفر في حق محمود حيراني : انظر : عبد الباقي جلبنارلي : حياة يونس أمره : مكتبة إقبال - إستانبول ١٩٣٦ م فلسوف يجد في الفهرس أسماء الصحائف التي ورد فيها ذكر محمود حيراني .

(٧) عصاة تسمى جليك ، وهي طويلة غليظة طولها متر تقريبا يضرب بها العصاة المتمردون في حضور جمع غفير من النظارة والمتفرجين .

(٨) الدبس : هو عسل التمر وعصارته (المترجم) .

(٩) هو اسم أطلق على سلطان ولد بن مولانا جلال الدين الرومي وسميه الوليد بن عبد الملك أحد أبناء بني أمية .

(١٠) أصاب الوهن هذا الرجل وخارت قواه تماما في « ايندبا » بمنطقة أسكودار ، وهو مدفون قبالة مقبرة هاشم بابا وكانت وفاته سنة ١٧٥٦ - ١٧٥٧ م (١١٧٠ هـ) .

أما شاهد قبره فهو الشاهد الثاني في إستانبول الذي يحمل تاج الألف الخراساني ، ومن ثم فإنه ذو أهمية قصوى من هذه الناحية ، أما الشاهد الثاني فيوجد في الأحمدية باسكودار في الجبانة الموجودة

فى مواجهة « حمام أغا » ، ولما كان وجه الفلك مرسوما على قبره فهذا علامة دالة على فرقة الانكشارية الخامسة والعشرين ، والناس يذكرونه باسم « شرف بابا » ، وتاريخ الوفاة غير مدون على شاهد القبر وقامت الجمعية التاريخية بكتابة النقوش الموجودة على شاهد القبر ، فماذا فعل هؤلاء ، لست أدرى ، أما ما أعرفه فإن هذه النقوش قد انمحت مع مرور الأيام ، وإن أصدق وأقوم الوثائق مطمورة فى معية القبور التى أصابها اليباب والخراب .

(١١) قرأ هاشم بابا كلمة مغرب Mugrib الواردة فى كتاب ابن عربى المسمى « عنقاء المغرب » على هذا النحو مغرب Magrib ، وقد صويت هذه الكتابة إبان عصر السلطان مصطفى الثالث وسميت باسم عنقاء المشرق .

(١٢) زُيف طى التاج الطويل من أجل إبراز القلنسوة الانكشارية ، ولقد أرسل بعد ذلك بضعة جنود إلى حاجى بكتاشى إبان عصر أورخان ، ووضع حاجى بكتاشى يده على رأس أحدهم وهو يدعو له ، ثم علقها على ظهر الجندى ، وبهذه المناسبة صنعت عمامة خلف قلنسوة الانكشارية ، ولهذا السبب فقد لفق اسم الانكشارية خطأ من كلمة ين ايجرى Yeniceri وتعنى الكم الداخلى (مستقيم زاده ، الرسالة الناحية ، نسخة مخطوطة فى حوزتنا) .

(١٣) سر جشمه فيض أزل مولوى روم \ كزوى عرب وهند وعجم بهرر آمد
مهدى آل كوكبه سر الله الأعظم \ كه انديششن استا قضا وقدر آمد

(١٤) المنة لله الكه ديلم كوياشود يك قطرة ناجيز سببك درياشود (جامعة إستانبول – المخطوطات الفارسية

ظن روكه سناكو شود مولانارا انديشه تجلى كيده مولا شود (B16 , v194) (٣٠B) .

(١٥) دل آينية صورت أسرار بما ليست \ هم كهنه كلاه حاجى بكتاشن ولى است
كه آينيه كه آينيه دان ميكردد \ سرماية مشامت حسن ازل است

وإن مؤرخى الآداب الذين يكتبون دون قراءة لم يكن لهم أدنى صلة (A ٢١) بهذا الاتجاه الذى عالجه « تفعى » ، وهو يقول حسبما ورد فى إحدى رباعياته « إن الفؤاد مستغرق فى الفيض ومظهر للحقيقة من كل شعرة له عن طريق التجليات البينة ، إنه السلطان ذو المشرب العالى الذى يهب نبع الفيوضات ، إنه بحر لدنى ، إنه عالى العارف بالله ، ونفعى كما يبدو منتسب إلى واحد يسمى عالى أولو عارف عالى .

(١٦) يعتقد عزمى أفندى فى هذا الكتاب الصوفى أن أحمد يسوى كان يعتقد فى بكتاشى ولى وأعراف البكتاشية ، ويقول إن من المتعذر أن يكون أحمد يسوى المتوفى فى سنة ٧٢٣ هـ قد التقى بمولانا ، ومع هذا فإن هذا التاريخ المدون لا يتطابق مع عرف وتقليد البكتاشية وذلك لأن ولايتنامه تقول إن وفاته كانت فى عام ٧٣٨ هـ . حتى أن كتب البكتاشية بعد ذلك لم تدون تاريخ وفاته ، وقد نشأت هذه الرواية إما بسبب المعلومات الخاطئة التى دونت إحدى المناقب المذكورة التى تقول إن مولانا كان معاصراً لحاجى بكتاشى وأما بسبب غيرته وحميته لرفع شأن الطريقة لكونه بكتاشيا . وعلى كل حال فإن هذه المنقبة موجودة كذلك عند أفلاكى على الخصوص . إن أفلاكى لم يجشم نفسه العنت واللغوب حتى إنه لم يفتح الموضوع من أساسه ولم يكمل القراءة ، ولم يكن فى مقدوره أى يندهش لهذا التلميذ المولوى شيخ أفندى ، وعلى كل حال فإنه لم ينشغل بعد بالكتب ولم يكن لديه وقت كاف لقراءتها .

(١٧) من يقوم بطلاء المعادن بالذهب (المترجم) .

(١٨) جمع خلة : وهى عيدان تستخدم لتنظيف الأسنان عقب الطعام (المترجم) .

(١٩) للتزود بمعلومات مسهبة فيما يتصل بأهل الفتوة وتنظيمهم ، انظر : مقالة لنا بعنوان « تنظيم الفتوة ومصادرها فى الأقاليم التركية والإسلامية » مجلة كلية الاقتصاد – أكتوبر ١٩٤٩ م – يوليو ١٩٥٠ م . الأعداد من ١ – ٤ .

(٢٠) انظر : عبد الباقى جلبنارلى : الملامية والملاميون – جامعة إستانبول ، إحدى نشريات معهد التركيات – مطبعة الدولة سنة ١٩١٣ م . وفى رأينا هذا الأثر شديد القصور والنقصان ، ومن ثم فلسوف نضطلع فى القريب بطبعة ثانية مع إضافة النصوص معتمدين فى ذلك على الوثائق الجديدة الأساسية التي عثرنا عليها .

(٢١) انظر نفس الكتاب : ص ١٧٥ و ١٧٨ .

(٢٢) نشر هذا النقش فى نفس الكتاب : ص ١٨٧ ، ونقدم صورة شمسية له فى هذا الكتاب .

(٢٣) يعلم كل إنسان أن شواهد القبور كانت إبان عصر آل عثمان إما اسطوانية أو مستطيلة أو مستوية منسقة وهى على العموم كانت بناء مشابها لتمثال الإنسان ، والرأس تكون بغطائها ، ثم يأتى بعد ذلك جزء من الرقبة والوجه ليجمع الرأس مع الجسم ، ثم يأتى الجسم موجودا مع الأكتاف ويثبت فى الجانب الحجرى للمقبرة بقسم يشبه القدم فى هذا الجسم ، أما فى شواهد القبور الملامية الحمزية فلا يوجد جزء لغطاء الرأس والرقبة ، كما تصنع الأكتاف والأقدام على شاكلة متحطمة منكسرة ، وهم يطلقون على هذه الشواهد المتباينة اصطلاح « دون يد ودون رجلٍ » ويعرف الحمزيون من قبل الأجانب هذه الشواهد المتباينة بعد موتهم . وثمة خصوصية معلومة ومتميزة على نقوش الحمزيين . هذا وتوجد معلومات تعتمد على الوثائق المفصلة فى كتابنا الذى سيصدر بشأن هؤلاء جميعا .

(٢٤) حساب الجُمَّل : هو الحروف المقطعة على أبجد (المترجم) .

(٢٥) انظر : الملامية والملاميون ص ٧٣ ، ولهذا القبر صورة شمسية (رقم ٩) فى نهاية الكتاب ، وعلمنا بعد ذلك أنه لم يكن « حمزة بالى » بل هو « قرة بالى مصطفى جاويش » القريب من طاش مكتب الواقعة بين تكية بازار وشهر أمين الكائنة على طريق الترام ، وهو المشيد للمسجد المسمى جامع الكنيسة ، ثم قرىء النقش المكتوب على أنه « حمزة بالى » وهو فى الحقيقة « قره بالى » (انظر : أحمد ضيا : إستانبول والبوسفور – نظارة المعارف إحدى نشريات قسم التأليف والترجمة – إستانبول المطبعة العامرة ١٣٦٦ هـ – صـ ١ – ص : ١٠٥ – ١٠٧) . وقد كتب مستقيم زاده فى كتابه « شطار الملامية » أن حمزة بالى دفن فى الجهة اليمنى من الطريق القادم من « سيلورى قابى » والمؤدى إلى تكية سيد ناظم ، ومدون فى نفس الكتاب أن الشاعر « طفلى » (ت ١٦٥٩ = ١٦٦٠ م) مدفون كذلك على مقربة من حمزة بالى ، ولقد وجدت فى هذا الطريق شاهد قبر يخص كلا من حمزة بالى أو الشاعر طفلى ، ثم جعلت أبحث وأنقب خطوة خطوة فى هذا الطريق ، وبينما أنا كذلك رأيت شاهد قبر اسطوانى كبير للشاعر طفلى الذى يرقد فى هذا المكان ، وبناء عليه فإنه يكون شديد القرب منه ويطل على الشارع ، ولا توجد كتابة على حجر القاعدة أو حجر الأساس على الإطلاق ، وعليه فإننى حكمت من فورى بأن هذا القبر يخص حمزة بالى ، ثم ذهبت إلى التكية وسألت عن امرأة آخر شيخ ، وسرعان ما تبدد شكى عندما قالت إنه قنديل يذهب من التكية كل جمعة وليالى أيام الآحاد ، ولم أترك مقاما ألجأ إليه بغية إنقاذ شاهد قبر الشاعر طفلى من أن يدفن فى باطن الأرض ، ولم يكن هناك من يهتم بذلك ، وعندما هم أرباب التكايا بإزالة قبر « حاجى قابانى » قطب الحمزية

المواجه للمجسد بذل المشتغلون بالإنشاءات جهدهم للحيلولة دون ذ لك ، وذهبت من فورى إلى إدارة المتحف وصادفت هناك مستشار المعارف إحسان بك وشرحت له غصتي وأحزاني ، بيد أنه تكرم وشكرني لعلاقتي الوثيقة بهذا الموضوع ، ثم جذبني الموظف المكلف فوجدت القبر قد سحب قليلا إلى أسفل وإلى الوراء قليلا ، والآن يرقد حجر أساس المقبرة والجانب الحجرى لها على الأرض ، وهو محطم منهدم من منتصفه ، كما ضاع كذلك شاهد القبر الموجود فى واجهة القبر ، بيد أنى شاهد القبر الموجود فوق الرأس لم يزل منتصبا ، فماذا عساى أن أقول ؟ فالكلام كثير والمقدرة مفتقدة ! وفى حوزتى ثلاث صور شمسية للقبور الثلاثة ، هكذا يكون القدر والمصير المحتوم .

(٢٦) طبع هذا الكتاب فى مطبعة التاريخ التركى بأنقرة سنة ١٩٧٣ م وذلك بعد نفاد طبعته الأولى . وقد اضطلعا بتقديم معلومات مفصلة تتصل بالكتب التى تخص العقيدة وأربابها وذلك فى كتابنا المسمى (كتالوج النصوص الحروفية) والذى يعد بمثابة العدد السادس فى سلسلة رقم ٢ للجمعية التاريخية ، انظر هذا الكتاب ولا سيما المقدمة التى تتضمن ثلاثا وثلاثين صحيفة .

(٢٧) آية رقم ٥ ، سورة طه .

(٢٨) درويش مصطفى يتيم (ترجمة جاويدان) النسخة التى بين أيدينا ، وهى ذات ثلاث وعشرين ورقة من أولها ، وأوراقها ١٢٥ – ١٢٦ من الوسط ، وذات ثلاث ورقات من آخرها ، وهى نسخة مضافة مكتوبة بخط جديد ، وفيها تصويبات فى الأصل ، ولما كانت هذه النسخة تحتوى على ملاحق ظاهرة فى الحواشى فإننا نعتقد أنها نسخت بخط المؤلف ، أما نسخة جاويدان المكتوبة بنفس الخط بعد عام من الترجمة أى فى سنة ١٠٤٩ هـ وهى مسجلة بمكتبة جامعة إستانبول – المخطوطات الفارسية رقم ٨٦٩ (المخطوطة التى بين أيدينا ، باب ١١ ، ١٠ ، ٧١ – ١٠٧ – ١٥ ، ١٠٥ – ٧٣ – ١٠٩ - ١١٣) .

(٢٩) أى مقلد قال مردان كوش كن ١ حلقة ازراستى دركوش كن

استواى معنوى صدق وصفا است ١ ترك عجب وبخل وبطلان وريا است

انقيادا مرو ازنهى اجتناب ١ راه حق ابن است والباقى حجاب

(متحف قونية : تصوف K ، دورية ٩٨٩ / ١٤٩ ، ص ٤/ ٧٩) ولقد رأيت أن هذه الكتب لا تخص المولوية وأنها نقلت إلى مكتبة السليمية ، ولا أدرى هل حافظت هذه الكتب الأثيرة إلى النفس على أرقامها الجديدة ؟ أم يلزم الكد والتعب والاستقصاء مرة ثانية بدقة لبضعة أيام معدودات ؟ وماذا يعنى أن هذه الكتب لا علاقة لها بالمولوية والمتحف ومن ذا الذى صرح بهذا ؟ وثمة رسالة فى نفس المكتبة دبجها سيد اسحق وعنوانها (أشراط الساعة) أى علامات يوم القيامة ، وهى مدونة فى دورية تحت رقم ٩٦/٤ . وندرك من خلال النقض الموجود فى الدورية الموجودة بالمكتبة والمدون تحت رقم ٩٨٣/ ١٤٣ ، ص ٨٢/٤ ، أن اسم هذه الرسالة المنظومة بالفارسية هو (قيامت نامه) أى كتاب يوم القيامة ، وورد كذلك فى الدورية المدونة برقم ١٠٤٣ بفهرس المخطوطات الفارسية بالمكتبة القومية بإستانبول كلام فى حق سيد اسحق يقول « كرم الله وجهه وطيب ثراه » ويذكر هذا الرجل على أنه من خلفاء فضل الله ، وقد سبق ذكر اسمه فى نفس الدورية على أنه من بعض خلفاء فضل الله ، ونعت كذلك بأنه « أمير سيد اسحق عليه السلام » (٥١ – ٥٢) .

(٣٠) نحن على اقتناع تام بوجود استوا رقيقة منمنمة قديمة تخص مولانا ، وتبين هذه المنمنمات أنها ترجع إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى .

(٣١) المسدس : هو شكل من النظم فى أدب الديوان يتكون كل بند فيه من ستة مصاريع (المترجم) .

(٣٢) « ألف جيزندارد » تعني بالتركية « الف ده برشي يوق » أي الألف لا شيء عليها ، وعندما كان الأطفال يحفظون حروف الهجاء في مدرسة الصبيان فإنهم كانوا يحفظونها بصوت ونغم ، ويرددونها على هذا النحو : « الألف لا شيء عليها ، والياء نقطة من تحتها ، والتاء تشبهها والثاء تشبهها ، والجيم نقطة في بطنها والخاء مثلها ، أما قولهم الألف لا شيء عليها فقد اقتبسها مولانا وشبه الصوفي الذي يبلغ الفناء بهذه الألف .

(٣٣) يقول علي رضي الله عنه : « يوجد في القرآن ما هو موجود في الكتب الأربعة ، وسر القرآن هو الفاتحة ، والبسملة سر الفاتحة ، أما الموجود في البسملة فهو النقطة الموجودة تحت الباء والباءات الأخرى وهذه النقطة هي أنا ، والعلوية والبكتاشية يروون هذ الروايات دون سند يؤيدها » ، وثمة رواية موجودة عند الحروفية تقول « أنا النقطة الموجودة تحت باء البسملة ، ورأينا هذا القول منسوبا إلى الشبلي (ت ٩٤٥ هـ) .

(٣٤) لقد بحثت قضايا مثل : البسملة وشاهد القبر والخرقة ومقام المشيخة والاستوا وذلك في الكتب التي تصدت للبحث في آداب البكتاشية وأصولها .

(٣٥) يعتقد أسرار دده أن الشاعر الحروفي « تيره لي عرشي » (عاش إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي) كان مولويا ، وأن كل بيت من ديوانه كله يظهر بجلاء ألوهية فضل الله وعقائد الحروفية ، ويخطيء كذلك في الحديث عن الشاعر « روحي » وقد وردت أبيات في أشعار الشاعر عرشي يقول في واحد منها :

كلاه حاجي بكتاش ولي بي \ ديه بن ادراك ايدر سر علي بي

والمعنى : أن قلنسوة حاجي بكتاش ولي \ تقول إنني أدركت سر علي

وإذا كان عرشي في هذه الأبيات يمدح البكتاشية فإنه لم يتحدث قط على المولوية في ديوانه ، ولم يذكر اسم مولانا ، ولكنه دبج غزلية يعرض فيها لذكر مولانا والمولوية ويقول فيها :

دكلش كردش دوره موافق \ أكلدى كرجه آدك مولويدن

ظهور ذاتي ادرك ايمه دك جون \ مفصل معنويدن مثنويدن

بيان فضل حقدن ايسته توفيق \ خلاص أو لمه تا جهل قويدن

بيارمزى حقى بيشنو ذى عرشي \ بهر سوتابكي هرزه دويدن

والمعنى : أنت لست مناسبا لدورة الفلك الدوار \ لا جرم أن يذكر اسمك باسم مولانا

ولأنك لم تدرك بعد تجلي الذات الإلهية \ فهذا مفصل من المثنوى والمعنوى

فاطلب التوفيق من بيان فضل الحق سبحانه وتعالى \ حتى تتخلص من هذا الجهل القوى

فأقبل يا رمز الحق واستمع إلى ذى العرش \ وابعد عن ذوى توافه القول الموجود في كل ناحية

ولكن عرشي يحقر طريقة التصوف في غزليته ذات الرديف الصوفي وهو حروفي الإيمان من رأسه حتى أخمص قدميه .

(٣٦) عقدنا النية على نشر هذه القصيدة التي تضم ستة وستين بيتا وتحتوى على سلسلة النسب الملامية وذلك بين ثنايا كتابنا الذي سوف نضطلع بتأليفه في حق الملامية والحمزويه كلتيهما .

(٣٧) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة : ص ٥٠ – ٥١

(٣٨) توجد معلومات تتعلق بالسيرة الذاتية لكل من ألف أفندى وخواجه حسام الدين وذلك فى الكتاب المسمى « تنشيط المحبين بمناقب خواجة حسام الدين » (إستانبول – المطبعة البحرية – سنة ١٣٤٢ م) .

(٣٩) وقد ألمعنا إلى هذه الفتاوى أول مرة فى بحثنا المعنون بعنوان « الملامية والملاميون ، ص ٨٦ ، ملاحظة رقم ١ ، اضطلع الأستاذ « تحسين يازيجى » بالبحث فى كل هذه الفتاوى فى كتابه القيم المتعلق بالجلشنية حيث درسها مقارنة ، وهو كتاب لما يطبع بعد .

(٤٠) تذكرة لطيفى : مطبعة إقدام : ص ٥٣

(٤١) توجد هذه المفاهيم المستغربة العجيبة فى سائر الطرق الصوفية والمذاهب الباطنية وعلى سبيل المثال فإن ثمة طائفة من الباطنية ممن يعرفون باسم « صبح أزل بعد باب » وأن المعنى الذى مر فى قول الإمام على « إن الحقائق نور وإنها تشرق من صبحى أزل » يقصد به صبحى أزل الذى حل محل باب ، كما أن البهائيين يقبلون هذا قائلين إن صبحى أزل هذا هو أخ شقيق لبهاء الله (ميرزا حسين نورى) ، كما أنهم يزعمون بكل إصرار وتأكيد أن الإمام على الرضا (ت ٨١٨ هـ) كان يقرأ الدعاء سالف الذكر فى أوقات السحر إبان شهر رمضان وأن بهاء المشار إليه هو « بهاء الله ميرزا حسن نورى » ونحن ننساق كذلك وراء هذا الاعتقاد ، وعلى سبيل المثال فإنه يتوجب القول : أنحن المقصودون بما ورد فى قوله تعالى فى سورة الزخرف آية ٢٨ وجعلها كلمة باقية » ؟ إن استنباط النتائج على هذا النحو من كلام مولانا وآخرين غيره لهو شيد حد يسير ، ولنسع فى هذا الأمر باذلين الجهد من أجل الاقتناع ، ورحم الله « ناى زن توفيق » فقد لخص هذا الاعتقاد فى جملة واحدة قائلا : « إن هذا إما مرض وإما ضغينة وخبث طوية .

(٤٢) ديدم روح خوب كلشنرا ١ أو چشم وچراغ وشنرا .

(٤٣) در عشق بدل شودهم حيز ١ تركى سازنده أرمنيرا

وبينما ورد هذا البيت فى كل المخطوطات الصحيحة إلا أن الجلشنيين نقلوه على هذه الصورة المشوهة الفاسدة حيث جاء على النحو الآتى :

در عشق بدل شود همه حيز ١ كز مصر كندا ارمنيرا

(لا له محمد فنائى : السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم جلشنى ، وشرح المثنوى : إستانبول المطبعة العامرة ص : ٦) .

(٤٤) انظر : السيرة الذاتية للشيخ إبراهيم جلشنى ص ١٠ – ١١ ، ولا سيما البيت الوارد فى صحيفة ١١ ، والذى يقول :

أى دل وأى دلده وأى روشنى ١ بيل كه حقيقت سورم بن سنى

والمعنى : يا روشنى يا قلبى ويا عينى ١ فاعلم أن الحقيقة هى أنى أحبك حبا جما

وهذا البيت ليس لمولانا بصورة جازمة ، وهو مثال للتحريف ، لأن أصله كما يأتى :

در عشق بد شود همه جيز ١ أى دل أى ديده وأى روشنى

والمعنى :

باب العشق يكون بديلا عن كل شىء ١ أيها القلب والعين يا روشنى

(٤٥) اضطلع تحسين يازيجى بإعداد مناقب جلشنى وقدمها إلى الجمعية التاريخية التركية ، ثم أرسل إلينا صحائف تخص الصلات الوثيقة بين الجلشنية والمولوية ، وتتضمن دراسة جد جميلة ، ومن ثم فإنه لم

يجشمنا الصعاب فى هذا السبيل ، حتى أنه تفضل فحال دون وقوعنا فى الخطأ ، وتأمل أن نزجى له الشكر و العرفان على ما أسداه إلينا من فضل عميم .

(٤٦) شرح المثنوى الشريف ، ص ٣ .

(٤٧) لا يوجد بحث عند تحسين بازيجى عن منطقة « خيره بولو » وقد تناولنا هذه المعلومات بالدراسة والبحث فى موضعها ، ونحن مدينون فى هذا الآخر شيوخ التكية « صاربان أحمد » ويوجد فى « خيره بولو » أربع عشرة تكية ، سبع منها تعمل نهارا ، وسبع أخرى تعمل ليلا وتمارس فيها شعيرة اللف والدوران .

الفصل الخامس

تكايا المولوية

تكايا المولوية

التكايا المولوية – أين تأسست التكايا المولوية وكيف يكون موضعها ؟ وكيفية الذهاب إلى التكية المولوية ؟ تكية مولانا فى قونية – النقوش الموجودة فى المقبرة – تكية ديوانه محمد جلبى – وضع المولوية فى الوقت الراهن وحالة التكايا .

سبق أن كررنا القول أن مولانا لم يكن مؤسس طريقة ، حتى أنه لم يدر بخلده فى وقت من الأوقات أنه سوف يضيف شيئا ما إلى ذات نفسه ، فقد كان مشغولا بأشياء أكبر وأسمى من كل هذا . وكان فى كثير من الأحيان شيخا محتذيا طريق أبيه ، وأصبح هذا بمثابة ذكرى عقب مجىء شمس ولأجل هذا فإن مولانا لم يفكر قط فى أن زعيما للمرتحلين فى طريق العشق ولا قبل له بهذا التفكير ، فمن يا ترى يكون هو ذاك الزعيم فى هذا الطريق ؟ وأين هى تلك القدم الثابتة ؟ وأى مريد يكون فى هذا السبيل ، وما المراد ؟ ألم يبحث مولانا عن حسام الدين الذى كان شديد الولاء والإخلاص له ، ألم ينقب عن هذا الشيخ بعينه فى ديباجة المثنوى ؟ ألم ير من قبل صلاح الدين وشمس كليهما ؟ كان مولانا يميل نحو الميممين وجوههم شطر طريق العشق وإلى السائرين واطئين بأقدامهم وجودهم وكينونتهم ، وكان نزاعا إلى المحبين والمحبوبين بعشق الإنسانية ، وأنقذ هؤلاء وأولئك من قيود الدين والمذهب .

بيد أنه لم يحدد بؤرة الطريقة ومركزها ، وبذل جهده بغية تأمين السالكين بالعشق فى هذا الطريق . وكان صلاح الدين هو قطب العاشقين بعد شمس ، ثم خلفه من بعده حسام الدين ، ثم جمع مولانا كان هؤلاء حول أقطاب هذا الاتحاد ، وعالج شرورهم وقبائحهم ، وصفح عن ذنوب الآثمين وأنضج السذج الأغرار غير الناضجين ، وبين عن طريق حياته وكلماته سبيل العشق إلى هؤلاء أجمعين ، وجلى لهم طريق الإنسانية والاتحاد .

وجاء من بعده ولده سلطان ولد الذى غلل مذهب العشق وأيدلوجيته بكل قوة واقتدار ، ثم جاء أولو عارف جلبى الذى جلى بانفعال مادى العقيدة الثملة لمولانا ، ثم جاء الشلبيون بعد ذلك فلم يكتنفوا فقط بالمسلك الصوفى للأستاذ العظيم مدة من الزمان ، بل انغمسوا كذلك فى لجة لون باطنى مقترن بمعيشة مترفة وحياة تنعم بالراحة والدعة والسكينة ، ثم جاء من بعدهم ثلة من المتأخرين أسرعت من فورها فى اتباع سبيل ضرورات العصر وموجباته عن طريق عقيدة دينية تظهر استعداداً صلبا مستمسكا بالشعائر والطقوس الدينية شيئا فشيئا ، وقد اضطلع خلفاء بتخصيص أموال من الموقف يتفق منها على من لا يريدون التعيش من مال الوقف . وكان السالكون فى طريقة مولانا يوصون الناس بالتعيش من عمل أيديهم ، بينما هم يؤثرون العيش دون عمل متعللين بمجاهدة النفس ، ويحسبون أنهم يتقفون أثر الشيخ الذى لم يفر من الدنيا ، ومن ثم فإنهم استغرقوا فى عالم الخيال مستمتعين بأنعم الدنيا التى وجدوها مهيأة جاهزة ، ويظنون أنهم أعرضوا عن الدنيا مولين أدبارهم لها ، فقد كانت هنالك مجاهدة للوقف فضلا عن مجاهد النفس ، وعليه فقد ظهر بين هؤلاء ثلة من ذوى الجشع والشر والطمع والمداحين وكتاب القصائد والنثر المصطنع المتكلف . وخلاصة القول أننا مضطرون إلى أن نذكر فى هذا السياق ما يأتى :

إن العلاقة الثابتة بين المجتمع ومولانا لم تكن متمثلة فى السماع وإظهار الوجد ، أو منبثقة من عشق مولانا الذى كان بمثابة قاسم مشترك بين جميع الأفراد على السواء ورغم أن هذه العلاقة كانت ناجمة عن السماع المتمثل فى الذهن بالدربة

والمران ، ومتمخضة عن الموسيقى والتصوف كليهما إلا أنها كانت كذلك متمثلة فى رؤيته الدنيوية الإنسانية المتسامحة ، ويتوجب أن يكون هذا التقدير من نظرة مسيرة التاريخ ، وإن هذا لشىء عظيم .

تكايا المولوية :

كانت التكايا المولوية من أهم الأسباب فى تشكيل طريقة المولوية التى أسست باسم مولانا وكانت أول تكية مشيدة بمثابة مركز لسائر التكايا التى أسست فيما بعد ، وكانت تكية مولانا تسمى بأسماء هى « آستانة - حضور - حضور بير » أى التكية محلة الراحة والاطمئنان ، راحة الشيخ . ونعلم كذلك أن هناك خمس تكايا ترتبط بهذا المركز الموجود فى قونية ، وكانت زاوية شمس إحدى هذه التكايا ، وثمة صندوق كبير فوق ينبوع بستان عظيم كما قلنا فى كتابنا « جلال الدين الرومى » . ويوجد مقام شمس فى هذا المكان ، وهذا المقام موجود داخل حجرة سماع التكية (الطبعة الثالثة ، ص ٣ - ٨٤) ويسجل صاحب « سفينة المولوية » أن « أمير واجد اوغلو أحمد بن سلطان ولد » وهو من أحفاد السلاجقة ، وخليل جلى هو من أحفاد جلى بدر الدين وكوجوك عارف جلبى فقد تبوءوا منصب المشيخة فى هذه الزاوية (جـ١ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ ، و ص ٢٣٦) .

وقد حوفظ على مقام شمس حتى وقت متأخر ، وكان شيوخ زاوية شمس يسمون باسم الشيخ شمس أما الشخص الموجود فى التكية فيسمى « ضابط » وهو أحد شيوخ وأركان منظمة المولوية وأن كل مولوى يولى وجهه شطر قونية عليه أن يذهب أولا إلى الموضع الذى التقى فيه شمس مع مولانا وهو مكان يسمى « مرج البحرين [1] » ، ثم يتوجه من هنالك إلى ضريح شمس ، ثم يزور مولانا بعد ذلك . أما التكية الثانية فهى زاوية « آتش باز » وتفيد الروايات المولوية بأن آتش باز هذا هو طباخ مولانا ، وقد قال لمولانا ذات يوم لقد نفد الحطب ، فقال له مولانا أدخل رجليك أسفل المرجل ، وامتثل آتش باز للأمر وما لبث المرجل أن بدأ فى الغليان باللهب،

المتصاعد من إبهام القدمين ، وكان آتش باز هذا هو الدرويش « محمد خادم » أحد رواة أفلاكي ، ولكنه لقب بهذا اللقب سالف الذكر لأنه كان يلعب بالنار في أثناء إشعال النار تحت المرجل ، ومعنى آتش باز بالفارسية « اللاعب بالنار . وإذا كانت هناك طائفة من القائلين بأنه كان موجودا بين القادمين من مدينة « بلخ » في معية سلطان العلماء فإنهم لا يرون ضرورة قراءة شاهد القبر في حال زيارتهم لمقبرته الموجودة في طريق « مرام » Meram .

ولقد تهدمت زاوية « آتش باز » وخربت برمتها ، كما كانت المقبرة كذلك في حالة من اليباب والخراب وشيدت المقبرة الأصلية بطريقة البناء تحت الأرض كما يقول السلاجقة ، ومن ثم فإن « آتش باز » يرقد في لحد ثاو أسفل المقبرة ، وقد كتبت آية الكرسي كاملة في الجزء الأعلى من الصندوق المزين المزخرف الكائن فوق المقبرة وكتبت الآية رقم ٢٨٥[٢] من سورة البقرة في الجزء السفلي ، ثم نقشت هذه الآية بعد ذلك ناقصة . وقد كتب على واجهتي الصندوق الأمامية والخلفية ما يأتي : في الأمام « هذا القبر هو لصاحب السعيد الشهيد شمس الدين يوسف بن عز الدين « وفي الخلف » الذي رحل عن الدنيا في منتصف رجب لسنة أربع وثمانين وستمائة من الهجرة » .

وأما النقش الموجود في واجهة المقبرة فهو أكثر تفصيلا ، وها هو ذا نصه : « هذا القبر للسعيد الشهيد المرحوم شمس الملة والدين يوسف بن عز الدين آتش باز ، انتقل إلى رحمة الله تعالى في منتصف شهر رجب لسنة أربع وثمانين وستمائة من الهجرة ، غفر الله له[٣] ».

ويفهم من هذا النقش بجلاء تام أن اسم « آتش باز » ليس محمدا ، بل هو شمس الدين يوسف ، وهو ابن واحد يسمى عز الدين ، وهذا يعني أنه توفي في ١٥ رجب لسنة ٦٨٤ هـ = ١٢٨٥ م ، أي عقب وفاة جلبي حسام الدين بعام واحد على وجه التقريب .

وذلك إبان عصر سلطان ولد . أما معنى « آتش باز » في المطبخ عند المولوية فهو اسم في أدعية الطعام ، وهذا الاسم موجودفي الأصل فوق لوحة مكتوب عليها

« يا حضرت آتش باز ولى » والتى تحمل اسمه فوق الموقد الموجود فى المطبخ ، ونعتقد أن هذا الشخص يضطلع بطهى الطعام فى المدرسة الدينية ، ولهذا السبب فقد لقب « آتش باز » ، ونعتقد أنه ربما كان هذا اللقب يأتى فى الفارسية بمعنى الطاهى وهو تحريف لكلمة « آتش بوز » .

وتدون السفينة أنه قد تم تخصيص أوقات بغية تشييد زاوية بجوار قبر « آتش بازولى » واضطلع بهذا الأمر واحد يسمى « جلبى عبد الصمد » من أحفاد مظفر الدين أحمد باشا بن عارفة شرف خاتون بنت سلطان ولد (ص ٢١١) . وفى اعتقادنا أن هذه الزاوية لم تكن مغايرة لزاوية « اتش باز » ، ومن المحتمل أن يكون هذا الشخص هو المؤسس لزاوية آتش باز ، ويذكر ثاقب دده أنه بينما كانت هذه التكية قد آلت إلى حال من الفوضى والتشوش والارتباك بين الشلبيين فإنه سرعان ما أصابها اليباب والخراب بعد حين ، ولم يبق من أثرها سوى المقبرة فقط (ص ٢١٢ – ٢١٣) .

وقد اضطلع عبد الواحد جلى بإصلاح وتعمير مقام آتش باز ، وندرك كذلك من هذا التاريخ أن « صوفى دده » (ت ١٩٢٢ م) قارىء المثنوى وخطيب مسجد السلطان سليم قد اضطلع بتعمير ما هو فوق الزاوية وذلك فى سنة ١٨٨٧م ويقول فى هذا شعرا :

برنهال شجر حضرت مولانا كيم
بوست نشين دركاه جدى أو واحد جلبى
عرض خدمت ايليوب حضرت آتش بازه
ايتدى نز دنده بناتكه رضا در طلبى
جاكر كمترى صدقى ايده رك عرضى نياز
ديدى تاريخنى بوكلشنى فيض أدب

والمعنى :

من ذا الذى يكون غصن شجر حضرة مولانا

إنه واحد جلى الذى تبوأ منصب مشيخة جده

وعرض خدمته على حضرة آتش باز

وشيد بالقرب منه تكية من أجل نيل الرضا

وعرض تضرعه ورجاءه وكأنه عبد ذليل

وقال التاريخ المدون على القبر أنه روضة فيض الأدب

كان للشيخ آتش باز تأثير قوى بين ضباط التكية ، وكات رسائل المشيخة ترسل فى مرات كثيرة عن طريق الشيخ الموجود عند آتش باز أو عن طريق شمس . أما التكية الثالثة الموجودة فى قونية فكانت تحمل صفة المسجد وماهيته وتقع فى منطقة « مرج البحرين » وتدون السفينة أن « جلبى واحد » وهو من أحفاد « أمير واجد كبير « ابن سلطان ولد » قد قضى عمره منزويا قابعا فى هذا المسجد ، ثم اختفى من هنالك بعد ذلك حتى قابله الدرويش مصطفى باشا وهو من أولياء قره مان وأصبح بعد ذلك خليفة لجلبى واجد واشتغل هنالك بالهداية والإرشاد . ولايوجد اليوم أى أثر باق من منطقة « مرج البحرين » (انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة ، ص ٦٩ ، والملاحظة رقم ١٣٦ الموجودة فيها) . توجد التكية الرابعة بإزاء مقبرة « جمل عالى » فى منطقة (مرام) ، وتروى السفينة أن هذا الشخص ينتسب إلى منطقة ما وراء النهر ، وهو و احد ممن جاءوا فى معية سلطان العلماء ، وكان يتعهد مولانا بالرعاية ، وهو ضخم الجثة يحمل مولانا على ظهره مقلدا الجمل .

ولهذا السبب فإنهم أطلقوا عليه لقب « الجمل العالى » ، ويكتب ثاقب دده فى هذا الصدد فيقول : إن جلبى عبد الكريم كان من أحفاد جلبى محمد صادق بن أمير عادل بن سلطان ولد ، وصار شيخا على هذه التكية ، وبعد وفاته حل محله ولده جلبى سعيد ، ثم أُرسل بعد ذلك شيخ للزاوية يُختار من بين الدراويش ذوى الأهلية

والكفاءة ، ثم يجأر ثاقب دده بالشكوى قائلا : إن السفلة من غير ذوى الأدب قد شيدوا مقهى قبالة التربة المقدسة (ص ٢١٥ – ٢١٦) .

أما التكية الخامسة فهى « دار الذاكرين » والتى كان جلبى حسام الدين شيخا عليها ، ويقول ثاقب دده : إن جلبى نور الدين بن أمير شاه جلبى بن شرف خاتون كان شيخا على هذه التكية ، وأخذ الخلافة من أمير عابد ، وذهب إلى كل من قيصرى والموصل ومصر ، وكان ضليعا فى العلم والمعرفة (ص ٢٠٤ – ٢٠٥) . ويحيطنا ثاقب دده علما بأن تكية صدر الدين قونيوى قد منحت حينا من الدهر إلى صلاح الدين أمير زاهد بن شمس الدين أمير عابد ، وكان هذا الشخص يقضى وقته فى المطالعة بدار الكتب ، وعند موته دفن بإزاء أطراف أقدام سلطان العلماء (ص ٢٠٩ – ٢١٠) .

وكانت زاوية آتش باز ومقام شمس كلاهما هما المكانان الباقيان من هذه التكايا فى الأزمنة المتأخرة ، ويقول ثاقب دده : إنه عندما كان أمير زاهد إبان مشيخة شمس يرغب فى الذهاب إلى تكية (والده سلطان) من قبل القره مانيين ، وبعد أن انتقل إلى هنالك اضطلع بعقد مجالس السماع فى مقام شمس وفى مقبرة مولانا كلما سنحت له الظروف بالمجيء إلى قونية .

ولسوف نشرح فيما بعد أن مجالس السماع فى تلك الأزمنة كانت تعقد بعد ذلك فى التكايا الأخرى دون اتباع للطقوس والمراسم المعروفة . وكانت شعيرة اللف والدوران تعقد أحيانا فى مقام شمس إبان تلك الأزمنة المتأخرة ، كما كان أتباع زاويتى شمس وآتش باز لا يأتون إلى التكية ولا ينضمون إلى شعيرة اللف والدوران فى الأيام المخصصة لذلك .

كان هناك شخص يسمى « شيخ سليمان ولدى » وكان شيخا فى مدينة « قير شهر » – وقد كتبنا إبان حديثنا عن شخصية سلطان ولد – أن هذا الشخص كان فى أول مرة من المنتسبين إلى على بن موسى ولدى » وكان « آماسيه لى علاء الدين » شيخا على آماسية ، كما كان « حسين حسام الدين »

كذلك شيخا في ازينجان وكان خلفاء أولو عارف جلبي موجودين كذلك في مناطق : بايبورت وايلجين وآق شهر ونياده ودنيزلي ولارنده ، وهذا يعني أن وجودهم كان في منطقتي قره مان وطوقات كلتيهما ، وكانت هناك كذلك تكية مولوية في سلطانية وهذا ما سلف أن دوناه في السيرة الذاتية لجلبي . وعلى كل حال فإن الخلفاء الآخرين الذين أُرسل بهم إلى « لارنده » من أمثال قلم أوغلو آهى محمد بك قد اضطلعوا بتأسيس تكايا منفردة قائمة برأسها .

وقد أسست على هذا النحو تكايا المولوية في المدن سالفة الذكر ، وإذا أمعنا النظر مليا وجدنا أن وقف كل أراضي يعقوب بك الموجودة في كوتاهية كان موقوفا على اولو عارف جلبي ، وكان مرضه في كوتاهيه ورقاده في إحدى زواياه ، كما تم اللقاء كذلك بين كل من شاهدى وديوانه محمد جلبي في كوتاهية ، وهذا يحيطنا علما بأن تكية كوتاهية وتكية قرة حصار التي كان ديوانه محمد جلبي شيخا عليها كانتا من بين التكايا التي تخص تلك الحقبة المبكرة من الزمان ، اضطلع ديوانه محمد جلبي بصفة خاصة بنشر المولوية بعد الحقبة المبكرة ا لتي كان الشلبيون يمثلون في المقام الأول العامل الأساسي في ذيوع صيت المولوية وافتتاح تكاياها . وكانت تكايا المولوية منتشرة كذلك في كل من : اللاذقية وحلب ومصر والجزائر وساقيز وإيرادر وصنديقلي وموغلة وبوردور ، كما وجدت كذلك في كل من منطقتي غلطة وقوله قاييسي الكائنتين في إستانبول ، كما كان لهذه التكايا وجود كذلك في الممالك الفارسية إذا صحت الرواية الدالة على ذلك ، ناهيك عن أن كل هذه التكايا قد فتحت في عهد ديوانه محمد جلبي وبفضل همته وعزيمته ونشاطه الدءوب . وثمة رواية تقول إنه قد أسست من هذه التكايا في الأزمنة المتأخرة ما هو موجود في الجزائر ومملكة فارس ويسجل شاهدى في كتابه « روضة الأسرار » أن ثمة زاوية مولوية كائنة في قرية سيكة « Sikke » إحدى قرى بورصة .

وقد اطردت المولوية وازدادت تقدما عقب الحقبة المبكرة من الذيوع والانتشار إبان عصر بستان جلبي الأول يعني في الحقب المبكرة من القرن السابع عشر الميلادى . وعلى سبيل المثال فإن الزاوية المولوية الموجودة في الشام قد أصبحت في عصره تكية كبرى ، كما افتتحت في عصره كذلك التكية المولوية في « غاليبولي »

ومعها تكية « ينى قابى » التى تعد بمثابة التكية المولوية الثانية فى إستانبول . بيد أن الصفة المميزة لهذه التكايا فى تلك العصور المبكرة قد أصابها برمتها ضرب من التغيير والتبديل كما سنبحث هذا فى صورة مفصلة بعد حين .

كانت المولوية مقنعة مُطمْئنة للشعب والطوائف ، منتشرة ذائعة الصيت من مركزها فى قونية إلى الى المدينة ومن المدينة إلى سائر المقاطعات والقرى ، ناهيك عن أنها كعد ذلك فى مرحلة رجعة من القرى وحتى من المقاطعات الأخرى إلى المدن ، بيد أنها والحال كذلك كانت تحيا فى المراكز الرئيسية داخل إطار بؤرة الصفاء الروحى والذوق الفنى للزمرة المستنيرة ، ولسوف تفتح بعد ذلك التكايا المولوية وستعمر ويَصلُح شأنها حينا فحينا ، ولسوف يفتحها مع مرور الزمان أرباب الطبقة الرفيعة النبيلة التى سوف تضطلع بدورها بالتعمير والإصلاح . انقسمت تكايا المولوية من حيث التكية والزاوية إلى قسمين اثنين : فالتكية تعد أكبر من الزاوية ، ومن ثم فإن شيوخ الزاوية كانوا من حيث المنصب يتعرضون لازدراء واستخفاف شيوخ التكية ، وكان الدرويش يُربَّى وينشأ فى التكايا ، ويقضى فترة المكابدة والمعاناة فى التكايا الكبرى . وتُعد تكية مولانا الكبرى الموجودة فى قونية بمثابة التكية العالية ذات المقام السامى . وهاهى ذى التكايا الكبرى ، التى كانت موجودة فى امبراطورية آل عثمان .

(١) بورصة (٢) اسكيشهر (٣) غاليبولى (٤) حلب (٥) قسمونى (٦) قره حصار (٧) كوتاهية (٨) مانيسة (٩) مصر (١٠) ينى شهر (روملى) .

أما تكية قره حصار فتأتى بعد تكية قونية فى المرتبة الأولى بين سائر التكايا الكبرى ، تعقبها فى المرتبة الثانية تكيتا كل من مانيسة وحلب ، أما رابعة التكايا الخمس الموجودة فى إستانبول فكانت تسمى « آستانة » أى التكية الكبرى .

وهاهى ذى أسماء الزوايا المولوية :

(١) آدنه	(٢) آقجه حصار	(٣) آقجه شهر	(٤) آقجه شهر
(٥) آماسيه	(٦) انقره	(٧) أنطاكية	(٨) عنتاب
(٩) آيدين	(١٠) بغداد	(١١) بنى شهر	(١٢) بلجراد
(١٣) بلجرادجيق	(١٤) بيله جيك	(١٥) بوردور	(١٦) بوسنه سراى
(١٧) بوزقير	(١٨) جوروم	(١٩) دنيزلى	(٢٠) دميرجى
(٢١) دياريكر	(٢٢) أدرنة	(٢٣) ايردر	(٢٤) ارمناك
(٢٥) ارزينجان	(٢٦) فيلبيه	(٢٧) كريت	(٢٨) حلب
(٢٩) حماة	(٣٠) حمص	(٣١) اسبرطة	(٣٢) الباصان
(٣٣) إزمير	(٣٤) ازميت	(٣٥) قانجيرى	(٣٦) قره مان
(٣٧) قيصرى	(٣٨) كركوك	(٣٩) قبرص	(٤٠) قير شهر
(٤١) كيلين	(٤٢) القدس	(٤٣) كوتاهية	(٤٤) اللاذقية
(٤٥) مراشن	(٤٦) مرمريس	(٤٧) المدينة	(٤٨) مكة
(٤٩) ميديلى	(٥٠) موغلة	(٥١) الموصل	(٥٢) نياده
(٥٣) نيش	(٥٤) ياجوى	(٥٥) صاقيز	(٥٦) ساسمون
(٥٧) صاند يقلى	(٥٨) سلانيك	(٥٩) سيروز	(٦٠) سيواس
(٦١) الشام	(٦٢) طرابلس الشام	(٦٣) شهرزور	(٦٤) طاوشانلى
(٦٥) تبريز	(٦٦) تكير داغ	(٦٧) تيرة	(٦٨) طوقات
(٦٩) طوزمان	(٧٠) الوقيشلر	(٧١) أورقة	(٧٢) اسكوب
(٧٣) ودنية	(٧٤) ينى شهر	(٧٥) يوزجات	

إن الزوايا الموجودة فى القرى ليست مدرجة فى هذه القائمة ، وفى الحق فإن ستا وسبعين زاوية وأربع عشرة تكية كبرى ما هى إلا تكايا جاءت بعد أن طمرت ودفنت في باطن المولوية وذاتها ، وكانت تكية « قره مان » من أهم هذه الزوايا جميعا ، حيث كانت ترقد فيها والدة مولانا ، وكان المولوية يسمون أم مولانا « أم السلطان » وكان الشبليون قد أرسلوا بكثرة وافرة إلى تكايا حلب وكوتاهية ومانيسة فى الأزمنة المتأخرة على وجه الخصوص .

أما تكية « قره حصار » الكبرى فكانت مخصصة لسلالة « ديوانه محمد جلبى » وكلما تضاءلت الإمبراطورية العثمانية وتقلص حجمها فإنه سرعان ما ينغلق وينمحى قسم مهم من التكايا المولوية التى كانت ثاوية فى الأماكن الواقعة خارج حدود الدولة ، ومنها على سبيل المثال : بلجراد وبوسنة وفيليبة وباجوى وودينه وينى شهر .

وبعد أن استحوذت المولوية على الطبقة العالية النبيلة وشرعت فى الأزمنة المتأخرة تطمر وتتوارى فى ذات نفسها حيث لم يعد هناك أشياء أخرى سوى طائفة من الشيوخ والدراويش وبقية باقية من آثار أبنية تكايا المولوية الكائنة فى أماكن صغيرة مثل : دميرجي ماربارس ونيادة وطاوشانلى ، كما آلت إلى نفس الحال كذلك تكايا المولوية فى المراكز المتعصبة الشكلية الثانوية حتى بات من المتعذر ممارسة شعيرة اللف والدوران دون عزف الناى ودون تجانس ومشاركة وجدانية روحية ، حتى أن التكية المولوية فى « آق شهر » أصبحت فى مركز المقاطعة وكانت قبل ذلك رازحة تحت تأثير تدبير وتصرف جمال الدين جلبى ، وتفيدنا الوثيقة الرسمية لمقاطعة قره مان المؤرخة بتاريخ ١٤٧٦ م (١٨٨١ هـ) أن باشا جلبى كان شيخا على هذه التكية (إبراهيم حقى قونية لى : آق شهر ، إستانبول - مطبعة نمونه ١٩٤٥ ، ص : ٣٦٤).

وعلى كل حال فإن جمال الدين جلبى المتوفى سنة ١٥٠٩ م يتوجب أن يكون هو جمال الدين من شلبية قونية ، ومن المحتمل كذلك أن يكون القاضى محمد باشا والد خسرو جلبى (ت ١٥٦١ م) هو الذى تبوأ منصب مقام الخلافة الشلبية عقب باشا جلبى ، بيد أنه لم يبق لهذه التكية اسم أو لقب أو شهرة ذائعة الصيت .

وهناك على سبيل المثال تلك الزاوية المولوية التى اضطلع بتأسيسها شخص يدعى « روحانى دده » فى إحدى القرى التى انفصمت عن الخاصة الملكية فى منطقة « كوربى باش » الواقعة فى مقاطعة « عثما نجيق » ، وقد خصص لهذه الزاوية حقوق من خزانة الدولة ، كما فرض لها عشرون قطعة ذهبية كل يوم من عائد المحصولات والضرائب ، وقد علمنا من حق الامتياز الصادر فى ٣ ربيع الآخر لسنة ١٣٠٦ هـ (١٩٢٦ م) (أرشيف رئاسة الوزراء ٢٢٣) أن التكية الموجودة فى حلب قد آلت اليوم إلى طائفة من الدراويش الذين استحوذوا عليها ، كما أن مسجد « سيد نسيمى » الموجود تحت منطقة « اريج قلعة » قد استحال زاوية مولوية بمرور الزمان ، وقد جأر كل من القيم على الوقف والشيخ سيد عبد القادر المولوى بالشكوى من جراء وضع بيت المال يده على تركة أحد الدراويش عند موته فى التكايا ، ونعلم كذلك من خلال أمر صدر فى هذا الصدد بشأن عدم المساس بتركه دراويش المولوية الذين يموتون فى بيوتهم (أرشيف رئاسة الوزراء ، تصنيف دفاتر المالية القديمة : مهمات دفترى ، رقم ٣١٤٧ - سنة ١١١٧ هـ = ١٧٠٥ م دفتر ، ص ١٢٦) .

وإذا كان المولوية قد استحوذوا على زاوية « سيد نسيمى » فإنهم هيمنوا أحيانا على التكايا التى تخص الطرق الصوفية الأخرى ، ولقد حدث شىء بين سائر هذه الطرق جميعها . وهذا نموذج على سبيل المثال يدلل على هذا وهو ذلك الأمر الذى صدر فى اليوم الأول من شهر ذى الحجة لسنة ١٠٨٨ هـ = ١٦٧٨ م والذى يتعلق بمنح الدرويش محمد المنتسب إلى الطريقة المولوية الزاوية البكتاشية المسماة باسم الدرويش رضا الموجودة فى منطقة « ينار حصار » وذلك بسبب سوء حال بنائها (أرشيف رئاسة الوزراء رياب آصافى ، ١٠٨٨ ، أول ذى الحجة) .

وفى مقابل هذا حدث تدخل فى شئون بعض تكايا المولوية من قبل الطرق الصوفية الأخرى . وعلى سبيل المثال فإن حق الامتياز المسجل بتاريخ آخر المحرم لسنة ١٠٧٩ هـ = ١٦٦٨ م ينص على أن بناية غازى حسن باشا والوقف المخصص للتكية المولوية فى « باجوى » قد آلت جميعها إلى يد شخص يدعى « آهاردان خليل » ،

وأصبحت المولوية عباديد أباديد فى الأرض ، وبناء عليه فإن « حاجى حمص « بن حسن باشا طلب التكية من خليل وأخذها منه وأعطاها لقارىء المثنوى محمود وهو من المولوية ، وآلت هذه التكية إلى محمود فى اليوم الأول من شهر شوال لسنة ١٠٩١ هـ = ١٦٨٠ م ، ومن ثم فإن المولوية استحوذوا عليها ثانية (أرشيف رئاسة الوزراء ، باب آصافى ، بدون رقم) وإذا ما أتينا إلى ذكر التكايا المولوية الكائنة فى إستانبول فإننا نورد ما يأتى : كان هناك لأول مرة زاوية فى مسجد تكية القلندرية والذى تحول من كنيسة إلى مسجد إبان عصر محمد الفاتح (١٤٥١ = ١٤٨١ م) .

وقد خصص وقف لهذه الزاوية ، كا كان يوجد مشرف للزواية مكلف بالإشراف على طعام الشيخ والمجاورين فى هذه الزاوية ، ويوجد كذلك محفظ للقرآن فى أيام الجمع ، ويتم تدريس المثنوى فى مجلس السماع عقب صلاة الجمعة ، وثمة تتمة لمجلس السماع بعشر من القرآن فى ختام المسامرة والمنادمة ، وكان يشترط فيمن يسمى بالمطرب فى اصطلاح المولوية أن يتكون فى العادة من أربعة أشخاص يضطلعون بعقد مجالس السماع فى معية أصدقائهم ، وعلى هذا النحو تكون زاوية تكية القلندرية قد افتتحت على شاكلة تكية مولوية تماما ، وهكذا تكون هذه هى أول تكية مولوية مؤسسة فى إستانبول بعد الفاتح (وقفيات محمد الفاتح الثانى - انقرة - ١٩٣٨ م ، ص ٣٢٣ - ٣٢٨) .

ونعتقد أن هذه الزاوية قد فقدت هويتها باعتبارها تكية مولوية بعد مدة قليلة من الزمان ، ويرجع هذا إلى أن سائر المصادر لم تضطلع قط بالحديث عن هذه التكية ، وتشير إلى أن التكية المولوية فى « قوله قابى » والمؤسسة باسم « ديوانه محمد جلبى » (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ = ١٤٩٢ م) هى أول تكية مولوية . كان « سينوبلو صفائى » (ت ١٥٢٣ م) شيخا على التكية المولوية فى « قوله قابى » والذى ينتسب إلى مؤسسها اسكندر باشا ، ثم ما لبثت هذه التكية أن آلت إلى يد الخلوتية بعد حين من الزمان وفى سنة ١٦٣١ م توفى « عبدى دده » مشيد التكية المولوية فى قاسم باشا ، وكان قد ذهب إلى إستانبول وقدم عرضا طلب فيه أن تكون هذه التكية مولوية مستعينا فى هذا السبيل بقونية ، وعليه فقد خلص التكية من الخلوتية ، ولما تم تعيين

شارح المثنوى الشيخ رسوخى اسماعيل دده شيخا على تكية « قوله قابى » أسرع من فوره بتأسيس التكية المولوية فى قاسم باشا . ومنذ تلك الحقبة من الزمان وحتى غلق التكايا تبوأ منصب المشيخة فى تكية قوله قابى طائفة من الشيوخ الفضلاء من أمثال الشيخ غالب دده ، وكان منهم كذلك ثلة من الموسيقيين من ذوى الكفاءة(٤) .

نقل « رسوخى بيقرة عن » أحمد طانية لى ، أن ثمة كتابا يقع فى أربع عشرة صحيفة يسمى « التكية العلية الكبرى » ويتحدث هذا الكتاب عن شهرة وأسماء التكايا التى كانت موجودة واحترقت ، وبيان الأيام الشريفة للذكر وشعيرة اللف والدوران »، ورغم عدم بيان اسم المطبعة التى طبعت الكتاب فإن تخمين « طانيه لى » يفيد بأنه طبع سنة ١٢٦٠ م .

وقد وردت فى الصحيفة الثالثة من الكتاب « أن ثمة تكية المولوية موجودة فى قره مان كبير » وكان يوم السبت هو يوم الذكر وممارسة شعيرة اللف والدوران لهذه التكية ، ولاوجود لاسم هذه التكية قط فى أى من المصادر المولوية ، ولكن ورد بحث فى « حديقة الجوامع » يتحدث عن مسجد عابد جلبى الكائن بجوار جامع « يارى حصار » على مقربة من مسجد الفاتح (استانبول - المطبعة العامرة سنة ١٢٨١ ، جـ ١ ،ص ٢٢٠ - ٢٢١) (نفس الجزء ، ص ١٥٢) .

وتدون الحديقة كذلك أنه توفى سنة ٩٠٣ هـ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م .

وهذه مقطوعة شعرية قيلت فى موته ومنها :

غــــــفــلـتـى قـــــــوى كـــــــوزك آج هـوديـه رك
اره سين لـطـفـكـه لابـد كـــــــيـــــــــــــد رك

تـكـه يـه تـك صـــــــاجــــــــينـه ده تـاريـخ
كـــــيـــــتــــــدى عــــــابد جلـبى حق ديـه رك

والمعنى :

دع الـغـــــــــــــفـلـة وأفـق وقـل هـو الـلـه

فـــــلابـد أنـه ســــــيــــبـلـغ لـطف الـلـه

أن هـذا تـاريـخ صـــــــــاحـب التـكيــــــــة

ورحـل عـــــابـد جـلـبى قــــــائلا هـو الـلـه

وكان عابد جلبى مرافقا فى الطريقة لأمير بخارى (ت ٩٢٢ هـ = ١٥١٦ م) ، وهذا يعنى أنه منسوب إلى الطريقة النقشبندية ، ومن الشلبية كذلك « محمد صاحب » (ت ١٥٧٩ م) . وكذلك الشاعر « غنى زاده نادرى » (ت ١٦٢٦ = ١٦٢٧ م) وكلاهما مدفون فى صحن المسجد . لقد طوفنا فى معية « رسوخى بيقرة » خطوة خطوة ولبضع ساعات في تلك الناحية ، ولم نصادف أحدا سمع حتى عن اسم عابد جلبى الموجود فى هذه المحلة ، وأدركنا مرة أخرى كيف أن الذين غيروا وبدلوا أسماء الشارع والمحلة قد أهانوا التاريخ أيما إهانة .

وفى خاتمة المطاف قلنا : فلننظر مليا حيث يوجد عند النزول من شارع « اوتلو فوجو يوقوشى » فى الناحية الخلفية لدار الشفقة (مدرسة الأيتام بإستانبول) حيث ألقينا نظرة على ساحة الجبانة العالية الكائنة قبالة أحد المنازل الصغيرة فى الجهة اليمنى لشارع « صالح زكى » الكائن جهة الشمال . هكذا كانت هذه الساحة منحطمة منهدمة غير ذات محراب ، حتى أنه لم يبق أى أثر لحجر واحد من صحن مسجد عابد جلبى .

وبالنظر إلى الكتابة المنقوشة على الحجر الراقد على الأرض فإنه يدرك أن أعلاه مصنوع من مرمر مستطيل صغير مزين ، وعليه قلنسوة ملفوفة منتفخة ، وعليه نقش مكتوب بتعليق جميل على هذا النحو : « عابد جلبى من أولاد : حضرت مولانا ، وهى مقبرة عالية المقام لحضراتهم - تاريخ وفاته ٩٠٢ هـ ، ويوجد فى صحن المسجد شاهدا قبر ، ويوجد كذلك قبور كل من حسين حمدى (ت ١٢٥٧ هـ) ، و سعد الدين (ت ١٢٨٩ هـ) ، وعارف مصطفى (ت ١٣٠٧ هـ) ، ويوجد نقش على قبر آخر

مكتوب فيه « شيخ تكية عابد جلبى » ، ومن المعلوم كذلك وجود تكية هنالك ، ويدرك هذا من خلال مقطوعة الوفاة الواردة فى « حديقة الجوامع » ، وقد توفى « أيوان سرايى حافظ حسين » صاحب حديقة الجوامع سنة ١٧٨٦ = ١٧٨٧ م .

وقد ورد فى كتابه تدوين يفيد بوجود : تكية مولوية هنالك ، ومن الثابت كذلك وجود مسجد فقط وتكية مندرسة خربة أخنى عليها الدهر فى هذا المكان قبيل القرن الثامن عشر الميلادى . وثمة حجرة أو حجرتان فى صحن المسجد ، وتسمى تكية لوجود ما يعرف فيها باسم « حجرة الوقف » ولربما كان المولوية يذهبون كذلك إلى هنالك لأن صاحب التكية نفسه كان من الشلبيين ، كما كانوا يعقدون أحيانا مجالس السماع .

ونحن نرى أن من المتعذر القول بوجود تكية مولوية فى هذا المكان معتمدين فى ذلك على هذه الاحتمالات وعلى هذا فإننا نعتقد أن هذا خطأ اسمى لصاحب الكتاب ولربما لا يصادف اسم هذه التكية كذلك فى طبعات الكتاب المتأخرة . وقد شيدت فى هذا المكان فيما بعد تكية « سعدى » التى عفا عليها الدهر وأصبحت أثرا بعد عين فى الوقت الحاضر ، وتسمى كذلك تكية « عابد جلبى » حسبما ورد فى النقش الذى عرضناه أنفا ، ولاوجود لقبر كل من صاحب جلبى ونادى فى هذا المكان ، ويتوجب علينا أن نوضح فى القريب العاجل كيف وُجدت هذه التكية بطريقة أو بأخرى ، وكيف انمحت هذه الساحة الصغيرة وباتت يبابا .

ويعد هذه التكية المولوية أسست فى إستانبول التكية المولوية فى « ينى قابى » واضطلع كاتب الانكشارية « مالقوج محمد بك » بتشييد المولوية فى « ينى قابى » من أجل « كمال أحمد دده » (ت ١٦٠١ م) . وقد اضطلع الوزير » أوهرلى حسين باشا » (ت ١٦٢٢ م) بتشييد التكية المولوية فى « بكتاشى » ، وقد قتل هذا الوزير على يد الانكشارية فى اليوم التالى لتشكيل الوزارة ، وكان قد عين للمرة الثانية بعد واقعة السلطان عثمان الثانى . أما آغازده محمد دده مؤسس التكية المولوية فى « غاليبولى » فقد جاء وتبوأ منصب المشيخة هنالك مدة من الزمان نزولا على رغبة الباشا .

ثم شـهدت هذه التكية تعميرا وإصلاحا ذا بنية أساسية فى سنة ١٨٠٤ م إبان عصـر السلطان سليم الثالث ، وتمكن المولوية من نقل هذه التكية إلى مكان وجدوه فى ثكنة « مـاجـقه » حتى يتم بناء قـصـر « جـراغـان » محلـهـا ، وكـانت هذه الثكنة إبان تشـيـيدهـا بعيدة قليلا عن منطقة « أيوب » ، وكـانت تسـمى « بهـارية » ، وتقـع على ساحل أيوب عند نـهر « كاغدخانه » أى مصنع الورق ، وقد شيدت فى ذلك الحين تكية مـولوية فى ذلك الموضـع الموجـود المزين بقصـور أكابر القـوم ووجـهـائهـم ، وعلى هذا النحـو أقيمت التكية المولوية فى بهارية لتحل محل التكية المولوية فى « بشكتاش[٥] » ثم شـيـدت بعد ذلك التكـية المولوية فى قاسم باشا ، وقد قلنا فـيـما سلف إن « عيدى دده » كـان شيـخًـا على التكية المولوية فى غلطة ، ولما منحت مـشـيـخة « غلطة » إلى شـارح المثـنـوى « رسـوخى اسـمـاعـيل دده » اضـطـلع بتـشـيـيد تكيـة مـولوية فى البـسـتـان الكائن بمنطقة قـاسم باشـا ، وعين لهـا الوقف وأمّنه ، وهكذا ظـهـرت فى إستانبول تكية مولوية أخرى .

أما آخر تكية مُفتتحة فـى إستـانبول فكانت فى منطقة « أمراهور » بأسكودار وأسس هذه التكية « سلطان زاده نعمان دده بك » سنة ١٧٩٠ م ، ثم نقل إليـهـا بعد أربع سنوات قضاها فى مشيخة تكية « قوله قابى » ، وقد عرف مقام الشلبية تكية المولوية فى اسكودار على أنهـا زاوية ، ومن ثم فـقـد كـان الرائحـون والـغـادون إلى إسـتـانبول يستخدمون هذه التكية على أنها نزل ضيافة لإقامة الذكر وشعيرة اللف والدوران فى أيام مـحـددة من كل أسبـوع . أمـا الدراويش والشـيـوخ القـادمـون من إستانبول إلى الأناضول فكانوا يحلون ضيوفا فى هذه التكية ، وكانوا يبدءون رحلتهم ويجـهزون مـا يلزمـها من مؤنة وزاد ، كمـا كان القادمـون من الأناضـول وقـونية على الخصوص ينزلون فى هذه التكية ، ثم يبدءون فى ممارسة أعمـالهم بعد أن يستردوا عافيتهم وقدرتهم .

وثمة تكية أخرى غير تلك التكايا المولوية التى أحصيناها فى إستـانبول ، ونعنى بها تلك التكية المولـوية التى أسسـهـا « درويش أحـمد الإستـانبولى » المشـهور بلقب « دولابجى » ، وهـى تقـع فى مكان مـوجـود فى مـسـجـد زينب خـاتون زوج إدريس تبليـسى (ت ١٥٢١ م) المشـهـور بمنطقة « إدريس كـوشكى » بجوار « جـومـوشى

صوبى » خلف منطقة أيوب ، وثمة معلومات جيدة تتصل بتكية « ينى قلبى » ومؤسسها ، ويمكن العثور عليها بين ثنايا كتاب « دفتر الدراويش » الموجود في حوزة رسوخى بيقرا « بن محمد عبد الباقى دده آخر شيوخ هذه التكية المذكورة والتى ترجع فى الأصل إلى سيد ناصر عبد الباقى دده (ت ١٨٢١ م) ، وفى عصر أبى بكر جلبى الثانى (ت ١٧٨١ م) جاء الدرويش محمد إلى تكية ينى قابى ليقضى فترة المعاناة والمكابدة فى صومعتها وصار يطلق عليه « حجرة نشين » أى جليس الحجرة ، ووجد بعد ذلك الشيخ محمد دده الذى كان متزوجا بامرأتين اثنتين ، وكان له منزل مجاور لمنطقة قاسم باشا وآخر فى حى أيوب ويعتبر نفسه منتسبا إلى تكية المولوية فى قاسم باشا ويُرى دائما فى منزله الدراويش ، وكان قد اشترى فى شهر ذى الحجة ١٢٣١ هـ = ١٦١٨ م بضعة منازل فى منطقة « إدريس كوشكى » .

ثم شرع فى تعديلها لتكون على شاكلة التكية المولوية ، وما أن أتم بناء هذه التكايا حتى خضعت لصكوك ائتمان الوقف الصادر فى السابع والعشرين من شهر صفر لسنة ١٢٣١ هـ = ١٨١٧ م ، واشترطت هذه الوقفية أن يقوم هو وأولاده من بعده بتولى الشئون المتصلة بأعمال الزوايا ، وكان يطلب شهادة إجازة المشيخة من جلبى .

وفى اليوم الأول من شهر شوال لسنة ١٢٣٢ هـ = ١٨١٧ م جاءت شهادة الإجازة ، ثم أرسلت له شهادة المشيخة فى الثامن من شهر المحرم لسنة ١٢٣٤ هـ = ١٨١٥ م وأُذن له كذلك بالذكر وممارسة شعيرة اللف والدوران ، ووافته المنية فى شهر شوال لسنة ١٢٤٠ هـ = ١٨٢٥ م ، ودفن فى تكية المولوية بقاسم باشا ، وما لبثت هذه التكية المشيدة أن غلقت وطمس أثرها .

وتبين نقوش وكتابات غبد الباقى دده أنه كان لا يحب محمد دده على الإطلاق ، كما كان معارضا لفتح التكية ، وتقول « حديقة الجوامع » إبان حديثها عن هذه التكية « كان ثمة من عارضوا الشيوخ الموجودين فى التكية العلية الكبرى، وهم غير قادرين على شيء من طقوس المولوية وشعائرها ومجالس سماعها ، وبناء على هذه الحالة المتردية هدمت التكية وأهملت شيئا فشيئا » (جـ ١ ، ص ٢٦٥) .

ولكن هل كان شيوخ المولوية لا يرعون هذه التكية المؤسسة بموافقة جلبى على الوجه الأمثل بسبب أخلاق محمد دده ؟ وهل توجد إشارة خفية إلى أخلاقه تتضمنها كلمة « دولابجى »[٦] التى كانت لقباله ؟ أم أن هذا بات أمرا حتميا بسبب كثرة التكايا وانقسام المريدين ؟ أم كانوا لايريدون فتح هذه التكية بسبب رأى اقتصادى يقول : إن تأمين الوقف بهذه التكية يمكن أن يقلل أوقاف التكايا الأخرى ؟ إن السبب الثانى أكثر عقلانية لأنه أمر طبيعى فى أغلب الأحيان . يوجد اليوم جمهرة غفيرة من الشعراء والعلماء وأهل الموسيقى فى مقابرهم وجبابينهم[٧] ، وإن تكية المولوية فى « قوله قابى » هى التى تحتضن هؤلاء الشعراء والعلماء والموسيقيين دون سائر التكايا المولوية فى إستانبول ، وتعد هذه التكية بمثابة متحف الأدب الديوانى . أما تكية المولوية فى قاسم باشا فآلت إلى حال من الدثور والفناء ، واحترقت تكية المولوية فى « بهارية » وأصابها دمار شديد ، ثم باعها آخر ورثة لها زاعمين أنها ملك خالص لهم ، ثم تحولت إلى مصنع ، وسرق النقش الموجود فوق بابها عن طريق شخصى لاقبل لنا بمعرفته .

وقد نقل رفات الشيخ نظيف أفندى وسائر الدراويش الآخرين إلى مواضع أخرى فى جبانة أيوب ، أما مكتبة تكية المولوية فى « ينى قابى » والحجرات والمسجد ودوائر أجنحة النساء ، فقد اسخدمت جميعها داراً للأيتام ، واحترقت حجرة السماع والمقبرة ، وعمرت زاوية اسكودار بما يتفق مع الطراز المعمارى القديم .

أين شيدت التكية المولوية ، وكيف كان المكان الذى شيدت فيه ؟

شيدت التكايا المولوية خارج المدن على وجه العموم ، بيد أن بعضا منها تخلل المدن بسبب كبر المدينة واتساع رقعتها ، ومما لا مرية فيه أن اختيار البناء خارج المدينة كى تكون بمنأى عن صخب المدينة وضجيجها ، وحتى تظل بمعزل عمن يسميهم المولوية بالعوام ، وتكون بعيدة كذلك عن الطائفة التى لا تفهم الطريقة وكنهها ولا تدرك مغزى الطالب الدينى ، وتكون نائية كذلك عن الحياة المادية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

وتوجد تكية المولوية دائما داخل حديقة واسعة وبجانبها موضع يسمى « بيت الصمت والسكوت » ونعنى بها الجبانة ، ويوجد فى أحد أطراف الحديقة جناح خاص بالنساء من أجل سكنى الشيخ وعائلته ، أما حجرة السماع فتكون فى الأعم الأغلب وسط صحن التكية ، ويوجد المسجد فى موضع قريب من حجرة السماع ، وتكون المقبرة بمثابة قسم من حجرة السماع ، كما أن أكابر شيوخ التكية مدفونون فى هذه المقبرة ، أما القسم الخاص بالمقبرة فإنه أعلى من حجرة السماع ومن قامة الإنسان وينقسم بدرابزين حديدى أو خشبى يصل حتى السقف ، ويوجد باب آخر من الخلف ، وتُرى الصناديق من خلال حجرة السماع ، وفوق هذه الصناديق قلانس ملفوفة ، وفى أعلاها أغطية من قماش صوفى أو قماش ثخين أو جوخ ، وشمعدانها مائل قبالتها ومثبت أمام الصندوق ، وثمة لوحات ذات إطار مذهب ونقش جميل يحمل تاريخ ، وفاة الموتى ، أما أرائك قراءة القرآن فإنها تبعث فى نفس الإنسان الهيبة والوقار والجلال .

أما حجرة السماع فإنها على شكل دائرى فى معظم الأحوال وهى مذهبة لامعة براقة ومؤثثة بخشب مذهب لامع غير ذات فُرج ودون مسامير ، وحول أطرافها قسم ضيق من الحصير مغطى ببساط أو سجادة ، وقد شد هذا الغطاء بدرع خشبى رقيق حتى حافته كى لايتحرك من موضعه ، كما أن حافة هذا الجزء مؤثثة كذلك ببساط وسجادة ، وهى ضيقة إذا قيست بوسطها ، وثمة قسم منفصل عن حجرة السماع بدرابزين وهو ليس خاصا بالمولوية ولكنه منفصم بهذا التميز من أجل أولئك الناس الذين يحبون المولوية ويأتون للفرجة على الذكر ومشاهدة شعيرة اللف والدوران . وباب حجرة السماع ثاوٍ قبالة القبلة ، وثمة محراب فى القسم الخاص بالمتفرجين يوجد قبالة الباب مباشرة ، ويوجد منبر بإزاء المحراب فى القسم الداخلى قبالة الباب ، وثمة منبر آخر قبالة القبلة فى القسم الداخلى من الناحية اليمنى ، ويوجد كرسى بجانب المنبر موضوع فى القسم الداخلى ليكون على يمين الصاعد جهة القبلة ، وينفع المنبر فى أداء الخطبة فى صلوات الجمع ، ويوجد شيخ يعلم المثنوى على المنصة الكائنة بالقسم الداخلى ، ويوجد قسم آخر يشبه منصة المؤذن فى الجهة

العليا من حجرة السماع ، وكثيرا ما يكون فى أعلى الباب قبالة الشيخ ، ولهذه المنصة مثيل كذلك فى المساجد الكبرى .

ويتم الصعود من القسم الداخلى إلى هنالك بواسطة سلم ، ويسمى هذا القسم بحجرة المطرب حيث يوجد الشيخ المؤذن وفى معيته المطربون ، ونعنى بهم أولئك الذين يترنمون بالشعائر والطقوس عن طريق الناى والطبلة والعازفين بآلات العزف الأخرى ، كما ننشد كذلك المدائح النبوية .

ويوجد الجناح الخاص بالرجال فى موضع قريب من حجرة السماع ويستقبل الشيخ ضيوفه فى هذا الجناح ، ثم يُلبس القلنسوة وقبعة اللباد لمن يريدون ، أما بعض الضيوف الذين يقضون الليل فإنهم ينامون فى هذا الجناح ، ويوجد فى جناح الرجال كذلك موقد للقهوة ، وثمة درويش مكلف بصناعة القهوة والقيام بالخدمة عليها حيث يُنضجها للضيوف ويساعد فى توزيعها ، أما أرض حجرة السماع وجدرانها ، فمفروشة ومؤثثة بالحجر فى الجهة الخلفية ، وأعلاها مغطى فى معظم الأحوال ، وتوجد غرف الدراويش متاخمة ومواجهة لبعضها البعض بجانب أحد الممرات ، أما الحجرة فهى غرفة صغيرة وعند دخولها يوجد موضع صغير تخلع عنده النعال التى توضع فى مكان يسمى « المنعلة »[٨] وهى كائنة بأحد الأطراف .

وبعد هذا القسم تأتى الحجرة الأصلية على ارتفاع قدم واحد حيث توجد بها أريكة تارة ، أو تكون بغيرها تارة أخرى ، وتفرش هذه الأريكة بالبسط والسجاجيد ، وعلى حافتها حشيّة مرتفعة ووسادة عالية بإزاء الخشبة ، ويوضع فراش الشيخ وأمتعته فى صوان كبير معلق فوق الحائط ، وكتبه فوق رف داخل هذا الصوان ، ومصباحه موضوع فى مشكاة ، ويقف موقد القهوة الصغير فى أحد الأطراف ، ويُنضج الشيخ جليس الحجرة القهوة على هذا الموقد ويقدمها إلى ضيفانه ، أما نافذة الحجرة التى فى الممر فإنها تطل على صحن التكية بيد أنها مواجهة للصحن بإزاء الباب ، ثم تأتى الحجرات الموجودة فى الممر المقابل . حيث توجد فى أجزاء منتصبة فى واجهة البناء المطل على صحن التكية ، وقد فتحت نافذة واحدة على الحديقة من أجل وصول الضوء ، ودائما ما تكون هذه النوافذ ذات درابزين حديدى ، وثمة

مراحيض متاخمة لبعضها البعض موجودة فى موضع آخر يقع على طرف هذا الممر ، ويعتنى منظف المراحيض كل يوم بتنظيفها ، وتوجد فى الساحة المتاخمة لهذه المراحيض منطقة واسعة قليلا من الأمام ذات ميزاب متصل بعنقه ، وثمة موضع تداس به الأقدام قبيل الدخول .

وتحتوى واجهة هذا البناء على كثير من الصنابير ، ويوجد فى الجزء العلوى عيون ماء ذات صنابير وعليها مسامير تستخدم فى تعليق الملابس عليها . وثمة طرف آخر لممر الحجرة ، وهو يستند إلى المطبخ فى الغالب ، والمطبخ جناح شديد الاتساع ، وقد نقشت نقوش جميلة قبالة الموقد الكبير ، ومما هو جاذب للنظر تلك اللوحة المذهبة ذات إطار مكتوب عليها « يا سيدى آتس بازولى » ثم يأتى بعد ذلك الجزء الداخلى للمطبخ ومكان تناول الطعام مؤثث بالخشب وهو أريكة واسعة مغطاة ذات محفة ، وثمة أريكة أخرى مخصصة لنوم أولئك الدراويش الذين لا يصعدون إلى الحجرة ولا يضطلعون بالخدمة ، ويسمى هؤلاء « حوارى المطبخ » ويمكن أن توجد بضع حجرات بجوار المطبخ كما يوجد قسم آخر خاص بموقد القهوة .

وفضلا عن كل هذا فإنه توجد فى كل تكية مولوية حجرة كبيرة متاخمة إما للمسجد وإما للمطبخ ومستقرها كائن فى القسم الخاص بالحجرات ، وتسمى هذه الحجرة بالميدان الشريف ، وبابها قبالة القبلة ، وثمة عمود أحمر اللون موجود فى واجهة الحجرة وهو مقام الشيخ ، وتوجد منْعلة بإزاء القسم الخاص بالمدخل وهو منخفض قليلا بالنسبة إلى أرض حجرة هذه الساحة المتاخمة ، ويوجد موضع آخر لموقد القهوة فى أحد أركان ، وهناك غير ذلك جبانة تحيط بهذه المساحة الواسعة ذات الجدار العالى وذات إطار يمتد على هذه الأبنية جميعا ، وثمة شواهد قبور ذات قلانس كائنة فى هذه الجبانة ، وبها أشجار سرو وبلوط ، ويوجد أحيانا بستان ثاو فى أحد الأركان ونقوش فوق الأبواب ، ونقش منقوش فوق الباب الحديدى الكبير المسمى بالباب العمومى ، وهناك المكتبة الخصوصية للتكية ، وخلاصة القول أن ثمة توافقا وتساوقا وتناغما مرتبطًا بعضه ببعض من ناحية النغم والاتساق والائتلاف ، إنه شىء صوفى ولكنه علم الزخرف والزينة لمن يلج بداخله ، بلى ! إنه يلج فى عالم

يختلف اختلافا بينا عن الدنيا التى يعيشها ، إنه عالم ينبىء عن ذات نفسه وينطق ويُبين عن حاله بقلنسوته ومقبرته ونقشه وسروه وجبانته وحياته وكل شىء ينم عنه .

إن كل من يذهب إلى تكية المولوية يجد نفسه يغوص من فوره فى الممر الموجود فى الحجرات وسرعان ما يسمع صوت ناى خفيف منبعث من إحدى الحجرات ، هاهنا يثوى التدريب والمران على الناى ، ثم ينبعث المديح النبوى من حجرة ثانية ، ثم صوت الطقوس والشعائر من حجرة ثالثة ، ففى هاتين الحجرتين يتم تعليم الطقوس والشعائر والمديح النبوى ، وتدريس علم الأدوار والمقامات الموسيقية ، أما الحجرات التى يسمع فيها صوت منبعث من الخارج ، فهى إما أن تكون لتعليم المثنوى ، وإما أن يكون الشيخ قد ذهب إلى مكان ما . بيد أن القادمين بعد الظهيرة بنصف ساعة يتقابلون بعضهم ببعض فى لجة السكون المطبق الموجود فى تلك الحجرات ، ويستمر هذا السكون من نصف ساعة إلى ساعتين على وجه التقريب . أما الدراويش فإنهم يرقدون مضطجعين فى نوم القيلولة ، وجميعهم مشغولون بالتوحيد .

كيف يكون الذهاب إلى تكية المولوية ؟

هيا ! ألا ترغبون فى الذهاب إلى التكية ، فاليوم ليس يوم الذكر وشعيرة اللف والدوران ، لا جرم أننا سوف نشاهد هذه الشعيرة فى قسم آخر ، بيد أننا نريد اليوم الذهاب إلى تكية المولوية فحسب ثم الولوج فى إحدى الحجرات والالتقاء بالشيخ . ويتوجب علينا أن يكون سلوكنا وتصرفنا متسما بشىء من العجلة ، لأن كل التكايا المولوية وكذلك البكتاشية تسرع إلى غلق التكية ، فهل أُذن لصلاة المغرب ؟ وهذا يعنى أن الدرويش البواب لايغلق الباب الحديدى العمومى الذى يفتح بالبسملة عند أذان الفجر ، ثم تغلق الأبواب بعد ذلك فلا يتسنى لأى شخص الخروج من الداخل إلى الخارج قط ، كما لايستطيع أحد الدخول من الخارج إلى الداخل ألبتة ، ويستثنى من هذا ليالى التهجد التى يعقد فيها الذكر وكذلك ليالى القنديل ، وليلة القدر وليالى الأعياد ، ثم يشد الباب ويغلق جيدا بعد ساعة أو ساعتين من الذكر لأولئك القادمين

من الخارج ولهؤلاء الذين لايقضون تلك الليلة في التكية ، أما في أيام شهر رمضان فإن الباب يظل مفتوحا على مصراعيه بعد ساعة واحدة من صلاة التراويح.

يتوجب الذهاب إلى التكية راجلا ، وإن الذهاب بالسيارة هو شيء مناف للآداب ، ومناقض للحالة الروحية الخلقية ومصدر الفيوضات الروحية ، ويتوجب على الذاهب إلى التكية أن يذهب إليها وكأنه دون يد أو رجل ممرغا وجهه في الأرض كالماء الجارى جاعلا رأسه وكأنه قدم تمشى على الأرض ، ألا تقول إن هذا شيء بعيد الاحتمال ؟ بلى فهذا شيء ميسور ، فكل شيء يتغير ويتبدل مع مرور الزمان ، ونحن قد ذهبنا إلى التكية راكبين إحدى وسائل المواصلات ، بيد أنه وجب علينا النزول لنمشى قليلا وندخل راجلين إلى داخل التكية قبل الوصول إلى بابها الداخلى ، ونحن لا نتعب من المشى لأننا قادمون إلى مكان الأدب والتوقير ، وهكذا فإن الداخل إلى التكية يكون خِلْوا صفر اليدين ، ويخرج كذلك منها على نفس الشاكلة ، ولهذا ينبغى لنا أن نأخذ هدية صغيرة على أقل تقدير فليس ثمة حاجة للتعب والنصب واللغوب ، وإن قطعة معدنية ثمينة تقابل بالبشر والسرور والترحاب شريطة أن تكون القطعة المعدنية ذات تسعة قروش فتقسم على تسعة أشخاص أو ذات ثماني عشرة قطعة منقسمة على ثمانية عشر رجلا ، وهكذا على نفس المنوال ، فهذه هى تحية المولوية ، كما يسمون هذه التحية كذلك « برك سبز » الورقة الخضراء ، لأن من لايملك القدرة المالية يتسنى له أن يقطف ورقة خضراء ويحضرها ويقدمها . هكذا تكون التحية ، ولنمعن النظر مليا فى قبة حجرة السماع ، حيث يوجد فى أعلاها قبعة مولوية معممة ، ثم لننزلن بعد ذلك ، فيتم الدخول من الباب بالدعاء والرجاء ثم لنضع أصبع إبهام قدمنا اليمنى فوق إصبع قدمنا اليسرى ، وهذا يعنى أنك تلمس لمسا خفيفا طرف النعل الموجود فى القدم اليمنى ، وكذلك الحال بالنسبة لطرف الحذاء الموجود فى القدم اليسرى ، ثم لتضع يدك اليمنى فوق قلبك وتكون أصابعك مفتوحة ، ثم احن جسدك قليلا إلى الأمام بدءا من خصرك شريطة أن تحنى رأسك أكثر فأكثر ، وكل شيء على ما يرام ، وهذا يسمى انحناء الرأس للتحية أو التضرع والرجاء . والآن الق رجلك اليمنى إلى الأمام قليلا من الباب إلى الداخل وقل بسم الله الرحمن الرحيم ثم لنذهبن بعد ذلك تجاه الحجرات ، هاهى ذى حجرة الاستماع إلى الناى وهى

الحجرة الرئيسية لعزف الناى ، فلندخلن إلى هناك ، فالباب لا يطرق ، ولا سبيل إلى الدخول دون استئذان ، فماذا عسانا أن نصنع ؟ فأنا درويش فقير ، وقد مكثت خارج التكية فى غرور وخيلاء ، أما هاهنا فالدرويش الفقير فى مكانه .

إن الدرويش الآن فى باب الحجرة ، ولسوف أقول « دستور » جاذبا بذلك آخر هجاء ، فهل شدت من الداخل كلمة « هو » التى تعنى الإذن بالدخول ؟ وإذا لم يصدر هذا الصوت إذ ربما لايسمع ، حينئذ يتوجب تكراره مرتين اثنتين ، فإذا لم يأت ثانية فهذا يعنى أن ثمة مانعا حال دون انبعاثه ، وحينئذ نخضع منكسين رءوسنا تجاه حجرة أخرى فنقول « دستور » أى الإذن ، فيرد الصوت « هو » أى ادخلوا ثم يتوجب علينا الدخول بالقدم اليمنى منكسين الرأس للتحية ثم نلقى السلام ونضع نعالنا ، ها نحن نلتقى بالشيخ الآن ، لقد حان موعد اللقاء ، ولنجذب اليد اليمنى للشيخ بيدنا اليمنى ، أو نمسك بكلتا اليدين جاذبين إياها ناحية الفم ، ثم ينحنى كل اثنين ممن التقوا بالشيخ ، ثم يشرعون فى نفس الوقت فيقبل بعضهم أيادى البعض الآخر ، وهكذا يتم التلاقى .

ثم مررنا بعد ذلك على الأريكة وجلسنا على رُكبنا ، فانظر ماذا يقول الشيخ ؟ إنه يقول : كن عاشقا – أى والله – وعندما يقول أى والله نضرع نحن حينئذ بالتوسل والدعاء ، ثم بعد ذلك يتسنى لنا الشروع فى الصحبة والمسامرة والمنادمة بيد أنه علينا ألا نجلس كثيرا ، ثم نطلب الإذن للخروج ، فالوقت متأخر ، إذ أن عازف الناى شاحب الوجه ذو لحية قصيرة وشواربه تغطى فمه برمته ، إنه مشغول بتعليم نفخ الناى لذلك المتدرب الجديد القابع قبالتك ، ولا ينبغى لنا أن نكون حائلين دون أداء عمله ، ولسوف نلتقى بالشيخ ثانية إبان الخروج ، ويتوجب علينا أن نشد على راحة يده ثم نلبس نعالنا دون الالتفات نحو الخارج ، ثم لنخرجن برجلنا اليسرى دون الالتفات إلى ما وراءنا .

فإذا كان الوقت مبكرا فها نحن قد رأينا الشيخ ، ولكن يجب علينا من أجل رؤيته أن نخبر الدرويش المشرف على الذكر وعلى شعيرة اللف والدوران والقائم على خدمة جناح الشىء أو ينبىء حواريه ومريديه بذلك ، وبعدها ينبئ الدرويش المشرف

على الذكر شيخه ، وحينئذ يتم الدخول بإرشاده إلى حضرته ، ولا سبيل إلى عدم الاستقبال ، ولكنه نظام شديد الصرامة مهيمن على التكايا ومن ثم فإن الضرورة تدعو إلى اتباعه .

تكية مولانا فى قونية :

إن تكية مولانا جلال الدين الرومى تشبه سائر التكايا الأخرى ، وتشد النظر من حيث كونها مستقر الشيخ ومقامه ، أو بمعنى أصح فإن التكايا الأخرى قد شيدت متشبهة بهذه التكية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا . انقسمت الساحة الكبرى التى (تحتلها) التكية بجدار يحيط تماما بالجناح الخاص بالنساء وفى هذا الجدار توجد أربعة أبواب تؤدى إلى صحن التكية . أما الباب الموجود فى مسجد السلطان سليم على يسار الطريق قبالة باب المقبرة فإنه يسمى « باب الدراويش » ، ويوجد فوق الباب العمومى نقش اضطلعنا بتدوينه إبان سردنا للسيرة الذاتية للشلبيين .

وثمة « حديقة الأرواح » كائنة فى الجهة اليمنى للتكية ، وفى الجهة الخلفية ما يسمى « باب الصامتين أو باب الموتى » ، أما باب الشيخ فهو شديد القرب من القسم الخاص بالمقبرة ، بيد أن الباب المواجه لباب الصامتين والموجود على مقربة من جناح جلبى فيسمى « باب جلبى » فإذا ولجنا من باب الدراويش ألفينا فى الجهة اليمنى أربع حجرات ، وفى الجهة اليسرى وثمان أخرى ، وتوجد حجرة الميدان الشريف فى الجهة اليمنى للحجرات ومساحتها ٥,٦ × ٩,٥ مترا ، وثمة مطبخ واسع كبير متاخم لهذه الحجرة ، ولما كان المطبخ متاخما للميدان فإنه توجد حجرة منفردة بإزاء بابىْ المطبخ ، كما توجد خلف المطبخ مقبرة مبنية من أجل « خُرَّم باشا » شيدها إبراهيم باشا فى سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ – ١٥٢٨) إبان عصر السلطان سليمان القانونى ، وتوجد بركة تسمى « شب عرس هاووز » تقع قبالة الحجرة الثالثة الواسعة على يمين الباب العمومى لهاتين الحجرتين السابقتين ، وثمة حديقتان مستطيلتان تقعان على يمين ويسار الباب العمومى ، وهناك ممر أعلاه مغطى ، ويقع أمام

الحجرات ويفتح باب كل حجرة على هذا الممر ، وفى نفس الوقت فإن النافذة الموجودة فى الخلف تطل على الشارع ، أما النافذة الموجودة بإزاء الباب فإنها تطل على الحديقة . توجد المراحيض العامة والصنابير فى نهاية الحجرة الثامنة الواقعة فى الجهة اليسرى ، وإن هذا القسم ما هو إلا جزء من فصل قائم بذاته تماما عن ممرات الحجرة ، كما توجد خمس حجرات أخرى وعمود للحجرة الثامنة وتوجد جميعها فى الجزء الشمالى قبالة المقبرة المواجهة للمطبخ ، ويوجد ممر أمام هذه الحجرات ، أما النوافذ الخلفية فتطل على الحديقة الكائنة فى الخلف بيد أن النوافذ الأمامية تطل على صحن المقبرة ، ويوجد فى الجهات الأمامية حديقة واسعة وخزان وفِسْقية ماء باسقة من الحوض الذى أرسل إلى أولو عارف جلبى من كوتاهية .

ولقد أزيلت الأقسام الفاصلة بين الحجرات الموجودة على يسار ويمين الباب العمومى ، وتم هذا إبان عصر « يوسف آق يورت » أو مدير للمتحف ، بيد أنه تركت حجرة واسعة من الحجرات الخمس ذوات العمود والواقعة جهة اليسار ، وقد محيت كذلك ظلة النافورة الجميلة التى شيدها السلطان سليم الأول وعمرها السلطان عبد العزيز ، وبات الماء الموجود فى خزانتها عرضة للغبار والتراب وملوثا بروث الحمام وقاذوراته . وثمة ساحة جهة اليمين تطل على باب المقبرة الموجودة فى الجهة المواجهة للنافورة ، وثمة جبانة مرتفعة عن الأرض محاطة بدرابزين من حولها ، وهذا المكان مسطح مستو أملس ، كما أن شواهد القبور قد أصبحت فى مأمن حتى لايقرأها أولئك الذين يستندون على الجهة العليا من جدرانها . هناك حديقة خلف الحجرة الخامسة الواقعة على يسار النافورة . ويوجد الآن فى نهاية هذه الحديقة جناح « جلبى » الذى انفصم ليكون مستقرا لمديرى المتحف . أما المطبخ القديم فكان يقع خلف هذا الجناح والموقع المخصص للمتحف محاط بالحجرات من الجهة اليسرى ، وعن يمينه مطبخ ، أما حديقة الأرواح فإنها مسورة بجدار ، والمقبرة الأصلية وصحنها تحيط بهما المقابر التى لم تتهدم بعد وتغطيها ساحة مربعة مساحتها ست آلاف ومائتان وخمسة وعشرون مترا ، وقد قسمت هذه المساحة بواجهة عرض مطلة على حديقة الأرواح فى الجهة اليمنى للمقبرة ، وتوجد حجرة مرتفعة ، أما نافذة المتضرع والدعاء فموجودة فى تلك الحجرة المستطيلة قبالة قبر مولانا ، وتوجد فوق

هذه النافذة قلنسوة لمولانا منقوش عليها رباعية له يقول فيها « إنه شخص صار عبدا للنجوم والقمر والشمس ، ينثر الضياء في السمو والارتفاع والعطف والإحسان والغريب أمام بابك لايجد طريقا آخر إلى هذا الباب ، وإن سائر الأبواب مغلقة عدا بابك »(٩) .

وهذه الحجرة هى التى كان الشلبيون يستقبلون فيها الضيوف ، وباتت الآن مستقرا لإدارة المتحف ويوجد سلم باب المقبرة مواجه تماما لباب الدراويش ، وواجهته الأمامية مرصوفة بالمرمر ، ثم يأتى بعد ذلك باب بلغ غاية الروعة فى الجمال ومزين بزخارف من الأرابيسك وكائن داخل هذا القسم المحاط بدرابزين ، ويوجد على درفتى الباب بيت السلطان ولد يقول فيه « أيها الطالب : استمع إلى نصحى بالروح والفؤاد ، وضع الرأس على عتبة تكية الصادقين المخلصين » وقد نقش هذا البيت بخط فنان ليكون بمثابة حلية معمارية بارزة .

ويتم الدخول من هذا الباب إلى إحدى الحجرات ، وعندما تكون التكية مفتوحة فإنه يوجد فيها موظفون مضطلعون بقراءة القرآن فى هذه الحجرة ، ولهذا فإن هذه الحجرة مخصصة لعرض اللوحات بآثارها المذهبة المجلدة ، ومن ثم فإنها تسمى « حجرة التلاوة » .

ويتم النزول من حجرة التلاوة إلى حيث القسم الأصلى للمقبرة عن طريق درجات من السلم ، أمام باب المقبرة فمفتوح من حجرة التلاوة على المقبرة ، وهو باب مصنوع من الفضة ويسمى « الباب الفضى » وعلى درفتى هذا الباب المزخرف المنمق الذى بلغ حد الروعة والجمال أبيات من الشعر تشير إلى تاريخ صنعه ومساحة الجزء الأصلى ٤ × ٢٦ م ، وهى عبارة عن ميدان كبير معتم مغطى بثلاث قباب . ويطلق المولوية على هذا الميدان اسم « باطن العشاق ومرتب الشيخ ودرجاته » .

أما القبور فتوجد فى موضع مرتفع عن الأرض يُصعد إليه بسلم ذى ثلاث درجات ، ويقع فى الجهة اليمنى ، وتوجد قباب خمس فوق المقابر . أما قباب الأقطاب فكائنة فى القسم المغطى بالقباب ويسمى « قباب الأقطم » .

وهناك كثير من السيدات الشلبيات اللائى ينتسبن إلى عائلة جلبى ، ويرقد فى هذا الجزء من المقبرة كل من : زوج مولانا وابنته وحفيده وجلبى وحسام الدين ، ويوجد محراب غاية فى الجمال ثاو قبالة مقبرة جلبى حسام الدين ، وفى جهة اليمين يوجد ممر شمال الباب الداخلى للمقبرة قبالة السلم الصاعد إلى القسم الذى توجد فيه المقبرة ، ثم يأتى بعد ذلك مكان صغير يقع على يسار الداخل إلى هذا الممر ، وثمة باب يسمى « باب السراج » موجود عند الممر لكى توضع السراج عليه ، وعند المرور من هذا الباب والذهاب شطر يسار المقبرة تتراءى ست صناديق كل اثنين منها متجاورتان بجانب بعضهما البعض فى جزء مرتفع قبالة القبور الموجودة جهة اليمين . كما أن أعلى هذه القبور مغطى بغطاء ، ويروى أن الراقدين فى هذه القبور الستة يسمون « صوفية خراسان » الذين جاءوا فى معية سلطان العلماء من مدينة بلخ ، وقد سمعنا أن هذه الصناديق أزيلت إبان عصر « يوسف آق يورث » ، وقيل إن أسماء أصحابها مبهمة يكتنفها الغموض ، ولا جرم أن الصناديق لم تكن فى مواضعها أثناء زيارتنا الأخيرة لهذه المقابر ، ويدلنا علم المتاحف أنها لم تكن فى طريق مصون مما أصابها بالخراب والفساد ، ونشكر الله كثيرا أنها لم تزل على شاكلتها القديمة . وإذا ما دلفت صوب الأمام جهة اليمين ألفيت بابا فضيا يحجب جزءا من الباب الموجود تحت الأرض ، وهو الموضع الأصلى المدفون فيه مولانا ، وبإزاء هذا الباب سلم ذو درابزينين أعلاه مغطى بالفضة .

ويأتى عشاق مولانا إلى هذا المكان وهم خاشعون ويخرون سجدا على هذه العتبة مقبلين إياها ، ويسمى هذا الموضع معراج القدم الفضية ، ويروى العاشقون درجه وسلمه بالدموع المنهلة التى تجيش فياضة من حبات قلوبهم ، من يدرى كم من دمع العاشقين انهمر فوق هذه العتبة ثم توارت فى التراب ، وانعكست تنهداتهم فى القبة الخضراء .

وفوق الباب الفضى شَعْرية شبكية ذات باب فضى مزخرفة مزينة بلغت حدا فائقا من الروعة والجمال ، وقد اضطلع بصناعة هذه الشعرية الشبكية

فنان يدعى" إلياس"كلفه بهذه المهمة » ماراش مير ميرانى محمود باشا"سنة ١٠٠٦ هـ - ١٥٩٧ م وعلى الباب نقش جميل كتبه ميرزا عالى ،وهاهى ذى المقطوعة الشعرية التى كتبها "مانى"على الشعرية الخشبية :

الله لا إله إلا الله

شاه جمشيد جشم خروى خورشيد عالم
دور تخت اقاليم جيهان آريى
تاج بخشندة هر شاه ديار إسلام
تاج خانده هر مملكت ترسايى
راية افراز ميادين ممالك كيرى
ميشعل أمزوز سرابر ده ملك آريى
آسمان مرتبه سلطان محمد خان كيم
بنده ايتدى نيجة اسكندريله دريايي .
اول كه بازويى جهان كيرايله قيلدى اسير
بار شاهانى جها ندار عطاء بخشايى.
نيت ايتدى قيله كافر دين غزا
ايكوره جرح برينه عالم بالايى
دله دى كيم ايده كفار ايله جنك وبكار
طونه آواز غزا بوفلك مينانى
أله آلى صاله شمشير غزابى تاكيم
كوستره كافر بى دينه يد بيضايى

ایندی بس قهر عدو نیتة کردون صای : ؟
مهجة رایت منصور جیهان آر ایی
اولدی بیلر بیلر دخی غزایة مأمور
دیکیلر هربریس رایت کردون سلیی
جمله دن ریس اول صاحب خلق محمود
وزرا زمره سینك آصف بادشاه مملکت دریایی
میر میرانی ایدی مراش اول اشناده
عدل ایله کندوییه قول ایتمیش ایدی دنیا سی
سفره عظیم اولب ایتدی کولکدن تصمیم
که زیارت قیله بوتربت روح أفزایی
کحل ایده جشم جهان بینته رغیستلر الله
خاك بابی حرم حضرت مولاناه یی
یوزکی سوردی غبار در مولانه یه
ایله دی کلدی زیارت بو مبارك جایی
صدق ایله روح شریفندن ایدوب استمداد
دیدی أی جنت اعلاده قیلان موایی
خلفی سرتشنه ایدوب ایتدیرن آهنك نوا
صالان آفاقه سماع ایله صدای نایی
عهدم اولون که اکر حضرت شاه جم کاه
فتح ایدوب مملکت کفر قریب اعدایی

تخــــتــــه دولت اقـــبــــال ایله منصـــور کـلوب

لطـف ايلـه امـــرينه مــــحكـوم قـــيله دنـيـــايی

بن دخـی داخل اولـو رسم جــــزء آرازمــــره سنه

درد ولـتــــده بلـوب مــــــرتبــــه عــــلايی

خـــرج ایدوب مملیکم بـذل قــیلوب مــقــدورم

ســـيــــمـــدان اولیـــه ین بـوقــفس زيیـــايی

نيــتك مـــحم ایدوب قــیلـدی کـنوکـل حـقــه

ایتــدی رهـبــر حــرم خـــالقی بی هــمـــتــايی

نکـاهن بـلقــیس زمــــان مــريم عــهــد

کــــه اوکــــه ویردی حـــدا مــــرتـبــة عــلايی

حــــضـــرت والـده سلطـان کل باغ عــــصـــمت

طویـدی جـون نـیت باشـــايی مــــبـــارك جـــايی

خـــــیــــــرها اولـد یغنـی دیدی شـــــه دورانـه

جـــوش ایدوب خـيـلی بسند ایلدی بـو مـعنـايی

ذمـت هـمکـتــــــه واجـب ولازم کــــــوردی

کــــه وزیر ا بلیـــه غـــیــــر یلـر ایلـه باشـــايی

حــمــد لله کی بولوب جـمـلـه مـراداته وصـول

ایتــدی ســمـــین قــفس مــرقــد مــولانـايی

بـارك الله زهی قــــفس کــــیم کــــوريجك

ایـنـدی الفـــتــــه ینجـــه طوطـيـــشكر هـايی

قـــفـــســـه قـــويدى طونوب مـــرغ نـــوابيـــدرلر
ســـيـــرايدنلر كـــوريجك بـوقـــفس رعنـابى
بلـبـــلان جـــمـن قـــدس اولــوب مـــفـــتـــونى
ايركـــور كـــوكـــه فـــرياد دايـله واو يـلابى
ديدى تـاريخى مـــانى شكســـتـــه خـــاطر
ســـيـم قـــبـلدك قـــفس مـرقـــد مـــولانـابى
(تمت بحمد الله تعالى سنة ست وألف من الهجرة – ١٠٠٦ هـ)

والمعنى :

هو السلطان جـمشيـد العظمة وخـسرو شمـس العالـم
وحـــاكـم عـــرش الأقـــاليـم وزينة الدنـيـــا.
هوتـاج رحـــمـــة ســـائر مـلوك ديار الإســـلام
وتـاج بـســـمـــة ممالـك النصـــارى.
من يكون؟ إنه السلطان محـمد الذى بلغ مرتبة السماء
كم اسـتـعـبـد كـثـيـرا من الإسكندر ودارا(١٠).
وأسـر سـاعــده الدنـيـا وكـان لهـا من الفـاتحـين
وهـو سلـطان دنيـــا الـعطـاء والإحـــســـان
وعـــقـــد الـعـــزم عـلى أن يغـــزو كـــفـــار الـدين
ووصل إلـى فلـك الدنيـــا فى أعـلى عـليـــين

وتمنى أن يسحق الكفار فى المعارك والحروب

ونادى صوت الجهاد فى فلك السماء

وامسك وألقى سيف الغزو والجهاد

وأظهر لكفار الدين يد الجود البيضاء

ويكفى الفلك الدوار قهره لأعداء الدين

وهو منارة الراية المنصورة وزين العالمين

وكان أحدهم هو محمود صاحب الخلق القويم

وهو من زمرة الوزراء وأيه سديد مثل آصف

هو محمد أوصافه شريفة وصيته ذائع مشهور

هو آصف السلطان ومملكة دارا

كان واليا على إمارة مارش آنذاك

وبعدله باتت الدنيا له عبيدا

وصمم من قلبه عازما الغزو والجهاد

ويزور تلك المقبرة المبهجة للروح

واكتحلت عين الدنيا بهذه الرغبات

إنه تراب قدم حضرة مولانا

ومرغ السلطان وجهه على غبار باب مولانا

وأقبل وزار هذا المكان المبارك

واستمد من روحه الشريفة الصدق والإخلاص

وقال يا مولانا يا من تسكن أعالى الجنان

فصوت أنغامك هو سر ظمأ الخلائق

وأنت تلقى إلى الآفاق صوت الناى بالسماع.

ولو أننى أخذت مكان حضرت السلطان

لفتحت الممالك وكسرت شوكة الأعداء

فقد اعتلى عرش دولة السعد والإقبال

وحكم الدنيا بأمره ولطفه وإحسانه

ولو دخلت أنا فى زمرة حاشيته

لوجدت فى عتبة دولته المرتبة العالية

ولأنفقت مماليكى وبذلت كل ما أقدر عليه

إن شباك هذه المقبرة من الفضة الجميلة

ونيتك للزيارة كانت محكمة وتوكلت على الله

وكنت مرشد السر الخالق لا ند لك ولا نظير

وكنت على حين غفلة بلقيس الزمان وعهد مريم البتول

ومنحك الله المرتبة العالية السامقة

إن أم السلطان هيم وردو بستان العصمة

عندما سمعت بنية السلطان لزيارة هذا المكان المبارك

فهى رغبة عظيمة لعين سلطان الأفلاك

غلبتها سورة الحميا وامتدحت هذا المغزى العظيم

ورأت ضرورة رعاية الذمة والهمة

وكان السلطان فى معية غيره من الوزراء

الحـــــمـــــد لـله فـــــقـــــد بلـغ كل المـرادات

ووصل إلى الـقـفس الفـضى فى مـرقـد مـولانا

بارك الله فـيـه مـا أجـمله من قـفس جـمـيل

كم تـأوه كـــثـــيـــراً وتـفـــوه بحـلو الـكلام

يقـــولـون بأنـه وضع طـائر الـنغـم فى الـقــفس

فـالمتـفـرجـون يشـاهدون هذا القـفس الجـمـيل

وأصـبـحت بلابل خـمـيلة القـدس مـفـتـونة

ورأته صـارخـة يـا ويلاه حـتى كـبـد السـمـاء

يقول تاريخه أن مشيده هو الفنان مانى [11] مكسور الفؤاد

صنـع القـــفس الفـــضـى لمرقـــد مـــولانـا

وينقسم الجزء الموجود فوق الباب الفضى الكائن فى الجهة اليمنى من الشعرية الخشبية بدرابزين حجرى ذى زينة هندسية ، ويرقد الحكيم المفكر مولانا جلال الدين الرومى خلف الشعرية الخشبية مباشرة ، كما يرقد ولده سلطان ولد فى الجانب الأيمن أى جهة الخلف بالنسبة لواجهة البناء . ويوجد كذلك محراب مزين فى واجهة البناء قبيل ضريح مولانا وقبل الوصول إلى الشعرية الخشبية ، ويرقد خلف الساحة التى يرقد فيها مولانا كل من : سلطان العلماء وصلاح الدين وعلاء الدين وطائفة غيرهم من رجالات المولوية ، كما يرقد فيها كذلك كل من أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وبويوك زاهد جلبى بإزاء بعضهم البعض قبالة الباب الموجود فى الواجهة الخلفية وراء المقبرة .

ويتم الدخول إلى قاعة السماع التى نجدها على يسار المقبرة من خلال قبو مفتوح كائن قبالة قبر مولانا مباشرة ، وتوجد كذلك مقامات كل من الشيخين شمش وآتش باز وكذلك خادم ضريح مولانا ورئيس الطهاة وقارىء المثنوى وجلبى صاحب

الطريقة ، كل هؤلاء موجودون تجاه قاعة السماع قبالة مولانا ، كما يوجد خلف هذا الجسر موضع آخر يقيم فيه المطربون ، وثمة قسم مثله للرجال وهو مخصص للزائرين القادمين لمشاهدة الذكر وشعيرة اللف والدوران .وقد كتبت أسماء الاثنى عشر إماما حول قبة قاعة السماع .يوجد مسجد متاخم لقاعة السماع على يسار الممر المؤدى إلى حجرة السراج الموجود على يسار الباب الفضى .وهو مسجد ذو مئذنة واحدة موجودة فى الجهة اليسرى للباب الخارجى للمقبرة ، ولهذا المسجد باب آخر جيد الزخرفة والتنميق ، وقد نقشت فى الجهة العليا من الباب وعلى درفته اليمنى الآية الكريمة "وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً"(سورة الجن آية ١٣).كما نقشت أسماء الخلفاء الأربعة حول قبة المسجد ، وآية الكرسى منقوشة بخط أسود وبالقرميد الأبيض فوق الإطار العلوى للقبة المثلثة المغلفة بالقرميد الأخضر الذى يتخلل اللون الأزرق الذى يصنع بدوره انعكاساً عند تخلل الهواء وانتقاله من مكان إلى آخر .

النقوش الموجودة على المقبرة :

(١) نقش مولانا :

قدمنا بين يدى القراء فى كتاب "مولانا جلال الدين الرومى " ماهية النقوش التركية الموجودة فوق صندوق والده سلطان العلماء والمشيدة من أجل مولانا " الطبعة الثالثة ، ص ١٣١ – ١٣٤ . وها نحن أولاء نقدم مرة ثانية هذه النصوص الأصلية مشفوعة بترجمتها :

به روز مـــــركـــــر جـــــوتابوت من روان باشـــد

كـمـــان مــبـــر كـــه مـــراد رادين جــهـــان باشـد

بـــراى مـــن مـــــــــــيكـريـر ومـــكـــو دريـــغ دريـغ

بـــه دام درفـــنـــى دريـــغ آن بـــاشـــــــــــــد

جناره جـــــو بيـنـى مكـو فـــــراق فـــــراق

مـــرا وصـــــال مـــلاقـــــات آن زمـــان بـــاشـــد .

مــــــــرا باكـــــور ســــــبـــــــارى مـكـو وداع وداع

كــــه كـــو بـردة جـــمـــعـــيت جـنان باشــــد

فـــرو شـــودن جـــو بـديدى برامـــــدن بـنيكر

غــــروب شنس وقـــمـــره جـــرا زبان باشــــد

غــــــــــروب نما بـدولـى شــــــــــروق بـود

لاحـــد جــو حــبس نما يد خـــلاص جـــان باشـــد

قــــدام دانه فـــرورفـــرت درمـــزين كـــه نـرست

جـــرايه دانه اين صـــانـت انى كـــمـــــان بـاشــد

قــــدام دلو فـــــروفـــــرت وبيـــــرون نامـــــد

زجـــاه يوسـف جـــابزا جـــراه فـــغـــــان باشــــد

دهان جـــــويـســت ازاين ســـوى آن طـرف بكشـــا

كــــه هاى يـا هو تـودر جـــــولا مكـان باشــــد

والمعنى :

"لا تحسبن أنى أتألم بألم هذه الدنيا عندما يسير تابوتى يوم الموت ، فلا تبك على ولا تقل وآسفى حتى لو ترديت فى شرك الشيطان فهذا هو وقت القلم العظيم ، وإذا ما رأيت جنازتى فلا تقل الفراق الفراق ، فهذا الوقت هو وقت الاجتماع واللقاء ، وإذا ما وسدونى الثرى فحذار أن تقول يا ولداه .ما المضرة أن تأتى الشمس مع القمر من الغروب؟ فالغروب يتراءى لك ولكنه الشروق . والقبر يرى وكأنه سجن بيد أنه خلاص

للروح ، وأى بذرة زرعت فى الأرض فلن تخرج ثانية . لماذا هويت فى ظن خاطىء فى شأن هذه البذرة أيها الإنسان ؟وأى دلو تدلى فى البئر لايخرج ممتلئاً؟وليكابد الأمرين بسبب خروج يوسف من البئر ، ولماذا تصرخ وتولول ؟ هل أغلقت فمك فى هذه الجهة ؟ فافتحه فى جهة أخرى ،وإن هاى وهوه الخاصة بك فى اللامكانية ».

كما نقشت هذه الغزلية فى الجزء السفلى ، وهذا نصها:

ذى حـق مـن اكـــــــــــر كـنـدوم بـرايـد
اذان كـــرنـاى بزى مـــــــــتى فـــزايـد

خـــامـــــور ونـانيـــــا ديوانـه كـــردد
تـنورش ببـت مــــســـــتـــانـه ســــر آيـد

اكـــــــربـــر كــــــــور من آيـى زيـارت
تـرا خـــــار بـوشم رقـــــصـــــين نمايـد

مـــــايـه بى دف بـى كـــــــورمن بـرادر
كـــــه دريـزم خـــــداغـم كـــين نشـــايـد

زنـخ بربــســـتـــــــه ودر كـــــور رفــتــــه
دهـان افـــــــيـــــــون اون دلـدار هـايـد

بـى دروزون كـــــــــفـن برســـــينـه بـنـدى
خـــرابـات ذى جـــانـت بركـــاشـــيـــــد

ذى هر ســـوينك وجنك جنك مـــســـتـــان
زى هـر كـــــــارى بـالابـود كـــــــارزاى

مـــــراحق ازمـى عــــــشق افـــــردست
همـــان عــشـقــمـــا اكــر مـركـم بى سـايد

منتم مستى واصل من مى عشق

يكواز مى بجوز مستى جه آيد

نه برج شمس الدين تبريز

بير در روح من يك دم نيايد.

والمعنى :

" يخرج القمح من ترابى ، فهل أكلت إذا صنعت خبزاً من هذا القمح؟ إنه يزيد سكرك ، ويكون العجين كذلك مجنوناً، ويترنم الخباز وفرنه وهم سكارى بأبيات من الشعر ، فإذا ما أتيت لزيارة قبرى فإن ركام التراب الذى فوقى يتراءى ويتراقص لك ، يا أخى لا تأتين إلى قبرى دون دف ، لأنه من غير اللائق أن تكون متألما فى مجلس الإله ، فذقنى مغللة موثقة ، وأنا أرقد وأنام فى القبر ولكن فمى يمضغ الأفيون الذى قدمه المحبوب ويتلذذ به ويشتهيه ، لقد تمزقت قطع من كفنى ، وإذا ما ربطتها فوق صدرى فإنها تفتح باباً للسكر من روحك ، هكذا يكون شغلك ، ولا يتولد لك شغل آخر سواه ، لقد خلقنى الله من خمر العشق ، فإذا ما مت وبليت فأنا عاشق ولهان ، هكذا أنا ثمل سكران ، وخمر العشق هى أصلى وجوهرى ، فقل وانظر مليا ، أى شىء آخر ينجم عن الخمر والسكر ؟إنه لا يتأتى شىء آخر سوى روحى التى تطير فوق البرج الذى وضعه شمس الدين تبريزى "وبعد آية الكرسى والبسملة كتب على الطنف الأعلى من هذا القسم ما يأتى :

" بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين ، قد سعد من زار هذا المرقد ، إنه مقيل مولانا سلطان علماء المشارق والمغارب ، نور الله الأزهر فى الغياهب ، الأمام ابن الإمام اسطوان الإسلام هادى الأنام إلى حضرة عزة ذى الجلال والإكرام ، موضح معالم الدين بعد اندراس آياتها ، منير مناهج اليقين بعد انطماس علاماتها ، مفتاح خزائن العرش ، بحاله مظهر كنوز العرش ، بقاله منمنم بساتين ضمائر الخلايق بأزاهير الحدائق ، نور مقلة الكمال

ومهجة صورة الجمال ، قرة أطباق أحداق العشاق ، محلى أعناق عارفى الآفاق بأطواق محبة الأخلاق ، محيط أسرار الفرقانية مدار المعارف الربانية ".

وكتب فى أسفلها وأوسطها ما يأتى:

"قطب العالمين محيى النفوس و العالمين ، جلال الحق والملة والدين ، وإرث الأنبياء والمرسلين ختم الأولياء والمكملين ، ذو المراتب والمنازل والغلبة والمناقب والفضائل السنية محمد بن محمد بن الحسين البلخى عليه تحية الرحمن وسلامه"

وكتب فى الخلف ما يأتى:

"وقد انتقل قدس الله نفسه وروحه ورمسه سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، وهذا الضريح قد شيده عبد الواحد بن سليم المعمار عفا الله عنه"

وهاهى ذى الأبيات المقتبسة من المثنوى والموجودة فى الصندوق المنحرف نحو الخارج فى القسم الداخلى ذى العرشية الخشبية المزينة:

باز سلطان نم كشم نيك وبايم

فاغ ازمردارم وكركه نه يم

باز جانم صد صورت كند

زخم برنقانه بر صالح زند

حال صالح كربرا دويك شكوه

صد جونان نقابز آيد متن كوه

جشم دولت كر مطلق ميكند

روح شود منصور أنا الحق ميكند

صورت معشوق جون شوددر تخوف

رفت وشود با مانغ معشوق كفت

جسم ظاهر عاقبت خودر فته نيست
تا أبد مانغ خوابد شازاست
اون عتاب اررفت هم بربوست رفت
دوست بی آزار سوی دوست رفت
من شودم عريان ذی تن وازخيال
مهر رامم در نهاية الوصال
قاركه صنع حق درنيست
جرعه هستی جه دانی نيست جيست
جمله استادان بی اظهار كار
نيست جنيد وصال انكسار
لاجرم استاداستادان صمد
كاركاهاشاون سرست
نيستی جون هست بلا ترطبق
برهمه بردند درويشان سبق
زون كه كان ومخزن سرخدا
نيست غير تيستی درانجلا
جون نه شيری بين منيلی ثوبای بيش
كان اجل كوركست حان توست ميش
ورذی آبدال ومشيت شير شود
ايمن اكه مرتر توسرزير شود

كــه است آبدال اون كــه كــه ومــبــدل شــود

همـــرش از تبــديل يزدان حـــال شـــود.

هـــست ازورى بـقــــــايــاى ذات او

نيـــست كـــشـــتـــه وصف در وصـف هو

جـــون زبـانه شـــمع بيش آفـــتـــاب

نيـــست باشـــد هست بـاشـــد در حـــســاب.

مـــيـــبـــرد جـــون آفـــتـــاب انـدر فق

باعـــروس صـــدق وصـــورت جـــون طـوتوق

انـهـم تحت قــــبــــابى كـــــامـنـون

جـــوزكــه يزدان شـــون نداند ضـــامـــتـــون

در حـــور دريـا نـشـــود حـــور مـــرغ آب

فـــــهـم كـن والـلـه أعـلـم بـالـصــــــواب

والمعنى :

أنا صـقـر السلطان وأنا جـمـيل قدس الأثر والعـلامـة

لا أحـط عـلى الجـــيـف فـلـست نـســــرا

(ج١ بيت١٤١٤٠).

أنا صقر الروح ، ونسجت بضع مئين من الصور.

هو عين السعادة تتجلى فيه كل ضروب السحر والفتنة

أو صـــبح المنصـــور هـو الروح فى قـــوله أنـا الحق

(ج٥ بيت ٢٥٣٦).

وعندمــــا تتـــوارى صـــورة المعـــشـــوق

فــإنه قــد ذهب وأصـبح نظيــرا لمعنى المحــبــوب

(ج٦ ، بيت ٤١١٧).

إن البـدن المرئى يـشـيـد من أجل الذهاب فى الـنهـاية

بيد أن المعنى يعيش إل الأبد فى حال من النشوة والصفاء

(ج٣، بيت ٤٨٧٣).

لو كـان هناك ضـيق أو عنت فإنـه يكون للجـسد فـقط

أما المعشوق فيذهب للعاشق ويعانقه دون تعب أو مشقة

(ج ، بيت ٤٨٧٤).

لقد تعريت وتجردت من البدن وتجردت كذلك من هذا الخيال

والقـيت بـنفـسى فى مـقـامـات إقلـيم الوصــال

(٤٦١٩).

إن الإشـــتـــغـــال بـالله يـكون فى العـــدم والفـنـاء

لقد انخدعت فى الوجود فمـاذا تدرى عن الفناء وماذا عساك أن تعلم

(ج٣ ، ٤٥١٥).

إن كل المهرة يبحثون عن الفناء بغية إظهار نبوغهم وألمعيتهم ، وهم بذلك يريدون الإفلاس (ج٦، بيت ١٤٦٨).

وخلاصة القول إن أمهر المهرة من يكون فى الفناء ،وأن يكون محتاجا إلى الله (ج٦،بيت ١٤٩٦).

وأن يشتغل بالفناء أكثر فأكثر ، ويكون الاشتغال بالله هو منواله على الدوام (ج٦، بيت ١٤٦٠).

فـالمسـاكين هم فـي الفناء في أعلى المنازل والدرجـات

ويـنـاجـــــون كـل الـنـاس ويـنـالـون الجـــــائـزة

(ج٦، بيت١٤٦٠).

إن هـذا هو مــــعــــدن وســـر خـــزانـة الـلـه

ومن ثم فـإنه لا يتـجلـى في مـوضـع آخـر سـوى الفناء

(ج٦، بيت ١٣٦٧).

إذا لم تكن أسدا فأفق إلى نفـسك ولا تلق برجلك إلى الأمام

فـالأجل ذئب إذا كانت روحك ضـأنا من هو الصـوفي

(الآبدال)؟ هو من تكون نفسه عـائدة إلى الروح ،(ج ٣٩٩٨ ، ٦ وهو من يكف عن الخمر ويتجرع الخل بدلا منها .(ج٣، ٤٠٠٠).

إن الوجــود كـــائن مـــســتــقـــر في وجــود ذات الله

ويـنـمـــــــــحـي كـل وصـف فـي وصـف الـلـه

(ج٣ ، بيت ٣٦٧٠).

توجد نظرة ولكن لا وجود لنظرة تشبـه لـهيب الشـمـعـة الكائن أمـام الشـمس (ج٣،بيت ٣٦٧١).

هو كـالشمس ويصدق العـروس يقف ويطير في مكان الفـجر ، وصـورته تشـبـه كـذلك برقـع العـروس ولا ريب أنهم يتـوارون تحت قـبـابي ، ولـهذا السـبب(ج٣، بيت ٣٦٧١). فـإنهم لايعـرفـون أحـدا قط سـوى الله ، والله هو الذي يعلم السـر وأخـفـى (ج٣،بيت ٣٣٨٤).

(٢) أما النقش المكتوب على مقبرة سلطان العلماء فيقول :

الله الباقى – هذه تربة مولانا وسيدنا صدر الشريعة – منبع الحكمة – محيى السنة، قامع البدعة ، قدوة العالم ، العالم الربانى سلطان العلماء ، مفتى الشرق والغرب ، بهاء الملة والدين – شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن الحسين بن أحمد البلخى رضى الله عنه وعن أسلافه توفى فى ضحوة يوم الثامن عشر من شهر ربيع الآخر لسنة ثمان وعشرين وستمائة.

(٣) النقش المكتوب على مقبرة صلاح الدين :

الله الباقى، هذه تربة شيخنا شمس العارفين ، علم الهدى واليقين ، ملك الأبدال، كامل الحال والقال ، أمن القلوب الطالب المطلوب ، نور الله الأعظم والبرهان الأقوم – سلطان البصيرة، طاهر السيرة والسريرة، بحر الأسرار الإلهية ، ترجمان الرموز الغيبية ، إمام التقوى ، محرم غرائب النجوى ، بايزيد العصر ، جنيد الزمان ، صلاح الحق والدين – أبو المفاخر فريدون بن باغيبان القونيوى الذهبى–قدس الله سره، فى غرة شهر المحرم لسنة سبع وخمسين وستمائة.

(٤) نقش مقبرة الشيخ كريم الدين:

هذه التربة الشريفة لفخر الأصحاب العارف الفائق و العاشق الصادق شيخ كريم الدين ابن بكتمور المولوى رحمة الله عليه، فى تاريخ شهر ذى الحجة لسنة إحدى وتسعين وستمائة.

(٥) النقش الموجود فوق مقبرة علاء الدين جلبى:

الله الباقى ، هذه تربة الصدر المرحوم علاء الدين محمد بن شيخ المشايخ – سلطان العلماء العارفين–جلال الحق والدين محمد بن محمد بن الحسين البلخى،

أفاض الله بركاته على المسلمين وخص ولده بمزيد كل عناية - أواخر شوال لسنة ست وستين وستمائة.

(٦) النقش الموجود فى الجزء الرئيسى لمقبرة مظفر الدين أمير عالم ابن مولانا:

هذه تربة شمس مشارق المعالى ، تاج مفارق الأعالى- مظفر الدين أمير عالم ابن مولانا سلطان المحبوبين، جلال الحق والدين محمد بن محمد بن الحسين.

ونقش فى قاعدة المقبرة مايأتى :البلخى قدس الله سرهم ، نقله من دار الغرور إلى دار السرور فى السادس من جمادى الأولى لسنة ست وسبعين وستمائة، غفر الله لمحبيهم.

(٧) النقش الموجود في الجزء الرئيسى لمقبرة كره خاتون:

الله الباقى - انتقلت المخدرة المصونة تقية الذات مرضية الصفات، رفيعة القدر ، مشروحة الصدر ذات الهمة العالية والمناقب، عصمة الدين المخصوصة بصفات العاملين ، مريم الثانى ، بحر المعانى ، مقولة الحق، محمودة الخلق والخُلق. ونقش على قاعدة المقبرة مايأتى:صاحبة مولانا قدس الله سره-كره خاتون رضى الله عنها وأدخلها حظائر القدس، أواها من دار الهوان إلى جوار الرحمن ، يوم الخميس الثالث عشر من شهر رمضان من شهور سنة إحدى وتسعين وستمائة .

(٨) النقش الموجود على مقبرة مليكة خاتون ابنة مولانا:

الله الباقى - هذه تربة الست الربانية افتخار مخدرات العالم - تاج مستورات بنى آدم ، ملكة خاتون ابنة سلطان المشايخ والعارفين، وقطب الأوتاد والمحققين وارث الأنبياء والمرسلين - جلال الحق والدين قدس الله سرهما فى ثامن عشر شعبان لسنة ثلاث وسبعمائة من الهجرة.

(٩) النقش الموجود على الجزء الرئيسى لمقبرة جلالة خاتون:

هذا قبر الست الزاهرة والدار الطاهرة جلالة خاتون حفيدة سلطان العلماء والمحققين ، جلال الملة والدين قدس الله روحهما فى غرة المحرم سنة اثنتين وثمانين وستمائة.

(١٠) النقش الموجود على قبر مليكة خاتون ابنة قاضى الدين:

الله الباقى – انتقلت الست المرحومة المظلومة الشهيدة مقبولة الأولياء ، تاج المخدرات وافتخار المستورات مليكة خاتون نور الله ضريحها – ابنة أقضى القضاة مولانا تاج الملة والدين، أدام الله فضائله من دار الغرور إلى دار السرور – ليلة الأربعاء سادس عشر من جمادى الآخرة لسنة ثلاثين وسبعمائة من الهجرة.

(١١) النقش الموجود على قبر أمير شمس الدين:

تربة أمير شمس الدين يحيى بن محمد شاه هادرى با أولاد مولانا قدس الله سره العزيز فى تاريخ السابع من شهر ربيع الآخر لسنة اثنتين وتسعين وستمائة من الهجرة.

(١٢) النقش الموجود على مقبرة جلبى حسام الدين:

هذه تربة شيخ المشايخ قدوة العارفين إمام الهدى واليقين ، مفتاح خزائن العرش ، أمين كنز الفرش ، جنيد الزمان بايزيد العصر والأوان – أبو الفضائل ضياء الحق – حسام الدين حسن بن محمد بن الحسن المعروف بأخى تورك رضى الله عنهم الأرموى الأصل بما قال أمسيت كرديًا وأصبحت عربيًا ، قدس الله روحه فى تاريخ يوم الأربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة.

(١٣) النقش الموجود على مقبرة حفيد حسام الدين جلبى :

انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء حسام الدين بن صدر الدين محمد بن جلبى حسام الدين والحق والملة والدين، نور الله مضجعهم ، فى يوم السبت التاسع والعشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة .

كان صندوق قبر مولانا منقوشا من خشب الجوز ، وكانت النقوش الموجودة على قبر كل من مظفر الدين أمير عابد جلبى وجلالة خاتون من القرميد الأخضر والأسود على شاكلة الفسيفساء ، وقد كتب النقش على القرميد باعتباره حلية معمارية بارزة.كما نقشت آية الكرسي والبسملة حول أطراف قبر جلالة خاتون ، وكان قبر مليكة خاتون ابنة قاضى تاج الدين من المرمر ، أما سائر القبور الأخرى فقد شيدت من الآجر ، كما كان أعلاها يجصص بالجير والغُبيراء(١٢). وكانت النقوش تثبت على لوحات من المرمر فوق القبور .أما قبر حفيد حسام الدين فكان على لوحة من المرمر جهة الشمال ، وكان نقشه مصنوعا من مادة لاصقة مخلوط بالجير والغُبيراء ، ولا توجد نقوش فى أى قبر من القبور الأخرى.

تكية ديوانه محمد جلبى :

تأتى هذه التكية فى الأهمية بعد تكية قونية ، وتندرج ضمن التكايا المولوية مع التكيتين الموجودتين فى قره مان وكوتاهية .

وهذه التكية موجودة فى منطقة قره حصار . ويعد(ديوانه محمد جلبى) بمثابة الشيخ الثانى ، وهو أول ظهور تجل لمولانا ، وكان زائرا لقونية ، ثم مر إبان عودته على قره حصار ومثل فيها للطاعة والخضوع والإذعان ، ومن أسف أن تكية قره حصار قد احترقت بضع مرات، ثم شيدت ثانية ، ولهذا السبب فقد محيت النقوش القديمة التى كانت عليها، ومن ثم فإننا سوف نضطلع بالحديث عن المقبرة فقط . ولا جرم أن مقبرة (ديوانه محمد جلبى) تشبه مقبرة مولانا وكأنها مركز للتكية. أما

قاعة السماع والمسجد فيثويان تحت علِّية .ولما كانت الجهة الخلفية ثاوية فوق قمة عالية ، فإن الصعود إلى البناء كان يتم عن طريق سلم من الجهة الأمامية . وعند الولوج إلى الداخل من الباب ، يكون الدخول إلى آخر صف فى صلاة الجماعة كما هو الشأن فى سائر المساجد. ويثوى فى هذا المكان الباب الخاص بقسم المسجد الموجود فى المقبرة الأصلية . وإذا ما ولجت من باب المقبرة وجدت صحنا ضيقا منقسما بدرابزين خشبى أعلاه على هيئة قلنسوة، وقد خصص هذا المكان للزائرين القادمين لمشاهدة الذكر وشعيرة اللف والدوران ، وفى أعلاه موضع للنسوة مقرون بمنصة المؤذن ، أما الجانب الداخلى لهذا القسم فهو ساحة واسعة ، وهو بمثابة قاعة السماع مفروشة ومؤثثة بأخشاب لامعة براقة غير ذات فرج تتخلل أجزاءها. وثمة موضع آخر محاط بدرابزين خشبى ذى قلنسوة ، وهو ثاو فى الجهة اليسرى لقاعة السماع ، ويوجد اليوم فى هذا المكان أربعة صناديق متعاقبة على التوالى ، فالصندوق الأول منها يخص"فروني دده" ، وتفيد إحدى الروايات أن هذا الرجل هو طباخ "محمد جلبى آتش باز"أما الصندوق المجاور له فيخص كلا من كمال وجلال جلبى ، وهما من شلبية قره حصار ، ورشيد جلبى وهو من شلبية قونية ، وتقول إحدى الروايات إن محمد رشيد جلبى كان يعمل خادما للضريح ، كما عهد إليه كذلك مهمة لف العمائم الموجودة في الصناديق الكائنة بمتحف قونية إبان عام ١٩٥٠ م .

كما اضطلع بنفسه بتشييد التكية المحترقة سنة ١٨٩٢ م فأقامها من الخشب وبماله الخاص ، وقد توفى أحمد كمال الدين أفندى سنة ١٨٩٢م ، ومات عالى جلال الدين أفندى كذلك سنة ١٩٠٨ م وقد احترقت هذه التكية مرة أخرى إبان عهد جلال الدين جلبى ، ثم شيدت إبان عصر عبد الحميد الثانى.أما الصندوق الثالث فيخص الشيخ مراد أفندى شقيق شهيد عالى أفندى من الشلبية ، والصندوق الرابع يثوى أعلى قبور "مجنوب باقى أفندى".

وهذه الصناديق الأربعة الموجودة بإزاء بعضها البعض تجاه المسجد وعلى امتداد قاعة السماع ، ولا تنفصل عن هذه القاعة بدرابزين ، ثم يأتى بعد ذلك صندوق كبير منتصب فوق قاعدة خشبية أعلى من قامة الإنسان ، ويثوى"ديوانه محمد

جلبى"فى هذا القبر الموجود تحت هذا الصندوق وقدم السلطان محمد الخامس هذا الصندوق هدية منه ، وهو مزين مزخرف بخيوط حريرية صفراء ، وطرزت حاشيته الأمامية بالخيوط الحريرية داخله تعليق مكتوب عليه " حضرت مولانا "وقد غطى بغطاء مزين مزخرف من القطيفة الخضراء المحتوية على قلنسوة ملفوفة معممة. ويوجد تحت هذه القلنسوة تعليق جميل مطرز بخيوط القصب مكتوب عليه هذا البيت الذى يقول معناه "حتى إذا أقبل المسيح على حافة رأسى ، فلا تحسبن أن الهدية منك تداوى غصتى وآلامى ".

فلمن هذا البيت الذى يعد بمثابة ترجمان لسائر الأحوال النفسية "لديوانه محمد جلبى "؟ ومن أين اقتبس ؟ وأى امرئ هذا؟إنه إنسان عارف كامل انبهر بهذا البيت الذى ساقه واختاره لهذا الغطاء .أنا لاأعلم من يكون ، ومن المحتمل أن يكون هذا البيت قد استكتب بنصه هذا ، وثمة احتمال آخر أن يكون هذا البيت "لديوانه محمد جلبى"، وثمة أقوال أخرى بأن الحديث نقل على هذا النحو وسنده فاسد غير صحيح ، بيدأن معناه صحيح ، ويطلقون على هذه الأحاديث بالمعنى والرأى عندنا أن معنى هذا البيت ينتسب إلى ديوانه محمد جلبى مهما يكن قائله.

ثم تأتى بعد ذلك قاعة السماع التى تنفصل عن الجامع بدرابزين ، ويتم الانتقال إلى هذا القسم من باب ذى درابزين موجود قبالة محراب الجامع مباشرة ، وهو بمثابة الثلث قياساً بقاعة السماع . وثمة منبر بإزاء المحراب المواجه للمسجد وتنقسم الجهة اليسرى بدرابزين ، كما يوجد صندوقان فى الجهة الخلفية لهذين الصندوقين الآخرين . وثمة صندوق كبير موجود بإزاء قبر ديوانه محمد جلبى ، ويدعى"عبابوش ولى بالى محمد جلبى"وهو مغطى بغطاء من القطيفة الحمراء وكتبت فى جهته اليسرى من الداخل " فاعلم أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وقد اضطلع السلطان عبد الحميد الثانى بإهداء هذا الغطاء سنة ١٣١٠هـ = ١٨٩١م . ويرقد فى هذه المقبرة كذلك كل من : خضر شاه جلبى و إلياس جلبى وشاهدى ، وجميعهم قبالة المحراب .

وثمة شخص آخر من الشلبيين يدعى "باقى أفندى" وهو مدفون كذلك فى مقبرة "شاهدى" ودفن كذلك محمد فريدون بن الشاه إسماعيل على حافة قدم سلطان عباس بوش ولى ، وعلى يمين ديوانه محمد جلبى ، ولا صندوق له وتوجد كذلك كل من "بهار ابنة كمال الدين جلبى ، ومطهرة ابنة ضياء جلبى " وهما راقدتان فى القبر المبطن بصندوق والكائن فى الجهة الخلفية لإلياس جلبى ، أما الصندوق الموجود عند طرف قدم صندوق شاهدى فإنه يخص كلاً من رضا وبهار جلبى .وتوجد قبور منهدمة مجهول أصحابها ثاوية داخل الجدار الأصلى بإزاء جدار آخر كائن خلف القسم المؤدى إلى الصندوق الأخير بعد الصندوق المجاور لقبر "فرونى دده " . بيد أن ثمة طائفة أخرى ينحدر نسلهم من سلالة ملازاده ، ومنهم محمد نورى باشا .وصادق بك جلبى وأبوه سليمان بك وولده عالى بك ، وهؤلاء جميعا لا يعرف أحد المواضع التى دفنوا فيها ، ونعلم كذلك أن من بين هؤلاء المشهور "كوجك مصطفى دده" الذى كان يعيش إبان القرن الخامس عشر الميلادى والذى اضطلع بتلحين شعيرة دينية من مقام البياتى ، أما الجهات العليا لهذه الصناديق فهى على شكل محدب حاد ، غير مثلثة ، وهى على شكل سلجوقى مستدير تشبه تمام الشبه ما هو موجود فى مقبرة "مولانا"، واليوم غطيت أعالى هذه الصناديق بغطاء أبيض اللون بغية تأمين وحماية أغطية كل من "عبابوش ولى"و"ديوانه محمد جلبى"من التحلل والفساد.

حالة المولوية والتكايا فى الوضع الراهن :

اضطلع محمد بكر جلبى الذى كان شيخا على تكية حلب بتأسيس مقام الشلبية فى حلب بعد وفاة عبد الحليم جلبى سنة ١٩٢٥ م وذلك فى أعقاب القضاء على الطرق الصوفية واستئصال شأفتها داخل حدود الجمهورية التركية ، وقد تم التصديق على إنشاء هذه التكية من قبل حكومة الانتداب الفرنسية الموجودة فى سوريا آنذاك وعلى هذا النحو باتت التكية الكبرى فى حلب بمثابة مركز آخر لتكايا المولوية ، وأصبح عزل وتعيين مشايخها يتم عن طريق هذا المركز ، وعلى هذا فقد توفى شيخ الشام "سعيد دده" وتم تعيين ولده شمس الدين دده ، كما تم تعيين محمد أنور دده ليحل محل الشيخ شفيق دده وشيخ التكية المولوية فى طرابلس الشام عندما وافته المنية .

وقد استمر هذا الوضع منذ سنة ١٩٢٥ حتى سنة ١٩٤٤ م، وكانت وفاة بكر جلبى فى إستانبول سنة ١٤٩١م مما حدا بالحكومة السورية إلى القضاء على امتيازات هذا المنصب والقضاء على مقام الشلبية بناء على الاستقلال الذى قدمته الحكومة الفرنسية إلى سوريا ، ثم ما لبثت أن وضعت يدها على أوقاف التكية المولوية فى حلب وعلى غيرها من أوقاف التكايا المولوية الأخرى ، وأصبحت سائر التكايا تابعة للمديرية العامة للأوقاف . وقد خصص فى الوقت الراهن راتب شهرى لشيوخ التكايا الموجودين على قيد الحياة لا ينقطع حتى مماتهم ، كما تم تأمين نفقات التكايا الأخرى عن طريق دائرة الأوقاف .وهكذا أصبحت التكايا لا تضطلع بتعيين شيخ ليحل محل الشيخ الذى وافته المنية ، وباتت هذه التكايا ملكا خاصا للأوقاف بعد أن تم تصفيتها مع مرور الزمان واحدة تلو الآخرى .ولما توفى بكر جلبى لم يتم التصديق على قبول ولده جلال الدين لمقام الشلبية ، وتبوأ أخوه شمس الواحد جلبى هذا المنصب مدة عام عقب وفاة أخيه الذى كان وكيلا فى حلب وعلى هذا أصبح هو آخر ممثل لهذا المنصب .كان الملاحوم واحد جلبى قد تفضل بإتمام معلوماتنا التى سقناها آنفا بين ثنايا خطاب مفصل كان قد أرسله إلينا ، وقد بين فى هذا الخطاب حالة المولوية آنذاك عن طريق الملاحظات التى سترد فيما بعد والمتصلة كذلك بتكايا المولوية خارج حدود الجمهورية التركية (١٢).

تكية حلب الكبرى :

استحوذت المديرية العامة للأوقاف على التكية الكبرى فى حلب بعد مدة قصيرة من وفاة بكر جلبى ، وقد اضطلع شخص عربى من المحبين لمديرية الأوقاف بتعيين أحد الشيوخ وكيلا على التكية ، وكان يوجد فيها خمسة شيوخ من العجائز ، وكانت معايشهم فى شكل بسيط يتسم بشدة المتربة ، فتم تأمين هذه المعايش من قبل إدارة الأوقاف ، وتم منح كل واحد منهم خمس ليرات سورية كل شهر ، وكان غلق التكية مرتبطا بموت هؤلاء الشيوخ لعدم قبول مجاورين جددفيها.

أما التكية الموجودة فى قاعة السماع فقد سلبت ونهبت إبان إثارة الفتن وانتشار الفساد ، كما أزيل الدرابزين الحديدى الذى كان يحيط بها من كل جانب وتحول إلى مسجد ، وكان يوجد فى حلب قرابة ثلاثين من مريدى المولوية ، وهؤلاء كانوا على علم قليل بممارسة السماع ، وإذا ماعقد مجلس الذكر فإنهم كانوا يلفون ويدورون على هيئة غير ذات نظام متسق ، وهم يقرءون الإلهيات باللغة العربية ، وكان الذكر قد انعقد ما بين أربع إلى خمس مرات فى السنة الواحدة ، وكانوا يأتون إلى التكية فى ليالى الجمع والأثانين ،وكانت دائرة الأوقاف تؤمن لهم أماكن الطعام ، ويتقاضون ثلاث ليرات فى الشهر الواحد مقابل الاضطلاع بهذه الخدمة .

زاوية الشيخ أبى بكر الوفائى :

هى زاوية مأخوذة من المولوية ، وأسست لتكون تكية قادرية، بيد أنها أغلقت تماما فى الوقت الحاضر ، وقامت دائرة الأوقاف بتأجير مشتملاتها قطعة قطعة لتكون بمثابة مسكن للإيجار .

التكية المولوية فى الشام :

كانت فى أجمل موقع بالمدينة ، وشيخها هو شمس الدين دده ، وكان يعيش بها قرابة خمس وعشرين إلى ثلاثين مريدا أسوة بمثيلاتها فى حلب .

التكية المولوية فى اللاذقية :

ثمة رواية ملفقة مزيفة تقول إن والدة الصوفى إبراهيم بن أدهم المشهور مدفونة فى مقبرة هذه التكية ، وشيخها هو رجب دده، ولها ثلة من المريدين المحبين .

تكية المولوية فى طرابلس الشام:

شيخها هو " أنور دده" ورغم أنه غاليبولى إلا أنه اصطبغ بالصبغة العربية الخالصة.

تكية المولوية فى قبرص :

شيخها هو سليم الشامى دده الذى عينه بكر جلبى(١٤). أما التكية المولوية فى مصر فقد أغلقت من ذى قبل بسبب عدم التفاهم بين شيخ المولوية وإدارة الوقف ، وإذا أمعنا النظر مليا فى المعلومات التى قدمها شمس الواحد جلبى والتى تدور حول تكية المولوية فى بغداد لعلمنا من فورنا أنها قد أغلقت هى الأخرى قبل حين ، وقد استأصلت الحكومة السورية شأفة الطرق الصوفية بقرار اتخذته فى زمن قريب ، وقد عرضنا لهذه الحالة آنفا حيث أساءت بصنيعها هذا إلى الأسلاف والأجداد ، وإن من يفكر مليا فى هذا الأمر يجد أن هذا يذكر دون ريب بالذوق الصوفى والشعر والموسيقى والسماع والصفاء الروحى والنشوة الصوفية ، فلقد كانت هذه التكايا هى مصدر الإلهام على مر الزمان ، كما أنها كانت تمنح القلوب طمأنينة وسكونا وسلوة وعزاء ، إنها مثيرة للمشاعر ، مهيجة للأحاسيس ، مُسكِّنة مُبْكية باعثة على الإمعان والتفكير ، وكانت المولوية على كل حال ذات نظرة ثاقبة سباقة للمدرسة الدينية ، وذات فكرة إنسانية حرة طليقة غير مقيدة ، مناقضة للفكر الضيق ، إنها ذات أدب رفيع وظرف ورقة بالغة ، مناهضة للتعصب الدينى ، كانت رقتها وظرفها مناهضة للغلظة، وهى بمثابة العطف والمرحمة المناهضة للغيظ والحسد ، وهى تمتلك تاريخا يعم كل العصور(١٥).

الهوامش

(١) انظر : مولانا جلال الدين : الطبعة الثالثة ، ص ٦٩ ، والملاحظة رقم ٣٦ الواردة فيها .

(٢) وهى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

(٣) قرأ الدكتور loyFved - ١١ . هذا النقش خطأ . قونيه : برلين سنة ١٩٠٧ ص ١١٧

(٤) توجد معلومات جد متقنة ، بارعة فى مؤلف نورى أبى السعود أوغلو الذى لما يطبع بعد وتتصل اتصالا مباشرا بتكية « قوله قاييسى » كما توجد معلومات منقحة مستثناة فى كتاب « حديقة الجوامع » .

(٥) انظر ما ورد بشأن تكية المولوية فى بكتاش فى كتاب « حديقة الجوامع » (جـ ٢ ، ص ١٠٤ – ١٠٩) .

(٦) كملة تركية تعنى فى العربية متآمر مخادع محاتل مدير المكيدة (المترجم).

(٧) كلمة مزارلق فى العربية جبانة ، وتجمع على جبابين (المترجم) .

(٨) مكان توضع فيها النعال ، ويسمى بالتركية pabuculuk (المترجم) .

(٩) درهما همه بستند الأدرتو ∴ تارة نبرد غريب إلا برتو

أى دركوم وعزت ونورا فشانى ∴ خورشيد مه وستار كان شاكرتو

(١٠) دارا : هو لقب كيكباد أحد حكام فارس (المترجم) .

(١١) آصف : هو وزير سيدنا سليمان واشتهر بالعدل ورجاحة العقل (المترجم) .

(١٢) مانى : هو رسام فارسى مشهور (المترجم) .

(١٣) هى رماد الجبل وتسمى بالتركية ألجى (المترجم) .

(١٤) إن هذه المعلومات التى قدمها وحيد جلبى لتبين الحالة التى كان عليها المولوية إبان عام ١٩٥٠ م .

(١٥) كان مجيبا بإخلاص على خطابنا وموضحا لنا الوضع الأخير لهذه التكية ، وإننا نقدس ونعظم ذكر المرحوم وحيد جلبى الذى أرسل لنا صورا شمسية متعددة تخص زاوية أبى بكر الوفائى والتكية المولوية فى حلب .

(١٧) اعتنقت الإسلام طالبة اسمها chaa men moo وهى إحدى طالبات كلية الجغرافيا والتاريخ بجامعة أنقرة ، وتعمل معلمة للغة الإنجليزية بمدرسة OPTU ثم أصبحت مولوية بعد ذلك وسميت باسم "خدايي يارى" ثم شرعت فى عمل رسالة بشأن تكايا المولوية وقد أفادت من كتابنا هذا ، وإذا ما نشرت هذه الرسالة فلسوف تتم وجوه النقص والتقصير عندنا ، وسنلقى الضوء أكثر فى هذا الصدد ، ونتمنى لهذه الباحثة التوفيق والسداد.

القسم الثالث :

آداب المولوية ومبادئها

الفصل الأول

السماع والذكر (شعيرة اللف والدوران)

منصب الشلبية وتعيين الشيوخ - ذكر المولوية - دعاء المقام - عصر سلطان ولد- السماع والسلامات - كم يستغرق الذكر من الوقت بهذا الشكل الأخير،أفكار المولوية المتصلة بالذكر - ظهور السماع وبداية الذكر.

(١) منصب الشلبية وتعيين الشيوخ :

نشأ منصب الشلبية نتيجة متمخضة عن العمل كما قلنا آنفا .وجاء بعد جلبى حسام الدين كل من سلطان ولد ثم أعقبه من بعده أولاده الذين كانوا بمثابة تمثيل حقيقى للمولوية ، واستقر عرف ثابت يقضى بانتقال المشيخة فى تكية مولانا من ولد إلى آخر أو من كبير العائلة إلى كبيرها الذى يخلفه ، وهكذا دواليك ، ثم قوى هذا العرف واشتد فى تعيين أحد الخلفاء من إحدى العائلات فى الحقب المبكرة لحياة الشلبيين .وفى الوقت نفسه كان صاحب هذا المنصب يلقب باسم السلالة وهى" جلبى على الرغم من الاختلافات التى ظهرت بين ظهرانى العائلة بسبب الوقف على وجه الخصوص ، وثمة شخص واحد استطاع أن يتبوأ مقام الشلبية من ناحية الأم فقط ، ونعنى به عارف جلبى الذى حل محل أبى بكر جلبى[١] وهكذا كان يتم تعيين الشخص الذى تبوأ مقام الشلبية إبان العصور المبكرة للمولوية ، بيد أن من يدعى "ضابط" التكية "كان يرتبط ارتباطا وثيق العرى بشيوخ وأكابر المولوية، ولانعلم أن شيخ

الإسلام كان يضطلع بدور فى التصديق أو الرفض على هذا التعيين ، وكان هنالك نزاع وشجار محتدم بين الشلبية حول هذا المنصب ، ثم ظهرت مؤسسة تتدخل فى هذا الأمر وترتبط ارتباطا وثيقاً بالمولوية ، ثم تقوض هذا الاستقلال ، ولكن جلبى كان يعين طريق الإدارة السلطانية ، وكان هذا التعيين يعرض على مشيخة الإسلام عقب تأسيس ما يعرف بمجلس الشيوخ والذى كان يعتبر هذا المنصب بمثابة مقام علمى دينى ، وبعد تصديق شيخ الإسلام يصدر أمر السلطان ثم يتم تبليغ جلبى بأمر تعيينه ، ولا نملك فى حوزتنا أية وثيقة تدور حول تصديق جلبى على مشيخة الشيوخ إبان تلك العصور المبكرة .

وإذا كان القائم على أمر الخلافة شيخًا مولويًا فإنه يقدم المشيخة لأى واحد من هؤلاء ، ويتوجب عليه أن يرسل إلى هنالك ، كان جلبى يحاط علما بهذا التعيين ويتم قبوله ولا سيما بعد أن تم تأسيس المولوية باعتبارها طريقة مركزية ، بيد أن المتأخرين شددوا فى تعيين الشيخ ، فإذا ما مات الشيخ وكان له ولد فإنه سرعان ما يستخلف أباه ويحل محله ، وإما أن يعين واحد من العائلة من ذوى الكفاءة والأهلية ، كما أن الشيخ يتم تعيينه حتى ولو كان طفلاً صغيراً ، بيد أن أحد الشيوخ يوكل إليه أمر المشيخة حتى يبلغ الطفل ويكبر ، وقد نجم عن هذا التعامل بقاء الشلبية ويتنقل من الأب إلى الولد ، وقد ألغى أساس التعيين من أولئك الشيوخ الذين أصبحوا أصحاب حجرة والذين يقضون فترة المكابدة والمعاناة فى صومعة التعبد ، وحل محله أساس عملى قائم على السهولة واليسر ، فالشخص الذى سيكون شيخًا يذهب إلى تكية مولانا ، ويقوم على الخدمة مدة ثمانية عشر يوما ، ويقف خلال هذه المدة تحت غطاء صندوق مولانا ، ويقوم على الخدمة مدة ثمانية عشر يوما، وقلنسوته ملفوفة معممة ، وبعد انقضاء ثمانية عشر يوما يُلبسه جلبى القبعة مكبراً ويقدم له شهادة المشيخة ، وإذا كان الشيخ المعين موجودا فى قونية فإنه يقدم نفقات المطبخ لتلك الليلة . وإذا ما حل المساء دخل جميع الشيوخ الميدان باستثناء الشيخ الجديد ، ويؤكل الطعام فى الميدان ، وتشرب القهوة ، وبعد ذلك يأخذ الشيخ المشرف على الذكر الشيخ الجديد إلى الميدان . ثم يلتقى الشيخ أولاً بشيخ الطريقة الموجود جهة اليمين ثم يلتقى بعد

ذلك بالشيوخ الموجودين جهة اليسار ، ثم يأتى ناحية الوسط ويقف للتحية ، ثم يرفع عقيرته بالدعاء قائلاً:

"بارك الله الوقت الشريف وليكن فاتحة خير ودفع الله الشر وبارك الله الخدمة المباركة لمشيخة أخينا الدرويش ، تقبل الله الدعاء وزاد لحظات البشر والصفاء ، ولنتفوه بأنفاس حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم الإمام على ، ثم ينحنى الجميع فى خضوع مذعنين . يذهب الشيخ الجديد فى هذا المساء إلى زاوية شمس ، ويرقد هنالك ويمكث فيها يومين زيادة إذا رغب فى ذلك ، وإذا لم يرغب فإنه يولى وجهه شطر تكيته ، ويتوسع فى هذه المراسم إذا توجب عليه تكليفه بمشقة وعنت الذهاب حتى قونية ، ويضطلع الشخص الذى بات شيخا بالخدمة فى التكية والمطبخ مدة ثمانية عشر يوما ، وبعد انقضاء هذه المدة يجهر شيخ الطهاة بالدعاء سالف الذكر على باب المطبخ . ويصبح شيخا على هذا النحو من ناحية الطريقة ، ويتم هذا عقب المراسم الرسمية ويسمى هذا" العبور من الباب ".

وإذا صدقنا ثاقب دده فإنه عندما ذهب جلال الدين أرجون جلبى إلى قره حصار كلفه " عبابوش ولى " بالخدمة مدة ثمانية عشر يوما ، ثم يُلبسه عباءته " فى أثناء الأيام المعدودات التى هى ميقات المولوية وبعد إتمام لوازم الاحترام وتكميل مراسم الإكرام " ، ثم يولى أرجون جلبى وجهه فى اليوم الثامن عشر شطر كوتاهية (٢) .وإذا أمعنا النظر فى هذا رأينا أن ثمة احتمالا يقول بوجود قاعدة تقضى بالخدمة مدة ثمانية عشر يوما قبيل قبول فترة المكابدة والمعاناة التى تدوم ألف يوم ويوم ، ولكن إذا كان الشيوخ من ذوى الأهلية والكفاءة فإنهم يحظون حينئذ بمقام المشيخة فى يوم ما ثم يقبلون على حالة من المعاملة فى المشيخة بعد أن يساقوا بطبيعة الحال يحدوهم الأمل إلى الإحاطة بالسكينة والطمأنينة والهدوء وراحة البال ، ويظل هذا الحال من الأب إلى الابن ، ويكون بلوغ هذه النعمة عقب الخدمة فى التكية مدة ثمانية عشر يوما دون قضاء فترة المكابدة والمعاناة ، وكانت هذه هى الكيفية ضد طريقة الشيوخ التى تتم على هذا النحو. وفى العصور المتأخرة كان الشيخ الذى يتم تعيينه ولاسيما من تكايا إستانبول يؤتى به إلى زاوية "آتش باز " أو فى مقام شمس ، ثم يؤتى بشهادة المشيخة وتوضع فى زاوية أسكودار أو تكية ينى قابى ، ثم يذهب الشخص المعين

شيخا إلى هنالك ، حيث يقومون سويا بزيارة شيخ الإسلام أفندى ، ثم تؤخذ شهادة مشيخة الشيخ وخرقة الشخص الذى جلبها ، ثم يصافح شيخ الإسلام كليهما ، وبعد ذلك تقدم رسالة المشيخة إلى الشيخ الجديد بعد قراءتها وعند الخروج يقوم شيخ من الحضور أو صبى المدرسة بإلباس الخرقة للشيخ . ثم يتوجه الشيخ من هنالك مباشرة إلى التكية ، ويدعو شيوخ الطرق الأخرى لحضور يوم الذكر ، ثم يدخلون بدورهم إلى قاعة السماع ، وتتلى رسالة المشيخة بصوت عال فى قاعة السماع ثم تقدم إلى الشيخ ، وبعد ذلك فإن الجالب لرسالة المشيخة يتبوأ منصب المشيخة ، وهذا يعنى أن الشيخ يلتقى بكل من هم موجودون فى قاعة السماع ، وهذا معناه أن يسير أمامهم واحدا تلو الآخر ، مقبلا أيديهم ويقبلون يده فى نفس الوقت ، ثم يأتى بعد ذلك إلى مقام المشيخة حيث يبدأ الذكر . أما الشيخ الجديد فإنه يقدم هدية إلى من جلب رسالة المشيخة واضطلع بهذه المهمة ، ثم يرسل بعد ذلك هدية قيمة إلى كل من جلبى والشيوخ ومقبرة مولانا ، وبعد الفراغ من هذه المهمة يكون جالب رسالة المشيخة ضيفا على التكية لبضعة أيام ، ثم ينتقل ثانية إلى " أسكودار " ، وبعد فترة من الزمن يتحرك صوب قونية ، ويودعه الشيخ الجديد وسائر الشيوخ الآخرين.وكان من عادة الشيوخ اضطلاعهم بإرسال قدر من المال ومما تغله الأرض من الثمار إلى مقبرة مولانا فى كل عام ، ويذكر "سرطارق محمد فهمى دده " أنه وجد فى الأرشيف خطابا مختوما بالخاتم يفيد بان شيوخ المولوية كانو يقدمون الهدية كل عام الى جلبى وإلى الشيوخ المكلفين برعاية التكايا ، وإذا ارسل الخطاب إلى شيخ فإن هذا معناه أن البامية المرسلة من جهته ليست نافعة أو جيدة ، مع التنبيه عليه بأن تكون البامية المرسلة كل عام حسنة جيدة، وإن إرسال السكر و سائر الهدايا يكون إلى الشيخ فحسب،مع عدم التخلى عن هذة العادة القديمة والتوصية كذلك بتوصيل هذة الأشياء المرسلة حتى شهر رمضان (٧ شوال ١٢٢٦ هـ) وثمة خطاب آخر يحمل خاتم (نسيب المولوى)[٣] ، ليؤكد بذلك الخطاب المرسل من قبل"سر طارق فهمى دده"اما البامية وغيرها من الأشياء المرسلة عن طريق إستانبول فقد أصابها التعفن والفساد فى أركان نزل الضيافة كما أن النقود التى كان يريد إرسالها إلى الشيخ لم يصل منها شيء حتى الآن ، والأشياء التى ترسل كل عام لم تأت فى موعدها المحدد

وكلما مر ذكر اسم شيخ جلبى الذى لم يرسل هذه الأشياء فإنه يتم البحث فى أمر عزله ، ويتحدث كذلك فى شأن رعاية الرائحين والغادين ، وإن تكية المولوية " غلطة " كانت ترسل قدرا كافيا من البامية الجيدة مقرونة بالهدايا الأخرى ، ويذكر كذلك أنه كان يتم إرسال هذه الأشياء بواسطة الدراويش الموجودين فى منطقة "مصر جار شى سى " أى سوق الأذرة ، وتنقل بواسطة الدرويش إسماعيل " ٢٢ شوال ١٢٦٦ هـ " . ألم يكن التهديد الموجود فى الخطاب الثانى فى محله تماما وعلى حق ؟ هكذا كان الحال دائما ، فحيثما وجد شيخ فإنه يأكل ويشرب من وقف الله ، فأى شيء أكثر راحة من هذا ؟ فالبامية الموجودة فى الدولة كثيرة وجيدة ، وهكذا فإن هناك تسوية فى المعاملة ، إنه لا يرسل البامية والهدايا . وإن من يسلك طريق مولانا وهدة غير عميقة الأغوار .

الذكر المولوى (شعيرة اللف والدوران) :

جاءت كلمة " مقابلة " بمعنى الا ستقبال ، ثم استعملت بعد ذلك لدى سائر الطرق الصوفية وعند المولوية على الخصوص . وثمة قيام لدى طائفة من الطرق الصوفية التى تتخذ من أسماء الله الحسنى شعيرة لها والتى يقول عنهم المولوية الطرق الصوفية ، وهذا يعنى أنهم يكونون أثناء الذكر واقفين ، وثمة طائفة أخرى من الدراويش يذكرون الله وهم جلوس ، أما الموجود عند المولوية فإنهم يقفون على شكل حلقة يقابل بعضهم بعضا ، وهى عادة متبعة يتم فيه التحية حيث يواجه بعضهم بعضا أمام مقام الشيخ ، وهى شعيرة موجودة كذلك فى عصر سلطان ولد ، وإن كلمة "مقابلة " نشأت من هذه الناحية على أنها مصطلح ، ثم استخدمت بعد ذلك بمعنى الطقس أو الشعيرة . يقام الذكر أو شعيرة اللف والدوران فى قاعة السماع ، وإن هذه القاعة كما بينا ذلك إبان تفصيل القول عن تكايا المولوية – تحتوى فى الأعم الأغلب على المقبرة ، وعلى حافتها بناء متسع منفصل قائم بذاته يخصص للمتفرجين ، ويخصص هذا الموضع للسماع الأصلى ، وهو مؤسس بخشب مزخرف مزين متاخم لبعضه البعض تماما . وتوجد حجرة المطرب التى يصعد إليها بسلم فى

الجزء العلوى لحجرة السماع . وكان الذكر"شعيرة اللف والدوران" يقام فى ليلة مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، أى فى الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول ، وفى ليلة الجمعة الأولى من شهر رجب ، وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب "ليلة الإسراء والمعراج" ، وفى ليلة الخامس عشر من شهر شعبان ،وفى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان " ليلة القدر " ، وفى ليالى عيد الأضحى وعيد الفطر ويوم عرفة ، كما كان هذا الذكر يعقد عقب صلاة الظهر نهارا ، وصلاة العشاء ليلاً ، ولكل تكية أيام أخرى للذكر ،أما أيام الذكر بالنسبة لتكايا المولوية فى إستانبول فهى على النحو الآتى :

الجمعة : غلطة "قوله قابيسى" ،السبت : أسكودار : الأحد : قاسم باشا ، الإثنين : ينى قابى ، الثلاثاء "قوله قابيسى " – الأربعاء (بهارية) ، الخميس "ينى قابى" ومع هذا فإنه إذا اجتمع الأخوان أحيانا فإن مجلس الذكر يمكن أن يعقد فى اليوم الذى ليس فيه ذكر . أما يوم الذكر فى تكايا المولوية الكائنة فى الخارج فدائما يكون يوم الجمعة ،وكان الذكر فى "قونية " يعقد يوم الجمعة ، وكانت الجمعة تصلى فى مسجد السليمية ، ثم يذهب كل شخص بتنورته وخرقته إلى الصلاة ، ويتم الدخول مباشرة إلى قاعة السماع عقب الصلاة ، ثم يعقد مجلس الذكر .

ويجتمع الإخوان فى موعد ليس فيه ذكر كما تفيد الرواية سالفة الذكر ، ويكون هناك وجد صوفى وصفاء روحى فى أثناء المسامرة والمنادمة ، ثم ما يلبث الشيخ أن يأمر الدراويش والمتعهد بالذكر لإخبار المريدين، فيأتون من فورهم إلى قاعة السماع ، ثم يعقد الذكر ، وبعد ذلك كان السلطان محمود الثانى يأتى إلى تكايا المولوية فى أى وقت من الأوقات ، ثم يشرع على الفور فى عقد مجلس الذكر ، ولم يكن مجلس الذكر يعقد بسبب بلوغ نهاية الوجد الصوفى ولكن بسبب مجيء السلطان ، ولم يكن كثير من المولوية يستحسنون ذلك ، وكان الشيوخ يجتمعون ويتفرقون فى كل تكية فى يوم الذكر ، وعلى كل حال فإن السلطان يأتى بعد أن يحيط مقام الشلبية علما ، وكان المولوية يعرضون قائمة بالأيام التى يعقد فيها مجالس ذكر المولوية عقب صلاة الظهر فى عرش السلطان ، وعندما يأتى السلطان فإنهم يلغون عقد الذكر (انظر فى هذا الصدد: عبد الباقى جلبنارلى :مائة سؤال فى التصوف : دار نشر الحقيقة : إستانبول ١٩٦٩ م ، صحيفة ١٦٣ – ١٦٤).

الطريقة التى يعقد بها الذكر :

يأتى أحد المريدين قبل أوقات الصلاة فيتجه نحو الجهة العليا للممر الموجود بين الحجرات ، وتكون الأصابع مفتوحة ، ثم يضع أطراف أصابعه فوق كتفيه وصدره فى صورة متقاطعة شريطة أن تكون ذراعاه مفتوحتين ، ثم يضع أصبع إبهام القدم اليمنى فوق إبهام القدم اليسرى ثم ينحنى إلى الأمام بعد أن يحنى رأسه ، ويلقى التحية واقفا ثم يسحب نفسه ما وسعه ذلك حتى أخر نفس ويقول " هو - صلاة " ، أو يصيح قائلاً " وقت صلاة يا هو " .أما السامعون لهذا الصوت فإنهم يتوضئون ثم يلبسون تنوراتهم ، وثمة طاقات ورد تشبه ثيابا قصيرة تلبس فوق التنورة ، ويتمنطقون بالسراويل ، ثم يخلعون جواربهم ويلقون بخرقهم الرسمية فوق أكتافهم ثم يستعدون ، وفى تلك الآونة يحين وقت الصلاة فيؤذن لها .وبعد الصلاة يفتح المتعهد بالذكر أو أحد المريدين المؤتمرين بأمره باب الحجرات واحدة تلو أخرى ، ثم يتفوه بالهجاء"هو" بصوت ثقيل ، ثم يقول دون صياح"تفضلوا يا هو "وبناء على هذه الدعوة ينهض كل شخص ويذهب إلى قاعة السماع . ولا تراعى الأقدمية عند الدخول إلى قاعة السماع ، فمن يأتى أولا يدخل أولا . ولكن الداخل يقف فى مكان ما بأحد الأركان بحسب أقدميته ، وعند الدخول إلى قاعة السماع ينحنى المريد واضعا يده على الصدر عند الباب الداخلى ، وهذا يعنى أن المريد الآتى إلى الباب يقف عند مدخل قاعة السماع ، ثم يضع أصبع إبهام قدمه اليمنى فوق إبهام اليسرى ، ثم يحنى جسمه بدءا من خصره بصورة يتم فيها التدنى تجاه صدره مع انحناء رأسه أكثر وأكثر ، ويكون وجوده فى منتصف الباب تماما ، ويتمدد مستويا تجاه منتصف مقام الشيخ مع عدم وطأ خط الاستواء المرئى بصورة ينحنى فيها إلى الجهتين اليمنى واليسرى للباب ، ثم يدخل إلى القاعة بقدمه اليمنى ويذهب إلى حيث ينتهى به الوقوف ، ويحنى رأسه للتحية ويختم بقدمه ، وهذا يعنى أنه يقف واضعا إبهام رجله اليمنى فوق إبهام اليسرى ، وإن أقدس مكان هو أكثرها قربا من مقام الشيخ .

أما أماكن الداخلين إلى الطريقة حديثا فهى تلك التى تكون قريبة من الباب ، أما مريدو المطبخ ونعنى بهم من يكابدون كثيرا فإن كل شخص منهم يقف فى الجهة السفلى وفى الأماكن القريبة من الباب ، وعلى هذا فإن الداخلين إلى قاعة السماع ينتظرون فى المكان المفروش بالبساط والحصير الذى يحيط بقاعة السماع ، ويكون قائد السماع فى أقرب مكان من الشيخ ولا يرتدى أكمام خرقته أحد سواه . أما الخرق الرسمية فتكون فوق الأكتاف وتتدلى أكمام الخرقة من الجوانب إلى أسفل ، ثم يأتى الشيخ بعد دخول كل الأشخاص فيحنى رأسه على الباب محييا على نفس الشاكلة ، وبينما هو كذلك إذ يسرع كل شخص من فوره فينحنى على الأرض فى نفس اللحظة محييا .

يتوجه الشيخ إلى مقامه ويقف للصلاة ، ثم يلبس كل شخص أكمام خرقته ويسير موليا وجهه شطر منتصف قاعة السماع ، وتنتظم الصفوف وتبدأ الصلاة ، وعند صلاة النافلة يقرأ المنشد سورة الإخلاص ثلاث مرات بحسب الأصول المتبعة للمسجد ، ويقرأ الفاتحة ثم يقيم المؤذن الصلاة ، وينتقل الشيخ الإمام إلى المحراب وتؤدى صلاة الفرض فى جماعة .ولما كان مولانا جلال الدين لم يضطلع بالإمامة فإن شيوخ المولوية لم يضطلعوا بها كذلك (انظر:مولانا جلال الدين – الطبعة الثالثة ، ص ٢٣٢) . ويوجد أئمة لسائر التكايا ، وبعد الفراغ من الصلاة والتسبيح والدعاء يقول الشيخ "فاعلم أنه" ويمدها بصوت ثقيل حتى آخر نفس فى صوته ، ثم ينطقون جميعا بكلمة التوحيد فى نفس واحد "لاإله إلا الله " ، وبعد النطق بالثالثة يقول قائد السماع أو أحد المنشدين وغالبا ما يكون المؤذن "وخاتم النبين والمرسلين محمد رسول الله حقا وصدقا وصل وسلم وبارك على أشرف نور ، جميل الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين " .وعندما يتفوه الشيخ بأول هجاء قائلا " الفاتحة" ما يلبث كل شخص أن يطبق على الأرض وكأنه يخر ساجداً فى الموضع الذى يجلس فيه ، ويقبل موضع السجود ثم ينهض خالعا ذراع خرقته وينتظر واقفا فى الموضع الذى كان موجودا فيه أول الأمر ، وفى نفس الوقت يقبل الشيخ موضع السجود ثم ينهض قائما واقفا فى مقامه موليا وجهه شطر قاعة السماع ، ويجلس قبالة المريدين مقبلا الأرض ثانية ، وما يلبث الشيوخ ممن هم فى معية الشيخ أن يقبلوا الأرض . وبعد الفراغ من

هذه الشعيرة يكون الموجودون فى قاعة السماع جاثين على رُكبهم ، ثم يقفون وخرقهم فوق ظهورهم ، ثم يفتح الشيخ كلتا يديه داعيا بدعاء مقام المشيخة حتى أن الذين يفتحون أيديهم من المريدين لا يُرون داخل الخرقة ، أما إذا كان الشيخ سيعلم المثنوى فإنه يصعد من فوره إلى منصة المثنوى دون الجلوس فى مقامه ، ثم يجلس المريدون قبالة المنصة متجهين إليها دون الذهاب إلى أماكنهم ، ثم يقرأ الشيخ دعاء المشيخة بعد الفراغ من تعليم المثنوى ، وعند نزوله من فوق المنصة ينسحب كل شخص إلى موضعه ، ثم ينتقل الشيخ إلى مقامه ، وعند جلوسه يهم الجميع بالجلوس مقبلين الأرض جميعا فى انحناء وهم فى وضع السجود .

وبعد دعاء مقام المشيخة ينشد المطرب مدح النبى عليه السلام ، والنعت هو مدح لمولانا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى غزلية مقترنة بالمديح وليس لها مناسبة ، ويسمى منشد النعت "نعت خوان " ، وينشد النعت واقفا مقترنا بلحن خاص يبدؤه بقوله "ياحضرة مولانا حق دوست " ويختم بقوله "ياطبيب القلوب يا ولى الله حق دوست " .

وبعد الفراغ من النعت يبدأ عازف الناى التقسيم من المقام الذى سينشده منه ، ثم يطوف على سائر المقامات ، ويصغى كل شخص إلى النعت والتقسيم وهو يحنى رأسه فى موضعه الذى يجلس فيه ، ويشترك فى خاتمة التقسيم ناى آخر بالترنم والغناء مع الناى الخفيف فى أثناء الدخول إلى مقام الإنشاد المقروء ، وعندما يتم الانتهاء من التقسيم تماما يقوم كل شخص فى معية الشيخ وفى نفس الوقت بضرب الأرض بشدة بيديه على حين غرة ، ثم ينهض واقفا على قدميه ، وفى أثناء ذلك تدخل الطبلة والنايات مع سائر الالات الموسيقية الأخرى فى المقدمة الموسيقية .

دور ولدى :DEVRE VELEDE

يبدأ "دور ولدى" إبان عزف المقدمة الموسيقية حيث يصطف كل الأشخاص أمام الشيخ بعضهم خلف بعض يتابعون المقدمة الموسيقية ، ثم يبدءون السير رويدا رويدا

وهم يرددون اسْم الجلال من حبة أفئدتهم وهم فى حال من الصمت المطبق ، أما القادم من الخلف فيقف فى الجانب الآخر من المقام ، ثم ينحنون وهم يواجه بعضهم بعضا ناظرين بين حواجب إخوانهم وفى وجوه بعضهم بعضا ، ثم يسير ويلف دون الالتفات إلى الخلف متجها إلى حجرة السماع الموجودة على يسار مقام الشيخ ، ثم يتخذ موضعه الموجود فى الخلف على نفس الشاكلة ، ويبدأ من تلقاء نفسه فى التضرع والدعاء مع المتأخرين . أما المريدون من المتدربين الجدد الموجودين فى آخر الصف فإنهم يتقابلون مع الشيخ ثم يؤدون التحية وهم يحنون رءوسهم ، هكذا تدار قاعة سماع ثلاث مرات ، وإذا وجد سائرون إلى المقبرة الموجودة فى قاعة السماع فإنهم يقفون حينئذ بإزاء مقبرة الشيخ وهم يحنون رءوسهم تحية وإجلالا ، ثم يمضون فى سيرهم بعد ذلك ، وإذا ما أتى سائر أمام باب قاعة السماع وبإزاء مقام الشيخ فإنه يقف أمام خط الاستواء ثم يحنى رأسه تحية واحتراما ، ثم يذهب فى طريقه دون أن يطأ خط الاستواء .

تتوقف بعد ذلك المقدمة الموسيقية وتظل على هذا الحال مقدار خمس أو ست خطوات حتى نهاية "دور ولدى" ، ثم يُعزف تقسيم صغير حتى يأتى الشيخ إلى مقامه ، وفى النهاية أى فى الأوبة الثالثة يعبر المريد إلى الجهة المقابلة لمقام الشيخ ، ثم يمشى ويقف ويحنى رأسه للشيخ دون ترقب أو انتظار ،لأن الشيخ فى الأوبة الأخيرة سوف ينتقل إلى مقامه ويقف . هكذا يأتى كل شخص إلى موضعه ، ثم يعبر الشيخ إلى مقامه ويلتفت قبالة المريدين منحنيا تجاه قاعة السماع ، ثم يهم المريدون من فورهم وهم فى معيته فينحنون فى المواضع التى يكونون فيها .

كانت جماعة مقام المشيخة تضطلع بدعوة شيوخ الطرق الصوفية الأخرى لحضور الشعائر والطقوس الرسمية وقراءة المعراج والمولد ، وكان هؤلاء يشتركون فيما يعرف "بدور ولدى" بمجرد علمهم به ، ومن ثم يذهبون إلى قاعة السماع ، وكان هؤلاء المشتركون فى " دور ولدى " المنسوب إلى سلطان ولد يحضرون إلى هذا المجتمع المكتظ يردون إليه وهم يصطفون اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة ، ويشتركون كذلك فى التضرع والدعاء مع المريدين الذين يأتون بنفس الأعداد سالفة الذكر .

السماع والموسيقى الصوتية للطقوس الدينية:

عندما يشرع المطرب فى إنشاد الطقوس الدينية عقب الفراغ من دور ولدى ، يهم المريدون من فورهم باستثناء قائد السماع فيمسكون خرقهم بأيمانهم ، وياقاتهم بأصابع إبهامهم ويلقون بهما على الأرض ، ثم يجعلون أذرعهم فى مستوى مسطح ، ويضعون كذلك إبهام أصابع أيديهم فوق صدورهم بصورة متقاطعة من أجل الإمساك بأكتافهم ويظلون بالتنورة، ثم ينحنى الشيخ ويطأطئ رأسه محييا ، يهب المريدون من فورهم منحنين معهم مطأطئين رءوسهم وهم يؤدون التحية ، ثم يخطو الشيخ خطوتين اثنتين ويأتى قبالة المقام ، وينشغلون جميعا بالتضرع والتوسل والدعاء .

يرتدى قائد السماع أكمام خرقته الموجودة فوق ظهره ، ثم يمشى ويأتى الشيخ ويطأطئ رأسه محييا الشيخ مقبلا يده ، وحينئذ ينحنى الشيخ محييا مقبلا قلنسوته ، هكذا تكون التحية لقائد السماع ، وفى تلك الآونة يشرع الشيخ وفى معيته قائد السماع فى التضرع والدعاء فى الأماكن التى يوجد فيها المريدون.

وبعد الفراغ من هذا التضرع يأتى قائد السماع قبالة الشيخ حيث يقف عن اليمين قليلا ، ثم يأتى عازفو السماع فيسيرون واحدا تلو الآخر ويحيون الشيخ على نفس الشاكلة ، ويقبلون يده البارزة قليلا من داخل خرقته .أما الشيخ فينحنى بدوره ويقبل قلنسوة المريد محييا وداعياً ، أما إذا كان عازف السماع مريدا ماهراً فإن قائد السماع يضع آنذاك قدمه اليمنى جانبا ، وهو بهذا يشير إلى انتقاله إلى الوسط .أما إذا لم يكن عازف السماع ماهرا فإن قائد السماع يضع قدمه جهة الوسط ويفتح الجهة الجانبية ، ثم يدخل عازف السماع إلى السماع فى الحافة.

إن الداخل إلى السماع يُنزل أكمامه من على كتفيه تجاه صدره رويدا رويدا ، ثم يخلعها مخلصا يديه من الوضع المتقاطع ويأتى بهما إلى الجانبين ، ثم يرفع الذراعين إلى أعلى تدريجياً بصورة متسقة وكأنه يفتح جناحيه ، وتظل مفتوحة على نحو متسق منتظم ، أما يد ذراعه اليمنى فتكون منتظمة مرتفعة صوب الرأس ، ثم يرفعها إلى أعلى على هيئة الدعاء ، ثم يُدلِّى يده اليسرى جهة الأسفل ، وتكون الرأس مائلة إلى

الجهة اليمنى ، ثم يولى وجهه تماما شطر اليسار ويغلق عينيه أو يفتحهما قليلا ويفتح التنورة إبان السماع ولسانه يلهج باسم الجلال من حبة فؤاده .وبعد أن يدخل مقدم السماع إلى آخر نغم فى السماع ينسحب الشيخ مرتدا صوب الجهة الخلفية تجاه المقام واقفا على قدميه مطاطىء الرأس محييا ، وينحنى قائد السماع صوب الشيخ محييا ويشرع فى الطواف بين ثنايا المريدين ، وليس من عادة قائد السماع أن يكون ماشيا ، بيد أنه ينبىء عن مشيه بارتطام قدمه بالأرض بخفة إلى جانبه ، ويضرب تنورته بعضها ببعض ، وهذا يعنى أنه يكون مترنحا متمايلا وهو يلبس تنورته التى يكون ذيلها موجودا فى الأمام والخلف ، وإذا ما وجد من يفسد السماع فإنه يحول بينه وبين ذلك بالسير أمامه ، وخلاصة القول أن كل هذا ليس إلا حماية وصيانة لنسق السماع ونظامه ، وعلى حين ينبئ قائد السماع عن قدومه بارتطام قدمه بالأرض فإن هذا يعنى عدم رفع نعله من على الأرض ، وعلى هذا النحو فإنه يضرب الأرض بالطرف الأمامى لقدمه دون إحداث صوت شريطة أن يُسمع الصوت فقط لمن هو موجود .

عندما ينتهى القسم الأول من شعيرة الذكر يشرع المريدون فى الترنم المتوافق مع مقام هذه الشعيرة ، وسرعان ما يقفون على الأرض متساندين إلى بعضهم البعض على هيئة جماعات مكونة من شخصين أو ثلاثة أشخاص حتى لا يقعوا على الأرض ، ثم يضعون أياديهم على صدورهم فى شكل متقاطع ويشرعون فى إلقاء التحية والسلام .هكذا ينتهى اللحن الموسيقى الأول" رأس السلام" ، وفى أول هذا اللحن الموسيقى لا يكون قائد السماع موجودا أمام مقام الشيخ ، ويمسك بالعمود كلما اقترب من المقام ، وهذا يعنى أنه يثبت قدمه اليسرى فى الموضع الذى يقف فيه ، وعندما يتقدم إلى الأمام قليلا وينتقل من أمام المقام فإنه بهذه الصورة يمر من أمام المقام .

ينحنى كل شخص فى بداية اللحن الموسيقى الأول وهو يطأطىء رأسه فى معية الشيخ محييا ، ثم يسير الشيخ بعد ذلك صوب المقام وهو يلقى التحية التى يردها عليه كل شخص .يتخذ قائد السماع موضعا له فى الجهة الأمامية للشيخ ، ثم يدخل عازفو السماع إلى قاعة السماع واحدا تلو الآخر أمام الشيخ محيين ، بيد أن اليد

لا تقبل فى هذه المرة ، ثم يبدأ قائد السماع فيبين لكل شخص موضع سماعه ، وإذا ما انتهى القسم الثانى للشعيرة تؤدى ثانية بعينها ، ثم ينتهى اللحن الموسيقى الثالث على نفس الشاكلة ، وفى اللحن الموسيقى الرابع يدخل الشيخ إلى السماع فى معية العازفين حيث يسير متقدما من موضعه فى المقام ، ويدخل السماع مطأطىء الرأى محييا ، ثم يأتى تحت الثريا الموجودة فى منتصف حجرة السماع حيث يعقد السماع وهو يمسك هنالك بعمود ، ولكن الشيخ لايفتح الذراع ، ثم يمسك بيده اليسر ى الجزء الأسفل من وسطه جاذبا الطرف الأيمن لخرقته عاليا حتى لا ينفتح إبان السماع ، أما يده اليمنى فتكون فى الياقة اليمنى لخرقته .وعندما تنتهى الشعيرة الدينية فى اللحن الموسيقى الرابع يبدأ تقسيم شىء واحد بعد المقدمة الموسيقية واللحن الإيقاعى ذى الدقات الست ، ولا يُسمع شىء قط سوى الصوت الذى ينبعث من الأقدام العارية للعازفين كلما لفوا وداروا فى أثناء السماع وذلك من أثر التقسيم الموسيقى ، ويمسك كل شخص بالعمود الموجود فى موضعه ، وهذا يعنى أنه يمارس السماع وهو غير سائر .

ويختلط صوت آخر مصاحب للناى فى النهاية مع صوت الناى الرئيسى ، وعندما يسمع الشيخ هذا الصوت يسير صوب مقامه وهو يؤدى السماع تدريجيا ، ثم يخرج منه مقبلا مكانه ، ويبدأ فى سماع أعوذ بالله والبسملة وقراءة العشر من المطرب ، أما عازفو السماع فإنهم يأتون بأذرعهم إلى أكتافهم فى المواضع التى يكونون فيها ، ويتخذون موضع التحية ، ثم يتركون السماع مقبلين موضع الجلوس ويظلون فى وضع الانحناء وهم متجهون صوب المكان . وبعد المقطوعة الموسيقية الثالثة تخرج طائفة من الأشخاص من أحد الأركان خارجين من السماع آخذين خرقهم واضعين إياها فوق أكتافهم ، ثم يجمعون من فورهم خرقهم الموجودة فوق الأرض ويلقونها فوق أكتافهم ، ثم يقذفون خرقة فوق ظهر كل شخص بمحض المصادفة .

أما قائد السماع مُعرق الجبهة المتعب الذى ألقيت الخرقة فوق ظهره فإنه يسرع من فوره متزملا بالخرقة جالسا تاركا وضع التحية والسلام .فإذا ما انتهى الشيخ من

العشر يقول " الفاتحة" ، ثم ينهض كل شخص على قدمه فى معية الشيخ ، وثمة شيخ آخر يضطلع بمهمة الدعاء ، وهو قائد السماع ، أو هو شيخ الطريقة فى قونية ، أو رئيس الطهاة فى التكايا الأخرى ، ويلبس أكمام خرقته ويعبر إلى الأمام موليا وجهه شطر الشيخ وهو يدعو .ثم تقرأ الفاتحة مرة ثانية ، ثم يرفع الشيخ بعد ذلك عقيرته بصوت جهورى ويقول : "الإحسان للأرواح الطيبة المسرورة الضاحكة والبركات الروحانية لحضرة مولانا سر شمس تبريزى ، ويحنى سائر المريدين رءوسهم مع الشيخ وهم يحيون قائلين بصوت عال "هو" ، وهذا هو ختام الذكر وشعيرة اللف والدوران(٤) .

يسير الشيخ من مقام المشيخة متجها صوب الباب ، فإذا ما دنا من الثريا الموجودة فى الوسط فإنه يقف ثم يطأطىء رأسه محييا قائلا "السلام عليكم" ، ويطأطىء كل شخص رأسه محييا فى معية الشيخ ، ويخرج قائد السماع من الجهة السفلى ومعه رئيس الطهاة أو شيخ الطريقة فيردان السلام قائلين "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" ويمدون الصوت فيها إلى أقصى درجاته .وعندما يعبر الشيخ الثريا يلقى السلام مرة أخرى وعلى نفس الشاكلة عند دنوه من الباب ، وفى هذه المرة يرد السلام أحد المطربين ، فإذا ما أقبل نحو قاعة السماع يلف ويدور ثم يحنى رأسه صوب الداخل محييا ، ويلقى كذلك التحية سائر المريدين ممن هم فى معية الشيخ . وبعد أن يخرج الشيخ يسير كل شخص بانتظام تجاه البا ب مرتدين إلى الوراء خارجين مطأطئين رءوسهم محيين .

ذكر التحية :

فى بعض الأحيان يرسل الشيخ أو واحد من مريديه أو محبيه أو أحد الزائرين أو العارفين بقواعد وأصول الزيارة إلى المريدين مع قدر من المال . وعدد التحية عند المولوية تسع تجمع مع تسع أخرى فتكون ثمان عشرة أو سبعًا وعشرين أو ستًا وثلاثين ، ويقدم قدر من المال إلى قائد السماع يشبه (المجيد)(عملة فضية ذات

عشـرين قـرشـا) ، وتـأتى هذه النقود إلى المطرب قبـيل الانتهـاء من المقطع الموسـيقى الأخـيـر وتتـرك فـوق الطبلة الخـاصـة برئيس الطبـالين.وبناء على هذا فـإن المقـدمـة الموسـيقية فى الذكر لا تُعزف ، ويقوم عازف الناى بعزف مقطوعة من مقـام "صجاه SGAH" ،ثم يبدأ ذكر التحية ، ثم يشرع الشيخ فى قراءة شعيرة الحسين المستهلة بهذا البيت الذى يقول "أيها العاشـقون إننى أصنع من التراب درا ، أيـها العازفون إننـى أملأ خزينتكم ذهبا "، ثم يُرسل مقدار من المال إلى المطرب ويقوم بذكر التحية أو بمعنى أصح أنـها نشـأت من هـذه المقطوعات الأتية مثل :

شـــمع روحكه جـــســـمى براونـه دوشـــردم

اوراق دلـى آتش ســــــوزانـه دو شــــــردم

بر قـطره أيـكن كـنديمـى عــــمـــانـه دو شــــردم

مــــولايى ســورســن بنى ســـويلتـــمـــه غـــمم وا

والمعنى :

أوقـــعت فـراشـــة جســـمى فـوق شــمـعــة روحك

وأوقـــعت أوراق الـفـــؤاد إلى نارك المحـــتـــرقـــة

وعندمــا كنت قطرة أوقـــعت نفـسى إلى مـحـيطك

أن كنت تحب المولى فـلا تجعلنى أتفـوه بغمى وأحزانى

ومثل قولهم :

دكـلـه ســـــــوزمـى سـكا ديـرم أوزكـــــــه ادادار

درويـش اولانه لازم اولان عــــــشـق خــــــدادر

عــشـــقك نسى وار ايســـه مـــعــشـــوقـــه فـــدادر

ســـمـــاع صـــفـــا جـــانه وفـــاروحـــه غـــدادر

عــــشق ایلـه کلیـن ایلیـــه لم ذوق وصـــفـــایی

کـــوکلر دکـــین ایرکـــوره لیم خـــوی ایله هـایی

عــــشق ایلـه کلیـن ایلیـــه لم ذوق وصـــفـــایی

کـــوکلر دکـــین ایرکـــوره لیم خـــوی ایله هـایی

عــــشق ایلـه کلیـن ایلیـــه لم ذوق وصـــفـــایی

کـــوکلر دکـــین ایرکـــوره لیم خـــوی ایله هـایی

مــــســـتـــانه الـوب دبره ایده لیم جنـك ایله نـایی

ســـمـــاع صـــفـــا جـــانه وفـــاروحـــه غـــدار

أی صــوفی بزم صـــحـــبـتـمـــز جـــانه صـــفـــادر

جـــرعـــة مـــزی نوش ایده کـــور دیده دوادر

حقّ ایـله بزم ایتـــد کـــیـــمـــز عـــهـــده وفـــادر

ســـمـــاع صـــفـــا جـــانه وفـــاروحـــه غـــدادر.

عــــشـق ایله کلین طـالـب جـــوینده اولالیـم

شـــوق ایله صـــفـــالـر وســـورلیم زانده اولالـیم

حـــضـــرت مـــولانـا یه کـلیـن نبـــده اولالـیم

ســـمـــاع صـــفـــا جـــانه وفـــاروحـــه غـــدادر

بن بـیلمـــز ایدم کـــیـــزکی عـــیـــان هب ایـدم بن

آخـــر بونـی بیلدم کـــه جـــهـــان هب سی ایـمـــیش

أی کـــه هـزار آمـــرین بوینجـــه سلطـان اولور

قـــولی أولان کـــیـشلـر خـــسـرو وخـــاقـــان اولور

هركــــــه بوكـــــون ولـده اتا يـوز ســــوره

يـوقـــــول ايه بـاى اولـور باى ايســــــه سلطـان

والمعنى :

أنصت لقـولى فـمــا أقــوله لك هو أداء نـفـيس

فـعــشق الله لازم وضـــرورى لمن يكون درويـشــا

فـمـهـمـا يكن عـشـقـك فأنت للمعــشـوق فـداء

فــالسمـــاع صـفــاء للنفس وغـذاء للروح ووفــاء

فـأقــبل بالروح ولأسـعـدنـك بالسعـادة والصـفـاء

ولأبلغـن عنان الســمـاء ولأشـاهدن الحى الـقـيـوم

ولأكـن ثـمـــــــلا أتراقـص بـالعـــــــود والنـاى

فــالسمـــاع صـفــاء للنفس وغــذاء لللروح وفــاء

أيهــا الصـوفى إن صـحـبـتنا هى للروح صــفـــاء

فـاسـقنا جـرعـة الشراب فـهى للألام خـيـر دواء

فـنـحـن مع الـلـه نـوفـى بـالـعـــــــهــــــــود

فــالسمـــاع صـفــاء للنفس وغـذاء للروح ووفــاء

فـتـعــال بالعــشق ولأكن طالبـا لك باحـثـا عنك

ولأكن حــيــا مـسـداومـا بالشـــوق والصــفــاء

فــأقـبل إلـى حـضــرة مـولانـا ولأكن عــبـدا

فــالسمـــاع صـفــاء للنفس وغـذاء للروح ووفــاء

وكنت سـرا مـخـفـيـا وأظـهـرتـنى أنت للعـيـان

وأصـبـحت أنت مـخـفـيـا فى الأبدان والأرواح

وطلبت أن تـكون عـلامـة فـى هذه الأكـوان

وعلـمت أخـيـرا أنك أنت الدنـيـا بأسـرها .

أنـعـم بـه مـن سـلـطـان عـظـيـم

أصبح الناس له عـبـيـدا من الحكـام والأمـراء

ومـرغ وجـهك الـيـوم على عـتـبـة سلطان ولد

فإن كـان فقـيرا فهـو سى وإن كان سيدا فهـو سلطان

وينتهى ذكر التحية بتقسيم صغير معزوف بسماع موسيقى مصاحب له (انظر : عبد الباقى جلبنارلى : آداب وأركان المولوية : إستانبول ١٩٦٣، مكتبة انقلاب وآقا ، الملاحظة العميقة الواردة فى ص ٩٦).

متى ورد هذا الشكل الأخير من الذكر :

لم يكن السماع على هذا النحو فى أى وقت قط إبان عصر مولانا ، كان أحدهم يصنع الطعام ومثله يدعو المحبوب ، ويتم المأكل والمشرب ، ثم ينشد القوال أناشيد غير ذات لحن أو موسيقى معينة ، ثم ينهض الراغب إلى السماع .ويقول "مجد الدين فريدون سبهسالار " فى رسالته التى تعد أقدم مصدر تاريخى فى هذا الصدد (توفى قبل عام ١٣١٢ هـ) "كان هناك قفز فى أثناء السماع وارتطام القدم وفتح الذراع ، وكان السماع يتم بمعانقة أحدهم للآخر ، وكان هناك حث وتحريض للناس على ممارسة السماع ، ويُتحدث بأشياء مثل :

وجود سجدة التحية تجاه شخص ما فى أثناء السماع ، ففى القفز اشتياق واتصال بالعالم العلوى السماوى ، وفى خبط الأرض تكون العوالم المتوهمة كلها تحت

القدم ما سوى وجود الله وحده ، وفتح الذراع هو الرغبة فى بلوغ النشوة الصوفية بسبب الوصال المعنوى وبلوغ الدرجة العالية فى الحرب بالتضحية بالنفس ، أما معانقة أحدهم الآخر فهو رؤية للجمال ، وتحريض الناس على السماع هو بذل الجهد والسعى إلى انتشار وذيوع الرحمة والفيوضات الإلهية ، أما تقديم التحية لشخص آخر فهو دليل على مشاهدة صفة من الصفات الإلهية فى هذا الشخص " (ص ٩٣ - ٩٤) .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأنه لا وجود قط لواحد من هذه الأشياء فى طقوس الذكر التى كتبناها آنفا . وعلى سبيل المثال فإذا غضضنا الطرف عن التحريض وحث الناس على السماع ، فإنه لا سبيل إلى دخول أى شخص قط من الخارج إلى قاعة السماع أما معانقة أحدهم للآخر وضرب الأرض والارتطام بها والسجود فإنها جميعا أشياء لم تُر قبل البتة . و إذا فكرنا مليا فى مغزى أن قائد السماع لا يتسنى له فتح الذراع فى أثناء السماع دون فتح الأكمام فإنه يتوجب عليه التحدث فى أثناء السماع أو يكون مشغولا بشىء آخر ، وهذا شىء متعذر مستحيل ، بيد أن كل هذه الأشياء موجودة إبان عصر مولانا ، وها هى ذى طائفة من الأمثلة:

عقد "معين الدين" اجتماعا فى زاوية "صدر الدين" وفى أثناء السماع كان "كمال الدين أمير محفل" يقف بإزاء "معين الدين بروانه" ، وجعل يجأر بالشكوى ويتحدث عن طائفة من الصناع وأرباب الحرف والعاملين من رجالات مولانا ، وحينئذ أطلق مولانا صرخة مدوية وهو يقول :إنه أخ للبغى الفاجرة ، ألم يكن منصورنا هو الحلاج ؟ ألم ينسج أبو بكر البخارى الكتان ؟ ألم يكن من الكُمل الآخرين من يعمل زجاجا ؟ ما الضرر الذى أصاب علوم الفنون ومعارفها؟(مناقب العارفين ٤٠ ط ، مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة ، ص ٢١٩) .

ذات يوم لف "كمال الدين معرف" من وراء مولانا وأصدقائه وهم مشغولون بالسماع ، فأكرمه الصوفية ووقروه ، بيد أن مولانا قال له : أيها الناقص كمال : أنت وليت ظهرك نحو كمال النضج والإتقان فأفق إلى نفسك جيدا (مناقب العارفين ٤٠ B) .

كان شمس الدين معلما ممارسا للسماع ، يديم النظر مليا فى وجه مولانا حيرة وذهولا فقال مولانا : لماذا تنظر إلى وجهنا إنك لا تمارس السماع .

وعندما كان مولانا يشرع فى السماع كان "مريدنلى شهاب الدين" يضع الدف فوق رأسه فكان الدف يسبح عند العزف قائلا "حقا حقا" ، وكان يصيح قائلا : إن الذى يقول بحرمة السماع هو ابن زنا .

كان مولانا يقول : لو أنكم بلغتم حالة الوجد والنشوة الصوفية لرأيتم أننا محقون فيما نأخذ من مال ، هل جلبتم لنا فتوى لتكونوا فى السماع ، هيا قدموا مالنا ، وعندما جاء الأحباب بالفتوى وجاءوا بالدواة والقلم عرضوها على مولانا وأجاب عن الفتاوى المسئول عنها إبان السماع .

انعقد مجلس سماع كبير فى المدرسة الدينية وأقبل مولانا وهو فى لجة الوجد وانحنى إلى قاعة المنصة التى يجلس عليها المتكلمون وطلب الصفح والمغفرة والتماس العذر ، وقال : إن عالمكم جد لعوب ، ثم كرر هذه الحالة بضع مرات ، وعندما سأل بعد ذلك كانت ثمة روحانية لحاكم سنان بجانب عثمان شهاب الدين ، ثم قال لقد كان الدف يعزف إبان السماع فاضطررت إلى طلب الصفح والمغفرة والتماس العذر .

وجاء فى أثناء السماع بإزاء "خواجة نفيس الدين" وتحدث وهو يمسك به ، ولما بلغ ثورة الانفعال وسورة الحميا فى أثناء السماع لف لفة على قدمه اليسرى فى أثناء الذكر وأمسك بالمنشدين ضاربا الأرض بقدميه وهو يصلى على النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

ذات يوم دخل سكران إلى السماع فاصطدم بمولانا ، فقال مولانا لمن تصدوا لمنع هذا الرجل إنه قد شرب الخمر وإنكم تمعنون فى السكر ، ثم منع هؤلاء الذين أرادوا منع الرجل .

كانت وسائل السماع إما مجتمعة مؤتلفة وإما هى فى حالة من النشوة الصوفية تجلب الوجد ، وكان مجلس السماع ينعقد فى بستان جلبى حسام الدين ويستمر

سبعة أيام بلياليها . وعندما كان القروى يسمع بائع الثعالب ينادى فى الشارع قائلا "دل كو" تعنى بالفارسية " اين الفؤاد " فإنه يأخذها على هذا المعنى فيصيبه الوجد الصوفى والنشوة الإلهية ، ثم ينهض من فوره إلى السماع وهو ينشد هذا البيت الذى يقول فحواه " أين الفؤاد أين الفؤاد ؟ كم يطوف الفؤاد فى العشق؟ أين الذهب أى فائدة للذهب لدى المفلس . وكان صلاح الدين يبدأ السماع وهو يضرب الذهب وينشد هذا البيت الذى يقول معناه"لقد ظهر كنز فى حانوت الصائغ ، فعندما صورته وما أحسن المعنى ، ونعما الجمال فما أحسن الجمال" ثم يعانق من معه في السماع ويلفون ويدورون سويا ، بيد أنه كان يتحدث عن الإنهاك وخوار القوى طالبًا الصفح والتماس العذر ثم يخرج من السماع (مولانا جلال الدين ص ١٠٦) .

ويحيطنا أفلاكى علما بأنه كان يأكل الطعام بعد الفراغ من السماع . ولقد فرغ أفلاكى من وضع كتابه مناقب العارفين فى سنة ٧٥٤ هـ = ١٣٥٣ م يعنى إبان عصر أمير عادل جلبى بن أولو عارف جلبى ، ولم تكن شعيرة الذكر موجودة حتى ذلك الحين ، ولا وجود كذلك لما يعرف بدور ولدى أو المقامات الموسيقية أو المديح النبوى أو التقسيم الموسيقى .كانت مجالس السماع تعقد كذلك إبان عصر كل من : أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وفى عصور المتأخرين وفى عصر مولانا ، كما كان يعقد كذلك لمن يرغبون فى أن يكونوا فى معية ممثلى مولانا .وعلى هذا فإننا نصدق روايات المولوية ونعول عليها مقتنعين بأن السماع هو « دور ولدى » ، أما التفوه بأن سلطان ولد هو الذى أدخله على شاكلة الذكر فإنه كلام خاطئ منقوض من أساسه .

ومن الممكن اعتبار سلطان ولد بمثابة الشيخ الثانى ولكن ليس لكونه واضعا للنواميس والأركان ، فهو لم يفرق أولئك المجتمعين حول مولانا بسبب ارتباطهم بالمركز ، كما أنه هو السبب فى العمل على تشييد المقبرة وإنقاذ الطريقة وتخليصها ، كما كان سببا فى انتشار المولوية وذيوع صيتها وإرسال الخلفاء إلى سائر المدن .

يقول ثاقب دده صاحب السفينة المتوفى سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م وهو ينسب إلى جلال الدين أرجون جلبى رسالة تسمى باسم " إشارة البشرى" مكونة من ثمانية عشر فصلا (ج١ ، ص ٧٧ – ٨٣) ، ويتجلى فى هذه الرسالة الشكل الأخير للذكر فى صورة جلية . بيد أننا أسلفنا القول بأن أسلوب الرسالة هو أسلوب ثاقب دده الزاخر بالمصطلحات والتعقيد والتشويش والاضطراب ، وحتى إذا وجدت رسالة كتبت بعد وفاة جلال الدين أرجون جلبى ثم نسبت إليه فإنها تكون قد دبجت من قبل ثاقب دده ثم جاءت على هذه الصورة العجيبة المستغربة ولكننا على كل حال لا نصدق تاريخ وفاة جلال الدين أرجون جلبى ولا نعول كذلك على الرسالة المنسوبة إليه وفى الحق فإنه وجد فى أثناء البحث فى شخصية برهان الديا إلياس جلبى بن أرجون جلبى والمتوفى سنة ١٣٩٥ م = ١٣٩٦ م . وأنه كان أحد الذين يتدربون على ممارسة السماع (ص ٩٧) وعند البحث كذلك فى شخصية صلاح الدين قارئ المثنوى فى قونية وأحد أحفاد شاه ملك بن أمير عابد جلبى سنة ١٣٣٨ م وجد أنه كان يغشى مجالس السماع وكان يلف ويدور فى المقام الذى يوجد فيه جلبى ويتحلق حوله سائر الشلبيين، ويحكى أنه كان يعقد مجالس السماع فى الحلقة الثانية مع الخلفاء وفى معية الدراويش ، ويشرح ثاقب دده هذا بقوله" إن دخول دائرة حركة الدورية متوقف على الإجازة الروحانية لحضرة الشيخ قُدس سره المنير ، وهو بالذات لم يكن معتادا على السماع بالتدريب والإدمان" ، وبهذا القول يتبين أن التدريب على السماع لم يكن عادة متبعة ، ويشرح كذلك أن الذى يدخل السماع يغشاه الوجد الصوفى والنشوة الإلهية (ص ٢٠٦).

وإذا أمعنا الفكر مليا فى أن جلبى صلاح الدين أحد أحفاد شاه ملك بن أمير عابد جلبى (ت ٧٣٨ هـ = ١٣٣٨ م) قد عاش فى أقل تقدير فى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وعلى هذا يكون جلبى صلاح الدين الذى عاش فى تلك الحقبة قد تدرب على السماع إبان عصر برهان الدين إلياس جلبى، بيد أنه لم يدمنه . وخلاصة القول أن أول رسالة اضطلعت بالبحث فى آخر شكل للذكر ترجع إلى "ديوانه محمد جلبى" المتوفى بعد عام ١٥٤٥ م ويذكر ثاقب دده أن عادل جلبى هو زين المحافل المولوية وشمع المجالس الأولية وأركان عبرة البيان وآداب لطافة المآب

ومجموعة عظماء التوحيد والمعرفة ، وهو بين الإخوان متداول ، وهو عقل الطريقة الإخوانية ، ومتعهد الحركات والسكنات المستحسنة والعارف بالإشارات ، وهو على الجملة توبة الولاية الشيخ عادل الذى كان يعظ بالآداب والأركان التى ظهرت بشكل قاطع إبان عصر الشيخ عادل جلبى المتوفى سنة (٨٦٤ هـ = ١٤٦٠ م) (ص ١٣٤) ، وظهر كذلك بسبب تلقب عادل جلبى بلقب شيخ "بير" فى هذه الحقبة بعينها . ولهذا السبب فإننا نعتقد بأن السماع قد أخذ شكله النهائى ونشأ إبان القرن الخامس عشر الميلادى ، أما الذكر فكان فى عصر الشيخ عادل جلبى .

لاجرم أن مجالس السماع قد وردت بالمصادفة إبان رحلات "ديوانه محمد جلبى " ولا ريب أن المنتسبين إلى " يوسف سينه جاك" قد اجتمعوا فى منطقة "جعفر آباد" فى اليوم العاشر من شهر المحرم لسنة ١٥٧٤م ، وكانوا يطبخون العاشوراء ، ويعمدون إلى شق رءوسهم وأذرعهم وصدورهم بالأمواس ، ويسفكون الدماء عشقا فى الإمام الحسين ، ويمارسون السماع . وفى الحق فإن " شورى درويش يوسف سينه جاك" كان يلف ويدور مستغرقا فى الوجد والنشوة الإلهية عند سماعه للعزف ، وكان يتراقص أحيانا دون عزف حتى إنه كان يمارس السماع كذلك فى حفلات العُرس.وعلى كل حال فإنه لم تعد تُرى هذه الأشياء بعد القرن الخامس عشر الميلادى على وجه الخصوص ، ومن ثم فإن السماع كان يوجد خارج إطار التكية ، ويتم الاحتفال بالسماع على شاكلة الذكر . وقد ورد فى "رسالة الولاية البكتاشية " الموضوعة سنة ١٤٤٩ م كلام منسوب إلى شمس يقول فيه " إن أصول وقواعد الطريقة هى كالفن يتوجب أن تكون بالتعلم "، ويفهم من قوله أن السماع يتم بالدربة والمران والممارسة.

أفكار المولوية المتعلقة بالذكر المولوى :

يعتمد المولوية على مذهب بطليموس القائل بأن الدورة مستمدة من أسس التصوف وحركة السماوات ، وهى شىء مادى مستمد من الوجود المطلق حتى تبلغ

الإنسان ، وتتكرر من الإنسان حتى تبلغ الوجود المطلق مستمدة من الأقواس الروحية والمعنوية الصاعدة والهابطة ، وإما أن تكون هذه الدورة وفق مفهوم آخر وهى بمثابة هبوط يتأتى اعتباراً من الوجود المطلق حتى يبلغ العناصر ، وهم يرون هذه الدائرة الناشئة من أقواس الصعود حتى تصل إلى الإنسان الموجود فى الوجود المطلق المستمد من هذه العناصر ، أما قوس هبوط هذه الدورة فما هو إلا قسم لحجرة السماع التى تتأتى على شكل دائرة ، ويعد قوس الصعود هو القسم المتقابل والمفترض أن يمر تماما من الوسط ، ولهذا السبب فإنهم يقولون عنه إنه خط الاستواء الذى نشأ بطبيعة الحال بتأثير الحروفية.

ويتسنى لنا القول بأن ما ورد فى حق السماع المسمى بالذكر والمحتفل به على هذا الشكل الأخير قد ورد ذكره فى كتاب " إشارة البشر" المنسوب إلى " جلبى أرجون " ، وله ذكر كذلك عند" ديوانه محمد جلبى " وقد ورد كذلك على شكل منظومة على شاكلة المثنوى وضعها الشارح " رسوخى الأنقروى" فى كتابه " منهاج الفقراء " ، وثمة معلومات واردة كذلك فى الرسالة العربية لصاحبها "كوسجه أحمد دده" وفى شرح عربى للشيخ غالب ، وهذه المعلومات واردة بعينها وفصها ونصها ، وفى الخاتمة نقول : إنه وردت أقوال فى كتاب " عبد الغنى النابلسى " المسمى " العقود اللولية فى طريقة السادة المولوية " تفيد بأن الذكر يتفق اتفاقا تاما مع الشريعة ، وإذا ما استثنينا هذا المؤلف الأخير وجدنا أن الأفكار والمفاهيم الأخرى نشأت من ذوات نفسها ، وثمة معلومات ترجع إلى الشيخ " فيض الله" شيخ تكية الشيخ مراد ، وهى واردة فى رسالته الصغيرة المسماة " إشارات المولوية فى ذكر المولوية " ، وهى معلومات تحمل نفس الخصائص والسمات . ولقد بلغ ثاقب دده حالة سيئة بدت فى يده ولسانه ، إذ يقول كما ورد فى "إشارات البشر" بأن دور ولدى يشبه دورة الفلك الأطلس للطبقة التاسعة من السماع والتى تحيط بسائر الكائنات . أما السماع الموجود فى آخر المقطع الموسيقى الأول فإنه مقابل للسماء الموجودة فى الأجرام السماوية ، أما آخر المقطع الموسيقى الثانى فهو مقابل لسماء الشمس ، وآخر المقطع الموسيقى الثالث هو دورة سماء القمر أما أول هذه الدورات فهو أنفس دورة فى عالم

الملكوت ، وثانيها هو الروح الموجود فى عالم الجبروت ، وثالثها هو إشارة للدورة السرية الموجودة فى عالم اللا هوت (ه). أما الدورة الموجودة فى آخر المقطع الموسيقى الرابع فلا شبيه لها في هذا العالم ، وهى دورة مخصوصة بالإنسان . وعندما يمارس السالك السماع فإنه يلف ويدور من شرق الوجود إلى غرب العدم والفناء ، ويلف كذلك من غرب الفناء إلى شرق الوجود عن طريق وجود الله ، وإن السماع يطحن الوجود المتوهم كما تطحن الرحى الدقيق ، ويوجد فى السماع التدبير الموجود فى كوكب زحل ، والشد والجذب الموجود فى المشتَرى ، والدفع الموجود فى المريخ ، والفهم والإدراك الموجود في عطارد ، وحواس الإحساس والشعور الموجود في كوكب الزهرة ، وفى نفس الوقت فإن المقطوعات الموسيقية الأربع يمكن أن تعد إشارة إلى التكبيرات الأربع الموجودة فى أثناء صلاة الجنازة ، وهكذا فإن ممارس السماع يقتل الوجود المتوهم ، إنه يشعر بذكر الله عن طريق الناى والطبلة . ثم يستغرق فى وجود الله كى يكون فى حالة تقرب وتوجه مع الله ، ثم يتزمل ويتدثر بوجود الله عن طريق مشاعره وأحاسيسه الداخلية والخارجية على السواء . فالمرشد عادة ما يكون بمثابة القطب ، أما السالكون فإنهم يشبهون أثناء السماع النجوم السيارة والأجرام السماوية الموجودة فى "دور ولدى" ، حتى أنه يوجد عالم النبات والحيوان وخلاصة القول أن السماع يجمع كل الفضائل المادية والمعنوية جمعاء .ويتبين من هذا أن كل هذه تأويلات صوفية برمتها ، ومما لا مرية فيه أنها أشياء مزيفة ملفقة بالقوة من ألفها إلى يائها . ونستطيع فى هذا الصدد أن نلخص على هذا النحو المعلومات التى قدمتها الرسائل الأخرى والتى اتخذت من منظومة " ديوانه محمد جلبى " مثالا يحتذى .إن خرقة الدرويش المولوى هى قبره ، وقلنسوته هى شاهد ذلك القبر ، ويعتبر الدرويش ميتا إبان الجلوس وعادة ما يسمع نفخ الصور فيبعث دور ولدى شيئا فشيئا ، ومن هذه النظرة فإن دور ولدى يشبه البعث والإحياء بعد الموت، ويُرى هذا العالم من خلال اللف والدوران بسرعة وكأنه ممحو فى حقيقة الأمر . إن دورة الوجود المطلق عادة ما تكون بمثابة دائرة ويكون العالم قوسا ظاهرا فى الناحية اليمنى لهذه الدائرة ، والعالم الباطن هو قوس موجود فى الناحية اليسرى . وهكذا يكون الوجود المطلق هو بداية الدائرة .

أما قاعة السماع فإنها تشبه هذه الدائرة ومقام الشيخ هو مقام الوجود المطلق ، وخط الاستواء مشدود ومجذوب من هنالك متجه صوب الباب ، ثم تنقسم هذه الدائرة إلى قوسين وهميين وإن سائر الوجود المطلق يلف ويدور فى شيء معلوم وفى دائرة متوهمة كأنه مشاهدة عالم حاذق ، أما السالك فإنه يلف ويتبع سبيل هذه الدورة ولكن كيف تكون البداية فى هذه الدائرة بينما تكون البداية والنهاية فى السماع بهذا الاعتبار الأخير ، بيد أن هذا الاعتبار يكون فى كل مرة دورة السالك وفى سيره الموجود فى قاعة السماع . إن الإنسان يشاهد معتويا فى قوس الصعود ، فإذا وصل إلى كنهه واصله فإنه حينئذ يحيط بالوجود المطلق من كل جانب ، وحينئذ يكون الشيخ خليفة الله ، أيها الأناسى ، اعلموا أن اتحادى يكون بالعلم والمعرفة ، وألقوا السلام على ممارسى السماع قائلين لهم : لكم الصحة والعافية والسلامة. وفى الدورة الثانية يلف السالك ويدور مشاهدا اله واجدا إياه . ولهذا السبب فإن الشيخ يقول لهؤلاء : اعلموا أننى وجدت نفسى حقا وادركت كنهها مليا فى عين اليقين ، فاشهدوا وجودى ، ثم يسلم عليهم قائلا :لكم الصحة والعافية والسلامة من كل سوء ، وفى الدورة الثالثة يبلغون سر الكون ، لقدأنقذكم الله وخلصكم من الوجود المتوهم ، وتدثرتم بوجودى ، ويلقى عليهم السلام قائلا:لكم العافية والسلامة . أما هؤلاء فإنهم يبدءون السماع كذلك مرة ثانية بهذه النشوة الروحانية الخالصة ، ويكون الشيخ قائما فى مقام الله ويسلم على هؤلاء من لسان الله(تغطى هذه المباحث الصحائف من ص٧٦-٦٧ من كتاب منهاج الفقراء).لاحاجة بنا إلى القول بأن هذا التأويل صوفى بحذافيره ، بيد أنه أكثر تطابقا وتوافقا بالمقارنة بالتأويلات الموجودة فى الرسالة الأولى. وذات يوم توقف مولانا فجأة إبان السماع ثم طأطأ رأسه وانحنى محيياً، ثم كرر هذه الفعلة مرتين اثنتين ، ولما سئل عن هذا أجاب قائلا :لقد أقبلت روحانيات النبى محمد – صلى الله عليه وسلم – والعطار وسنائى فسلمت عليهم ، ولهذا السبب كان هذا بمثابة امتياز للمقطوعات الموسيقية الأربع فى الذكر ، ويروى أن الشيخ والدراويش كانوا يطأطئون رءوسهم محيين عقب المقطوعات الأولى والثانية والثالثة ، بيد أن رسوخى لايقول بضعف هذه الرواية التى لا تليق بالتصديق والقبول (ص٧٤). ونحن نرى فى الذكر بعض السمات والخصائص والخلال ، ولا سبيل لنا إلى القول

بهذا بصورة جازمة ، ولكن الذكر على كل حال موافق مطابق للحقيقة والواقع أكثر من الإيضاحات سالفة الذكر .إن ما يسمى"دور ولدى" يذكر مقرونا بسلطان ولد ، ويدخل فى هذا المضمار كذلك الشيخ والسالكون معه الذين يطأطئون رءوسهم ويحيى بعضهم بعضا ، ويتجلى فى هذا الصدد كذلك تقديس مولانا جلال الدين للإنسان . ثمة ثلاث مرات من الطواف حول محيط قاعة السماع ، وهى تعنى على كل حال ثلاث مراتب من اليقين وهى "المعرفة –الإيجاد– الوجود" ، أو هى ما يعرف فى السلوك بتوحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات ، وهذا يعنى أن معرفة الأشياء كلها يكون من الله ، ويكون ظهور الأشياء وتجلى الصفات ، وفى النهاية يكون هذا بمثابة إشارة إلى مراتب الفهم والإدراك الموجودة فى عين الذات الإلهية ، وفى الحق فإن من قبيل السنة فى الشريعة صنع كل شىء مرات ثلاثا ، وعلى هذا النحو يتم تنفيذ التعامل مع الشرع على الوجه الأمثل .ثمة أربع مرات من اللف والدوران على صورة متقطعة ، وإن ما هو موجود لدى المتصوف منذ زمن قديم مطابق وموافق لتصنيف الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة ، فالشريعة هى المظهر الخارجى للدين والحقيقة هى باطنه ولبه وجوهره ، الطريقة هى السبيل المعنوى الخلقى والروحى الواصل من الشريعة إلى الحقيقة ، أما المعرفة فتكون بعد بلوغ الحقيقة مراعاة للأدب وإخفاء للسر وعدم التهور أو تجاوز الحد .ولا جرم أن مولانا يقول فى ديباجة المثنوى وفى الجزء الخامس منه : إن الشريعة شمعة توصل إلى الحقيقة ، أما الطريقة فتشبه التقدم نحو القوة الدافعة المتحركة بهذه الشمعة ، ويقول فى هذا المعنى " إن الحقائق تظهر الشرائع وتجليها ، أما ما سواها من السبل فإنه لا محالة باطل" (ترجمتنا للمثنوى ، إستانبول ١٩٤٥ م ، مطبعة مديرية التعليم – الديباجة ، ص ١).عندما ينفتح الذراع فى السماع تكون أصابع اليد اليمنى مفتوحة وأصابع اليسرى متدلية متسدلة وهذا لا يعبر عن المعنى الذى قال به "فيض الله" بأن فتح اليد يدل على رحمة الله واليأس ممن سواه وإذا أمعنا النظر ودققنا الفكر ألفينا أن توقف الأيدى إلى أعلى وإلى أسفل وانحناء الرأس يمينا ولف الوجه يسارا، كل هذا يشبه تمام الشبه قبضة السيف ، أما القدمان فهما شفرة السيف ، وعلى هذا النحو نشأ ما يعرف باسم"ذوالفقار" [٦]. هكذا يقطع السالك الوجود المتوهم ويمحوه ، وفى نفس الوقت تكون الأيادى والأرجل على شكل

متقاطع حتى تكون بهذا الاستواء أشبه بجسم الإنسان .أما "لا وإلا" فهما أس الأساس فى العقيدة الإسلامية "لا إله إلا الله" ، وهى عقيدة تثبت الوجود المطلق وفق عقيدة وحدة الوجود ، وتشتمل كذلك على أساس النفى لسائر الموجودات المتوهمة .أما الذراع المفتوحة من النشوة الإلهية والصفاء الروحى فى السماع إبان عصر مولانا فكانت بمثابة أفكار صوفية ودخلت بهذه الوسيلة بتأثير الحروفية والنزعة العلوية ، وأصبحت تعبر عن هذه المعانى ، ولسوف نرى فيما بعد أن التنورات التى فى الخرق تمثل حرف "لا" ، أما وجود خط الاستواء فهو اعتقاد مقبول لدى كثير من المولوية وإن من يرى الاستواء الذى على شكل"لا" فى التنورة والخرقة كلتيهما يجعله لا يفكر فى نفى وإثبات إبان حالة السماع المولوى ألبتة .إن الذكر المولوى الذى يعقد فى التكية بأسماء الشلبية يذكرنا بمن تبوءوا المشيخة ، ويظهر كذلك التوجه القوى بكلمة واحدة تجاه السلطان والأمراء والوزراء وشيخ الإسلام ، وثمة دعاء يقرؤه من يسمى بالداعى بدعاء مقام المشيخة ، ولاحاجة بنا إلى القول بأن المولوية قُدمت إلينا فى حالة مؤتلفة متراكبة تميط اللثام عن مظهرها وهيئتها الأصلية .وفى الختام فإن من ينُهى الذكر يتفوه بهذا الدعاء"إنها لحظة حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم الإمام على".

ظهور السماع وبداية الذكر:

كان السماع عند المولوية وسيلة يتوسل بها إلى جلب العشق والجذب الصوفى ، وكل مولوى يعرف السماع على نحو جازم لا مراء فيه .ويسمى التدريب على السماع والتمرن عليه وتعلمه "ظهور السماع" ، أما متعلم السماع فيسمى عند المولوية "سماع زن" أى ممارس السماع . وتوجد فى تكايا المولوية وفى المطبخ على وجه الخصوص منصة أعلاها مزين مزخرف ، وهى ثقيلة متسعة يتسنى لرجل الوقوف فوقها بنشوة وسرور وابتهاج .وتكون هذه المنصة مستقرة ثابتة على أحد أرائك المطبخ فى بعض التكايا ، وفى وسطها مركز دائرة يوجد فيه نتوء بارز يكفى لولوج إبهام القدم فيه

كما يوجد كذلك موضع محفور قليلا صوب أطراف هذه المنصة ، وثمة مسمار مدقوق تماما في مركز الارتفاع الموجود وسط هذه الحفرة .

تكون قدما ممارس السماع عارية ، ثم يأتي بالإبهام والوسطى من قدمه اليسرى ويضعهما في الحفرة المحفورة داخل المنصة الخشبية ، ثم يأتي بالمسمار بين الإصبعين تماما فيثبته بطرقة قوية تجعله لا ينزلق على يمين القدم أو يسارها ، ثم يضع مقدارا دقيقا من الملح على موضع الحفرة وأطرافها حتى يتسنى للقدم أن تلف وتدور بصورة جيدة ، ويطلقون على القدم اليسرى "عمود" ، وعلى اليمنى العجلة الدوارة .يلف ممارس السماع قدمه اليسرى وهو يهز مركز المسمار ، ويتجه صوب الشمال دون أن يثني ركبتيه ، ولا يرفع باطن قدمه من على الأرض ، وعندما يبدأ هذا الحركة فإنه يلقي بقدمه اليمنى جهة اليسار رافعا إياها حتى تصل إلى ركبة قدمه اليسرى ، فإذا ما بدأ وجهه وصدره في التحرك نحو النقطة التي يتحرك فيها فإنه يجعل قدمه اليمنى على نفس الشاكلة تماما ، ويكون بهذا قد صنع الدورة الثانية.

إن القدم اليسرى في أثناء السماع لا تتحرك من على الأرض ألبتة ، أما القدم اليمنى فإنها تقذف إلى الشمال وترتفع حتى ركبة القدم اليسرى على الدوام ، وهذه الحركة هي التفاف ودوران للجسد جهة اليسار ، وما ان توضع القدم اليمنى على الأرض حتى ينهض ثانية ثم يبدأ دورة أخرى بنفس الحركة .وقذف العجلة الدوارة يعني رفع القدم اليمنى وإلقاءها جهة اليسار ثم يطأ الأرض ، وكلما كانت الحركة سريعة فإن وطأ القدم للأرض وتحركها يطرد في السرعة .وإذا لم يتم الانتباه جيدا إلى وضع القدم ورفعها في نفس الوقت فإنه لايتسنى رؤية الحركة ، بل تُرى فقط قدمه اليسرى ثابتة على الأرض ، ولهذا السبب فإن الناس يقولون إن المولوية يلفون ويدورون على قدم واحدة .

يضطلع بتدريس الذكر المولوي ممارس له ماهر مختار من الشيوخ ، وهو عارف بالحركة أول الأمر يفعلها بنفسه .وبعد ذلك يفعلها المتدرب موجها إياه إلى أوجه القصور فيها ، ثم يشرحها المتدرب ثانية .وبعد أن يتعلم المتدرب قذف العجلة الدوارة تدريجيا ويعيها جيدا فإنه يشرع بعد ذلك في تعلم فتح الذراع.

كان المتدرب فى العصور المبكرة يأتى بذراعيه جهة اليمين ، وتكون الأصابع مفتوحة مع الأيدى ،ثم يمرر أطراف الأصابع قليلا على الكتفين ثم يضعها متقاطعة فوق صدره . أما الإمساك بالعمود فإنه يتم دون رفع يده اليسرى وباطن قدمه من فوق الأرض ، ويتم قذف العجلة الدوارة والقيام باللف والدوران جهة اليسار على الأرض دون الانفصال عن الأرض التى هو فوقها ، وهذا يعنى أنه عندما تلف قدمه اليسرى جهة اليسار فإنه يلزم رفع القدم اليمنى كما بينا آنفا. وينظر متعلم السماع إلى الأرض جيدا ، ثم يشرع بعد ذلك فى تعلم فتح الذراع، وعندما ينفتح الذراعان تكون الأصابع ممسكة بالأكتاف ، ثم ينزل إلى أسفل تدريجيا جهة الصدر دون الانفصال عن الجسد ، وعند نزول الذراعين تكون الأكمام مفكوكة متقاطعة ، ثم تأتى اليدان بعد ذلك نحو الخاصرة ، أما الأكمام فإنها تنفصل عن الجسد بدءا من الأكتاف ، وفى هذه الحالة تكون اليدان فى مكان مرتفع عن مستوى الرأس ، وتكون اليد اليمنى فى حال دعاء ، وتفتح كل الأصابع ما عدا الإبهام متجهة إلى أعلى فى صورة ملتصقة .أما اليد اليسرى فتكون متجهة إلى أسفل فى وضع مريح وتتدلى الأصابع إلى أسفل فى راحة تامة ، ويكون الرأس والوجه صوب الجهة اليمنى وهما متجهان إلى الكم الأيسر ، ولهذا السبب يكون الكم الأيمن مرتفعا قليلا بالقياس إلى الكم الأيسر.

يكون ممارس السماع واعيا حافظا عن ظهر قلب لما يعرف بالعجلة الدوارة فى منصة التدريب ، وكذلك الإمساك بالعمود وفتح الكم ، ويتعلم كذلك المشى وهو يمارس السماع فى قاعة السماع بالتكية .وعندما يقذف العجلة الدوارة فإن القدم اليسرى تشد من على الأرض تجاه الخلف ، وعلى هذه الشاكلة يكون قد سار من اليمين إلى اليسار فى قاعة السماع، وإذا ماشدت القدم بسرعة إلى جهة اليسار فإنه حينئذ يمشى بسرعة .

وبعد ان يعى ممارس السماع ويدرك جيدا ممارسته والسير فإنه يتسنى له آنذاك ممارسته بالتنورة ، ويحفظ كذلك كيفية فتح التنورة والمرور على عجل من أمام مقام الشيخ والوقوف أمام العزف الموسيقى ، وعلى هذا يكون ممارس السماع قد

اضطلع ببداية الذكر حتى يتسنى له الاشتراك فى الأذكار التى تتم بعد ذلك .ينعقد الذكر الأول قبيل بضع ساعات من يوم الذكر ، ولا يُؤخذ الزائر إلى هذا الذكر.

ينعقد هذا الذكر فى زاوية شمس بقونية وفى قاعات السماع فى التكايا الأخرى ، وثمة فروق تميز هذا الذكر الأولى عن الأذكار الأخرى ، ومنها قصر مدة المقطوعة الموسيقية، ويتم فى خاتمته الالتقاء بالشيخ من جهة اليمين، ثم الالتقاء بعد ذلك من جهة اليسار، وهذا يعنى أن كل شخص يلف كلتا يديه بيد الشيخ ويتم تقبيلهما كما شرحنا آنفا ، ثم ينحنى الشيخ ليقبل اليد التى قبلت يده ، ثم يرتدى أكمام خرقته فى أثناء المقابلة.

إن مدرب السماع الجديد والشيخ المتدرب عليه يكون فى معظم الأحوال شيخه"يعنى مربيه" ولكن من الممكن أن يضطلع بتعليمه كذلك شيخ آخر غير الشيخ السالك،ومن ثم فإنه يطلق على الشيخ الذى يعلم السماع اسم"شيخ السماع" على وجه الخصوص .

كان من العادة الحصول على فائدة تجتبى من السماع تتمثل فى بعض الهدايا التى تقدم لشيخ السماع وإلى غيره من الشيوخ الآخرين وإلى مريدى المطبخ الموجود فى التكية،ثم يقوم شيخ السماع بتوزيع الهدايا عقب الفراغ من الذكر الأولى.

الهوامش

(١) ثمة طائفة كبيرة من المولوية ينحدرون من سلالة شلبية "ولداز بوداق" ويقولون إن هذا يعنى أنهم من نسل مولانا من جهة الأم ، ويقول كثير من الشلبية بهذا الرأى ويروى " سوخى بيقرا " أن أباه عبد الباقى ممن يقولون بهذا الرأى ، وهذه الرواية شديدة الذيوع والشيوع إلى حد كبير بين المولوية ، وعندما أصبح " ولداز بوداق "شلبياً فإن شجرة النسب وصلت حتى مولانا كى يتسنى تكذيب هذه الرواية ، وظلت مضطرة إلى أن تطبع بطاقة دعوة عظيمة ، ومع هذا فإنه يوجد نفر من القائلين بأنه من شلبية "إيناس" (محى الدين جلال دورور المولوى:ص ١٢٢) .

(٢) السفينة النفيسة للمولوية : ج ١ ، ص ٦٣

(٣) هو ابن أمير حسن دده الذى كان يعمل رئيس الطهاة فى التكية المولوية وتولى هذا المنصب بعد أبيه ، وظل يضطلع بهذه المهمة أكثر من خمسين عاماً ، وقد أدى مهمته على الوجه الأكمل فى أعمال الطريقة والطهى ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م (جمادى الآخر ة سنة ١٢٨٦ هـ) ، وهو مدفون فى حديقة الأرواح ، وتوجد قلنسوة معممة ملفوفة على شاهد القبر ، وقد قرض نسيب دده الشعر .

(٤) تظهر كلمة "هو" بجلاء فى أدب الديوان ، وعلى سبيل المثال فإن شيخ غالب يقول فى أحد أبيات شعره:

سوزلوب اوجشم أهو ديدى ذوق وصلة يا هو :. بود كلدى تيله يم بو يولم انتظاره دوشدى .

والمعنى : نعست عين الغزال فقال ذوق الوصال ياهو ∴ ماذا أفعل أنه ليس هو وهوى فى لجة الانتظار

(٥) الوجود المطلق : هو العلم القائم بنفسه وهو عالم الجبروت ، ونشأت صفات العالم من هذا الوجود الذى يعد بمثابة برزخ بين الحق والخلق ويسمى بالحقيقة المحمدية وهو عالم الملكوت ، أما العالم الذى نجم عن هذا فيسمى الناسوت والشهادة وهو مظهر لعالم الملكوت ، أما اللاهوت فهو الألوهية وهو عالم الوجود المطلق

(٦) يروى أنه ذو حافتين مدببتين وهو سيف على رضى الله عنه ، ووردت فى شأنه روايات كثيرة.

الفصل الثانى

(المراتب والدرجات عند المولوية)

المحب – فترة المكابدة والمعاناة – مريد المطبخ – الشيخ الدرويش – الانقطاع عن التدريبات الدينية والعقائدية قبيل انتهاء مدتها – المتعهد بالتكية والخدمات – الخليفة – قراء المثنوى وقواعد تعلم المثنوى .

المحب :

مما لامرية فيه أن المولوية كانت بين سائر الطرق جميعها بما فيها البكتاشية من أكثر الطرق التى تراعى أركان وآداب التصوف، أو بعبارة أصح فإنها من أشد الطرق محافظة على الطقوس والشعائر الدينية. وتوجد لدى المولوية مراتب ودرجات تبين أولئك المنتسبين إلى الطريقة، وإن درجة المحب هى أولى الدرجات .

المحب هو المنتسب إلى الطريقة ، وهو الشخص الذى تُكَبَّر قلنسوته من قبل الشيخ ، وعند المولوية أن كل من هو منتسب إلى الطريقة يطلقون عليه صيغة الجمع"إن فلانا هذا من المحبين" ، ويتم الاستعانة بالشيخ والرجوع إليه حتى يكون الشخص محبا، فإذا قبل مشورة الشيخ يقول له:ليكن مجيئه إلى هنا متخذا القلنسوة مغتسلا متوضئا ثم يتم تعيينه فى نفس اليوم، ولا يوجد عند المولوية كما هو فى الطرق الصوفية الأخرى ما يعرف بالدعاء قبل النوم لقضاء حاجة ما ، أو تعبير الرؤى

أو وجود مثل هذه الأشياء الخيالية التى تقبل أو لا تقبل وفق هذا الدعاء .إن الشخص الذى سيدخل الطريقة يذهب إلى التكية بقلنسوته ، ثم يدخل إلى حضرة الشيخ ويقبل يده ويجلس أمامه حيث يضع راس المحب على ركبته، ثم يُلبسه القلنسوة ويكبر عليها وهو يقرأ الفاتحة، ثم يقرأ كلاهما الفاتحة ثم يلتقيان سوياً، هذا يعنى أنهما يقبلان أيادى بعضهما البعض فى نفس الوقت . وبعد هذه الطقوس البسيطة يطلق الشيخ على المحب لقب"نو نياز" أى المبتدئ الجديد أو المتمرن الجديد، ثم يسلمه إلى أحد الشيوخ الموجودين فى التكية، ويعد هذا الشيخ بمثابة الشيخ المحب ، فيشرع من فوره فى تربيته وتلقينه أداب الطريقة وبعد فراغه من التدريب على السماع والقيام بالذكر الأولى يدخل بعد ذلك التكية فى أيام الذكر، ثم يتجرد من ثيابه فى حجرة الشيخ ويشترك فى الذكر مرتديا زى السماع . يستطيع المحب أن يصنع بنفسه زى السماع ، ويجلس هؤلاء المحبون فى حجرة الشيخ ، ويتسنى للمحب أن يتجول دائما بخوذة على رأسه وخرقة خارجية لا ياقة لها ، ناهيك عن الخرقة الرسمية يتزين بها ، كما يستطيع كذلك الذهاب إلى عمله باعتباره شخصا مدنيًا . وعندما يأتى صاحب الوظيفة الرسمية من عند المحبين إلى منزله يكون جالسا مرتديا خرقته وقلنسوته ، ويذهب إلى التكية لابسا كليهما فى أيام الذكر ، أما الذاهبون إلى التكية أو المسجد والمرتدون لزى الدراويش والمهتمون بالطقوس الدينية وشئون الطريقة فإنهم يتجولون دائما على أنهم مدنيون ،بيد أن أنهم فى أيام الذكر حاضرون وينضمون إلى الذكر لابسين زى السماع فى حجرة الدراويش .

وثمة طائفة من المحبين ممن يحفظون ويستظهرون نفخ الناى والاستمساك بأصول الطريقة وقواعدها وترتيل الطقوس والشعائر والمدائح النبوية وذلك بحسب استعدادهم وكفاءتهم ، أما قراء المثنوى فيؤذن لهم بتدريس المثنوى وتعليمه ، ويكون لهم الحق فى لف لفة فوق قلانسهم ، ويوجد كذلك من يؤذن فى لف العمامة مقابل الخدمة التى يضطلعون بها فى الطريقة .

فترة المكابدة والمعاناة، مريد المطبخ والدرويش

يكون السالك صاحب حجرة إذا أقر بأنه قضى فترة المكابدة والمعاناة ، ويُذكر حينئذ باسم "الدرويش والشيخ". وإن المتعهد بهذا الإقرار وقضاء فترة المعاناة والمكابدة تعنى أنه ملتزم بهذا العهد راض تمام الرضا عن تقديم نفسه للطريقة. وإذا كان مقدم الإقرار شاباً فيشترط عليه آنذاك الحصول على رضا وليه وعائلته ، ويُشرح له صعوبة هذا الطريق ومشقاته التى تعتور سبيله فإذا أصر وقبل فإنه يدخل من باب المطبخ ويمكث ثلاثة أيام فى "مقام السقّاء " الموجود فى قاع الباب فى الجهة اليسرى،

ويكون فى خلال هذه الأيام الثلاثة جالسا مطرقا منكس الرأس قليلا ، ويشاهد خدمات المريدين ولا يتحدث ما دام غير مضطر إلى الحديث، ولا يزايل هذا المقام ولا يذهب إلى أى مكان ، ولا يقرأ شيئا وعندما يذهب إلى صب الماء يأخذ خرقة أحد المريدين على كتفيه . وبعد الأيام الثلاثة يؤتى به إلى حضرة الشيخ الوقاد "kazanci"، وإذا ما تحدث عن المكان الذى يقيم فيه فإنه يضطلع حينئذ بالخدمة فى الأعمال المكلف بها مدة ثمانية عشر يوما بالثياب التى يأتى بها ، ومعنى هذا أنه يتوجب عليه إحضار الأشياء اللازمة للمريدين ، وبعد هذه المدة يتحدث الوقاد إلى الشيخ الطباخ ، ثم يعطيه بأمر من الدرويش الطباخ قلنسوة اللباد وتنورة المطبخ وحصيرة قياسا بتنورة السماع ، وبهذه الكيفية يخلع الثياب التى جاء بها ، ثم يرتدى ثياب الدرويش ويطلق على هذا التقليد " التعرية أو التجريد من الثياب".

ويسلم السالك المتجرد من ثيابه إلى الوقاد ، ويبدى كذلك خدمة جليلة إلى المتدرب الجديد ، ويسمى هذا الدرويش المرشح للمنصب المتدرب الجديد أو مريد المطبخ، وهو فى أول الأمر يضطلع بالخدمة فى المهمات التى يكلف بها ، فهو ينظف كل ما حوله ويحضر الحطب ويضطلع بمختلف الخدمات الملقاة على عاتقه.لايرتدى المضطلع بالخدمة القلنسوة مادام لم يخرج إلى السماع ، وبعد الخروج منه تقدم له قلنسوة مؤقتة ثم يقوم بالذكر الأولى ، ويبدأ بعد ذلك بالانضمام إلى مجالس الذكر ، وإذا ما أقبل مريد جديد تتغير على الفور خدمة هذا الخادم ويصبح فى معظم الأوقات متسوقا ، وتقتصر وظيفته كل يوم على شراء ما يلزم من لحم وخضروات وغيرها من

الحوانيت الظاهرة ثم يأتى إلى التكية، وعلى ظهر هذا المتسوق منشفة ويتمنطق بخرقة ملفوفة حول خصره مع وجود ملقط بينها ، وتعد هذه علامات وأمارات دالة على الخدمة (١).

ولا يجلس المتسوق فى المكان الذى يذهب إليه ، ولا قبل له بالذهاب إلى المقهى وخلافه، ولا يتسنى له التحدث طويلا مع المحبين الذين يصادفهم، ثم يأخذ ما سوف يشتريه ويتجه مباشرة إلى التكية ، ويكون المتسوق بعد هذه الخدمة منظفا للأطباق ، ويتعهد منظم المائدة بإقامة المائدة ورفعها ، ويوجد كذلك المشرف على الذكر "ميدانجى meydanci وغيره ممن سوف نحصى عددهم فيما بعد .وخلاصة القول أن المحب يقضى فترة المكابدة والمعاناة مضطلعا بالخدمة ألف يوم ويوم ، وفى خلال هذه المدة يذهب إلى مسجد التكية فى أوقات الصلاة ، وبعد صلاة الصبح ينضم إلى حلقة الذكر فى أثناء تلاوة اسم الله ذى الجلال، ثم يذهب إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية فى معية الشيوخ عقب الفراغ من تلاوة اسم الله ذى الجلال ، ثم يشترك فى الأيام المخصصة لذلك، بيد أنه عندما يدخل فى الذكر يرتدى تنورة السماع ويخلع تنورة الخدمة ، ويرتدى على جسده ما يعرف باسم"دسته كُل"ويأخذ خرقته على ظهره ولا يرتدى "دسته كُل" فى الأوقات الأخرى ولاسبيل له إلى اتخاذ خرقة على جسده ، وبعد ذلك يخبر ساحة الطقوس والشعائر الدينية السالك أو من يسمى بمريد المطبخ بأنه انتهى من فترة المكابدة والمعاناة ، أما الدرويش الذى ينهى الخدمة فإنه يصبح من تلقاء نفسه صانع الشربات ومريد المطبخ وبعد أسبوع من هذا التبليغ تكون تلك الليلة التى يصعد فيها إلى حجرة المريد ويحدثه عن ذهابه إلى الحمام واغتساله.

عندما يأتى المريد إلى المطبخ يخلع تنورته ، ثم يرتدى لباس الدرويش المكون من خرقة وسروال واسع أضيق قليلا من البنطلون ، ثم يجلس ثانية فى مقام السقاء ، ويجهز فى هذه الليلة شمعدانا ذا اثنين وسبعين أوستة وثلاثين أو ثمانية عشر ذراعا ، ثم يثبت شمعة فى كل ذراع ويأتى به إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية ثم يشعل الشموع .

وفى المساء يكون الذهاب إلى ساحة الطقوس والشعائر الدينية ويطهو العام هناك ثم يدخل المريد إلى هذه الساحة بيد أنه لايأكل الطعام ، ويضطلع صانع الشربات بصنع شربات الدرويش الجديد ، ويُشرب هذا الشربات مع الطعام الموجود فى ساحة الطقوس والشعائر الدينية . ويلتقى كل من المريد وشيخ الطريقة والطباخ مع الشيخ عقب الطعام ، وبعد ذلك يلتقى الطباخ مع الشيوخ الموجودين جهة اليمين واليسار، ثم يأتى إلى وسط الساحة ويقف للتحية . وعلى حين يكون المريد منشغلا بالتحية فإن شيخ الطريقة أو الشيخ الطباخ ينشد هذا الدعاء "ليكن هذا وقتا شريفا مفتتحا بالخير ، دفع الله عنا الشرور وليقبل الدراويش تحية أخينا ولتزدد راحته فى مسكن المولوية ولتكثر لحظات الصفاء ، ولنتفوه بلحظة حضرة مولانا وسر شمس تبريزى وكرم الإمام على".

وما يلبث سائر الشيوخ فى معية المريد أن يطأطئوا رءوسهم محيين متأوهين آهة طويلة قائلين"هو". يولى شيخ الطريقة أو الشيخ الطباخ وجهيهما شطر الداخل عند الباب دون الالتفات إلى الوراء ، إلى أولئك الموجودين فى الداخل قبل ساحة الطقوس والشعائر الدينية ، ثم يطأطئ الشيخ الطباخ رأسه محييا ، ويخرج برجله اليسرى ، وعلى حين يطأطئ رأسه محييا فإن الموجودين فى الداخل يطأطئون رءوسهم فى معيته محيين ، ويخرج كل شخص بعد ذلك على نفس الهيئة واحدا تلو الآخر حسب أقدميتهم ، بيد أن الموجودين فى الداخل لايطأطئون رءوسهم فى معية الخارجين .وفى خاتمة المطاف يأخذ المتعهد بالذكر الدرويش الجديد ويخرج ثم يأتى به إلى خادم الضريح وبعد مقابلته يأتى به ثانية إلى المطبخ. كان المريد يأكل الطعام وحيدا ويقدم الشربات لنفسه ، وبعد الفراغ من الطعام يقوم المشرف على الذكر بإحضار الدرويش ثانية إلى مقام السقاء ويجلسه ، وحينئذ يُفتح مقام أبيض يسمى" مقام سلطان ولد" موجود قبالة قبر "آتش باز"فى رواق كائن بالطرف الشمالى فى المطبخ ، ثم يحضر المشرف على الذكر الشيخ الطباخ ويجلسه فى هذا المقام ، ثم يمسك بيد الدرويش الجديد ويأتى به إلى حضرة الشيخ الطباخ الذى يقول للدوريش:كن ثابتا فى طريقك ثم يشرع جاهرا بنفس الدعاء السابق. ويقول المشرف على الذكر والشيخ الطباخ والدرويش "هو" ، وبناء عليه يأتى المشرف على الذكر إلى

حجرة ذات شمعدان مزدوج ثم يشعل شمعة ويثبتها فى شمعدان ويأخذه أمام المريد ، ثم يغادره ويأتى إلى الحجرة ، أما الدرويش المشرف على الذكر فينطلق بقدمه اليمنى وهو يبسمل ثم يدخل الحجرة ويضع الشمعدان فى أحد المواضع ، ويغلق نوافذ الحجرة ويجلس الدرويش فى مكانه ثم يطأطئ الشيوخ رءوسهم محيين قائلين"هو" ، وبعد ذلك يقول الشيخ المشرف على الذكر للدرويش الجديد ما يخفيه عنه لمدة ثلاثة أيام ، ثم يلتقى به وهو يخرج من الحجرة . وهذه الليلة يأخذ كل واحد من الشيوخ بعد الصلاة ما يقدر على حمله من الهدايا ثم يذهب إلى حجرة الدرويش الجديد فيشرب القهوة ويبارك للدرويش الجديد ، بيد أنه يخرج للصلاة ويذهب إلى المتوضأ، فإذا ما خرج خارج الحجرة يرتدى الخرقة الرسمية أى أنه يأخذ على ظهره خرقة الدرويش الطويلة ذات الأكمام الواسعة الفضفاضة.

وبعد ثلاثة أيام يذهب المشرف على الذكر إلى حجرة الدرويش قائلا"دستور"فإذا ما سمع صوتا من الداخل يقول "هو" فإنه يدخل قائلا"ستكون حجرتك مفتوحة" ، ثم يفتح النوافذ ، أما فى قونية فإنه يأتى بالدرويش إلى جلبى ، وإذا كان فى أماكن أخرى فإنه يأتى به إلى شيخ التكية ، ثم يجلس المريد أمام درويش جلبى أو أمام الشيخ وهو يجثو على ركبتيه ، ثم يلمس كلاهما ركبة الآخر ، ويمسك جلبى أو الشيخ باليد اليمنى للدرويش ، وتكون أصابع الإبهام ملتصقة مع بعضها البعض طولا، والأصابع الأخرى ممسكة باليد محيطة بها ، ثم يلقنه البيعة ويشرح حال أولئك الصحابة الذين بايعوا النبى – صلى الله عليه وسلم – فى الحديبية ثم يتلو قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح آية ١٠].

ثم يقص بعض شعيرات من شاربه وسط حاجبه ، ويُلبسه خرقته الرسمية على ظهره مكبرا ، ويقول له : انتهت فترة مكابدتك ومعاناتك، ولسوف تدخل الآن حجرة التعبد والزهادة ، ويقوم بهذ المراسم فى قونية شيخ الطريقة .

يستمر آخر اختيار لحجرة المكابدة والمعاناة ثمانية عشر يوما ، ولا يتسنى للدرويش الخروج خارج التكية خلال هذه المدة، بيد أنه كان يستطيع أن يطوف

ويتجول داخل التكية .أما إذا كان فى قونية فإنه يذهب إلى زاوية شمس بعد ثمانية عشر يوما ، فإذا ما أقبل المشرف على الذكر فإنه يمسك الرأس التى على الركبة من الخلف ،وفى هذه الشعيرة يتم التكبير على قلنسوة الدرويش وتصبح القلنسوة المؤقتة ملكا خاصا له أما إذا لم يكن فى قونية فإن مراسم التكبير يضطلع بها الشيخ بإرشاد من المشرف على الذكر عقب الخروج من حجرة التعبد والزهادة. وبعد الفراغ من التكبير على القلنسوة يقوم شيخ الطريقة فى " قونية" والطباخ فى التكايا الأخرى بتعليم الدرويش الذكر والأوراد .

بهذه الصورة يحق للدرويش أن يحرز لقب "حجرة نشين ، وحجرة جُزين" يعنى أن يكون صاحب حجرة ، ويسمى كذلك "شيخا" أو دده"ويقيم فى هذه التكية إذا رغب فى ذلك ، أو يذهب إلى تكية أخرى حسبما يريد. وثمة طائفة تخرج من التكية تتمثل فى هؤلاء المشغولين بالخدمة أو المتزوجين.وإذا ما أقام فى التكية فإنه يعقد مجالس المنادمة والمسامرة مع الدراويش الجدد حسب قدرته وكفاءته وعلمه ومعرفته، وينشغل كذلك بتربية المحبين وتدريس المثنوى ، ويعلم الموسيقى كل شهر بحسب واردات التكية وينفق هذا المال على حاجاته الضرورية . وثمة هدايا تسمى "نياز وبرك سبز" يقدمها المحبون والزائرون إلى الشيوخ ، ولا يرفض الشيخ المولوى ما يقدم له، بيد أنه لايطلب من أحد شيئا ألبتة.

الانقطاع عن التدريبات الدينية العقائدية قبيل انقضاء مدتها :

إن الارتباط الوثيق بالمولوية والإقرار بذلك والتجرد من كل شىء يعنى الانتهاء من مدة الخدمة المعنية،ويشرح هذا بعبارات يستشف منها هذا المعنى مثل أنه أصبح صاحب حجرة ، وأنه فرغ من قضاء فترة المكابدة والمعاناة . ويضطلع خلال هذه المدة بالخدمة فى التكية ،ويسمى الشخص المنوط به هذه الخدمة" "cilekes أى المكابد فى العبادة وممارسة الطقوس الدينية ، ويوصف الدرويش الذى يكمل هذه المكابدة على الوجه الأمثل بعبارة" "cilecekmek " أى قضاء فترة المكابدة والمعاناة فى التعبد.

تحدث أشياء في أثناء فترة التعبد هي غير ذات مغزى بحسب عقلية الوقت الراهن ، ولكنها أشياء جد مستغربة من ناحية كونها فترة تجربة واختبار تراعى فيها نظام الطريقة ومنهجها القويم . وعلى سبيل المثال فإنه يقال للمتسوق الموجود فى التكية المولوية الموجودة فى "بهارية" يتوجب عليك شراء لفافة سجائر من فلان الدخائني[2] الموجودفي ميدان بايزيد ، حتى أن المريد يغدو ويروح بأشياء خلف حي أيوب كي يصل إلى التكية مما يصيب السجائر ببلل ، فيرسل إلى المريد أمرا يقول فيه : إذهب إلى فلان الدخائنى الموجود فى حى الفاتح واشتر لفافة أخرى، وإن اصدار هذه الأوامر يعد دليلا على مدى إخلاص المريد وحسن سلوكه وتصرفه ، وأحيانا يتم الحكم عليه عن طريق الغادين والرائحين ويُفهم من هذا مدى اتباعه للأوامر أو مخالفتها وفى أثناء هذه التجارب والإختبارات تقال للمريد بعض الألفاظ القاسية شريطة ألا تكون متناقضة للتربية والأدب ألبتة، ويقاس بهذه الألفاظ مدى تحمله واصطباره ، حتى أن هناك مريدا يرسل إلى الخارج للاضطلاع بمهمة الصلح بين المتخاصمين ، وعلى سبيل المثال فإنه يتقابل مع أحد المحبين ذات يوم ويخاطبه بإصرار إذا ما أراد أن يشرب العرق [٣إنه] في أحد الحانات ، وهذه إحدى وسائل اختبار المريد التي تدل على الوفاء بالعهد وتنفيذ الأمر الذى يتلقاه المحب وخلاصة القول أنه لم يظهر ما يتمناه المريد فى واحد من هذه الاختبارات فإنه يقال له حينئذ أنه لن يتسنى له النجاح والتوفيق فى العمل ثم يطرد من التكية. أما إذا لم يتحمل المريد الاختبارات أو الاضطلاع بالخدمات فى أثناء فترة المكابدة والمعاناة فإنه يترك التكية ، وإذا ما ذهب إلى منزله أو قريته فإنه يعد آنذاك منقطعا عن التدريبات الدينية حتى إذا انقطع عن العبادة فى اليوم الألف من الألف يوم ويوم فإنه يقر ويعترف بذلك ويندم على فعلته ويلجأ إلى التكية ويبدأ فترة العبادة من جديد ، ويذهب ماقام به من خدمات أدراج الرياح، ورغم هذا فإن من النادر أن يوجد بين ثنايا المولوية أولئك الذين ينقطعون عن العبادة قبيل انتهاء مدتها. إن الانقطاع عن العبادة والتبتل هو إثم عظيم، وإن المنقطع عنها سوف يلقى لطمة قوية عنيفة ولن يجدى فلاحا، وكانت هذه عقيدة عامة.ورغم هذا فإن المنقطع عن العبادة عندما يدخل إلى صومعة التعبد فإنه يضطلع بالخدمات التى يكلف بها ، ولكن لا ينكشف له أركان المطبخ وساحة الذكر

،وإذا لم يعاد أحد فإنه لايعد خارجا عن إطار المحبة ويأتى ثانية إلى التكية ويدخلها وينضم إلى حلقات الذكر ، ولا يعفى عنه الأشخاص الذين يعلمون ، ولكنه لايوبخ ولايلام على ما فعله من سلوك مشين عيب.

المشرف على التكية :

كان جلبى يمثل المولوية فى قونية ، أما الشيخ فيمثلها فى التكايا الأخرى،بيد أن من يضطلع بتربية وتنشئة الدرويش فكان ممثلا للرياسة الروحية والمعنوية على هذا النحو ، ومن ثم فإن هذا الشخص كان يسمى فى قونية شيخ الطريقة أو صاحب الطريقة ،أما فى سائر التكايا الأخرى فكان يستمسك بلقب الشيخ الطباخ ليحل محل شيخ الطريقة.وكان هذا المقام يسمى بمقام جلبى حسام الدين حتى يضطلع بالتربية على الوجه الأمثل .وكان صاحب الطريق مأمورا بالقيام على خدمة التكية والتعهد برعاية آداب طريقة الشيوخ من أصحاب الحجرة ومن أنهوا فترة التعبد والتزهد فى المطبخ، وكان جلبى يعين فى بادئ الأمر صاحب الطريقة ، ثم انحصر التعيين فى عائلة واحدة إبان الأزمنة المتأخرة .كانت خدمة الشيخ الطباخ تتمثل فى رعاية شئون الدراويش الذين يقضون يوم فترة المكابدة والمعاناة فى صومعة التعبد ، كما كان المريد يأتى إلى المطبخ يقدم الإقرار فى حضرة الشيخ الطباخ ، ثم يُسلم بعد ذلك إلى الوقاد وكان الشيخ الطباخ يعين فى قونية بأمر من جلبى أو بأمر من الشيخ فى التكايا الأخرى، أما خادم الضريح فلا قبل له بأن يكون متزوجا ، ولهذا السبب كان يتم اختياره من أسن وأعجز الشيوخ عمرا . وكان فى قونية ثلاثة شيوخ يضطلعون بحرفة البوابة وجميعهم تحت إمرة خادم الضريح ،أما من لا وظائف لهم فكانوا يقفون أحيانا للتحية فى نوبات قبالة الصندوق فى مقبرة مولانا . ولا وجود لتلك العادة فى سائر التكايا الأخرى.كانت وظائف البوابين ممن هم فى معية خادم الضريح تنحصر فى تنظيف الضريح وإشعال القناديل مساء، ويحضرون القنديل فى رأس الضريح فى أثناء الليل فى محيط التكية أو خارجها ، كان المطبخ هو روح التكايا المولوية ، ويأتى فى صدارة المطبخ الشيخ الطباخ .

والوقـاد، ويوجـد في داخله المشـرف على الذكـر والشـيـوخ المنظفـون للأطبـاق وغيرهم ممن يتربون فى التكية . اما رئيس الطهاة فإنه يضطلع بإدارة تفقات المطبخ ويدير شئون التكية ويربى المريدين. وكان الشيخ الوقـاد بمثابة معين ومساعد للشيخ الطباخ ،اما الشيخ الخليفة فإنة يُعهد إليه تربية وتنشئة الداخلين الجدد إلى المطبخ ، ويعلم هؤلاء المريدين اصول وآداب وقواعد المولوية . ويكون المشرف على الذكر تحت إمرة الشيخ و عليه تبليغ الأوامر وكان فى قونية شيخ زاوية شمس وشيخ زاوية آتش باز ، وكان اسم "شيخ شمس "يطلق على الشيخ الموجود فى مقام شمس تبريزى .

وقد شرحنا آنفا ان الذكر الأولى كان يعقد فى زاوية شمس، وكان الشيوخ الموجودون فى زاويتى شمس و آتش باز كلتيهما يأتون إلى تكية مولانا فى أيام الذكر، ويجلسون فى اماكن خاصة بهم ويغشون حلقات الذكر . أما الشيوخ الذين أحصينا خدماتهم وأسماءهم فكان يطلق عليهم اسم "ضابط التكية" . ولما كانت التكايا المولوية فى نفس الوقت تتميز بوجود محلة للموسيقى فإن عازف الناى وضاربى الطبلة يعدون من أركان المولوية، ناهيك عن هؤلاء المربين ممن يضطلعون بالخدمة الذين أحصيناهم آنفا . أما قائد العزف على الطبلة فكان يدير جماعة المطربين مستمسكا بأصول عزف الطبلة فى يوم معين وفى الليالى التى يعقد فيها الذكر، بيد أن قائد عزف الناى كان يعزف تقسيما على الناى فى آخر مقطوعة موسيقية وقبيل"دور ولدى"، كما كان ينفخ الناى فى معية عازفى الناى الآخرين فى الشعائر والطقوس الدينية ، وكان هذان الشخصان يضطلعان بتربية وتنشئة عازفى الناى فى قاعات الطقوس الدينية.

خدمات المطبخ :

للمطبخ ثمان عشرة خدمة وبيانها كالأتى :

١ – الشيخ الوقـاد: لهذا الشخص مقام ، وهو موجود فى المطبخ فى أوقات النهار ، وهذا يعنى أنه صاحب مقام ومن ضباط التكية ويقوم على رعاية وخدمة المريدين، ويعقد مجالس المنادمة والمسامرة فى معيتهم .

٢ - الشيخ الخليفة:يبين الطريق للقادمين الجدد إلى المطبخ ويرشدهم إليه ، ويضطلع بتربيتهم وتنشئتهم .

٣ - المشرف على الذكر الخارجي: مهمته تتمثل فى إبلاغ أوامر شيخ الطريقة أو شيخ الطهاة إلى كل الدراويش الموجودين فى الحجرة .

٤ - غسال الثياب : وهو القائم على غسل وتنظيف ملابس الشيوخ والمريدين .

٥ - منظف المُتوضأ : هو المتعهد بتنظيف المراحيض وأماكن الوضوء والفِسْقية والصنابير .

٦ - صانع الشربات : مهته صنع شربات المريد الذى يصعد إلى الحجرة ، وهو فى نفس الوقت يصنع الشربات ويقدمه إلى أولئك الشيوخ القادمين لزيارة المطبخ .

٧ - منظف الأطباق : يقوم بغسل الأطباق وتنظيفها .

٨ - منظم الصوان : يقوم على عناية الأطباق والأوعية فينظفها ويطليها بالقصدير .

٩ - المتسوق : يذهب صباحا إلى السوق بالسلة ويأتى بالأشياء التى اشتراها .

١٠ - مجهز المائدة : ينصب مائدة الطعام ثم يرفعها عقب الفراغ منه .

١١ - المشرف على الذكر الداخلى : يعد القهوة للمريدين الموجودين فى المطبخ ، كما يقدمها كذلك إلى الشيوخ القادمين إلى المطبخ فى أيام الجُمع .

١٢ - وقاد القنديل الداخلى : وهو ينظف قنديل المطبخ ويشعله .

١٣ - المحمص : يتعهد بتحميص قهوة المطبخ .

١٤ - متعهد الفراش: يتولى العناية بفراش المريدين فيفرشه ويرفعه .

١٥ - وقاد القنديل الخارجى : يشعل القناديل الموجودة خارج التكية .

١٦ - الكناس : يكنس الحديقة وما يجاورها .

١٧ – وقاد السراج : وهو المتعهد بشمعدان المطبخ.

١٨ – الخادم المكلف بمهمة ما : وهو يتعهد بأداء الخدمات السريعة ، فيحمل الأشياء اللازمة ويحضرها، وكان يتولى الوفاء بهذه الخدمة قبيل مجيء المريدين.

إن أعظم الخدمات هى خدمة تنظيف المراحيض والمتوضأ لأنها تكسر غرور النفس الإنسانية على نحو قاطع لاريب فيه. وكانت هذه الخدمة تمنح حتى وقت قريب إلى مريد المطبخ ومن هو على وشك الانتهاء من فترة المكابدة والمعاناة فى صومعة التعبد .

وكان المشرف على الذكر يقول :ذات يوم فى ساحة ممارسة الطقوس والشعائر الدينية: إن القيام على خدمة المراحيض والمتوضأ هى بمثابة خدمة الدرويش الفلانى، وهذا التبليغ يعد إشارة إلى الدرويش الذى يوشك أن ينتهى من قضاء فترة المكابدة، بيد أنه كان ناسيا لتلك الأيام منذ فترة طويلة ، حتى أن الدرويش لا يعلم القواعد والأصول وكان لايدرك كنه هذا .

وإذا كان المريدون الموجودون فى المطبخ أقل من ثمانية عشر يوما فإن مريدا واحدا هو الذى يكلف بأداء جملة من الخدمات ، أماإذا كانوا أكثر من ثمانية عشر فإنه يُقدم حينئذ رفيق واحد لكل صاحب خدمة.كان يوجد أصحاب خدمات أخرى مثل:صانع اللقم وصانع الخِفاف المتعهد برعاية النِعال.

الشيخ :

تأتى المشيخة عند المولوية فى المرتبة الثانية بعد الدروشة .ويتبوأ الشيوخ مقام المشيخة ويمثلون المولوية خيرتمثيل ، بيد أن هؤلاء لا يتبعون سنة مولانا ولا يتدخلون فى مهمة التربية ، بل كانت هذه المهمة فى قونية تخص شيخ الطريقة أو رئيس الطهاة فى سائر الأماكن ومن ثم فقد كان كل من شيخ الطريقة ورئيس الطهاة يمثلان :شمسا وصلاح الدين وجلبى حسام الدين.ولاريب أن الشيوخ كانوا يعينون بصفتهم قراء للمثنوى فى التكايا على وجه الخصوص .

وكان شيوخ المولوية يلبسون قلنسوة مجردة من كل شيء ، ونعني بها قلنسوة غير ملفوفة وهي خضراء اللون إذا كان لابسها شيخا سيدا أي من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يلف عليها لفافة بيضاء ويترك فيها طيلسانا من الجهة اليسرى ، وهذا يعني أنه لايلف طرف العمامة بل يدعها تتدلى حتى خصره .اما إذا كان الشيخ شلبيا فإن العمامة حينئذ تلف من أسفل على هيئة خاصة ، وإذا كان غير شلبي فإن القلنسوة تُرى من تحت العمامة في عرض أصبع واحد.

يضطلع جلبي بمنح أو إرسال ما يعرف برسالة المشيخة إلى الشيوخ حتى يتسنى لهم إثبات مشيختهم .

وها نحن أولاء نسجل في هذا الصدد نموذجا للترجمة التركية لرسالة المشيخة المكتوبة بالفارسية والتي كان يرسلها من "أدرنة" "برهان الدين بن أمير عادل جلبي ابن أولو عارف جلبي إلى شيخ مدينة"نيادة" ، والتي كان يقدمها"آهي أحمد بن آهي محمد إلى حاجي إبراهيم وهذا نصها:"حفظك الله العظيم ،ليعلم كل من الأصدقاء والعشاق والصادقين والمحبين والمريدين والكبراء وأرباب الوجاهة الموجودين في مدينة "نيادة" أن حاجي إبراهيم بن آهي أحمد ابن آهي محمود رفع الله مقامه قد حظى بثناء الدراويش الفقراء وقبول المتصوفة، وبات مريدا بكل عشق وإذعان واعتقاد ، باركنا الله بسره العظيم ، ويتوجب عليه أن ينفذ شروطا منها أن يكون صاحب زاوية مضطلعا بالخدمة على الوجه الأمثل ، وألا يهمل شيئاً حتى ولو كان شيئا دقيقا . هذا ما تقوله الوثيقة المكتوبة ثم ترسل إليه بعناية فائقة ويتوجب عليهم اعتبار الشيخ ابراهيم الذي سلف ذكره واحدا منا ، وليعلموا أننا عيناه ،وأن كل من يتعهد برعايته ومساعدته باذلا جهده في ذلك يكون قد راعى سلالتنا وأجدادنا. وآمل من كل من يقرأ رسالة العناية تلك أن يتحرك من فوره على هذه الشاكلة ويثق به ، وقد كتب هذا في اليوم العاشر من شهر رجب لسنة ٧٩٦ هـ " (د/فؤاد نظيف اوزلوق : رسائل مولانا ، لاحقة٢ ص ٥٠١).

وكان عبد الحليم جلبى الأول يمنح رسالة المشيخة بعد قرنين ونصف من هذا التاريخ على وجه التقريب وهذا نصها:"فخر الصلحاء السالكين عالى دده زيد الله صلاحه وتقواه،ننهي إليك قطوف التحيات وإنك قد فوضت وعهد إليك خدمة ورعاية قراء المثنوى والقيام على مشيخة التكية المولوية الكائنة بمنطقة محمية "كليس" ويتوجب الوصول إلى التكية المذكورة وتكون فى الأوقات الخمسة مع فقراء باب الله ، والدعاء لظل الله ومسند العالم خلد الله خلافته إلى يوم الانتباه، وأن يديم الله عمر السعادة وقيام خيام العزة والشوكة ، وهو للفقراء والأحبة مقبول عند البارئ القيوم ،إنه حضرة مولانا جلال الدين الرومى قدس سره بمغزى القرآن والوقوف على آداب الشريعة والطريقة . وأنت أصبحت شيخا لفقراء باب الله كثرهم الله تعالى إلى يوم القيامة ، وهو يعرفون قارئ المثنوى ومطيعون بكمال الانقياد إلى أمور الشريعة والطريقة ، وأنت لاتفوت دقائق الشريعة والطريقة ،ولتكن فى معية حسن معيشة الفقراء ولاتترك الدعاء للأولياء الكرام السابقين جزاهم الله فى الدين تحريرا فى أوائل شهر جمادى الأولى لسنة اثنتين وسبعين وألف"من الفقير ابن حضرة مولانا قدس سره الشيخ عبد الحليم".

ويجذب النظر فى هذا الصدد ثلاثة أشياء هى :

أولا : أن الشلبيين كانوا يمنحون رسالة المشيخة ، ولكن لم يكن هناك شلبى يقيم فى قونية إبان عصر مولانا، كما كان "ديوانه محمد جلبى"هو وخلفاؤه يمنحون الخلافة المولوية إلى من يريدون ، وعليه فإن المولوية لم تفقد شخصيتها المميزة إبان عصر التأسيس وحتى القرن السابع عشر الميلادى، ولم تكن حتى ذلك الحين قد تأسست بعد بصفة مركزية مطلقة .

ثانياً : إن رسالة المشيخة التى منحها عبد الحليم الأول جلبى فى سنة ١٦١٦هـ كانت هى بعينها الرسالة التى منحت إلى محمد شمس الدين دده الذى عين شيخا على التكية المولوية فى بورصة، بيد أن التاريخ ومكان الاسم وبعض المواضع قد

أصابها التغيير والتبديل . ومن ثم فإنه يفهم من هذا أن رسائل المشيخة كانت تدبج بالفارسية فى هذه الحقب المبكرة، ثم بدأت تكتب بالتركية بعد حين ، وكانت تقبل على شاكلة واحدة من الكتابة .

ثالثا: إن الشىء المسترعى للانتباه فى الخطاب الوارد فى أول رسالة للمشيخة كان موجها للأصدقاء العاشقين والصادقين والشيوخ والمحبين ، يعنى إلى المولوية وإلى كل من يريد أن يكون مولوياً ،كما أن شروط المشيخة لاتبدى إهمالا قط فى أى شىء يتصل بالطريقة والاضطلاع بخدمة الإخوان وصاحب الزاوية ، وهى خلوْ كذلك من أى إيماءة صغيرة تشير إلى أشياء مثل الدعاء للدولة والثناء على السلطان ، بيد أنه ورد فى الرسالة الثانية للمشيخة شرط يوجب على المولوية أجمعين الدعاء للسلطان بطول العمر قبيل التحدث عن خدمة الإخوان[٤].

الخليفة :

يضطلع بمنح الخلافة إلى واحد من دراويش المولوية أو شيوخهم ،أوفى بعض الأحيان إلى أحد كبرائهم ووجهائهم وكان يفضل أن يأخذ الشيخ الخلافة فى أية تكية تحل فيها المشيخة ، أو يرسل إلى التكية شيخ أو محب ليكون شيخاً عليها ،وكانت صلاحية الخليفة جد قليلة في الأزمنة المتأخرة ،كما كانت الخلافة موجودة فى سائر الطرق الصوفية الأخرى كما هو الشأن عند المولوية وذلك باستثناء البكتاشية[٥].

وكان منصب الخليفة فى العادة منصبا روحيا معنويا ، بيد أن الخليفة كان يضطلع بتمثيل الطريقة مباشرة ، وكان يتم إرساله مباشرة إبان حقبة تأسيس المولوية ، ولما لم تكن المركزية قد تأسست بمعناها الواسع فإن الخليفة كان يُرسل به إلى أى مكان، وكان يتم إرساله فى افتتاح التكية وإلى المواضع التى يجب أن يكون حريا بالقبول فيها ، كما كان منح الخلافة يتم لذوى الأهلية والكفاءة والاستحقاق . إن المعلومات التى استقيناها من "سبهسالار" ومناقب العارفين وحتى من روضة الأسرار التى دبجت بعدذ لك هى ولاريب معلومات غير لائقة أو حرية بالقبول فى الحقب

المبكرة، فالشيخ هو بعينه الخليفة ولا فرق بينهما . وبعد مدة من الزمان ولاسيما بعد القرن السادس عشر الميلادى كان الخليفة لاينال الخلافة والمشيخة ولكن الخلفاء كانوا يعينون بصفتهم شيوخا فى التكية ليس إلا.

وهكذا ظهرت درجة الشيخ فضلا عن ظهور درجة الخليفة قبل ذلك.وثمة سبب واحد فى ظهور هذه الدرجة هو أن الذين لم يكونوا خلفاء لمقام الشلبية قد عينوا شيوخا فى التكايا ، وتمخض عن هذا أن هناك شيوخا أخذوا الخلافة فى معية الشيوخ ممن ليسوا خلفاء . وظهر كذلك خلفاء لم يكونوا شيوخا فى أى مكان . كان للخليفة الحق فى تلقين الذكر للسالكين ومنح الأوراد وإعطاء رسالة الخلافة وكان يؤثر الخلفاء فى تعيين الشيوخ فى التكايا الأخرى التى يوجد فيها منصب المشيخة، وعليه فقد ظل أكابر المولوية ووجهاؤهم مضطرين إلى تولى الخلافة وتبوؤ منصب جميع الشيوخ ولاسيما الذين تبوءوا مقام الشلبية .

ورغم هذا فإنه يصادف وجود مشايخ لم ينالوا الخلافة ألبتة . كانت الخلافة ومنصبها يؤخذان من الشخص الذى هو بمثابة الخليفة ، وكانت شخصية هذه الخلافة وكيانها يُصانان وتكفل لهما الحماية إلى حد بعيد حتى الأزمنة المتأخرة، ونقدم هاهنا مثالين لرسالة الخلافة .الرسالة الأولى تلك التى قدمها أحمد دده شمس وأحد شيوخ النقشبندية إلى سيد سليمان بلخى(ت ١٨٥٢ م) قارئ المثنوى وشيخ تكية مراد بخارى(٦).

وهاهوذا نص الرسالة :

"إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق"(٧) "واتيناه الحكم صبيا(٨). أنا الفقير إلى الله تعالى السيد أحمد المولوى خادم ضريح حضرت شمس تبريزى قدسنا الله بسره (خاتم على هيئة قلنسوة معممة - السيد أحمد المولوى).
الحمد لله الذى خلق الإنسان على صورته لخلافته ،وجعله مرآة عينه ومشاهدته ، وخصه بالعقل لاتخاذ وثيقة الأبدية - كرمه بالإدراك لإظهار الحقائق السرمدية وأثبت شجرة الطريقة فى أرض السعادة"كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء"(٩).
نحمده حمدا لا ينقضى إلى الأبد ونشكره شكرا لا ينتهى إلى الأمد ونشهد ألا ند له

ولا نظير ، والدعاء المتناهى ، وعلى سيد الأنبياء وسند الأصفياء ، باعث إيجاد العالم وسبب خلقة بنى آدم ، وجود اللطائف ومنبعه العظيم ، وعين سر الكرم ، ومظهر لولاك لما خلقت الأفلاك . رضوان الله عليهم أجمعين ما دامت السماوات والأرضون .
أما بعد فإن الباعث على تمهيد هذه المقدمة الجليلة وسبب تسطير أرقام جميلة هو سر خليقة عالى البيان على مقتضى الآية الكريمة التى تقول"وحملها الإنسان"[٥] من مبدأ فيض العالمين بواسطة جبريل الأمين الذى وصل إلى حضرة سيد العالم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحضرة حبيب الله صلى الله عليه وسلم على المرتضى كرم الله وجهه، وحضرة على المرتضى كرم الله وجهه وأبنائه حضرة إمام حسن والإمام الحسين ، وحضرة الإمام زين العابدين بن حضرة الإمام الحسين ، وحضرة الإمام محمد الباقر بن حضرة الإمام زين العابدين ، وحضرة الإمام جعفر الصادق بن حضرة الإمام محمد الباقر ، والإمام موسى الكاظم بن حضرة جعفر الصادق ، وحضرة الإمام على الرضا بن حضرة موسى الكاظم ، وحضرة إمام محمد التقى بن حضرة على الرضا، وحضرة محمد التقى بن حضرة إمام على التقى ، وحضرة إمام حسن العسكرى بن حضرة إمام على التقى، وحضرة إمام محمد المهدى بن حضرة حسن العسكرى ، صلوات الله عليهم أجمعين ،

والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[١١].

الفقير خادم ضريح شمس الدين تبريزى السيد أحمد دده (نفس الخاتم).

شهود الحال:شيخ الطريق محمد فهمى دده أفندى ، وسرناى حبيب دده أفندى.

أما رسالة الخلافة الثانية فهى باللغة العربية وقد اضطلع الشيخ حسين فخر الدين دده شيخ التكية المولوية فى بهارية بمنحها إلى الشيخ سيد عالى شيخ التكية المولوية فى المدينة المنورة ، وقد أعيرت هذه الرسالة من"رسوخى بيقرا"وهى مخطوطة فى دورية"حسين فخرى دده"، وقد اضطلعنا بوضع صورة شمسية لها وأدرجناها فى كتابنا هذا ونقلنا ترجمة تركية لبعض المواضع من هذه الرسالة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة البقرة آية ٢٦٩) ، ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وما يُلقَّاها إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [سورة فصلت آية ٣٥] الشيخ الفقير والحقير سيد حسن فقير المولوى شيخ التكية البهارية وأعظم تكية مولوية فى موطن الخلافة إستانبول : بسم الله الرحمن الرحيم ،الحمد لله الذى خلق الإنسان على صورته ، وجعل وجوده مرآة لوجوده بمظهره وهيئته ووضوحه وبيانه ، وتفضل عليه بالعقل كى يحيطه بالحبل المتين ،وعظمه بالفهم والإدراك حتى يظهر الحقيقة على الدوام ، وغرس شجرة الطريقة مُدْهامة على وجه أرض السعادة طازجة يانعة غصة جميلة وأنشأها معرقة الأصل والنسب ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٤]. نحمده حمدا لا أول له ولا أخر ، ونشكره شكرا لا نهاية له. ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله. بعد الحمد والثناء الأرض والسماء، وإعتماد الصوفية المطهرين على عظمة أنبياء الرحمة ، وإلى محمد الذى أرسل إلى الناس كافة والذى كان سببا فى إيجادهذا الوجود العظيم السامى ، وسببا فى خلق آدم فى هذا الوجود ، وهو الخميرة اللطيفة العظيمة ومصدر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[الإسراء : آية ٧٠] وهو منجم الفضائل والخيرات والمعالى والجودوالإحسان ، فرضى الله عنه ما دامت السموات والأرضون . إن مقصدى قبل التفوه بهذه المقدمة السامية وقبل أن أكتب هذه الكتابات الجميلة الشيقة ، هو سر الخلافة الجلية لرفعة وسمو الإنسان اتباعا لقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ [الأحزاب آية ٧٢] . إنه الله رب العالمين وصاحب الفيض والفضل والإحسان، وقد وصلت الرسالة إلى سيد ولد آدم وأرفع العالمين بواسطة جبريل صاحب الأمن من الله ، رحمه الله وعفا عنه، وقد لقن النبى صلى الله عليه وسلم الإمام على المرتضى، ولقن المرتضى الحسن البصرى (هى نفس السلسلة الموجودة فى رسالة الخلافة الأولى استثناء الأئمة الاثنى عشر). وينهئ سر أبى بكر وصاحب الطريقة أمير حسن دده، وقد كتبت هذه الرسالة فى سنة ١٣١٨هـ لصاحب الهجرة المعظم المقام عالى المقام ، ولقد وصلت السلسلة . وعلى سبيل المثال فإن خلافة شيخ ينى قابى سيدنا ناصر أحمد عبد الباقى وصلت من أخيه عالى نطقى دده وقبله صحيح أحمد دده (ت ١٦٩٨) ومن أبى بكر دده (تكية المولوية فى ينى قابى) وكل هؤلاء أدلة دامغة أكدت رأينا فيما يتصل بالخلافة .

قراء المثنوى وأصول وقواعد تعليم المثنوى :

يطلق على من يضطلع بقراءة المثنوى والإقدام على شرحه وتعليمه اسم " مثنوى خوان" أى "قارىء المثنوى"، وثمة شرط يقضى بالحصول على شهادة بغية تدريس المثنوى وتعليمه ، ولأجل هذا فليس ثمة ضرورة تفرض على قارىء المثنوى قراءة الأجزاء الستة ، وإن العالم بالفارسية الحاذق لها هو بطبيعة الحال معلم لكتاب فارسى مواظب على درس المثنوى مدة من الزمان ، حتى أن جلبى الذى يُمنح شهادة من قبل قارىء مولوى فإنه يؤذن له من الشيخ المولوى بالتكبير على قلنسوته تبركًا ولف العمامة حولها .

لقد كان المثنوى يقرأ إبان عصر مولانا ، وكان قراء المثنوى ومعلموه موجودين كذلك فى عصر كل من جلبى حسام الدين وسلطان ولد ، وكنا نكتب على المقبرة أو أماكن أخرى ما نتعلمه من القرآن والمثنوى والغزليات ، بيد أنه كان هناك استثمار فى عصر آل عثمان للاختلاف المذهبى والتعصب الدينى والتنافس السياسى بين حكومة العثمانيين من جهة وإيران من جهة أخرى ، ناهيك عن تحريض السلاطين لإذكاء نار هذا التنافس الذى كان سببًا فى إعتبار الفارسية شيئًا قبيحًا مستهجنًا ، ولاجرم أن الدارس للفارسية المهتم بها كان ولا ريب صاحب ذوق صوفى ورؤية واسعة بفضل تأثير مفكرى إيران وشعرائها ، وعلى هذا فقد ظهرت عبارة متعصبة حاقدة تجاه الفارسية ومن يتعلمها ، وتقول هذه العبارة"كيم اقور فارسى، كيدر دينك ياريسى" ، والمعنى : أن من يدرس الفارسية ينمحى نصف دينه . لكن المثنوى إبان تلك الأزمنة لم يكن ثاويًا بين الجدران الأربعة لتكايا المولوية ، بل انتشر وذاع صيته ثانية بواسطة الشيوخ . حتى أنه ظهرت مؤسسات مشيدة بغية تعليم المثنوى أطلق عليها اسم "دار المثنوى" ، وكانت آخر دار للمثنوى تلك التى افتتحت فى إستانبول ، وأخرى فى منطقة "جارشمبه" بحى الفاتح باسم "مراد ملا"(ت ١٧٧٨) ولحق بها مكتبة . وندرك من خلال مشاهدة قبر جديد أن"داماد إبراهيم باشا"(ت ١٧٣٠) كان يعيش فى عصر الصدر الأعظم "شهيد عالى باشا" (ت ١٧١٦) وكان ينتسب إلى الطريقة الحمزية واشتهر بالقطب لدى كثير من الحمزيين ، وقد اضطلع هذا

الشخص بتشييد مدرسة ذكر ضمن شروط وقفها أنها مخصصة لتدريس المثنوى . وعلى هذا النحو دخل المثنوى الفارسى إلى المدرسة الدينية. أما فى الأزمنة المتأخرة فكان يوجد من يقومون بتعليم المثنوى فى المساجد ، وكان " طاهر أولجون" يضطلع بتدريس المثنوى فى مسجد السليمانية (١٢) .

كانت هناك منصة خاصة للمثنوى يقوم شيخ بشرح المثنوى وتفسيره وهو جالس عليها وذلك عقب الفراغ من الصلاة فى أيام الذكر وفى دور المثنوى ، وكان الشيخ يقف عند قاعدة هذه المنصة ويقرأ أربعة أو خمسة أبيات من المثنوى الذى فى يده ، ثم يشرع الشيخ فى شرح الأبيات التى يقرؤها من أول بيت بعد أن ينقلها إلى التركية ، وكان يطلق على الشيخ الذى يقرأ أبياتاً من المثنوى ويشرحها "قارىء المثنوى "وذلك قبيل ظهور قارىء المثنوى الرسمى الذى يجلس عند قاعدة المنبر ، وكان يفهم من وظيفة قارىء المثنوى فى تلك العصور المبكرة أنه كان يضطلع بالتنبيه على الأبيات التى ينساها الشيخ الذى لا يوجد أمامه ورق أو دفتر ، لأن حفظ المثنوى وتدريسه كان عادة متبعة ومن ثم فإن وجود دفتر أمام الشيخ يعد من العيوب المستهجنة . وكان يوجد كذلك حفظة للمثنوى ، ومن بين هؤلاء واحد مدفون فى جبانة التكية المولوية فى أنقرة. وبعد أن يفرغ الشيخ من شرح المثنوى يشرع فى قراءة الأبيات التى يقول معناها "هكذا أمر مولانا الذى فتح أسرار العظمة الإلهية ، فلا علم النجوم ولا الرمل ولا الرؤيا، فالله يعلم علم اليقين أنه الوحى من الله " ثم يدعو ويقرأ الفاتحة .ولا يوجد فى المساجد قارىء لمعلمى المثنوى ، بيد أن هؤلاء كانوا يقرءون بيتين فى نهاية الدرس .

ونلحق بهذا البحث صورتين اثنتين لشهادة إجازة المثنوى:

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لوليه والصلاة والسلام على نبيه وعلى آله أجمعين ، أما بعد: فقد أذنت له كتاب المثنوى المعنوى على ما حققه الشارح الأنقروى سيد عثمان صلاح الدين المولوى ، كما أخذته عن سيدى خوجه أمين الله الحسينى ، وعن الأستاذ خواجه سليم النقشبندى قدس الله أسرارهم ونفعنا الله بعلومهم آمين ،

انا الفقير حسن حسام الدين قارىء المثنوى أجزت كما أجازنى شيخى أن نقرأ الأوراد الشريفة ومثنوى الشريف المعنوى أفاض الله وطال بقاؤه ، فلا علوم نجوم ولا رمل ولا رؤيا ، إنه وحى الحق والله أعلم بالصواب ، أقرأ فى ختام الدرس الداعى حسن حسنى شيخ تكية المولوية فى اسكيشهر".

خاتم :

" وبعد الألقاب وبعد العشق والتضرع والدعاء فقد وصلت رسالة محبتنا المؤرخة بالسادس عشر من شهر نوفمبر ، وهى شهادة فقيرة مع كل سرور ، وفاتحة فى بداية الدرس ، وهو يأمر بقراءة الأدعية الشريفة بإخلاص ثلاث مرات ، ويهديها إلى الروح العليلة لحضرة جناب سيدنا ويؤمر بتعلمها وقراءتها ، أسعدكم الله فى الدارين ، الباقى هو الله ، فى ١٥ ديسمبر لسنة ١٣٠٣ م .

الداعى

خادم الفقراء المولو اسكيشهرى (١٣)

الهوامش

(١) ثمة طائفة كبيرة من المولوية ينحدرون من سلالة شلبية "ولداز بوداق" ويقولون إن هذا يعنى أنهم من نسل مولانا من جهة الأم ، ويقول كثير من الشلبية بهذا الرأى ويروى " سوخى بيقرا " أن أباه عبد الباقى ممن يقولون بهذا الرأى ، وهذه الرواية شديدة الذيوع والشيوع إلى حد كبير بين المولوية ، وعندما أصبح " ولداز بودق "شلبياً فإن شجرة النسب وصلت حتى مولانا كى يتسنى تكذيب هذه الرواية ، وظلت مضطرة إلى أن تطبع بطاقة دعوة عظيمة ، ومع هذا فإنه يوجد نفر من القائلين بأنه من شلبية "إيناس" (محى الدين جلال دورور المولوى:ص ١٢٢) .

(٢) السفينة النفيسة للمولوية : ج ١ ، ص ٦٣ .

(٣) هو ابن أمير حسن دده الذى كان يعمل رئيس الطهاة فى التكية المولوية وتولى هذا المنصب بعد أبيه ، وظل يضطلع بهذه المهمة أكثر من خمسين عاماً ، وقد أدى مهمته على الوجه الأكمل فى أعمال الطريقة والطهى ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م (جمادى الآخر ة سنة ١٢٨٦ هـ) ، وهو مدفون فى حديقة الأرواح ، وتوجد قلنسوة معممة ملفوفة على شاهد القبر ، وقد قرض نسيب دده الشعر .

(٤) تظهر كلمة "هو" بجلاء فى أدب الديوان ، وعلى سبيل المثال فإن شيخ غالب يقول فى أحد أبيات شعره:

سوزلوب اوجشم أهو ديدى ذوق وصلة يا هو :. بود كلدى نيله يم بو يولم انتظاره دوشدى .

والمعنى : نعست عين الغزال فقال ذوق الوصال ياهو .:. ماذا أفعل أنه ليس هو وهوى فى لجة الانتظار

(٥) الوجود المطلق : هو العلم القائم بنفسه وهو عالم الجبروت ، ونشأت صفات العالم من هذا الوجود الذى يعد بمثابة برزخ بين الحق والخلق ويسمى بالحقيقة المحمدية وهو عالم الملكوت ، أما العالم الذى نجم عن هذا فيسمى الناسوت والشهادة وهو مظهر لعالم الملكوت ، أما اللاهوت فهو الألوهية وهو عالم الوجود المطلق

(٦) يروى أنه ذو حافتين مدببتين ,وهو سيف على رضى الله عنه ، ووردت فى شأنه روايات كثيرة.

(٧) يقول واحدى فى كتابه "مناقب حاجة الدنياونتيجة الروح"مفصلا القول عن الأبدال"إننى صوفى ملعقتى صفراء بجانب هؤلاء وإذا امتلأت ذات مرة بالحساء فإن العاشق يشعر أنه يعلق فى عصاه ضوئين اثنين" ونفهم من هذا أن هؤلاء كانوا يحملون الملعقة حول خصورهم.

(٨) هو بائع الدخان (المترجم).

(٩) العرق : مشروب مسكر يتخذ من البلح (المترجم) .

(١٠) تعطف رسوخي بيقرا وقدم لناالصورة الشمسية لرسالة المشيخة التي وضعناها في هذا المقام ولاسيما تلك الصورة التى التقطتها بنفسه، وقد أخذنا بكل امتنان صورة رسالة المشيخة التى منحت لمحمد شمس الدين أفندى وذلك خلال دورية"احتفالجي ضيا"ويتلطف من ولده أرجون،والشكر كل الشكر لكلا الصديقين العزيزين .

(١١) يضطلع البابا عند البكتاشية بتنشئة وتربية الدرويش والمحب فقط ، بيد أنه لا يتسنى له منح المشيخة لأى واحد قط ، وإن منح هذه المشيخة حق يخص الخليفة وحده .

(١٢) سيد سليمان بلخى ، من أشراف وأسياد الحسين وأحد شيوخ النقشبندية ،ولد فى قرية"قوندوز"ببلخ وتعلم فيها، وكان مريدا صوفيا عظيما ، وفى عام ١٨٥٥ م هاجرفى معية ما يربو على ثلاثمائة مريد بسبب الفوضى والاضطراب الذى انتشر فى دولته، وقدم إلى بغداد عن طريق إيران ،ثم مر فى طريقه بخراسان وزار الإمام رضا وبغداد وسامراء، ثم ذهب إلى كل من النجف وكربلاء ،ورغم أنه زار الإمامين عليًا والحسين فإنه اتصل كذلك بالأئمة المجتهدين ،وتمذهب بمذهب الشيعة الإمامية ،وبين أيدينا صورة شمسية لرد سيد سليمان بلخى على الخطاب الذى كتبه آية الله سيد محمد تقى طباطبا.ثم قدم سيد سليمان بلخى إلى قونية فى سنة ١٨٥٩ م ومكث بها أربع سنين وتفيد أحد الشواهد الموجودة فى رسالة الخلافة بأن شيخ الطريقة حسن دده وافته المنية فى الثامن والعشرين من شهر رجب لسنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٤م وبناء عليه فقد منحت رسالة الخلافة إلى سيد سليمان بلخى الذى يقيم فى قونية فى ذلك الإبان ،وكان على مقام الشلبية فى تلك الأعوام"محمد سعيد همدم جلبى"الذى اشتهر بقلندريته وانغماسه فى الملذات،ويتجلى كذلك انتساب سيد سليمان بلخى إلى المولوية فى ذلك الوقت بسبب عدم منح رسالة الخلافة على سبيل التبرك،وقد قدم سيد سليمان بلخى من قونية إلى إستانبول ثم قضى ردحا من الزمن فى مدينتى"سلوكلى وأسكودار"وفى سنة ١٨٦٧ م عين سيد سليمان بلخى قارئا للمثنوى وشيخا على تكية الشيخ مراد الكائنة فى"نيشانجي"بحى أيوب ، وذلك فى أعقاب وفاة الشيخ فيض الله قارئ المثنوى وشيخ هذه التكية،وتوفى سيد سليمان بلخى سنة ١٨٧٧م ودفن قبالة مقبرة الشيخ مراد الكائنة فى حديقة التكية ،وقد دبج سيد سليمان أثرًا عظيمًا بالعربية فى جزأين اثنين سماه"ينابيع المودة"حاول من خلاله إثبات رفعة وسمو أهل البيت وصدق وصواب مذهب الشيعة الإمامية،وقد اضطلعت السفارة الإيرانية فى إستانبول بطبع هذا الكتاب،ثم أعيد طبعه ثانية،سنة ١٠٣١هـ ،كما كتب مؤلفين آخرين هما"غبطة الأمان"و"مشرق الأقوام"وكلاهما بالعربية،ووضعهما بغية إثبات أن مذهب الشيعة الإمامية هو المذهب الحقيقى للإسلام،كما وضح فى هذين الكتابين"التولى والتبرؤ"فى صورة بغير تقية ،ومما يؤسف له أن هذين الكتابين لم يتسن طبعهما ،كما أن ولده سيد برهان قليج (ت ١٩٣٠) لم يتمكن من نقل هذين الكتابين إلى الموجودين فى مدينة جلال إلى المكتبة،وفى حوزتنا مسودة للجزء المكتوب بخط يده من كتاب "غبطة الإيمان"ولدينا طائفة من الدوريات المكتوبة بخط يده والتى تتضمن طائفة من الأحاديث المروية عن الأئمة الإثنى عشر،وكان ولده سيد عبدالقادر (ت ١٩٢٣ م) ينتسب إلى القطب الحمزى سيد بكر الرشاد (ت ١٨٧٥ م)، واشتهر بعد موته بالقطب من قبل طائفة كثيرة من الحمزية وأرباب الطرق الصوفية الأخرى (انظر عبد الباقى جلبنارلى الملامية والملا ميون-جامعة إستانبول – معهد التركيات- ١٩٣١ – ص ١٧٩ – ١٨٦) .

(١٣) سورة ص:آية ٢٦ .

(١٤) سورة مريم : آية رقم ٢٩ .

منح يني شهرلي نظيف دده الخلافة لولده حسن وكان طفلا صغيرا ، ومن ثم فإنه كتب فوق رسالة الخلافة لتذكر بالنبي يحى عليه السلام الذى كان نبيا وهو فى الرابعة من عمره ، وكانت رسائل المشيخة والخلافة تكتب على هيئة جميلة من قبل شيخ مولوى عالم ، وتتخذ من الشهادات الأخرى مثالا يحتذى به وعلي كل حال فإنه يتوجب أن تكون رسالة الخلافة تلك قد كتبت من رسالة الخلافة التى منحها نظيف أفندى وقد اقتبست هذه الآية ولا علاقة لها قط بعمر سيد العلماء.

(١٥) سورة ابراهيم "آية ٣٤ .

(١٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ آية رقم ٧٠

سورة الإسراء.

(١٧) ٧٢ الأحزاب.

(١٨) شوه النص الأصلى فى آخره "فبعد أن قال إن هذا الفقير لقن أحمد نسيب دده"تأتي جملة غير ذات معنى يقول فيها"إنني لقنت الشيخ سيد سليمان بلخي والفقير أحمد دده أفندى خادم ضريح شمس الدين تبريزى".أما الجمل التى يقول فيها:"إن سليمان دده أفندى لقن محمد نسيب دده أفندى،ولقن كذلك هذا الفقير ،والفقير لقن حضرة أحمد دده خادم ضريح شمس الدين تبريزى"يتوجب أن يصحح معناها ليعبر عن هذا المعنى على هذا النحو "إنه لقن كذلك محمد نسيب دده أفندى،ولقن محمد نسيب دده أفندى فقير ،ولقنت أنه الفقير أحمد تبريزى خادم ضريح حضرة شمس الدين تبريزى وكذلك الشيخ سيد سليمان أفندى البخارى" ،وفهم بجلاء أن رسالة الخلافة تلك قد كتبت على غرار رسالة الخلافة التى منحها نسيب دده (ت ١٨٦٩)، وقد نسخت هذه الرسالة من رسالة الخلافة التي منحها نسيب دده ولم يستطع تصحيح الجملة ،بيد أنه كان فى حقيقة الأمر شخصا ذا علم ومعرفة، ويفهم من الديوان الكبير المحفوظ بخط يده أن الشيء المدهش هو توقيع فهمى دده لرسالة الخلافة دون قراءتها .

(١٩) للاطلاع على دور المثنوى انظر عثمان أرجين : تركيا معارف تاريخي -جـ ١ إستانبول مطبعة عثمان بك ، ص ١٣٣ - ١٢٥ .

(٢٠) أول شهادة كانت فى تكية "احتفالجى ضيا المولوية " فى يني قابى (ص ١٦٥ - ١٦٦). وكان مانح هذه الشهادة هو الشيخ النقشبندى المشهور "أيوبلى خواجه حسام" وهاهى ذى ترجمة الشهادة:

"بسم الله الرحمن الرحيم - لله الحمد والرحمة لنبيه وعلى آله أجمعين ، أما بعد : فأنا أهنيء وأبارك أسرار الله بعلومه ومعارفه آمين ، فإن كنت قد حصلت على إذن من سيدى خواجه محمد أمين الله الحسين وأستاذى خواجه سليم النقشبندى ، فإني قد أذنت للشيخ سيد عثمان صلاح الدين المولوى بنقل المعنوى المثنوى متبعا فى ذلك سبيل شرح وتحقيق الأنقروى."

وقد اقتبسنا صورة الشهادة الثانية التى تخص قراءة الأوراد المتعلقة باختلافجي ضيا والتي منحت له بغية تدريس المثنوى .

الفصل الثالث

" عناصر المولوية وقواعدها "

الميدان الشريف – اسم الجلال – عين الجمع – أركان الصوماط – شهر المحرم والطعام – انقطاع الطريق والرحلة – سريا ايتمك – الأوراد المولوية – كيف كان يستقبل السلطان القادم إلى التكية ؟ – الموت – الدفن – ليلة العرس – الذهاب إلى الموت – شواهد المولوية .

(١) الميدان الشريف :

توجد في الأعم الأغلب حجرة مستطيلة تقع في مكان ما قريب من المطبخ ، ويسمون هذه الحجرة الميدان الشريف . ويكون الدخول إلى هذا الميدان عقب صلاة الصبح . وهذا يعني أن الداخلين يأخذون أماكنهم بحسب الأقدمية وهم وقوف واضعين أصبع إبهام الرجل اليمني فوق إبهام الرجل اليسرى ، وكان شيخ الطريقة في الأزمنة المتأخرة بقونية يدخل إلى الميدان الشريف وكذلك رئيس الطهاة في التكايا الأخرى ، وما يلبث كل هؤلاء أن يطأطئوا رءوسهم في احترام وتحية. وعلى حين يجلس شيخ الطريقة ورئيس الطهاة كل في موضعه فإن المريدين سرعان مايجلسون كذلك في نفس الوقت ، ويخرون على الأرض في معيته مقبلين إياها .

وثم مقام أحمر اللون يخص الشيخ في واجهة الميدان ، كما توجد كذلك مقامات سوداء وبيضاء كائنة في الجهة اليمني واليسرى لهذا المقام ، وهي تخص كلا من

الشيخ الوقاد والمشرف على الذكر . وبعد دخول الميدان يأتي المشرف على الذكر الخارجي بقطع من الخبز مع نوع من الحلوى فوق صينية ، ثم يقدمها أولا إلى شيخ الطريقة وشيخ الطهاة ، ثم يقدمها بعد ذلك إلى الموجودين جهة اليمين وجهة اليسار ، ويأخذ كل شخص قطعة من الحلوى ، ومن لا يشتهيها لا يأخذ منها ، وتسمى هذه اللقمة "جورك" Corek" أي" فطيرة" ثم توزع القهوة من الخلف على من يأخذون الفطيرة . تبدأ النشوة الروحية والانجذاب الصوفي بعد أكل الفطائر واحتساء القهوة وجمع الفناجين ، وكلمة مراقبة تأتي بمعنى "Gozetleme أي " الملاحظة" ، وتأتي في التصوف بمعنى اتحاد المرشد مع السالك ويخلع من القلب كل الأشياء المتوهمة ما سوى الله ، ثم يبذل قصارى جهده في أن يمحو وجوده في وجود الله ، وهو بهذه الصورة يعبر عن حميته وسورة حمياه ويبذل همته ونشاطه من أجل الوصول إلى الوجود المطلق ، وفي المراقبة تستند الأيادي والأصابع على الفخذين وهي في حالة مفتوحة ومستوية قليلا ، وتكون الأعين مغمضة ، ثم يخلص كل شخص قلبه من الشواغل جالبا مرشده أمام ناظريه منتظرا نصيبه من الفيوضات ، وبعد مدة يقرأ شيخ الطريقة أو رئيس الطهاة سورة النصر مسبوقة بأعوذ بالله وبالبسملة ، ثم يقرأ الفاتحة ، ثم يلهج بالدعاء بعد قراءة الفاتحة . ثم يتفوهون سويا قائلين "هو" وينهضون في نفس الوقت بتقبيل الأرض ، وقبل ذلك يطأطيء كل من شيخ الطريقة ورئيس الطهاة رأسه وهو يلف راجعا إلى الميدان عند الباب ، ثم يطأطيء الموجودون في الميدان رءوسهم في معيتهم بتحية وسلام ، وبعد خروجه يشرع المريدون راجعين إلى الداخل من الباب واحدا تلو الآخر مطأطئين رءوسهم محيين وهم يخرجون دون الالتفات إلى ما وراءهم .

لقد أشرنا آنفا أن الشيخ عند المولوية يمثل الطريقة خير تمثيل ويضطلع كذلك بتعليم المثنوى في التكية ، ويتسنى له أحيانا ألا يقضي فترة التعبد والمكابدة ، وعلى هذا يكون صاحب الميدان هو مربي السالكين ، ويكون شيخ الطريقة هو نائب جلبي حسام الدين أو شيخ الطهاة. وهذا المفهوم الموجود عند الحمزية موجود كذلك بعينه عند المولوية ، وهذا يعني أن المرشد الحقيقي واحد وهو صاحب الزمان ، ويكون القطب هو مظهر للحقيقة المحمدية (انظر مولانا جلال الدين - الطبعة الثالثة

ص ١٥٩- ١٦٠) أما رئيس الطهاة وشيخ الطريقة فهما بمثابة نائبين موكلين بمهمة التربية والإرشاد . وكل شخص فى المراقبة والتوجه إلى الله يضطلع بعقد علاقة وثقى بالقطب الذى يعرفه ، وهذا يعنى أنه يربط أخلاقياته وروحانياته به ، ويجتهد فى الفناء فيه ، ثم يجعله نصب عينيه بعد أن يخلص قلبه من الشواغل والهموم ، أما من لا يعرفون لهم قطباً فإنهم يتجهون آنذاك إلى مولانا وإلى الحقيقة المحمدية (انظر: نفس المصدر ، ص ١٤ - ١٦ ، ص ١٥٣ - ١٥٦).

وفى العصور المتأخرة وجد بين هؤلاء كثرة كاثرة من الأشخاص ذوى القدرة المتفردة والكفاءة المتميزة من الكبراء وأصحاب الوجاهة ، ومن هؤلاء : الشيخ حسين فخر الدين دده شيخ تكية بهارية (ت ١٩١١م) وفروخ جلبى (ت ١٩٣٣م) وقره حصار لى أحمد جلبى ، ومنهم من كانوا ممثلين لمقام الشلبية خير تمثيل مثل عبد الحليم جلبى (ت ١٩٢٥ م) ، وكانت هناك كثرة من المولوية يعرفون القطب سيد عبدالقادر البلخى (ت ١٩٢٣ م) قطب الحمزية . وبعد وفاته وجد كذلك من يعرفون شيخ الأقطاب وأحد شيوخ قراء المثنوى فى قونية وصدقى دده (ت ١٩١١ م) المدفون فى التكية المولوية فى قاسم باشا .

لا قبل للمحبين بدخول الميدان ، وهذا ضرب من المعاملة باق منذ القدم ، وقد ذكر كذلك أن المسامرة والمنادمة كانتا تتمان أحيانا فى الميدان ، وتبلغ الأوامر إلى الشيوخ أحيانا ، كما كانت العقوبة توقع على المخالفين أو من يرتكبون جريرة فى حق الطريقة ، أو إسناد خدمة تنظيف المراحيض والمتوضأ إلى المريد الذى على وشك الانتهاء من فترة التعبد ثم يتم فى نهاية الأمر الصعود إلى الحجرة ، وعلى هذا فإن الميدان هو مرآة الحقيقة الجوانية للتكية والطريقة كلتيهما ، وهو محلة إجراء الأحكام وتوقيع العقوبات ، وكان بمثابة موضع محجوز مقصور على المحبين ، إذا كان قد حدث فى الأزمنة المتأخرة اتجاه بين المولوية يتعلق بإغضاب وإيذاء المحبين فى الميدان فإن الذين أرادوا هذا الاتجاه قد أخفقوا فيما يصبون إليه (انظر محمد ضيا : التكية المولوية فى ينى قابى ص ٢٨٨ - ٢٨٩) .

وكان البكتاشية يسمون الحجرة التى تدار فيها الشعائر والطقوس باسم " ميدان" ، وتجد هذه الكلمة كذلك عند الحمزية ، كما كانت تستخدم كلمة حجرة الديوان محل كلمة ميدان .

(٢) اسم الجلال :

لا وجود للأسماء عند المولوية ، ولاجرم أن المولوية هى طريقة مؤسسة لتلقى الفيوضات من الجذب والنشوة الإلهية ، وهذا يعنى أن السلوك لا يكون بالأسماء ، ومن ثم فإنها اتخذت من العشق والجذب الصوفى أساسًا لبلوغ الحقيقة المطلقة والوصول إليها، يقول مولانا جلال الدين الرومى : إن الأسماء تجعل الإنسان عاشقا للوهم ، ولسوف يتسنى للخيال أن ينشأ عن الأسماء والصفات ، أما خيالك فإنه لن يستطيع التقدم إلى الأمام دون دليل يبلغه ذلك ، بيد أن ترك الدليل يوجب عليه الاستحواذ على شىء يرشده إلى ما يريد ، ويكون الذكر حينئذ بمثابة خيال ناقص يخص الجسم ، ويرى مولانا أنه إذا تسنى للذكر أن يجلب الفكر إلى الحركة والفعل فإن الجذب الصوفى يكون أساس الفعل والعمل ، ويكون الفيض هو الموجود فى نظرة المريد .

وإذا كان " أفلاكى" يسأل قائلاً كيف يكون الذكر فى طريقتكم بالنسبة لمولانا؟ فإنه يقول كذلك إننا منتسبون إلى الله أتينا منه وإليه ذاهبون ، وإن ذكرنا هو الله ولا شىء سواه .

وعلى حين يتحدث " أفلاكى" عن كثير من مجالس السماع معينا المكان والزمان وموضحا الأشخاص فإنه لم يتحدث عن الذكر الوحيد ألبتة ، كما أننا لا يتسنى لنا أن نجد ذكرا واحدا اضطلع بتوضيحه وتجليته فى كل حياة سلطان ولد خطوة إثر أخرى ، ولا نجده كذلك فى مجلس ذكر واحد بين ثنايا السيرة الذاتية لأولو عارف جلبى ، وما دام الأمر كذلك فإن كلمة اسم الجلال تخص عصر ما قبل شمس ، أو أنها تعبر عن تعامل وسلوك هذا العصر ، ومع هذا فإن سلطان العلماء لم يكن من الذين يبينون

السلوك ويوضحونه عن طريق الأسماء ، بل كان من صوفية خراسان ، ومن هذه النظرة فإننا نعتقد أن عرف وتقليد اسم الجلال الموجود عند المولوية ما هو إلا أساس للنصح والموعظة فى مواجهة الطرق الصوفية الأخرى كما هو الشأن عند الحمزية .
ويُبتهل باسم الجلال على هذا النحو : يجلس الشيخ موليا ظهره إلى المحراب والمقام الأحمر مبسوط أمام هذا المحراب ، ثم يجثو الشيوخ والمحبون والمريدون على رُكبهم وهم على شكل حلقة مستديرة ، ثم يجلس الدرويش قبالة الشيخ تماما وهو يقبل عنق سُبحة ذات حبات ضخمة يحملها فى أكمامه ويقدمها إلى الشيخ ، ثم ينثر السبحة فى الحلقة لتصبح وكأنها منثورة فى حلقة كبيرة وكأن حباتها فى حجم قبضة الكف ، ثم يهم كل واحد بتقبيل الجزء الذى يأتى أمامه براحتى يديه ثم يمسكها على نحو تأتى فيه راحة اليد إلى الداخل ، ثم يرفع الشيخ عقيرته بصوت عال قائلاً أعوذ بالله باسم الله ، ثم يشرع كل من فى الحلقة ذاكرين اسم الله فى معيته ، وفى المرة الأولى يذكر اسم الله ثلاث مرات بهجائين اثنين وشد مقدار من النفس ، ثم يذكر الله بصوت ثقيل ذى نغمة موسيقية خفيفة بين هذين الهجائين ، وبعد ذلك يذكر كلمة (أل) مشددا فيها حرفى الألف واللام ، وبعد وقفة موسيقية يذكر كلمة "لاه" وهو يشدها بهجاء قليل ، وخلال هذين الهجائين الاثنين ينهض ويحرك الجسم والرأس بخفة ، ثم يعود إلى الحالة الطبيعية فى نهاية الهجاء ، ولا يدير الجسم والرأس ناحية اليمين واليسار ، وكلما أسرع الذكر تتكرر النغمة الموسيقية بين كلمة الله والهجائين الاثنين ، وحينئذ تشتد حركة الجسم إلى أعلى وإلى أسفل ، ولا يبقى مد فى الهجاء وتكون الكلمة فى النهاية فى صوتين شديدين مفتقدة الحروف .

ولا وجود للعد فى هذا الذكر ، وعندما يرى الشيخ أن الذكر كاف فإنه يشد كلمة "الله" فى تطويل ويقول " الله أكبر أعظم كبير ، والحمد لله حمدا كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، وصلى الله على أشرف نور جمع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين ".

وبعد الدعاء يقول كل من فى معية الشيخ " هو" بمقدار نفس ، ثم ينهضون معه بتقبيل الأرض ، ثم يمشى الشيخ على مهل ويأتى إلى منتصف الحلقة وهو يطأطىء

الرأس محييا، ويقول فى نفس الوقت " السلام عليكم" ، وقبيل الدعاء ينهض الشيخ المشرف على الذكر أو الدرويش الذى جلب السبحة فيقبل الأرض ويجمع السبحة ويأخذها ثانية فى أكمامه ثم يمر قبالة الشيخ ، أما من هم فى أطراف باب الحلقة فيفتحون الطريق منسحبين قليلا إلى أحد الجوانب ، وعندما يلقى الشيخ السلام فى منتصف الحلقة يهم جالب السبحة فيرد سلام الشيخ مثلما يفعل فى قاعة السماع ، ثم يرتد الشيخ عائدا إلى باب المسجد وهو يطأطىء رأسه محييًا ، ويأتى من هم فى معيته على نفس الشاكلة ، وبعد ذلك يخرج الشيخ من قاعة السماع والمسجد كما سبق أن خرج من الميدان .

إن ما يفعله دراويش المتصوفة من تمزيق الثياب بغية إظهار الوجد ، وكذلك الميل إلى الصياح والصراخ وإلقاء أنفسهم على الأرض ، كل هذا يسمى "تواجد" ، وهذا يعنى تعمد الإتيان بحركات وأفعال تُحدث الوجد فى حالة عدم وجوده ، وكل هذه الأشياء متكلفة مصطنعة مزيفة تناقض الأدب عند المولوية ، ولأجل هذا يبدأ اسم الجلال بالأدب وينتهى على هذا النحو ، وعند الانتهاء من اسم الجلال الذى يُدعى به بعد صلاة الصبح يشرع الدرويش فى الدخول إلى الميدان .

ويتعذر أحيانا عقد مجلس الذكر إما لعدم وجود شخص يديره أو بسبب مرض الشيخ أو رئيس عازفى الطبلة أو لسبب آخر ، وحينئذ يكون الدعاء باسم الجلال واردا فى تلك الليالى المباركة .

إن تلقين الذكر حق للخليفة ، أما من ليس له خليفة من الشيوخ فإنهم لا قبل لهم بتلقين الذكر للسالك ، ويُمنح الذكر لمن يرغب من المحبين مثلما يمنح للشيوخ .

يُحضر المشرف على الذكر الشخص الراغب فى تلقين الذكر فيأتى به إلى الشيخ حيث يجثو على ركبتيه أمامه ، ثم يقول الشيخ فى الأذن اليمنى للسالك "فاعلم أنه لاإله إلا الله" ، الله ، الله ، الله "، ثم يعلمه بعد ذلك أصول الذكر وقواعده ثم يبدأ بعد ذلك إحصاء الذكر ، بيد أنه لا يبلغ مقدار بضعة آلاف كما يقول "رسوخى" .

(٣) عين الجمع :

كلمة "جمع" تقابل عند الصوفية كلمة "فرق" التى تعنى المعرفة المتميزة والرؤية القائمة بذاتها للخلق عن طريق الله ، أما الجمع فيعتبر كل الوجود مظهرا للوجود المطلق ومعرفة كون الوجود المطلق واحدا ظاهرا للعيان من خلال تلك المظاهر، وتكون الكائنات ساعتئذ مشاهدة بهذه العين ومرئية رؤية عيان ، أما جمع البقاء فيعنى أنه من مقامات الوجود .فالسالك فى أول الأمر يرى سائر الأشياء من صنع الله ويدرك مليا أن ظهور الشيء بصورة متغيرة يكون بحسب المظهر ويسمى هذا "توحيد الأفعال" ، بعد ذلك يشعر بظهور الأشياء والصفات ثم يدرك أن هذه الأشياء والصفات تبرز فى صورة متباينة متغيرة بحسب درجة واستعداد المظهر ، ويسمون هذا كذلك " توحيد الصفات " ، وفى النهاية فإنه يبلغ الحقيقة من جهة ظهور الذات وكينونة الصفات ، وليس ثمة شيء آخر سوى الذات ، ويطلقون على هذا المقام كذلك"توحيد الذات" ، والسالك فى هذه الحالات الثلاث يبلغ درجات ثلاث وهى "العلم – الرؤية – الكينونة" ، ويكون الوجود عنده هو الله ، وكل موجود هو مظهر له .

إن الوجود المتوهم ينمحى ويزول فى الوجود الحقيقى ، ومن هذه النظرة تسمى الحالات الثلاث " الفناء" "YOKLUK" ولكن يتوجب الرجوع إلى الوراء بغية إتمام السلوك والمجيء إلى العالم أولا بذات الله ثم بصفاته ثم بأفعاله ، كما يلزم كذلك معرفة الله حق معرفته متمثلة فى صورة الخلائق ، وتسمى هذه الحالات الثلاث بمقامات " البقاء والوجود" ، وعندما يتم الجمع ونعنى به مقامات البقاء تحدث ملكة السلوك والمعاملة بحسب استعداده ووفق المظهر والرؤية التى تحدث على حين غرة ، وفى نفس الوقت يُعرف الخلق بالحق سبحانه وتعالى ، وعادة ما يكون الجمع مضادا للفرق ، وهذا يعنى أن العارف بالله يشبه معرفة منفصلة قائمة برأسها بيد أنه لما كان الفرق مقترنا بالجمع فإنه يعرف على أنه " الفرق المحمدى " .(انظر مولانا جلال الدين – الطبعة الثالثة ، مراتب السلوك واليقين ، ص ١٦٢ – ١٦٤).
ويقال إن " عين الجمع " هى تحريف لاصطلاح " آيين جمع" التى تشير إلى هذا المقام .

واذا أمعنا النظر فى العلاقة الوثيقة بين الموسيقى و المصباح و الخمر فى تلك الأزمنة المبكرة فإنه يمكن القول حينئذ أن تكون لهذه الكلمة علاقة بتركيب "آيين جمع" أى شعيرة الجمع .

وتعقد شعيرة : عين الجمع دائما ليلا ، وتخصص لها حجرة مستطيلة واسعة، ويجهز المشرف على الذكر الليلى الحجرة التى ستعقد فيها هذه الشعيرة "عين الجمع"، وهذا يعنى انه كان يُبسط مقام أحمر اللون مخصص للشيخ قبالة الباب تماما، ويضع ثمانية عشر شمعدانا، تسعة تلو تسعة فى صفين قبالة أماكن الجلوس بدءا من المقام وانتهاء بالباب ثم تثبت هذه الشموع قبيل مجىء المريدين، ويؤكل الطعام عند حلول المساء ، وتقام الصلاة ، ثم يتم الذهاب إلى حجرة" عين جمع " حيث يدخل الناس واحدا تلو الاخر إلى أماكنهم فى تحية وسلام وهم وقوف واضعين إبهام القدم اليمنى فوق إبهام اليسرى ، وفى النهاية يأتى الشيخ وهو مطأطىء الرأس عند الباب محييا ، ويهم المريدون الذين فى معيته فيطأطئون رءوسهم محيين ، ثم يسير الشيخ رويدا رويدا ذاهبا إلى مقامه ، بينما يجلس موليا وجهه شطر المريدين الذين يجلسون فى نفس الوقت ويغشون على الأرض مطبقين عليها فى معيته متضرعين بالدعاء وهم للأرض مقبلون ، ثم تأتى القهوة وتُحتسى ، وبعد جمع الفناجين يشرع رئيس عازفى الناى فى تقديم مقطوعة موسيقية يبدأ بعدها فى تلاوة الشعيرة الدينية من أى مقام كان .أما من يريدون ممارسة السماع فإنهم يمارسونه ممسكين بصارية فى ساحة واسعة تقع بين الشموع وهم يلقون التحية أمام الشيخ ، ولا تُلبس التنورة فى هذا السماع ، كما أن فتح الكم شىء نادر الحدوث . وبعد انتهاء الشعيرة يلهج الشيخ بدعاء"عين الجمع".

وبعد هذا الدعاء يجلس كل واحد جلسة القرفصاء ، ثم ينهضون للمجلس الرسمى حيث يشرعون فى السمر والمنادمة ، ثم يأتى المشرف على الذكر بفواكه الموسم فتؤكل ، ثم يتجاذبون أطراف الحديث ويتم توزيع الشربات المُعد قبل حين ، ويبدأ المطرب فى الترنم بأنغام عذبة ، ثم تنشد الطقوس الدينية والتراتيل المقدسة ، وهكذا تستمر الموسيقى والمسامرة حتى الصباح . فإذا ما أذن لصلاة الصبح يقول

الشيخ " الفاتحة" ، ينهضون بعدها واقفين خارجين من الميدان ومن قاعة السماع ثم يدخلون المسجد .

توجد كلمة" عين جمع" كذلك عند البكتاشية ، وهذا يعنى أن المنتسب إلى الطريقة والمشاهد للميدان مبتدىء فى ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، وهم يطلقون على هذه الشعيرة "عين جمع" ويعنون بها تلك الليلة التى يشرع فيها المتصوف فى ممارسة الشعائر والطقوس الدينية ، كما يطلقونها كذلك على الشعيرة الدينية التى تقام عقب وفاة أحد الأشخاص ، وعلى هذا فإن "عين جمع" تعد من الاصطلاحات المشتركة بين البكتاشية والمولوية ، فهى عند المولوية كما فهمنا من الدعاء آنف الذكر أنها شعيرة تعقد من أجل المرشد أو عقب وفاة شخص ما ومن أجل النشوة الصوفية ومجالس المنادمة والمسامرة بصورة مباشرة ، وتتغير الألفاظ بحسب ما يرد فى الدعاء .

يتسنى للمحبين الاشتراك فى شعيرة "عين جمع " ، فإذا ما رغب أحد المحبين فى الاشتراك فى هذه الشعيرة فعليه تقديم نفقات المطبخ والفاكهة والشربات والقهوة ، ويتسنى له عقد هذه الشعيرة شريطة تقديم الهدايا إلى كل من الشيخ ودراويش الطريقة ، كما كانت توجد كذلك أشياء موقوفة على التكايا من عام إلى آخر من أجل عقد شعيرة " عين جمع" ، وعلى سبيل المثال فإن "حالت أفندى" كان يؤجر حديقة فى "اسكودار " وأخرى فى "طوبخانة لى أوغلو " من أجل عقد شعيرة عين جمع ليلا ونهارا ، وكان شيوخ ودراويش المولوية ينضمون إلى هذه الشعيرة حيث يقدم مقدار من المال إلى كل من الشيوخ والمريدين ، وتدفع نفقاتُ القارب جيئة وذهابا ، وتقدم ثمرة الكرز إلى المنضمين إلى هذه الشعيرة ، ويوضع كل هذا ضمن شروط الوقف الذى اضطلع به فى التكية المولوية " قولة قابى" (سنة ١٢٣٧هـ) .وكان أحد الولاة ويدعى " حفظى دده باشا" يعقد شعيرة "عين جمع" كل عام فى تكية "ينى قابى " ، كما كانت هذه الشعيرة تعقد كذلك فى أى بيت من البيوت .

(٣) أسس وقواعد الصوماط [١] (مائدة الطعام) :

تحدثنا عن قدسية المطبخ عند المولوية ، ويندرج الطعام ضمن هذه القائمة وإن طهى الطعام وغرفه وأكله يتبع شعائر وطقوسا خاصة .عندما ينضج الطعام يفتح الشيخ الوقاد غطاء المرجل ، وينزل المريدون الأطباق على الأرض .تمد الموائد فى المطبخ عندما يحين وقت الطعام ، ثم توضع المقاعد حول المائدة ، ثم تبسط منشفة طويلة حول كل مائدة .وثمة مريدون يضطلعون بخدمة تقديم الماء، ويجهزون الأكواب والجرار ، ثم يؤتى بالملاعق وتكون مقابضها جهة اليمين ، ويصطف كل فرد أمام المائدة شريطة أن يطأطىء رأسه إلى الأرض ، وهذا يناقض أصول وقواعد الطرق الصوفية الأخرى الذين يضعون الملعقة مفتوحة ، وتوضع قبضة من الملح أمام كل فرد . تكون المائدة خشبية مستديرة مرتكزة فوق كرسى ذى ثلاثة أرجل ، وبعد الاضطلاع بسائر الخدمات والفراغ من تفريغ الطعام يهم أحد المريدين فيصيح بصوت جهورى وهو يطأطىء رأسه محييا فى كل ممرات الحجرة قائلا"هو" ، هيا إلى المائدة " ، وهى دعوة عامة ، وتكون لبضعة أيام بحسب أماكن الحجرات وعددها . يدخل كل واحد إلى المطبخ تلو الآخر مطأطئين الرأس محيين ، وعندما يأتى الشيخ فإنهم يجلسون سويا متحلقين حول المائدة ، ويبدأ الطعام بالملح وينتهى به كذلك ، ويبل كل واحد سبابة يده اليمنى بلسانه ويغمسها فى الملح الذى أمامه ، ويبدأ الطعام متذوقا إياه . ويؤكل الطعام من طبق واحد ، لاسبيل إلى الحديث أثناء الطعام ألبتة. فإذا ما أراد أحد الماء فإنه يشير إلى المريد المنتظر وهو فى وضع التحية واضعا إبهام رجله اليمنى فوق اليسرى وفى يده جرة الماء والكوب ، وما يلبث هذا المريد أن يصب الماء فى الكوب ثم يصبه لمن يريد شربة ماء .

ويتلاقى المريد مع الكوب ، ومعنى هذا الالتقاء هى أن يشرب الماء مقبلا الكوب ، ثم يسحب شارب الماء يده من فوق المائدة فى أثناء شرب الماء ،وفى الطرق الأخرى لايأكلون لقمة واحدة عند شرب الماء ، أما من فى أفواههم لقم فإنهم لا يبلعونها أو يبلعونها دون إظهار ما يفعلون ، وإذا ما أحضر لقمة إلى فمه فإنه يترك المائدة ساحبا يده من الطعام ، ويقدم شارب الماء الكوب إلى الساقى الذى يلتقى بالكوب على

نفس الشاكلة ، ويقول شيخ الطريقة أو رئيس الطهاة أو واحد من قدامى الشيوخ إلى شارب الماء "إنه لشيء حسن جميل "، ثم يحييهم ، ويبدأ الأكل مرة ثانية ، ويتوقف الكلام المتفوه به في أثناء الطعام باستثناء الذكر في الأكل ، وفي نهاية الطعام ينشد شيخ الطريقة أو شيخ الطهاة هذا البيت داعيا بهذا الدعاء "نحن صوفية في الطريق آكلون الطعام على مائدة السلطان . فأدم يا ربي هذه السلطانية وهذه المائدة ".

ويُدعى هذا الدعاء غالبًا عند إتيان الأرز ، وعند استهلال الدعاء توضع الأيادي والأصابع مثنية على حافة المائدة وهي ممسكة بها ويؤكل الأرز عقب الدعاء ، ثم ينحني الشيخ على حافة المائدة مطأطئا رأسه محييا ، ثم ينهض الحاضرون واحدا وراء الآخر راجعين إلى الباب خارجين من المطبخ وهم يطأطئون رءوسهم محيين ، ثم يؤتى بالطست والإبريق دون أن ينهض من موضعه ، ويصب واحد الماء ويمد الآخر المنشفة من وراء ظهره ، وبعد ذلك ترفع مائدة الطعام .يسمي المولوية الطعام "لقمة" ، بيد أنه يوجد أرز يسمى اللقمة الخاصة ويطهى الأرز بالحمص والبصل والجزر والكستناء وهو الأرز البلخي الأوزبكي . وعلى كل حال فقد ظل هذا عرفا متبعا منذ عصر مولانا ، وحرى بنا أن نسجل في هذا المقام ما يأتي :

لقد دخل كل شيء إلى مطبخ المولوية ما عدا السمك الذى كان من الأشياء المحرمة ، وقد سجلنا في مناسبة سابقة بأن السمك لا يطهى ولا يؤكل عندهم ، ويسجل الشيخ حسن فخر الدين دده شيخ التكية المولوية في "بهارية" هذا التحريم في إحدى دورياته على هذا النحو قائلا "منع أهل السلوك مؤقتا تناول لحم كل ذى روح ، وهذا عرف مخصوص بأيام الرياضات الروحية . إن تناول السمك يحول دون تصفية الفؤاد ، وقد أفتى الحكماء بعدم تناول لحم السمك ، وهذا الكلام مصدق عند الصوفية والطائفة الإشراقية ، ويمنع طبخه في المطبخ الشريف للتكية المولوية ويدخل في ذلك أيام الرياضات الروحية ".

يوجد عند المولوية كذلك مائدة من الجلد تسمى"ألف صوماط" ، ولما كانت هذه المائدة رقيقة طويلة فإنها سميت بهذا الاسم لشبهها بحرف الألف الموجود في الأبجدية العربية ، وتبسط كلها بالطول في الميدان أو المطبخ ، وكان المريدون يجلسون

حول أطرافها متقابلين ، فإذا ما رفعت المائدة تمسح بقطعة من الكتان ذات صابون ثم تجفف وتطوى كلفافة الورق ،ولدى البكتاشية مائدة الألف الصغيرة، وهى من أمانات الخلافة التى تمنح للخليفة، ويوجد فى هذه الموائد أماكن للملاعق.

(٥) شهر المحرم والطعام :

يعرض مولانا فى الجزء السادس من المثنوى وصفا لحال الشيعة الذين ينوحون حزنا وحسرة وأسى فى اليوم العاشر من شهر المحرم على باب أنطاكية وحلب ، وفى تلك الأثناء مر عليهم شاعر غريب فسألهم قائلا لماذا تبكون وتنوحون؟ ثم يشرح سبب هذا بقوله إنهم يفعلون هذا بسبب استشهاد الإمام الحسين ، إن ما يتفوه به الشاعر هو عين الصواب ، ولكنه يقول : أين أنتم من عصر يزيد بن معاوية؟ لقد رأى العُميان ما ارتكب من الأفعال القبيحة وسمع بها الصم ، إلى أى حد ورد هذا الخبر إلى حيث هنا متأخرا ، فالإمام الحسين والشهداء كانوا سلاطين الدين ، هل حطموا القيد وجاء عصر البهجة والسرور إلى هؤلاء ، وإذا لم تعرف هذا أو تدرك كنهه فابك على نفسك وتوجع واحزن على قلبك الخرب اليباب وعلى دينك المنهدم الحُطام وأنت لا ترى شيئا سوى التراب القديم (ترجمتنا للمثنوى ،إستانبول ١٩٤٦ ، ص ٦٥ - ٦٧) .

إننا ندرك هذا من جميع أفعالهم وليس من كلامهم فحسب ، وقد فصلنا القول غير مرة بأن مولانا ليس من أولئك الرجال يتمذهبون بمذهب أو دين ، ثم نستطرد فى حديثنا موضحين هذا الأمر بجلاء فنقول :

لقد كانت الطرق الصوفية من العلوية والبكتاشية يعدون المحرم شهر مناحة وأحزان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم ، وكان فى معية الحسين مائة شخص وطائفة من الأطفال تتراوح أعمارهم ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وطفل آخر يرضع اللبن عمره ستة أشهر ، ولم يقبل الحسين بيعة يزيد واستمسك بشعوره السامى الذى لا ينهزم وقوة عقيدته التى لا تلين ، ومن ثم فإن أنصار الحسين سقطوا شهداء من الصباح حتى المساء فى مواجهة جيش ينيف عدده على

ثلاثين ألف رجل ، وبات هذا الحدث العظيم مصدرا للشعر والحزن والحداد والتوجع ، وتسلية لمناصرى أهل البيت ومن يعتمدون على الشيعة ، وبعد استشهاد الحسين بخمس سنوات تقريبًا (٦٨٤ م) ثار الشيعة متمردين ثائرين ليثأروا لفاجعة كربلاء ، وأخذت طقوس التعزية المُدْماة تعقد فى شهر المحرم وفى اليوم العاشر منه على وجه الخصوص .وكانت هذه المراسم والطقوس تصطبغ بصبغة الدعاية الخالصة ، وفى مقابل هذا كان الأمويون وأشياعهم يعتبرون يوم عاشوراء يوما مقدسا . ويوافق هذا اليوم عدة أحداث منها :الصفح عن خطيئة النبى آدم عليه السلام وصعود النبى إدريس إلى السماء وخروج النبى نوح من السفينة ونجاة النبى يونس من بطن الحوت وعبور موسى البحر مع بنى إسرائيل ، وخلق الله فى هذا اليوم السماوات والأرض والقلم واللوح وجبريل والملائكة وآدم ، ونجى جميع الأنبياء من الكرب ، وهذا اليوم هو اليوم الذى أمطرت فيه السماء لأول مرة، وثمة عادات أخرى تناسب هذا اليوم ولها عند الله أجر وثواب عظيم ومنها التزين والاكتحال وإطعام الطعام للأهل والعيال ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين وإدخال المسرة عليهم ورعاية المرضى ، وللصائمين فيه أجر عظيم .هكذا كان اليوم العاشر من المحرم بمثابة يوم عيد ، وللوقوف على سمو قدر يوم عاشوراء والأحداث التى توافق هذا اليوم (انظر : السيوطى: الليالى المصونة فى الأحاديث الموضوعة – محرر الطبعة الأدبية – ١٣١٧ هـ – ج٢، ص ٦١ – ٦٤). وثمة عقيدة شائعة ذائعة بين الناس تقول إن النبى نوحًا عليه السلام هبط من السفينة فى هذا اليوم وطبخ لهم طعامًا يسمى (حساء السلامة) ووضعه فى مرجل كى يكون لهم طعامًا فى السفينة ، ويسمى هذا الطعام "السبع حبات " ، ويضع بخليط من الشعير والحمص والفاصوليا والفول بالإضافة إلى السكر ،وهذا هو أساس عادة طهى العاشوراء ، ومما لا مرية فيه أن هذا اليوم يوم عيد وعقيدة دينية مقدسة ، ولهذا السبب فإن الشيعة يعتبرون طبخ العاشوراء من قبيل البدعة ، بيد أن طهى العاشوراء بيد أصحاب الطرق ممن يضطلعون بالترويج للشيعة قد بات وسيلة يتوسل بها إلى المناحة والأحزان ، وتطهى العاشوراء فى التكايا فى العاشر من المحرم أو بعد العاشر حيث تنشد المراثى فى تلك الليلة ويتم النواح والبكاء والعويل ويحرك المِرجل بطقوس خاصة .

كـان مـولانا أرفع وأسـمى من قـيـود المذهب ، ومن ثـم لـم يكن رجـل طريقـة أو مـؤسـسـا لطريقـة وعليـه فلم يكن ثمـة شيء من هذا لدى المولوية الأولين ، وتدون السفينة هذا فتقول:كانت العاشوراء تطهى فى مِرْجل كبير موجود فى تكية "ديوانه محمد جلبى "وتقدم إليه من مقبرة الإمام الرضا، ويسجل "عاشق جلبى" هذا بقوله "كان المولوية يعقدون طقوس التعزية المُدماة حيث يجتمعون فى"جعفر آباد" فى السنة التى مات فيها"يوسف سينه جاك"، ويفهم من هذا أن العاشوراء أو الطعام بحسب تعبير أرباب الطرق الصوفية قد انتقلت بعد ذلك إلى المولوية مصطبغة بنزعات وميول علوية.كان هذا الطعام يطهى فى تكايا المولوية حيث يدعى سائر الشيوخ للطريقة لحضور دعوة هذا الطعام المطبوخ على روح سيد الشهداء وشهداء كربلاء ، ويؤكل الطعام كذلك فى هذا اليوم على المائدة، ويطيب ذكر الشهداء مع الإمام الحسين فى الذكر ،وينضم شيوخ الصوفية القادمين لحضور الذكر ودور ولدى ،بيد أنه لاتنشد مرثية ولا تعقد شعيرة أو طقس دينى خاص عند طهى الطعام أو عند إنزاله ، ولهذا السبب فإن المنتسبين إلى الطرق الصوفية الأخرى يعتبرون المولوية متأخرين فى عشق أهل البيت.ويقرأ فى كل ليلة باب من"حديقة السعداء"للشاعر "فضولى" وذلك فى جناح الحريم الكائن فى تكايا شيوخ المولوية من أصحاب النزعة العلوية كما هو الشأن عند البكتاشية فى الليلة الحادية عشرة من المحرم،وتختم حديقة السعداء فى تلك الليلة الحادية عشرة ،ثم يُشرع فى البكاء والنواح والعويل .

(٦) المخالفة فى الرحلة :

تعد السياحة بين أرباب الطرق الصوفية من مبادئ وأسس السلوك المولوى، ويوجد اقتناع بتجلية وإظهار شيء من السياحة والترحال لمن ينتسبون إلى هذا السلوك ، ورغم أن هذا الاقتناع هو شيء لا أصل له ، فإن كلا من أولو عارف جلبى وأمير عابد جلبى وأمير عالم جلبى وفى معيتهم ديوانه محمد جلبى ورجاله المسمون

بالشموس، كل هؤلاء جميعا قد اضطلعوا فى صورة محكمة متقنة برحلات وسياحات مولوية،حيث كانوا يطوفون ويجولون وينشرون الطريقة. ويذيعونها ، ويوجد عند المولوية كذلك ما يسمى" seyyah vermek" أى قضاء فترة من السياحة والترحال ، ولكن لاعلاقة لها بالسلوك ألبتة إذ تحمل بين طياتها صفة العقوبة والجزاء ، وإذا ما وجد أى مريد مطبخًا أو شيخا مضطلعا بفعل مناهضٍ للطريقة مناقض لها فإنه سرعان ما يعاقبه الشيخ بالوقوف مدة على قدميه أو ممارسة الرياضات الروحية حينا من الزمان، أو يغشى على الأرض بضعة أيام ، وتوقع هذه العقوبات إذا لم تتبدل حالته ويثوب إلى رشده بعد التنبيه والتحذير ،ومع كل هذا فإن الدرويش لايأتيه بنفسه بل يوقف ويضرب فى الميدان أو فى قاعة السماع أو قبالة شاهد قبر، ويكون الوقوف أمام شاهد القبر على النحو الآتى:يضع الدرويش يديه فى صورة متقاطعة على صدره ثم يضع إبهام قدمه اليمنى فوق إبهام اليسرى فى وضع أداء التحية ،ثم يأتى الشيخ الوقاد بسوط طوله متر ذى عصاة غليظة فى طرفه ، ويضربه بالسوط على ظهره تسع جلدات أو ثمانية عشر جلدة فى أغلب الأحيان،ويشترط عند الضرب بالسوط أن يكون مرْفِق الضارب غير منفصل عن جسده ، وبهذه الصورة لا يتأذى المريد من العصا المضروب بها،وهذا يعنى أن هذا الضرب ليس بضرب فى حقيقته،بل هذا إنذار وتحذير وعند تكرار الجرم يتوجب أن يأخذ العقاب صفة التشهير والشدة،ويحضر هذه المراسم سائر الشيوخ الآخرين ، وإذا ما توجب تشديد العقوبة آنذاك تؤخذ قلنسوة الدرويش وخرقته، ويظل الدرويش مدة بقلنسوة اللباد دون خرقة، وتكون مدة التجرد والتعرى ثمانية عشر يوما ، فإذا ما آذنت المدة بالانتهاء يذهب الدرويش فى معية الشيخ المشرف على الذكر إلى حضرة الشيخ فيجثو قبالته على ركبتيه، ويعطى الشيخ المشرف على الذكر الخرقة والقلنسوة للشيوخ ، ويهم الشيخ بدوره فيُلبس القلنسوة فى رأس الدرويش مع التأكيد على التنبيه والتحذير اللازم ،ثم يضع الخرقة فوق ظهره مكبرًا .

أما الدرويش الذى حظيت قلنسوته وخرقته بالتكبير فإنه يقدم نفقة المطبخ حسب سعته وقدرته ،أو يضطلع بترتيب شعيرة"عين جمع" ،ويصنع الطعام والحلوى للمريدين

وإذا عَظُم الجرم أكثر وأكثر وتكرر مرة تلو أخرى فإن الوقاد حينئذ يخبر المشرف على الذكر أو يُؤخذ بالدرويش أول الأمر إبان خروجه من الميدان الشريف عند الصباح ويضع الخرقة فوق ظهره وتكون نعلاه مناقضة لأصول الطريقة حيث تتغير وتحول لتكون أطراف نعليه قبالة الباب. أما الدرويش الذى يرى هذا الوضع فإنه يرتدى نعليه دون اعتراض ثم يمضى خارجا مقبلا العتبة ذاهبا إلى حجرته ليأخذ متاعه، وإذا كان فى إستانبول فإنه ينتقل إلى زاوية أسكودار من أجل مشاهدة إعداد الطريقة وتهيئتها ، ثم يلجأ بعد بضعة أيام إلى تكية أخرى،أو يذهب إلى موضع آخر ، وإذا لم تقدم له قلنسوته فإنه يذهب إلى قونية ليشرح غصته إلى جلبى ، ويطلق على أخذ القلنسوة والخرقة اصطلاح "كون الشخص مخالفا عاصيا"، وعلى الفعل المسبب لهذه العقوبات" المخالفة".

كانت أقصى عقوبة هى ما يسمى "سربا التمك"وهو اصطلاح فارسى يأتى فى التركية بمعنى"من رأسه حتى أخمص قدميه" أو يكون المعنى مجازيا أى أن الدرويش يكون بلا رأس أو قدم فلا وجود له ألبتة، وعندما يكون ذا رأس وقدم فإنه يصير حينئذ متزملا بالوجود المتوهم ويخرج من الطريقة ، وربما يكون معنى"سربا التمك"أن رأسه قد أصبحت قدما، وهذا يدل على أن الرءوس التى تحمل التيجان قد أُلقى بها تحت الأقدام ، وعلى كل حال فإن معنى "سربا التمك"تعنى خروج الدرويش من الطريقة بصورة مؤقتة أو على سبيل التأبيد .تؤخذ قلنسوة وخرقة الخارج على الطريقة ، ثم يؤمر بالقيام بالرحلة ويكتب هذا فى مقام الشلبية، ثم يُقْبل فى الطريقة ثانية بتوجيه من جلبى نفسه، ولكن موافقة الشيخ شرط فى هذا القبول.أمّا من يكون مشغولا بقضاء فترة التعبد والتزهد فيعفى من هذه الرحلة ، فإذا ولج الطريق فإنه يتوقف عن قضاء فترة التعبد والتزهد ثم يشرع فى أداء الخدمة من جديد .لا جرم أن هذا النظام الصارم وطريقة العقوبة الرادعة تتحكم فى ضبط أفعال تتسم بالفوضى وتفتقر إلى النظام ، ومن ثم فلا سبيل إلى الرجوع إلى الحكومة ألبتة ، فالرجوع إليها يعد من باب المخالفة .

٧ - أوراد المولوية :

كلمة"وِرْد" تجمع على أوراد وتأتي على معانٍ متباينة ، ومن هذه المعانى ما يضطلع به الإنسان من قراءة جزء معين أو سورة أو آيات معينة من القرآن الكريم ، ثم أطلق أرباب الطرق الصوفية بعد ذلك هذه الكلمة على الأشياء المرتبة المعينة والتى تتمخض عن الأدعية المنظومة والمنثورة والأحاديث المقترنة بالآيات وذلك فضلا عن الصلوات والشهادة والتوبة .وثمة أوراد تخص كل طريقة وتنسب هذه الأوراد إلى شيخ الطريقة ، ويقرأ السالكون الأوراد في وقت معين مستأذنين شيوخهم ، ويكون هذا عقب صلاة الصبح في أغلب الأحوال . يقول مولانا فى المثنوى"إن من يترك الورد يلْق الشدائد ويهوى فى المصائب والملمات". (ترجمة المثنوى - ج٣، بيت ٣٤٨)، وله رباعية يقول فيها "اعلم أيها الإنسان العاقل علم يقين ، ويا أيها الإنسان العاشق أنه لاسبيل إلى المسلم أن يكون فى مذهب العشق كافرا ، فالبدن والإيمان كلاهما ثاويان فى العشق ، وإن العقل والقلب والروح ليسوا موضوع بحث أو مناقشة ،وإن الشخص الذى لا تصيبه هذه الحال لا يكون شخصاً عاشقا على أى نحو من الأنحاء".

فالعاشق لا يكون دون وِرْد أو ذكر حتى أنه لا يستغنى عن الكفر والإيمان ، أما مولانا الحر فإن من المستحيل عليه الاعتقاد بأنه سيكابد ويكافح بمثل هذه القيود.وعلى كل حال فإنه توجد كذلك فى اوراد المولوية الأشياء التى يقرؤها مولانا ، بيد أن مولانا لم يكن رجلا مقيدا بقيد معين أو بقراءة فى وقت محدد بصورة منتظمة مرتبة ، أما الأوراد المولوية المحققة الثابتة فهى بعض الأدعية المسموعة من مولانا والألفاظ المقتبسة من أوراد المنتسبين إلى الطرق الصوفية الأخرى ، ونشأت هذه الأوراد من الأماديح وضروب الثناء التى أضافها أكابر المولوية و أقطابهم ، ثم رُتبت ونُسقت بعد مولانا بوقت طويل وإذا كان هناك شيء قد حدث عقب أولو عارف جلبى إبان عصر الشلبيين الأولين فإننا وجدنا قيدا عند أفلاكى ، بيد أن أفلاكى يروى عن مولانا انه كان يقرأ الحديث الشريف الذى يقول"رب اجعل فى قلبى نورا و فى قبرى نورا ومن أمامى نورا ومن ورائى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا ، ومن فوقى نورا ومن تحتى نورا وفى أذنى نورا وعينى نورا وشعرى نورا وجلدى نورا ولحمى

نورا ودمى نورا وعظامى نورا ثم يقول "لا تخش أحدا إلا الله ، وهو المعبود الذى يلاذ به فى كل ملمة ومصيبة ، ونشكره على كل النعم ، وانزه الله عن صفات النقصان ، وعندما أسمع وأرى شيئا مدهشا عجيبا ، وأستغفر الله وأتوب إليه عندما أقترف ذنبا حسبى الله فى وقت الشدة ، وأعتمد عليه وأتوكل عليه ، نرجع إلى الله عند المصائب ونعتمد ونتوكل عليه فى القضاء و القدر(٧٥) وهذه الألفاظ هى من أوراد المولوية (النسخة المطبوعة فى سنة ١٣٢٦ هـ ،ص٥٠ - ٥٢).

ونرى كذلك أن الدوريات التى تضم بعض الأوراق قد قسمت أوراد مولانا إلى قسمين اثنين هما:الأوراد الكبيرة والأوراد الصغيرة ،أما ما ورد فى بعض الدوريات فلا وجود فيه لمثل هذا التصنيف ،ويوجد فى القسم الثانى من الأوراد الأسماء الحسنى مقترنة بالأدوار النقشبندية (إستانبول ١٢٨٥ هـ - مطبعة قصيرلى صالح ، ص ٣٤ - ٣٥)، كما توجد هذه الأسماء الحسنى فى أوراد الطريقة الرفاعية (خوجه زاده شيخ طاهر: منهاج المريدين ،مخطوطة فى حوزتنا، ١٣٠٠). ولها وجود كذلك فى أوراد الطرق الصوفية الأخرى ،ولكن الأدعية المقترنة بالسور القرآنية الموجودة فى الأوراد المولوية لها ذكر كذلك فى أوراد الطرق الصوفية الأخرى ، وكل هذه الأدعية تفصل لنا بجلاء تام كيف نشأت الأدوار المولوية وظهرت إلى حيز الوجود.

وثمة أيات قرآنية متفرقة فى الأوراد المولوية ،منها آية الكرسى(البقرة آية ٢٥٥)، وسورة ياسين وسورة الليل وسورة الضحى وسورة التين وسورة البينة وسورة الزلزلة ، وسورة الكوثر وسورة الكافرون والفاتحة والآيات الخمس الأولى من سورة البقرة، وتُذكر فى بعض دوريات الأوراد أسماء النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل الأدعية الموجودة فى الحواشى الأخيرة للدوريات ، كما يرد فى بعض الدوريات الأوراد أسماء الأئمة الاثنى عشر لتحل محل أسماء الخلفاء الأولين (أبى بكر وعمر وعثمان)، ويلحق بها كذلك غزلية"نادِ علياً"[٢]. ويتبين لنا من هذا أن الميول والنزعات العلوية قد ظهرت بطريقة مباشرة لا لبس فبها .

٨ - كيف كان يستقبل السلطان القادم إلى التكية:

كان هناك وقت يأتى فيه السلطان إلى التكايا المولوية ، وكانت التكية تعلم بمقدم السلطان عن طريق أحد مساعديه ، وما يلبث أن يخرج كل من الشيوخ والمشرف على الذكر لاستقبال السلطان على باب التكية وهما يرتديان الخرقة الرسمية، وفى يد الشيخ البخور ، وعندما يدخل السلطان إلى حجرة الشيخ الكائنة بجناح الرجال يقدم المبخرة إلى المشرف على الذكر ثم يلتقى بالسلطان ، ومعنى هذا الالتقاء هو أن يمسك الشيخ يد السلطان ويقربها إلى فمه وهو ينحنى قليلا، وسرعان ما ينحنى السلطان فى نفس اللحظة ، ثم يشرعون فى تقبيل أيادى بعضهم البعض ، ثم يجلس الشيخ مع السلطان ، وبعد ذلك يكون المشرف على الذكر واقفا بإزاء الباب وهو ينتظر فى وضع التحية . ولا وجود لبعض العادات المألوفة مثل تحية شيوخ المولوية السلطان وهم على الأرض ، مثل جلوسهم بأمر من السلطان كما تقضى بذلك مراسم تشريفات القصر.

يدخل السلطان قبيل الذكر بتوجيه المشرف على الذكر إلى حيث المنصة الخاصة بالسلطان الموجود فى قاعة السماع، ثم يأتى بعد ذلك بتوجيه نفس المشرف إلى حجرة الشيخ ، وعند مغادرة السلطان التكية يخرج المشرف على الذكر لوداعه بالمبخرة حتى باب التكية.

(٩) الموت والدفن وليلة العُرس :

أزال المولوية خشية الموت من نفوسهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، والموت عندهم هو معانقة الحبيب للحبيب، وهو نزع القميص الذى يحول دون الوصال،إنه الارتحال من عالم إلى آخر .وكان دعاء اسم الجلال يُتلى بإزاء المريض الذى ثقلت عليه وطأة المرض . ولسوف نوجز فى هذا المقام التفصيلات الواردة فى دورية "احتفالجى ضيا" والخاصة بوفاة "عبد الواحد جلبى":"اشتدت وطأة المرض على جلبى المريض فى القصر الكائن بمنطقة "مرام" ،وذلك فى يوم الأربعاء الثانى عشر من شهر

سبتمبر لسنة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٧م، وكان دعاء اسم الجلال يتلى على نحو متصل فى هذا اليوم ، وذات ليلة"وبعد ساعة من الغروب بالتوقيت التركى"دخل إلى جانبه بعض الدراويش فى معية رئيس الطهاة وصلاح الدين دده الذى شرع فى تقديم اللبن والماء له، بيد ان جلبى قال له:لا ضرورة لذلك، ثم أمر بقراءة دعاء اسم الجلال فى معية الجالسين حوله،وجلسوا قبالة الفراش وطفقوا يتلون دعاء اسم الجلال. وعلى حين كان يرتل هذا الدعاء فى معيتهم قال له رئيس الطهاة على حين غفلة:إننا سائرون، وفى الحق فإنه توقف فجأة بعد مدة، وعندما دخل الدرويش"صبرى"إلى جانبه أدرك مغزى سيره،وتم تجهيزه وتكفينه فى صباح يوم الخميس، ثم حمل من منطقة "مرام" فى جمع غفير من الناس فى الساعة الثالثة قبيل الظهر ووصل إلى قونية فى الخامسة،وخرج لاستقبال الجثمان فريق من حكام الولايات والعلماء والأشراف والفرسان، ثم اصطف فى المقدمة صفان من الجند ، ووجه الجند مواسير بنادقهم إلى أسفل ، ثم جاءت طائفة أخرى من الشيوخ والمحبين حاملين التابوت ، ثم جئ بالتابوت إلى جامع السلطان سليم فى السادسة والنصف مقرونا بدعاء اسم الجلال ، ثم أقيمت صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر ثم دفن فى قبره . كان المولوية إذا أحسوا أن شخصاً ستدركه المنية أسرعوا من فورهم باستدعاء المطربين وشيوخ المولوية ممن يعلمون الشعائر والطقوس الدينية ويعزفون الطبلة والناى، وكان عثمان صلاح الدين دده واحدا من بين هؤلاء.للمزيد من فهم هذا اقرأ فى هذا الصدد"مولانا جلال الدين"ولاسيما مراسم الجنازة المتعلقة بصلاح الدين نفسه.

يستحم شيوخ المولوية فى حمام المطبخ ، وعند الاستحمام تتلى طقوس المراسم بالاشتراك مع الطبلة والناى، وبعد مولانا وبدءا من"قويومجى صلاح الدين"ساد عرف يقضى بنقل الجنازة مقرونة بعزف النايات وضرب الطبول والدفوف، وتنشد الألحان ويمارس السماع ، أما أنصار الشريعة فكانوا يعارضون هذا بشدة إبان عصر مولانا ، ولكن هيهات هيهات أن يستمع أحد إليهم. إذ أسكتهم جميعا نفوذ مولانا وتأثيره.وقد سادت غلبة المدرسة الدينية فى الأزمنة المتأخرة واقتصرت تلاوة الشعائر والطقوس الدينية وعزف الناى وضرب الطبلة عند تغسيل الجثمان وتكفينه ، وإذا كان الجثمان فى الخارج فإنه يؤتى به مقرونا بتلاوة ذكر اسم الجلال الذى يتلى على

الجثمان ثلاث مرات فى البداية وبصوت جهورى ، ثم تلف توابيت الشيوخ والدراويش بخرقهم وتوضع قلانسهم كذلك فوق التابوت وتُلبس على رءوسهم فى أثناء الدفن ، وبعد الدفن يتحلق السالكون على رأس القبر وهم يتلون اسم الجلال مدة خمس دقائق دون عد ولا وجود لتلقين الميت عند المولوية ، ثم تتم مراسم العزاء وإحياء ذكرى الميت فى تلك الليلة بإقامة شعيرة "عين جمع".

كانت هناك ليلة لإحياء الذكرى السنوية لوفاة مولانا بالسنة القمرية حيث تفرش الزرابى والحصير فى صدارة بركة كائنة قبالة حجرة الميدان الموجود فى قونية. وتجتمع الخلائق وتنشد الشعائر والطقوس الدينية وتؤكل الفاكهة وتعقد مجالس السمر والمنادمة، ثم ينعقد مجلس السماع ، ويتلى الدعاء ويختتم بشعيرة "عين جمع"، وتسمى هذه الليلة "ليلة العُرس" وتشيع هذه الكلمة بين الناس بمعنى ليلة زفاف العرس ، ثم اتخذت هذا الشكل "ليلة العرس" لتعبر عن هذا المعنى. وإذا ما صادفت الذكرى السنوية لوفاة مولانا فصل الشتاء فإن الاحتفال حينئذ يقام فى حجرة الميدان . وهكذا نرى أن وفاة مولانا كانت بالنسبة إلى المولوية وصالا، وهذه الليلة هى ليلة الزفاف.

(٩) الذهاب إلى الموت :

إن حمل جثمان المولوية مقرونا باسم الجلال كان بمثابة منظر أشد هيبة وروعة من أرباب الطرق الأخر، ولاسيما من ناحية شكل الدراويش ذوى القلانس والخرق وقد ظهرت عادة متبعة وسنة مألوفة فى الأزمنة المتأخرة تتمثل فى أنه إذا مات واحد من الأكابر والسلاطين أو الشيوخ فإنه سرعان ما يتم إرسال خبر إلى التكايا المولوية، وكان تكرار هذه العادة سببا فى ذهاب المولوية ورجالات الدولة إلى حضور جنازات هؤلاء المحبين من المولوية. وخلاصة القول إن شيوخ المولوية كانوا يأتون فى جنازة كل غنى وعظيم ولم يتسن للمولوية التخلص من هذه العادة،كما كان هؤلاء الشيوخ لايرضون قط بمقام الشلبية، وقد انتشر هذا الوضع بين أرباب الطرق الأخرى واستمر على هذا النحو حتى إلغاء الطرق الصوفية.

شواهد قبور المولوية :

كانت جبابين[٣] المولوية تنبض بالروح والحياة من ناحية الشكل والهيئة والعقيدة الإيمانية،وكذلك من ناحية النقش والزخرف والزينة ونقش الأحجار وتدبيج الأشعار عليها، بيد أنها باتت من يوم إلى آحر بمثابة متحف مضمحل خرب بين أيدينا ، حيث سوى بالأرض وأصابه اليباب والخراب. – ويمكننا لو تسنى لنا العثور عليها – أن نجد أصدق شكل لهذه الأغطية وأقوى تأثير لتلك العقائد الإيمانية وأصدق صحائف التاريخ الاجتماعى التى لاتخطئ؛ نعم رأيناها وقد استحالت جميعها إلى حالة متحجرة ويطلق المولوية على الجبانة الاصطلاح الفارسى"خاموش خانه – خاموشان"التى تفيد معنى محلة الصمت والسكون ، أو الصامتون ، وتوجد محلة الصمت هذه فى معظم التكايا حول أطراف التكية ، ناهيك عن المقبرة الكائنة فى قاعة السماع حيث يحجز فيها الشيوخ والمحبون المنتسبون إلى التكية.يضطلع المولوية بصنع شكل قلنسوة معممة توضع فوق شواهد القبور وهى تشبه فيما تشبه القلنسوة المعممة التى يلبسونها .كما توجد القلنسوة العارية كذلك فوق شواهد قبور الشيوخ ، ولا تصنع القلنسوة فوق شواهد قبور المحبين بل تصنع بحسب وظيفة المريد على هيئة عمامة ملفوفة أو حجر ذى طربوش، ويعرف قبر المولوى من القلنسوة ذات الحلية المعمارية البارزة المحفورة من أعلى شاهد القبر حتى صدره،كما أن شواهد قبور النساء تأتى على هذه الشاكلة. وإذا كنا نجد على شواهد قبور المولوية قلانس على هيئة سيف أو على صورة متسقة الشكل أو ملتوية أو معممة فإننا والحال كذلك نجد فى التكية المولوية فى قوله قابى شواهد قبور متسقة الشكل أو غير ملفوفة أو معممة.

إن نقوش شواهد القبور المولوية تصطبغ بالصبغة الصوفية الخالصة على وجه العموم بيد أن ثمة رموزا كما هو الشأن عند الحمزويين ولكنها لا تحمل خاصية النقش .

الفصل الرابع

(الملابس عند المولوية والمصطلحات المولوية)

اللباس المولوى - قلنسوة اللباد - العمامة وأشكالها - القلنسوة ذات الإثنتى عشرة قطعة - قلنسوة شمس - الاستوا- التنورة - خوذة اللباد - دستة جُل - الخرقة - النطاق والجبة - مصطلحات المولوية.

(١) اللباس المولوى :

يلبس المولوية لباسا يسمى"ألف" وهو أوسع قليلا من البنطلون الحريرى ، وعليه قميص رقيق، وياقته عرض أصبع واحد مربوط من الجهة اليسرى حتى الخصر ، ذو كم ضيق ينسدل من الخصر حتى أسفل ، وفوق القميص صَدْرية بلا كم أو ياقة، بيد أنها تنسدل فى بعض المواضع فتغطى أطرافها،وهى ضيقة مستديرة وتارة تكون مستطيلة مفتوحة من الأمام منسدلة حتى الخصر ، وتكون هذه الصدرية"عند الحيدرية"دون ياقة نازلة من القفا حتى الصدر فى بعض الجوانب ، وهى بذلك تشير إلى الأئمة الاثنى عشر فى أغلب الأحوال، أو ذات اثنتى عشرة قطعة وهو العدد المقدس عند المولوية، وذات خياطة على الماكينة، ويرتدى المولوية كذلك خرقة خفيفة مستوية دون خصر،طويلة حتى كعب القدم.أما خياطات الماكينة الموجودة على ظهر ياقة الخرقة فتأخذ هذا الشكل .

هذا هو الزى الخـارجى ، وإذا مـا قـورن هذا الزى بزى الطرق الصـوفـيـة الأخرى،فإنه ليست ثمة خصوصية أخرى من ناحية الشكل الموجود فى الظهر أو من ناحية عدد خياطات الخرقة أومن ناحية شكل القلنسوة،وتوجد على الرأس القلنسوة العارية ، أما إذا لم يشترك الشيوخ فى المراسم والطقوس فإنهم يلبسون حينئذ قلنسوة غير معممة أو ملفوفة ،فإذا ذهب الشيخ إلى المراسم فى الأزمنة المتأخرة بعد ذلك فإنه كان يحمل معه قلنسوة غير معممة محفوظة داخل جراب، ويخلع الشيخ القلنسوة التى فوق رأسه ويلبسها عند الضرورة ثم يضع القلنسوة التى خلعها فى المحراب وكان الشيوخ يلبسون القلنسوة العارية فى التكية فى الأيام التى ليس فيها نكر،ولا يوجد عند المولوية زر أو أُنشوطة أو عروة فى أية واحدة من الملابس الداخلية والخارجية على حد السواء، أما المواضع المسدودة من الثياب فترتبط الأجزاء المتشابهة بعضها مع البعض الآخر بخيط معاكس مصنوع من نفس القماش .

(٢) قلنسوة اللباد «عَراقية» :

تأتى هذه الكلمة بمعنى الشيء الذى يمتص العرق، وهى مصنوعة من صوف أبيض منقوش، وتمثل غطاء رأس ليست طويلة كالقلنسوة ، وكان الشيخ يكبر على قلنسوة المريدين الذين لايعقدون السماع وعلى من يريدون لبس "العراقية"من الأطفال والنسوة على وجه الخصوص،طرفها رقيق يتجه إلى أعلى ، وهى ضيقة واسعة مسطحة فى أعلاها من الجانبين، وعادة ما تكون مصنوعة على شاكلة خط مرتفع حاد من الأمام متجه إلى أعلى ، ويسمى هذا الضرب من القلانس باسم "ألف عراقية".

(٣) القلنسوة المولوية (سكة Sikke) :

السكة sikke وهى قلنسوة المولوية وموضع فخرهم واعتزازهم ، وهى تميل إلى اللون البنى الغامق، وتتكون من طبقتين متداخلتين فى بعضهما البعض، رثة بالية،

أو تكون بلون العسل أو بيضاء اللون، يبلغ طولها خمسة وأربعين إلى خمسين سنتيمترا وهو قلنسوة مصنوعة من قماش صوفي، طرفها الأعلى ضيق قليلا بالمقارنة بالطرف السفلى .

وكانت القلانس فى الأزمنة المبكرة ذات طرف سفلى ثقيل، وأعلاها رقيق دون شكل محدد، أما فى الأزمنة المتأخرة فكانت تنقص من ناحية الطول وترق كاللباد وتتسدل إلى الناحية العلوية وتشبه الطربوش، والسكة قلنسوة تلصق بالصمغ وتنظف وتكوى وتوضع فى قالب وتظل فى حالة من البريق واللمعان.أما القلانس التى تلبس فى أثناء النوم ليلا فتسمى"شب كلاه"أى قلنسوة الليل، وهى أطول من "العراقية"وأقصر من"السكة" sikke التى ليس لها شكل معين محدد،كما كان يوجد فى العصور المتأخرة من يلبسون قلنسوة ذات طية واحدة. وإذ كانت أطراف القلنسوة تميل إلى أعلى وذات رأس حاد فإنها تسمى حينئذ"كلاه سيف"أى قلنسوة السيف لتشبهها به ، ولايوجد من يرتدى هذا النوع من القلانس فى الأزمنة المتأخرة وكان "ديوانه محمد جلبى" ودراويشه يلبسون الأنواع المتباينة من القلانس أحيانا، وتنسب إليه قلنسوة السيف على وجه الخصوص، كما توجد هذه القلنسوة بعينها فوق شاهد قبر"يوسف سينه جاك"، ويفهم من هذا أن هذه القلنسوة تخص مولوية شمس أكثر من غيره.

العمامة وأشكالها :

تستخدم كلمة "دستار"عند المولوية لتحل محل كلمة"صاريق" أى عمامة وتؤدى نفس المعنى، وتلف من الموصلين[١] شديدة الاتساع دون ثنى أو طى ، وهى تلف من الشمال إلى اليمين على نحو مائل إلى أعلى، ثم تلف من الشمال إلى اليمين فى الجهة المعاكسة، وتسمى هذه العمامة"أورفى örfi ويلفها أكابر القوم وعلماء العصر فوق رءوسهم وكانت هذه العمامة أطول قليلا إبان عصر آل عثمان وتلف على شكل البيضة،وهى حمراء اللون أعلاها يشبه ثمرة الجوز، مستديرة مخططة، ثم بدأ

استخدام هذه العمامة بعينهاعند المولوية بعد ذلك، ولكنها كانت تلف حتى نصفها، ويسمى هذا الضرب حينئذ جنيدى Güneydi" ويُملأ باطن العمامة بالقطن لتكون على شكل مستدير وتخيط من طرفها.ثم بدأ بعد ذلك لف عمامات الجزء السفلى منها واسع ويضيق أعلاها وكانت العمامة تغطي مقدار شبر من حافة القلنسوة ويسمى هذا النوع من العمامة باسم"شكر آويز"يبلغ عرضها أصبعين اثنين، وتبدو كأنها مكوية، وتخاط من لفتين اثنتين من قماش الموصلين ويحشى باطنها بالقطن ويلف أعلاها حول حلقة مغطاة بالموصلين. وعمامة"شكر آويز"على شكل القفص ، وهذا يعنى أن أجزاءها تلف من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ثم تثنى لتكون على هيئة القفص أو على شاكلة"الحسيني"حيث تكون أجزاؤها ملفوفة من اليسار إلى اليمين ومتجهة إلى أعلى.أما الشلبيون والخلفاء فيلفون فوق رءوسهم عمامة بلون الدخان، وعندما ينظر إليها فإنها تشبه اللون الأسود أو البنفسجى الغامق، أما الأسياد من الشيوخ ونعنى بهم أولئك المنحدرين من سلالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فيلبسون"عمائم مُدْهامة"(٢)، وهى بيضاء عند غيرهم ، ولا تبدو عمائم الشلبيين على أنها قلنسوة من أسفل، أما غير الشلبيين فإنهم يلفون جزءا ضئيلا جدا من القلنسوة حتى تبدو وكأنها على شاكلة الدرع، ويترك سائر المولوية الطرف الشمالى للعمامة حتى يبلغ الصدر، ونحن نرى هذا الجزء أطول قليلا فى عمامة"اورفى وجُنيدى"ويسمى هذا الجزء غير الملفوف"الطيلسان"، ولهذا السبب فإن القلنسوة المعممة تسمى فى الأدب خاصة"عمامة المولوية ذات الذؤابة"وتأتى أحيانا بمعنى "قلنسوة المولوية ذات الشعر"، أما الشيخ الإمام فإنه يلف فوق رأسه عمامة تسمى"دوله" "dolma" ذات لون أبيض، ثم شرع بعد ذلك كل الشيوخ فى العصور المتأخرة فى لف عمامة مدهامة فوق راسه. أما أصحاب شمس وأتباعه فيلبسون القلانس التى تغطى حواجبهم ولا تكشف عن جباههم، أما الزهاد والشيوخ والمحبون من ذوى العلم والكمال فى التكايا المولوية أو المضطلعون بخدمة الطريقة فإنهم يؤذن لهم بلف العمامة مباشرة بتوجيه من أحد الشيوخ من مقام الشلبية .

القلنسوة ذات الاثنتى عشرة قطعة فى قلنسوة شمس :

هذه القلنسوة ليست شيئا آخر سوى أنها من تاج القلندرية ذات الاثنتى عشرة قطعة، وكان "ديوانه محمد جلبى"يلبسها أحيانا، وصحن هذا التاج هو أربعة أجزاء داخله فى الرأس، أما قبته فمخيطة من اثنتى عشرة قطعة لباد أبيض منقوش من الداخل والخارج فى الجزء العلوى منها . وتقطع هذه القطع بسكين حاد وموسى بصورة مائلة، وتكون القطعتان مائلتين يقابل أحدهما الآخر وعندما تخاط من الداخل تبدو وكأنها ذات ارتفاع سامق من الخارج، وإذا ما حيك الجزء العلوى بخيط شباك الصيد وبصورة منتظمة متسقة غير ذات فُرج فإنها تبدو وكأنها خيوط منتظمة محكمة النسج .

لم تكن لدى القلندرية فى الأزمنة المبكرة خياطات خارجية. وقد أضاف البكتاشية هذا الضرب من الخياطات، أما قمة التاج فهو مخيط ويشبه تمام الشبه عقلة إصبع الإبهام ، أو يكون أصغر من هذا قليلا ويدعون هذا التاج لأنفسهم ويضيفون إليه زرا من قطعة لباد محيكة بخيط حريرى مشغول، وهم ينسبون هذا التاج إلى الشاعر والناشر"قايغوسر آبدال" الذى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى أما هذا التاج المكون من اثنتى عشرة قطعة فيسمى عند كثير من البكتاشية"تاج جلالى والحسينى"كما يسمى باسم"قلنسوة شمس"عند المولوية فى القرن السادس عشر الميلادى.وقد مُنح جلال الدين أرجون جلبى التاج الشمسى لمقام شمس، وهو تاج ذو سبع قطع ، ونعلم من خلال "رسالة الولاية لعثمان بابا" أن دراويش عثمان بابا كانوا يلبسون هذا التاج فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وبعد انصرام القرن السادس عشر الميلادى لم يكن هناك هذا الضرب من التيجان بين ثنايا المولوية بل كان يوجد فى مقابل هذا تاج بكتاشى تحت قلانس الشيوخ الذين نالوا نصيبا من البكتاشية.أما التاج الذى يخص شمس تبريزى الكائن فى متحف قونية فهو بعينه تاج"ألف خراسانى"فى العصور المبكرة للبكتاشية ، ولكننا لم نصادف التاج الشمسى فوق شاهد قبر مولوى ألبتة. أما قلنسوة "كوسجه أحمد دده"الراقد فى حديقة الأرواح فى قونية فهى ذات أربع قطع ، وهى نفس التاج الأدهمى الذى يستخدمه البكتاشية.

istiva: استوا

هى علامة الخلافة ، وتكون فوق القلنسوة، وهى قطعة جوخ خضراء ضيقة،عرضها مقدار أصبعين مشدودة من الأمام إلى الوراء ، ولسوف لا نكرر فى هذا الصدد ما أسلفناه من معلومات تتصل بالبحث المعنون باسم"المولوية والحروفية"وهو القسم الخاص بالطرق ذات العلاقة الوثيقة بالمولوية، ولا نصادف فى الأزمنة المتأخرة ذلك الشيخ الذى يشد "الاستوا"فوق قلنسوته.

التنورة :

لهذا الجلباب وجود عند كل من القلندرية والحيدرية والبكتاشية وهو لباس دون كم أو ياقة مفتوح من الأمام يكون ضيقا حتى الخصر، ومتسعا كلما انسدل من الخصر حتى أسفل. أما أطراف هذا الثوب فهى واسعة تكاد لا تقصر من أعلى ، ويتأتى هذا الاتساع من القطعة السفلية ، وقد حيكت قطعة صوفية ثقيلة عرضها أربعة أصابع من داخل أطراف اللباس ، ويسمى هذا الجلباب "تنورة السماع"، وهو ملون ويكون أبيض فى معظم الأحوال ، وعندما يبدأ رئيس مجلس السماع يضيق السروال ثم يفتح الجزء السفلى من الخصر، ويكون الذيل مفتوحا بلفة خفيفة ، وعادة ما ينقاد السماع لدورة ولفة هذا اللباس وثمة تنورة تسمى"تنورة الخدمة"وهى التى يلبسها مريدو المطبخ حتى الانتهاء من فترة التعبد والتزهد وهى فترة قصيرة مقارنة بتنورة السماع، وهذا يعنى أنها تمتد حتى الأقدام ، ولونها أسود على وجه العموم، وكانت موجودة عند البكتاشية ثم انتقلت بعد ذلك من القلندرية، وتوجد كذلك تنورة من الجلد ، ونعلم هذا من المصادر القديمة ومن الدوريات التى تتضمن السيرة الذاتية للبكتاشية وتشبه التنورة شكل حرف"لا" المعكوس فى الأبجدية العربية، ويرى لابس هذه التنورة كالألف المشدودة إلى وسط الحرف، وهذا يعنى أنها تأخذ شكل "لا"وهى أداة النفى الموجودة فى"لاإله إلا الله"، و"لا"تعبر عن مدلول نفى العدد ، أما "لا"فتشير معبرة عن مدلول إثبات وجوده سبحانه وتعالى ويعلم المولوى أن سائر الموجودات

متوهمة ما عدا الوجود المطلق للحق سبحانه وتعالى، وتنتفى جميع الموجودات مع وجوده هو، وهذا يدل على وجوب ظهور الوجود المطلق، وهذا إشارة دالة على إثبات الوجود الواحد المطلق، وفى نفس الوقت يوجد فى الجهة الأمامية المفتوحة للتنورة ثمانى عشرة خياطة محكمة فى كلا طرفيها،أو يخاط ويتدلى منه حبل صغير يسمى " القُطان" kayton"ويكون بلون التنورة .

لباس اللباد: ألف المد :

وهو يشبه حرف الألف فى الأبجدية العربية، وهو لباس طويل مستطيل عرضه أربعة أصابع، وطرفاه يشكلان مثلثا حاد الزاوية ،باطنه مغطى بقماش صوفى مستو ومثبت أعلاه بقماش رقيق، ولون أطرافه غامق بلون الأرض، أو هو درع مشدود من قماش ذى لون فاتح،وهو نطاق يبلغ طوله نصف متر على وجه التقريب، ويلف جهة الشمال على الخصر فوق التنورة ، وطرفه موجود فى الجهة اليسرى من البدن ، ويوجد شريط طويل مخاط على هذا الطرف ، ويلف هذا الشريط من وسط النطاق تماما ويلف الخصر من أعلى ،ثم يدخل هذا الطرف بإحكام فى القسم الملفوف ، وبهذه الكيفية يكون لباس ألف المد مربوطا بهذا الشريط .

دسته جُل :

هو لباس ذو كم ضيق لا عروة له و لازر ،عبارة عن جابون(٣) Japone تتصل أكمامه بالبدن وترتبط به مفتوح من الأمام ويتسدل حتى الخصر، ويصل فى القامة حتى منتصف النطاق، وهو صدرية مصنوعة من قماش رقيق، وفى جزئه الأمامى وناحيته اليسرى شريط من نفس القماش يبلغ طوله مقدار شبر واحد، ويدخل فى النطاق، وعند السماع يكون اللباس جهة الشمال ويثبت فى النطاق ويكون الجانب الأيمن حينئذ غير مفتوح .

الخرقة :

تسمى الخرقة الرسمية أو خرقة المراسم والطقوس، وهى لباس علوى ، أكمامه متسعة مقدار سبعين سنتيمترا، وطولها يتجاوز مترا واحدا ، مفتوحة من الأمام،ودون ياقة شديدة الاتساع ، وهى ثوب مؤلف من عدة أجزاء، لا خصر له ممتد حتى الأرجل ، ويرسم على الياقة أصبع أخضر ثقيل ملتو على هذا الشكل، أو يتدلى على عرضها الضيق شريط طويل ينسدل من جوانبها حتى أسفل ، أو ينزل حتى الذيل ، ويغطى الذيل برمته ويسمى هذا الذيل"استوا istiva" والخرقة ذات لون أسود فى معظم الأحوال، وتصنع من قماش الصوف أو الكتان بحسب فصل المناخ، ويلبسها الدراويش فوق ظهورهم، ولا يلبسون أكمامها ، وهم يضمون مقدمتها من الداخل بأيديهم ، بيد أنهم يلبسون أكمامها فى أوقات الصلاة وفي الأعياد والمراسم والاحتفالات، وعند الالتقاء والاجتماع. وعند انتهاء الصلاة أو الشعيرة يخلعون الأكمام على الفور . أما الشيوخ فيلبسون الأكمام فى كل وقت، ولاسبيل إلى لبس الخرقة الرسمية دون قلنسوة.

النطاق والجبة :

ورد حديث مفصل عن مسألة العِنان (الزمام) فى كتاب "تراش نامه" أى الحلق، ونعتقد أن" شاهدى " مؤلف هذا الكتاب قد أسهب القول فى هذه الأشياء،وقد أسلفنا القول بأن كلمة"بالهنج palheng"(العنان أو الزمام) الواردة فى المثنوى يقصد بها شد حزام أهل الفتوة، ولا وجود لهذا الشد عند المولوية، بيد أنهم يستمسكون "بألف مد"ليحل محل الشد، بيد أن لبس التنورة كما أشرنا آنفا يشترك فيه كل من القلندرية والحيدرية والبكتاشية على حد سواء، ولهذه الطرق الصوفية وشائج قوية وأواصر وثقى مع أهل الفتوة مثلها فى ذلك مثل المولوية. ويوجد عند الأبدال والحيدرية والبكتاشية حجر أكبر من اليد مكون من اثنتى عشرة زاوية، وهو مثبت بشريط من الصوفى فى الحلقة الموجود فى الجهة السفلى، ومربوط بأعلى الحزام ومائل قليلا نحو اليسار ، ويسمى هذا الحجر"بالهنج pahleng" ورغم عدم وجود هذا الزمام عند

المولوية فإن بعض الشيوخ كانوا يربطون نطاقا فوق السروال، وهذا الحزام مطرز مستو عرضه أربعة أصابع، ويصنع أحيانا من قماش صوفى مقلد وفى وسط الحزام حجر يمنى على شكل بيضة من الفضة أو النيكل موجود داخل تجويف الحزام، أو يوجد حجر النجف فى داخل هذا التجويف، ويثبت هذا الحجر فى الحزام، وأحيانا يثبت شريط فى الحلقة الموجودة أسفل الحزام أو يربط فوق الحزام بحبل، أما الحجر الموجود فى الجزء الأمامى للخصر فإنه يُذكر بحزام البكتاشية .

وثمة شئ يسمى "الحبة"وهى حجر صغير يشبه عقلة أصبع الإبهام موجود فوق طرف حلقة من النيكل أو الفضة المتناهية فى الدقة ، ويبلغ طولها عشرة سنتيمترات.وتصنع هذه الحبة من الحجر اليمنى أو من حجر النجف البللورى المنحوت وثمة إبرة ملفوفة فى الطرف الآخر من الحلقة.

أو يوجد حجر النجف[٤] فى داخل هذا التجويف، ويثبت هذا الحجر فى الحزام،وأحيانا يثبت شريط فى الحلقة الموجودة أسفل الحزام أو يربط فوق الحزام بحبل، أما الحجر الموجود فى الجزء الأمامى للخصر فإنه يُذكر بحزام البكتاشية.

وثمة شيد يسمى "الحبة"وهى حجر صغير يشبه عقلة أصبع الإبهام موجود فوق طرف حلقة من النيكل أو الفضة المتناهية فى الدقة،ويبلغ طولها عشرة سنتيمترات.وتصنع هذه الحبة من الحجر اليمنى أو من حجر النجف البللورى المنحوت وثمة إبرة فى الطرف الآخر من الحلقة .

ويثبت الدرويش والشيوخ هذه الحبة بإبرة فى موضع قريب من أكتافهم وفى الجوانب اليمنى واليسرى لقمصانهم، وتهتز هذه الحبات على الصدر وإزاء القلب.أما عند البكتاشية فتكون هذه الحبة خاصة بأولئك الزائرين للأربعة عشر معصوما، ونعنى بهم النبى محمد صلى الله عليه وسلم والاثنى عشر إماما.

وهما حبتان، أو تعلق فى أغلب الأحوال سبعة سبعة فى اليمين وفى اليسار. وتوجد هذه الحبة لدى سائر الطرق الصوفية الأخرى ثم انتقلت بعد ذلك إلى المولوية. ولزام علينا أن نسجل فى هذا المقام أن الحزام والحبة لم يتصفا بصفة السيرورة

والتعميم ، وحرى بنا أن ندون أشياء أخرى تخص اللباس والزى المولوى. لا قبل لأحد من الشيوخ والدراويش بالإقدام على قص شعره كالقادرية والرفاعية على سبيل المثال، وهذا يعنى أنهم يرسلون شعورهم منسدلة فوق أكتافهم ، ولا يظهرون لهم صفة متميزة عن طريق تضفير شعورهم بإزاء خوذات رءوسهم، وكان الشيوخ يخرجون عن هذه العادة بحكم ضرورة العصر فيحلقون آنذاك شعورهم ويتزينون ويتجملون، وليست هنالك خصوصية متميزة فى ذلك النعل الملبوس فى الرجل ، فهم يتبعون سبيل أعراف وتقاليد عصرهم حيث يلبسون النعال التى يلبسها كل إنسان ولا يوجد لدى المولوية – كما هو موجود لدى الشيوخ والدراويش فى الطرق الصوفية الأخرى – من يمشى فى الشارع ممسكا بمخلاة فى يده أو بمعول أوعصا أطول من قامة الإنسان ولاجرم أن التكفف والتسول(٥) ممنوع بشدة عند المولوية ، ولزام علينا قبل ختام هذا المبحث أن نقول ما يأتى: لا وجود لزى خاص عند مولانا أو المقربين منه. أما القلنسوة التى يلبسها مولانا فهى قلنسوة العصر الذى كان يعيش فيه، والعمامة التى يلفها على رأسه هى عمامة "اورفى"التى يلفها العلماء، وكان لباسه هو لباس عصره ولباس العلماء الموجودين فى تلك الحقبة من الزمان، وبعد استشهاد شمس كانت تُلف عمامة دخانية اللون وهى عادة المحزونين الموجوعين فى هذا الزمان ، وكان المولوى يلبس كذلك سترة مفتوحة الصدر ، كما كان فى العصور المبكرة يدخل هذه الطريقة بلباسه وزيه ولا يغير ثيابه ألبتة. ولاوجود كذلك لثياب متميزة أو تنورة من أجل ممارسة السماع أو أية شعيرة خاصة، ومع مرور الزمان تغيرت وتبدلت أعراف وعادات اللباس بيد أن المولوية بدورهم كانوا يحافظون نسبيا على خصائص لباس عصر مولانا، وبهذه الصورة نشأت عند المولوية الصفة المميزة للزى واللباس. وحرى بنا أن نكرر فى هذا السياق أن التنورة والحزام والجبة ما هى إلا أشياء انتقلت إلى المولوية من سائر الطرق الصوفية الأخرى كالحيدرية والأبدالية والقلندرية والبكتاشية

مصطلحات المولوية :

للمولوية مصطلحات تمخضت عن عقيدة دينية مقترنة بمفهوم التربية والسلوك والتهذيب وعلى سبيل المثال فلا تستخدم عند المولوية تعبيرات مثل تغليق الباب أو إطفاء الموقد أو الشمع أو إشعال النور أو الألفاظ القبيحة المستهجنة التى تدور بين ثنايا المعانى المتباينة، وهم يستخدمون بدلا من هذه التعبيرات اصطلاحات أخرى مثل ستر الباب أو حجبه، وكلمة"أنا"عندهم لاتعنى شيئًا ، أما نحن أو فقير فهى ذات مغزى، وتشترك الطرق الصوفية الأخرى مع المولوية فى كثير من هذه الاستخدامات.وثمة قسم من هذه المصطلحات مخصوص بالمولوية مقصور عليها وقد استعملنا جل هذه المصطلحات كلما كانت الفرصة مواتية وقدمنا معانيها. ولسوف نكتب فى هذا الصدد سائر المصطلحات الأخرى مرتبة ترتيبا أبجديا هذا فضلا عن التعبيرات التى تخص الدرجات والمنازل والدرجات واللباس والذكر ، ولسوف نشير كذلك إلى هل كانت المصطلحات مشتركة مع الطرق الصوفية الأخرى، أم أن وجودها يخص المولوية وحدها:

(١) آكاه اول ،آكاه اولمق Agah ol ،Agah olmok

وتعبر عن المعانى الآتية: اذهب إليه نفسه،الذهاب إليه نفسه ، إدراك كنه شىء ما، أو بلوغ الحقيقة أو الإفاقة من النوم وعند إيقاظ شخص ما يستعملون كلمة اويان uyan بمعنى أفق واستيقظ لتحل محل كلمة قالق kalkبمعنى انهض أو قم، ويكون بضرب الوسادة بخفة بأطراف اليد، ثم يقال تدريجيا :آكاه اول ارنلر Agah ol erenn ler أى أفيقوا أيها المتصوفون،وهذا الاصطلاح خاص بالمولوية مقصور عليهم .

(٢) الله دردكى آرتيترسين : Allah derdini artirsin

إذا ظهرت مخايل العشق والجذب الصوفى لدى المريد الجديد فإن الشيخ والدرويش يدعون له بهذه الجملة وكلمة derd تستخدم بمعنى العشق والإخلاص

والتسليم والوفاء والنشوة الصوفية والبهجة والاشتياق، ونعتقد أن هذا التعبير يخص المولوية فقط ليس إلا.

(٣) عشق اولسون : Ask olsun.

يأتى شخص فيجلس بجوار واحد ما ،وعندما يحييه ويلاقيه ويُجلسه فى مكانه ويقبله حينئذ يقو ل صاحب الحجرة لهذا الشخص"عشق أولسون" ask olsun،وتأتى هذه الكلمة لتحل محل كلمة hosgeldiniz بمعنى أهلا وسهلا.أما الشخص المخاطب بهذه الكلمة فإنه يضع يده فوق صدره ويقول "أى والله"مطأطئا رأسه محييا،أو ينحنى ويقبل الأرض وذلك بحسب مقام المتفوه بالكلمة ودرجة كماله ، وتقال كلمة " عشق اولسون" بدلا من كلمة عافيت اولسون Afiyet olsun لمن يشرب ماء أو أى مشروب آخر.

(٤) عشق ونياز،عشق ايتمك :

يأتيان بمعنى التحية والسلام ،فإذا سأل الشيخ أو الدرويش عن أحد الإخوان،فيقوم الإخوان بالتحية فى مقابل هذا السؤال، وتحل هذه التحية عشق ونياز محل السلام وذلك بحسب درجة السائل ومنزلته ثم يقول التحية والسلام على أقدامكم،وعندما يرسل السلام إلى الشيخ من الإخوان أوأحد الشيوخ فإنه يقول:أحيى أقدامكم ، وهذه التعبيرات مشتركة مع البكتاشية على وجه الخصوص.

(٥) عشق ويرمك ،عشق آلمق : As.k almek، A.sk vermek

يقال هذا لتعبير للشخص القادم ليحل محل أهلا وسهلا Hos. geldiniz ويستخدم هذا التعبير أكثر عند المولوية.

(٦) آتش باز ATEsBAZ:

هو اسم الشخص الذى روى عنه أنه كان طباخا لمولانا جلال الدين الرومى ، ويستخدم هذا التعبير بدلا من رئيس طهاة المطبخ.

(٧) عوام Avam:

يطلق الصوفية ألقابا على من ليسوا من أهل الحقيقة مثل:ظاهر وزاهد وعوام ، وتستخدم كلمة"ظاهر"عند البكتاشية على وجه الخصوص، وكلمة زاهد وحتى كلمة"يزيد" وغيرهما من الألفاظ الغريبة ما هى إلا تعبيرات تخص العلويين أما المولوية فيسمون الطرق الأخرى"الطرق الصوفية"، ويقولون عمن ليسوا أهل طريقة"العوام" ، وهذا الاصطلاح خاص بالمولوية، وقد انتقل بنفس معناه فى آثار كل من مولانا وسلطان ولد.

(٨) جومبو شلنمك Gümbüs. lenmek:

يأتى بمعنى ايجمك Icmek أى الشرب ،وهو اصطلاح عام مشترك.

(٩) جراغ cera¨g :

هى كلمة تستخدم تأتى على شاكلة كلمة cirak(جيراق)،وتأتى بمعنى النور والشمع والقنديل ، وهى لفظة مشتركة لدى سائر الطرق الصوفية.

(١٠) دده Dede:

هو الدرويش صاحب الحجرة الذى يقضى فترة المعاناة والمكابدة والتعبد والتزهد ، ولهذا التعبير وجود عند الحروفية وقسم من الخلوتية، وعند الجلشنية على وجه الخصوص ، واستخدم أكثر عند المولوية ،وبات تعبيرا خاصا بها.

(١١) دم كورمك Dem görmek:

هذا الاصطلاح مشترك مع البكتاشية ويأتى بمعنى احتساء الراقى"العَرَق" ، وهو من المسكرات ويحل اصطلاح"دملنك Demlenmek" محل اصطلاح دم كورمك Dem gor-mek،وكما أن كلمة "دم" dem تستخدم بمعنى راقى raki "شراب العرق" ، فإن اصطلاح"دملى اولمق Demli olmak"يعنى"سرخوش اولمق serhos. olmak أى حالة السكر والثمل. وقد انتقل هذا الاصظلاح بعد ذلك إلى الطرق الصوفية الأخرى.كما أن"دم" هى تعبير يأتى بمعنى الوقت والبرهة والحين والزمان.

(١٢) درويش Dervis:

يقصد بهذا التعبير سائر المنتسبين إلى الطريقة والمعتزلين المتبتلين المنقطعين لقضاء فترة التزهد والتعبد ،ويأتى هذا التعبير كذلك بمعنى المنسوب إلى الطريقة ، وهو تعبير عام مشترك.

(١٣) ديشارى ورمك Dis.ari vermek:

وهو اصطلاح يعنى تقيؤ الثمل السكران ،وهو اصطلاح مشترك بين المولوية والبكتاشية ، ثم انتقل إلى الطرق الصوفية الأخرى.

(١٤) ديكله نمك – ديكله لنديرمك Dinlekmek-Dinlendrmek:

وهو تعبير يعنى انطفاء النور أو إطفاء النور وهو تعبير عام مشترك.

(١٥) ارنلر – ارنلريم Erenleim –Ereneler :

ويطلق على الدراويش والشيوخ ، وهو تعبير عام مشترك.

(١٦) أى والله Ey vallah:

وهو تحريف لتعبير iy vallahi, iyi vallahi. يعبر عن الشكر مقابل كلمة"عشق اولسون" Ask olsun، والذى يستخدم مقابل كلمة أفندم Efendim من قبل الشخص الذى ينادى، ويستخدم كذلك للتصديق والإجابة عن السؤال،وإذا استخدم هذا التعبير على شاكلة Allah ey vallah فإنه حينئذ يحل محل اليمين ، وهو تعبير عام مشترك.

(١٧) فاخر Fahir:

هى قلنسوة المولوى ، وهى مشتركة بين المولوية والبكتاشية ويسمى البكتاشية التاج البكتاشى "فاخر Fahir.

(١٨) فقير Fakiyr:

تأتى هذه الكلمة بمعنى مُعْدِم أو مسكين أو مُعْوِز ،وهو تعبير مشترك بين سائر الطرق الصوفية ويحل محل كلمة"بن Ben" إلتى تعنى"أنا".

(١٩) غنى سييم Gani siyim:

وهو تعبير مشترك ويقال عند رفض شئ لا يراد ولا يُبتغى، ويعبر عن كثرة الشئ ووفرته.

(٢٠) جوجمك Göcmek، جوجو نمك Göcünmek:

اصطلاح يعنى الموت"اولمك" ö"lmek ، وهو تعبير عام مشترك.

(٢١) كوكل إيتمك gönül etmek:

هو دعاء قلبى بغية الحصول على شىء أو عدم حصوله ، أو بذل الهمة ، أو وجود الهمة المعنوية بغية الظفر بعمل ما ، وهو تعبير عام مشترك.

(٢٢) كوروشمك görüs. mek:

اصطلاح يعنى معانقة شخصين من الإخوان وإحاطة كل منهما الآخر باليد اليمنى ، أو المعانقة بكلتا اليدين رافعا إياها حتى الأفواه ، ثم ينحنى مع تقبيل أعالى اليدين ، ويطلق على هذا الاصطلاح كذلك عند تناول السالك أى شئ بيده ، مثل شربه كوبا من الماء ،أو تناول فنجان قهوة بيده ، وعند النوم أو الاستيقاظ منه وهو يشد الوسادة ، أو عندما يلقى بلحافه من فوقه ، أو عندما يلبس أو يخلع شيئا من ملابسه ثم يقبل ياقته وخرقته وملابسه وحافة قلنسوته ، ويسمى هذا التقبيل görüs mek، وعلى هذا النحو يكون كل شخص مصطبغا بالصبغة الروحية الخالصة أو بمعنى أكثر صوابا أن يكون كل شىء بمثابة مظهر للوجود المطلق وهو الله . وهذا التعبير يخص المولوية وحدهم .

(٢٣) خاكده: Hakata.

تستخدم محل كلمة "يوق yok" بمعنى لاشىء ، وعلى سبيل المثال فإن معنى باره يوق para yok أى لايوجد مال ،يحل محلها اصطلاح"مانجير خاكده" mangir hakta، أى العملة النقدية فى التراب، أى لا يوجد مال،وهو تعبير عام مشترك .

(٢٤) حق وره Hak vere:

تستخدم فى نفس المعنى،أى لا يصفح عن كلمة لا،ولا يتفوه بها، وتعبير "حق وره اولدى" "Hak vere oldi" يؤدى معنى"لا يوجد شىء وذلك للتعبير عن انتهاء الشىء ونفاده، وهو تعبير عام مشترك.

(٢٥) حق ارنلر Hak erenler:

هم صوفية الحق، وهو تعبير يعبر عن مفهوم الله والواصلين إليه" المتصوفة"، أو أنه يتضمن معاني:الحق والصوفية الواصلين ،وهو تعبير عام مشترك يتفوه به في حق الصوفية الواصلين.

(٢٦) خامو شان Hamusan :

تعبير يأتي بمعنى "الصامتون –الساكتون" وهو يخص المولوية وحدهم ن ويستخدم محل كلمتي الجبانة Mezarlik والموتى ölüler

(٢٧) خاموشان خانه Hamusan Hane:

وهو تعبير يعبر عن نفس المعنى سالف الذكر،وهو يخص المولوية كذلك

(٢٨) خور كجيرمك Hora gecirmek:

كلمة فارسية مشتقة من كلمة"خوردن"التي تفيد معنى الأكل والطعام ،وتعبر عن معنى شئ يؤكل، وهو تعبير مشترك لدى الطرق الصوفية طُراً، وكذلك على ألسنة الشعب .

(٢٩) خوره كجمك : Hora gecmek.

تأتي بمعنى الاستقبال بالسرور والترحاب ،وهو تعبير عام مشترك، ويجرى على ألسنة الناس.

(٣٠) اخوان:

يطلق هذا التعبير بين سائر المولوية بعضهم مع البعض الآخر، ورغم أنه تعبير عام فإنه يستخدم أكثر على ألسنة المولوية.

(٣١) قانينى ايجينه آقيتمق:

تفيد معنى عدم إظهار الحال الصوفى فى حالة الجذب والنشوة الصوفية ، وهو تعبير يخص المولوية وحدهم.ويطلقون على من يظهر سورة الانفعال والحُميا تعبير"أسِلْ دمك فى باطنك" kanini icneakht.

(٣٢) كوجك kôcek:

يعنى به الدرويش الجديد،ويطلق بصفة خاصة على الشاب الذى يخرج لممارسة السماع، ويقال عنه"كوجك kocek" أو "مولانا كوجكى Mevlana k"jceôi" أى مريد مولانا وحواريه ويطلق كذلك على من يضطلع بخدمة الشيخ أو الدرويش ويرعى شئونهما ويوجد فى كنفهما ويتعهدانه بالتربية والتنشئة ،ويسمى فى هذه الحالة"فلانك كوجكى Filanin Köceôgi"وقد يستخدم البكتاشية هذا التعبير ،ومن المحتمل أن يكون قد انتقل من القلندرية والحيدرية ،ثم بات بعد ذلك من التعبيرات المخصوصة بالمولوية المقصور عليها.

(٣٣) مانكير Mangir:

تأتى بمعنى نقود باره para، وهو تعبير عام مشترك.

(٣٤) مهمان Mihman:

تأتى هذه الكلمة الفارسية بمعنى "ضيف" قونوق Kconuk وتستخدم فى نفس المعنى، وهى كلمة عامة مشتركة.

(٣٥) نظرم Nazairm :

تستخدم محل كلمة "سن Sen" بمعنى "أنت" وكلمة نظرم عند المولوية تعنى وجود أهمية عظمى للنظرة والمولوية مثل الحمزية يعتقدون أن نظرة المرشد سوف توصل المرء إلى الجذب الصوفى والنشوة الإلهية وفى شعيرة "دور ولدى" كان المتقابلون يديمون النظر فى وجوه بعضهم البعض وفى حواجب بعضهم البعض ، وفى نفس الوقت فالموجود قبالتى يكون عينى ونظرى ،فإذا ما استقر نظرى عليه نكون قد بلغنا حالة الاتحاد سوياً ، ومن ثم فإن هذه الكلمة تشرح معنى الاتحاد على هذا التقدير ، ورغم أنه تعبير مشترك فإن المولوية والبكتاشية يستخدمانه .

(٣٦) نو نياز Nev- Niyaz:

يقصد به الشاب المحب الذى انخرط حديثا فى سلك الطريقة،ويطلق كذلك على ممارس السماع، وهو تعبير مخصوص بالمولوية مقصور عليها.

(٣٧) نذر مولانا Nezir-I Mevlana:

هو نذر مولانا ، وهى الأعداد التى تقبل القسمة على تسعة،وإن مثلى العدد تسعة هو ثمانية عشر،ويعد هذا نذرا تاما،والعدد ثمانية عشر يعبر عن نذر مولانا فالقادم إلى التكية عندما يخرج منها يلتقى بشيخه ثم يضع ما بين ثمانية عشرة إلى خمسة وعشرين قرشا بصورة خفية فى راحة يد الشيخ أو تحت مقامه فى أثناء أداء

التحية ، كلٌ بحسب قدرته،فإذا لم يكن ذا قدرة فإنه يغرس ورقة شجرة خضراء لتحل محل النذر.

ولكن من أين جاءت قدسية العدد ثمانية عشر عند المولوية؟فهل يتسنى الإدلاء بقول جازم فى هذه المسألة؟ لاأعلم ، للعدد تسعة قدسية لدى الترك،وهذا من تأثير ونفوذ شامانية الترك فى المولوية ، وهذا فى رأينا أكثر مناسبة وتوافقا، وكانت الشامانية ديانة بدائية ساحرة ، ورغم أنها كانت ذات نظرة صوفية مجردة لوحدة الوجود، فإنها كانت تزعم أنها ذات عقيدة متكاملة معروضة فى شكل طبيعى مادى، ومن ثم كانت ذات تأثير فى المجتمع ، وهذا غير ممكن لا من ناحية الفكر أو العصر.وهاهو ذا حسين فخر الدين دده شيخ التكية البهارية يوضح فى دوريته نذر مولانا فيقول:

"يكون نذر مولانا ثمانية عشر، وهى ترد ثمانية عشرة مرة كل يوم إلى حضرة مولانا عظم الله سره وقدس سره الأعلى ،وذلك بناء على تجلى ذاته، وتكون مشاهدات كل واحد مقدرة بألف درجة وكأنه يجمع ثمانية عشر ألف عالم، ويكون هذا مطابقا كذلك للاسم الشريف وهو"الحى" ، أما نذر شمس فهو ستة ويفهم من هذا التوضيح وجود نذر شمس عند المولوية وعدد هذا النذر ستة.فالله هو الوجود المطلق عند الصوفية ،ويتنزل جوهر ذاته بحكم الضرورة على الحقيقة المحمدية، ثم تتجلى الحقيقة المحمديةعلى الكائنات.فالمقدرة الفعالة للقدرة الخالقة هى المقدرة السالبة المقترنة بالعقل الكلى، وهى النفس الكلية التى تمخض عنها تسع سماوات ،ثم ظهرت العناصر الأربعة من حركة السماوات،وبالسماوات التسع وجدت العناصر الأربعة وهى:الجماد والنبات والحيوان والوجود، وعلى هذا النحو فإن الكائنات بنظرة قصيرة محكمة متقنة قد نشأت من ثمانية عشر وجودا، وكل واحد من هذه العوالم الثمانية عشرة ناشئ من ناحية المبالغة والتفصيل ، والعدد ثمانية عشر يعبر عند العرب عن آخر عدد، ومن ثم فقد ظهر اصطلاح "ثمانية عشرة ألف عالم" onse kizbinalem الذى يعنى الكون بأسره ورمته وفى نفس الوقت فإن مولانا دبج الثمانية عشر بيتا الأولى من المثنوى على وجه الخصوص. ويرى المولوية أن هذه الأبيات تشبه فاتحة القرآن

الكريم إذ هى أصل المثنوى كله وكنهه وجوهره وأس أساسه.ومن أسماء الله الحسنى "الحى"وهو الاسم الثانى عشر بحساب الجُمل. ونحن نرى أن فى العدد تسعة وثمانية عشر على وجه الخصوص تأثير لهذه العقيدة ولا سيما التأثير الذى خلفته الثمانية عشر بيتا الأولى للمثنوى. وقد دخل "نذر مولانا"دائرة الأدب ، ويضاف هذا العدد إلى تاريخ المصراع عند كتابة التاريخ الجُملى، وإن اصطلاح "نذر مولانا خاص بالمولوية .

(٣٨) نياز Niyaz:

وتعنى طأطأة الرأس تحية وإجلالا، وقد تحدثنا عن هذه المسألة إبان شرح الذكر. وعندما يلتقى مولوى بآخر ماموى فى أوقات الذكر يحيى كلاهما الآخر على هذا النحو: يمسك المحيى بأصبع إبهامه فى صورة متساوية مع الأصابع الأخرى، ثم يأتى بيده اليمنى إلى شفته ويضع إشارة سكوت بأصبع السبابة ويضعها مائلة قليلا فوق شفتيه ويقبلها بخفة، ثم ما يلبث أن يضع يده فوق قلبه وتكون أصابعه مفتوحة وهو يحنى رأسه، ويصنع من قبالته الحركة عينها بيده اليمنى وعلى نفس الشاكلة وتكون التحية بطأطأة الرأس خضوعا واحتراما، وإن جلب الأصبع على الفم هو علامة عدم إفشاء السر والتزام الصمت،أما طأطأة الرأس فهى أمارة دالة على تقديس الإنسان. أما الهدية المقدمة إلى التكية والشيخ والدرويش والمريدين فتسمى أيضا "نياز"، وهى مرادفة فى نفس الوقت لكلمة النذر وهو تعبير عام مشترك .

(٣٩) الرضا :

تعبير يعبر عن الرضا بقضاء الله ،ويذكرنا بالمحن وضروب العنت والنصب واللغوب التى تعترض سبيل الطريق، ورغم أن هذا الاصطلاح مشترك بين سائر الطرق الصوفية فإن المولوية أكثر استخداما له، وكلمة الرضا تعبر عن رقم ١٠٠١ بحساب الجُمل، وهى تعبير عن فترة التعبد والتزهد المولوية، وعددها ألف يوم ويوم، وقد دخلت هذه الكلمة مضمار الأدب المولوى.

(٤٠) صفا نظر :

ترد هذه الكلمة بمعنى النظرة الطاهرة النقية،وتستخدم فى حق نظرة المرشد إلى السالك، ونظرة السالك إلى كل شخص، فكل شيء يبصر بعين الاتحاد ، وسوف لا ينظر السالك إلى شئ بنظرة شريرة قبيحة أبداً،وهذا يعنى أنه لا ينظر بنظرة مقترنة بالسوء والفحش، وبهذه الصورة يكون رجل الطريق موجودا داخل لجة الراحة والطمأنينة والمجاهدة ويتمخض عن هذا تحقق الوحدة ، وقد جاء تغير النظر بنفس المعنى لدى الحمزية ، ولكن اصطلاح"صفا نظر"يخص المولوية دون سواهم.

(٤١) سرا ولمق Sirr olmak:

ويعنى بالاختفاء والاستتار، والفقدان والضياع – وخمود الشهرة والموت، وهو اصطلاح مشترك عام.

(٤٢) سر لامق Sir lamak:

يأتى بمعنى الستر والإخفاء،أو تغليق الباب أو النافذة،أو أى شىء، وإطفاء نور الشمع والمصباح والقنديل أو نور الكهرباء،أو دفن الميت، وهذا اصطلاح عام مشترك.

(٤٣) سر لانمق Sir lanmak:

تعبير يفيد معنى الاختفاء والتغليق والانطفاء والدفن، وهو اصطلاح عام مشترك.

(٤٤) او يانمق– اوياندیرمق–اويارمق Uyanmak-uyandirmak-uyarmak:

اصطلاحات تفيد إشعال الشمع والقنديل والموقد وغيرها،كما تفصح عن بلوغ واحد من المتصوفة كنه السر الحقيقى وهو مصطلح (وهو مصطلح عام مشترك).

(٤٥) طيغلامق Tiِjlamak:

تعنى ذبح الأضحية وهو تعبير عام مشترك.

(٤٦) وحدت Vahdet:

يفيد معنى النوم وهو تعبير عام مشترك.

(٤٧) يورومك Uürümek :

تعبير يؤدى معنى الموت وهو كذلك عام مشترك.

وفضلا عن هذه المصطلحات والتراكيب فإنه توجد عند المولوية بعض الألفاظ التى تذكر بالحكم والأمثال ولا يستخدمها الناس ، وجُل هذه الألفاظ مشترك مع البكتاشية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الطرق الصوفية الأخرى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) دمسز درويش ايما نسز صوفته يه بكزر "Demsizder vis imansiz softayabenzer"

ومعناه:درويش بلا خمر يشبه طالب علم دينى بغير إيمان.

(٢) ار طوغرويه ، حق طوغرويه Erdag˘ruya- hak dog˘ruya.

ومعنى هذا المثل أن يكون المرء صادقا متجها نحو الصواب، وبعين الله الصادق المخلص،ويقال هذا التعبير عند البحث عن الإخلاص والصدق.

(٣) كوكل قالسين ، يول قالمه سين :Gönül kalsin-Yol kalmasin

يقال هذا المثل عند الاعتراض على الطريقة وتدبير شئ ما يناهض الطريقة ويناقض أصولها ومبادئها،وليتحطم فؤاد الذى يريد إفساد حال الطريقة وتقويض أركانها /وهذا دليل مهم على فرط الحساسية الموجودة فى القواعد والأصول.

(٤) قان ات ،قانون ايتمه :

وهى قولة تقال ضد من يضيف شيئا جديداً على أركان الطريقة ويناصبها العداوة ويهم بوضع قواعد جديدة فيها فإنه أشد جريرة من القاتل ولا سبيل إلى الصفح عنه.

(٥) كندينى بيلكه بابا سينك قاني جلال ،كندينى بيلمه يكه آنه سينك سوتى حرام ."Kendini bilene baba sinibkani helal- bilmiyene ansinin sütü haram".

والمعنى الحرفى لهذا المثل:

من عرف نفسه فقدم أبيه حلال عليه، ومن لا يعرف نفسه فلبن أمه عليه حرام.وهو يذكر بالعقائد الباطنية، ويحيطنا علما بأن الشخص الناضج الكامل الذى يعرف نفسه يصدق فى الشيء الذى يضطلع به، فمن عرف نفسه عرف ربه.

(٦) مولانك جيله سى بتيمز : Mevlananin ci lesi bitmez.

هذا مثل يعبر عن أنه رغم انتهاء الفترة الرسمية للمجاهدة والمكابدة فإن المولوى سوف يكابد من المشاق وضروب المحن واللغوب، وقد انتقل هذا المثل إلى الطرق الصوفية الأخرى.

(٧) مولو نك جيويسى ، بكتاشينك جاباسى: Mevleinin ci visi, Betasinin capasi.

ومـعناه : مـسـمـار المولوى مـجـراف البكتـاشـى، وهذا يعنى أن سلوك المولوى وإدراك واستيعاب السماع فى خشبة ذات مسمار أى بالوجد والعشق وسلوك البكتاشى يكون بإدراك واستيعاب التراب فى التكية وهذا المثل يد على الخدمة على الوجه الأمثل :

الهوامش

(١) هو نسيج قطني رقيق ويسمى بالتركية تلنبد "Tülbend" (المترجم) .

(٢) مُدهام: هو اللون الأخضر الضارب إلى السواد (المترجم) .

(٣) ثوب دون كم من قطعة واحدة مخاط من الكتف (المترجم) .

(٤) هو ضرب من البلور يستخرج في منطقة النجف ويسمى حجر النجف (المترجم) .

(٥) التسول هو سؤال الناس (المترجم) .

القسم الرابع :

الأدب المولوى والموسيقى المولوية

الفصل الأول

الأدب المولوى

الأدب المولوى – هل يمكن أن يكون الأدب المولوى منفصما من أدب الديوان ؟

الأدب المولوى :

يقول « رضا قولى خان هدايت » (صاحب كتاب رياضة العارفين ومجامع الفصحاء) فى صدر المقتطفات الأدبية التى سماها « شمس الحقائق » والمقتبسة من الديوان الأكبر: إن مولانا هو أسمى شاعر فى الأدب الإيرانى وأكثرهم أصالة ونفاسة، كان مولانا قارئا جيدا لكل من"الرودكى"(ت ٩٤٠ – ٩٤١)"والفردوسى" (١٠٢٠ – ١٠٢٥)، وكلاهما من شعراء إيران الكلاسيكين ، كما اطلع على شعر شعراء الصوفية الآخرين مثل:أبو سعيد أبو الخير(ت ١٠٤٨) وحكيم سنائى (ت ١١٣٠ – ١١٣١م) على وجه الخصوص وقرأ كذلك أشعار العطار(ت ١٢٢٩ – ١٢٣٠م)، كما كان عالما حاذقا بسائر النظريات الفلسفية لابن سينا(ت ١٠٣٦) ، وانشغل مولانا كذلك بشعراء الجاهلية والشعراء العرب الفلاسفة كالمتنبى(ت ٩٦٥ م)(1). وتتمثل فى مولانا ثلاث خصائص مهمة لا وجود لها عند غيره من الشعراء وهى :

١ – لاوجود للفوضى والاضطراب بين ثنايا أبيات أشعاره،كما هو الشأن عند الشعراء الكلاسيكين الآخرين، فشعره برمته وحدة متكاملة تامة ،فإذا ماتصدى لتفصيل شيء فى البيت الأول فإنه يستمر فى شرح الموضوع بعينه ويطرد فى سيره

للوقوف على نفس الموضوع حتى نهاية القصيدة ، وحتى لو تداعت الأفكار فإنها لاتفسد ولا تشوه الأشياء التى يضطلع بشرحها وتفصيل القول فيها ، فهو سرعان ما يدبج الشعر إذا ما دار بخلده وطاف بخياله، ولا يدبجه بغية مدح أحد أو قدح أحد أو من أجل إظهار الألمعية والنبوغ والذكاء، فالشعر عنده لا قبل له باحتمال هذه الأشياء، ولا طاقة له التعبير عما يريد بالنثر ، فالشعر انعكاس للوجد والحالة النفسية والروحية، وهو فى معظم أحواله تعبير عن حقيقة واقعة حقيقية ورأى واقعى صائب ، وكل هذا سبب مباشر فى إبداع الشعر . ومن هذه النظرة فإن عدم تغيير الموضوع وتبديله لهو شيء جد طبيعى .

٢ – يتبع الشعر عند مولانا سبيل النظم، والوزن تابع للشعر منقاد له، وتكون الموسيقى فى العادة تعبيرا عن الحالة النفسية، فالوزن يتدفق منثالا بالشعر حتى لو أخطأ أو تعثر أو أصابه التغيير والتبديل، ومولانا متحرر من هذا القيد ومعارض لهذه الطريقة التى تغلل هذا التعبير.ولكن ماذا عساك أن تصنع؟ لقد كانت هذه عادته وديدنه، وقد وضع النظام على هذا النحو، إنه يجرجر حِمْلا ثقيلا(٢).

٣ – اللغة عند مولانا هى لغة الشعب بحذافيرها، فهو على علم بفنه وبسائر الفروع والتفاصيل لسائر القضايا والمسائل التى يعرض لها متمخضة عن شرحه وتفصيله، غير ناجمة عن الالتزام بالشكليات والاحتفال بها ، وغير ناشئة عن الصنعة أو الظرف والمهارة .

دبج مولانا أشعاره بلغة الشعب ، كماكان فى نفس الوقت قصاصا شعبيا ذا مقدرة فائقة ولم يكن هذا ديدنه فى المثنوى فحسب، بل كان ماثلا كذلك فى الأشعار الموجودة فى الديوان بيد أنه يكون أحيانا ذا إشارات قصيرة متباينة مستعينا بالحكايات المعروفة، ومن ثم فإنه من هذه الزاوية أستاذ عظيم فى علم الفولكولور الشعبى ليس فى إيران وحدها، بل فى الشرق الإسلامى بأسره وآثاره كنز للأعراف والعادات والتقاليد والمجازات المتصلة بالعرف ، وهذا يعنى أن آثاره كنز زاخر بالتعبيرات الشعبية والحكم والأمثال والنوادر والحكايات.إنه واحد من أهم الممثلين للأدب الإيرانى ، وأستاذ منقطع النظير للشعر الصوفى، ومولانا بكل خلاله وسجاياه

ذو قيمة عظمى باعتباره أحد العُمد المؤسسة للأدب الإيراني وبهجرته من بلخ إلى الأناضول جلب معه فرعًا من الأدب الإيراني، وإن الأبيات التى قالها كانت عن طريق التأثير المحلى وبعض الألفاظ التركية الموجودة فى الملمعات ، كل هذا وذلك يجعله يسلم بأن يكون شاعرا تركيا فى أى وقت ألبتة. وقد دخلت قبيل هذا الزمان كثرة كاثرة من الكلمات التركية إلى اللغة الرسمية ،ولم تكن هذه الألفاظ مقصورة على لغة الشعراء فحسب وذلك بسبب الغزو المغولى، وإن كتاب "جامع التواريخ"هو أصدق مثال على ما نقول،وإذا تجاوزنا عن ذكر جامع التواريخ - الذى لم يظهر وحدة الأسلوب بهذه الصورة والذى اضطلعت طائفة من الأشخاص بكتابته وجمع مختلف أجزائه- فإنه توجد كذلك كلمات تركية كثيرة فى كتاب"جها نكشا" ذلك الأثر الذى دبج بطريقة فنية شديدة التكلف والتصنع والتنميق.وإذا كانت هذه الواقعة نتيجة طبيعية للغزو المغولى فإن معاناة مولانا من أجل التفوه بالتركية كان نتيجة طبيعية لحياته فى الأناضول(٣).ثم جاء سلطان ولد بعد مولانا، ولا سبيل إلى مقارنته بأبيه، وقد دبج آثاره بالفارسية مثل أبيه ،كما نظم أحيانا ملمعات تركية كما فعل أبوه ،ولما كان سلطان ولد يعيش فى الأناضول فإنه أنشد أشعارا تركية أكثر مما نظم أبوه،بيد أن أشعاره التركية ركيكة مهلهلة النسج ولا سبيل إلى مقارنتها بأشعار معاصره يونس أمره،وهذا ما سبق ان تحدثنا عنه إبان ترجمتنا الذاتية فى قسم خاص قائم برأسه.وفى الحق فإن هذه الأشعار كانت جد قليلة من ناحية الكم،ويتعذر مقارنتها بأشعاره الفارسية.أما ولده أولو عارف جلبى فإنه لم ينظم مصراعا واحدا بالتركية.كانت رسالة"سبهسالر فى مناقب خداوندكار"هى أول كتاب مناقب يخص مولانا ،واضطلع بتدبيجها بالفارسية وبطريقة فنية"أحمد اوغلو محى الدين"أما كتاب المناقب الثانى الذى يخص مولانا فهو"مناقب العارفين"التى كتبها"أحمد أفلاكى"وأبدعت بلغة فارسية ساحرة ذات طلاوة ورواء،مكتوبة برمتها بلغة الشعب باستثناء عناوين الفصول .

لقد بدد السلاجقة الفارسية التى قبلوها لغة رسمية وقوضوا أركانها ،وكان إعلان كل من"قرمان بك و محمد بك"التركية لغة رسمية، وكان هناك إدراك تام مهم ومعرفة

أكثر للتركية بين ثنايا الإمارات والمقاطعات التى أسست فى أراضى الإمبراطورية مترامية الأطراف،وتأكد صيرورة اللغة التركية لغة أدبية خالصة.

وكان كل من سلطان ولد وجلشهرى ويونس أمره وعاشق باشا بمثابة الممثلين الأولين للأدب المدون المكتوب بالتركية فى الأناضول فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى والقرن الخامس عشر الميلادى،ورغم أن يونس أمره وعاشق باشا كليهما كانا من بين هؤلاء الشعراء،فإن يونس أمره قد دبج"الرسالة النُصْحية"على وزن العروض،بيد أنه كتب جُل أشعاره على وزن الهجا وهى تمثل ديوان الشعر عنده،وفى مقابل هذا فإن عاشق باشا دبج ديوانا كبيرا أسماه"غريبنامه"متأثرا فيه بمثنوى مولانا وعلى نفس وزنه ،كما أنه كتب أشعارا كثيرة على وزن العروض غير مدرجة فى ديوانه "غريبنامه"[٤] ،ولا وجود لوزن الهجا عند كل من سلطان ولد وجلشهرى ألبتة.

لاجرم أنه دخلت فى التركية واستقرت بها المصطلحات والتراكيب الدينية والصوفية إلى جانب الأسماء والأماكن والأشخاص التى تخص الأساطير والخرافات الإيرانية ناهيك عن المجازات التمثيلية التشخيصية،ونصادف هذه الأشياء بكثرة وافرة فى الأشعار المدبجة على وزن الهجا .

كان النبلاء من الأمراء قد بدء وا يستحوذون على أنعم الدنيا المؤقتة والدائمة ويعضون عليها بالنواجذ ونشأ بين ظهرانيهم زمرة عالية ،مما جعل الشعراء والكتاب والعلماء وأهل الفن يلتفون حولهم من أجل لقمة العيش، حتى يتسنى لهم تقديم آثارهم الأدبية والفنية، وكان مادحوهم يرون هذه الطبقة أرفع شأنا من الشعب ، ومن ثم بدء وا يحقرون الشعب ويزدرونه، وكان وزن الهجا الذى يستخدمه شعراء الشعب والمفعم بالمجازات المحلية يعد وزنا عاميا، وبات وزن العروض هو الوزن الأصلى للشعر الذى يخص الطبقة المستنيرة ليس إلا . وإن كتابة يونس أمره الشعر على وزن الهجا بصورة أكثر جلية جعلته يمضى قدما بسبب اجتهاده ومضاء عزيمته وذيوع صيته نحو الشعب بأيدلوجيته باعتباره شاعرا حرا عند شيخه"بابا طابدوق" لأنه لم يدخل فى حلقة ما. ومع هذا كان هناك شعراء علويون بكتاشية ممن نشئوا بين

ظهرانى الشعب ودبجوا أشعارهم على وزن الهجا. ولقد كثر الشعراء الذين نظموا أشعارا على وزن العروض وأدخلوا فى اللغة كلمات عربية وفارسية بسبب ضرورة الوزن، وهكذا ظهرت اللغة العثمانية وهى لغة المستنيرين والمثقفين التى لا يفهمها الشعب ولا يدرك كنهها ألبتة.

ولقد تأسس الأدب الديوانى العثمانى مقلدا الأدب الإيرانى الكلاسيكى فى كل شىء كالوزن على سبيل المثال، وهو من هذه الزاوية أدب غير قومى وغير إنسانى.

مرت المولوية بعد"أولو عارف جلبى"بحقبة من الترنح والتداعى بين الفارسية والعثمانية ، وعلى سبيل المثال فقد تفوه كل من عادل جلبى وابن عمه أمير عارف جلبى بمقطوعات تركية متفردة قائمة برأسها وذلك بمناسبة وفاة أمير عالم جلبى ابن أمير عابد جلبى ،كما أنشد الدرويش "فيضى البلخى"مقطوعة فارسية(السفينة، ج١،ص ١٢٩). ومع هذا فقد كانت كل التواريخ والمقطوعات المكتوبة فى وفيات الشلبيين بعد ذلك تركية خالصة (انظر:السفينة). ورغم هذا فإن المولوية الذين قرضوا الشعركانوا يكتبونه أحيانا بالفارسية ،وعلى سبيل المثال فإن شاهدى كتب قسما من آثاره بالفارسية،بيد أن هذه الفارسية ليست فارسية مولانا أو سلطان ولد أو أولو عارف جلبى،أو حتى فارسية"سپهسالر وأفلاكى" ،إنها فارسية مُتعلمة محفوظة عن ظهر قلب من الكتب وفى الديار التركية ،ولهذا السبب فهى لغة ركيكة مضطربة.

وإذا ما استثنينا المولوية الذين ذهبوا إلى إيران أو المولوية الإيرانيين ،فإن تفوه المولوية الآخرين بالفارسية كان بسبب كون المثنوى والديوان الكبير مدبجيْن بالفارسية،وكان هذا التأثير متأصلا عميق الغور إذ يقول ثاقب دده فى سفينته"إن هذا التأثير جعل الشلبيين والشيوخ وسائر الدراويش يتخاطبون بالفارسية،وباتت الفارسية بفضل تأثير مولانا لغة المولوية المقدسة" ، ولكن المولوية اضطلعت بتأسيس وتقعيد اللغة التركية الأم فى الدولة وانصهرت فى بوتقة التأثير التركى. وكان دعاء المقام والأدعية الأخرى تتم التركية الخالصة حتى أن المقطوعات الشعرية الصالحة للموسيقى والغناء والمختارة على وجه الخصوص من أشعار كل من :مولانا وسلطان ولد وأولو عارف جلبى والمقتبسة أحيانا من كل من "شاهدى وديوانه محمد جلبى

وصَمْتى"(ت ١٠٤٠ هـ = ١٦٣٠- ١٦٣١م) وكذلك شيخ غالب (ت ١٧٩٩م) ، وقد دخلت سائر هذه الأشعار التركية لكبار الشعراء المولوية الآخرين إلى الطقوس الدينية والشعائر والمراسم الدينية ،كما توجد أبيات ليونس أمره بين ثنايا هذه الترنيمات.ورغم أن المولوية دأبوا على هذه العادة متفوهين أحيانا بالشعر الفارسى ، فإن الثقافة التركية قد استقرت وتوطدت أركانها إلى حد بعيد فى هذه الطريقة ، و كانت هذه الثقافة محليةإلى هذا الحد ، مما حدا بأحد كبار شعراء إيران المعدودين أن يخلف تأثيرا عميق الغور فى أشعار الأدب التركى الديوانى،وهذا الشاعر هو"صائب تبريزى"(ت ١٦٦٩ م) ، وفد إلى قونية وزار مولانا ،ومكث هنالك ردحا من الزمن، وأصبح مولويا وتبوأ الخلافة ثم انفلت راجعا إلى تبريز وأسس زاوية فيها، ودفن فيها عند موته .

ومما لا مرية فيه أنه نظم غزليات تركية متأثرة بالمولوية.(٥) ولسوف نعالج هذه المسألة الغريبة فى هذا الصدد:

اضطلعت المولوية بنشر وإذاعة الثقافة الإيرانية فى تركيا وفى مقابل هذا كانت البكتاشية تضطلع بدورها بحفظ وحماية اللغة التركية،وأصبحت هنالك طائفة من القائلين بنشر وإذاعة الثقافة التركية ،حتى أن"حاجى بكتاش"قد مضى قدما فى إظهار عشقه للأمة التركية إبان القرن الثالث عشر الميلادى،مما جعل أحمد يسوى يرسل به إلى الأناضول لتحقيق هذا الهدف، وعلى كل حال فقد كتب حاجى بكتاش مقالات بالعربية ،ومن المرجح أن يكون هناك أناس غير عارفين أوناسين وجود أدعية وأذكار عربية وفارسية فى طقوس وشعائر البكتاشية.ولا جرم أن البكتاشية هى طريقة أكثر شعبية قياسا بالمولوية، ولاقبل لنا بإنكار هذا ،بيد أنه يوجد فى هذه الطريقة خلاف وانقسام ، فهناك بكتاشية البدو والقرية كما سبق أن فصلنا القول فى تاريخ المولوية،وهذا يعنى أنه بينما كانت العلوية منتشرة بين ثنايا الركام المحتشد للقرى والبدو على الخصوص،فقد ظهر فرع من الطريقة أكثر دقة ألا وهو شعبة "البابية" ونعنى بهم البكتاشية الأصلية التى استطاعت أن تشتمل على المدن التى تستحوذ عليها ومع هذا فإن المولوية حافظت على شخصيتها الشعبية الأولى

وانتشرت وذاع صيتها حتى بلغ القرى فى تلك الحقبة من الزمان، ورغم وجود القرى المولوية فإن الطريقة المولوية استقرت بعد حين فى المدن.أما البكتاشية المستحوذة على المدن والمشتملة عليها قد اهتمت أكثر وأكثر بالطبقة المتوسطة ، وتمخض عن هذا ظهور كثير من الشعراء العلويين الذين نظموا على وزن الهجا حتى بات هذا الوزن عرفا وتقليدا راسخا عند أهل هذه الطريقة .

ورغم وجود بابية وبكتاشية ممن صنفوا ديوان شعر على وزن العروض فإنهم قدموا أشعارا مكتوبة أكثر على وزن الهجا ،وفى مقابل هذا فقد اهتمت الزمرة المستنيرة بموسيقى المولوية وشعرها وسماعها، وكان هناك قرض للشعر على وزن العروض بالفارسية منذ عصر مولانا ، وقد قبلت المولوية التكنيك الفنى للأدب الديوانى لكونه بات عرفا وتقليدا ثابتا فى هذه الطريقة،ونعلم فى الوقت الراهن أن بين المولوية شاعرا يسمى"آدم دده"وهو أحد شيوخ تكية"قوله قابى" ، وله أشعار مدبجة على وزن الهجا(السفينة المولوية،ج٢ ،ص ٥٠).

وخلاصة القول أن هذه ليست مسألة قومية لم تكن موجودة أو أنها لم ترد على الذهن في تلك الحقبة من الزمان ، بل هى مسألة قضية ثقافة واعتماد على المقدرة والكفاءة ليس إلا.

هل يمكن أن يكون الأدب المولوى منفصماً عن الأدب الديوانى ؟

يعلم العالمون أن الأدب الديوانى لم يَدْعْ شخصية للشاعر وذلك بسبب مجازاته المقلدة وتراكيبه وألفاظه المصبوبة فى قوالب ،وإن تعبير ممن بلغوا شاوا عظيما فى مضمار الشعر وحازوا قصب السبق فيه يضطرون اضطرارا إلى الدخول فى لجة هذا الإطار الضيق ومن هذه النظرة أيمكن للأدب المولوى أن يكون قد انفصل من داخل الأدب الديوانى ،أم أنه أدب قائم مستقل قائم برأسه؟ ولسوف نجيب عن هذا السؤال بطريقتين اثنتين:

١ – إن المولوية يعدون من المؤسسين للأدب الديوانى أو بتعبير آخرأنهم اضطلعوا بدور عظيم فى تأسيس وتطوير الأدب الديوانى العثمانى.ظهر الشاعر "نفعى"(ت ١٦٣٥م) ومن بعده الشاعر"نديم"(ت ١٧٣٠م) والذى يعد من أساطين الأدب الديوانى العثمانى، وظهر كذلك كل من بهائى وجورى ووجدى وشيخ الإسلام يحى وفصيح أحمدده الذين كانوا ذوى طبيعة شاعرية متأصلة مفعمة بالمشاعر والأحاسيس، متحررة من الصنعة الفنية المتكلفة لمدرسة الشاعر"باقى" ، وظهر بين هؤلاء كذلك الشاعر"نائلى"(ت ١٦٣٥م) ، ولاجرم صنعته الفنية بلغت شأواً بعيد المدى ، ورغم أنه يدبج أشعاره بنغم مفعم بالخيال فى تعبيراته فإنه لم يتردد فى هوة التعقد والتكلف، ولم ينفصم قط عن السلامة والسهولة.وكان الشاعر"نشاطى دده "(ت ١٠٨٤هـ– ١٦٧٣ – ١٦٧٤) مولويا.وقد بلغ من المهارة الفنية الدرجة العليا مقارنة بالشعراء المعاصرين، وبعد مدرسة"نشاطى" و"نائلى" ، ظهر الشاعر"عُرفى"(ت ٩٩٨ هـ = ١٥٨٩ – ١٥٩٠)، والشاعر "فيضى هندى"(ت ١٠٠٣ – ١٥٩٤– ١٥٩٥م) ،كما ظهر كذلك الشاعر"شوكت بخارى"(ت ١١٧٠ هـ = ١٧٥٦ – ١٧٧٥) مؤسس كلاسيكتنا الحديثة فى إيران والذى ذهب إلى الهند حيث مهد السبيل لإبداع ضرب جديد من النظم فى الأدب الديوانى العثمانى يسمى"السبك الهندى" ليكون ممثلا للشعراء الذين يعيشون فى الهند ، وقد خلَف هذا الشاعر تأثيرا عظيما فى تنشئة الشاعر "شيخ غالب دده" (ت ١٧٩٩م)(٦). ومن ناحية أخرى ظهر الشاعر "نابى"(ت ١٧١٢م) ، وكان مولويا والذى سلم كثير من الشعراء بمقدرته الفائقة فى نظم الشعر وخلف تأثيرا بعيد المدى فى نشأة كل من الشاعرين راغب باشا وثابت" ، وقد أدخل الشاعر"نابى"الحكمة والفلسفة إلى الأدب الديوانى ما استطاع إلى ذلك سبيلا.وحسبنا إلقاء نظرة واحدة على تذاكر الشعراء عامة وتذكرة" أسرار دده"(٧) خاصة بغية الإحاطة علما إلى أى حد كانت هنالك كثرة من شعراء المولوية فى الأدب الديوانى.

٢ – كان المولوية هم السبب الرئيسى فى مزج هذا الأدب بالتصوف ،كما كان التصوف أحد العناصر الأساسية فى تكوين هذا الأدب الديوانى.وثمة رواية تفيد بوجود آصرة قوية وعلاقة وثقى لكل من يونس أمره وعاشق باشا بحاجى بايرام، ولاسبيل إلى إنكار مدى تأثير الشاعرين"شيخى وألوانى شيرازى"وغيرهما من

الشعراء المتصوفة على مدار الأحقاب والدهور بيد أن هذا التأثير كان شديد الضآلة، ويرجع هذا على وجود مؤسستين كبيرتين كانتا نواتى تأثير ثقافى جلى فى دولة آل عثمان منذ العصور المبكرةحتى الأحقاب المتأخرة ، وهاتان المؤسستان هما:المولوية، والعلوية البكتاشية .

فالمؤسسة الأولى ونعنى بها المولوية كانت من ناحية الموسيقى والأدب والذوق الفنى والصفاء الروحى ذات تأثير فى الزمرة المستنيرة بعد مولانا وبعد العصر السلجوقى وإذا كانت المولوية لم تفقد شخصيتها الشعبية فإنها ظلت رازحة تحت تأثير هذه المولوية الزمرة بسبب الوقف من ناحية وبعض حلفاء المولوية من ناحية أخرى، ثم بدأتأثيرها فى هذه الزمرة أما المؤسسة الثانية وهى العلوية البكتاشية فقد قلنا آنفا إنها كانت ذات تأثير فى الطبقة المتوسطة فى القرية والقروى رغم وجودها فى المدن .

وإذا كان نفعى وفصيح ونابى وشيخ غالب ليسوا جميعا من شعراء المولوية ، فمما لاريب فيه أنهم أصبحوا بعد حين شعراء مهرة فى الأدب الديوانى وتحدثوا فى مضمار التصوف بفضل تأثير الأدب الإيرانى فى الشعراء الإيرانيين ولكن حديثهم كان سطحياً مثل باقى، فهذه أبيات للشاعر نفعى على سبيل المثال لم يعتمد فيها على العرف المؤسس والتقليد الثابت، ويقول فيها:

رند خر شيارم خرابات محبتدر ديليم

عاشق هر جايم وحدت نشا نيدر سوزم

مثنوى آماكه هربيتى جهان ومعرفت

ذره سيله آفنابك برابر برتوى

عالم مانى كه خورشيد جهان آركيى

دور ايدر كيرمشن ساعة آنده روح مولوى.

يعنى سر الله أعظم حضرت مولايى روم

كيم اودر معنيده صاحب مسند خسروى

خسروى انديشه كيم عشق حسام الدين ايله

اولدى تيغ باطن دنيايه برهان قوى

والمعنى :

أنا عربيد سكير ذكى أريب وفؤادى هو حانة المحبة

عاشق لكل مكان وكلامى دليل على الوحدة

إنه المثنوى ،بيد أن كل بيت فيه هو عالم المعرفة

يضىء وهاجا مع كل ذرة شمس

هو عالم المعنى يشبه الشمس المزينة للدنيا

وروح المولوى تعود وتدخل فى لحظة إلى السماع

وهذا يعنى أن حضرة ملا الرومى هو سر الله الأعظم

من هذا؟ إنه فى هذا المعنى صاحب عرش كيهوسرو

ذو فكر مثل خسرو مقرون بعشق حسام الدين

وصار برهانا قويا لسيف باطن الدنيا

ونفعى فى هذه الأبيات مستلهم من مفهوم أشعار مولانا .لقد نشأ الأدب المولوى منفصما بصورة رائعة ممتازة من داخل لجة الأدب الديوانى حيث تميزت المولوية بآدابها وأعرافها وتقاليدها وخصائص وصفات تراكيبها واصطلاحاتها .وكان كل

شعراء المولوية هم أنفسهم شعراء الديوان الذين دبجوا النظم فى القصيدة والغزل وسائر مجالات الشعر الأخرى ،بيد أن بعض أشعارهم كانت مصطبغة بالصبغة المولوية الخالصة، ولا سيما شيخ غالب وأسرار دده حيث تتجلى هذه الخصوصية عند كليهما بصورة جميلة مستحسنة.

يقول شيخ غالب:

مـــعـــــلا دومــــانى أوليــــا در مـطبـخ مـــلا
دل وحـانـه اوجـا غى كـيـمـيـا در مطبـخ مـلا

جـــراغ بر ضـــيـــاسى ســر آتـش باز دن ياغـــشن
بوتون براونه كـانى عـشـقـه جـادر مـطبخ مـلا

آكـا روح ســوده در آتش برســتـــان مـحـبت هب
ســمـندر خـانـة مـهـر وفـــادر مطبـخ مـــلا

جكلـمـشـــدر ســمـــاط نعـمـت الوانى آفـــاقـه
خليـل عـشــقـــه كلزار صــفـــادر مطبخ مـــلا

ســمـــاع دست أفــشـان صـــانورسك نو نيـــازه نك
مطـار طائـران كـــبــسـر يـادر مطبخ مـــلا

يتــر فــقــر اهلـنه يوزلر قـــزه سى مـايه رحـــمت
مـــقـــام خـدمـت آل عــــبـــادر مـطبخ مـــلا

آلور اهـل ولايت قـــســمـــتـك برابر اودر كـــاهدن
كـــرامت كـــانى دركنز خـــدادر مطبخ مـــلا

نهـــايت ابتــدايه رُجـــعت اولمش ســـيــد القـــومـــه

باقـــيلـه زير خط اســـتـــوادر مـطبخ مـــلا

هوالا نمه صــاقـين آواره كــزمـه آشــيــانن كــيـراول

كــبــوتر خـــانه صــدق وصــفــا مطـبخ مــلا

كـيـرن مـشـتـا قدراول دودمـانه كـيـرماين مشـتـاق

مـثال كـعـبـه برحــيـرت فـضـادر مطبخ مـلا

تجــرد بيــشـــه دردا انديـشـــه لازمـــدر طلب كـــارى

عـــجب كـــرمـــآب عـــبـرت نمادر مـطبخ مـــلا

يارا شــمـــشــدر كــروه مـــولـويه طورا اســتـــغنا

قنـاعـــتـــدن يـا بلمـش بر بنـادر مطبـخ مـــلا

نفـس بند خــامـــوشى بى نـوايى اوززه مـــبــيندر

فنـا فى الـله درعـــيـــه بقـــا مطبخ مـــلا

تصـــــرفـــدن تعــــرفـــدن هزاران بـايه بـرتردر

بيلـور اهلانه ولا وإلا ملـتــجــادر مطبخ مـــلا

عـــبـــوديت عـــبـــادت صـــرف عـــبـــودتـدر ا منزل

ســــبـــهـــر بندكـى يه ارتقـــادر مطبخ مـــلا

والمعنى :

مطبخ المولـوى هو المـوقـــد الـســـامـى للأوليـــاء

وهو بمثـــابة شـــــيئ نادر لـلقـلب والـروح

امتـلأ مـصـبـاحـه بالنور واشـــتـعل من سـر آتش باز

ومطبخ المولوى هو مكـان لعشق كل الـفراشـات

وهو مـــحـــبـة وراحـــة وطمـــأنينة لكل عـــبـــاد النار

هو يشبـه السمندر[8] ،فهو محلـة المحبة والوفاء.

ومـدت فيـه سمــاط[9] النعـمة وصـعدت إلى الآفـاق

ومطبخ المولوى هو روضة الصـفاء والعشق الخليل[10]

حتى لتـحـسبن أن يد ممارس السـمـاع تنـثـر الأنغـام

ومطـبخ المولـوى هو مطـار طيـــور الكبـــرياء

وهو أس مال الرحمة لأهل الفقـر ،فكفاهم الخزى والعار

ومطبخ المولوى هـو مقـام الخـدمـة لأهل العـبـاء

ونـال أهل المـولـوية حـظـهم مـن هـذه التـكيـــــة

ومطبخ المولوى هو منجم الكرامـة وكنز الرحـمان

ورجع إلى نـهـــاية الـبـــداية وإلـى ســيــــد الأقـــوام

إذا نظرفــإن مطبخ المولوى تحت خط الاســتـواء

حذار أن تحرك الهواء عليه ولا تتجول هائما على وجهك واستمسك

بهذا العش فمطبخ المولوى هو حمامـة ومحلة الصدق والصفاء.

فالراغب فى الشىء يتوجب عليه التـجرد وتجشم الصعاب

حقا! إن مطبخ المولوى هو حمام ساخن ومثال للعبرة

والتـــــخـلق بـالقـناعــــة يـليـق بزمـــــرة المولويـة

ومطبـخ المولوى هو بـناء مـشـيــد من القنـاعــة

مــــبنـى دون صــــوت ســـاكن يـغلـل الأنفـــاس

ومطبـخ المولوى هو فنـاء فى الله وعـيـن البـقــاء

هو أســـمى من ألـف نصـيب من الـعلم والتـــدبيـــر

ومطبخ المـولوى هو مـلاذ سـامق لأهل العــرفـان.

والعـــبـودية والعـبــادة هى تعـبــد حق فى هـذا المكان

مطبـخ المولوى هو ارتـقــاء لســمــاء العـــبــودية

ولأجل فـهم أشـعـار غـالب دده لايكفى مـعرفـة العناصـر الأسـاسـيـة للتـصـوف مـثل: الفـقـر - آل عـبا - الولاية، رجـوع النهـاية إلى البـداية - الفنـاء - البـقـاء، ولكن يتوجب معرفة آداب المطبخ وصومعة التعبد وصوماط آتش باز والاستواء والسماع ونو نياز وخاموش وطريقة تشييد المطبخ وينطبق هذا على شعر أسرار دده المعنون باسم "نشيدة مولويانه" أى نشيد المولوية. أما شعراء المولوية من الأبيقوريين فإنهم بصفة عامة يظهرون هذه الخصوصية فى أشعارهم المتصفة بالعشق والتى تظهر أحيانا فى الهيئة والشكل وهذا الترجيع بند للشاعر غالب دده أحد هذه الأشعار:

أى روح بـاكـنـده عـــــــــيـــــــــان نـور ذات

ســـينه سـى آينيــــه وجـــهـــــه صــفـــــات

بـــرتـو جـــــــــــســنـدكـنـده نمـايـان تمـام

ســــرخــــدا مـــــا حـــــصـل كـــائنـات

سن اوريـجف وقـت ســـمــــاع ايـجــــره جـــرخ

ســمــعـله براونـه اولور شـــشـن جـــهـــات

شـــــوق ايلـه جـــــان تـازه لـنـور بن ديسـم
نطق صـــفـــا بحـــيـــشنه روح الحـــيـــات
بـرتـو أنـوار جـــــــمـــــــالـك سنـك
عـــشق ايـلـه ويـردى دو جــــهـــــانه بـنات
دولـدى تجـلـى خـــــــدادن ســـــوا
شـــمس مــحـــبـــتـــايديجك التـــفـــات
يانـــدى او آتـشـــــــه دل جـــــــانمر
ايتـدى جـمـــالك ولى كـشـف صـمـــات
آه مـــن الــعـــــــــــــشـق وآهـــاتـــه
احـــــــرق قـلـبـى بحـــــــرارتـه
كـــورقـكه اســيـــر سك اكـر مـــحـــشـــرى
جـــرخـــده ســيـــر ايلـه اومـــه - بيـكرى
عـــــشق ايله غـليـطده اولـوب مـــهـــروش
صـــــالمـه ده عـــــالمره نـور وفـــــرى
ايتـــــمـــــه ده نـه قـــبـــــه يى انوار ه غـــرق
دبـدوز ايـدوب بـاهـز وخـــــــــــورى
قـــوى صـــفـــــات باى رو اولوب ســن نحـنى
دومش يـوله فـــرق ايـله مـــه باوســـرى
دف وجـــلا جـــيـله ســــمـــــاع ليت هـمـــان
آلـه قـــــولـه بـو فـلـك جـنـبـــــــــر

طوتمه قولاق دورينمه أحكامكه

سرسريدر سرسريدر سرسرى

بن هله غيب ايله مشم كندومى

آتش سواديه دوشه لدن برى

آه من العشق وآهاته

أحرق قلبى بحرارته

عشقه نه سرونه سرور كرك

باشكله بوير وقلره افسر كرك

دوز فلكدن نه اوله براونه يه

شمع طواف ايتمكه بر بر كرك

ياغمه سى حاخر يولى معلوم آنكك

حجكه نه زاد ونه هبر كرك

بوسوزى أماكه قولاى صاغمه سن

عشق كبى سينه ده جوهر كرك

فوت باز وبو قابوده طورر

رستم ايشى آكلامه حيدر كرك

ترك هو ايتمه سى آسان دكل

عون خذا فيض بيغمر كرك

باشكه غوغايى قيامت قوبوب

سينه ده بر مهر منور كرك.

آه مـن الـعـشـق وآهـاتـه

أحـرق قـلـبـى بحـرارتـه

عـشـق كـلـوب ملـك دلـه اولـدى شـاه

دردوغم ومـحنت قـيلدى سـبـاه

ابتـدى او ويـرانه يـى مـعـموره زار

لـشكـر اندوهـه قـيلوب جلوه كـاه

مـشـعـله لـر ياندى درون ويـرون

نـور تجلى طـولـوب اول خـانقـاه

عـرصـه مـحـشـر كـى اولدى عـيـان

كـوشـه باكـوشـه ينجـه بيك داد حـالى

سـور مى مـا نم مى بيلمـيـز يقـين

نـاى وقـود دمـلـه كـلـور آه آه

حـيـرت الوب عـقلمـى اولدم خـامـوش

دهـشـتم ادراك ايـدرم كـاه كـاه

صـبـر وسكون كـيـتـرى اليـمـدن تمام

ز آكـلامـه دم مـجـسم مـيـدر آتش ميـدر.

يافـيـشكـى سـويله يـه مم آه آه من العـشق وآهاته

أحـرق قـلـبـى بحـراراتـه.

(الديوان - القـصـائد والتـرجـيـعـات ،ص ٥٨ - ٦١)

والمعنى :

تتجلى نور الذات فى روحك الطاهرة

وصدره مرآة الصفات

ظاهرة بجلاء فى حسنك الوضاء

وسر الله نجم عنه الكائنات

وعندما تدخل السماء فى دائرة الفلك الدوار

تكون الجهات الست فراشة حول شمعك

وإذا قلت إن الروح تتجدد بالأشواق

فإن روح الحياة تنطق بالصفاء

إن جمالك هو شعاع الأنوار

ومنح بالعشق الدنيا والآخرة الثبات

ولم يملأها سوى تجلى الإله

وهو يلتفت إلى شمس المحبة

واحترق بهذه النار روحنا وفؤادنا

وجمالك كان صاحب كشف الصوماط(١١)

آه من العشق وآهاته

أحرق قلبى بحرارته

إذا أردت رؤية المحشر

فشاهد صورة هذا القمر فى الفلك الدوار

فهو كالشمس يدور بالعشق فى هذا الفلك

هو نور وضياء ألقى النور على الأكوان

وغرقت القباب التسع فى لجة الأنوار

واستوت الشمس جهة المغرب

وأصبحت قائد المحلة التى أتت فيها

فانطلق إلى الطريق دون أن تفرق بين الرأس والقدم

واعقد السماع من فورك بالدف والجلاجل

ولا تأخذ فى ذراعك طوق الفلك الدوار

ولا تلق السمع إلى تصاريف الأقدار

ولا تكن ضالا شريدا هائما على وجهك

وأنا الآن قد غبت عن ذاتى ونفسى

منذ تخيلت نار هذالعشق

آه من العشق وآهاته

أحرق قلبى بحرارته

ليس للعاشق قائد أو زعيم

وليس له تاج فوق رأسه أو آمر أو سلطان

وإذا حدث للفراشة من الفلك الدوار

يلزمها جناح حتى تطوف حول الشموع

فطريق احتراقها مهيأ معلوم

ولا حاجة لها من أجل الحج إلى الزاد والدليل

ولا تحسبن أن هذا القول سهل ميسور
إذ يجب أن يكون العشق فى القلب كالجوهر
وقوة الساعد تقف على هذا الباب
وألا يفهم ما فعله رستم أو الإمام على
إن ترك العشق ليس بالأمر اليسير
ويتوجب أن يكون عون من الله وفيض من الرسول
لقد قامت القيامة بهولها فوق رأسك
ويتوجب أن يكون فى الصدر شمس منيرة وضاءة.
آه من العشق وآهاته
أحرق قلبى بحرارته
أقبل العشق وأصبح على ملك الفؤاد سلطانا
وبات جيشا جلب معه الألم والحزن والمحن
وعمر الأرض الخربة أصبحت عمرانا
وأصبح لجيش الهم محل التجلى والظهور
وأشعل المصابيح فى الظاهر والباطن على السواء
ملأ نورالتجلى هذه التكية
وظهرت بجلاء وكأنها ساحة المحشر
وعم العدل والإنصاف فى كل صوب وحدب
لايعلم أهو عُرس أو مناحة على وجه اليقين
فالآهات تبعث بالناى والطبلة

فالتزمت الصمت وأصابتني الدهشة والذهول

وتارة يصيبني الخوف والارتباك

ولقد نفد صبري وذهب عني الهدوء والسكينة

ولم أفهم كنه ذاتي ولم أعرف الدليل والبرهان

أهو نور مجسم أم هو نار

لا قبل لي بالتفوه إنه شئ حسن جميل

هذا ورغم أن الترجيع بند من أجمل المقطوعات الغزلية للأدب الديواني فهو يعد شعرا مولويا خالصا بحسه وشعوره ورؤيته ومصطلحاته وقد جاء على نفس الشاكلة مسدس متكرر ببند كتبه أسرار دده الذي يعد نموذجا متقنا بارعا للأدب الديواني ،يقول أسرار دده :

عجب مى بخت سياهم ايجون أه وأه ايدرم

آنك شكا يتنى ياره ضاد-خاه ايدرم

هجوم حسرتى كور بن سكا نكاه ايدرم

كهى غريق كهى شناه ايدرم

كورن صانوركه صفادان سماع راه ايدهرم

دونر دونر باقه رم كوى ياره آه ايدرم

(الديوان: ص ٢٩).

والمعنى :

أحقا أنني أتأوه بزفرة الألم لحظي المنكود

وأبث شكوى حظي للمحبوب بالضاد والخاء؟

فانظر هجمة الحسرة التى أصابتنى فأنا أنظر إليك

تارة أكون غريقا وأسبح تارة أخرى

والناظر يظن أنى أسلك طريق السماع من الصفاء

وأنظر وألف وأدور متأوها لمحلة المحبوب

ولاجرم أن كثيرا من شعر الشيخ عبد الباقى آخر شيوخ التكية المولوية فى "ينى قابى" قد قدم للأدب المولوى نماذج لأبيات من الشعر تجعله أستاذاً للشعر الديوانى بعد"ينى شهرلى عونى" ، ومن ثم أصبح شاعر الأدب المولوى غير مدافع،وهذا مثال من شعره :

آه وآفغان حزينم ناى درسينم قدوم

اولدى جسمم سرتر بر در كاه ملايى روم

اولو رمى محروم سماع دركاه خونكار

دم ملاده جسمم برطرب بر خانقا همدر

جواسم عقل ورحم سالكان بى مثاليمدر

كيمى برنو نياز يمدر كيمى برمر درا همدر

نه وار قيل سم تجرد شكل سر يدن بن أى بقى

باشمده شعلة أهم حقايق بزكلاهمدر

والمعنى :

أنا أتأوه حزينا فالناى والطبلة هى صدرى

وبات جسمى برمته صومعة عبادة لمولوية الروم

هل أصبح القلب محروما من سماع تكية السلطان

ولحظة للمولوى جعلت جسمى صومعة تعبد مفعمة بالطرب

وأنا من السالكين وعقل روحى ليس له نظير

تارة أكون مريدا وتارة أكون سالك الطريق

ماذا لو تجردت يا باقى من هذا الشكل الصورى

وقلنسوتى فى رأسى هى الشعلة الحقيقية لآهاتى

ويتبين من هذا أن شعراء المولوية كانوا أكابر الشعراء وأعظمهم فى الأدب الديوانى ،وكانت أشعارهم تتدرج داخل إطار الوصف الفنى والجمال المفعم بالمشاعر والأحاسيس ، ورغم أن بعض أشعارهم لم تخرج عن هذا الإطار فإنها برمتها أشعار مولوية ،و لا سبيل إلى فهم هذه الأشعار واستكناهها دون الإحاطة علما بالخصائص والسمات التى تخص العقيدة المولوية وطقوسها وشعائرها ، ومن هذه النظرية يتوجب وجود أدب مولوى يعيش داخل الأدب الديوانى ،وإذا مُحصت هذه الأشعار وتم بحثها وإمعان النظر فيها وطبعت مشفوعة بشرح يجليها فإن هذا سيكون ولا ريب بمثابة خدمة جليلة تقدم إلى عالم العلم والمعرفة.ولسوف نتمم هذا البحث بهذا الشعر الذى دبجه شيخ غالب فى حق المولوية :

بوشـوب برتو صالوب آه صبح كـاهيلر

آجيلدى نور جشم روش اولدى هب سياهيلر

هلال وبدر اولوب دريايى استغراقه ماهيلر

تجلى قيلدى بردن اعتذار كاه كاهيلر

كوزم دوش اولدى كوردم بركر وهى بك كلاهيلر

عجب هيبت شوكت عجب طرر الهيلر

اشــــارت دقــايقى عـــالم اقـــوالدن بيـــرون
مــقــامـات غــريبى فكر اهل حــالدن بيــرون
كــوزم دوش اولدى كوردم بركــر وهى هب كــلا هيلر
عــجب هيبت عــجب شــوكـت طرز الهــيلر
كــيــمى مـست مــهـابت خــانة خـمــارادن كلمش
كــيـمى مـدهوش حيـرت شعـلة ديدارن كلمش.
كـــيمى خــورشــيـد بكـزر عــالم انـوار دن كلمش
كـــيـــمى وارمش ديار وحـــدته تكرار دن كــلمش
كــوزم دوش اولدى كوردم بركــر وهى هب كــلا هيلر
عــجب هيبت عـــجب شــوكــت طرز الهـــيلر
كـــلام صـــمـــتى دريا لركـى بر جــوش ســويلرلر
مــحــبت راضنى بـربرينه خـــامـوش ســويلر لر
به هر دم خـوش دردم ســرينى بى خـوش ســويلرلر
رمــوز عــشـقى جـمله بى زبان وكـوش سـويلرلر
كــوزم دوش اولدى كــوردم بركــر وهى هب كــلاهيلر
عجب هـيبت عجب شـوكـت عجب طرز الهـيلر
ظرافـت سكينـه افــراغ ايـدوب كـــشف كـــرامـــتى
تر اللايــه جنكار مـــشلر ولايــت مـــقـــامـــاتى
كـــتـــر مـــشلر حـــريم زهده وير مـــشلــر خــراباتى
لبـاس فــقـرا يجنده كـيـر لمشـر وجـد حـالتى

كـوزم دوش اولدى كـوردم بركـر هـى هب كـلاهيلر

عجب هـيبت عجب شـوكت عجب طرز الهـيلر

ملـكلـر رشك ايـدر بر طـور وآداب ورســـــومى وار

ملكلـر مـالك اولـمز دف ونى طبل وقــدومى وار

سـمــاع مـيـدانك هم مــهر ومه جـرخ ونجـوم وار

خـصــوصه ايجلر نده ذات مــولانايى رومى وار

كـوزم دوش اولدى كوردم بركـر وهى هب كـلاهيلر

عجب هيبت عجب شوكت عـجب طرز الاهيلر

وجـــود مطـلق اوزره دورايدرلر عـــين وحـــد نده

قـامو خـورشيـد وشن تنهـا كـزر كشرنده خلوتده

مـــدار بايـى ســـيـــر نقطـة غـــيب هـويتـــده

وصـــال صـــرف بولشلمـــر بد يتـده نهـــايتـــده

كـــوزم دوش اولــدى كــوردم وهى هـب كــلاهيـلر

عجب هيبت عجب شوكت عـجب طرز الاهيلر

شـــــه ملك قـناعـت هربرى عـنقــــاهمـــــا يزدر

وجـودى بونه اكسـيـره قـويدق كـيمـــايزدر

زر مـــحـبـــوبى عـــشـقــز سكه فـراوربى رجـــايزدر

جـمـــيـعـــا حـضـرت مـــلايه آكلر خـــاك بايزدر

كـــوزم دوش اولدى كــــوردم وهى هب كــــلاهيـلر

عجب هيبت عجب شوكت عـجب طرز الاهيلر

جو اولدم جان ودلدن مظهر عشق اولمغه طالب
دوشوب بر آتشه سيرايله دم هرسو وهر جانب
كوزم دوش اولدى كوردم بركر وهى هب كلاهيلر
عجب هيبت عجب شوكت عجب طرز الاهيلر

والمعنى :

ألقى الليل نورا على حين غرة على آهات مطلع الصباح
وتفتح نور عينى وأضاء كل الظلمات
وأصبح الهلال والبدر أقمارا فى بحر النشوة والانجذاب
وتجلى فجأة بعد اعتذار
ورأت عينى فى المنام أفواجا محتشدة من القلانس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
إنها إشارات دقيقة خارجة من عالم الأقوال
ومقامات غريبة منبعثة من فكر أهل الحال
مقرونة بالأئمة منبعثة من الأبدال بغوث الأقطاب
وخلاصة القول أنها صادرة من الحال والقال فى الآخرة
ورأت عينى أفواجا محتشدة من القلانس
يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات
وسكر المحبة يأتى أحيانا من حانة الخمار
وتأتى الدهشة المحيرة من بريق العيون

ويشبه الشمس أحيانا آتيا من عالم الأنوار

ويأتى ثانية ليصل إلى ديار الوحدة

ورأت عينى فى المنام أفواجا من القلانس

يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات

إنهم يتفوهون بالجيشان و كأنه كلام صمت البحار

يتفوهون بسر المحبة وهم صامتون .

يتفوهون مغشيا عليهم ويفصحون عن مكنون الأسرار

ويتكلمون بكل رموز العشق دون أذن ولسان

ورأت عينى فى المنام أفواجا من القلانس

يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات

ويفرغون إظهار الكرامات فى قالب الظرف والرقة

ويصعدون مقام الولاية فى السماوات

ويأتون بالحانة ويقدمونها لمقام الزهد والعبادة

ويدارون الوجد والحال فى لباس الفقر

ورأت عينى إفواجا محتشدة من القلانس

يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهيات

تحسدهم الملائكة على سلوك الآداب والشعائر

فالملائكة لا يملكون الدف والناى والطبلة

ولميدان السماع شمس وقمر وفلك ونجوم

ولا سيما أن مولانا الرومى موجود بين هؤلاء

ورأت عـينى فى المنام أفواجـا مـحتـشدة من القـلانس

يالهـا من هيـبة وعظمـة وضـروب من الإلهيـات

ويدورون فـى فلـك الوحـــدة والوجـــود المطـلق

يطوفـون فى الخلوة والكثـرة وحيـدين كالشـمس

ومـدار قـدم السـيـر فى نـقطة غـيب الهـوية

ويجـدون الوصـال المحض فى البـداية والـنهـاية

ورأت عـينى فى المنام أفواجـا مـحتـشدة من القـلانس

يالهـا من هيـبة وعظمـة وضـروب من الإلهيـات

يقـول سلطان مـلك القناعـة إننا طيـور العنـقـاء

ونحن كيمـياء وضعنا الوجود فى بوتقة الإكـسير

ذهب المحـبـوب نورنا ،ولا نـريد إلا قـلانسـنا

ويعلمون أننا تراب القدم لمساجـد حضرت مولانا

ورأت عـينى فى المنام أفواجـا مـحتـشدة من القـلانس

يالهـا من هيبـة وعظمـة وضروب من الإلهـيات

وأصـبـحت طـالبـا لمظهـر العـشـق من الروح والفـؤاد

وهويت فى النار وشاهـدته فى كل طرف وجانب

ورأت عـينى فى المنام أفواجـا مـحتـشبدة من القـلانس

يالها من هيبة وعظمة وضروب من الإلهـيات(١٢)

الهوامش

(١) انظر الديوان الكبير ومقدمات ترجمتنا للمثنوى .

(٢) انظر مولانا جلال الدين- الطبعة الثالثة، ص ٢٤٩ - ٢٥٣ .

(٣) لمعرفة الألفاظ المغولية التى دخلت الفارسية.انظر:"آقايى محمد تقى بهار ملك الشعراء"سبك شناسى:ج٢،تهران ، ص ٩٧ - ١٠٠، ولكن ملك الشعراء اقتبس الكلمات المجردة.

(٤) اضطلعنا لأول مرة بجمع أشعار عاشق باشا التى لم تدخل فى إطار غريبنامه ونشرناها فى مجلة التركيات(ج٥، سنة ١٩٣٥،ص ٨٧ - ١٠٠)وعثرنا بعد ذلك على طائفة من الأشعار المكتوبة على وزن الهجا .

(٥) هو ابن واحد يسمى عبد الرحمن وابن أخ الخطاط المسمى"شيرين قلم شمس الدين ثانى، "وولد"ميرزا محمد على صائب"سنة ١٦٠٣ م فى قرية "عباس أباد"المجاورة لتبريز أو أصفهان،وهو واحد من أهم الشعراء ذوى التأثير الجلى فى الأدب التركى الديوانى.وقد فتح الملك عباس مدينة تبريز واستولى عليها من آل عثمان سنة ١٦٠٧ م واستقر به المقام فى مقاطعة فارسية فى جزء يقع بين الأرمن وأهل ارزينجان،وكانت عائلة صائب تقع بين هؤلاء وهؤلاء،وذهب فى شبابه لأداء فريضة الحج،وعند عودته مكث مدة من الزمان فى المدن العثمانية وذهب أيضا إلى هراة وكابول ولاهور،وأقام حينا من الزمن فى كشمير، ثم عاد إلى إيران سنة ١٦٣٢ م ، حيث استقر به المقام فى مدن أصفهان وقُم وقزوين وأردبيل وظل فى كنف الملك عباس الثانى حتى وفاته، ولقب بملك الشعراء ، ثم جاء إل قونية سنة ١٦٦٦ م وزار مولانا ومكث مدة فى التكية حيث مُنح خلافة الطريقة المولوية ، ولما قدم إلى قونية لم يحمل ديوان معه،ولما سئل عن السبب قال إنه من العيب أن تأتى إلى البحر بقطرة، بيد أن ذهنى دده (ت١٧١٥ - ١٧١٦م) الذى ذهب إلى تبريز أخيرا جلب معه ديوان صائب إلى الأناضول، وكان هذا سببا فى ذيوع صيت صائب الذى أسس زاوية مولوية فى تبريز ودفن فيها عند موته سنة ١٦٦٩ م ، وثمة رواية تفيد بأنه أحد سلالة شمس تبريزى وأنه شيد زاوية مولوية فى أصفهان،ومن المرجع أن تكون هذه رواية مختلقة من المولوية"زاكية صادقى:الغزليات التركية لصائب تبريزى، رسالة تخرج ١٩٤٧- ١٩٤٨م ،مكتبة جامعة استانبول ، رقم ١٥٥".

(٦) للاطلاع على السيرة الذاتية للشيخ غالب وشاعريته، انظر فى هذا مقالتنا المعنونة باسم"الشيخ غالب دده"المنشورة فى دائرة المعارف الشهرية (ج٥- عدد٥٠- يونيو ١٩٤٨، ص ١٤٤٠ - ١٤٤٥)، وانظر كذلك مقدمة"حُسن وعشق"التى نشرتها دار طباعة ونشر"الكتب الذهبية" فى سنة ١٩٦٨م باستانبول ،ص ٧ - ٤٦ .

(٧) نحن مضطرون فى هذا الصدد إلى تسجيل ما اضطلع به أسرار دده من توضيح حمية المولوية وحماسها.انظر فى هذا:مادة:تذكرة شعراء المولوية" فى مدخل كتابنا هذا.

(٨) اسم دابة لا تتأثر بالنار . (المترجم)

(٩) السماط أو السوماط : مائدة ذات أرجل مخصوصة بطعام المولوية . (المترجم)

(١٠) إبراهيم عليه السلام . (المترجم)

(١١) هى مائدة المولوية . (المترجم)

(١٢) هذا البيت نظيرة متكررة لمسدس للشاعر "محْرمى" ،الموجود فى نماذج شعر المولوية .

الفصل الثانى

موسيقى المولوية

موسيقى المولوية – الطقوس والشعائر–المقطوعات التى لا وجود لها فى نعوت مولانا مقرونة بالطقوس والشعائر المولوية – اللغة التركية فى الطقوس والشعائر ملاحظات "خليل ديكمن Halil Dikmen المتعلقة بالموسيقى المولوية.

موسيقى المولوية :

رأينا فيما سبق كيف كان مولانا وسلطان ولد كلاهما يضطلعان بعزف الرباب ، كما كان لأولو عارف جلبى علاقة وثقى بالموسيقى(١). إن الموسيقى أساس ركين فى السماع لاينفصم عنه ألبتة، ومن ثم فإنها كانت من العناصر الأساسية للمولوية منذ عصر مولانا ، ولاسيما أن القيثارة كانت تعزف إبان السماع فى عصر مولانا ، وعليه فقد كانت القيثارة فى العادة هى الآلة الموسيقية المقدسة عند المولوية ، ورغم هذا كان الناى موجودا ، حتى أنه كان لمولانا عازف ناى يدعى"حمزة"،وهو الذى خلع عليه المولوية لقب"قطب الناى"، ثم صار هذا اللقب يطلق بعد ذلك على أشهر أساتذة فى الناى فى كل حقبة وزمان .

وبعد أن اتخذ الذكر المولوى آخر شكل له، دخلت إلى الطرب مع مرور الوقت آلات موسيقية أخرى كالعود والكمان والطنبور والكمان الصغير والمزمار، حتى البيانو والفيلونسيل viylonsel، أما أول بيانو جاء إلى استانبول فهو ذلك الذى كان يعزف فى

التكية المولوية في "قوله قابيسي" ،وهو معروض اليوم في مدرسة"غازان فن أغا" الكائنة في متحف بلدية المدينة ، وقد جرت العادة على أن يكون البيانو والفيلونسيل مجرد زخرف أو زينة ،أو من قبيل الشكل والموضة ، أما الآلات الموسيقية الأخرى كالناي والطبلة على الخصوص فكانت بمثابة إنتاج محلي للمطرب ،كما كان الناي يشترك مع الأنغام طوال إنشاد الذكر ،أما الطبلة فكانت تتبع النغم الموسيقي ولا تند عنه ألبتة .

لم يكن للذكر وجود في عصر مولانا وسلطان ولد وأولو عارف والشلبية الأولين ، ومن ثم لم تكن هناك ألحان خاصة مهيأة جاهزة بغية التغني والتفوه بها في أثناء السماع ،وكانت هنالك طائفة من المتصوفة في معية المغنيين ،ونعني بهم"القوال- المتكلم"، وهذا يعني أن عازفي العود على كل حال ينشدون الأشعار الصوفية المصطبغة بالعشق كيفما اتفق ،بيد أن ألحان هؤلاء المغنيين كانت مجهولة اللحن مثلها في ذلك مثل ألحان الشعراء الشعبيين في تلك الحقبة من الزمان.أما بعد مولانا فكان لهم وجود مطلق في مجالس السماع المولوية ، ومن المرجح أنه كان هنالك تفوه بأشعار مولانا في تلك المجالس. وبعد أن اتخذ السماع شكل الذكر بدأت موسيقى المولوية في التأسيس والتقعيد بكل خصائصها وخلالها ،وانقسمت إلى أربعة ضروب من النغم الموسيقي ،أما مقدمات الموسيقى فهي مطابقة لنغم موسيقي خاص ،كما أن النوتة الموسيقية لهذه الأنغام مختارة من قبل مولانا وأولو عارف جلبي ، وتستهل بمقدمة موسيقية من أجل"دور ولدى" وهي أناشيد تلحن لتشكل نغما تاما في إطار موسيقي من أولها حتى آخرها، ويسميها المولوية"آيين"أي اللحن الموسيقي .

المقامات واللحن الموسيقي :

توجد ضروب ثلاثة من المقامات الموسيقية عند المولوية حتى القرن السابع عشر الميلادي ،ويتم التلحين من هذه المقامات بحسب أصولها وقواعدها ، ويسمى المقام الأول: دور روان – Devri-revan، والثاني والثالث "دور روان هندي" – Devri revan Hindi، ولهذه المقامات أسماء أخرى هي:

الحسيني ، ديجاه Digah،بنججا pancgah . وثمة طائفة كبيرة ممن تعى هذه الموسيقى وتدرك كنهها ، وفى الحق فإنه لا يعرف أثر موسيقى واحد متفرد متميز لموسيقى هذه الضروب الثلاثة من المقامات الموسيقية ، ولهذا السبب فقد شاعت بعض الشوائع بين ظهرانى المولوية تقول إن مولانا وسلطان ولد كليهما قد اضطلع أحدهما أو كلاهما بتلحين بعض هذه الألحان ، بيد أن هذه المقامات كانت ملحنة وفق الذكر ، وترجع جميعها إلى القرن السادس عشر الميلادى . وتفيد إشاعة راجت بين المولوية تقول إن"كوجك مصطفى دده الذى كان شيخا على تكية "ديوانه محمد جلبى " فى قره حصار ، والمتوفى فى سنة ١١٠٠ هـ = ١٦٨٨ - ١٦٨٩ م ، والمدفون فى قاعة السماع قد اضطلع في القرن السابع عشر الميلادى بوضع لحن موسيقى من مقام البياتى وفق أصول وقواعد "دور روان" Devri-revan وتم تلحين هذا اللحن بعد الألحان الثلاثة الأولى، وقد اقتبست المقطوعة الثالثة الموجودة فى هذا اللحن من نفس الأبيات التى أنشدها "أفلاكى" ، وعلى هذا فإن ماهو موجود فى المقطوعة الموسيقية الثالثة قد بات عرفا وتقليدا مقتبسا من أبيات "أفلاكى". وورد فى كتاب "أطرب الآثار""لأسعد أفندى" ذكر لموسيقى آخر يدعى"كوجك مصطفى دده" وكان ملحنا وشيخا على تكية أدرنة (ت ١٦٨٣ - ١٦٨٤م) .أما "سعد الدين نزهت أرجون "فله مقالة بعنوان"مقتطفات من الموسيقى التركية"، ويؤكد فيها أن مقام البياتى راجع إلى هذه الموسيقى المسمى"كوجك مصطفى دده"(نشريات كلية الآداب-جامعة استانبول -ج١ ، استانبول ١٩٤٢م، ص ٤١ - ٤٣) .ونحسب أن هذه مشكلة هينة يسيرة تعجل برفض ما ورد عند أسعد أفندى معتمدا على هذا الاسم معولا عليه.وقد اضطلع الملحن المعروف "عطرى"(ت ١٧١٢هـ) بلحن موسيقى فى القرن الثامن عشر الميلادى من مقام"صاجاه"" Segah" ، وهو لحن مطابق لأصول وقواعد "دور روان " ، وهناك طائفة أخرى من الملحنين والموسيقيين غير"عطرى" ممن ظهروا فى القرن الثامن عشر الميلادى ، وهاهى ذى أسماؤهم ، وأسماء المقامات التى لحنوا فيها :

١ - نايي عثمان دده (ت ١٧٢٩ م) وهو شيخ تكية"قوله قابيسى" ولحن من مقامى جهار جاه والحجاز .

٢ – حسين دده الأيوبى (توفى بعد عام ١٧٣٥م) ، ولحن من مقامى الرصد والعشاق.

٣ – بورصه لى صادق (ت ١٧٨٠– ١٧٩٠م) ولحن من مقام بسنى كار جاه .

٤ – مصاحب أحمد آغا(ت ١٧٩٤م) ،ولحن من مقامات :الحجاز والنهاوند والصبا .

٥ – الشيخ حافظ عبد الرحيم شيدا دده : شيخ التكية المولوية فى أسكودار (ت ١٧٩٩م) ولحن من مقامات:حجازيْن – عراقى– نُخفت – أصفهان.

أما فى القرن التاسع عشر الميلادى فإن ملحنى الألحان المولوية كانوا أكثر من هذا ، ومن ثم فقد توجب زيادة الألحان الموسيقية بسبب ميل كل من السلطانين سليم الثالث ومحمد الثانى للطبقة العالية من المولوية .وهاهم أولاء الموسيقيون الذين ذاع صيتهم فى العصر والمقامات التى لحنوا فيها:

١ – ناصر عبد الباقى دده:شيخ التكية المولوية فى ينى قابى(ت ١٨٠٤م) ، ولحن من مقام" شوق طرب"

٢ – سليم الثالث(ت ١٨٠٨) ولحن من مقام"سوز دلارا".

٣ – الشيخ ناصر عبد الباقى دده(ت ١٨٢١م) شيخ التكية المولوية فى"ينى قابى" ، ولحن من مقامى "عجم بوشه لك وأصفهان".

٤ – الشيخ كنهى عبد الرحيم دده: شيخ التكية المولوية فى "ينى قابى" (ت ١٣٨١م) ، ولحن من مقامى "حجاز وتحفت"

٥ – حمامى إسماعيل دده(ت ١٨٤٦م) ، ولحن من مقامات :بستين كار–فرخ فزا– هزام ، أصفهان – نوا– صبا – صبابوسه لك.

٦ – مصطفى نقشى دده: شيخ التكية المولوية فى مصر(ت ١٨٥٣م) ن ولحن من مقام "شد عربا" .

٧ – حاجى هاشم بك (ت ١٨٦٨م) ، ولحن من مقامى: سوزناك – شاهناز.

٨ – شيخ أحمد عارف حكمتى دده:شيخ تكية "قوله قابيسى" (ت ١٨٧٤م) ، ولحن من مقام :ماهور.

٩ – زكى دده (ت ١٨٩٧ م): ولحن من مقامكات : أصفهان – مايه – صباز مزمه– سوزدل – سوزناك.

١٠ – أحمد حسام الدين دده (ت ١٩٠٠) ، ولحن من مقام راحة الأرواح.

١١ – جلال الدين دده: شيخ تكية "ينى قابى" (ت ١٩٠٨) ، ولحن من مقام دوكاه.

١٢– بول آهنك نورى بك (ت ١٩١٠م) ، ولحن من مقامى : قادرجه غار–بوسه لك.

١٣ – حسين فخر الدين دده: شيخ التكية المولوية فى بهارية(ت ١٩١١ م) ، ولحن من مقام: عجم أشيران.

١٤ – حاجى فائق بك (ت ١٩١١م) ، ولحن من مقام سيكاه.

١٥ – مؤذن باشى رفعت (ت ١٨٨٨م)، ولحن من مقامى :فرحناك–نواسر.

١٦ – مانيسه لى مصطفى جازم دده(ت؟) ، ولحن من مقام :حجاز كار.

١٧ – على عشقى (ت ١٨٩٢م) ، ولحن من مقام حسينى أشيران.

١٨ – عصمت آغا (ت:عصر عبد العزيز) : ولحن من مقام أصفهان.

١٩ – يحيى أفندى ذاكر باشيسى(ت؟)، ولحن من مقام أصفهان.

٢٠ – قدم زن حافظ على دده(ت؟) ، ولحن من مقام نخفت .

٢١ – سلا نيكلى درويش نجيب(ت؟) ، ولحن من مقام :سوزناك.

٢٢ – طنبورى كمال(ت؟) ، لحن من مقام سيكاه.

٢٣ – موصوللى حافظ عثمان (ت بعد عام ١٩١٧م) ولحن من مقام الحسينى .

هذا وقد اضطلع ناصر عبد الباقى دده بالتلحين من مقام شوق طرب ، وأهدى هذا اللحن إلى "حمامى إسماعيل دده" ، ونشر باسمه ، بيد أن هناك على كل حال تصرفات لناصر دده موجودة فى هذا اللحن.

وإذا كان "سعد الدين نزهت أرجون" سجل مقالته السالفة الذكر أن مقام "دوكاه" يخص حاجى فائق بك دون غيره من الألحان الأخرى(منتخبات من الموسيقى التركية-ج٢، ص ٥٣٨ - ٥٦٢) ، فإنه قد ورد أن هذا المقام ليس لفائق بك ، وهذا ما نشر فى مجلة "اللحن الموسيقى " ، وهى مجلة ذات قيمة علمية ومدونة تحت رقم ١٣٨١ ضمن نشريات جامعة استانبول ، ومدون فيها كذلك أن هذا المقام هو "سيكاه" ، ثم يعود "ارجون" ثانية فيذكر أن اللحن من مقام "أصفهان" لصاحبه ناصر عبد الباقى دده" ، ولحن " نُخفت " "لكناهى عبد الرحيم دده " ، وثمة لحن من مقام اصفهان ليحى أفندى ذاكر باشيسى ، وأخر من مقام "ماهور" لأحمد عارف حكمت ، ولحن "هاشم بك" لحنا من مقام " سوزناك " ولحن "نيزان صالح دده" لحنا من مقام "شد عربا" ، أما ألحان مقام"سيكاه"لطنبور كمال فقد ضاعت برمتها ، ويقول" سعد الدين نزهت ارجون" إن لحن مقام "دوكاه" لفائق بك ، "وحجاز كار" لمانيصه لى مصطفى جازم دده " ، وألحان مقام "شد عربا" لكل من "بول آهنك نورى بك قراجه غار ونيزان صالح دده" قد نالت حظا كبيرا من الذيوع والانتشار أما اللحن الذى من مقام"مخفت" "لصاحب قدم زن حافظ على دده" فإنه لم يقدمه لأى شخص آخر ، أما الرواية التى تروى على لسان الشيخ المرحوم"أحمد جلال الدين دده" شيخ تكية"قوله قابيسى" فتقول إن ثمة ألحانا من هذه المقامات وذلك مثل لحن أصفهان لناصر عبد الباقى دده ن ولحن "شد عربا" لنيزان صالح دده" ، وهذه الألحان مدونة فى المجلة التى أسلفنا ذكرها بترنيماتها وأصولها وقواعدها ، وكتب فى نفس المجلة أن مقام"دوكاه" ليس لفائق بك ، ولكنه صاحب مقام "سيكاه".

وإذا ما أتينا على ذكر لحن"سوزناك" لهاشم بك فنقول : إن ما ورد فى هذه المقطوعة وغيرها من الألحان الموسيقية لم يحظ بالقبول والاستحسان من قبل شيوخ المولوية لأنها لحنت من أشعار الشيخ" نظيف ينى شهرلى" ، حتى أن هذه الرواية

تفيد كذلك بأنه قد أرسلت رسالة توبيخ وتعزير من مقام الشلبية إلى "نظيف دده" ، ولهذا السبب فإن هذا اللحن كان يمكن إنشاده ذات مرة فى تكية المولوية فى"بشكتاش" ، ومن الطبيعى أن تكون ألحان مولانا مختارة منتخبة بواسطة كل من نظيف دده وهاشم بك كليهما.

ولحنت فى القرن العشرين ثمانية ألحان فقط ، وهاهى ذى المقامات الموسيقية التى لحنت فيها مقرونة بأسماء ملحنيها :

١ - ذكائى دده زاده حافظ أحمد (ت ١٩٤٤م) ولحن من مقامى:بياتى بوسه لك - مُستار.

٢ - أزمير لى راقم خوجه (ت ١٩٤٨م) ، ولحن من مقام : قاراجه غار.

٣ - أحمد عونى قونوق (ت ١٩٣٨م) :ولحن من مقامات:بوسه لك آشيرا، دل كشيده نروى عراق.

٤ - كاظم أوز (ت ١٩٤٤م) ولحن من مقام سلطانى يكاه.

٥ - رءوف يكتا (ت ١٩٣٥م) ولحن من مقام سيكاه .

٦ - رفيق فرسان (ت ١٩٦٥ م) ولحن من مقامى:الرصد سلْمك.

٧ - أرول صايان (ولد فى سنة ١٩٣٦م: ولحن من مقام اوج EVC.

٨ - جينو جن طاكرى قورور (ولد ١٩٣٨م) ولحن من مقام بياتى عربًا.

مقطوعات ليست لمولانا فى المدائح مقرونة بالألحان المولوية :

لقد قلنا آنفا إن الأنغام الموسيقية فى الألحان المولوية نشأت بصفة خاصة بعد مولانا من بين ثنايا المقطوعات المختارة من غزليات ورباعيات كل من سلطان ولد وأولو عارف جلبى كليهما. وكانت هناك أبيات مقتبسة من المثنوى ملحنة فى مقام"بنجه كاه" أو مقام"الحجاز" لصاحبه"مصاحب أحمد آغا، أو مقام"فرح فزا أو الهزام"

لصاحبهما "إسماعيل دده" ، وثمة أبيات أخرى مقتبسة من"رباب نامه" لسلطان ولد ملحنة كذلك فى مقام "صبا" لصاحبه إسماعيل دده.

وبعد فيتوجب علينا أن نقول فى هذا المقام ما يأتى:

إن المولوية لم يتصدوا للبحث والتمحيص فى شخصية مولانا ومذهبه ومشربه وذوقه الفنى والأدبى ونزعته الإنسانية وضروب حياته ومعيشته وسجاياه وشمائله ، ومن البديهى كذلك ألا يمعنوا النظر فى الآثار التى تجلى هذه الموضوعات وتميط اللثام عنها ، وهذا شىء ليس بغريب عليهم ، إذ أن المولوية قد صرفوا جُل اهتمامهم للآداب والسلوك والأسس والقواعد والموسيقى ليس إلا ، ورأوا مولانا برؤية صوفية خالصة ، وحُمادى القول فى هذا أن شخصية مولانا الأصلية لم تكن بهذه الرؤية فحسب ، ومن ثم فإنهم قد تسنى لهم رؤية مولانا التى خلقوها وأوجدوها فى بنات خيالاتهم ، حتى إن الشراح الذين تصدوا لشرح أحد الآثار الأدبية العالمية الممتازة كالمثنوى لم يشعروا كذلك بضرورة قراءة آثار مولانا الأخرى ، وهذا ما قلناه آنفا ، ولهذا السبب فإنه توجد ألفاظ كثيرة ليست لمولانا ، ثم نسبت إلى اسم مولانا بعد حين . وفى الحق فإن الأنغام الموسيقية سواء أكانت فى الأماديح أم فى الألحان كانت تمثل الأذواق الفنية والنزعات والمشارب التى اختارها هؤلاء لتكون أكثر تمثيلا لمولانا والمولوية على حد سواء . وإذا كان المولوية من ذوى النزعة العلوية قد تخيروا هذه الأشياء بغية تجلية مولانا على أنه علوى بصفة مطلقة ، فإن المناهضين لهذه المذاهب قد اختاروا أنغاما موسيقية تتسم بالزهد حتى يتسنى لهم توضيح البغية التى يبتغونها .

اللغة التركية فى الألحان :

أشرنا من قبل إلى أن الأنغام الموسيقية فى الألحان كانت أول الأمر مختارة من أشعار كل من:مولانا وسلطان ولد وأولو عارف جلبى ، ثم بدأت بعد ذلك مع مرور الزمان فى اقتباس أشعار كبراء المولوية وأساطينهم ، وعلى هذا النحو دخلت التركية

إلى الألحان الموسيقية. وثمة مقطوعة لمولانا مقتبسة من لحن قديم ، وتمت ترجمتها إلى التركية على نفس الوزن، ويوجد"ملمع" من مقام "بنجاه" وبيت تركى آخر من مقام "دوكاه" . وقد دونا فى السيرة الذاتية "لشاهدى" أنه دبج رباعيات بالتركية على وزن المستزاد من مقام الرصد ، وثمة رباعية أخرى للشيخ غالب دده من مقام"سوز دلارا" ، وواحدة أخرى لاسماعيل دده من مقام"الصبا" ، وهناك بيتان من إحدى غزليات الشيخ"غوثى أحمد دده" (ت ١٦٣٩م) وهو شيخ تكية "قوله قابيسى" ، ومقطوعة اخرى نشأت عن ترجمة لإحدى رباعيات "صامتى وجامى " ودخلت كذلك رباعية الشيخ غالب دده، وثمة بيتان لمطلع إحدى الغزليات التركية "لنابى عثمان دده" من مقام الحجاز ، وأبيات أخرى من مقام "صبا بوسه لك" لإسماعيل دده ، وبيتان من مستزاد"لشاهدى" ، ومقطوعة "لصامتى" ، وثمة مقطوعة لعبد الباقى دده ملحنة على مقام "عجم بوسه لك" .

ما هى الموسيقى المولوية ؟ ألها خصوصية تندرج داخل إطار ما نسميه بالموسيقى الكلاسيكية؟ وما هى الأشياء التى اقتبسناها من هذه الموسيقى ومدى التأثير الذى خلفته فيها ؟ توجد أغنية يقول مطلعها" كم هو جميل ذلك القميص ذو الكم الذى يليق بكاتبى" وهذه الأغنية واحدة من أجمل النماذج وهى من موسيقى المدينة التى لحنت فى استانبول من قبل الناس المدنيين على وجه الخصوص فهل قدم هذا الفن من الموسيقى شيئا ما إلى الموسيقى المولوية ؟ أم أن الموسيقى المولوية كانت ذات تأثير فى ذلك الضرب من الموسيقى الذى يمكن أن نسميه بموسيقى المدينة؟ لقد أنشأ غالب ده"آثارا موسيقية إيقاعية مقتبسة من الأذواق الشعبية ، وصنع كذلك موسيقى "الفالس" Vals بتأثير الموسيقى الغربية.

ألم يكن ثمة تأثير فى ألحان شيخ غالب دده الذى ظل رازحا تحت تأثير الموسيقى الغربية وتأثير الشعب فى أغانيه؟وكانوا يقولون كذلك ما هو الفرق بين اللحن والترنيمة؟

ولماذا يوجد أسلوب ترنيمى فى ألحان "زكانى دده" عند أساتذة الموسيقى المولوية؟إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة يكون بمثابة كتاب برمته . وإن معهد الموسيقى

باستانبول Konservetuar لم يقف قط على هذه النقاط التى تؤكد وتثبت وجود الألحان الموسيقية المولوية ، فالرد على هذه الأسئلة والكتابة فى هذه الموضوعات خارج تماما عن صلاحياتى ، بيد أنه يتوجب على عرض هذه المسألة ، ولقد استعنت فى هذا المبحث بالمرحوم "مسعود جميل" وأنا على يقين بما قاله فى هذا الخصوص . ولكنه خدعنى كعادته مدة طويلة من الزمان ، إذ أن المقالة التى وعد بكتابتها لم تأت إلا بعد الفراغ من طباعة الكتاب ، ولكن الأستاذ "خليل ديكمن" رحمه الله تكرم على بمقالة تتصل بالموسيقى المولوية ، كما أعد قبل ذلك لوحة الذكر عند المولوية المرفقة بهذا الكتاب رغم مشاغله الكثيرة التى تثقل كاهله .

وها نحن أولاء نقدم بين يدى القارئ هذه المقالة بنصها ، ويتوجب على القول واثقا بعفوه ولطفه : إن العمل لما ينته بعد كما أنه لم يجب عن أسئلتى ، ولربما يظهر ذات يوم ويكتب كتابا بشأن موسيقى المولوية ، وهذا ما أنتظره وأترقبه .

نص مقالة الأستاذ خليل ديكمن :

إن موسيقينا هم الذين سموا الموسيقى التركية فى العصور المتأخرة باسم الموسيقى التركية الكلاسيكية ، وقد تشعبت هذه الموسيقى إلى شعبتين اثنتين : دينية وغير دينية ، وقد نشأت آثار دينية ممتازة فى إطار هذه البنى الموسيقية ذاتها ، وكانت الطقوس الدينية المولوية موجودة كذلك فى ثنايا موسيقانا الدينية ، كما كانت بدورها آثارا فنية بحسب اتساع رقعة مؤسسيها . ولقد كانت هذه الآثار تتشكل من المقطوعة الموسيقية الرابعة منفصلة قائمة برأسها ، ويُترنم بموسيقى هذه الألحان، ويتُغنى بها .

كذلك على أنغام القيثارة فحسب، كما أنها ترتبط ببعضها ارتباطًا وثيق العرى ، كما وجدت ترنيمات متباينة داخل إطار المقطوعة الموسيقية الثالثة .بيد أن الآثار الموسيقية الدينية تختلف اختلافا بينًا عن الآثار الموسيقية اللادينية ، كما أن للآثار الموسيقية الدينية أداءا مؤثرا مختلفا بين هؤلاء ، وهذا يعنى أنها تتأتى فى شكل

مقروء ، وأن هذا الشكل الدينى الموسيقى والترنيمات الإلهية لتشكل جميعها الأساس المتين للآثار الدينية . وإذا كانت هذه الأشكال الموسيقية الدينية لا ترتبط بأية قاعدة أساسية فإنها تشكل مسلسل النغمة الموائمة لانسياب المقامات الموسيقية(٢) ، كما أنها تأتى على رأس الطقوس والشعائر الدينية المولوية المقروءة ، وإن المدحة النبوية للشاعر "عطرى" تأتى على هذا الضرب من القافية وملحنة كذلك فى مقام "الرصد " . وتوجد طائفة من المتفوهين بهذا اللحن الموسيقى وفق الأصول والقواعد التركية.كانت طقوس المولوية وشعائرها تلحن وفق القسم الرابع للنغم الصوتى المسمى "الدور الكبير" ، ويأتى وفق قواعد موسيقية قصيرة النغم تشبه إلى حد ما ضربا موسيقياً منغماً مصطبغاً بالصبغة الأوربية .

أما الإيقاع الشديد أو السريع فيكون على هيئة توزيعات موسيقية وفق هجائيات النوتة الموسيقية ، وإن أطوال النغمات التى تمدد الهجائيات وتطولها فإنها سمة خاصة تنشأ عن شكل الشعيرة وترتيب النغمات ، بيد أن منشدى الشعيرة لايدركون جيدا كنه الحالة التى يكون عليها السماع ، ويتوجب عليهم ألا يضفوا على الشعيرة صفة إلهية خالصة.

يصاحب المطرب طائفة تتكون من عازفى القيثارة والنايات ، وينضم إليهم كذلك عازفو الرباب والطنبور والقانون ، وهناك قائد عازفى السماع فى الناى الذى يأتى على رأس العازفين ، أما ضارب الطبلة فهو على رأس منشدى الشعائر والطقوس ، ثم تأتى طائفة المطربين التى يوجهها ويديرها جميعا قائد عازفى الناى.

إن منشدى الشعائر ينشدونها على أنغام طبلتين أو ثلاث ، ويصنع من جلد الطبلة أو كورديون ذو أوتار ويستخدم كذلك فى إنشاد الألحان ، وبهذه الصورة تتحقق قيمة نقرات الطبلة فى أثناء العزف ، بيد أن هناك واحدا من منشدى الشعيرة يشترك فى العزف مستخدما دُفين أحدهما ذو جرس والآخر بغير جرس .وتُعزف موسيقى الشعيرة على شكل تقسيم إيقاعى خاص بطقوس وشعائر المولوية . تبدأ الطقوس دائما بقراءة نعت مشهور للشاعر "عطرى" ينشده أحد الأشخاص . ثم تبدأ

التقسيمة الموسيقية الأولى حيث تستغرق مدة تتراوح ما بين خمس عشرة إلى عشرين دقيقة وهى تميط اللثام بكل اتساع عن مقام الشعيرة التى تنشد والتى يضطلع قائد عازفى الناى عزفها ويعقب هذا لحن آخر ملحن بحسب أصول وقواعد الدور الإيقاعى المتناغم المسمى "الدور الكبير" ويطلق على هذا الدور اسم اللازمة الموسيقية أو المقدمة الموسيقية ، فإذا ما انتهى الإيقاع الموسيقى المسمى"دور ولدى" الذى يعزف بمصاحبته المقدمة الموسيقية المعزوفة بالناى فإن العازف يمشى ويتجه نحو مقام الشيخ ، ويتقدم قائد عازفى السماع ماشيا مسافة ست خطوات ، ثم تنشد الأنغام الموسيقية للشعيرة بمصاحبة أنغام متتالية بعد الفراغ من عزف تقسيم موسيقى صغير ، وبعد بداية المقام الموسيقى الثالث تكون حالة الوجد قد زادت سرعة واطرادا وحينئذ يبدأ ضرب موسيقى منغم للسماع. وقد قلنا آنفا إن تقسيمات الناى المعتادة فى أثناء العزف تضفى على الشعيرة حالة من الوجد الصوفى المتقد بالحماس وسورة الحميا. أما المقام الموسيقى الرابع فإنه يحقق إعادة الطمأنينة والسكون من جديد ، ويلحن دائما بأدق اهتمام ووضوح حتى يمكن تحقيق تلك الطمأنينة وذاك السكون ، ثم تُمزج الإيقاعات الموسيقية بعضها ببعض بمهارة فائقة فى هذه المقامات الموسيقية . وبعد انتهاء المقام الموسيقى الرابع وقراءة الشعيرة سرعان ما يأتى فى إثرهما لازمة موسيقية معزوفة على نغم . "الدويك" (٢) Duyek بسرعة مطردة ،وتسمى باسم اللازمة الموسيقية الأخيرة ، أما الضرب الموسيقى والمنغم والأخير فإنه يعزف بمقطوعات قصيرة بالناى ، ويستمر لخمس دقائق ، ثم تبلغ الشعيرة نهايتها بتقسيم موسيقى آخر يعزف بالناى .

ويتوجب علينا فى هذا المقام أن نسجل هذه الملاحظة الآتية :

لقد تبوأت الموسيقى حرية وانطلاقة لدى المولوية وكان هذا سببا قويا فى تطور موسيقانا اللادينية ، خارج نطاق تكايا المولوية. وإذا كانوا يميزون دائما بين الحالات الخاصة للموسيقى وبين الإلهيات والصمت الموجود فى طوال النغمة الموسيقية فإن

هذا يبين مقدار الظرف والرقة الموجودين باتساع فى المقامات الموسيقية ويبرهن كذلك على وجود أجزاء من الأغانى مقرونة ببعض الألحان . وعندما تسمع بعض الأغانى على وجه العموم فإنه يمكن الإحساس بجلاء تام بمقدار العلاقة الوثيقة بالمقامات الموسيقية ولاسيما عند الإنصات مليا إلى بعض هذه الألحان .

الهوامش

(١) انظر كتاب مولانا جلال الدين الرومى ، وانظر كذلك الجزء المعنون باسم مولانا والموسيقى فى القسم الثالث من نفس الكتاب (ص ٢١٤ - ٢١٦) والجزء الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب.

(٢) وثمة زعم يقول بأن هذه الأشكال الموسيقية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقوافى وفق أصول وقواعد معينة.

(٣) دويك duyek :نغمة موسيقية فى الموسيقى التركية ذات خمس نغمات . (المترجم)

المؤلف فى سطور

عبد الباقي جلبنارى

ولد فى إستانبول سنة ١٩٠٠ م وتوفى سنة ١٩٨٢ م . وهو كاتب ومؤرخ أدبى ، قدم أطروحته للدكتوراه إلى كلية اللغة والتاريخ والجغرافيا بجامعة أنقرة ثم عين بعد ذلك أستاذاً مساعداً للأدب الفارسى . ثم عمل محاضراً للغة الفارسية واضطلع بشرح النصوص التركية الأدبية وتاريخ التصوف التركى الإسلامى ثم ترك التدريس فى جامعة إستانبول وأحيل للتقاعد فى سنة ١٩٤٩ م . ومن أهم مؤلفاته :

١ - ديوان يونس آمره .

٢- فى بيان الأدب الديوانى .

٣ - نسيمى - أصولى - روحى .

٤ - تاريخ الإسلام من الزاوية الاجتماعية .

٥ - مقتطفات من التصوف التركى .

٦ - الحكم والأمثال والمصطلحات التى انتقلت من التصوف إلى اللغة التركية .

المترجم فى سطور

د / عبد الله أحمد إبراهيم

ولد بمحافظة الغربية سنة ١٩٥١ م

أتم تعليمه الأزهرى وتخرج فى كلية اللغات والترجمة ، قسم اللغة التركية سنة ١٩٧٥ م .

حصل على الماجستير سنة ١٩٨٤ ثم الدكتوارة سنة ١٩٩٠ م يشغل حاليا وظيفة أستاذ مساعد بقسم اللغة التركية بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر :

أهم أعماله المؤلفة :

١- من أدب الرحلة فى تراث الترك (مخطوط) .

٢ - الشاعر التركى أحمد هاشم ورحلته إلى فرانكفورت (مخطوط) .

٣ - شاعر الإسلام محمد عاكف : مقامه بمصر وشعره فيها (مخطوط).

٤ - ميزان الشعر بين إبراهيم عبد القادر المازنى وأحمد حمدى طانبينار (مخطوط) .

أهم أعماله المترجمة عن اللغة التركية :

١- الترجمة العربية لكتاب : المتصوفة الأولون فى الأدب التركى نشر المجلس الأعلى للثقافة .

٢ - الترجمة العربية لكتاب : تاريخ الأدب التركى ؛ تأليف : فؤاد كوبريلى زاده تحت الطبع .

٣ - الترجمة العربية لقاموس : الألفاظ الأجنبية فى اللغة التركية ؛ تأليف : على بوسكوللى أو على (مخطوط) .

٤ - الترجمة العربية لكتاب السلطان عبد الحميد الثانى ، شخصيته ، وسياسته ، وتأليف : سليمان قوجه باش (تحت الطبع) .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ – ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ – تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ – التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ - لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	ڤرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيئل الكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أتيال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - ساحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازار	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رابوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميونوڤا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودچ	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت . نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ - فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوچيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ - أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ - أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ - يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ - مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ - جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامي صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد
٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البراق عبد الهادى رضا

٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أميرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى
٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة

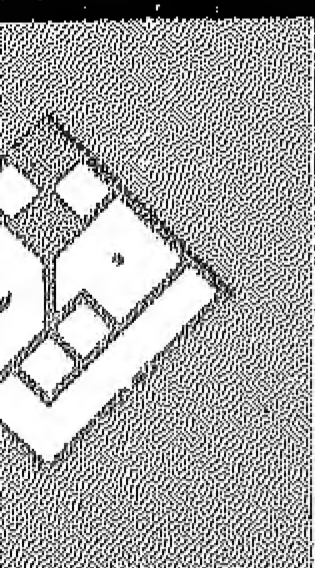
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ - همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ - أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ - الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ - صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ - سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ - العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ - مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ - الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ - إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ - لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ - الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ - بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ - الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ - هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ - كانط	كرستوفر وانت وأندرزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ - فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ - ماكيافلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ - جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ - الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زوربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ - رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ - بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ - موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة	أروندانى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ - حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ - اللغة العربية	كيس ڤرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية . الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ - التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود

٤٤٧ – نظرية الكم	ج. ب. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايفانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكارايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان مولر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد الننة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ – الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنغ ولى شى دونغ	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى
٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو

٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار البيغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦ – الحكم والسياسة فى أفريقيا جـ١	إكوادو بانولى	ت : مجموعة من المترجمين
٤٩٧ – العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت : مصطفى رياض
٤٩٨ – النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	ت : أحمد على بدوى
٤٩٩ – تقاطعات : والأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت : فيصل بن خضراء
٥٠٠ – فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت : طلعت الشايب
٥٠١ – تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت : سحر فراج
٥٠٢ – أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت : هالة كمال
٥٠٣ – مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت : محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤ – كتابات أساسية ج١	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٥ – كتابات أساسية ج٢	مارتن هايدجر	ت : إسماعيل المصدق
٥٠٦ – ربما كان قديسًا	أن تيلر	ت : عبد الحميد فهمى الجمال
٥٠٧ – سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت : شوقى فهيم
٥٠٨ – المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبد الباقى جلبنارلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٢٦ / ٢٠٠٣



لا جرم أن الطريقة المولوية قد خلقت تأثيرًا عميقًا فى الأدب الصوفى التركى على العموم والأدب الإسلامى على الخصوص، وقد انتشرت هذه الطريقة فى ربوع آسيا الوسطى ومنطقة الأناضول، وامتد تأثيرها حتى شمل مناطق العالم الإسلامى قاطبة. وثمة قسم من هذا الكتاب يعتمد على التاريخ، وقسم آخر يعتمد على المشاهدات التى رآها المؤلف رأى العين حيث استعان بالمناقب ورواية الوقائع والأحداث والنوادر بغية تجلية بعض الخصائص التى ميزت هذه الطريقة عن غيرها من الطرق الصوفية الأخرى.

ولسوف يرى القارئ بين دفتى هذا الكتاب تمحيصًا دقيقًا للمعلومات التى قدمها المؤلف مدعمة بالوثائق والحجج الدامغة، كما أماط اللثام عن تطور الطريقة المولوية ومراحل تأسيسها وتفسخها وانهيارها وتقويض أركانها وأواصر علاقاتها مع الطرق الأخرى والفروق الجوهرية التى أبرزتها وميزتها بسبب مشاعر ومفاهيم أولئك الذين اقتدوا طريقها واتبعوا سبيلها.